صحيفه

(تم فهرست الجزء الرابع من تفسير الخازن)

هذا

الجزء الرابع من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل

تأليف الشيخ الامام الحجة المقدم العلامة قدوة الامة وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحيى السنة علاء الدين على بن محمد ابن ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن تغمده الله برحمته آمين

م

(وبهامشه الجزء الرابع من تفسير الامام النسفى)

(الجزء الرابع)

بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة يس عليه الصلاة والسلام مكية)

وهي ثلاث وثمانون آية وسبعمائة وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده شيخ مجهول وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا على موتاكم يس أخرجه ابوداود وغيره

❁(بسم الله الرحمن الرحيم)❁

قوله عز وجل (يس) قال ابن عباس هو قسم وعنه ان معناه يا انسان بلغة طيء يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم للقرآن (والقرآن الحكيم) أي ذي الحكمة لانه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه (انك لمن المرسلين) اي اقسم بالقرآن ان محمدا صلى الله عليه وسلم لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) معناه وانك على صراط مستقيم وقيل معناه انك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة (تنزيل العزيز الرحيم) أي القرآن تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم) يعني لم تنذر آباؤهم لان قريشا لم يأتهم نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما أنذر آباؤهم من العذاب (فهم غافلون) أي عما يراد بهم من الايمان والرشد (لقد حق القول) اي وجب العذاب (على

اكثرهم

(سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (يس) عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه يا انسان في لغة طيء وعن ابن الحنفية يا محمد وفي الحديث ان الله تعالى سماني في القرآن بسبعة أسماء محمد واحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبدالله وقيل يا سيد يس بالامالة على وحمزة وخلف وحماد ويحيى (والقرآن) قسم (الحكيم) ذي الحكمة اولانه دليل ناطق بالحكمة اولانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (انك لمن المرسلين) جواب القسم وهو رد على الكفار حين قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر او صلة للمرسلين اي الذين ارسلوا على صراط مستقيم أي طريقة مستقيمة وهو الاسلام (تنزيل) بنصب اللام شامي وكوفي غير أبي بكر على اقرأ تنزيل او على انه مصدر أي نزل تنزيل وغيرهم بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف أي هو تنزيل والمصدر بمعنى المفعول (العزيز) الغالب بفصاحة نظم كتابه اوهام ذوي العناد (الرحيم) الجاذب بلطافة معنى خطابه افهام اولي الرشاد واللام في (لتنذر قوما) متصل بمعنى المرسلين أي ارسلت لتنذر قوما (ما انذر آباؤهم) ما نافية عند الجمهور أي قوما غير منذر آباؤهم على الوصف بدليل قوله لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير او موصولة منصوبة على المفعول الثاني أي العذاب الذي انذره آباؤهم كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا او مصدرية اي لتنذر قوما انذار آبائهم اي مثل انذار آبائهم (فهم غافلون) ان جعلت ما نافية فهو متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون والا فهو متعلق بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل (لقد حق القول

على أكثرهم فهم لا يؤمنون) يعنى قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين أى تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين فى انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم فى ان لا تأمل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر فى آيات الله بقوله (انا جعلنا فى أعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان) معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوقة اليها (فهم مقمحون) مرفوعة رؤسهم يقال قمح البعير فهو قامح اذا روى فرفع رأسه وهذا لان طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلا يخليه يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحا (وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا) بفتح السين حمزة وعلى وحفص وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم (فأغشيناهم) فأغشينا أبصارهم اى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة (فهم لا يبصرون) الحق والرشاد وقيل نزلت فى بنى مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لان رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره (وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون) اى سواء عليهم الانذار وتركه والمعنى من اضله الله هذا الاضلال لم ينفعه الانذار وروى ان عمر بن عبد العزيز قرأ الآية على غيلان القدرى فقال كأنى لم اقرأها أشهدك انى تائب عن قولى فى القدر فقال عمر اللهم ان صدق فتب عليه وان كذب فسلط عليه من لا يرحمه فأخذه هشام بن عبد الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق (انما تنذر من اتبع الذكر) أى انما ينتفع بانذارك من اتبع القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) وخاف عقاب الله ولم يره (فبشره بمغفرة) وهى العفو عن ذنوبه (واجر كريم) أى الجنة (انا نحن نحيى الموتى) نبعثهم بعد مماتهم او نخرجهم من الشرك الى الايمان (ونكتب ما قدموا) ما أسلفوا من الاعمال الصالحات وغيرها (وآثارهم) ما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس حبسوه أو رباط او مسجد صنعوه أو سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلمة وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هى خطاهم الى الجمعة او الى الجماعة

أكثرهم فهم لا يؤمنون) فيه اشارة الى ارادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون لما سبق لهم من القدر بذلك قوله عز وجل (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) نزلت فى ابى جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك ان أبا جهل حلف لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلى ليرضخن رأسه بالحجارة فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى أصحابه واخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال له رجل من بنى مخزوم انا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلى ليرميه بالحجر فأعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بينى وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلنى فأنزل الله تعالى انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا قيل هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل اراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق فى سبيل الله بموانع كالاغلال وقيل انها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل انها وصف فى الحقيقة وهى ما سينزله الله عز وجل بهم فى النار (فهى) يعنى الايدى (الى الاذقان) جمع ذقن وهو اسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الى العنق (فهم مقمحون) أى رافعو رؤسهم مع غض البصر وقيل اراد أن الاغلال رفعت رؤسهم فهم مرفوعو الرؤس برفع الاغلال لها (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) معناه منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب امامه وخلفه بالاسداد وقيل حجبناهم بالظلمة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (فأغشيناهم) أى فأعميناهم (فهم لا يبصرون) يعنى سبيل الهدى (وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون) يعنى من يرد الله اضلاله لم ينفعه الانذار (انما تنذر من اتبع الذكر) يعنى انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه (وخشى الرحمن بالغيب) اى خافه فى السر والعلن (فبشره بمغفرة) أى لذنوبه (وأجر كريم) يعنى الجنة قوله تعالى (انا نحن نحيى الموتى) أى للبعث (ونكتب ما قدموا) اى من الاعمال من خير وشر (وآثارهم) اى ونكتب ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة (م) عن جرير بن عبد الله البجلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة حسنة فله اجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من أجورهم شئ ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من اوزارهم شئ وقيل نكتب خطاهم الى المسجد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال كانت بنو سلمة فى ناحية من المدينة فأرادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آثاركم تكتب فلم ينتقلوا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (خ) عن أنس رضى الله عنه قال أراد بنو سلمة ان يتحولوا الى قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعرى المدينة فقال يا بنى سلمة الا تحتسبون آثاركم فأقاموا قوله تعرى يعنى تخلى فتترك عراء وهو الفضاء من الارض الخالى الذى لا يستره شئ (م) عن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة ان ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغنى انكم تريدون ان تنتقلوا قرب المسجد فقالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال بنى سلمة دياركم تكتب آثاركم فقالوا ما يسرنا اذا تحولنا قوله بنى سلمة أى يا بنى سلمة وقوله دياركم اى الزموا دياركم (ق) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم اعظم الناس أجرا في الصلاة ابعدهم فأبعدهم ممشى والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام اعظم أجرا من الذي يصلي ثم ينام قوله تعالى (وكل شئ أحصيناه) أي حفظناه وعددناه وأثبتناه (في امام مبين) يعني اللوح المحفوظ قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا) اى صف لهم شبها مثل حالهم من قصة (أصحاب القرية) يعني انطاكية (اذ جاءها المرسلون) يعني رسل عيسى عليه الصلاة والسلام

(ذكر القصة) قال العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رسولين من الحواريين الى أهل انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من انتما فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال الشيخ لهما امعكما آية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله قال الشيخ ان لي ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فأتى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه انطيخش وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما اليه فدعا بهما وقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا اله دون آلهتنا قالا نعم الذي أوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى انظر في امركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما وقال وهب بعث عيسى عليه السلام هذين الرجلين الى انطاكية فأتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائتي جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رأس الحواريين شمعون الصفا على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه وأنس به واكرمه ورضي عشرته فقال للملك ذات يوم بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من ارسلكما الى ها هنا قالا الله الذي خلق كل شئ وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه واوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من طين فوضعاها في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع لك مثل هذا كان لك الشرف ولالهك فقال له الملك ليس لي عنك سر مكتوم فان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلي ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر الهكما الذي تعبدانه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شئ فقال الملك ان ها هنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام ابن دهقان وانا اخرته فلم ادفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير واروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال اني ميت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فأدخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما أنتم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان وأشار بيده الى صاحبيه فعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون ان قوله قد أثر في الملك أخبره بالحال ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك واجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى (اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما) قال وهب اسمهما يحيى وبولس وقال كعب صادق

(وكل شئ احصيناه) عددناه وبيناه (في امام مبين) يعني اللوح المحفوظ لانه أصل الكتب ومقتداها (واضرب لهم مثلا اصحاب القرية) ومثل لهم من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اى من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اى على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية أي انطاكية أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب (اذ) بانه بدل من اصحاب القرية (جاءها المرسلون) رسل عيسى عليه السلام الى أهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة أوثان (اذ) بدل من اذ الاولى (أرسلنا اليهم) أي أرسل عيسى بأمرنا (اثنين) صادقا وصدوقا فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسأل عن حالهما فقالا نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ابن مريض مدة سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق كثير فدعاهما الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت قولهما قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شئ ورزق كل حي وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام اكمه فدعوا الله فابصر الغلام فقال له شمعون ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال الملك ليس لي عنك سر ان الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار لما مت عليه من الشرك وانا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا (فكذبوهما)

فكذب أصحاب القرية الرسولين (فعززنا) فقويناهما فعززنا أبو بكر من عزه يعزه اذا غلبه أي فغلبنا وقهرنا (بثالث) وهو شمعون وترك ذكر المفعول به لان المراد ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كأن ما سواه مرفوض (فقالوا انا اليكم مرسلون) أي قال الثلاث لاهل القرية (قالوا) أي أصحاب القرية (ما أنتم الا بشر مثلنا) رفع بشر هنا ونصب في قوله ما هذا بشرا لانتقاض النفي بالا فلم يبق لما شبه بليس وهو الموجب لعمله (وما أنزل الرحمن من شئ) أي وحيا (ان أنتم الا تكذبون) ما انتم الا كذبة (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) أكد الثاني باللام دون الاول لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار فيحتاج الى زيادة تأكيد وربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله • (وما علينا الا البلاغ المبين) أي التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة بصحته (قالوا انا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا بكل شئ مالوا اليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان أصابهم بلاء او نعمة قالوا بشؤم هذا او بركة ذلك وقيل حبس عنهم المطر فقالوا ذلك (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم) لنقتلنكم او لنطردنكم او لنشتمنكم (وليمسنكم منا عذاب أليم) وليصيبنكم عذاب النار وهو اشد عذاب (قالوا طائركم) اى سبب شؤمكم (معكم) وهو الكفر (أئن) بهمزة الاستفهام وحرف الشرط كوفي وشامي (ذكرتم) وعظتم ودعيتم الى الاسلام وجواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم آين بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو وأين بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكي ونافع ذكرتم بالتخفيف يزيد (بل أنتم قوم مسرفون) مجاوزون الحد في العصيان فمن ثم أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم او بل أنتم مسرفون في ضلالكم وغيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان في غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم واظهر دينه وقال اتسألون على ما جئتم به اجرا قالوا لا (قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا) على تبليغ الرسالة (وهم مهتدون) أى الرسل فقالوا أو أنت على دين هؤلاء فقال (ومالي لا أعبد الذي فطرني)

خلقني (واليه ترجعون) واليه مرجعكم ومالي حمزة (أأتخذ) بهمزتين كوفي (من دونه آلهة) يعني الاصنام (ان يردن الرحمن بضر) شرط جوابه (لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون) من مكروه ولا ينقذوني فاسمعوني في الحالين يعقوب (اني اذا) أى اذا اتخذت (لفي ضلال مبين) ظاهر بين ولما نصح قومه اخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم (اني آمنت بربكم فاسمعون) أى اسمعوا ايماني لتشهدوا لي به ولما قتل (قيل) له (ادخل الجنة) وقبره في سوق انطاكية ولم يقل قيل له لان الكلام سيق لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلوما وفيه دلالة أن الجنة مخلوقة وقال الحسن لما اراد القوم ان يقتلوه رفعه الله اليه وهو في الجنة ولا يموت الا بفناء السموات والارض فلما دخل الجنة ورأى نعيمها (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي) اى بمغفرة ربي لي او بالذي غفر لي (وجعلني من المكرمين) بالجنة

وصدوق (فعززنا بثالث) أي قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وانما اضاف الله تعالى الارسال اليه لان عيسى عليه الصلاة والسلام انما بعثهم باذن الله عز وجل (فقالوا) يعني الرسل جميعا لاهل انطاكية (انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شئ) اى لم يرسل رسولا (ان أنتم الا تكذبون) اى فيما تزعمون (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) اى وان كذبتمونا (وما علينا الا البلاغ المبين) اى بالآيات الدالة على صدقنا (قالوا انا تطيرنا بكم) أى تشاءمنا منكم وذلك لان المطر حبس عنهم فقالوا أصابنا ذلك بشؤمكم (لئن لم تنتهوا) اى تسكتوا عنا (لنرجمنكم) اى لنقتلنكم وقيل بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم) اى شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني اصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر (أئن ذكرتم) معناه اطيرتم لان ذكرتم ووعظتم (بل انتم قوم مسرفون) اى في ضلالكم وشرككم متمادون في غيكم قوله عز وجل (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصى باب من أبواب المدينة وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه فاذا أمسى قسمه نصفين نصفا لعياله ويتصدق بنصفه فلما بلغه ان قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم (قال يا قوم اتبعوا المرسلين) وقيل كان في غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل اتاهم وأظهر دينه وقال لهم أتسألون على هذا أجرا قالوا لا فاقبل على قومه وقال يا قوم اتبعوا المرسلين (اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) أى لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والآخرة فلما قال ذلك قالوا له أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال (ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون) قيل أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة أثر النعمة وكانت عليه اظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم اليق وقيل معناه وأي شئ لي اذا لم اعبد خالقي واليه تردون عند البعث فيجزيكم باعمالكم (أأتخذ من دونه آلهة) اى لا اتخذ من دونه آلهة (ان يردن الرحمن بضر) اى بسوء ومكروه (لا تغن عني) اى لا تدفع عني (شفاعتهم شيئا) اى لا شفاعة لها فتغني عني (ولا ينقذون) اى من ذلك المكروه وقيل من العذاب (اني اذا لفي ضلال مبين) أى خطا ظاهر (اني آمنت بربكم فاسمعون) اى فاشهدوا لي بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب لقومه فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود ووطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى أهلكوه وقبره بانطاكية فلما لقي الله تعالى (قيل له ادخل الجنة) فلما افضى الى الجنة ورأى نعيمها (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) تمنى ان يعلم قومه ان الله تعالى غفر له واكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل غضب

(وما أنزلنا) ما نافية (على قومه) قوم حبيب (من بعده) من بعد قتله اورفعه (من جند من السماء) لتعذيبهم (وما كنا منزلين) وما كان يصح في حكمتنا ان تنزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك (ان كانت) الاخذة او العقوبة (الا صيحة واحدة) صاح جبريل عليه السلام صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) ميتون كما تخمد النار والمعنى ان الله كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) الحسرة شدة الندم وهذا نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالى يا حسرة فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم احقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون اوهم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين (ألم يروا) ألم يعلموا (كم اهلكنا قبلهم من القرون) كم نصب باهلكنا وبر وامعلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة وقوله (انهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم (وان كل لما جميع لدينا محضرون) لما بالتشديد يدشامي وعاصم وحمزة بمعنى الا وان نافية وغيرهم بالتخفيف على ان ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة والتنوين في كل عوض من المضاف اليه والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب او معذبون وانما اخبر عن كل بجميع لان كلا يفيد معنى الاحاطة والجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع يعني ان المحشر يجمعهم (وآية لهم) مبتدأ وخبر اي وعلامة تدل على ان الله يبعث الموتى باحياء الارض الميتة ويجوز ان يرتفع آية بالابتداء ولهم صفتها وخبرها (الارض الميتة) اليابسة وبالتشديد مدني (أحييناها) بالمطر وهو استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز ان توصف الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما جنسان مطلقين لا أرض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه * ولقد امر على اللئيم يسبني * (واخرجنا منها حبا) اريد به الجنس (فمنه يأكلون) قدم الظرف ليدل على ان الحب هو الشئ الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل

الله عز وجل له فعجل لهم العقوبة فأمر جبريل عليه الصلاة والسلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) يعني الملائكة (وما كنا منزلين) أي ما كنا لنفعل هذا بل الامر في اهلاكهم كان أيسر مما تظنون ثم بين عقوبتهم فقال تعالى (ان كانت الا صيحة واحدة) قال المفسرون أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) أي ميتون (يا حسرة على العباد) يعني يا لها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة ان يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على أنفسهم لما عاينوا من العذاب حيث لم يؤمنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الايمان حيث لم ينفعهم وقيل تتحسر عليهم الملائكة حيث لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله تعالى يا حسرة على العباد يوم القيامة حيث لم يؤمنوا بالرسل ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالى (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) قوله تعالى (ألم يروا) اي ألم يخبروا خطاب لاهل مكة (كم اهلكنا قبلهم من القرون) أي من الامم الخالية من اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم في الوجود (أنهم اليهم لا يرجعون) أي لا يعودون الى الدنيا أفلا يعتبرون بهم (وان كل لما جميع لدينا محضرون) يعني ان جميع الامم يحضرون يوم القيامة (وآية لهم) يعني تدلهم على كمال قدرتنا على احياء الموتى (الارض الميتة احييناها) أي بالمطر (وأخرجنا منها) أي من الارض (حبا) يعني الحنطة والشعير وما أشبههما (فمنه يأكلون) أي من الحب (وجعلنا فيها) أي في الارض (جنات) اي بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره) أي من الثمر الحاصل بالماء (وما عملته أيديهم) اي من الزرع والغرس الذي تعبوا فيه وقرئ عملت بغير هاء وقيل ما للنفي والمعنى ولم تعمله أيديهم وليس من صنيعهم بل وجدوها معمولة وقيل أراد العيون والانهار التي لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة (أفلا يشكرون) اي نعمة الله تعالى (سبحان الذي خلق الازواج كلها) يعني الاصناف كلها (مما تنبت الارض) أي من الاشجار والثمار والحبوب (ومن أنفسهم) اي الذكر والانثى (ومما لا يعلمون) يعني مما خلق الله تعالى من الاشياء في البر والبحر من الدواب قوله عز وجل (وآية لهم) يعني تدلهم على قدرتنا

جاء القحط ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء (وجعلنا فيها) في الارض (جنات) بساتين (من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون) (الليل من زائدة عند الاخفش وعند غيره المفعول محذوف تقديره ما ينتفعون به (ليأكلوا من ثمره) والضمير لله تعالى اي ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر من ثمره حمزة وعلي (وما عملته ايديهم) أي ومما عملته أيديهم من الغرس والسقي والتلقيح وغير ذلك من الاعمال الى ان يبلغ الثمر منتهاه يعني ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم واصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريق الالتفات ويجوز ان يرجع الضمير الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم النخيل مما علق به من أكل ثمره ويجوز ان يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة فيها خطوط من بياض وبلق * كانه في الجلد توليع البهق * فقيل له فقال اردت كان ذلك وما عملت كوفي غير حفص وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير وقيل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه (افلا يشكرون) استبطاء وحث على شكر النعمة (سبحان الذي خلق الازواج) الاصناف (كلها مما تنبت الارض) من النخيل والشجر والزرع والثمر (ومن أنفسهم) الاولاد ذكورا واناثا (ومما لا يعلمون) ومن ازواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها في الاودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس (وآية لهم

الليل نسلخ منه النهار) نخرج منه النهار اخراجا لا يبقى معه شئ من ضوء النهار او ننزع عنه الضوء نزع القميص الابيض فيعرى نفس الزمان كشخص زنجي اسود لان أصل ما بين السماء والارض من الهواء الظلمة فاكتسى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم اسرج فيه فاذا غاب السراج اظلم (فاذا هم مظلمون) داخلون في الظلام (والشمس تجري) وآية لهم الشمس تجري (لمستقر لها) لحد لها موقت ٧ مقدر تنتهي اليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لحد لها من مسيرها كل يوم في مرائي عيوننا وهو المغرب او لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا (ذلك) الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) بكل معلوم (والقمر) نصب بفعل يفسره (قدرناه) وبالرفع مكي ونافع وأبو عمرو وسهل على الابتداء والخبر قدرناه او على وآية لهم القمر (منازل) وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل أي قدرنا نوره فيزيد وينقص أو قدرنا مسيره منازل فيكون ظرفا فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس (حتى عاد كالعرجون) هو عود الشمراخ اذا يبس واعوج ووزنه فعلون من الانعراج وهو الانعطاف (القديم) العتيق المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه القمر به من ثلاثة اوجه (لا الشمس ينبغي لها) اى لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم (ان تدرك القمر) فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره لان لكل واحد من النيرين سلطانا على حياله فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل (ولا الليل سابق النهار) ولا يسبق الليل النهار اى آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان تقوم القيامة فيجمع الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها (وكل) التنوين فيه عوض من المضاف اليه اى وكلهم والضمير للشموس والاقمار (في فلك يسبحون) يسيرون (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) ذرياتهم مدني وشامي (في الفلك المشحون) أي المملوء والمراد بالذرية الاولاد ومن يهمهم حمله وكانوا يبعثونهم الى التجارات في بر او بحر او الآباء لانها من الاضداد والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام وقيل معنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم (وخلقنا لهم من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون) من الابل وهي سفائن البر

(الليل نسلخ) أي ننزع ونكشط (منه النهار فاذا هم مظلمون) اى فاذا هم في الظلمة وذلك ان الاصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة (والشمس تجري لمستقر لها) اى الى مستقر لها قيل الى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل تسير في منازلها حتى تنتهي الى أبعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء وقرأ ابن مسعود والشمس تجري لا مستقر لها اى لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية أبدا الى يوم القيامة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو ذر قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفي رواية قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين غربت الشمس اتدري اين تذهب الشمس قال الله ورسوله اعلم قال انها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم أخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محي الدين النووي اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدي فعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش الى ان تطلع وقيل تجري الى وقت لها واصل لا تتعداه وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وأما سجود الشمس فهو تمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله أعلم (ذلك) اى الذي ذكر من جري الشمس على ذلك التقدير والحساب الذي يكل النظر عن استخراجه وتتحير الافهام عن استنباطه (تقدير العزيز) أي الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) أي المحيط علما بكل شئ قوله تعالى (والقمر قدرناه منازل) أي قدرنا له منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في منزل منها لا يتعداه يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص فاذا كان في آخر منازله رق وتقوس فذلك قوله تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) وهو العود الذي عليه شماريخ العذق الى منبته من النخلة والقديم الذي أتى عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به عند انتهائه الى آخر منازله (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر) أي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار) أي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجئ احدهما قبل وقته وقيل لا يدخل احدهما في سلطان الآخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وادرك أحدهما صاحبه قامت القيامة وقيل معناه ان الشمس لا تجتمع مع القمر في فلك واحد ولا يتصل ليل بليل ولا يكون بينهما نهار فاصل (وكل في فلك يسبحون) اى والشمس والقمر في فلك يسيرون قوله عز وجل (وآية لهم انا حملنا ذريتهم) يعني أولادهم (في الفلك المشحون) أي المملوء (وخلقنا لهم من مثله) اى مثل الفلك (ما يركبون) اى من الابل وهي سفائن البر وقيل أراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ومعنى الآية ان الله عز وجل حمل آباءهم الاقدمين في اصلاب الذين كانوا في السفينة فكانوا ذرية لهم ومنه قول العباس

بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق

وانما ذكر ذريتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وأبلغ في التعجب من قدرته فعلى هذا القول يكون قوله من مثله اى من مثل ذلك الفلك ما يركبون أي من السفن والزوارق في الانهار الكبار والصغار

(وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) اى لامغيث لهم (ولاهم ينقذون) اى ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا أحد ينقذهم من عذابى (الارحمة مناومتاعا الى حين) اى الاان يرحمهم الله ويمتعهم الى انقضاء آجالهم (واذا قيل لهم اتقوا مابين ايديكم وماخلفكم) قال ابن عباس مابين ايديكم يعنى الآخرة فاعملوا لها وماخلفكم يعنى الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل مابين أيديكم يعنى وقائع الله تعالى بمن كان قبلكم من الامم وماخلفكم يعنى الآخرة (لعلكم ترحمون) اى لتكونوا على رجاء الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى (وماتأتيهم من آية من آيات ربهم) أى دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (الا كانوا عنها معرضين) قوله عز وجل (واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم) اى مما اعطاكم (الله) نزلت فى كفار قريش وذلك ان المؤمنين قالوا لكفار مكة انفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله تعالى من أموالكم وهو ماجعلوه لله من حروثهم وانعامهم (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم) اى انرزق (من لويشاء الله اطعمه) اى رزقه قيل كان العاص بن وائل السهمى اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو أولى منى بك و يقول قدمنعه الله أفأطعمه انا ومعنى الآية انهم قالوا لو أراد الله ان يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لانعطى من حرمه الله وهذا الذى يزعمون باطل لان الله تعالى أغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لابخلا واعطى الدنيا الغنى لااستحقاقا وأمر الغنى بالانفاق لاحاجة الى ماله ولكن ليبلو الغنى بالفقير فيما فرض لهم من مال الغنى ولا اعتراض لاحد فى مشيئة الله وحكمته فى خلقه والمؤمن يوافق أمر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء (ان انتم الا فى ضلال مبين) قيل هو من قول الكفار للمؤمنين ومعناه ما أنتم الا فى خطا بين باتباعكم محمدا وترك مانحن عليه وقيل هو من قول الله للكفار لماردوا من جواب المؤمنين (و يقولون متى هذا الوعد) يعنى يوم القيامة والبعث (ان كنتم صادقين) قال الله تعالى (ماينظرون) أى ينتظرون (الاصيحة واحدة) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) أى فى امر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون فى الاسواق والمجالس وفى متصرفاتهم فتأتيهم الساعة اغفل ما كانوا عنها وقد صح فى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اخرجه البخارى وهو طرف من حديث ولمسلم من حديث عمرو بن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد الا اصغى ليتا فأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد من النتاج وقوله وهو يليط حوضه يعنى يطينه ويصلحه وكذلك يلوط حوض ابله وأصله من اللوط وقوله اصغى ليتا الليت صفحة العنق وأصغى يعنى أمال عنقه يسمع وقوله تعالى (فلا يستطيعون توصية) اى لايقدرون على الايصاء بل يعجلوا عن الوصية فماتوا (ولا الى اهلهم يرجعون) يعنى لايقدرون على الرجوع الى أهلهم لان الساعة لاتمهلهم بشئ (ونفخ فى الصور) هذه النفخة الثانية وهى نفخة البعث وبين النفختين أربعون سنة (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين النفختين اربعون قالوا ياأباهريرة اربعين يوما قال أبيت قالوا أربعين شهرا قال ابيت قالوا اربعين سنة قال ابيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ لايبلى الاعظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة (فاذاهم من الاجداث) أى القبور (الى ربهم ينسلون) اى يخرجون منها احياء (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) قال ابن عباس انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد الثانية

الارحمة مناوتمتيع بالحياة الى انقضاء الاجل فهما منصوبان على المفعول له (واذا قيل لهم اتقوا مابين ايديكم وماخلفكم) اى ماتقدم من ذنوبكم وماتأخر او ماانتم تعملون من بعد او من مثل الوقائع التى ابتليت بها الامم المكذبة بأنبيائها وماخلفكم من امر الساعة او فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة (لعلكم ترحمون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا مضمر اى أعرضوا وجاز حذفه لان قوله (وماتأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) يدل عليه ومن الاولى لتأكيد النفى والثانية للتبعيض اى ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة (واذا قيل لهم) لمشركى مكة (أنفقوا مما رزقكم الله) اى تصدقوا على الفقراء (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لويشاء الله اطعمه) عن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة فاذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لاوالله ايفقره الله ونطعمه نحن (ان أنتم الا فى ضلال مبين) قول الله لهم او حكاية قول المؤمنين لهم او هو من جملة جوابهم للمؤمنين (و يقولون متى هذا الوعد) اى وعد البعث والقيامة (ان كنتم صادقين) فيما تقولون خطاب للنبى واصحابه (ماينظرون) ينتظرون (الاصيحة واحدة) هى النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه اذا غلبه فى الخصومة وشدد الباقون الصاد أى يختصمون بادغام التاء فى الصاد لكنه مع فتح الخاء مكى بنقل حركة التاء المدغمة اليها وبسكون الخاء مدنى وبكسر الياء والخاء يحيى فاتبع الياء الخاء فى الكسر وبفتح الياء وكسر الخاء غيرهم والمعنى تأخذهم وبعضهم يخصم بعضا فى معاملاتهم (فلا يستطيعون توصية) فلا يستطيعون ان يوصوا فى شئ من أمورهم توصية (ولا الى اهلهم يرجعون) ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم بل يموتون حيث يسمعون الصيحة (ونفخ فى الصور) هى النفخة الثانية والصور القرن او جمع صورة (فاذاهم من الاجداث) أى القبور (الى ربهم ينسلون) يعدون بكسر السين وضمها (قالوا) أى الكفار (ياويلنا من بعثنا) من انشرنا طعم النوم فاذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا (من مرقدنا) أى مضجعنا وقف لازم عن حفص وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها

وعاينوا

(هذاماوعدالرحمن وصدق المرسلون) كلام الملائكة اوالمتقين اوالكافرين يتذكرون ماسمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم او بعضهم بعضاوما مصدرية ومعناه هذاوعدالرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعدوالصدق اوموصولة وتقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون أى والذى صدق فيه المرسلون (ان كانت) النفخة الاخيرة (الاصيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون) للحساب ثم ذكر مايقال لهم فى ذلك اليوم (فاليوم لاتظلم نفس شيئاولاتجزون الاما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) بضمتين كوفى وشامى و بضمة وسكون مكى ونافع وأبوعمرووالمعنى فى شغل فى أى شغل و فى شغل لايوصف وهو افتضاض الابكار على شط الانهار تحت الاشجار او ضرب الاوتار اوضيافة الجبار (فاكهون) خبر ثان فكهون يزيد والفاكه والفكه المتنعم ٩ المتلذذ ومنه الفاكهة لانها ممايتلذذ به وكذا الفكاهة (هم) مبتدأ (وازواجهم) عطف عليه

(فى ظلال) حال جمع ظل وهو الموضع الذى لاتقع عليه الشمس كذئب وذئاب او جمع ظلة كبرمة و برام دليله قراءة حمزة وعلى ظلل جمع ظلة وهى ماسترك عن الشمس (على الأرائك) جمع الاريكة وهى السرير فى الحجلة اوالفراش فيها (متكئون) خبر أوفى ظلال خبر وعلى الارائك مستأنف (لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون) يفتعلون من الدعاء أى كل مايدعوابه أهل الجنة يأتيهم او يتمنون من قولهم ادع على ماشئت أى تمنه على عن الفراء هو من الدعوى ولايدعون مالايستحقونه (سلام) بدل من مايدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم (قولا من رب رحيم) والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لايمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون و يساربهم الى الجنة وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لايرى ولايرى ابدا و يقول لهم يوم القيامة (ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين) العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ماركزه فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيمايوسوس به اليهم ويزينه لهم (وان اعبدونى) وحدونى واطيعونى (هذا) اشارة الى ماعهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن (صراط مستقيم) أى صراط

٣ نى بليغ فى استقامته ولاصراطا اقوم منه (ولقد أضل منكم جبلا) بكسر الجيم والباء والتشديد مدنى وعاصم وسهل جبلا بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب جبلا مخففا شامى وأبوعمرو وجبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم وهذه لغات فى معنى الخلق (كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل (هذه جهنم التى كنتم توعدون) بها (اصلوها اليوم بماكنتم تكفرون) ادخلوها بكفركم وانكاركم لها (اليوم نختم على أفواههم) أى نمنعهم من الكلام (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يروى انهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وارجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة انى لا اجيز على الا شاهدا من نفسى فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه و بين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل

وعاينوا أهوال القيامة دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكفر جهنم وانواع عذابها صار عذاب القبر فى جنبها كالنوم فقالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا (هذاماوعد الرحمن وصدق المرسلون) اقروا حين لاينفعهم الاقرار وقيل قالت لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون (ان كانت الاصيحة واحدة) يعنى النفخة الاخيرة (فاذاهم جميع لدينا محضرون) أى للحساب (فاليوم لاتظلم نفس شيئاولاتجزون الاما كنتم تعملون) قوله تعالى (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) قال ابن عباس فى افتضاض الابكار وقيل فى زيارة بعضهم بعضا وقيل فى ضيافة الله تعالى وقيل فى السماع وقيل شغلوا بمافى الجنة من النعيم عمافيه اهل النار من العذاب الاليم (فاكهون) قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بماهم فيه (هم وازواجهم فى ظلال) يعنى اكنان القصور (على الأرائك) يعنى السرر فى الحجال (متكئون) أى ذووا تكاء تحت تلك الظلال (لهم فيهافاكهة) أى فى الجنة (ولهم مايدعون) يعنى مايتمنون و يشتهون والمعنى ان كل مايدعون أى أهل الجنة يأتيهم (سلام قولا من رب رحيم) يعنى يسلم الله عز وجل عليهم روى البغوى باسناد الثعلبى عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة فى نعيمهم اذسطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم ينظر اليهم و ينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم مادامو اينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم وقيل تسلم الملائكة عليهم من ربهم وقيل تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الابدية (وامتازوا اليوم ايها المجرمون) اى اعتزلوا وانفردوا وتميزوا اليوم من المؤمنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل ان لكل كافر فى النار بيتا فيدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه ابد الآبدين لايرى ولايرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعض قوله عز وجل (ألم أعهد اليكم يابنى آدم) أى ألم آمركم واوصيكم يابنى آدم (ان لاتعبدوا الشيطان) يعنى لاتطيعوه فيمايوسوس ويزين لكم من معصية الله (انه لكم عدو مبين) أى ظاهر العداوة (وان اعبدونى) اى اطيعونى ووحدونى (هذاصراط مستقيم) اى لاصراط أقوم منه قوله تعالى (ولقداضل منكم جبلا كثيرا) أى خلقا كثيرا (أفلم تكونوا تعقلون) يعنى ما أتاكم من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لمادنوا من النار (هذه جهنم التى كنتم توعدون) يعنى بهافى الدنيا (اصلوها) اى ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون) قوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون) معنى الآية ان الكفار ينكرون ويجحدون كفرهم وتكذيبهم الرسل ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا ان اعضاءهم التى كانت عونا لهم على المعاصى

صارت شاهدة عليهم وذلك ان اقرار الجوارح أبلغ من اقرار اللسان فان قلت ما الحكمة في تسمية نطق
اليد كلاما ونطق الرجل شهادة قلت ان اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما
رأى وقول الفاعل اقرار على نفسه بما فعل (م) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سأل الناس رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية الشمس
في الظهيرة ليست في سحابة قالوا لا يارسول الله قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة
قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤية احدهما قال فيلقى العبد
فيقول اي فل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى
يارب فيقول افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول فاني انساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول اي فل الم
اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى يارب فيقول
افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اني انساك كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يارب
آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول هاهنا اذا قال ثم
يقال له الآن نبعث شاهدنا عليك فيتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه
ولحمه وعظامه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي
يسخط الله عليه قوله أي فل يعني يا فلان قوله وأسودك اي اجعلك سيدا قوله واذرك ترأس اي تتقدم
على القوم بان تصير رئيسهم وتربع ان تأخذ المرباع وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو
ربعها وروي ترتع بتاءين اي تتنعم وتنبسط من الرتع قوله وذلك ليعذر من نفسه اي ليقيم الحجة عليها
بشهادة اعضائه عليه (م) عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال
هل تدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يارب الم تجرني من الظلم قال
يقول بلى قال فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا
وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين
الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل قوله لا اجيز اي لا اقبل شاهدا على قوله بعدا
لكن وسحقا اي هلاكا قوله فعنكن كنت اناضل اي اجادل وأخاصم قوله تعالى (ولو نشاء لطمسنا على
أعينهم) اي اذهبنا اعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق والمعنى ولو نشاء لاعمينا أعينهم الظاهرة
كما أعمينا قلوبهم (فاستبقوا الصراط) أي فبادروا الى الطريق (فأنى يبصرون) أي كيف يبصرون
وقد اعمينا أعينهم والمعنى ولو نشاء لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق
حينئذ وقال ابن عباس يعني لو نشاء لفقأنا اعين ضلالتهم فأعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من
الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم فاني يبصرون ولم نفعل ذلك بهم (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم)
يعني ولو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل لجعلناهم حجارة لا ارواح فيها (فما استطاعوا
مضيا) أي لا يقدرون ان يبرحوا (ولا يرجعون) اي الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب
ولا الرجوع (ومن نعمره ننكسه في الخلق) اي نرده الى ارذل العمر شبه الصبي في أول الخلق وقيل نضعف
جوارحه بعد قوتها وننقصها بعد زيادتها وذلك ان الله تعالى خلق الانسان في ضعف من جسده وخلو
من عقل وعلم في حال صغره ثم جعله يتزايد وينتقل من حال الى حال الى ان بلغ أشده واستكمل قوته وعقله
وعلم ماله وما عليه فاذا انتهى الى الغاية واستكمل النهاية رجع ينقص حتى يرد الى ضعفه الاول فذلك
ننكسه في الخلق (أفلا يعقلون) أي فيعتبرون ويعلمون ان الذي قدر على تصريف أحوال الانسان
قادر على البعث بعد الموت قوله عز وجل (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) قيل ان كفار قريش قالوا
ان محمدا شاعر وما يقوله شعر فأنزل الله تعالى تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له أي ما يسهل له
ذلك وما يصلح منه بحيث لو أراد نظم شعر لم يتأت له ذلك كما جعلناه أميا لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة
اثبت والشبهة أدحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وان تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا

كما

(ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) لاعميناهم واذهبنا
ابصارهم والطمس تعفية شق العين حتى تعود
ممسوحة (فاستبقوا الصراط) على حذف الجار
وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط (فأنى
يبصرون) فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا
أعينهم (ولو نشاء لمسخناهم) قردة وخنازير
اوحجارة (على مكاناتهم) على مكاناتهم أبو بكر
وحماد والمكانة والمكان واحد كالمقامة
والمقام أي لمسخناهم في منازلهم حيث يجترحون
المآثم (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون)
فلم يقدروا على ذهاب ولا مجيء او مضيا امامهم
ولا يرجعون خلفهم (ومن نعمره ننكسه)
عاصم وحمزة والتنكيس جعل الشيء اعلاه اسفله
الباقون ننكسه (في الخلق) أي نقلبه فيه
يعني من اطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل
القوة ضعفا وبدل الشباب هرما وذلك انا خلقناه
على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم
جعلناه يتزايد الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته
ويعقل ويعلم ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه
في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع الى حال
شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله
وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه
اسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى ارذل العمر
لكيلا يعلم من بعد علم شيئا (افلا يعقلون)
ان من قدر على ان ينقلهم من الشباب الى الهرم
ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى
الخرف وقلة التمييز قادر على ان يطمس على
أعينهم ويمسخهم على مكاناتهم ويبعثهم بعد
الموت وبالتاء مدني ويعقوب وسهل وكانوا
يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر
فنزل (وما علمناه الشعر) اي وما علمنا النبي
عليه السلام قول الشعراء او وما علمناه بتعليم
القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر
فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين
الوزن وأين التقفية فلا مناسبة بينه وبين الشعر
اذا حققته (وما ينبغي له) وما يصح له ولا يليق
بحاله ولا يتطلب لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد
قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه
أميا لا يهتدي الى الخط لتكون الحجة اثبت
والشبهة أدحض واما قوله

كما روى عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت * كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا * فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يا نبي الله انما قال الشاعر * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * اشهد انك رسول الله وما علمناه الشعر وما ينبغى له هذا حديث مرسل وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وقد قيل لها هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول * ويأتيك بالاخبار من لم تزود * أخرجه الترمذى وفى رواية لغيره ان عائشة رضى الله عنها سئلت هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان الشعر أبغض الحديث اليه ولم يتمثل الا ببيت أخى بنى قيس طرفة

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال أبو بكر رضى الله عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال انى لست بشاعر ولا ينبغى لى فان قلت قد صح من حديث جندب بن عبد الله قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اصابه حجر فدميت أصبعه فقال

هل أنت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت

أخرجاه فى الصحيحين ولهما من حديث أنس رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال

لهم ان العيش عيش الآخره * فأكرم الانصار والمهاجره

وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال

أنا النبي لا كذب * انا ابن عبد المطلب

قلت ما هذا الا من كلامه الذى يرمى به من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق كذلك من غير قصد اليه وان جاء موزونا كما يتفق فى كثير من انشاآت الناس فى خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلام موزون يدخل فى وزن البحور ومع ذلك فان الخليل لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال تعالى (ان هو الا ذكر) يعنى ما هو الا ذكر من الله تعالى يعظ به الانس والجن ليس بشعر لانه ليس على اساليب الشعر ولا يدخل فى بحوره (وقرآن مبين) أى انه كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه بيان الحدود والاحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين وأقاويل الشعراء الكاذبين (لتنذر) اى يا محمد وقرئ بالياء اى القرآن (من كان حيا) يعنى مؤمنا حى القلب لان الكافر كالميت الذى لا يتدبر ولا يتفكر (ويحق القول) أى وتجب حجة العذاب (على الكافرين) قوله عز وجل (أولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا) اى تولينا خلقه بابداعنا له من غير اعانة أحد فى انشائه كقول القائل عملت هذا بيدى اذا تفرد به ولم يشاركه فيه أحد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة التى لا يقدر عليها الا هو (أنعاما) انما خص الانعام بالذكر وان كانت الاشياء كلها من خلق الله وايجاده لان النعم أكثر أموال العرب والنفع بها أعم (فهم لها مالكون) أى خلقناها لاجلهم فملكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم

أصبحت لا احمل السلاح ولا * املك رأس البعير ان نفرا

أى لا اضبط رأس البعير والمعنى لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بنى آدم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى (وذللناها لهم فمنها ركوبهم) اى الابل (ومنها يأكلون) أى الغنم (ولهم فيها منافع) أى من اصوافها واوبارها واشعارها وجلودها ونسلها (ومشارب) أى من البانها (أفلا يشكرون) أى رب هذه النعم (واتخذوا من دون الله آلهة) يعنى الاصنام (لعلهم ينصرون) أى لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط (لا يستطيعون نصرهم) قال ابن عباس لا تقدر الاصنام

انا النبي لا كذب * انا ابن عبد المطلب

وقوله

هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت

فما هو الا من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه ان جاء موزونا كما يتفق فى خطب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة ولا يسميها أحد شعرا لان صاحبه لم يقصد الوزن ولا بد منه على انه عليه السلام قال لقيت بالسكون وفتح الباء فى كذب وخفض الباء فى المطلب ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر (قال (ان هو) أى المعلم (الا ذكر وقرآن مبين) أى ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن وما هو الا قرآن كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول لتنذر مدنى وشامى وسهل ويعقوب (من كان حيا) عاقلا متأملا لان الغافل كالميت أو حيا بالقلب (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لا يتأملون وهم فى حكم الاموات (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا انعاما) أى مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا (فهم لها مالكون) أى خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها أو فهم لها ضابطون قاهرون (وذللناها لهم) وصيرناها منقادة لهم والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله تعالى وتسخيره لها ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (فمنها ركوبهم) وهو ما يركب (ومنها يأكلون) أى سخرناها لهم ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها (ولهم فيها منافع) من الجلود والاوبار وغير ذلك (ومشارب) من اللبن وهو جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشراب (أفلا يشكرون) الله على انعام الانعام (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) أى لعل أصنامهم تنصرهم اذا حزبهم أمر (لا يستطيعون) أى آلهتهم (نصرهم) نصر عابديهم

(وهم لهم) أى الكفار للاصنام (جند) أعوان وشيعة (محضرون) يخدمونهم ويذبون عنهم أو اتخذوهم لينصروهم عند الله و يشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدّون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار (فلا يحزنك قولهم) وبضم الياء وكسر الزاى نافع من حزنه وأحزنه يعنى فلا يهمك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم (انا نعلم ما يسرون) من عداوتهم (وما يعلنون) وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد و يستحضر فى نفسه صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن ومن زعم ان من قرأ أنا نعلم بالفتح فسدت صلاته وان اعتقد معناه كفر فقد اخطأ لانه يمكن حمله على حذف لام التعليل وهو كثير فى القرآن والشعر وفى كل كلام وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعى رحمة الله عليهما وكلاهما تعليل فان قلت ان كان المفتوح بدلا من قولهم كأنه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ففساده ظاهر قلت هذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسران وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر معنى البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا ١٢ أو فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على علمه تعالى بسرهم وعلانيتهم والنهى عن حزنه ليس اثباتا لحزنه بذلك كما فى قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر ونزل فى ابى ابن خلف حين اخذ عظما باليا وجعل يفته بيده و يقول يا محمد اترى الله يحيى هذا بعد ما رم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم و يبعثك و يدخلك جهنم (اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة) مذرة خارجة من الاحليل الذى هو قناة النجاسة (فاذا هو خصيم مبين) بين الخصومة اى فهو على مهانة اصله ودناءة اوله يتصدى لمخاصمة ربه و ينكر قدرته على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه فى الزم وصف له والصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهو غاية المكابرة (وضرب لنا مثلا) بفته العظم (ونسى خلقه) من المنى فهو اغرب من احياء العظم المصدر مضاف الى المفعول اى خلقنا اياه (قال من يحيى العظام وهى رميم) هو اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلهذا لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ومن يثبت الحياة فى العظام و يقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها يتشبث بهذه الآية وهى عندنا طاهرة من وكذا الشعر والعصب لان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت والمراد باحياء العظام فى الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس (قل يحييها الذى انشأها) خلقها (أول مرة) أى ابتداء (وهو بكل خلق) مخلوق (عليم) لا تخفى عليه اجزاؤه وان تفرقت فى البر والبحر فيجمعه و يعيده كما كان (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) تقدحون ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهى الزناد التى تورى به الاعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفى أمثالهم فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار لان المرخ شجر سريع الورى والعفار شجر تقدح منه النار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى انثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب لمصلحة الدق للثياب فمن قدر على جمع الماء والنار فى الشجر قدر على المعاقبة بين الموت والحياة فى البشر واجراء احد الضدين على الآخر بالتعقيب اسهل فى العقل من الجمع معا بلا ترتيب والاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ثم بين ان من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسى اقدر بقوله

على نصرهم ومنعهم من العذاب (وهم لهم جند محضرون) أى الكفار جند الاصنام يغضبون لها ويحضرونها فى الدنيا وهى لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا فى الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه اتباعه الذين عبدوه فى الدنيا كأنهم جند محضرون فى النار (فلا يحزنك قولهم) يعنى قول كفار مكة فى تكذيبك يا محمد (انا نعلم ما يسرون) أى فى ضمائرهم من التكذيب (وما يعلنون) أى من عبادة الاصنام وقيل ما يعلنون بألسنتهم من الاذى قوله تعالى (أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة) أى من نطفة قذرة خسيسة (فاذا هو خصيم مبين) أى جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة أصله كيف يتصدى لمخاصمة الجبار و يبرز لمجادلته فى انكاره البعث وكيف لا يتفكر فى بدء خلقه وانه من نطفة قذرة ويدع الخصومة نزلت فى أبى بن خلف الجمحى خاصم النبى صلى الله عليه وسلم فى انكار البعث واتاه بعظم قد رم و بلى ففته بيده وقال اترى يحيى الله هذا بعد ما رم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم و يبعثك ويدخلك النار فأنزل الله تعالى هذه الآيات (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه) أى بدء امره (قال من يحيى العظام وهى رميم) أى بالية والمعنى وضرب لنا مثلا فى انكار البعث بالعظم البالى حين فته بيده وتعجب ممن يقول ان الله تعالى يحييه ونسى أول خلقه وانه مخلوق من نطفة (قل يحييها الذى انشأها أول مرة) أى خلقها اول مرة وابتدا خلقها (وهو بكل خلق) اى من الابتداء والاعادة (عليم) أى يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شئ من خلق المبدئ والمعاد (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) قال ابن عباس رضى الله عنهما هما شجرتان يقال لاحداهما المرخ بالراء والخاء المعجمة والاخرى العفار بالعين المهملة فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى تقول العرب فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اى استكثر منها وذلك ان هاتين الشجرتين من اكثر الشجر نارا وقال الحكماء فى كل شجر نار الا العناب (فاذا أنتم منه توقدون) أى تقدحون فتوقدون النار

(اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم) فى الصغر بالاضافة الى السموات والارض اوان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدا وليس به (بلى) أى قل بلى هو قادر على ذلك (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات (انما أمره) شأنه (اذا أراد شيئا أن يقول له كن) ان يكونه (فيكون) فيحدث أى فهو كائن موجود لامحالة فالحاصل ان المكونات بتخليقه وتكوينه ولكن عبر عن ايجاده بقوله كن من غير ان كان منه كاف ونون وانما هو بيان لسرعة الايجاد كانه يقول كما لا يثقل قول كن عليكم فكذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق واعادتهم فيكون شامى وعلى عطف على يقول واما الرفع فلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهى أمره ان يقول له كن فيكون (فسبحان) تنزيه مما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ماقالوا ١٣ (الذى بيده ملكوت كل شئ) أى ملك كل شئ وزيادة الواو والتاء للمبالغة يعنى هو مالك كل شئ

(واليه ترجعون) تعادون بعد الموت بلافوت ترجعون يعقوب قال عليه الصلاة والسلام ان لكل شئ قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الاجر كانما قرأ القرآن اثنين وعشرين مرة وقال عليه السلام من قرأ يس أمام حاجته قضيت له وقال عليه السلام من قرأها ان كان جائعا اشبعه الله وان كان ظمآن ارواه الله وان كان عريانا ألبسه الله وان كان خائفا أمنه الله وان كان مستوحشا آنسه الله وان كان فقيرا أغناه الله وان كان فى السجن أخرجه الله وان كان أسيرا خلصه الله وان كان ضالا هداه الله وان كان مديونا قضى الله دينه من خزائنه وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة والله أعلم

(سورة والصافات مكية وهى مائة واحدى او اثنتان وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) اقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها فى الصلاة فالزاجرات السحاب سوقا وعن المعاصى بالالهام فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد او بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها فى التهجد وسائر الصلوات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه او بنفوس الغزاة فى سبيل الله التى تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع

٤ ع ذلك وصفا مصدر مؤكد وكذلك زجرا والفاء تدل على ترتيب الصفات فى التفاضل فتفيد الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او على العكس وجواب القسم (ان الهكم لواحد) قيل هو جواب قولهم اجعل الآلهة الها واحدا (رب السموات والارض) خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف اى هو رب (ومابينهما ورب المشارق) اى مطالع الشمس وهى ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم فى مشرق منها وتغرب فى مغرب ولا تطلع ولا تغرب فى واحد يومين واما رب المشرقين ورب المغربين فانه أراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما واما رب المشرق والمغرب فانه أراد به الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة (انا زينا السماء الدنيا) القربى منكم تأنيث الادنى

من ذلك الشجر ثم ذكر ماهو أعظم من خلق الانسان فقال تعالى (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى) اى هو القادر على ذلك (وهو الخلاق) يعنى يخلق خلقا بعد خلق (العليم) اى بجميع ماخلق (انما أمره اذا أراد شيئا) اى احداث شئ وتكوينه (أن يقول له كن) أن يكونه من غير توقف (فيكون) اى فيحدث ويوجد لامحالة (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) اى هو مالك كل شئ والمتصرف فيه (واليه ترجعون) اى تردون بعد الموت والله أعلم

(تفسير سورة والصافات)

وهى مكية وهى مائة واثنتان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والصافات صفا) قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق فى الدنيا للصلاة عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون فى الصف لفظ أبى داود وقيل هم الملائكة تصف اجنحتها فى الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل اراد بالصافات الطير تصف اجنحتها فى الهواء (فالزاجرات زجرا) يعنى الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هى زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح (فالتاليات ذكرا) يعنى الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قراء القرآن وهذا كله قسم اقسم الله عز وجل بهذه الاشياء وقيل فيه اضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى (ان الهكم لواحد) وذلك ان كفار مكة قالوا اجعل الالهة الها واحدا فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء ان الهكم لواحد وانما اقسم بهذه الاشياء للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام فى قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى (رب السموات والارض ومابينهما) يعنى انه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك وقوله (ورب المشارق) قيل أراد والمغارب فاكتفى بأحدهما قال السدى المشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فان الشمس تطلع كل يوم فى مشرق وتغرب فى مغرب فان قلت قد قال فى موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الآيات قلت اراد بالمشرق والمغرب الجهة التى تطلع فيها الشمس وتغرب واراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبالمغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء وبالمشارق والمغارب ما تقدم من قول السدى وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل اراد مشارق الكواكب قوله تعالى (انا زينا السماء الدنيا) يعنى التى تلى الارض وهى

(بزينة الكواكب) حفص وحمزة على البدل من الزينة والمعنى انا زينا السماء الدنيا بالكواكب بزينة الكواكب ابو بكر على البدل من محل بزينة اوعلى اضمار أعني أوعلى اعمال المصدر منونا في المفعول بزينة الكواكب غيرهم باضافة المصدر الى الفاعل أي بأن زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب اوعلى اضافته الى المفعول أي بأن زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها في أنفسها وأصله بزينة الكواكب لقراءة أبي بكر (وحفظا) محمول على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين اوالفعل المعلل مقدر كأنه قيل ١٤ وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب أومعناه حفظناها حفظا (من كل شيطان مارد) خارج

من الطاعة والضمير في (لا يسمعون) لكل شيطان لانه في معنى الشياطين يسمعون كوفي غير أبي بكر وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع اوفلم يسمع و ينبغي ان يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملائكة او يتسمعوا وقيل أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما في قوله * الا ايهذا الزاجري احضر الوغى * وفيه تعسف يجب صون القرآن عن مثله فان كل واحد من الحرفين غير مردود على انفراده ولكن اجتماعهما منكر والفرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه ان المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك (الى الملا الاعلى) أي الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملأ الأسفل لانهم سكان الارض (ويقذفون) يرمون بالشهب (من كل جانب) من جميع جوانب السماء من أي جهة صعدوا للاستراق (دحورا) مفعول له أي ويقذفون للدحور وهو الطرد اومدحورين على الحال اولان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكأنه قيل يدحرون اوقذفا (ولهم عذاب واصب) دائم من الوصوب أي انهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع ومن في (الا من) في محل الرفع

بدل من الواو في لا يسمعون أي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي (خطف الخطفة) أي سلب السلبة يعني أخذ شيئا من كلامهم عليه بسرعة (فأتبعه) لحقه (شهاب) أي نجم رجم (ثاقب) مضيء (فاستفتهم) فاستخبر كفار مكة (أهم أشد خلقا) اى اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة اواصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون (أم من خلقنا) يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض ومابينهما وجيء بمن تغليبا للعقلاء على غيرهم ويدل عليه قراءة من قرأ أم من عددنا بالتشديد والتخفيف (انا خلقناهم من طين لازب) لاصق اولازم وقرئ به وهذا شهادة عليهم بالضعف لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة واحتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث (بل عجبت) من تكذيبهم اياك

أدنى السموات الى الارض (بزينة الكواكب) قال ابن عباس بضوء الكواكب لان الضوء والنور من أحسن الصفات وأكملها ولولم تحصل هذه الكواكب في السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها اشكالها المتناسبة والمختلفة في الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل ان الانسان اذا نظر في الليلة المظلمة الى السماء ورأى هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلألئة على سطح ازرق نظر غاية الزينة (وحفظا من كل شيطان مارد) أي وحفظنا السماء من كل شيطان متمرد عات يرمون بالشهب (لا يسمعون الى الملا الاعلى) يعني الى الملائكة والكتبة لانهم سكان السماء وذلك ان الشياطين يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به اولياءهم الانس ويوهمون بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وهو قوله تعالى (ويقذفون) اي يرمون بها (من كل جانب) اي من آفاق السماء (دحورا) اي يبعدونهم عن مجالس الملائكة (ولهم عذاب واصب) أي دائم (الا من خطف الخطفة) اى اختلس الكلمة من كلام الملائكة (فأتبعه) اى لحقه (شهاب ثاقب) اى كوكب مضيء قوي لا يخطئه بل يقتله ويحرقه اويخبله وقيل سمي النجم الذي ترمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم فان قلت كيف يمكن ان تذهب الشياطين الى حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم ثم يعودون الى مثل ذلك * قلت انما يعودون الى استراق السمع مع علمهم انهم لا يصلون اليه طمعا في السلامة ورجاء نيل المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة وقوله عز وجل (فاستفتهم) يعني سل اهل مكة (أهم أشد خلقا أم من خلقنا) يعني من السموات والارض والجبال وهو استفهام تقرير أي هذه الاشياء أشد خلقا وقيل ام من خلقنا يعني من الامم الخالية والمعنى ان هؤلاء ليسوا بأحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما الذي يؤمن هؤلاء من العذاب ثم ذكر مما خلقوا فقال تعالى (انا خلقناهم من طين لازب) يعني آدم من طين جيد حر لاصق لزج يعلق باليد وقيل من طين نتن (بل عجبت) قرئ بالضم على اسناد التعجب الى الله تعالى وليس هو كالتعجب من الآدميين لان العجب من الناس محمول على انكار الشيء وتعظيمه والعجب من الله تعالى محمول على تعظيم حالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وان كانت حسنة فيترتب عليها الثواب وقيل قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضى كما في الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفي حديث آخر عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وقوله من الكم الال أشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكاء وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن هذه الآية فقال ان الله لا يعجب من شيء ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم أي هو كما تقوله وقرئ بفتح التاء على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اى عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبي الله صلى الله

(ويسخرون) هم منك ومن تعجبك اوعجبت من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث بل عجبت حمزة وعلى أى استعظمت والعجب روعة تعتري الانسان عند استعظام الشئ فجرد لمعنى الاستعظام فى حقه تعالى لانه لايجوز عليه الروعة اومعناه قل يا محمد بل عجبت (واذا ذكروا لا يذكرون) ودأبهم انهم اذا وعظوا بشئ لايتعظون به (واذا رأوا آية) معجزة كانشقاق القمر ونحوه (يستسخرون) يستدعى بعضهم بعضا ان يسخر منها او يبالغون فى السخرية (وقالوا ان هذا) ماهذا (الا سحر مبين) ظاهر (أئذا) استفهام انكار (متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) أى انبعث اذا كنا ترابا وعظاما (أوآباؤنا) معطوف على محل ان واسمها أوعلى الضمير فى مبعوثون والمعنى ايبعث أيضا آباؤنا ١٥ على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فهم ابعد وأبطل اوآباؤنا بسكون الواو مدنى وشامى أى ايبعث واحد منا على المبالغة فى الانكار (الأولون) الاقدمون (قل نعم) تبعثون نعم على وهما لغتان (وأنتم داخرون) صاغرون (فانما هى) جواب شرط مقدر تقديره اذا كان كذلك فما هى الا (زجرة واحدة) وهى لاترجع الى شئ انما هى مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهى النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعى الابل اوالغنم اذا صاح عليها (فاذا هم) احياء بصراء (ينظرون) الى سوء أعمالهم او ينتظرون ما يحل بهم (وقالوا ياويلنا) الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة (هذا يوم الدين) أى اليوم الذى ندان فيه أى نجازى بأعمالنا (هذا يوم الفصل) يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال (الذى كنتم به تكذبون) ثم يحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وان يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون ياويلنا هذا يوم الدين من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم (احشروا) خطاب الله للملائكة (الذين ظلموا) كفروا (وأزواجهم) أى واشباههم وقرناءهم من الشياطين أونساءهم الكافرات والواو بمعنى مع وقيل للعطف وقرئ بالرفع عطفا على الضمير فى ظلموا (وما كانوا يعبدون من دون الله) أى الاصنام (فاهدوهم) دلوهم عن الاصمعى هديته فى الدين هدى و فى الطريق هداية (الى صراط الجحيم) طريق النار (وقفوهم) احبسوهم (انهم مسؤلون) عن أقوالهم وافعالهم (مالكم لاتناصرون) أى لا ينصر بعضكم بعضا وهذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا متناصرين فى الدنيا وقيل هو جواب لأبى جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر وهو فى موضع النصب على الحال أى مالكم غير متناصرين (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون اوقد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر (وأقبل بعضهم على بعض) أى التابع على المتبوع (يتساءلون) يتخاصمون (قالوا) أى الاتباع للمتبوعين (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) عن القوة والقهر اذ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش أى انكم تحملوننا على الضلال وتقسروننا عليه (قالوا) أى الرؤساء (بل لم تكونوا مؤمنين) أى بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين (وما كان لنا عليكم من سلطان) تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم (بل كنتم قوما طاغين) بل كنتم قوما مختارين الطغيان (فحق علينا) فلزمنا جميعا (قول ربنا انا

عليه وسلم من هذا القرآن حين انزل وضلال بنى آدم وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن وسخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت (ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون) أى واذا وعظوا لايتعظون (واذا رأوا آية) قال ابن عباس يعنى انشقاق القمر (يستسخرون) اى يستهزؤن وقيل يستدعى بعضهم بعضا الى ان يسخر (وقالوا ان هذا الا سحر مبين) اى بين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولون قل نعم وأنتم داخرون) اى صاغرون (فانما هى زجرة واحدة) اى صيحة واحدة وهى نفخة البعث (فاذا هم ينظرون) يعنى احياء (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) يعنى يوم الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) اى القضاء وقيل بين المحسن والمسئ (الذى كنتم به تكذبون) اى فى الدنيا (احشروا) اى اجمعوا (الذين ظلموا) اى اشركوا وقيل هو عام فى كل ظالم (وأزواجهم) اى اشباههم وامثالهم فكل طائفة مع مثلها فأهل الخمر مع أهل الخمر واهل الزنا مع أهل الزنا وقيل ازواجهم اى قرناءهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه فى سلسلة وقيل ازواجهم المشركات (وما كانوا يعبدون من دون الله) اى فى الدنيا يعنى الاصنام والطواغيت وقيل ابليس وجنوده (فاهدوهم الى صراط الجحيم) قال ابن عباس اى دلوهم الى طريق النار (وقفوهم) اى احبسوهم (انهم مسؤلون) لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع أقوالهم وافعالهم و يروى عنه عن لا اله الا الله و روى عن أبى برزة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيما ابلاه وفى رواية عن شبابه فيما ابلاه أخرجه الترمذى وله عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن داع دعا الى شئ الا كان موقوفا يوم القيامة لازما به لايفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤلون (مالكم لاتناصرون) اى تقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم مالكم لا ينصر بعضكم بعضا وهذا جواب لابى جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى (بل هم اليوم مستسلمون) قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة لهم (وأقبل بعضهم على بعض) يعنى الرؤساء والاتباع (يتساءلون) اى يتخاصمون (قالوا) يعنى الرؤساء للاتباع (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) اى من قبل الدين فتضلوننا وتروننا ان الدين ما تضلوننا به وقيل كان الرؤساء يحلفون لهم ان الدين الذى يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم حلفتم لنا فوثقنا بايمانكم وقيل عن اليمين أى عن العزة والقدرة والقول الاول اصح (قالوا) يعنى الرؤساء للاتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) أى لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر (وما كان لنا عليكم من سلطان) أى من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) اى ضالين (فحق علينا) أى وجب علينا جميعا (قول ربنا) يعنى كلمة العذاب وهى قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (انا

لذائقون) يعنى وعيد الله بأنا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قوله * لقد زعمت هوازن قل مالى * ولو حكى قولها لقال قل مالك (فأغوينا كم) فدعونا كم الى الغى (انا كنا غاوين) فأردنا اغواء كم لتكونوا امثالنا (فانهم) فان الاتباع والمتبوعين جميعا (يومئذ) يوم القيامة (فى العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين فى الغواية (انا كذلك نفعل بالمجرمين) أى بالمشركين انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وابوا الا الشرك (ويقولون أئنا) بهمزتين ١٦ شامى وكوفى (لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا عليه السلام (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصدقا لما بين يديه (انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) بلا زيادة (الا عباد الله المخلصين) بفتح اللام كوفى ومدنى وكذا ما بعده أى لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع (أولئك لهم رزق معلوم فواكه) فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهى كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعنى ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان أجسادهم محكمة مخلوقة للأبد فما يأكلونه للتلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والنفس اليه اسكن (وهم مكرمون) منعمون (فى جنات النعيم) يجوز ان يكون ظرفا وان يكون حالا وان يكون خبرا بعد خبر وكذا (على سرر متقابلين) التقابل اتم للسرور وآنس (يطاف عليهم بكأس) بغير همز ابو عمرو وحمزة فى الوقف وغيرهما بالهمزة يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسا وعن الاخفش كل كأس فى القرآن فهى الخمر وكذا فى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما (من معين) من شراب معين او من نهر معين وهو الجارى على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما وصف به الماء لانه يجرى فى الجنة فى انهار كما يجرى الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر (بيضاء) صفة للكأس (لذة) وصفت باللذة كأنها نفس اللذة وعينها او ذات لذة (للشاربين لا فيها غول) أى لا تغتال عقولهم كخمور الدنيا وهو من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده (ولا هم عنها ينزفون) يسكرون من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ينزفون على وحمزة أى لا يسكرون أو لا ينزف شرابهم من انزف الشارب اذا ذهب عقله او شرابه (وعندهم قاصرات الطرف) قصرت أبصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم (عين) جمع عيناء أى نجلاء واسعة العين (كأنهن بيض مكنون) مصون شبههن ببيض النعام المكنون فى الصفاء وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور وعطف (فأقبل بعضهم) يعنى أهل الجنة (على بعض يتساءلون) على يطاف عليهم والمعنى يشربون ويتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال * وما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام * فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم فى الدنيا الا انه جىء به ماضيا على ما عرف فى اخباره

لذائقون) يعنى ان الضال والمضل جميعا فى النار (فأغويناكم) يعنى فأضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه (انا كنا غاوين) أى ضالين قال الله تعالى (فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون) يعنى الرؤساء والاتباع (انا كذلك نفعل بالمجرمين) قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم بين تعالى انهم انما وقعوا فى ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) أى يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ردا عليهم (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) يعنى بانه انما أتى بما أتى به المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفى الشرك (انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) أى فى الدنيا من الشرك والتكذيب (الا) أى لكن وهو استثناء منقطع (عباد الله المخلصين) أى الموحدين (أولئك لهم رزق معلوم) يعنى بكرة وعشيا وقيل حين يشتهونه يؤتون به وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى (فواكه) جمع فاكهة وهى الثمار كلها رطبها ويابسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان ارزاق أهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان اجسادهم خلقت للابد فكل ما يأكلونه على سبيل التلذذ ثم ان ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم كما قال تعالى (وهم مكرمون) اى بثواب الله تعالى ثم وصف مساكنهم فقال تعالى (فى جنات النعيم على سرر متقابلين) يعنى لا يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال تعالى (يطاف عليهم بكأس من معين) كل اناء فيه شراب يسمى كأسا واذا لم يكن فيه شراب فهو اناء وقد تسمى الخمر نفسها كأسا قال الشاعر

* وكأس شربت على لذة *

ومعنى معين اى من خمر جارية فى الانهار ظاهرة تراها العيون (بيضاء) يعنى ان خمر الجنة أشد بياضا من اللبن (لذة) اى لذيذة (للشاربين لا فيها غول) أى لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لا اثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق فى خفاء وخمر الدنيا يحصل منها انواع من الفساد ومنها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقىء والخمار والعربدة وغير ذلك ولا يوجد شئ من ذلك فى خمر الجنة (ولا هم عنها ينزفون) أى لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لا ينفد شرابهم ثم وصف أزواجهم فقال تعالى (وعندهم قاصرات الطرف) أى حابسات الاعين غاضات العيون قصرن اعينهن على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم (عين) أى حسان الاعين عظامها (كأنهن بيض مكنون) اى مصون مستور شبههن ببيض النعام لانها تكنها بالريش من الريح والغبار فيكون لونها ابيض فى صفرة ويقال هذا من احسن الوان النساء وهو ان تكون المرأة بيضاء مشوبة بصفرة والعرب تشبه المرأة ببيض النعامة وتسميهن بيضات الخدور وقوله عز وجل (فأقبل بعضهم على بعض) يعنى أهل الجنة فى الجنة (يتساءلون) أى يسأل بعضهم بعضا

(قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك) بهمزتين شامى وكوفى (لمن المصدقين) بيوم الدين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) لمجزيون من الدين وهو الجزاء (قال) ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) الى النار لاريكم ذلك القرين قيل ان فى الجنة كوى ينظر أهلها منها الى أهل النار وقال الله تعالى لاهل الجنة هل أنتم مطلعون الى النار فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار (فاطلع) المسلم (فرآه) أى قرينه (فى سواء الجحيم) فى وسطها (قال تالله ان كدت لتردين) ان مخففة من الثقيلة وهى تدخل على كاد كما تدخل على كان واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والارداء الاهلاك وبالياء فى الحالين يعقوب (ولولا نعمة ربى) وهى العصمة والتوفيق فى الاستمساك بعروة الاسلام (لكنت من المحضرين) من الذين احضروا العذاب كما احضرته أنت وامثالك (أفما نحن بميتين الاموتتنا الاولى وما نحن بمعذبين) الفاء للعطف على محذوف تقديره انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين والمعنى ان هذه حال المؤمنين وهو ان لايذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لحكيم ما شر من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت وهذا قول يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله بسمع من قرينه ليكون توبيخا له وزيادة تعذيب موتتنا نصب على المصدر والاستثناء متصل تقديره ولانموت الامرة ومنقطع وتقديره لكن الموتة الاولى قد كانت فى الدنيا ثم قال قرينه تقريعا له (ان هذا) أى الامر الذى نحن فيه (هو الفوز العظيم) ثم قال الله عز وجل (لمثل هذا فليعمل العاملون) وقيل هو أيضا من كلامه (أذلك خير نزلا) تمييز (أم شجرة الزقوم) أى نعيم الجنة وما فيها من اللذات والطعام والشراب خير نزلا أم شجرة الزقوم خير نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق والزقوم شجر مر يكون بتهامة (انا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم فى الآخرة وابتلاء لهم فى الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا (انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) قيل منبتها فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها كأنه رؤس الشياطين) الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها وشبه برؤس الشياطين للدلالة على

٥ ع تناهيه فى الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح فى طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا (فانهم لآكلون منها) من الشجرة أى من طلعها (فمالئون منها البطون) فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد (ثم ان لهم عليها) على أكلها (لشوبا) لخلطا ولمزاجا (من حميم) ماء حار يشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال فى صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم والمعنى ثم انهم يملؤن البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملى تعذيبا لهم بذلك العطش ثم يسقون ماء هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم

بعضا عن حاله فى الدنيا (قال قائل منهم) اى من أهل الجنة (انى كان لى قرين) اى فى الدنيا ينكر البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من الانس قيل كانا اخوين وقيل كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله عز وجل خبرهما فى سورة الكهف فى قوله واضرب لهم مثلا رجلين (يقول أئنك لمن المصدقين) اى بالبعث (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) اى مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام انكارى (قال) الله تعالى لاهل الجنة (هل انتم مطلعون) اى الى النار وقيل يقول المؤمن لاخوانه من أهل الجنة هل انتم مطلعون اى لننظر كيف منزلة اخى فى النار فيقول أهل الجنة أنت اعرف به منا (فاطلع) اى المؤمن قال ابن عباس ان فى الجنة كوى ينظر منها اهلها الى النار (فرآه فى سواء الجحيم) اى فرأى قرينه فى وسط النار سمى وسط الشئ سواء لاستواء الجوانب منه (قال تالله ان كدت لتردين) أى والله لقد كدت ان تهلكنى وقيل تغوينى ومن اغوى انسانا فقد أرداه واهلكه (ولولا نعمة ربى) اى رحمة ربى وانعامه على بالاسلام (لكنت من المحضرين) أى معك فى النار (أفما نحن بميتين الاموتتنا الاولى) أى فى الدنيا (وما نحن بمعذبين) قيل يقول هذا اهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فتقول الملائكة لهم لا فيقولون (ان هذا لهو الفوز العظيم) وانما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم فى انهم لايموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام لانهم قد علموا انهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن اعادوا الكلام ليزدادوا سرورا بتكراره وقيل يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى (لمثل هذا) أى المنزل والنعيم الذى ذكره فى قوله أولئك لهم رزق معلوم (فليعمل العاملون) ترغيب فى ثواب الله تعالى وما عنده بطاعته قوله تعالى (أذلك) اى الذى ذكره لاهل الجنة من النعيم (خير نزلا) اى رزقا (أم شجرة الزقوم) التى هى نزل أهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره أهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على أشد كراهة وقيل هى شجرة تكون بأرض تهامة من أخبث الشجر (انا جعلناها فتنة للظالمين) أى للكافرين وذلك انهم قالوا كيف تكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر قيل هو بلغة أهل اليمن فأدخلهم ابو جهل بيته وقال ياجارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال ابو جهل تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى (انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) أى فى قعر النار واغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها) اى ثمرها سمى طلعا لطلوعه (كأنه رؤس الشياطين) قال ابن عباس هم الشياطين بأعيانهم شبهها بهم لقبحهم عند الناس فان قلت قد شبهها بشئ لم يشاهد فكيف وجه التشبيه قلت انه قد استقر فى النفوس قبح الشياطين وان لم يشاهدوا فكأنه قيل ان أقبح الاشياء فى الوهم والخيال رؤس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها فى قبح المنظر والعرب اذا رأت منظرا قبيحا قالت كأنه رأس شيطان قال امرؤ القيس

اتقتلنى والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زرق كأنياب اغوال

شبه سنان الرمح بأنياب الغول ولم يرها وقيل ان بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤس الشياطين فشبهها بها وقيل أراد بالشياطين الحيات والعرب تسمى الحية لقبح المنظر شيطانا (فانهم لآكلون منها) أى من ثمرها (فمالئون منها البطون) وذلك انهم يكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم (ثم ان لهم عليها لشوبا) اى خلطا ومزاجا (من حميم) أى من ماء شديد الحرارة يقال انهم اذا أكلوا

(ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) أي انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى ان يتملؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك ظاهر (انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد بتقليد الآباء في الدين واتباعهم اياهم في الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يحثون حثا (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك قريش (أكثر الاولين) يعني الامم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) انبياء حذروهم العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) الذين انذروا وحذروا أي اهلكوا جميعا (الا عباد الله المخلصين) أي الا الذين آمنوا منهم واخلصوا لله دينهم أو اخلصهم الله لدينه على القراءتين ولما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعاءه اياه حين أيس من قومه بقوله (ولقد نادانا نوح) دعانا لننجيه من الغرق وقيل أريد به قوله اني مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ولقد نادانا نوح فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة ونصرناه على اعدائه وانتقمنا منهم بأبلغ ما يكون (ونجيناه وأهله) ومن آمن به واولاده (من الكرب العظيم) وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) وقد فني غيرهم قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان من المشرق الى المغرب ويافث وهو أبو الترك ويأجوج ومأجوج (وتركنا عليه في الآخرين) من الامم هذه الكلمة وهي (سلام على نوح) يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة أنزلناها (في العالمين) أي ثبت هذه التحية فيهم جميعا ولا يخلوا احد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم (انا كذلك نجزي المحسنين) علل مجازاته بتلك التكرمة السنية بانه كان محسنا (انه من عبادنا المؤمنين) ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم (ثم أغرقنا الآخرين) أي الكافرين (وان من شيعته لابراهيم) أي من شيعة نوح أي ممن شايعه على اصول الدين او شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح (اذ جاء ربه) اذ تعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه (بقلب سليم) من الشرك او من آفات القلوب لابراهيم او بمحذوف وهو اذكر ومعنى المجيء بقلبه ربه انه اخلص لله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك (اذ) بدل من الاولى (قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون) أئفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول به على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بأنهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به اي اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة دون الله على انها افك في نفسها أو حالا اي اتريدون آلهة من دون الله آفكين (فما ظنكم) أي شيء ظنكم (برب العالمين) وانتم تعبدون غيره وما رفع بالابتداء والخبر ظنكم او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم انه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فنظر نظرة في النجوم) اى نظر في النجوم راميا ببصره الى السماء متفكرا في نفسه كيف يحتال او اراهم انه ينظر في النجوم لاعتقادهم علم النجوم فأوهمهم انه استدل بأمارة على انه يسقم (فقال اني سقيم) اى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام ليس معه احد ففعل بالاصنام ما فعل وقالوا علم النجوم كان حقا ثم نسخ الاشتغال بمعرفته والكذب حرام الا اذا عرض والذي قاله ابراهيم عليه السلام معراض من الكلام اى سأسقم او من الموت في عنقه سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء ومات رجل فجأة فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي أصحيح من الموت في عنقه او اراد اني سقيم النفس لكفركم

الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم في بطونهم فصار شوبا لهم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) وذلك انهم يردون الى الجحيم بعد شراب الحميم (انهم ألفوا) أي وجدوا (آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) أي يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم (ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين) أي من الامم الخالية (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أي وأرسلنا فيهم رسلا منذرين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أي الكافرين وكانت عاقبتهم العذاب (الا عباد الله المخلصين) أي الموحدين نجوا من العذاب والمعنى انظر كيف أهلكنا المنذرين الا عباد الله المخلصين قوله عز وجل (ولقد نادانا نوح) أي دعا ربه على قومه وقيل دعا ربه ان ينجيه من الغرق (فلنعم المجيبون) نحن أي دعانا فأجبناه وأهلكنا قومه (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) أي من الغم الذي لحق قومه وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) يعني ان الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال هم سام وحام ويافث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية أخرى سام ابو العرب وحام ابو الحبش ويافث ابو الروم وقيل سام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك (وتركنا عليه في الآخرين) أي ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة (سلام على نوح في العالمين) أي سلام عليه منا في العالمين وقيل تركنا عليه في الآخرين ان يصلى عليه الى يوم القيامة (انا كذلك نجزي المحسنين) أي جزاه الله باحسانه الثناء الحسن في العالمين (انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين) يعني الكفار قوله عز وجل (وان من شيعته) أي من شيعة نوح (لابراهيم) يعني انه على دينه وملته ومنهاجه وسنته (اذ جاء ربه بقلب سليم) أي مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد يحب للناس ما يحب لنفسه (اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون) استفهام توبيخ (أئفكا آلهة دون الله تريدون) أي اتأفكون افكا وهو اسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله تعالى (فما ظنكم برب العالمين) يعني اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره انه يصنع بكم (فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم) قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون

كما يقال إنا مريض القلب من كذا (فتولوا) فأعرضوا (عنه مدبرين) أي مولين الادبار (فراغ الى آلهتهم) فمال اليهم سرا (فقال) استهزاء (الا تأكلون) وكان عندها طعام (مالكم لا تنطقون) والجمع بالواو والنون لما انه خاطبها خطاب من يعقل (فراغ عليهم ضربا) فأقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم اوفراغ عليهم يضربهم ضربا أي ضاربا (باليمين) أي ضربا شديدا بالقوة لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما اوبالقوة والمتانة او بسبب الحلف الذى سبق منه وهو قوله تالله لا كيدن اصنامكم (فأقبلوا اليه) الى ابراهيم (يزفون) يسرعون من الزفيف وهو الاسراع يزفون حمزة من ازف اذا دخل فى الزفيف ازفافا فكانه قد رآه بعضهم يكسرها وبعضهم لم يره فأقبل من رآه مسرعا نحوه ثم جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فأجابوه على سبيل التعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ثم قالوا بأجمعهم نحن نعبدها وانت تكسرها فأجابهم بقوله (قال اتعبدون ما تنحتون) بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) وخالق ما تعملونه من الاصنام او ما مصدرية اى وخالق اعمالكم وهو دليلنا فى خلق الافعال اى الله خالقكم وخالق اعمالكم فلم تعبدون غيره (قالوا ابنوا له) اى لاجله (بنيانا) من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فألقوه فى الجحيم) فى النار الشديدة وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم (فأرادوا به كيدا) بالقائه فى النار (فجعلناهم الاسفلين) المقهورين عند الالقاء فخرج من النار (وقال انى ذاهب الى ربى) الى موضع امرنى بالذهاب اليه (سيهدين) سيرشدنى الى ما فيه صلاحى فى دينى ويعصمنى ويوفقنى سيهدينى فيهما يعقوب (رب هب لى من الصالحين) بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب فى الولد (فبشرناه بغلام حليم) انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ أوان الحلم لان الصبى لا يوصف بالحلم وانه يكون حليما وأى حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك (فلما بلغ معه السعى) بلغ ان يسعى مع أبيه فى اشغاله وحوائجه ومعه لا يتعلق ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعى ولا بالسعى لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقى ان يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعى أى الحد الذى يقدر فيه على السعى قيل مع من قال مع أبيه وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة (قال يا بنى) حفص الباقون بكسر الياء (انى أرى فى المنام انى اذبحك) وبفتح الياء فيهما حجازى وابو عمرو وقيل له فى المنام اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحى كالوحى فى اليقظة وانما لم يقل رأيت لانه رأى مرة بعد مرة فقد قيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روّى فى ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمى يوم عرفة ثم رأى مثل ذلك فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر

يتعاطون و يتعاملون به ائلا ينكر واعليه وذلك انه أراد ان يكايدهم فى أصنامهم ليلزمهم الحجة فى انها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على أصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم الى عيدهم زعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم أكلوه فقالوا لابراهيم الا تخرج معنا الى عيدنا فنظر فى النجوم فقال انى سقيم قال ابن عباس أى مطعون وكانوا يفرون من المطعون فرارا عظيما وقيل معناه متساقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه فى سورة الانبياء وقيل انه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال انى سقيم اشتكى رجلى (فتولوا عنه مدبرين) اى الى عيدهم فدخل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى (فراغ) أى مال (الى آلهتهم) ميلة فى خفية (فقال) أى للاصنام استهزاء بها (الا تأكلون) يعنى الطعام الذى بين ايديكم (مالكم لا تنطقون فراغ) أى مال (عليهم ضربا باليمين) أى ضربهم بيده اليمنى لانها اقوى من الشمال فى العمل وقيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل أراد باليمين القسم وهو قوله وتالله لاكيدن أصنامكم (فأقبلوا اليه) أى الى ابراهيم (يزفون) أى يسرعون وذلك انهم أخبروا بصنع ابراهيم بآلهتهم فأسرعوا اليه ليأخذوه (قال) لهم ابراهيم على وجه الحجاج (أتعبدون ما تنحتون) اى بأيديكم من الاصنام (والله خلقكم وما تعملون) اى وعملكم وقيل وخالق الذى تعملونه بايديكم من الاصنام وفى الآية دليل على أن افعال العباد مخلوقة لله تعالى (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) قيل انهم بنوا له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب وأوقدوا عليه النار وطرحوه فيها وهو قوله تعالى (فأرادوا به كيدا) أى شرا وهو أن يحرقوه (فجعلناهم الاسفلين) أى المقهورين حيث سلم الله ابراهيم ورد كيدهم (وقال) يعنى ابراهيم (انى ذاهب الى ربى) أى مهاجر الى ربى واهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار (سيهدين) اى الى حيث أمرنى بالمصير اليه وهو أرض الشام فلما قدم الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لى من الصالحين) اى هب لى ولدا صالحا (فبشرناه بغلام حليم) قيل غلام فى صغره حليم فى كبره وفيه بشارة انه ابن وانه يعيش وينتهى فى السن حتى يوصف بالحلم قوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) قال ابن عباس يعنى المشى معه الى الجبل ومنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعى ابراهيم والمعنى بلغ ان يتصرف معه ويعينه فى عمله وقيل السعى العمل لله تعالى وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين (قال يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك) قيل انه لم ير فى منامه انه ذبحه وانما امر بذبحه وقيل بل رأى انه يعالج ذبحه ولم ير اراقة دمه ورؤيا الانبياء حق اذا رأوا شيئا فعلوه واختلف العلماء من المسلمين فى هذا الغلام الذى أمر ابراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق اهل الكتابين على انه اسحاق فقال قوم هو اسحاق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلى وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى واختلفت الروايات عن ابن عباس فروى عنه انه اسحاق وروى انه اسماعيل ومن ذهب الى انه اسحاق قال كانت هذه القصة بالشام وروى عن

سعيد بن جبير قال رأى ابراهيم ذبح اسحاق في المنام وهو بالشأم فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى أتى به المنحر من منى فلما أمره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول الثاني انه اسماعيل واليه ذهب عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي ورواية عطاء بن ابي رباح ويوسف ابن ماهك عن ابن عباس قال المقدسي اسماعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب الى ان الذبيح اسحاق بقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي امر بذبح من بشر به وليس في القرآن انه بشر بولد سوى اسحاق كما قال تعالى في سورة هود فبشرناها باسحاق وقوله وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين بعد قصة الذبح يدل على انه تعالى انما بشره بالنبوة لما تحمل من الشدائد في قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان أول الآية وآخرها يدل على ان اسحاق هو الذبيح وبما ذكر أيضا في كتاب يعقوب الى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب الى ان الذبيح هو اسماعيل بأن الله تعالى ذكر البشارة باسحاق بعد الفراغ من قصة الذبيح فقال تعالى وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين فدل على ان المذبوح غيره وأيضا فان الله تعالى قال في سورة هود فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فكيف يأمره بذبح اسحاق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسماعيل بالصبر دون اسحاق في قوله واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى له بذلك وقال القرظي سال عمر ابن عبد العزيز رجلا من علماء اليهود وكان اسلم وحسن اسلامه أي ابني ابراهيم أمره الله تعالى بذبحه فقال اسماعيل ثم قال يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يا معشر العرب على أن يكون أباكم هو الذي أمر الله تعالى بذبحه ويدعون انه اسحاق ابوهم ومن الدليل أيضا ان قرني الكبش كانا معلقين على الكعبة في ايدي بني اسماعيل الى ان احترق البيت في زمن ابن الزبير قال الشعبي رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد وحش يعني يبس وقال الاصمعي سألت اباعمرو بن العلاء عن الذبيح أاسحاق كان او اسماعيل فقال يا اصمعي اين ذهب عقلك متى كان اسحاق بمكة انما كان اسماعيل وهو الذي بنى البيت مع ابيه والله تعالى أعلم

(ذكر الاشارة الى قصة الذبح)

قال العلماء بالسير واخبار الماضين لما دعا ابراهيم ربه فقال رب هب لي من الصالحين وبشر به قال هو اذا لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك هذا هو السبب في امر الله اياه بالذبح فقال لاسحاق انطلق نقرب لله قربانا فأخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام يا أبت اين قربانك فقال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر وقال محمد بن اسحاق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذا زار هاجر واسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشأم حتى بلغ اسماعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يؤمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أمر في المنام بذبحه وذلك انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى نفسه أي فكر من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي ذلك اليوم يوم التروية فلما أمسى رأى في المنام ثانيا فلما أصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فسمي ذلك اليوم يوم عرفة وقيل رأى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمي ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك اخبر به ابنه فقال يا بني اني ارى في المنام اني أذبحك (فانظر ماذا ترى) أي من الرأي على وجه المشاورة فان قلت لم شاوره في امر قد

(فانظر ماذا ترى) من الرأى على وجه المشاورة لامن رؤية العين ولم يشاوره ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم أيجزع ام يصبر ترى على وحزم رأى

علم انه حتم من الله تعالى وما الحكمة فى ذلك قلت لم يشاوره ليرجع الى رأيه وانما شاوره ليعلم ما عنده
فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على أمر الله وعزيمته على طاعته ويثبت قدمه ويصبره ان جزع
ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله تعالى قبل
نزوله فان قلت لم كان ذلك فى المنام دون اليقظة وما الحكمة فى ذلك قلت ان هذا الامر كان فى نهاية
المشقة على الذابح والمذبوح فورد فى المنام كالتوطئة له ثم تأكد حال النوم بأحوال اليقظة فاذا تظاهرت
الحالتان كان ذلك أقوى فى الدلالة ورؤيا الانبياء وحى وحق (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أى قال الغلام
لابيه افعل ما أمرت به قال ابن اسحاق وغيره لما أمر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بنى خذ الحبل والمدية وانطلق
الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه فى الشعب اخبره بما أمره الله به فقال افعل ما تؤمر (ستجدنى
ان شاء الله من الصابرين) انما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وانه لا حول عن معصية
الله تعالى الا بعصمة الله تعالى ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله (فلما أسلما) يعنى انقادا وخضعا
لامر الله وذلك ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اسلم ابنه واسلم الابن نفسه (وتله للجبين) أى صرعه
على الارض قال ابن عباس اضجعه على جبينه على الارض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا أبت اشدد رباطى
كيلا اضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لا ينتضح عليها شئ من دمى فينقص أجرى وتراه امى فتحزن
واستحد شفرتك وأسرع مر السكين على حلقى ليكون اهون على فان الموت شديد واذا أتيت امى فاقرأ
عليها السلام منى وان رأيت ان ترد قميصى على امى فافعل فانه عسى ان يكون اسهل لها عنى فقال ابراهيم
عليه السلام نعم العون أنت يا بنى على أمر الله ففعل ابراهيم ما أمره به ابنه ثم أقبل عليه يقبله وهو يبكى
وقد ربطه والابن يبكى ثم انه وضع السكين على حلقه فلم تحك شيئا ثم انه حدها مرتين او ثلاثا بالحجر كل ذلك
لا يستطيع ان يقطع شيئا قيل ضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه والاول ابلغ فى القدرة
وهو منع الحديد عن اللحم قالوا فقال الابن عند ذلك يا ابت كبنى لوجهى فانك اذا نظرت وجهى
رحمتنى وادركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى وأنا لا انظر الى الشفرة فاجزع منها ففعل ابراهيم
عليه الصلاة والسلام ذلك ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وروى
عن كعب الاحبار وابن اسحاق عن رجاله قالوا لما رأى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه قال
الشيطان لئن لم افتن عند هذا آل ابراهيم لا افتن منهم احدا أبدا فتمثل الشيطان فى صورة رجل وأتى ام
الغلام فقال لها هل تدرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به يحتطبا من هذا الشعب قال لا والله
ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به واشد حبا له من ذلك قال انه يزعم ان الله أمره بذلك قالت
ان كان ربه أمره بذلك فقد احسن ان يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى ادرك الابن وهو يمشى
على اثر ابيه فقال له يا غلام هل تدرى اين يذهب بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال
لا والله ما يريد الا ان يذبحك قال ولم قال ان ربه أمره بذلك قال فليفعل ما امره به ربه فسمعا وطاعة فلما
امتنع الغلام اقبل على ابراهيم فقال له اين تريد ايها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لى فيه قال والله انى
لارى الشيطان قد جاءك فى منامك فأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال
اليك عنى يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربى فرجع ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم وآله شيئا مما اراد
وامتنعوا منه بعون الله تعالى وروى عن ابن عباس ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أراد ان يذبح
ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له
الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى
ذهب ثم ادركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله عز وجل
وهو قوله تعالى فلما اسلما وتله للجبين (وناديناه) أى فنودى من الجبل (أن يا ابراهيم قد
صدقت الرؤيا) أى حصل المقصود من تلك الرؤيا حيث ظهر منه كمال الطاعة والانقياد لامر الله تعالى

ماذا ترى من رأيك وتدبيه (قال يا أبت افعل
ما تؤمر) أى ما تؤمر به وقرئ به (ستجدنى ان
شاء الله من الصابرين) على الذبح روى ان
الذبيح قال لابيه يا أبت خذ بناصيتى واجلس
بين كتفى حتى لا اوذيك اذا اصابتنى الشفرة
ولا تذبحنى وانت تنظر فى وجهى عسى ان ترحمنى
واجعل وجهى الى الارض ويروى اذبحنى
وانا ساجد واقرأ على امى السلام وان رأيت
ان ترد قميصى على امى فافعل فانه عسى ان
يكون اسهل لها (فلما اسلما) انقادا لامر الله
وخضعا وعن قتادة اسلم هذا ابنه وهذا نفسه
(وتله للجبين) صرعه على جبينه ووضع السكين
على حلقه فلم يعمل ثم وضع السكين على قفاه
فانقلب السكين ونودى يا ابراهيم قد صدقت
الرؤيا وروى ان ذلك المكان عند الصخرة التى
بمنى وجواب لما محذوف تقديره فلما اسلما
وتله للجبين (وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت
الرؤيا) أى حققت ما أمرناك به فى المنام من
تسليم الولد للذبح كان ما كان مما ينطق به الحال
ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما
لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء
العظيم بعد حلوله او الجواب قبلنا منه وناديناه

معطوف عليه (انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لتخويل ماخولهما من الفرج بعد الشدة (ان هذا لهو البلاء المبين) الاختبار البين الذى يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة (وفديناه بذبح) هو مايذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذى قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به اسماعيل وعنه لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم (عظيم) ضخم الجثة سمين وهى السنة فى الاضاحى وروى انه هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة فى الرمى وروى انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقى سنة وقد استشهد أبو حنيفة رضى الله عنه بهذه الاية فى من نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة والاظهر ان الذبيح اسماعيل وهو قول أبى بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين رضى الله عنهم لقوله عليه السلام أنا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسماعيل والآخر أبوه عبد الله وذلك ان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة ان يذبح آخر ولده تقربا وكان عبد الله آخر ففداه بمائة من الابل ولان قرنى الكبش كانا منوطين فى الكعبة فى أيدى بنى اسماعيل الى ان احترق البيت فى زمن الحجاج وابن الزبير وعن الاصمعى انه قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعى اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحاق بمكة وانما كان اسماعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة وعن على وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين رضى الله عنهم انه اسحاق ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف عليهما السلام من يعقوب ٢٢ اسرائيل الله ابن اسحاق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله وانما قيل وفديناه وان كان الفادى ابراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدى منه لانه الآمر بالذبح لانه تعالى وهب له الكبش ليفتدى به وههنا اشكال وهو انه لايخلو اما ان يكون ما أتى به ابراهيم عليه السلام من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه فى حكم الذبح أم لا فان كان فى حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء هو التخليص من الذبح ببدل وان لم يكن فما معنى قوله قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح اصلا وبدلا ولم يصح والجواب انه عليه السلام قد بذل وسعه وفعل مايفعل الذابح ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة ان تمضى فيه وهذا لا يقدح فى فعل ابراهيم ووهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة فى نفس اسماعيل بدلا منه وليس هذا بنسخ منه للحكم كما قال البعض بل ذلك الحكم كان ثابتا الا ان المحل الذى اضيف اليه لم يحله الحكم على طريق الفداء دون النسخ وكان ذلك ابتلاء ليستقر حكم الامر عند المخاطب فى آخر الحال على ان المبتغى منه فى حق الولد ان يصير قربانا بنسبة الحكم اليه مكرما بالفداء الحاصل لمعرة الذبح مبتلى بالصبر والمجاهدة الى حال المكاشفة وانما النسخ بعد استقرار كانوا المراد بالامر لا قبله وقد سمى فداء فى الكتاب لا نسخا (وتركنا عليه فى الآخرين) ولا وقف عليه لان (سلام على ابراهيم) مفعول وتركنا (كذلك نجزى المحسنين) ولم يقل انا كذلك هنا كما فى غيره لانه قد سبق فى هذه القصة فاستخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحاق نبيا) حال مقدرة من اسحاق ولا بد من تقدير مضاف محذوف اى وبشرناه بوجود اسحاق نبيا أى بأن يوجد مقدرة نبوته فالعامل فى الحال الوجود لا البشارة (من الصالحين) حال ثانية وورودها على سبيل الثناء لان كل نبى لا بد وان يكون من الصالحين (وباركنا عليه وعلى اسحاق) اى افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقيل باركنا على ابراهيم فى اولاده وعلى اسحاق بأن اخرجنا من صلبه الف نبى أولهم يعقوب وآخرهم عيسى عليهم السلام (ومن ذريتهما محسن) مؤمن (وظالم لنفسه) كافر (مبين) ظاهر او محسن الى الناس وظالم على نفسه بتعديه عن حدود الشرع وفيه تنبيه على ان الخبيث والطيب لايجرى أمرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر وعلى ان الظلم فى اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من أصله وفرعه (ولقد مننا) انعمنا (على موسى وهارون) بالنبوة (ونجيناهما وقومهما) بنى اسرائيل (من الكرب العظيم) من الغرق أو من سلطان فرعون وقومه وعسفهم

وكذلك الولد فان قلت كيف قيل قد صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح وانما كان تصدقها لو حصل منه الذبح قلت جعله مصدقا لانه بذل وسعه ومجهوده واتى بما امكنه وفعل ما يفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو استسلامهما لامر الله تعالى وانقيادهما لذلك فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا (انا كذلك نجزى المحسنين) يعنى جزاه الله باحسانه فى طاعته العفو عن ذبح ولده والمعنى انا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزى المحسنين فى طاعتنا (ان هذا لهو البلاء المبين) أى الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ولده (وفديناه بذبح عظيم) قيل نظر ابراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش املح أقرن فقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ابنه وكبر جبريل وكبر الكبش فأخذه ابراهيم واتى به المنحر من منى فذبحه قال أكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشا رعى فى الجنة أربعين خريفا وقال ابن عباس الكبش الذى ذبحه ابراهيم هو الذى قربه ابن آدم قيل حق له ان يكون عظيما وقد تقبل مرتين وقيل سمى عظيما لانه من عند الله تعالى وقيل لعظمه فى الثواب وقيل لعظمه وسمنه وقال الحسن ما فدى اسماعيل الا بتيس من الاروى اهبط عليه من ثبير (وتركنا عليه فى الآخرين) أى تركنا له ثناء حسنا فى من بعده (سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) قوله تعالى (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) أى بوجود اسحاق وهذا على قول من يقول ان الذبيح هو اسماعيل ومعناه انه بشر باسحاق بعد هذه القصة جزاء لطاعته وصبره ومن جعل الذبيح هو اسحاق قال معنى الآية وبشرناه بنبوة اسحاق وكذا روى عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ (وباركنا عليه) يعنى على ابراهيم فى أولاده (وعلى اسحاق) اى بكون أكثر الانبياء من نسله (ومن ذريتهما محسن) أى مؤمن (وظالم لنفسه) أى كافر (مبين) اى ظاهر الكفر وفيه تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضائل الاب فضيلة الابن قوله عز وجل (ولقد مننا على موسى وهارون) اى انعمنا عليهما بالنبوة والرسالة (ونجيناهما وقومهما) يعنى بنى اسرائيل (من الكرب العظيم) يعنى الذى

كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل هو انجاؤهم من الغرق (ونصرناهم) يعني موسى وهارون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) اى على القبط (وآتيناهما الكتاب) يعني التوراة (المستبين) المستنير (وهديناهما الصراط المستقيم) أى دللناهما على طريق الجنة (وتركنا عليهما في الآخرين) أى الثناء الحسن (سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) قوله عز وجل (وان الياس لمن المرسلين) روى عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس وكذلك هو في مصحفه وقال أكثر المفسرين هو نبي من أنبياء بني اسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن اسحاق هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران

ذكر الاشارة الى القصة قال محمد بن اسحاق وعلماء السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكان الانبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بني اسرائيل بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني اسرائيل وان سبطا منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه آجب وكان قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة وجوه اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم أهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من أمر الملك فانه آمن به وصدقه فكان الياس يقوم بأمره ويسدده ويرشده وكان للملك امرأة جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب فغضبت من رجل مؤمن جنينة كان يتعيش منها فأخذتها وقتلته فبعث الله سبحانه وتعالى الياس الى الملك وزوجته وأمره ان يخبرهما ان الله عز وجل قد غضب لوليه حين قتل ظلما وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة المقتول اهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها ولا يتمتعان فيها الا قليلا فجاء الياس فأخبر الملك بما أوحى الله اليه في أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما حس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان يأوي الى الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الامر على الياس وسكنى الكهوف في الجبال وطال عصيان قومه ضاق بذلك ذرعا فأوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه ألست أميني على وحيي وحجتي في أرضي وصفوتي من خلقي سلني أعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يا رب تميتني وتلحقني بآبائي فاني قد مللت بني اسرائيل وملوني فأوحى الله تعالى اليه يا الياس ما هذا باليوم الذي أعري منك الارض وأهلها وانما صلاحها وقوامها بك وبأشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلني أعطك فقال الياس ان لم تمتني فأعطني ثأري من بني اسرائيل قال الله عز وجل وأي شيء تريد ان أعطيك قال تملكني خزائن السماء سبع سنين فلا تنشر عليهم سحابة الا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتي فانه لا يذلهم الا ذلك قال الله عز وجل يا الياس أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال انا أرحم بخلقي من ذلك قال فخمس سنين قال انا أرحم بخلقي ولكن اعطيك ثأرك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك قال الياس فبأي شيء أعيش يا رب قال أسخر لك جيشا من الطير ينقل لك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فأمسك الله عز وجل عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد

(ونصرناهم) أى موسى وهارون وقومهما
(فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه
(وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ في بيانه
وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم)
وهو الاسلام وهو صراط الذين أنعم الله
عليهم صراط أهل الاسلام غير المغضوب عليهم ولا الضالين
(وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى
وهارون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من
عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين) هو
الياس بن ياسين من ولد هارون أخي موسى وقيل
هو ادريس الذي عليه السلام وقرأ ابن مسعود
رضي الله عنه وان ادريس في موضع الياس

الناس جهدا شديدا والياس على حاله مستخفيا من قومه يوضع له الرزق حيث كان وقد عرف قومه ذلك قال ابن عباس اصاب بنى اسرائيل ثلاث سنين القحط فمر الياس بعجوز فقال لها أعندك طعام قالت نعم شئ من دقيق وزيت قليل قال فدعا به ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها دقيقا وملأ خوابيها زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا من أين لك هذا قالت مر بى رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه أوى الى بيت امرأة من بنى اسرائيل ولها ابن يقال له اليسع بن أخطوب به ضر فآوته واخفت أمره فدعا لابنها فعوفى من الضر الذى كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد كبر واسن واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس انك قد اهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون ان الياس قال يارب دعنى أكن أنا الذى أدعو لهم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم يرجعون عما هم فيه وينزعون عن عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بنى اسرائيل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل فان كنتم تحبون ان تعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هى لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوت الله تعالى فيفرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء فقالوا أنصفت فخرجوا باوثانهم ودعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس انا قد اهلكنا فادع الله لنا فدعا الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم ارسل الله عز وجل المطر واغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم واقاموا على اخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس دعا ربه عز وجل ان يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما جاءك من شئ فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذى أمر به أقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدى الياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرنى فقذف اليه الياس بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بنى اسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله تعالى الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار انسيا ملكيا أرضيا سماويا وسلط الله عز وجل على آجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل آجب وامرأته أربيل فى الجنينة التى اغتصبتها امرأة الملك من ذلك المؤمن فلم تزل جثتاهما ملقاتين فى تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله سبحانه وتعالى اليسع وبعثه رسولا الى بنى اسرائيل واوحى اليه وايده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع روى السدى عن يحيى بن عبد العزيز عن ابى رواد قال الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم فى كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافى والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين (اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا) يعنى أتعبدون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قيل البعل الرب بلغة اهل اليمن (وتذرون) أى وتتركون عبادة (أحسن الخالقين) فلا تعبدونه (الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون) أى فى النار (الا عباد الله المخلصين) أى من قومه الذين آمنوا به فانهم نجوا من العذاب (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين) قرئ آل ياسين بالقطع قيل اراد آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل آل القرآن لان ياسين من اسماء القرآن وفيه بعد وقرئ الياسين بالوصل ومعناه الياس واتباعه من المؤمنين (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) قوله تعالى (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) أى الباقين فى العذاب (ثم دمرنا) أى اهلكنا (الآخرين وانكم) أى يا أهل مكة (لتمرون عليهم) اى على

(اذ قال لقومه الا تتقون) الا تخافون الله (أتدعون بعلا) هو علم صنم كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياء وكان موضعه يقال له بك فركب وصار بعلبك وهو من بلاد الشام وقيل فى الياس والخضر انهما حيان وقيل الياس وكل بالفيافى كما وكل الخضر بالبحار والحسن يقول قد هلك الياس والخضر ولا نقول كما يقول الناس انهما حيان (وتذرون أحسن الخالقين) وتتركون عبادة الله الذى هو أحسن المقدرين (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) بنصب الكل عراقى غير ابى بكر وابى عمرو وعلى البدل من احسن وغيرهم بالرفع على الابتداء (فكذبوه فانهم لمحضرون) فى النار (الا عباد الله المخلصين) من قومه (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين) اى الياس وقومه المؤمنين كقولهم الخبيبون يعنى ابا خبيب عبد الله بن الزبير وقومه آل ياسين شامى ونافع لان ياسين اسم ابى الياس فاضيف اليه الآل (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) فى الباقين (ثم دمرنا) أهلكنا (الآخرين وانكم) يا أهل مكة (لتمرون عليهم)

آثارهم ومنازلهم (مصبحين) اى فى وقت الصباح (وبالليل) اى وبالليل فى أسفاركم (أفلا تعقلون) اى فتعتبرون بهم قوله عزوجل (وان يونس لمن المرسلين) أى من جملة رسل الله تعالى (اذ أبق) أى هرب (الى الفلك المشحون) اى المملوء قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمستور عنهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون هاهنا عبد آبق من سيده فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا ثلاثا وهى تقع على يونس فقال أنا الآبق وزج نفسه فى الماء وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاء مركب فأراد ان يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجاءت موجة أخرى فاخذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فأخذ الابن الاصغر فبقى فريدا فجاء مركب آخر فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة فى البحر ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل وقوف السفينة ما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلأن يغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله تعالى (فساهم) اى فقارع (فكان من المدحضين) يعنى من المقروعين المغلوبين وقد تقدمت القصة فى سورة يونس والانبياء (فالتقمه الحوت) اى ابتلعه (وهو مليم) اى آت بما يلام عليه (فلولا أنه كان من المسبحين) أى من الذاكرين لله عزوجل قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين قال الحسن ما كانت له صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا فشكر الله تعالى له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا لله تعالى فلما وقع فى الشدة فى بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك فقال فلولا انه كان من المسبحين (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) وقيل لولا انه كان يسبح فى بطن الحوت بقوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون اى لصار بطن الحوت قبرا له الى يوم القيامة قوله عزوجل (فنبذناه) أى طرحناه انما اضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان افعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى (بالعراء) أى بالارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل (وهو سقيم) اى عليل كالفرخ الممعط وقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم تبق له قوة قيل انه لبث فى بطن الحوت ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل اربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية (وانبتنا عليه شجرة من يقطين) يعنى القرع قيل ان كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل أنبتها الله تعالى له ولم تكن قبل ذلك وكانت معروشة ليحصل له الظل وفى شجر القرع فائدة وهى ان الذباب لا يجتمع عندها فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على الارض لم يمكن ان يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوى فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة وأصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكى فأرسل الله تعالى اليه جبريل وقال اتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة الف من أمتك قد أسلموا وتابوا (وأرسلناه الى مائة ألف) قيل ارسله الى اهل نينوى من أرض الموصل قبل ان يصيبه ما أصابه والمعنى وكنا أرسلناه الى مائة ألف فلما خرج من بطن الحوت امر ان يرجع اليهم ثانيا وقيل كان ارساله اليهم بعد خروجه من بطن الحوت وقيل يجوز ان يكون ارساله الى قوم آخرين غير القوم الاولين (أو يزيدون) قال ابن عباس معناه ويزيدون وقيل معناه بل يزيدون وقيل او على أصلها والمعنى او يزيدون فى تقدير الرائى اذا رآهم قال هؤلاء مائة الف او يزيدون على ذلك فالشك على تقدير المخلوقين والاصح هو قول ابن عباس الاول وأما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين ألفا ويعضده ما روى عن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه الى مائة الف أو يزيدون قال يزيدون عشرين الفا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين الفا وقيل سبعين الفا (فآمنوا) يعنى الذين أرسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب

مصبحين) داخلين فى الصباح (وبالليل) والوقف عليه مطلق (أفلا تعقلون) يعنى تمرون على منازلهم فى متاجركم الى الشام ليلا ونهارا افما فيكم عقول تعتبرون بها وانما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما لان الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين فى آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منفردا بالسلام (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق) الاباق الهرب الى حيث لا يهتدى اليه الطلب فسمى هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا مجازا (الى الفلك المشحون) المملوء وكان يونس عليه السلام وعد قومه العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر وركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال انا الآبق وزج بنفسه فى الماء فذلك قوله (فساهم) فقارعهم مرة أو ثلاثا بالسهام والمساهمة القاء السهام على جهة القرعة (فكان من المدحضين) المغلوبين بالقرعة (فالتقمه الحوت) فابتلعه (وهو مليم) داخل فى الملامة (فلولا انه كان من المسبحين) من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح اومن القائلين لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين أومن المصلين قبل ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة ويقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) الظاهر لبثه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة وقد لبث فى بطنه ثلاثة أيام أو سبعة أو اربعين يوما وعن الشعبى التقمه ضحوة ولفظه عشية (فنبذناه بالعراء) فالقيناه بالمكان الخالى الذى لا شجر فيه ولا نبات (وهو سقيم) عليل مما ناله من التقام الحوت وروى انه عاد بدنه كبدن الصبى حين يولد (وانبتنا عليه شجرة) أى انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان (من يقطين) الجمهور على انه القرع وفائدته أن الذباب لا يجتمع عنده وانه اسرع الاشجار نباتا وامتدادا وارتفاعا وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هى شجرة أخى يونس (وأرسلناه الى مائة الف) المراد به القوم الذين بعث اليهم قبل الالتقام فتكون قد مضمرة (أو يزيدون) فى مرأى الناظر أى اذا رآها الرائى قال هى مائة ألف أو اكثر وقال الزجاج قال غير واحد معناه بل يزيدون قال ذلك الفراء وأبو عبيدة ونقل عن ابن عباس كذلك (فآمنوا)

نه وبما أرسل به (فتمعناهم الى حين) الى منتهى آجالهم (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) معطوف على مثله فى اول السورة أى على فاستفتهم أهم أشد خلقا وان تباعدت بينهما المسافة أمر رسول الله باستفتاء قريش على وجه انكار البعث أولا ثم سياق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله تعالى الاناث ولانفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) حاضرون تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لانهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر أو معناه انهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لافراط جهلهم كانهم شاهدوا خلقهم (ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) فى قولهم (أصطفى البنات على البنين) بفتح الهمزة للاستفهام وهو استفهام توبيخ وحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام ٣٦ (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد (أفلا تذكرون) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص (أم لكم سلطان مبين) حجة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذى أنزل عليكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (وجعلوا بينه) بين الله (وبين الجنة) الملائكة لاستتارهم (نسبا) وهو زعمهم أنهم بناته او قالوا ان الله تزوج من الجن فولدت له الملائكة (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) ولقد علمت الملائكة ان الذين قالوا هذا القول لمحضرون فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه نفسه عن الولد والصاحبة (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون من النار وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز ان يقع الاستثناء من واو يصفون اى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون براء من أن يصفوه به (فانكم) يا أهل مكة (وما تعبدون) ومعبوديكم (ما أنتم) وهم جميعا (عليه) على الله (بفاتنين) بمضلين (الا من هو صال الجحيم) بكسر اللام أى لستم تضلون أحدا الا أصحاب النار الذين سبق فى علمه انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها يقال فتن فلان على فلان امرأته كما تقول افسدها عليه وقال الحسن فانكم ايها القائلون بهذا القول والذى تعبدونه من الاصنام ما أنتم على عبادة الاوثان بمضلين احدا الا من قدر عليه ان يصلى الجحيم أى يدخل النار وقيل ما أنتم بمضلين الا من اوجبت عليه الضلال فى السابقة وما فى ما أنتم نافية ومن فى موضع النصب بفاتنين وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام ووجهه ان يكون جمعا كل حذفت النون للاضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هى واللام فى الجحيم ومن موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه (وما منا احد (الا له مقام معلوم) فى العبادة لا يتجاوزه فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه (وانا لنحن الصافون) نصف اقدامنا فى الصلاة او نصف حول العرش داعين للمؤمنين (وانا لنحن المسبحون) المنزهون او المصلون والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم فى قوله ولقد علمت الجنة كانه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله احدا من خلقه وتضلوه الا من كان من اهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا

(فتمعناهم الى حين) أى الى انقضاء آجالهم قوله عز وجل (فاستفتهم) اى فسل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ (ألربك البنات ولهم البنون) وذلك ان جهينة وبنى سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشئ الذى يستنكف منه المخلوق كيف ينسب للخالق (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) أى حاضرون خلقنا اياهم (ألا انهم من أفكهم) أى من كذبهم (ليقولون ولد الله) اى فى زعمهم (وانهم لكاذبون) اى فيما زعموا (أصطفى البنات) اى فى زعمكم (على البنين) وهو استفهام توبيخ وتقريع (مالكم كيف تحكمون) أى بالبنات لله ولكم بالبنين (أفلا تذكرون) اى افلا تتعظون (ام لكم سلطان مبين) اى برهان بين على ان لله ولدا (فأتوا بكتابكم) يعنى الذى لكم فيه حجة (ان كنتم صادقين) اى فى قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قيل أراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار قال ابن عباس هم حى من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله فقال لهم ابو بكر الصديق رضى الله عنه فمن أمهاتهم قالوا سروات الجن وقيل معنى النسب انهم أشركوا الشياطين فى عبادة الله تعالى وقيل هو قول الزنادقة الخير من الله والشر من الشيطان (ولقد علمت الجنة انهم) يعنى قائلى هذا القول (لمحضرون) اى فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه الله تعالى نفسه عما يقولون (الا عباد الله المخلصين) هذا استثناء من المحضرين والمعنى أنهم لا يحضرون (فانكم) يعنى يا أهل مكة (وما تعبدون) اى من الاصنام (ما أنتم عليه) اى على ما تعبدون (بفاتنين) أى بمضلين أحدا (الا من هو صال الجحيم) الا من سبق له فى علم الله تعالى الشقاوة وانه سيدخل النار قوله تعالى اخبارا عن حال الملائكة (وما منا الا له مقام معلوم) يعنى ان جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم وما منا معشر الملائكة الا له مقام معلوم يتعبد ربه فيه وقال ابن عباس ما فى السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى أو يسبح وروى ابو ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اطت السماء وحق لها ان تئط والذى نفسى بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه الترمذى وهو طرف من حديث قيل الاطيط اصوات الاقتاب وقيل اصوات الابل وحنينها ومعنى الحديث ما فى السماء من الملائكة قد اثقلها حتى اطت وهذا مثل موذن بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم اطيط وقيل معنى الا له مقام معلوم أى فى القربة والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا (وانا لنحن الصافون) يعنى الملائكة صفوا اقدامهم فى عبادة الله تعالى كصفوف الناس فى الصلاة فى الارض (وانا لنحن المسبحون) اى المصلون لله تعالى وقيل المنزهون الله تعالى عن

شهوعا لعظمته ونحن الصافون اقدامنا العبادته مسبحين ممجدين كما يجب على العباد له وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني وما من المسلمين احد الاله مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون فى الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه (وان كانوا ليقولون) أى مشركو قريش قبل مبعثه عليه السلام (لوأن عندنا ذكرا من الاولين) أى كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل (لكنا عباد الله المخلصين) لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب (فكفروا به فسوف يعلمون) مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وفى ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) الكلمة قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وانما سماها كلمة وهى كلمات لانها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم فى مقاوم الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة وعن الحسن ماغلب نبى فى حرب وعن بن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى العقبى والحاصل ان قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والعبرة للغالب (فتول عنهم) فأعرض عنهم (حتى حين) الى مدة يسيرة وهى المدة التى امهلوا فيها او الى يوم بدر او الى فتح مكة (وأبصرهم) أى ابصر ما ينالهم يومئذ (فسوف يبصرون) ذلك وهو للوعيد لا للتبعيد وانظر اليهم اذا عذبوا فسوف يبصرون ما انكروا أو أعلمهم فسوف يعلمون (افبعذابنا يستعجلون) قبل حينه (فاذا نزل) العذاب (بساحتهم) بفنائهم (فساء صباح المنذرين) صباحهم واللام فى المنذرين مبهم فى جنس من أنذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت فى وقت آخر (وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون) وانما ثنى ليكون تسلية على تسلية وتأكيد الوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهى اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل اريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة (سبحان ربك رب العزة) أضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد أنه ما من عزة لاحد الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء (عما يصفون) من الولد والصاحبة والشريك (وسلام على المرسلين) عم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض فى السورة لان فى تخصيص كل بالذكر تطويلا (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون فى الله ونسبوه اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه فى العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والمراد تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن على رضى الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

كل سوء يخبر جبريل النبى صلى الله عليه وسلم انهم يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وانهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار قوله عز وجل (وان كانوا ليقولون) يعنى كفار مكة قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم (لوأن عندنا ذكرا من الاولين) يعنى كتابا مثل كتاب الاولين (لكنا عباد الله المخلصين) اى لاخلصنا العبادة لله (فكفروا به) اى فلما أتاهم الكتاب كفروا به (فسوف يعلمون) فيه تهديد لهم قوله عز وجل (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) يعنى تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم (انهم لهم المنصورون) اى بالحجة البالغة (وان جندنا) اى حزبنا المؤمنين (لهم الغالبون) اى لهم النصرة فى العاقبة (فتول) أى أعرض (عنهم حتى حين) قال ابن عباس يعنى الموت وقيل الى يوم بدر وقيل حتى آمرك بالقتال وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل الى أن يأتيهم العذاب (وأبصرهم) اى اذا نزل بهم العذاب (فسوف يبصرون) اى ذلك فعند ذلك قالوا متى هذا العذاب قال الله عز وجل (أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل) يعنى العذاب (بساحتهم) اى بحضرتهم وقيل بفنائهم (فساء صباح المنذرين) اى فبئس صباح الكافرين الذين انذروا العذاب (ق) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث مرات ثم كرر ذكر ما تقدم تأكيدا لوعيد العذاب فقال تعالى (وتول عنهم حتى حين) وقيل المراد من الآية الاولى ذكر احوالهم فى الدنيا وهذه ذكر احوالهم فى الآخرة فعلى هذا القول يزول التكرار (وأبصر) اى العذاب اذا نزل بهم (فسوف يبصرون) ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحان ربك رب العزة) اى الغلبة والقدرة وفيه اشارة الى كمال القدرة وانه القادر على جميع الحوادث (عما يصفون) اى عن اتخاذ الشركاء والاولاد (وسلام على المرسلين) اى الذين بلغوا عن الله عز وجل التوحيد والشرائع لان أعلى مراتب البشر ان يكون كاملا فى نفسه مكملا لغيره وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا جرم يجب على كل أحد الاقتداء بهم والاهتداء بهداهم (والحمد لله رب العالمين) اى على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء وقيل الغرض من ذلك تعليم المؤمنين ان يقولوه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه لما روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله أعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة ص)

ويقال لها سورة داود عليه الصلاة والسلام وهي مكية وهي ست وقيل ثمان وثمانون آية وسبعمائة واثنان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وسبعة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ص) قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم (والقرآن ذي الذكر) قال ابن عباس اي ذي البيان وقيل ذي الشرف وهو قسم قيل و جوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص اقسم الله سبحانه وتعالى بالقرآن ان محمدا صلى الله عليه وسلم لصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر ما الامر كما تقول الكفار دل على هذا المحذوف قوله تعالى (بل الذين كفروا) وقيل بل الذين كفروا موضع القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا (في عزة وشقاق) والقرآن ذي الذكر وقيل جوابه ان كل الا كذب الرسل وقيل جوابه ان هذا لرزقنا وقيل ان ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم وهذا الجواب أقاصيص واخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفي آخر ومجاز الآية ان الله تعالى أقسم بصاد والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا من أهل مكة في عزة أي حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق اي خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) يعني من الامم الخالية (فنادوا) اي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة (ولات حين مناص) اي ليس الحين حين فرار وتأخر قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فأنزل الله ولات حين مناص أي ليس الحين حين هذا القول (وعجبوا) يعني كفار مكة (ان جاءهم منذر منهم) يعني رسولا من انفسهم ينذرهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) قوله عز وجل (أجعل الآلهة الها واحدا) وذلك ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملاء من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد ابن المغيرة امشوا الى أبي طالب فأتوا الى أبي طالب وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانما أتيناك لتقضي بيننا و بين ابن أخيك فأرسل اليه أبو طالب فدعاه فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسألوني قالوا ارفض آلهتنا وندعك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لله أبوك لنعطينكها وعشرة امثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا كيف يسع الخلق اله واحد (ان هذا الشيء عجاب) اي عجب (وانطلق الملأ منهم) اي

(سورة ص مكية وهي ثمان وثمانون آية كوفي وتسع بصري وست مدني) (بسم الله الرحمن الرحيم ص) ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال (والقرآن ذي الذكر) أي ذي الشرف انه لكلام معجز ويجوز أن يكون ص خبر مبتدا محذوف على انه اسم للسورة كانه قال هذه ص أي هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بص والقرآن ذي الذكر انه لمعجز ثم قال (بل الذين كفروا في عزة) تكبر عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق (وشقاق) خلاف لله ولرسوله والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكنا) وعيد لذوي العزة والشقاق (من قبلهم) من قبل قومك (من قرن) من أمة (فنادوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب (ولات) هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضيها اما الاسم او الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وقوله (حين مناص) منجا منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعندهما ان النصب على تقدير ولات الحين حين مناص أي وليس الحين حين مناص (وعجبوا ان جاءهم) من ان جاءهم (منذر منهم) رسول من أنفسهم ينذرهم يعني استبعدوا ان يكون النبي من البشر (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشيء عجاب) ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي اذ لا كفر أبلغ من أن يسموا من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الابلج ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج وروى ان عمر رضي الله عنه لما اسلم فرح به المؤمنون وشق على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى ابي طالب وقالوا أنت كبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الاسلام وجئناك لتقضي بيننا و بين ابن اخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال عليه السلام ماذا يسألونني فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام اتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا أي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا أي أصير ان هذا الشيء عجاب أي بليغ في العجب وقيل العجيب ماله مثل والعجاب ما لا مثل له (وانطلق الملأ منهم)

ان امشوا) وانطلق اشراف قريش من مجلس ابى طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض ان امشوا وان بمعنى أى لان المنطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمنا معنى القول (واصبروا على) عبادة (آلهتكم ان هذا) الامر (لشئ يراد) أى يريده الله تعالى ويحكم بامضائه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر او ان هذا الامر لشئ من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه (ما سمعنا بهذا) بالتوحيد (فى الملة الآخرة) فى ملة عيسى التى هى آخر الملل لان النصارى مثلثة غير موحدة او فى ملة قريش التى ادركنا عليها آباءنا (ان هذا) ماهذا (الا اختلاق) كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه (أأنزل عليه الذكر) القرآن (من بيننا) انكروا ان يختص بالشرف من بين اشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم حسدا (بل هم فى شك من ذكرى) من القرآن (بل لما يذوقوا عذاب) بل هم يذوقوا عذابى بعد فاذا ذاقوه زال عنهم مابهم من الشك والحسد حينئذ أى انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب فيصدقون حينئذ (ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) يعنى ماهم بمالكى خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد وانما الذى يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذى يقسمها على ما تقتضيه حكمته ثم رشح هذا المعنى فقال (ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما) حتى يتكلموا فى الامور الربانية والتدابير الالهية التى يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف فى قسمة الرحمة (فليرتقوا فى الاسباب) فليصعدوا فى المعارج والطرق التى يتوصل بها الى السماء حتى يدبروا امر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحى الى من يختارون ثم وعد نبيه عليه السلام النصرة عليهم بقوله (جند) مبتدأ (ما) صلة مقوية للنكرة المبتدأة (هنالك) اشارة الى بدر ومصارعهم او الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من اهله لست هنالك خبر المبتدا (مهزوم) مكسور (من الاحزاب) متعلق بجند او بمهزوم يريد ماهم الا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون (كذبت قبلهم) قبل اهل مكة (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وفرعون) موسى (ذو الاوتاد) قيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب بأربعة اوتاد فى يديه ورجليه (وثمود) وهم قوم صالح صالحا (وقوم لوط) لوطا (واصحاب الايكة) الغيضة شعيبا (أولئك الاحزاب) اراد بهذه الاشارة الاعلام بأن الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب (ان كل الا كذب الرسل) ذكر تكذيبهم اولا فى الجملة الخبرية على وجه الابهام حيث لم يبين المكذب ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها وبين المكذب وهم الرسل وذكر ان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لان فى تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد دعوتهم وفى تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع فى تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما فى الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد انواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العقاب وابلغه ثم قال (فحق

من مجالسهم الذى كانوا فيه عند أبى طالب (ان امشوا) أى يقول بعضهم لبعض امشوا (واصبروا على آلهتكم) اى اثبتوا على عبادة آلهتكم (ان هذا الشئ يراد) اى لأمر يراد بنا وذلك ان عمر رضى الله عنه لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا ان هذا الذى نراه من زيادة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشئ يراد بنا وقيل يراد بأهل الارض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه وسلم ان يملك علينا (ما سمعنا بهذا) أى بالذى يقوله محمد من التوحيد (فى الملة الآخرة) قال ابن عباس يعنون النصرانية لانها آخر الملل وانهم لا يوحدون الله بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهى دينهم الذى هم عليه (ان هذا الا اختلاق) اى كذب وافتعال (أأنزل عليه الذكر) اى القرآن (من بيننا) اى يقول أهل مكة ليس هو بأكبرنا ولا اشرفنا .قال الله تعالى (بل هم فى شك من ذكرى) اى وحى وما انزلت (بل لما يذوقوا عذاب) اى لو ذاقوه لما قالوا هذا القول (أم عندهم خزائن رحمة ربك) يعنى مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤا (العزيز) اى فى ملكه (الوهاب) الذى وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) اى ليس لهم ذلك (فليرتقوا فى الاسباب) يعنى ان ادعوا شيئا من ذلك فليصعدوا فى الاسباب التى توصلهم الى السماء ليأتوا منها بالوحى الى من يختاروا وقيل أراد بالاسباب ابواب السماء وطرقها من سماء الى سماء وهذا أمر توبيخ وتعجيز (جند ما هنالك) اى هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك (مهزوم) أى مغلوب (من الاحزاب) يعنى ان قريشا من جملة الاجناد الذين تجمعوا وتحزبوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا واهلكوا أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد) قال ابن عباس ذو البناء المحكم وقيل ذو الملك الشديد الثابت والعرب تقول هو فى عز ثابت الاوتاد يريدون بذلك انه دائم شديد قال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة * فى ظل ملك ثابت الاوتاد

وقيل ذو قوة واصل هذا ان بيوتهم ثبتت بالاوتاد وقيل ذو القوة والبطش وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما ذو الجنود والجموع الكثيرة يعنى انهم يقرون امره ويشدون ملكه كما يقوى الوتد الشئ وسميت الاجناد أوتادا لكثرة المضارب التى كانوا يضربونها ويوتدونها فى اسفارهم وقيل الاوتاد جمع الوتد وكانت له اوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل طرف الى وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال وملاعب يلعب عليها بين يديه (وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب) اى الذين تحزبوا على الانبياء فأعلم الله تعالى ان مشركى قريش حزب من أولئك الاحزاب (ان كل الا كذب الرسل فحق

عقاب) يعني ان أولئك الطوائف والامم الخالية لما كذبوا انبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين اذا نزل بهم العذاب وفي الآية زجر وتخويف للسامعين (وما ينظر) أي ينتظر (هؤلاء) يعني كفار مكة (الا صيحة واحدة مالها من فواق) أي رجوع والمعنى ان تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم اذا جاءت لم ترد ولم تصرف (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) اي حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحارث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعني كتابنا والقط الصحيفة التي حصرت كل شيء قيل لما نزل في الحاقة فأما من أوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا (قبل يوم الحساب) وقيل قطنا اي حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقيل القط كتاب الجوائز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (اصبر على ما يقولون) اى على ما يقول الكفار من التكذيب (واذكر عبدنا داود ذا الايد) قال ابن عباس ذا القوة في العبادة (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما واحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل معناه ذا القوة في الملك (انه أواب) اى رجاع الى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله عز وجل وقيل مسبح بلغة الحبشة (انا سخرنا الجبال معه يسبحن) أي بتسبيحه اذا سبح (بالعشي والاشراق) أي غدوة وعشية والاشراق هو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس في قوله بالعشي والاشراق قال كنت أمر بهذه الآية لا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانئ بنت أبي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال يا أم هانئ ان هذه صلاة الاشراق قلت والذي أخرجاه في الصحيحين من حديث أم هانئ في صلاة الضحى قالت أم هانئ ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة بنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه قلت انا أم هانئ بنت أبي طالب فقال مرحبا يا أم هانئ فلما فرغ من غسله قام وصلى ثمان ركعات ملتحفا بثوب قالت أم هانئ وذلك ضحى ولهما عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال ما حدثنا أحد انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى غير أم هانئ فانها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات فلم أر صلاة قط اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود قوله تعالى (والطير) أي وسخرنا له الطير (محشورة) اى مجموعة اليه تسبح معه (كل له أواب) اى رجاع الى طاعته مطيع له بالتسبيح معه (وشددنا ملكه) اى قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان أشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل وروى عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل ادعى على رجل من عظمائهم عند داود عليه الصلاة والسلام فقال ان هذا غصبني بقرة فسأله داود فجحد فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى انظر في أمركما فأوحى الله الى داود في منامه ان يقتل المدعى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل عليه حتى أثبت فأوحى اليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحى اليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة فأرسل اليه داود فقال ان الله عز وجل أوحى الى أن أقتلك فقال تقتلني بغير بينة فقال داود نعم والله لانفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل حتى أخبرك اني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك أوخذت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني اسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه (وآتيناه الحكمة) يعني النبوة والاصابة في الامور

عقاب) أي فوجب لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم عذابي وعقابي في الحالين يعقوب (وما ينظر هؤلاء) وما ينتظر أهل مكة ويجوز أن يكون اشارة الى جميع الاحزاب (الا صيحة واحدة) أي النفخة الاولى وهي الفزع الاكبر (مالها من فواق) وبالضم حمزة وعلى اي مالها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب أي اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان وعن ابن عباس رضي الله عنهما مالها من رجوع وترداد من افاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) حظنا من الجنة لانه عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله ويستعجلونك بالعذاب واصل القط القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس (قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون) فيك وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم (واذكر عبدنا داود) وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من عتاب الله ما لقي (ذا الايد) ذا القوة في الدين ومايدل على ان الايد القوة في الدين قوله (انه أواب) اى رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لذي الايد روى انه كان يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل (انا سخرنا) ذللنا (الجبال معه) قيل كان تسخيرها انها تسير معه اذا اراد سيرها الى حيث يريد (يسبحن) في معنى مسبحات على الحال واختار يسبحن على مسبحات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال (بالعشي والاشراق) أي في طرفي النهار والعشي وقت العصر الى الليل والاشراق وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية (والطير محشورة) وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها (كل له أواب) كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اى لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح لتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله اى كل من داود والجبال والطير لله أواب اى مسبح مرجع للتسبيح (وشددنا ملكه) قويناه قيل كان يبيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه (وآتيناه الحكمة) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة (وفصل

(وفصل الخطاب) قال ابن عباس يعنى بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والتبصر بالقضاء وقال علي بن أبي طالب هو ان البينة على المدّعى واليمين على من انكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال أبي بن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وقيل ان فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله تعالى والثناء عليه اما بعد اذا أراد الشروع فى كلام آخر وأوّل من قاله داود عليه الصلاة والسلام قوله عز وجل (وهل أتاك) اى وقد اتاك يا محمد (نبأ الخصم) اى خبر الخصم فاستمع له نقصصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الاخبار العجيبة والتشويق الى استماع كلام الخصماء والخصم يقع على الواحد والجمع (اذ تسوروا المحراب) اى صعدوا وعلوا المحراب اى البيت الذى كان يدخل فيه داود ويشتغل بالطاعة والعبادة والمعنى انهم أتوا المحراب من سوره وهو اعلاه وفى الآية قصة امتحان داود عليه الصلاة والسلام واختلاف العلماء باخبار الانبياء فى سبب ذلك وسأذكر ما قاله المفسرون ثم اتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم لان منصب النبوة اشرف المناصب واعلاها فلا ينسب اليها الا ما يليق بها ٣ واما ما قاله المفسرون ان داود عليه الصلاة والسلام تمنى يوما من الايام منزلة آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب وذلك انه كان قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضى فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه عز وجل ويوم لنسائه واشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحاق ويعقوب فقال يا رب ارى الخير كله قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى فأوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنمرود وذبح ابنه وابتلى اسحاق بالذبح وبذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود عليه الصلاة والسلام رب لو ابتليتنى بمثل ما ابتليتهم صبرت ايضا فأوحى الله عز وجل اليه انك مبتلى فى شهر كذا فى يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم الذى وعده الله به دخل داود محرابه واغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وقد تمثل له فى صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بنى اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصد اخذها طارت غير بعيد من غير ان تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت فى كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود اين تقع فيبعث من يصيدها له فأبصر امرأة فى بستان على شاطئ بركة تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرآها من أجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل هى نشايع بنت شايع امرأة اوريا بن حنانا وزوجها فى غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود الى ابن أخته ان ابعث أوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له ان يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه ان ابعثه الى عدو كذا وكذا اشد منه بأسا فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه ان ابعثه الى عدو كذا وكذا اشد منه بأسا فبعثه فقتل فى المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهى أم سليمان عليه الصلاة والسلام وقيل ان داود احب ان يقتل اوريا فيتزوج امرأته فهذا كان ذنبه وقال ابن مسعود كان ذنب داود انه التمس من الرجل ان ينزل له عن امرأته وقيل كان ذلك مباحا لهم غير ان الله عز وجل لم يرض لداود ذلك لانه رغبة فى الدنيا وازدياد من النساء وقد اغناه الله تعالى عنها بما اعطاه من غيرها وقيل فى سبب امتحان داود انه كان جزأ الدهر اجزاء يوما لنسائه ويوما للعبادة ويوما للحكم بين بنى اسرائيل ويوما يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بنى اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتى على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فأضمر داود فى نفسه انه سيطيق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النساء فأضمر داود فى نفسه انه ان ابتلى اعتصم فلما كان يوم عبادته اغلق عليه الابواب وأمر ان لا يدخل عليه احد وأكب على قراءة التوراة فبينما هو يقرأ اذ دخلت حمامة وذكر نحو ما تقدم

(وفصل الخطاب) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل والفصل هو التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير وفصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه وجاز ان يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذى يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل وهو كلامه فى القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن على رضى الله عنه هو الحكم بالبينة على المدعى واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل وعن الشعبى هو قوله اما بعد وهو اول من قال اما بعد فان من تكلم فى الامر الذى له شأن يفتتح بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد (وهل أتاك نبأ الخصم) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع لانه مصدر فى الاصل تقول خصمه خصما وانتصاب (اذ) بمحذوف تقديره وهل اتاك نبأ تحاكم الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل (تسوروا المحراب) تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع والمحراب الغرفة او المسجد او صدر المسجد

٣ قوله واما ما قاله المفسرون الخ لم يذكر جوابه وقد ذكره صاحب الكشاف فقال بعد ذكر القصة فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء اهـ مصححه

(اذ) بدل من الاولى (دخلوا على داود ففزع منهم) روى ان الله تعالى بعث اليه ملكين فى صورة انسانين فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم دخلوا عليه المحراب فى غير يوم القضاء ولانهم نزلوا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه (قالوا لا تخف خصمان) خبر مبتدا محذوف اى نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) تعدى وظلم (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق (واهدنا الى سواء الصراط) وأرشدنا الى وسط الطريق ومحجته والمراد عين الحق ومحضه روى ان اهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وكان لهم عادة فى المواساة بذلك وكان الانصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة اوريا فأحبها فسأله النزول له عنها فاستحى ان يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك ان تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل ٣٢ خطبها اوريا ثم خطبها داود فآثره اهلها فكانت زلته ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه وما يحكى انه بعث مرة بعد مرة اوريا الى غزوة البلقاء واحب ان يقتل ليتزوجها فلا يليق من المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء وقال على رضى الله عنه من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروى انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما فى كتاب الله فما ينبغى ان يلتمس خلافها واعظم بأن يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغى اظهارها عليه فقال عمر لسماعى هذا الكلام احب الى مما طلعت عليه الشمس والذى يدل عليه المثل الذى ضربه الله بقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المرأة ان ينزل له عنها فحسب وانما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها ابلغ فى التوبيخ من قبل ان التأمل اذا اداه الى الشعور بالمعرض به كان اوقع فى نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا فيه مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة (ان هذا اخى) هو بدل من هذا او خبر لان والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة والخلطة لقوله وان كثيرا من الخلطاء (له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) ولى حفص والنعجة كناية عن المرأة ولما كان هذا تصويرا للمسألة وفرضا لها لا يمتنع ان يفرض الملائكة فى انفسهم كما تقول لى اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين اربعة ولا ربعها اى (فقال أكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلنى أكفلها كما أكفل ما تحت يدى وعن ابن عباس رضى الله عنهما اجعلها كفلى اى نصيبى (وعزنى) وغلبنى يقال عزه يعزه (فى الخطاب) فى الخصومة أى انه كان أقدر على الاحتجاج منى وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا أى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى ووجه التمثيل ان مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع فى نعجة خليطه واراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه فى ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده وانما كان ذلك على وجه التحاكم اليه ليحكم بما حكم به من قوله (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) حتى يكون محجوجا بحكمه وهذا جواب قسم محذوف وفى ذلك استنكار لفعل خليطه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول وقد ضمن معنى الاضافة فعدى تعديتها كأنه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب وانما ظلم الآخر بعد ما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك فى القرآن لانه معلوم ويروى انه قال انا اريد ان آخذها منه واكمل نعاجى مائة فقال داود ان رمت

فلما دخل بالمرأة لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله عز وجل الملكين اليه وقيل ان داود عليه السلام ما زال يجتهد فى العبادة حتى برز له حافظاه من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما استأنس بهم قال اخبرونى بأى شئ انتم موكلون قالوا نكتب صالح اعمالك ونوافقك ونصرف عنك السوء فقال فى نفسه ليت شعرى كيف اكون لو خلونى ونفسى وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فأوحى الله تعالى الى الملكين ان يعتزلاه ليعلم انه لا غنى له عن الله تعالى فلما فقدهم جد واجتهد فى العبادة الى ان ظن انه قد غلب نفسه فأراد الله تعالى ان يعرفه ضعفه فأرسل طائرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل ان داود قال لبنى اسرائيل لاعدلن بينكم ولم يستثن فابتلى وقيل انه اعجبه عمله فابتلى فبعث الله اليه ملكين فى صورة رجلين وذلك فى يوم عبادته فطلبا ان يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فما شعر الا وهما بين يديه جالسان وهو يصلى يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب (اذ دخلوا على داود ففزع منهم) أى خاف منهما حين هجما عليه فى محرابه بغير اذنه فقال لهما من ادخلكما على (قالوا لا تخف خصمان) أى نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) أى تعدى وخرج عن الحد جئناك لتقضى بيننا فان قلت اذا جعلتهما ملكين فكيف يتصور البغى منهما والملائكة لا يبغى بعضهم على بعض قلت هذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغى من أحدهما والمعنى رأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أى لا تجر فى حكمك (واهدنا الى سواء الصراط) أى أرشدنا الى طريق الحق والصواب فقال لهما داود تكلما فقال احدهما (ان هذا اخى) اى على دينى وطريقتى لا من جهة النسب (له تسع وتسعون نعجة) يعنى امرأة (ولى نعجة واحدة) اى امرأة واحدة والعرب تكنى بالنعجة عن المرأة وهذا على سبيل التعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغى (فقال أكفلنيها) قال ابن عباس اى اعطنيها وقيل معناه انزل لى عنها وضمها الى واجعلنى كافلها والمعنى طلقها لاتزوجها (وعزنى فى الخطاب) يعنى غلبنى وقهرنى فى القول لانه أفصح منى فى الكلام وان حارب كان أبطش منى لقوة ملكه والمعنى ان الغلبة كانت له على لضعفى فى يده وان كان الحق معى وهذا كله تمثيل لامر داود مع اوريا زوج المراة التى تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امراة ولاوريا امرأة واحدة فضمها داود الى نسائه (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه)

أي بضمها الى نعاجه فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الآخر قلت معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل انما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول (وان كثيرا من الخلطاء) اى الشركاء (ليبغى بعضهم على بعض) أى يظلم بعضهم بعضا (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يظلمون احدا (وقليل ماهم) أى هم قليل وما صلة والمعنى ان الصالحين الذين لم يظلموا قليل فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما الى صاحبه وضحك وصعد الى السماء فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه فذلك قوله تعالى (وظن داود) أى ايقن وعلم (انما فتناه) أى ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه تحولا فى صورتهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه فعلم داود انه انما عنى به وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبى صلى الله عليه وسلم حين نظر الى المرأة فهم فقطع على بنى اسرائيل أوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدى التابوت لم يرجع حتى يقتل أو يهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث اربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض من جبهته وهو يقول فى سجوده رب زل داود زلة ابعد مما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلق من بعده فجاء جبريل من بعد اربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود ان الرب قادر على ان يغفر لى الذى هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال رب دمى الذى عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك وان شئت لافعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ما شاء الله تعالى ثم نزل جبريل عليه السلام فقال سألت الله يا داود عن الذى ارسلتنى فيه فقال قل لداود ان الله تعالى يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول الله تعالى فان لك فى الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا عن دمك فهذه أقاويل السلف من اهل التفسير فى قصة امتحان داود

فصل فى تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق به وما ينسب اليه اعلم ان من خصه الله تعالى بنبوته واكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق ان ينسب اليه ما لو نسب الى آحاد الناس لاستنكف ان يحدث به عنه فكيف يجوز ان ينسب الى بعض اعلام الانبياء والصفوة الامناء ذلك روى سعيد بن المسيب والحارث الاعور عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الانبياء وقال القاضى عياض لا يجوز ان يلتفت الى ما سطره الاخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شئ من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص عليه الله فى قصة داود وظن داود انما فتناه وليس فى قصة داود واوريا خبر ثابت ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم وهذا هو الذى ينبغى ان يعول عليه من أمر داود وقال الامام فخر الدين حاصل القصة يرجع الى السعى فى قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع فى زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل ان يظن بداود عليه الصلاة والسلام هذا وقال غيره ان الله تعالى اثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل ان يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس فى كلامه لاستهجنه العقلاء ولقالوا أنت فى مدح شخص كيف تجرى ذمه اثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا فى كلامه القديم فان قلت فى الآية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود انما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله واناب وقوله فغفرنا له ذلك قلت ليس فى هذه الالفاظ شئ مما يدل على ذلك وذلك لان مقام النبوة أشرف المقامات وأعلاها فيطالبون بأكمل الاخلاق والاوصاف وأسناها فاذا نزلوا من ذلك الى طبع البشرية

ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا وانت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه (وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء والاصحاب (ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) المستثنى منصوب وهو من الجنس والمستثنى منه بعضهم (وقليل ماهم) ما للابهام وهم مبتدا وقليل خبره (وظن داود) اى علم وايقن وانما استعير له لان الظن الغالب يدانى العلم (انما فتناه)

عاقبهم الله تعالى على ذلك وغيره لهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين فان قلت فعلى هذا القول
والاحتمال فما معنى الامتحان فى الآية قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم فى هذه
القصة الى ان داود عليه السلام ما زاد على ان قال للرجل انزل لى عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله تعالى
على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وقيل ان داود تمنى ان تكون امرأة أوريا له فاتفق أن
أوريا هلك فى الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امرأته فعاتبه
الله تعالى على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله تعالى وقيل أن أوريا كان
قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب فى غزاته خطبها داود فزوجت نفسها منه لجلالته
فاغتم لذلك أوريا فعاتبه الله تعالى حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة
ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزنى فى الخطاب فدل هذا على ان الكلام كان بينهما فى الخطبة
ولم يكن قد تقدم تزوج أوريا لها فعوتب داود بسببين احدهما خطبته على خطبة اخيه والثانى
اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب داود الذى استغفر منه ليس هو بسبب
اوريا والمرأة وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع كلام الآخر وقيل هو قوله لاحد
الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان
هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه الصلاة
والسلام مما نسب اليه والله أعلم وقوله عز وجل (فاستغفر ربه) أى سأل ربه الغفران (وخر
راكعا) أى ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل معناه وخر
ساجدا بعدما كان راكعا والله تعالى اعلم بمراده فصل اختلف العلماء فى سجدة ص هل هى
من عزائم السجود فذهب الشافعى رحمه الله الى انها ليست من عزائم سجود التلاوة قال لانها توبة نبى
فلا توجب سجدة التلاوة وقال أبو حنيفة هى من عزائم سجود التلاوة واستدل بهذه الآية على ان
الركوع يقوم مقام السجود فى سجود التلاوة وعن أحمد فى سجدة ص روايتان وقد ثبت ان النبى صلى
الله عليه وسلم سجد فيها (خ) عن ابن عباس قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبى
صلى الله عليه وسلم سجد فيها (خ) قال مجاهد قلت لابن عباس اسجد فى ص فقرأ ومن ذريته داود وسليمان
حتى أتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم أمر ان يقتدى بهم فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وللنسائى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فى ص وقال سجدها داود توبة فنسجدها
شكرا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على
المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان فى يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشوف
الناس لسجوده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هى توبة نبى ولكنى رأيتكم تشوفتم فنزل وسجد
وسجدوا أخرجه أبو داود وقوله تشوف الناس يعنى تهيؤا وتأهبوا واستعدوا للسجود وعن ابن عباس
قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رأيتنى الليلة وأنا نائم كأنى أصلى خلف
شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودى فسمعتها تقول اللهم اكتب لى بها أجرا وحط عنى بها وزرا
واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سجدة ثم سجد فقال مثل ما اخبره الرجل عن قول الشجرة أخرجه
الترمذى قال المفسرون سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة ولوقت صلاة مكتوبة ثم يعود
ساجدا تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه عز
وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه فى سجوده سبحان الملك الاعظم الذى يبتلى الخلق بما يشاء سبحان
خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور الهى خليت بينى وبين عدوى ابليس فلم أقم
لفتنته اذ نزلت بى سبحان خالق النور الهى أنت خلقتنى وكان فى سابق علمك ما انا اليه صائر سبحان خالق

النور

> ابتلاه (فاستغفر ربه) لذنبه (وخر راكعا)
> اى سقط على وجهه ساجدا لله وفيه دليل على
> ان الركوع يقوم مقام السجود فى الصلاة اذا
> نوى لان المراد مجرد ما يصلح تواضعا عند هذه
> التلاوة والركوع فى الصلاة يعمل هذا العمل
> بخلاف الركوع فى غير الصلاة

النورالهى الويل لداود يوم يكشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور الهى بأى عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفى سبحان خالق النور الهى بأى قدم اقوم امامك يوم القيامة يوم تزل اقدام الخاطئين سبحان خالق النور الهى من أين يطلب العبد المغفرة الا من عند سيده سبحان خالق النور الهى أنا لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهى أنا لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهى الويل لداود من الذنب العظيم الذى أصابه سبحان خالق النور الهى كيف تستتر الخطاؤن بخطاياهم دونك وانت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور الهى قد تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى سبحان خالق النور الهى اغفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى سبحان خالق النور الهى أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبى التى أوبقتنى سبحان خالق النور الهى فررت اليك بذنوبى واعترفت بخطيئتى فلا تجعلنى من القانطين ولا تخزنى يوم الدين سبحان خالق النور وقيل مكث داود أربعين يوما لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى راسه فنودى يا داود أجائع انت فتطعم أظمآن انت فتسقى امظلوم انت فتنصر فأجيب فى غير ما طلب ولم يجب فى ذكر خطيئته بشئ فحزن حتى هاج ما حوله من العشب فاحترق من حر جوفه ثم انزل الله تعالى له التوبة والمغفرة قال وهب ان داود أتاه نداء انى قد غفرت لك قال يارب كيف وانت لا تظلم احدا قال اذهب الى قبر اوريا فناده وانا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى يا أوريا فقال من هذا الذى قطع على لذتى وايقظنى قال أنا داود قال ما جاءبك يا نبى الله قال أسألك ان تجعلنى فى حل مما كان منى اليك قال وما كان منك الى قال عرضتك للقتل قال بل عرضتنى للجنة فأنت فى حل فأوحى الله تعالى اليه يا داود ألم تعلم انى حكم عدل لا أقضى بالتعنت الا أعلمته انك قد تزوجت امرأته قال فرجع فناداه فأجابه فقال من هذا الذى قطع على لذتى وايقظنى قال أنا داود قال ما جاءبك يا نبى الله أليس قد عفوت عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعاه مرة فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود اذا وضعت الموازين بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور فأتاه نداء من السماء يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك واقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبى لم يعف عنى قال يا داود اعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه فأقول له رضيت عبدى فيقول يارب من اين لى هذا ولم يبلغه عملى فأقول هذا عوض من عبدى داود فاستوهبك منه فيهبك لى قال يارب الآن قد عرفت انك قد غفرت لى فذلك قوله فاستغفر ربه وخر راكعا (وأناب) أى رجع (فغفرنا له ذلك) أى الذنب (وان له عندنا) أى يوم القيامة بعد المغفرة (لزلفى) أى لقربة ومكانة (وحسن مآب) أى حسن مرجع ومنقلب قال وهب بن منبه ان داود عليه الصلاة والسلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان اصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على اربعة ايام يوم للقضاء بين بنى اسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسيح فى الجبال والفيافى والسواحل ويوم يخلو فى دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافى ويرفع صوته بالمزامير فيبكى وتبكى الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجئ الى الجبال ويرفع صوته ويبكى وتبكى معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل من بكائهم الاودية ثم يجئ الى الساحل فيرفع صوته ويبكى فتبكى معه الحيتان ودواب البحر وطين الماء فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التى فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح

(وأناب) ورجع الى الله بالتوبة وقيل انه بقى ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة او ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع (فغفرنا له ذلك) أى زلته (وان له عندنا لزلفى) لقربة (وحسن مآب) مرجع وهو الجنة

(ياداودانا جعلناك خليفة فى الارض) أى استخلفناك على الملك فى الارض اوجعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على
ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فاحكم بين الناس بالحق) اى بحكم الله اذ كنت خليفته او بالعدل (ولا تتبع الهوى) أى هوى
النفس فى قضائك (فيضلك) الهوى (عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله) دينه (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بنسيانهم يوم الحساب
(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما) من الخلق (باطلا) خلقا باطلا لا لحكمة بالغة او مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
٣٦ أى ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو انا خلقنا نفوسا اودعناها العقل
وتقديره ذوى باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه
ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها
للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها عاقبة
وجزاء على حسب اعمالهم (ذلك) اشارة الى خلقها
باطلا (ظن الذين كفروا) الظن بمعنى المظنون
أى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين
كفروا وانما جعلوا ظانين انه خلقها للعبث
لا للحكمة مع اقرارهم بانه خالق السموات
والارض وما بينهما لقوله ولئن سألتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله لانه لما كان
انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب
مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم
يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذى سبقت
اليه الحكمة فى خلق العالم فمن جحده فقد جحد
الحكمة فى خلق العالم (فويل للذين كفروا من
النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار)
ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار
والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت
احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى
بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما (كتاب) أى
هذا كتاب (انزلناه اليك) يعنى القرآن (مبارك)
صفة أخرى (ليدبروا آياته) واصله ليتدبروا
قرئ به ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه
ويعملوا به وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد
وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه
وضيعوا حدوده لتدبروا على الخطاب بحذف
احدى التائين بزيد (وليتذكر اولوا الالباب)
وليتعظ بالقرآن اولوا العقول (ووهبنا لداود
سليمان نعم العبد) أى سليمان وقيل داود وليس
بالوجه فالمخصوص بالمدح محذوف (انه أواب)
وعلل كونه ممدوحا بكونه أوابا أى كثير الرجوع
الى الله تعالى (اذ عرض عليه) على سليمان (بالعشى) بعد الظهر (الصافنات) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الاخرى على
طرف حافر (الجياد) السراع جمع جواد لانه يجود بالركض وصفها بالصفون لانه لا يكون فى الهجان وانما هو فى العراب وقيل وصفها بالصفون والجودة
ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعنى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها وقيل الجياد الطوال
الاعناق من الجيد وروى ان سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فاصاب ألف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها أبوه من العمالقة وقيل
خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وكانت
فرضا عليه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله فبقى مائة فما فى أيدى الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله خيرا منها وهى الريح تجرى

حشوها ليف فيجلس عليها ويجئ أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفى أيديهم العصى فيجلسون فى
تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه الصلاة والسلام صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه
أصواتهم فلا يزال يبكى حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجئ ابنه
سليمان فيحمله ويأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر ما ترى فلو عادل
بكاء داود بكاء أهل الدنيا لعدله وعن الاوزاعى مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل عينى
داود عليه الصلاة والسلام كالقربتين ينطفان ماء ولقد خدت الدموع فى وجهه كخديد الماء فى الارض
وقال وهب لما تاب الله تعالى على داود قال يارب غفرت لى فكيف لى ان لا أنسى خطيئتى فأستغفر منها
وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله تعالى خطيئته فى يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى
اذا رآها وما قام خطيبا فى الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا
دعا واستغفر بالخاطئين قبل نفسه وعن الحسن قال كان داود عليه السلام بعد الخطيئة لا يجالس
الا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل
خبز الشعير اليابس فى قصعة فلا يزال يبكى عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد
فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود عليه الصلاة والسلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل
ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان
داود اذا ذكر عقاب الله انخلعت أوصاله واذا ذكر رحمة الله تراجعت وقيل ان الوحوش والطير
كانت تستمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغى الى قراءته وقيل انها قالت يا داود ذهبت
خطيئتك بحلاوة صوتك قوله عز وجل (ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض) أى لتدبر أمر الناس بامر
نافذ الحكم فيهم (فاحكم بين الناس بالحق) أى بالعدل (ولا تتبع الهوى) أى لا تمل مع ما تشتهى اذا
خالف أمر الله تعالى (فيضلك عن سبيل الله) أى عن دين الله وطريقه (ان الذين يضلون عن سبيل
الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) اى بما تركوا الايمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل
لذلك اليوم وقيل بترك العدل فى القضاء قوله تعالى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) قال
ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب وقيل معناه ما خلقناهما عبثا الا لشئ (ذلك ظن الذين كفروا) يعنى اهل
مكة هم الذين ظنوا انما خلقناهم لغير شئ وانه لا بعث ولا حساب (فويل للذين كفروا من النار أم
نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض) قيل ان كفار قريش قالوا للمؤمنين انما
نعطى فى الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الآية (أم نجعل المتقين) يعنى الذين اتقوا الشرك
وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (كالفجار) يعنى الكفار والمعنى لا نجعل الفريقين سواء فى
الآخرة (كتاب انزلناه اليك) أى هذا كتاب يعنى القرآن انزلناه اليك (مبارك) اى كثير خيره
ونفعه (ليدبروا آياته) اى ليتدبروا ويتفكروا فى اسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه
فى اوامره ونواهيه (وليتذكر) اى وليتعظ (أولوا الالباب) اى ذوو العقول والبصائر قوله تعالى (ووهبنا
لداود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) قيل ان سليمان عليه الصلاة
والسلام

والسلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم ما اصاب وهو الف فرس وقيل ورثها من ابيه وقيل انها كانت خيلا من البحر لها اجنحة فصلى سليمان عليه الصلاة والسلام الصلاة الاولى التي هي الظهر وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة فرس فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فاقبل فضرب سوقها واعناقها بالسيف تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا وبقي منها مائة فرس فالذي في ايدي الناس من الخيل يقال انه من نسل تلك المائة فلما عقرها الله تعالى ابدله الله تعالى خيرا منها واسرع وهي الريح تجري بأمره كيف شاء وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم مقيمة الرابعة على طرف الحافر من رجل اويد وقيل الصافن القائم وجاء في الحديث من سره ان يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من النار اي قياما الجياد اي الخيار السراع في الجري واحده جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق (فقال اني احببت حب الخير) اي آثرت حب الخير واراد بالخير الخيل سميت به لانه معقود في نواصيها الخير الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعني المال ومنه الخيل التي عرضت عليه (عن ذكر ربي) يعني صلاة العصر (حتى توارت) اي استترت الشمس (بالحجاب) اي ما يحجبها عن الابصار يقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (ردوها على) اي ردوا الخيل على (فطفق مسحا بالسوق) جمع ساق (والاعناق) اي جعل يضرب سوقها واعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وكان ذلك مباحا لان نبي الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن ليتوب عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب آخر وهو عقر الخيل وقال محمد بن اسحاق لم يعنفه الله تعالى على عقره الخيل اذ كان ذلك اسفا على ما فاته من فريضة ربه عز وجل وقيل انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه انه حبسها في سبيل الله تعالى وكوى سوقها واعناقها بكي الصدقة وحكى عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال معنى قوله ردوها على يقول بأمر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردوها على فردوها عليه فصلى العصر في وقتها قال الامام فخر الدين بل التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما أنه كذلك في ديننا ثم ان سليمان عليه الصلاة والسلام احتاج الى غزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر اني لا احبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما احبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربي ثم انه عليه الصلاة والسلام أمر باعدائها واجرائها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل اليه وهو قوله ردوها على فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها والغرض من ذلك المسح أمور الاول تشريفا لها لكونها من أعظم الاعوان في دفع العدو الثاني انه اراد ان يظهر انه في ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى انه يباشر الامور بنفسه الثالث انه كان أعلم بأحوال الخيل وامراضها وعيوبها من غيره فكان يمسح سوقها واعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزمنا شيء من تلك المنكرات والمحظورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان قيل فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه فنقول لنا ههنا مقامان المقام الاول ان يدعى ان لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي ذكروها وقد ظهر والحمد لله ان الامر كما ذكرنا ظهورا لا يرتاب عاقل فيه المقام الثاني ان يقال هب ان لفظ الآية يدل عليه الا انه كلام ذكره الناس وان الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الانبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات قوله عز وجل (ولقد فتنا سليمان) أي اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ما ذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله تعالى قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على

بامره (فقال اني احببت حب الخير عن ذكر
ربي) اي آثرت حب الخيل على ذكر ربي كذا
عن الزجاج فاحببت بمعنى آثرت كقوله تعالى
فاستحبوا العمى على الهدى وعن بمعنى على وسمي
الخيل خيرا كانها نفس الخير لتعلق الخير بها
كما قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير
الى يوم القيامة وقال ابو علي احببت بمعنى
جلست من احباب البعير وهو بروكه حب الخير
اي المال مفعول له مضاف الى المفعول (حتى
توارت) الشمس (بالحجاب) والذي دل على
ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للضمير
من جري ذكر او دليل ذكر والضمير للصافنات
اي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام
(ردوها على) اي قال للملائكة ردوا الشمس
على لاصلي العصر فردت الشمس له وصلى
العصر او ردوا الصافنات (فطفق مسحا
بالسوق والاعناق) فجعل يمسح مسحا اي يمسح
السيف بسوقها وهي جمع ساق كدار ودور
واعناقها يعني يقطعها لانها منعته عن الصلاة
تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر
الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه وقيل انما فعل
ذلك كفارة لها وشكرا لرد الشمس وكانت الخيل
ماكولة في شريعته فلم يكن اتلافا وقيل
مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها (ولقد
فتنا سليمان) ابتليناه

ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها واصاب فيما اصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على جفاء منها وقلة فقه واحبها حبا لم يحبه شيئا من نسائه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ قالت انى أذكر أبى واذكر ملكه وما كان فيه وما اصابه فيحزننى ذلك فقال سليمان فقد ابدلك الله به ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا اعظم من سلطانه وهداك الى الاسلام وهو خير من ذلك قالت ان ذلك كذلك ولكنى اذا ذكرته أصابنى ما تراه من الحزن فلو انك أمرت الشياطين فصوروا لى صورته فى دارى التى أنا فيها اراها بكرة وعشيا لرجوت ان يذهب ذلك حزنى وأن يسلينى بعض ما أجد فى نفسى فأمر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى لا تنكر منه شيئا فمثلوه لها حتى نظرت الى ابيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فالبسته ثيابا مثل ثيابه التى كان يلبسها ثم كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه فى ولائدها فتسجد له ويسجدن معها كما كانت تصنع فى ملكه وتروح فى كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشئ من ذلك أربعين صباحا وبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا له وكان لا يرد عن أبواب سليمان أى ساعة اراد دخول شئ من بيوته دخل حاضرا سليمان او غائبا فأتاه فقال يا نبى الله كبرسنى ورق عظمى ونفد عمرى وقد حان منى الذهاب وقد احببت ان اقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى واثنى عليهم بعلمى فيهم واعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير امرهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من انبياء الله تعالى واثنى على كل نبى بما فيه وذكر ما فضله الله تعالى به حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان احكمك فى صغرك واورعك فى صغرك وافضلك فى صغرك واحكم أمرك فى صغرك وأبعدك عن كل ما يكره الله تعالى فى صغرك ثم انصرف فوجد سليمان فى نفسه من ذلك حتى ملئ غضبا فلما دخل سليمان داره دعاه فقال يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فاثنيت عليهم خيرا فى كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم فلما ذكرتنى جعلت تثنى على خيرا فى صغرى وسكت عما سوى ذلك من أمرى فى كبرى فما الذى احدثت فى آخر عمرى فقال آصف ان غير الله يعبد فى دارك منذ أربعين صباحا فى هوى امرأة فقال سليمان فى دارى قال فى دارك قال فانا لله وانا اليه راجعون قد عرفت انك ما قلت الذى قلت الا عن شئ بلغك ثم رجع سليمان الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الطهيرة فأتى بها وهى ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا ينسجها الا الابكار ولا يغسلها الا الابكار لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش له ثم اقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به فى ثيابه تذللا الى الله تعالى وتضرعا اليه يبكى ويدعو ويستغفر مما كان فى داره فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ثم رجع الى داره وكانت له ام ولد يقال لها امينة كان اذا دخل الخلاء او اراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه فى خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه فأتاها شيطان اسمه صخر المارد فى صورة سليمان لا تنكر منه شيئا فقال خاتمى يا امينة فناولته اياه فجعله فى يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فأتى امينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال يا امينة خاتمى قالت من أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان خطيئته قد ادركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بنى اسرائيل فيقول انا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا الى هذا المجنون أى شئ يقول يزعم انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى سمكتيه بأرغفة ويشوى الاخرى

فيأكلها

فما كلها فمكث على ذلك أربعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن فى داره ثم ان آصف وعظماء بنى اسرائيل أنكروا حكم عدو الله الشيطان فى تلك المدة فقال آصف يا معشر بنى اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم قالوا نعم فقال امهلونى حتى ادخل على نسائه فأسألهن هل انكرن من خاصة امره ما انكرنا فى عامة الناس وعلانيتهم فدخل على نسائه فقال ويحكن هل انكرتن من ابن داود ما انكرنا فقلن اشدّ ما يدع امرأة منا فى دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون قال الحسن ما كان الله سبحانه وتعالى ليسلط الشيطان على نسائه نبيه صلى الله عليه وسلم قال وهب ثم ان آصف خرج على بنى اسرائيل فقال ما فى الخاصة اشدّ مما فى العامة فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فأخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما أمسى اعطاه سمكتيه فباع سليمان احداهما بأرغفة وبقر بطن الاخرى ليشويها فاستقبله خاتمه فى جوفها فأخذه وجعله فى يده ووقع لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن واقبل الناس عليه وعرف الذى كان دخل عليه لما كان احدث فى داره فرجع الى ملكه واظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين ان يأتوه بصخر فطلبوه حتى أخذوه فأتى به فأدخله فى جوف صخرة وسد عليه بأخرى ثم اوثقهما بالحديد والرصاص ثم امر به فقذفوه فى البحر وقيل فى سبب فتنة سليمان عليه الصلاة والسلام ان جرادة كانت ابر نسائه عنده وكان يأتمنها على خاتمه فقالت له يوما ان أخى بينه وبين فلان خصومة فأحب ان تقضى له فقال نعم ولم يفعل فابتلى بقوله نعم وذكروا نحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده فاعاده فى يده فسقط وكان فيه ملكه فأيقن سليمان بالفتنة فأتاه آصف فقال انك مفتون بذلك والخاتم لا يتماسك فى يدك ففر الى الله تعالى تائبا فانى اقوم مقامك واسير بسيرتك الى ان يتوب الله عليك ففر سليمان الى الله تعالى تائبا واعطى آصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت فى يده فأقام آصف فى ملك سليمان بسيرته أربعة عشر يوما الى ان رد الله تعالى على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره واعاد الخاتم فى يده فثبت فهو الجسد الذى القى على كرسيه وروى عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله تعالى اليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر فى امور عبادى فابتلاه الله تعالى وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم واخذ الشيطان اياه قال القاضى عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه فى امته بالجور فى حكمه وان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الانبياء من مثل هذا والذى ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ما أخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا اجمعون وفى رواية لاطوفن بمائة امرأة فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسى قال العلماء والشق هو الجسد الذى القى على كرسيه وهى عقوبته ومحنته لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمنى وقيل نسى ان يستثنى كما صح فى الحديث لينفذ أمر الله ومراده فيه وقيل ان المراد بالجسد الذى القى على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده او نخبله فعلم بذلك سليمان فأمر السحاب فحمله فكان يربيه فى السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل فى بعض مهماته اذ القى ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه فى ذلك فتنبه لخطائه فاستغفر ربه فذلك قوله عز وجل (وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) اى رجع الى ملكه بعد الاربعين يوما وقيل اناب الى الاستغفار وهو قوله (قال رب اغفر لى) اى سأل ربه المغفرة (وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) اى لا يكون لاحد من بعدى وقيل

(والقينا على كرسيه) سرير ملكه (جسدا ثم أناب) رجع الى الله قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك سليمان عليه السلام وكان يغذوه فى السحابة خوفا من مضرة الشياطين فالقى ولده ميتا على كرسيه تنبيه على زلته فى ان لم يتوكل فيه على ربه وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجيء به على كرسيه فوضع فى حجره فوالذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا اجمعون واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان عليه السلام فمن اباطيل اليهود (قال رب اغفر لى وهب لى ملكا) قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء عليهم السلام والصالحين فى تقديم الاستغفار على السؤال (لا ينبغى) لا يتسهل ولا يكون (لاحد من بعدى) اى دونى وبفتح الياء مدنى وابو عمرو وانما سأل بهذه الصفة ليكون معجزة له لا حسدا وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح والشياطين فلما دعا بذلك سخرت له الريح والشياطين ولم يكن معجزة حتى يخرق العادات

(انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح) الرياح أبو جعفر (تجرى) حال من الريح (بأمره) بامر سليمان (رخاء) لينة طيبة لا تزعزع وهو حال من ضمير تجرى (حيث) ظرف تجرى (أصاب) قصد واراد والعرب تقول اصاب الصواب فأخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح اى سخرنا له الشياطين (كل بناء) بدل من الشياطين كانوا يبنون له ماشاء من الابنية (وغواص) اى ويغوصون له فى البحر لاخراج اللؤلؤ وهو أوّل من استخرج اللؤلؤ من البحر والمعنى وسخرنا له كل بناء وغواص من الشياطين (وآخرين) عطف على كل بناء داخل فى حكم البدل (مقرنين فى الاصفاد) وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض فى القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد والصفد القيد وسمى به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول على رضى الله عنه من برك

فقد أسرك ومن جفاك فقد اطلقك (هذا) الذى اعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا فامنن) فاعط منه ماشئت من المنة وهى العطاء (أوأمسك) عن العطاء وكان اذا اعطى اجر وان منع لم يأثم بخلاف غيره (بغير حساب) متعلق بعطاؤنا وقيل هو حال أى هذا عطاؤنا جما كثيرا لا يكاد يقدر على حصره اوهذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق اوأمسك من شئت منهم فى الوثاق بغير حساب اى لا حساب عليك فى ذلك (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) لزلفى اسم ان والخبر له والعامل فى عندنا الخبر (واذ كرعبدنا أيوب) هو بدل من عبدنا اوعطف بيان (اذ) بدل اشتمال منه (نادى ربه) دعاه (انى مسنى) بأنى مسنى حكاية لكلامه الذى ناداه بسببه ولولم يحك لقال بأنه مسه لانه غائب (الشيطان بنصب) قراءة العامة بنصب يزيد تثقيل نصب بنصب كرشد و رشد يعقوب بنصب على أصل المصدر هبيرة والمعنى واحد وهو التعب والمشقة (وعذاب) الم يريد مرضه وما كان يقاسى فيه من أنواع الوصب وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه فى مرضه من تعظيم مانزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله فى ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق فى دفعه ورده بالصبر الجميل وروى انه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلى الانبياء والصالحين وذكر فى سبب بلائه انه ذبح شاة فأكلها وجاره جائع اورأى منكرا فسكت عنه او ابتلاه الله لرفع الدرجات بلازلة سبقت منه (اركض برجلك) حكاية ما اجيب به ايوب عليه السلام أى ارسلنا اليه جبريل عليه السلام فقال له اركض برجلك اى اضرب برجلك ولا الارض وهى ارض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب) اى هذا ما تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله تعالى (ووهبنا له اهله ومثلهم معهم) قيل احياهم الله تعالى باعيانهم وزاده مثلهم (رحمة منا وذكرى لأولى الالباب) مفعول لهما اى الهبة كانت للرحمة له ولتذكيرأولى الالباب لانهم اذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم فى الصبر على البلاء (وخذ) معطوف على اركض (بيدك ضغثا) حزمة صغيرة من حشيش اوريحان اوغيرذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر (فاضرب به

لا تسلبنه فى باقى عمرى وتعطيه غيرى كما سلبته منى فيما مضى من عمرى (انك أنت الوهاب) فان قلت قول سليمان لا ينبغى لاحد من بعدى مشعر بالحسد والحرص على الدنيا قلت لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا ولا نفاسة بها ولكن كان قصده فى ذلك أن لا يسلط عليه الشيطان مرة اخرى وهذا على قول من قال ان الشيطان استولى على ملكه وقيل سأل ذلك ليكون علما وآية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودلالة على قبول توبته حيث اجاب الله تعالى دعاءه ورد ملكه اليه وزاده فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكنه احب ان يخص بخاصية كما خص داود بالانة الحديد وعيسى باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فسأل شيئا يختص به كما روى فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على صلاتى فأمكننى الله منه فأخذته فأردت ان اربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخى سليمان رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى فرددته خاسئا قوله تعالى (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء) أى لينة ليست بعاصفة (حيث اصاب) اى حيث اراد (والشياطين) اى وسخرنا له الشياطين (كل بناء) اى يبنون له ما يشاء (وغواص) يعنى يستخرجون له اللآلئ من البحر وهو أوّل من استخرج اللؤلؤ من البحر (وآخرين) اى وسخرنا له آخرين وهم مردة الشياطين (مقرنين فى الاصفاد) اى مشدودين فى القيود وسخروا له حتى قرنهم فى الاصفاد (هذا عطاؤنا) اى قلنا له هذا عطاؤنا (فامنن) اى احسن الى من شئت (أوأمسك) اى عمن شئت (بغير حساب) اى لا حرج عليك فيما اعطيت ولا فيما امسكت قال الحسن ما أنعم الله تعالى على أحد نعمة الا عليه تبعة الا سليمان فانه ان اعطى أجر وان لم يعط لم تكن عليه تبعة وقيل هذا فى أمر الشياطين يعنى هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم فخل عنه وأمسك اى احبس من شئت منهم فى العمل وقيل فى الوثاق لا تبعة عليك فيما تتعاطاه (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) لما ذكر الله تعالى ما انعم به عليه فى الدنيا اتبعه بما انعم به عليه فى الآخرة قوله عز وجل (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه انى مسنى الشيطان بنصب) اى بمشقة (وعذاب) أى ضر وذلك فى المال والجسد وقد تقدمت قصة ايوب (اركض) يعنى انه لما انقضت مدة ابتلائه قيل له اركض اى اضرب (برجلك) يعنى الارض ففعل فنبعت عين ماء عذب (هذا مغتسل بارد) أمره ان يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض برجله الارض مرة اخرى فنبعت عين ماء عذب اخرى فشرب منه فذهب كل داء كان فى باطنه فذلك قوله عز وجل (وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا) اى انما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على اللزوم (وذكرى لأولى الالباب) يعنى سلطنا البلاء عليه فصبر ثم ازلناه عنه وكشفنا ضره فشكر فهو موعظة لذوى العقول والبصائر (وخذ بيدك ضغثا) اى ملء كفك من حشيش اوعيدان اوريحان (فاضرب به

ولاتحنث) وكان قد حلف ان يضرب امرأته مائة سوط فشكر الله حسن صبرها معه فأفتاه فى ضربها وسهل له الامر وأمره بأن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة ففعل ولم يحنث فى يمينه وهل ذلك لايوب خاصة ام لا فيه قولان أحدهما انه عام وبه قال ابن عباس وعطاء بن أبى رباح والثانى انه خاص بأيوب قاله مجاهد واختلف الفقهاء فيمن حلف ان يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة فقال مالك والليث بن سعد وأحمد لا يبر وقال ابو حنيفة والشافعى اذا ضربه ضربة واحدة فأصاب كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية (انا وجدناه صابرا) أى على البلاء الذى ابتليناه به (نعم العبد انه أواب) قوله تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب) أى اذكر صبرهم فابراهيم التى فى النار فصبر واسحاق واضجع للذبح فى قول فصبر ويعقوب ابتلى بفقد ولده وذهاب بصره فصبر (أولى الايدى) قال ابن عباس اولى القوة فى طاعة الله تعالى (والابصار) أى فى المعرفة بالله تعالى وقيل المراد باليد اكثر الاعمال وبالبصر أقوى الادراكات فعبر بهما عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وللانسان قوتان عالمية وعاملية واشرف ما يصدر عن القوة العالمية معرفة الله تعالى واشرف ما يصدر عن القوة العاملية طاعته وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالايدى والابصار (انا اخلصناهم) اى اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين (بخالصة ذكرى الدار) قيل معناه اخلصناهم بذكرى الآخرة فليس لهم ذكرى غيرها وقيل نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكراها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكراها وقيل كانوا يدعون الى الآخرة والى الله تعالى وقيل اخلصوا بخوف الآخرة وهو الخوف الدائم فى القلب وقيل اخلصناهم بأفضل ما فى الآخرة (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) يعنى من الذين اختارهم الله تعالى واتخذهم صفوة وصفاهم من الادناس والاكدار (واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل) أى اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم (وكل من الاخيار) قوله عز وجل (هذا ذكر) أى الذى يتلى عليكم ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون به (وان للمتقين لحسن مآب) أى حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه فى الآخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى (جنات عدن مفتحة لهم الابواب) قيل تفتح أبوابها لهم بغير فتح لها بيد بل بالامر يقال لها انفتحى انغلقى (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب)

ولاتحنث) وكان حلف فى مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برأ فحلل الله يمينه بأهون شئ عليه وعليها لحسن خدمتها اياه وهذه الرخصة باقية ويجب ان يصيب المضروب كل واحدة من المائة والسبب فى يمينه انها ابطأت عليه ذاهبة فى حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب عليه السلام اذا قام (انا وجدناه) علمناه (صابرا) على البلاء نعم قد شكى الى الله مابه واسترحمه لكن الشكوى الى الله لا تسمى جزعا فقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثى وحزنى الى الله على انه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم انه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان (نعم العبد) ايوب (انه أواب واذكر عبادنا) عبدنا مكى (ابراهيم واسحاق ويعقوب) فمن جمع فابراهيم ومن بعده عطف بيان على عبادنا ومن وحد فابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا ولما كانت أكثر الاعمال تباشر بالايدى غلبت فقيل فى كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالايدى او كان العمال جذما لا ايدى لهم وعلى هذا ورد قوله (أولى الأيدى والابصار) اى اولى الاعمال الظاهرة والفكر الباطنة كان الذين لا يعملون ٤١ اعمال الآخرة ولا يجاهدون فى الله ولا يتفكرون افكار ذوى الديانات فى حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبى العقول الذين لا استبصار لهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين فى دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما (انا أخلصناهم) جعلناهم لنا خالصين (بخالصة) بخصلة خالصة لا شوب فيها (ذكرى الدار) ذكرى فى محل النصب اوالرفع باضمار اعنى اوهى اوالجر على البدل من خالصة والمعنى انا اخلصناهم بذكرى الدار والدار هنا الدار الآخرة يعنى جعلناهم لنا خالصين بأن جعلناهم يذكرون الناس لدار الآخرة ويزهدونهم فى الدنيا كما هو ديدن الانبياء عليهم السلام اومعناه انهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع الى الله وينسون ذكر الدنيا بخالصة ذكرى الدار على الاضافة مدنى ونافع وهى من اضافة الشئ الى ما يبينه لان الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى وذكرى مصدر مضاف الى المفعول أى باخلاصهم ذكرى الدار وقيل خالصة بمعنى خلوص فهى مضافة الى الفاعل أى بأن خلصت لهم ذكرى الدار على انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا وهذا شئ قد اخلصهم به فليس

١١ ع

يذكر غيرهم فى الدنيا بمثل ما يذكرون به يقويه قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا (وانهم عندنا لمن المصطفين) المختارين من بين ابناء جنسهم (الاخيار) جمع خير او خير على التخفيف كاموات فى جمع ميت اوميت (واذكر اسماعيل واليسع) كان حرف التعريف دخل على يسع (وذا الكفل وكل) التنوين عوض عن المضاف اليه اى وكلهم (من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب) اى هذا شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا وان لهم مع ذلك لحسن مرجع يعنى يذكرون فى الدنيا بالجميل ويرجعون فى الآخرة الى مغفرة رب جليل ثم بين كيفية حسن ذلك المرجع فقال (جنات عدن) بدل من حسن مآب (مفتحة) حال من جنات لانها معرفة لاضافتها الى عدن وهو علم والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل (لهم الابواب) ارتفاع الابواب بأنها فاعل مفتحة والعائد محذوف اى مفتحة لهم الابواب منها فحذف كما حذف فى قوله فان الجحيم هى المأوى اى لهم أو ابوابها الا ان الاول اجود اوهى بدل من الضمير فى مفتحة وهو ضمير الجنات تقديره مفتحة هى الابواب وهو من بدل الاشتمال (متكئين) حال من المجرور فى لهم والعامل مفتحة (فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) اى وشراب كثير فحذف اكتفاء بالاول (وعندهم قاصرات الطرف) اى قصرن طرفهن على أزواجهن (أتراب) لدات اسنانهن كاسنانهم لان التحاب بين الاقران اثبت كأن اللدات سمين اترابا لان التراب مسهن فى وقت واحد

(هذا ما توعدون) وبالياء مكى وابو عمرو (ليوم الحساب) اى ليوم تجزى كل نفس بما عملت (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) من انقطاع والجملة حال من الرزق
والعامل الاشارة (هذا) خبر والمبتدأ محذوف أى الامر هذا او هذا كما ذكر (وان للطاغين لشر مآب) مرجع (جهنم) بدل منه (يصلونها) يدخلونها
(فبئس المهاد) شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذى يفترشه النائم (هذا فليذوقوه حميم وغساق) اى هذا حميم وغساق فليذوقوه فهذا مبتدأ وحميم خبره
وغساق عطف على الخبر وفليذوقوه اعتراض او العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق بالتشديد حمزة وعلى وحفص والغساق بالتشديد
والتخفيف ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده (وآخر) أى وعذاب آخر
اومذوق آخر (من شكله) من مثل العذاب ٤٢ المذكور وأخر بصرى اى ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق فى الشدة والفظاعة (أزواج) صفة لآخر

لانه يجوز ان يكون ضروبا (هذا فوج مقتحم معكم)
هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اى دخل النار
فى صحبتكم والاقتحام الدخول فى الشئ بشدة
والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين
بعضهم مع بعض اى يقولون هذا والمراد بالفوج
اتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون
معهم العذاب (لا مرحبا بهم) دعاء منهم على
اتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا أى اتيت
رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا
ثم تدخل عليه لا فى دعاء السوء وبهم بيان للمدعو
عليهم (انهم صالوا النار) أى داخلوها وهو
تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم وقيل هذا فوج
مقتحم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى اتباعهم
ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل
هذا كله كلام الخزنة (قالوا) أى الاتباع (بل
أنتم لا مرحبا بكم) أى الدعاء الذى دعوتم به
علينا أنتم احق به وعللوا ذلك بقوله (أنتم
قدمتموه لنا) والضمير للعذاب او لصليهم أى
انكم دعوتمونا اليه فكفرنا باتباعكم (فبئس
القرار) اى النار (قالوا) أى الاتباع (ربنا
من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا) أى مضاعفا
(فى النار) ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله ربنا
هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد
على عذابه مثله (وقالوا) الضمير لرؤساء الكفرة
(مالنا لا نرى رجالا) يعنون فقراء المسلمين (كنا
نعدهم) فى الدنيا (من الاشرار) من الارذال
الذين لا خير فيهم ولا جدوى (اتخذناهم سخريا)
بلفظ الاخبار عراقى غير عاصم على انه صفة لرجالا
مثل كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام غيرهم على انه انكار على أنفسهم فى الاستسخار منهم سخريا مدنى وحمزة وعلى وخلف والمفضل (ام زاغت) له
مالت (عنهم الابصار) هو متصل بقوله مالنا اى مالنا لا نراهم فى النار كأنهم ليسوا فيها بل ازاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين ان يكونوا
من أهل الجنة وبين ان يكونوا من أهل النار الا انه خفى عليهم مكانهم (ان ذلك) الذى حكيناه عنهم (لحق) لصدق كائن لا محالة لا بد ان يتكلموا به ثم بين
ما هو فقال هو (تخاصم أهل النار) ولما شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين سماه تخاصما ولان قول الرؤساء
لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاشتماله على ذلك (قل) يا محمد لمشركى مكة (انما أنا منذر) ما أنا
الا رسول منذر انذركم عذاب الله تعالى (وما من اله الا الله) واقول لكم ان دين الحق توحيد الله وان تعتقدوا أن لا اله الا الله (الواحد) بلا ند ولا شريك

اى مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل متآخيات لا يتباغضن
ولا يتغايرن ولا يتحاسدن (هذا ما توعدون ليوم الحساب) أى قيل للمؤمنين هذا ما توعدون أو قيل هذا
ما وعد به المتقون (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) اى دائم ماله من نفاد وانقطاع بل هو دائم كلما
اخذ منه شئ عاد مثله فى مكانه قوله تعالى (هذا) اى الامر الذى ذكرناه (وان للطاغين) يعنى
الكافرين (لشر مآب) يعنى لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى (جهنم يصلونها) اى
يدخلونها (فبئس المهاد) اى الفراش (هذا فليذوقوه حميم وغساق) معناه هذا حميم وهو الماء
الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقيل هو ما يسيل من
القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين فى جهنم وقيل هو البارد
المنتن والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه (وآخر من شكله) اى مثل الحميم والغساق (أزواج) اى
اصناف أخر من العذاب (هذا فوج مقتحم معكم) قال ابن عباس هو ان القادة اذا دخلوا النار ثم دخل
بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعنى جماعة الاتباع مقتحم معكم النار أى داخلوها كما
دخلتموها أنتم قيل انهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بأنفسهم خوفا من تلك المقامع قالت القادة
(لا مرحبا بهم) أى الاتباع (انهم صالوا النار) أى داخلوها كما صليناها نحن (قالوا) أى قال الاتباع
للقادة (بل أنتم لا مرحبا بكم) اى لا رحبت بكم الارض والعرب تقول مرحبا وأهلا وسهلا أى أتيت رحبا
وسعة (أنتم قدمتموه لنا) يعنى وتقول الاتباع للقادة انتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه أنتم
قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم ايانا الى الكفر (فبئس القرار) اى فبئس دار القرار جهنم (قالوا)
يعنى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا) اى شرعه وسنه لنا (فزده عذابا ضعفا فى النار) اى ضعف
عليه العذاب فى النار قال ابن عباس حيات وافاعى (وقالوا) يعنى كفار قريش وصناديدهم وأشرافهم
وهم فى النار (مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم) اى فى الدنيا (من الاشرار) يعنون بذلك فقراء المؤمنين
مثل عمار وخباب وصهيب و بلال وسلمان وانما سموهم اشرارا لانهم كانوا على خلاف دينهم (اتخذناهم
سخريا ام زاغت عنهم الابصار) يعنى ان الكفار اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم
فقالوا ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار ام دخلوها فزاغت عنهم الابصار اى
ابصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه أم هم فى النار ولكن احتجبوا عن ابصارنا وقيل معناه ام كانوا
خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت ابصارنا تزيغ عنهم فى الدنيا فلا نعدهم شيئا (ان ذلك) اى الذى ذكر
(لحق) ثم بين ذلك فقال تعالى (تخاصم أهل النار) أى فى النار وانما سماه تخاصما لان قول القادة
للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة قوله عزوجل (قل)
أى يا محمد لمشركى مكة (انما أنا منذر) اى مخوف (وما من اله الا الله الواحد) يعنى الذى لا شريك

له فى ملكه (القهار) اى الغالب وفيه اشعار بالترهيب والتخويف ثم اردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار) فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بأنه يغفر الذنوب وان عظمت ويرحم (قل هو نبأ عظيم) يعنى القرآن قاله ابن عباس وقيل يعنى القيامة (أنتم عنه معرضون) أى لا تتفكرون فيه فتعلموا صدق نبوتى وان ما جئت به لم اعلمه الا بوحى من الله تعالى (ما كان لى من علم بالملأ الاعلى) يعنى الملائكة (اذ يختصمون) يعنى فى شأن آدم حين قال الله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان قلت كيف يجوز ان يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء والمخاصمة مع الله تعالى لا تليق ولا تمكن قلت لا شك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة (ان يوحى الى) أى انما علمت هذه المخاصمة بوحى من الله تعالى الى (الا انما أنا نذير مبين) يعنى الا انما أنا نبى انذركم وابين لكم ما تأتونه وتجتنبونه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى ربى فى أحسن صورة قال احسبه قال فى المنام فقال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا قال فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى او قال فى نحرى فعلمت ما فى السموات وما فى الارض قال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم فى الكفارات والكفارات المكث فى المساجد بعد الصلوات والمشى على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء على المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته امه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم انى اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وفى رواية فقلت لبيك وسعديك فى المرتين وفيها فعلمت ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب

(فصل فى الكلام على معنى هذا الحديث) وللعلماء فى هذا الحديث وفى امثاله من احاديث الصفات مذهبان أحدهما وهو مذهب السلف امراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن امثاله مع الاعتقاد بان الله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير المذهب الثانى هو تأويل الحديث وقبل الكلام على معنى الحديث نتكلم على اسناده فنقول قال البيهقى هذا حديث مختلف فى اسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن اللجلاج عن عبد الرحمن بن عايش عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن ابى كثير عن زيد بن سلام عن عبد الرحمن بن عايش الحضرمى عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم ورواه موسى بن خلف العمى عن يحيى عن زيد عن جده ممطور وهو ابو سلام عن ابن السكسكى عن مالك بن عامر وقيل فيه غير ذلك ورواه ايوب عن ابى قلابة عن ابن عباس وقال فيه احسبه قال فى المنام ورواه قتادة عن أبى قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس قال البخارى عبد الرحمن بن عايش الحضرمى له حديث واحد الا انهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقى وقد روى من طرق كلها ضعاف وفى ثبوته نظر واحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما ما يدل على ان ذلك كان فى المنام فاما تأويله فان الصورة هى التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز ان يكون البارئ تبارك وتعالى مصورا ولا ان يكون له صورة لان الصور مختلفة والهيئات متضادة ولا يجوز اضافة ذلك اليه سبحانه وتعالى فاستحال أن يكون مصورا وهو الخالق البارئ المصور فقوله أتانى ربى فى أحسن صورة يحتمل وجهين أحدهما وانا فى احسن صورة كأنه زاده جمالا وكمالا وحسنا عند رؤيته وفائدة ذلك تعريفه لنا ان الله تعالى زين خلقته وحسن صورته عند

(القهار) لكل شئ (رب السموات والارض وما بينهما) له الملك والربوبية فى العالم كله (العزيز) الذى لا يغلب اذا عاقب (الغفار) لذنوب من التجأ اليه (قل هو) أى هذا الذى انبأتكم به من كونى رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك له (نبأ عظيم) لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم (أنتم عنه معرضون) غافلون (ما كان لى) حفص (من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون) احتج لصحة نبوته بأن ما ينبئ به عن الملأ الاعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذى يسلكه الناس فى علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا بالوحى من الله تعالى (ان يوحى الى الا انما أنا نذير مبين) أى الا انما أنا نذير مبين ومعناه ما يوحى الى الا الانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز ان يرتفع على معنى ما يوحى الى الا هذا وهو ان انذر وابلغ ولا افرط فى ذلك اى ما أومر الا بهذا الامر وحده وليس لى غير ذلك وبكسر انما يزيد على الحكاية اى الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما أنا نذير مبين ولا ادعى شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من احد وعن ابن عباس رضى الله عنه القرآن وعن الحسن يوم القيامة والمراد بالملأ الاعلى اصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا فى السماء وكان التقاول بينهم واذ يختصمون متعلق بمحذوف اذ المعنى ما كان لى من علم بكلام الملأ الاعلى وقت اختصامهم

(اذ قال ربك) بدل من اذ يختصمون اى فى شأن آدم حين قال تعالى على لسان ملك (للملائكة انى خالق بشرا من طين) وقال انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها (فاذا سويته) فاذا اتممت خلقته وعدلته (ونفخت فيه من روحى) الذى خلقته واضافه اليه تخصيصا كبيت الله وناقة الله والمعنى احييته وجعلته حساسا متنفسا (فقعوا) أمر من وقع يقع اى اسقطوا على الارض والمعنى اسجدوا (له ساجدين) قيل كان انحناء يدل على التواضع وقيل كان سجدة لله اوكان سجدة التحية (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فأفادا انهم سجدوا عن آخرهم جميعهم فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات (الا ابليس استكبر) تعظم عن السجود (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين باباء الامر (قال يا ابليس ما منعك ان تسجد) ما منعك عن السجود (لما خلقت بيدى) أى بلا واسطة امتثالا لامرى واعظاما لخطابى وقد مر ان ذا اليدين يباشر أكثر اعماله بيده فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب هو ما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك اوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله مما عملت أيدينا ولما خلقت بيدى (استكبرت) استفهام انكار (أم كنت من العالين) ممن علوت وفقت وقيل استكبرت الآن أم لم تزل مذ كنت من المستكبرين (قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) يعنى لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلى فكيف اسجد لمن هو دونى لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهى خلقتنى من نار مجرى المعطوف عطف البيان والايضاح (قال فاخرج منها) من الجنة اومن السموات اومن الخلقة التى أنت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعدما كان ابيض وقبح بعدما كان حسنا واظلم بعدما كان نورانيا (فانك رجيم) مرجوم اى مطرود تكبر ابليس ان يسجد لمن خلق من طين وزل عنه ان الله أمر به ملائكته واتبعوا أمره اجلالا لخطابه وتعظيما لامره فصار مرجوما ملعونا بترك أمره (وان عليك لعنتى) بفتح الياء مدنى اى ابعادى من كل الخير (الى يوم الدين) اى يوم الجزاء ولا يظن ان لعنته غايتها يوم الدين ثم تنقطع لان معناه ان عليه اللعنة فى الدنيا وحدها فاذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الانفراد ولما كان عليه اللعنة فى أوان الرحمة فأولى ان تكون عليه فى غير اوانها وكيف تنقطع وقد قال الله

رؤيته لربه وانما التغيير وقع بعد لشدة الوحى وثقله الوجه الثانى ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه رآه فى أحسن صفاته من الانعام عليه والاقبال والاتصال اليه وانه تلقاه بالاكرام والاعظام والاجلال وقد يقال فى صفات الله تعالى انه جميل ومعناه انه مجمل فى أفعاله وذلك من الاحسان والاكرام فذلك من حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة أيضا يرجع الى صفاته العلية من التناهى فى العظمة والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى الحديث على هذا تعريفنا ما تزايد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤية ربه عز وجل فأخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى فتأويله ان المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شائع فى لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه وانعامه عليه بأن شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لا يعرفه أحد حتى وجد برد النعمة والمعرفة فى قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما فى السموات وما فى الارض باعلام الله تعالى اياه وانما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون اذ لا يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة أو مباشرة او نقص وهذا هو اللائق بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان فى المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة بنا الى التأويل ورؤية البارئ عز وجل فى المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائى وسبب اختصام الملأ الاعلى وهم الملائكة فى الكفارات وهى الخصال المذكورة فى الحديث فى ايها أفضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهى من باب تسمية الشئ باسم لازمه وانما سماه مخاصمة لانه ورد مورد سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه والله تعالى أعلم قوله عز وجل (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين) يعنى آدم (فاذا سويته) أى اتممت خلقه (ونفخت فيه من روحى) اضاف الروح الى نفسه اضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولان الروح جوهر شريف قدسى يسرى فى بدن الانسان سريان الضوء فى الفضاء وكسريان النار فى الفحم (فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر) أى تعظم (وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى) اى توليت خلقه (أستكبرت) أى تعظمت بنفسك عن السجود له (أم كنت من العالين) أى من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فأجاب ابليس بقوله (قال أنا خير منه) يعنى لو كنت مساويا له فى الشرف لكان يقبح ان اسجد له فكيف وأنا خير منه ثم بين كونه خيرا منه فقال (خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين وأفضل منه وأخطأ ابليس فى القياس لان مآل النار الى الرماد الذى لا ينتفع به والطين أصل كل ما هو نام ثابت كالانسان والشجرة المثمرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل وقيل هب ان النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها وأفضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة فان نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون أفضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة (قال فاخرج منها) أى من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التى كان فيها وذلك لان ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله تعالى خلقته فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته (فانك رجيم) اى مطرود (وان عليك لعنتى الى يوم الدين) فان قلت اذا كان الرجم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق ان يحمل الرجم على الطرد من الجنة او السماء وتحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فتكون ابلغ وحصل الفرق وزال التكرار فان

تعالى فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين (قال رب فأنظرني) فامهلني (الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) الوقت المعلوم الوقت الذى تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذى هو وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله معين لا يتقدم ولا يتأخر (قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين) اى اقسم بعزة الله وهى سلطانه وقهره (الا عبادك منهم المخلصين) و بكسر اللام مكى و بصرى وشامى (قال فالحق) بالرفع كوفى غير على على الابتداء أى الحق منى او على الخبر اى انا الحق وغيرهم بالنصب على انه مقسم به كقوله ٤٥ الله لافعلن كذا يعنى حذف عنه الباء فانتصب

قلت كلمة الى لانتهاء الغاية وقوله الى يوم الدين يقتضى انقطاع اللعنة عنه عند مجئ يوم الدين قلت معناه ان اللعنة باقية عليه فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة من انواع العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكأنها انقطعت عنه (قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعنى النفخة الاولى (قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول) أى انا اقول الحق وقيل الاول قسم يعنى فبالحق وهو الله تعالى اقسم بنفسه (لاملأن جهنم منك) اى بنفسك وذريتك (وممن تبعك منهم أجمعين) يعنى من بنى آدم (قل ما أسألكم عليه) اى على تبليغ الرسالة (من أجر) اى جعل (وما أنا من المتكلفين) اى المتقولين القرآن من تلقاء نفسى وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلف له (ق) عن مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله أعلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين لفظ البخارى (ان هو) يعنى القرآن (الا ذكر) اى موعظة (للعالمين) أى للخلق أجمعين (ولتعلمن) يعنى أنتم يا أهل مكة (نبأه) اى خبر صدقه (بعد حين) قال ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقى علم بذلك اذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال الحسن ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين والله تعالى أعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة الزمر)

نزلت بمكة الا قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم وقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وقيل قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم عوضا عن قوله الله نزل احسن الحديث وقيل فيها ثلاث آيات مدنيات من قوله قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم الى قوله لا تشعرون وهى اثنتان وقيل خمس وسبعون آية وألف ومائة واثنتان وسبعون كلمة واربعة آلاف وتسعمائة وثمانية أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (تنزيل الكتاب) أى هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل (من الله العزيز الحكيم) أى لا من غيره (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) أى لم ننزله باطلا لغير شئ (فاعبد الله مخلصا له الدين) اى الطاعة (الا لله الدين الخالص) أى شهادة أن لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعنى الخالص من الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذى أمر به لان رأس العبادات الاخلاص فى التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهى (والذين اتخذوا من دونه) أى من دون الله (أولياء) يعنى الاصنام (ما نعبدهم) أى قالوا ما نعبدهم (الا ليقربونا الى الله زلفى) يعنى قربة وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن ربكم قالوا الله فقيل لهم فما معنى عبادتكم الاصنام فقالوا ليقربونا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) أى من امر الدين

وجوابه لاملأن (والحق أقول) اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه وهو منصوب بأقول ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وجل الذى فى قوله ان الله هو الحق او الحق الذى هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به (لاملأن جهنم منك) من جنسك وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) من ذرية آدم (أجمعين) أى لاملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا اترك منهم أحدا (قل ما أسألكم عليه من أجر) الضمير للقرآن او للوحى (وما أنا من المتكلفين) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله وما عرفتمونى قط متصنعا ولا مدعيا بما ليس عندى حتى انتحل النبوة واتقول القرآن (ان هو) ما القرآن (الا ذكر) من الله (للعالمين) للثقلين اوحى الى فأنا ابلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم (ولتعلمن نبأه) نبأ القرآن وما فيه من الوعد والوعيد وذكر البعث والنشور (بعد حين) بعد الموت او يوم بدر أو يوم القيامة ختم السورة بالذكر كما افتتحها بالذكر والله الموفق

(سورة الزمر مكية وهى خمس وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تنزيل الكتاب) اى القرآن مبتدأ خبره (من الله) اى نزل من عند الله أو خبر مبتدا محذوف والجار صلة التنزيل أو غير صلة بل هو خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله (العزيز) فى سلطانه (الحكيم) فى تدبيره (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) هذا ليس بتكرار لان الاول كالعنوان للكتاب والثانى لبيان ما فى الكتاب

١٢ ع (فاعبد الله مخلصا) حال (له الدين) أى ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر فالدين منصوب بمخلصا وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه ان يقرأ مخلصا (الا لله الدين الخالص) اى هو الذى وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى آلهة وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره والذين عبدوا الاصنام يقولون (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) مصدر اى تقريبا (ان الله يحكم بينهم) بين المسلمين والمشركين (فيما هم فيه يختلفون) قيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض قالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والمعنى

ان الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين (ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار) أى لا يهدى من هو فى علمه انه يختار الكفر يعنى لا يوفقه للهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكنه يخذله وكذبهم قولهم فى بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذا عقبه محتجا عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) اى لو جاز اتخاذ الولد على ما تظنون لاختار مما يخلق ما يشاء لا ما تختارون أنتم وتشاؤن (سبحانه) نزه ذاته عن ان يكون له أحد ما نسبوا اليه من الاولياء والاولاد ودل على ذلك بقوله (هو الله الواحد القهار) يعنى انه واحد متبرئ عن انضمام الاعداد متعال عن التجزؤ والولاد قهار غلاب لكل شئ ومن الاشياء آلهتهم فأنى يكون له أولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك قهار لا يغالب بقوله (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) والتكوير اللف والليّ يقال كار العمامة على رأسه وكورها والمعنى ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه فى تغييبه اياه بشئ ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار اوان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) أى يوم القيامة (الا هو العزيز) الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمسخرهما (الغفار) لمن فكر واعتبر فآمن بمدبرهما (خلقكم من نفس واحدة) أى آدم عليه السلام (ثم جعل منها زوجها) أى حواء من قصيراه قيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء (وأنزل لكم من الانعام) أى جعل عن الحسن او خلقها فى الجنة مع آدم عليه السلام ثم أنزلها اولانها لا تعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد أنزل الماء فكانه أنزلها (ثمانية أزواج) ذكرا وأنثى من الابل والبقر والضأن والمعز كما بين فى سورة الانعام والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر (يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم الى تمام الخلق (فى ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم (ذلكم) الذى هذه مفعولاته هو (الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره ثم بين انه غنى عنهم بقوله (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) عن ايمانكم وانتم محتاجون اليه لتضرركم بالكفر وانتفاعكم بالايمان (ولا يرضى لعباده الكفر) لان الكفر ليس برضا الله تعالى وان كان بارادته عليه

(ان الله لا يهدى) أى يرشد لدينه (من هو كاذب) أى من قال ان الآلهة تشفع له (كفار) أى باتخاذه الآلهة دون الله تعالى (لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى) اى لاختار (مما يخلق ما يشاء) يعنى الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحانه) اى تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارة قدسه (هو الله الواحد) أى فى ملكه الذى لا شريك له ولا ولد (القهار) أى الغالب الكامل القدرة قوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) يعنى يغشى هذا هذا وقيل يدخل أحدهما على الآخر وقيل ينقص من احدهما ويزيد فى الآخر فما نقص من الليل زاد فى النهار وما نقص من النهار زاد فى الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكر أحدهما على الآخر وذلك بقدرة قادر عليهما قاهر لهما (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) يعنى الى يوم القيامة (الا هو العزيز الغفار) معناه ان خلق هذه الاشياء العظيمة يدل على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة مع انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان (خلقكم من نفس واحدة) يعنى آدم (ثم جعل منها زوجها) يعنى حواء ولما ذكر الله تعالى آيات قدرته فى خلق السموات والارض وتكوير الليل على النهار ثم اتبعه بذكر خلق الانسان عقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى (وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج) يعنى الابل والبقر والغنم والمعز والمراد بالازواج الذكر والانثى من هذه الاصناف وفى تفسير الانزال وجوه قيل انه هنا بمعنى الاحداث والانشاء وقيل ان الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وهو ينزل من السماء فكان التقدير انزل الماء الذى تعيش به الانعام وقيل ان أصول هذه الاصناف خلقت فى الجنة ثم انزلت الى الارض (يخلقكم فى بطون أمهاتكم) لما ذكر الله تعالى أصل خلق الانسان ثم اتبعه بذكر الانعام عقبه بذكر حالة مشتركة بين الانسان والحيوان وهى كونهم مخلوقة فى بطون الامهات وانما قال فى بطون امهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الانسان على سائر الخلق (خلقا من بعد خلق) يعنى نطفة ثم علقة ثم مضغة (فى ظلمات ثلاث) قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن (ذلكم الله ربكم) أى الذى خلق هذه الاشياء ربكم (له الملك) أى لا لغيره (لا اله الا هو) أى لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله تعالى (فأنى تصرفون) أى عن طريق الحق بعد هذا البيان قوله عز وجل (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) يعنى انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه نفعا أو ليدفع عن نفسه ضررا وذلك لانه تعالى غنى عن الخلق على الاطلاق فيمتنع فى حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولانه لو كان محتاجا لكان ذلك نقصانا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا انه غنى عن جميع العالمين فلو كفروا واصروا عليه فان الله تعالى غنى عنهم ثم قال الله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) يعنى انه تعالى وان كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى لعباده الكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما فى اللفظ خاصا فى المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض عباد الله واجراه قوم على العموم وقالوا لا يرضى لاحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده ان يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضى لله تعالى وان كان بارادته لان الرضى عبارة عن مدح الشئ والثناء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثنى عليه ولا يكون فى ملكه الا ما أراد وقد لا يرضى به ولا يمدح

{وان تشكروا} فتؤمنوا {يرضه لكم} أى يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة يرضه بضم الهاء والاشباع مكى وعلى يرضه بضم الهاء بدون الاشباع نافع وهشام وعاصم غير يحيى وحماد وغيرهم يرضه {ولا تزر وازرة وزر أخرى} أى لا يؤخذ احد بذنب آخر {ثم الى ربكم مرجعكم} الى جزاء ربكم رجوعكم {فينبئكم بما كنتم تعملون} فيخبركم بأعمالكم و يجازيكم عليها {انه عليم بذات الصدور} بخفيات القلوب {واذا مس الانسان} هو أبو جهل اوكل كافر {ضر} بلاء وشدة والمس فى الاعراض مجاز {دعا ربه منيبا اليه} راجعا الى الله بالدعاء لا يدعو غيره {ثم اذا خوله} اعطاه {نعمة منه} من الله عزوجل {نسى ما كان يدعو اليه من قبل} أى نسى ربه الذى كان يتضرع اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى اونسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه {وجعل لله أندادا} امثالا {ليضل} ليضل مكى وأبو عمرو ويعقوب {عن سبيله} أى الاسلام {قل} يا محمد {تمتع} امر تهديد {بكفرك قليلا} أى فى الدنيا {انك من أصحاب النار} من أهلها {امن} قرأ بالتخفيف مكى ونافع وحمزة على ادخال همزة الاستفهام على من و بالتشديد غيرهم على ادخال ام عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره امن {هو قانت} كغيره اى امن هو مطيع كمن هو عاص والقانت المطيع لله وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون {آناء الليل} ساعاته {ساجدا وقائما} حالان من الضمير فى قانت {يحذر الآخرة} أى عذاب الآخرة {ويرجو رحمة ربه} أى الجنة ودلت الآية على ان المؤمن يجب ان يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمته لا عمله و يحذر عقابه لتقصيره فى عمله ثم الرجاء اذا جاوز حده يكون امنا والخوف اذا جاوز حده يكون اياسا وقد قال الله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فيجب ان لا يجاوز احدهما حده {قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون} أى يعلمون و يعملون به كانه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون و يفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء اواريد به التشبيه أى كما لا يستوى العالم والجاهل كذلك لا يستوى المطيع والعاصى {انما يتذكر اولوا الالباب} جمع لب اى انما يتعظ بوعظ الله اولو العقول {قل يا عباد الذين آمنوا} بلا ياء عند الاكثر {اتقوا ربكم} بامتثال اوامره واجتناب نواهيه {للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة} أى اطاعوا الله فى الدنيا وفى يتعلق بأحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا فى هذه الدنيا فلهم حسنة فى الآخرة وهى دخول الجنة أى حسنة لا توصف وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية ومعنى {وأرض الله واسعة} أى لا عذر للمفرطين فى الاحسان البتة حتى ان اعتلوا بانهم لا يتمكنون فى اوطانهم من التوفر على الاحسان قيل لهم فان ارض الله واسعة و بلاده كثيرة فتحولوا الى بلاد أخر واقتدوا بالانبياء والصالحين فى مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم

عليه وقد بان الفرق بين الارادة والرضا {وان تشكروا} أى تؤمنوا بربكم وتطيعوه {يرضه لكم} فيثيبكم عليه {ولا تزر وازرة وزر أخرى} تقدم بيانه {ثم الى ربكم مرجعكم} أى فى الآخرة {فينبئكم بما كنتم تعملون} أى فى الدنيا {انه عليم بذات الصدور} أى بما فى القلوب قوله تعالى {واذا مس الانسان ضر} أى بلاء وشدة {دعا ربه منيبا} أى راجعا {اليه} مستغيثا به {ثم اذا خوله} أى اعطاه {نعمة منه نسى} أى ترك {ما كان يدعو اليه من قبل} والمعنى نسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه {وجعل لله أندادا} يعنى الاصنام {ليضل عن سبيله} أى ليرد عن دين الله تعالى {قل} أى لهذا الكافر {تمتع بكفرك قليلا} أى فى الدنيا الى انقضاء أجلك {انك من أصحاب النار} قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة وقيل فى أبى حذيفة المخزومى وقيل هو عام فى كل كافر {أم من هو قانت} قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت وقيل مجازه الذى جعل لله اندادا خير ام من هو قانت وقيل معنى الآية تمتع بكفرك انك من أصحاب النار و يا من هو قانت أنت من اصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت فى أبى بكر وعمر وعن ابن عمر انها نزلت فى عثمان وقيل نزلت فى ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الآية عامة فى كل قانت وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وقيل القانت القائم بما يجب عليه {آناء الليل} اى ساعات الليل أوله ووسطه وآخره {ساجدا وقائما} اى فى الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وانه أفضل منه وذلك لان الليل استر فيكون ابعد عن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى المطلوب الاصلى وهو الخشوع فى الصلاة ومعرفة من يصلى له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه اشق على النفس فيكون الثواب فيه أكثر {يحذر} اى يخاف {الآخرة ويرجو رحمة ربه} قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة وهى انه قال فى مقام الخوف يحذر الآخرة فلم يضف الحذر اليه تعالى وقال فى مقام الرجاء و يرجو رحمة ربه وهذا يدل على ان جانب الرجاء أكمل واولى ان ينسب الى الله تعالى و يعضد هذا ما روى عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك قال ارجو الله يا رسول الله واخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا اعطاه الله تعالى ما يرجو منه وآمنه مما يخاف أخرجه الترمذى {قل هل يستوى الذين يعلمون} أى ما عند الله من الثواب والعقاب {والذين لا يعلمون} ذلك وقيل الذين يعلمون عمار واصحابه والذين لا يعلمون ابو حذيفة المخزومى وقيل افتتح الله الآية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصلا للانسان دل ذلك على كماله وفضله {انما يتذكر أولو الالباب} قوله تعالى {قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم} أى بطاعته واجتناب معاصيه {للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة} يعنى للذين آمنوا واحسنوا العمل حسنة يعنى الجنة وقيل الصحة والعافية فى هذه الدنيا {وأرض الله واسعة} قال ابن عباس يعنى ارتحلوا من مكة وفيه حث

(انما يوفى الصابرون) على مفارقة اوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا فى طاعة الله وازدياد الخير (أجرهم بغير حساب) عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وهو حال من الاجر أى موفرا (قل انى امرت ان أعبد الله) بان اعبد الله (مخلصا له الدين) اى امرت باخلاص الدين (وامرت لان اكون اول المسلمين) وامرت بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين أى مقدمهم وسابقهم فى الدنيا والآخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة فى الدين فمن اخلص كان سابقا فالاول امر بالعبادة مع الاخلاص والثانى بالسبق فلاختلاف جهتيهما نزلا منزلة المختلفين فصح عطف احدهما على الآخر (قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) لمن دعاك بالرجوع الى دين آبائك وذلك ان كفار قريش قالوا له عليه السلام الا تنظر الى ابيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فنزلت ردا عليهم (قل الله أعبد مخلصا له دينى) وهذه الآية اخبار بانه يخص الله وحده بعبادته مخلصا له دينه دون غيره والاولى اخبار بانه مأمور بالعبادة والاخلاص فالكلام اولا واقع فى نفس الفعل واثباته وثانيا فيما يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) وهذا امر تهديد وقيل له عليه السلام ان خالفت دين آبائك فقد خسرت فنزلت (قل ان الخاسرين) أى الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه واسبابه (الذين خسروا أنفسهم) باهلاكها فى النار (واهليهم) اى وخسروا أهليهم (يوم القيامة) لانهم أضلوهم فصاروا الى النار ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة فى قوله (الا ذلك هو الخسران المبين) حيث صدر الجملة بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين وذلك لانهم استبدلوا بالجنة نارا وبالدرجات دركات (لهم من فوقهم ظلل) أطباق (من النار ومن تحتهم ظلل) اطباق من النار وهى ظلل لآخرين اى النار محيطة بهم (ذلك) الذى وصف من العذاب اوذلك الظلل (يخوف الله به عباده) ليؤمنوا به ويجتنبوا مناهيه (يا عباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى أخوفهم بالنار ثم حذرهم نفسه (والذين اجتنبوا الطاغوت) الشياطين فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين اطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت مصدرا وفيها مبالغات وهى التسمية وعند بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها هاهنا الجمع وقرئ الطواغيت (أن يعبدوها) بدل الاشتمال من الطاغوت أى عبادتها (وانابوا) رجعوا (الى الله لهم البشرى) هى البشارة بالثواب تتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون

على الهجرة من البلد الذى تظهر فيه المعاصى وقيل من أمر بالمعاصى فى بلد فليهرب منه وقيل نزلت فى مهاجرى الحبشة وقيل نزلت فى جعفر بن أبى طالب وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم البلاء وصبروا وهاجروا (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال على بن أبى طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرون فانه يحثى لهم حثيا وروى انه يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا لو أن أجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به أهل البلاء من الفضل قوله عز وجل (قل) يا محمد (انى أمرت ان أعبد الله مخلصا له الدين) أى مخلصا له التوحيد اى لا أشرك به شيئا (وأمرت لان أكون أول المسلمين) أى من هذه الامة قيل أمره أولا بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم امره ثانيا بعمل الجوارح لان شرائع الله تعالى لا تستفاد الا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ فكان هو أول الناس شروعا فيها فخص الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الامر لينبه على ان غيره احق بذلك فهو كالترغيب لغيره (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) وذلك ان كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذى أتيتنا به الا تنظر الى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها فأنزل الله تعالى هذه الآيات ومعنى الآية زجر الغير عن المعاصى لانه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا كان خائفا حذرا من المعاصى فغيره اولى بذلك (قل الله اعبد مخلصا له دينى) فان قلت ما معنى التكرار فى قوله قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وفى قوله قل الله اعبد مخلصا له دينى قلت هذا ليس بتكرار لان الاول الاخبار بأنه مأمور من جهة الله تعالى بالاتيان بالعبادة والاخلاص والثانى انه اخبار بأنه امر ان يخص الله تعالى وحده بالعبادة ولا يعبد احدا غيره مخلصا له دينه لان قوله أمرت ان اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله الله اعبد يفيد الحصر والمعنى الله اعبد ولا اعبد أحدا غيره ثم اتبعه بقوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) ليس أمرا بل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله (قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) يعنى ازواجهم وخدمهم (يوم القيامة) قال ابن عباس وذلك ان الله تعالى جعل لكل انسان منزلا وأهلا فى الجنة فمن عمل بطاعة الله تعالى كان ذلك المنزل والاهل له ومن لم يعمل بطاعة الله تعالى يخسر نفسه واهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل بأن يفرق بينه وبين أهله (الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار) اى اطباق وسرادقات (ومن تحتهم ظلل) أى فراش ومهاد وقيل احاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب فان قلت الظلة ما فوق الانسان فكيف سمى ما تحته بالظلة قلت فيه وجوه الاول انه من باب اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر الثانى ان الذى تحته من النار يكون ظلة لآخر تحته فى النار لانها دركات الثالث ان الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية فى الايذاء والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة (ذلك يخوف الله به عباده) أى المؤمنين لانهم اذا سمعوا حال الكفار فى الآخرة خافوا فأخلصوا التوحيد والطاعة لله عز وجل وهو قوله تعالى (يا عباد فاتقون) أى خافون قوله تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت) يعنى الاوثان (ان يعبدوها وأنابوا الى الله) اى رجعوا الى عبادة الله تعالى بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره (لهم البشرى) اى فى الدنيا وفى الآخرة اما فى الدنيا فالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع فى القبر واما فى الآخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب

وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفى الجنة ففى كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان (فبشر عبادى الذين يستمعون القول) يعنى القرآن (فيتبعون أحسنه) أى احسن ما يؤمرون به فيعملون به وهو ان الله تعالى ذكر فى القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو عنه والعفو احسن الامرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لانه كله حسن وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما اسلم ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه جاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فأخبرهم بايمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل نزلت هذه الآية فى ثلاثة نفر كانوا فى الجاهلية يقولون لا اله الا الله وهم زيد بن عمرو وابو ذر وسلمان الفارسى (اولئك الذين هداهم الله) أى الى عبادته وتوحيده (واولئك هم اولوا الالباب أفمن حق عليه كلمة العذاب) قال ابن عباس سبق فى علم الله تعالى انه فى النار وقيل كلمة العذاب قوله لأملأن جهنم وقيل قوله هؤلاء فى النار ولا ابالى (أفأنت تنقذ من فى النار) أى لا تقدر عليه قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أبا لهب وولده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) اى منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل هى ارفع منها (تجرى من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) أى وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلفه (ق) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغابر أى الباقى فى الافق اى فى ناحية المشرق او المغرب قوله تعالى (ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه) اى ادخل ذلك الماء (ينابيع فى الارض) اى عيونا وركايا ومسالك ومجارى فى الارض كالعروق فى الجسد قال الشعبى كل ماء فى الارض فمن السماء نزل (ثم يخرج به) أى بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) أى مثل اصفر واخضر واحمر وابيض وقيل اصنافه مثل البر والشعير وسائر انواع الحبوب (ثم يهيج) اى ييبس (فتراه) اى بعد خضرته ونضرته (مصفرا ثم يجعله حطاما) أى فتاتا متكسرا (ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب) قوله عز وجل (أفمن شرح الله صدره) أى وسعه (للاسلام) وقبول الحق كمن طبع الله تعالى على قلبه فلم يهتد (فهو على نور من ربه) اى على يقين وبيان وهداية روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) القسوة جمود وصلابة تحصل فى القلب فان قلت كيف يقسو القلب عن ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية قلت انهم كلما تلى ذكر الله على الذين يكذبون به قست قلوبهم عن الايمان به وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فان سماعها الذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه ولا يزيد الكافرين الا قسوة

(فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه) هم الذين اجتنبوا وانابوا وانما أراد بهم ان يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير اراد ان يكونوا نقادا فى الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب وندب اختاروا الواجب وكذا المباح والندب حرصا على ما هو أقرب عند الله واكثر ثوابا أو يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن او يستمعون اوامر الله فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو ونحو ذلك أو يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساو فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه (أولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب) أى المنتفعون بعقولهم (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار) أصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب اى وجب أفأنت تنقذه جملة شرطية دخلت عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التى فى أولها للعطف على محذوف تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب ووضع من فى النار موضع الضمير اى تنقذه فالآية على هذا جملة واحدة او معناه أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه افأنت تنقذه أى لا يقدر احد ان ينقذ من اضله الله وسبق فى علمه أنه من اهل النار (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) اى لهم منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل ارفع منها يعنى للكفار ظلل من النار وللمتقين غرف (مبنية تجرى من تحتها الانهار) اى من تحت منازلها (وعد الله لا يخلف الله الميعاد) وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) يعنى المطر وقيل كل ماء فى الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله (فسلكه) فأدخله (ينابيع فى الارض) عيونا ومسالك ومجارى كالعروق فى الاجساد وينابيع نصب على الحال او على الظرف وفى الارض صفة لينابيع (ثم يخرج به) بالماء (زرعا مختلفا الوانه) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض او أصنافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك (ثم يهيج) يجف (فتراه مصفرا) بعد نضارته وحسنه (ثم يجعله حطاما) فتاتا متكسرا فالحطام ما تفتت وتكسر من النبت وغيره (ان فى ذلك) فى انزال الماء واخراج الزرع (لذكرى لأولى الالباب) لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن اهمال وتعطيل (افمن شرح الله صدره) أى وسع صدره (للاسلام) فاهتدى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرح فقال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فهل لذلك من علامة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (فهو على نور من ربه) بيان وبصيرة والمعنى افمن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه فحذف لان قوله (فويل للقاسية قلوبهم) يدل عليه (من ذكر الله) أى من ترك ذكر الله او من اجل ذكر الله اى اذا ذكر الله عندهم او آياته ازدادت

قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم (اولئك فى ضلال مبين) غواية ظاهرة (الله نزل احسن الحديث) فى ايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لأحسن الحديث (كتابا) بدل من أحسن الحديث أو حال منه (متشابها) يشبه بعضه بعضا فى الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاعجاز وغير ذلك (مثانى) نعت كتابا جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه فهو بيان لكونه متشابها لان القصص المكررة وغيرها لا تكون الا متشابهة وقيل لانه يثنى فى التلاوة فلا يمل وانما جاز وصف الواحد بالجمع لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشئ هى جملته ألا تراك تقول القرآن اسباع واخماس وسور وآيات فكذلك تقول اقاصيص واحكام ومواعظ مكررات او منصوب على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه (تقشعر) تضطرب وتتحرك (منه جلود الذين يخشون ربهم) يقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده اصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم وفى الحديث اذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى اذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة وعدى بالى لتضمنه معنى فعل متعد بالى كانه قيل اطمأنت الى ذكر الله لينة غير منقبضة واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لان رحمته سبقت غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر الله لم يخطر بالبال الا كونه رؤفا رحيما وذكرت الجلود وحدها اولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا لان محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب (ذلك) اشارة الى الكتاب وهو (هدى الله يهدى به من يشاء) من عباده وهو من علم منهم اختيار الاهتداء (ومن يضلل الله) يخلق الضلالة فيه (فماله من هاد) الى الحق (افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) كمن امن من العذاب فحذف الخبر كما حذف فى نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا لقى مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب ان يقى بها وجهه لانه اعز اعضائه عليه والذى يلقى فى النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقى النار الا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه لا يطيق

قال مالك بن دينار ماضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة القلب وماغضب الله تعالى على قوم الا نزع منهم الرحمة (اولئك فى ضلال مبين) قيل نزلت هذه الآية فى ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وفى ابى بن خلف وقيل فى على وحمزة وفى أبى لهب وولده وقيل فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ابى جهل قوله عز وجل (الله نزل احسن الحديث) يعنى القرآن وكونه احسن الحديث لوجهين احدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى اما الاول فلان القرآن من افصح الكلام وأجزله وابلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل فى اسلوبه واما الوجه الثانى وهو كون القرآن من أحسن الحديث لاجل المعنى فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على اخبار الماضين وقصص الاولين وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار (كتابا متشابها) أى يشبه بعضه بعضا فى الحسن ويصدق بعضه بعضا (مثانى) أى يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهى والاخبار والاحكام (تقشعر) اى تضطرب وتشمئز (منه جلود الذين يخشون ربهم) والمعنى تأخذهم قشعريرة وهى تغير يحدث فى جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب أى قلوب الذين يخشون ربهم (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى لذكر الله تعالى قيل اذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء روى عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفى رواية حرمه الله تعالى على النار قال بعض العارفين السائرين فى بيداء جلال الله اذ نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا لاح لهم جمال من عالم الجمال عاشوا وقال قتادة هذا نعت أولياء الله الذى نعتهم الله به ان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك فى اهل البدع وهو من الشيطان وروى عن عبد الله ابن عروة بن الزبير قال قلت لجدتى اسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرأ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال عبد الله فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى ان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مر برجل من أهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل فى جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم ان يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها أولا فى جانب الخوف ثم قرنت معها القلوب ثانيا فى الرجاء قلت اذا ذكرت الخشية التى محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد فى اول وهلة واذا ذكر الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء فى قلوبهم وبالقشعريرة لينا فى جلودهم وقيل ان المكاشفة فى مقام الرجاء أكمل منها فى مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب واذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأن اليه القلب ولان الجلد (ذلك) أى القرآن الذى هو أحسن الحديث (هدى الله يهدى به من يشاء) أى هو الذى يشرح الله به صدره لقبول الهداية (ومن يضلل الله) أى يجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية (فماله من هاد) أى يهديه قوله عز وجل (افمن يتقى بوجهه سوء العذاب) أى شدته (يوم القيامة) قيل يجر على وجهه فى النار وقيل يرمى به فى النار منكوسا فاول شئ تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر يرمى به منكوسا فى النار مغلولة يداه الى عنقه وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشعل النار فى تلك الصخرة وهى فى عنقه فحرها ووهجها على وجهه

(وقيل للظالمين) أى تقول لهم خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون) أى كسبكم (كذب الذين من قبلهم) من قبل قريش (فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون اذ فوجئوا من مأمنهم (فأذاقهم الله الخزى) الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء ونحو ذلك من عذاب الله (فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر) من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) لآمنوا (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) ليتعظوا (قرآنا عربيا) حال مؤكدة كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا فتذكر رجلا أو انسانا توكيدا او نصب على المدح (غير ذى عوج) مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف ولم يقل مستقيما للاشعار بان لا يكون فيه عوج قط وقيل المراد بالعوج الشك (لعلهم يتقون) الكفر (ضرب الله مثلا رجلا) بدل (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون ومختلفون (ورجلا سلما) مصدر سلم والمعنى ذا سلامة (لرجل) اى ذا خلوص له من الشركة سالما مكى وأبو عمرو أى خالصا له (هل يستويان مثلا) صفة وهو تمييز والمعنى هل تستوى صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين (الحمد لله) الذى لا اله الا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره مثل الكافر ومعبوديه بعبد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع واختلاف وكل واحد منهم يدعى انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهن شتى وهو متحير لا يدرى ايهم يرضى بخدمته وعلى ايهم يعتمد فى حاجاته وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه اوزاع والمؤمن بعبد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع (انك ميت) أى ستموت (وانهم ميتون) وبالتخفيف من حل به الموت قال الخليل انشد أبو عمرو

وتسألنى تفسير ميت وميت
فدونك قد فسرت ان كنت تعقل
فمن كان ذا روح فذلك ميت
وما الميت الا من الى القبر يحمل

كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم انفسكم أى انك واياهم فى عداد الموتى لان ما هو كائن فكان قد كان (ثم انكم) أى انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فتحتج انت عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت فى الدعوة فلجوا فى العناد ويعتذرون بالاباطيل تقول الاتباع أطعنا ساداتنا وكبراءنا وتقول السادات اغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون قال الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبى العالية نزلت فى أهل القبلة وذلك فى الدماء والمظالم التى بينهم والوجه هو الاول الا ترى الى قوله

لا يطيق دفعها عنه للاغلال التى فى يديه وعنقه ومعنى الآية أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب (وقيل للظالمين) أى تقول لهم الخزنة (ذوقوا ما) أى وبال ما (كنتم تكسبون) أى فى الدنيا من المعاصى (كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة كذبوا الرسل (فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى وهم غافلون آمنون من العذاب (فأذاقهم الله الخزى) أى العذاب والهوان (فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) قوله عز وجل (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) أى يتعظون (قرآنا عربيا) أى فصيحا أعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته (غير ذى عوج) أى منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف وقيل غير ذى لبس وقيل غير مخلوق ويروى ذلك عن انس بن مالك وحكى عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق ولا مخلوق (لعلهم يتقون) أى الكفر والتكذيب فان قلت ما الحكمة فى تقدم التذكرة فى الآية الاولى على التقوى فى هذه الآية قلت سبب تقديم التذكرة أن الانسان اذا تذكر وعرف ووقف على فحوى الشئ واحتلط بمعناه اتقاه واحترز منه قوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى متنازعون مختلفون سيئة اخلاقهم والشكس السيء الخلق المخالف للناس لا يرضى بالانصاف (ورجلا سلما لرجل) أى خالصا له لا شريك له فيه ولا منازع والمعنى واضرب يا محمد لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون فى رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعى انه عبده وهم يتجاذبونه فى مهن شتى فاذا عنت لهم حاجة يتدافعونه فهو متحير فى أمره لا يدرى ايهم يرضى بخدمته وعلى ايهم يعتمد فى حاجاته وفى رجل آخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعين خادمه فى حاجاته فأى هذين العبدين أحسن حالا واحمد شأنا وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر الذى يعبد آلهة شتى والمؤمن الذى يعبد الله تعالى وحده فكان حال المؤمن الذى يعبد الها واحدا أحسن واصلح من حال الكافر الذى يعبد آلهة شتى وهو قوله تعالى (هل يستويان مثلا) وهذا استفهام انكار أى لا يستويان فى الحال والصفة قال تعالى (الحمد لله) أى لله الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين وقيل لما ثبت انه لا اله الا الله الواحد الاحد الحق بالدلائل الظاهرة والامثال الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البينات وظهور هذه الدلالات (بل أكثرهم لا يعلمون) أى ان المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لا شريك له قوله تعالى (انك ميت) أى ستموت (وانهم ميتون) أى سيموتون وذلك انهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر الله تعالى ان الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى وقيل نعى الى نبيه نفسه واليكم أنفسكم والمعنى انك ميت وانهم ميتون وان كنتم احياء فانكم فى عداد الموتى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال ابن عباس يعنى المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أتكرر علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا فى الدنيا قال نعم فقال ان الامر اذا لشديد اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر رضى الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفى أهل الكتابين ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت بانها فينا نزلت وعن ابى سعيد الخدرى فى هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا

(فمن اظلم ممن كذب على الله) وقوله والذى جاء بالصدق وصدق به قوماهو الايمان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة كذب على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) بالامر الذى هو الصدق بعينه وهو ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم (اذجاءه) فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لاعمال روية او اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون (اليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام فى الكافرين اشارة اليهم (والذى جاء بالصدق وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذا قال تعالى (أولئك هم المتقون) وقال الزجاج روى عن على رضى الله عنه انه قال والذى جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر الصديق رضى الله عنه وروى ان الذى جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به المؤمنون والكل صحيح كذا قاله قالوا والوجه فى العربية ان يكون جاء وصدق لفاعل واحد لان التغاير يستدعى اضمار الذى وذا غير جائز او اضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد (لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا ويجزيهم اجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) اضافة اسوأ وأحسن من اضافة الشئ الى ماهو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج اعدل بنى مروان (اليس الله بكاف) ادخلت همزة الانكار على كلمة النفى فأفيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها (عبده) أى محمدا صلى الله عليه وسلم عباده حمزة وعلى اى الانبياء والمؤمنين وهو مثل انا كفيناك المستهزئين (ويخوفونك بالذين من دونه) أى بالاوثان التى اتخذوها آلهة من دونه وذلك ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف ان تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك مضرتها لعيبك اياها (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل اليس الله بعزيز) بغالب منيع (ذى انتقام) ينتقم من اعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ثم أعلم بأنهم مع عبادتهم الاوثان مقرون بأن الله تعالى خلق السموات والارض بقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادنى الله) بفتح الياء سوى حمزة (بضر) مرض اوفقر اوغير ذلك (هل هن كاشفات ضره) دافعات شدته عنى (أوأرادنى برحمة) صحة اوغنى اونحوهما (هل هن ممسكات رحمته) كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل بصرى وفرض المسئلة فى نفسه دونهم لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فأمر بأن يقررهم اولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان أرادنى خالق العالم الذى أقررتم به بضر او برحمة هل يقدرون على خلاف ذلك فلما افحمهم قال الله تعالى عليه

نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت هذه الآية ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده مظلمة لاخيه من عرض او مال فليتحلله اليوم من قبل ان لايكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع قال ان المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ماعليه اخذت من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار قوله تعالى (فمن أظلم ممن كذب على الله) فزعم ان له ولدا أو شريكا (وكذب بالصدق اذجاءه) أى بالقرآن وقيل بالرسالة اليه (أليس فى جهنم مثوى) أى منزلة ومقام (للكافرين) قوله تعالى (والذى جاء بالصدق وصدق به) أى والذى صدق به قال ابن عباس الذى جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بلغه الى الخلق وقيل الذى جاء بالصدق هو جبريل عليه الصلاة والسلام جاء بالقرآن وصدق به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وقيل وصدق به المؤمنون وقيل الذى جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع وقيل الذى جاء بالصدق اهل القرآن وهو الصدق يجيئون به يوم القيامة وقد أدوا حقه فهم الذين صدقوا به (أولئك هم المتقون) اى الذين اتقوا الشرك (لهم مايشاؤن عند ربهم) اى من الجزاء والكرامة (ذلك جزاء المحسنين) اى فى اقوالهم وافعالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) اى يستره عليهم بالمغفرة (ويجزيهم اجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) اى يجزيهم بمحاسن افعالهم ولا يجزيهم بمساويها قوله عز وجل (أليس الله بكاف عبده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعنى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله تعالى شر من عاداهم (ويخوفونك بالذين من دونه) وذلك انهم خوفوا النبى صلى الله عليه وسلم مضرة الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل او جنون (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز) اى منيع فى ملكه (ذى انتقام) اى منتقم من اعدائه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) يعنى ان هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق فان فطرة الخلق شاهدة بصحة هذا العلم فان من تأمل عجائب السموات والارض وما فيهما من انواع الموجودات علم بذلك انها من ابتداع قادر حكيم ثم امره الله تعالى ان يحتج عليهم بأن ما يعبدون من دون الله لا قدرة لها على جلب خير أو دفع ضر وهو قوله تعالى (قل افرأيتم ماتدعون من دون الله) يعنى الاصنام (ان أرادنى الله بضر) اى بشدة و بلاء (هل هن كاشفات ضره اوأرادنى برحمة) اى بنعمة وخير وبركة (هل هن ممسكات رحمته) فسألهم النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى الله

(قل حسبي الله) كافيا معرة اوثانكم (عليه يتوكل المتوكلون) يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله وانما قال كاشفات ... ومسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه لانهن اناث وهن اللات والعزى ومنات وفيه تهكم بهم وبمعبوديهم (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) على حالكم التي انتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان (انى عامل) اى على مكانتي وحذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بأن حالته تزداد كل يوم قوة لان الله تعالى ناصره ومعينه الا ترى الى قوله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم فى الدنيا والآخرة لانهم اذا اتاهم الخزى والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه وبذل ذليل من أعدائه ويخزيه صفة للعذاب كمقيم اى عذاب مخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار مكاناتكم ابو بكر وحماد ٥٣ (انا انزلنا عليك الكتاب) القرآن (للناس) لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية (بالحق فمن اهتدى فلنفسه) فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) ومن اختار الضلالة فقد ضرها (وما أنت عليهم بوكيل) بحفيظ ثم اخبر بأنه الحفيظ القدير عليهم بقوله (الله يتوفى الانفس حين موتها) الانفس الجمل كما هى وتوفيها اماتتها وهو ان يسلب ما هى به حية حساسة دراكة (والتى لم تمت فى منامها) ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها أى يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك ومنه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل (فيمسك) الانفس (التى قضى) قضى حمزة وعلى (عليها الموت) الحقيقى اى لا يردها فى وقتها حية (ويرسل الاخرى) النائمة (الى أجل مسمى) الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس أى يستوفيها ويقبضها وهى الانفس التى تكون معها الحياه والحركة ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها وهى انفس التمييز قالوا فالتى تتوفى فى المنام هى نفس التمييز لا نفس الحياة اذ لو زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ولكل انسان نفسان احداهما نفس الحياة وهى التى تفارق عند الموت والاخرى نفس التمييز وهى التى تفارقه اذا نام وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ابن آدم نفس وروح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس فالنفس هى التى بها العقل والتمييز والروح هى التى بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وعن على رضى الله عنه قال تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده بأسرع من لحظة وعنه ما رأت نفس النائم فى السماء فهى الرؤيا الصادقة وما رأت بعد الارسال فيلقنها الشيطان فهى كاذبة وعن سعيد بن جبير ان ارواح الاحياء وارواح الاموات تلتقى فى المنام فيتعارف منها ما شاء الله ان يتعارف فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجسادها الى انقضاء مدة حياتها وروى ان ارواح المؤمنين تعرج عند النوم فى السماء فمن كان منهم طاهرا أذن له فى السجود ومن لم يكن منهم طاهرا لم يؤذن له فيه (ان فى ذلك) ان فى توفى الانفس ميتة ونائمة وامساكها وارسالها الى اجل (لآيات) على قدرة الله وعلمه (لقوم يتفكرون) يجيلون فيه افكارهم ويعتبرون (أم اتخذوا) بل اتخذ قريش والهمزة للانكار (من دون الله) من دون اذنه ١٤ ع

عليه وسلم (قل حسبي الله) اى هو ثقتى وعليه اعتمادى (عليه يتوكل المتوكلون) اى عليه يثق الواثقون (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) اى اجتهدوا فى انواع مكركم وكيدكم وهو امر تهديد وتقريع (انى عامل) اى فيما أمرت به من اقامة الدين (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) اى انا أو انتم (ويحل عليه عذاب مقيم) اى دائم وهو تهديد وتخويف (انا انزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (للناس بالحق) اى ليهتدى به كافة الخلق (فمن اهتدى فلنفسه) اى ترجع فائدة هدايته اليه (ومن ضل فانما يضل عليها) اى يرجع وبال ضلالته عليه (وما أنت عليهم بوكيل) اى لم توكل بهم ولم تؤاخذ عنهم قيل هذا منسوخ بآية القتال قوله تعالى (الله يتوفى الانفس) اى الارواح (حين موتها) اى فيقبضها عند فناء اكلها وانقضاء اجلها وهو موت الاجساد (والتى لم تمت فى منامها) والنفس التى يتوفاها عند النوم وهى التى يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان نفس هى التى تكون بها الحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الاخرى هى التى يكون بها التمييز وهى التى تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها التنفس (فيمسك التى قضى عليها الموت) اى فلا يردها الى جسدها (ويرسل الاخرى) اى يرد النفس التى لم يقض عليها الموت الى جسدها (الى اجل مسمى) اى الى ان يأتى وقت موتها وقيل ان للانسان نفس وروح فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وقال على بن أبى طالب تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عادت الروح الى الجسد بأسرع من لحظة وقيل ان ارواح الاحياء والاموات تلتقى فى المنام فتتعارف ما شاء الله تعالى فاذا أرادت الرجوع الى أجسادها أمسك الله تعالى ارواح الاموات عنده وارسل ارواح الاحياء الى اجسادها الى حين انقضاء مدة اجلها (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى احدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لا يدرى ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربى وضعت جنبى وبك ارفعه ان امسكت نفسى فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت وبين قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا قلت المتوفى فى الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح باذن الله تعالى ولملك الموت اعوان وجنود من الملائكة ينزعون الروح من سائر البدن فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) اى فى البعث وذلك ان توفى نفس النائم وارسالها بعد التوفى دليل على البعث وقيل ان فى ذلك دليلا على قدرتنا حيث لم نغلط فى امساك ما نمسك من الارواح وارسال ما نرسل منها قوله تعالى (أم اتخذوا من دون الله

(شفعاء) حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه (قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون) معناه ايشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا قط ولا عقل لهم (قل لله الشفاعة جميعا) أى هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا باذنه وانتصب جميعا على الحال (له ملك السموات والارض) تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها (ثم اليه ترجعون) متصل بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك فى ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة (واذا ذكر الله وحده) مدار المعنى على قوله وحده اى اذا أفرد الله بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم (اشمأزت) اى نفرت وانقبضت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه) يعنى آلهتهم ذكر الله معهم اولم يذكر (اذا هم يستبشرون) لافتتانهم بها واذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية فى بابه فالاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض فى اديم وجهه والعامل فى اذا ذكر هو العامل فى اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت الاستبشار (قل اللهم فاطر السموات والارض) اى يا فاطر وليس بوصف كما يقوله المبرد والفراء (عالم الغيب والشهادة) السر والعلانية (انت تحكم) تقضى (بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من الهدى والضلالة وقيل هذه محاكمة من النبى للمشركين الى الله وعن ابن المسيب لا اعرف آية قرئت فدعى عندها الا اجيب سواها وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضى الله عنه وقالوا الآن يتكلم فما اراد ان قال آه اوقد فعلوا وقرأ هذه الآية وروى انه قال على اثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه فى حجره ويضع فاه على فيه (ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه) الهاء تعود الى ما (لافتدوا به من سوء العذاب) شدته (يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط فى حسبانهم ولا يحدثون به نفوسهم وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا هى سيئات وعن سفيان الثورى انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال اخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا اخشى ان يبدو لى من الله ما لم احتسبه (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) أى سيئات اعمالهم التى كسبوها او سيئات كسبهم حين تعرض صحائف اعمالهم وكانت خافية عليهم او عقاب ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم واحاط (ما كانوا به يستهزؤن) جزاء هزئهم (فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه) اى اعطيناه تفضلا يقال خولنى اذا اعطاك على غير جزاء (نعمة منا) ولا تقف عليه لان جواب اذا (قال انما اوتيته على علم) منى انى سأعطاه لما فى من فضل واستحقاق او على علم منى بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندى وانما ذكر الضمير فى اوتيته وهو للنعمة نظرا الى المعنى لان قوله نعمة منا شيئا من النعمة وقسما منها وقيل ما فى انما موصولة لا كافة فيرجع الضمير اليها اى ان الذى أوتيته على علم (بل هى فتنة) انكار له كأنه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة أى ابتلاء وامتحان لك اتشكر أم تكفر ولما كان الخبر مؤنثا اعنى فتنة ساغ تأنيث المبتدا لاجله وقرئ بل هو فتنة على وفق انما اوتيته (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انها فتنة والسبب فى عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها فى أول السورة بالواو ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم يشمئزون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة واذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز بذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآى اعتراض فان قلت حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما فى الاعتراض من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربه بأمر من الله وقوله أنت تحكم بين عبادك

شفعاء) يعنى الاصنام (قل) يا محمد (أولو كانوا) يعنى الآلهة (لا يملكون شيئا) اى من الشفاعة (ولا يعقلون) اى انتم تعبدونهم وان كانوا بهذه الصفة (قل لله الشفاعة جميعا) أى لا يشفع احد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته اولى لانه هو الشفيع فى الحقيقة وهو يأذن فى الشفاعة لمن يشاء من عباده (له ملك السموات والارض) اى لا ملك لاحد فيهما سواه (ثم اليه ترجعون) اى فى الآخرة قوله تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت) اى نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) قيل اذا اشمأز القلب من عظم غمه وغيظه انقبض الروح الى داخله فيظهر على الوجه اثر ذلك مثل الغبرة والظلمة (واذا ذكر الذين من دونه) يعنى الاصنام (اذا هم يستبشرون) اى يفرحون والاستبشار ان يمتلئ القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل قوله عز وجل (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) وصف نفسه بكمال القدرة وكمال العلم (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) اى من امر الدين (م) عن ابى سلمة بن عبد الرحمن قال سألت عائشة رضى الله تعالى عنها بأى شئ كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته اذا قام الليل قالت كان اذا قام الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلفت فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم قوله عز وجل (ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) اى ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا انه نازل بهم فى الآخرة وقيل ظنوا ان لهم حسنات فبدت لهم سيئات والمعنى انهم كانوا يتقربون الى الله تعالى بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا روى ان محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له فى ذلك فقال اخشى ان يبدو لى ما لم اكن احتسب (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) اى مساوى اعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله تعالى (وحاق) أى نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر) اى شدة (دعانا ثم اذا خولناه) اى اعطيناه (نعمة منا قال انما أوتيته على علم) اى من الله تعالى علم انى له اهل وقيل على خير علمه الله عندى (بل هى فتنة) يعنى تلك النعمة استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية (ولكن اكثرهم لا يعلمون) يعنى

ثم ماعقبه من الوعيد العظيم تأكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون آلهتهم كانه قيل قل يارب لا يحكم بيني وبين هؤلاء
الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجراءة الا أنت وقوله ولوان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل عاما واياهم خاصة ان

انها استدراج من الله تعالى (قد قالها الذين من قبلهم) يعني قارون فانه قال انما أوتيته على علم عندى
(فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) اى فما اغنى الكفر من العذاب شيئا (فأصابهم سيئات ما كسبوا)
اى جزاؤها وهو العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال تعالى (والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات
ما كسبوا وماهم بمعجزين) اى بفائتين لان مرجعهم الى الله تعالى (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن
يشاء) اى يوسع الرزق لمن يشاء (ويقدر) اى يقتر ويقبض على من يشاء (ان في ذلك لآيات لقوم
يؤمنون) اى يصدقون قوله تعالى (قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)
روى عن ابن عباس رضى الله عنهما في سبب نزول هذه الآية ان ناسا من اهل الشرك قتلوا فأكثروا
وزنوا فأكثروا وانتهكوا المحرمات فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد ان الذى تقول وتدعو
اليه لحسن لوتخبرنا بان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله فأولئك يبدل
الله سيئاتهم حسنات قال يبدل شركهم ايمانا وزناهم احصانا ونزلت قل ياعبادى الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أخرجه النسائي وعن ابن عباس ايضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى وحشى يدعوه الى الاسلام فأرسل اليه كيف تدعونى الى دينك وانت تزعم ان من قتل او اشرك
اوزنا يلق أثاما يضاعف له العذاب وانا قد فعلت ذلك كله فأنزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا
صالحا فقال وحشى هذا شرط شديد لعلى لا اقدر عليه فهل غير ذلك فأنزل الله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فقال وحشى أرانى بعد في شبهة فلا ادرى أيغفر لى ام لا فأنزل
الله تعالى قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشى نعم هذا فجاء
فأسلم وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال نزلت هذه الآيات في عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر
من المسلمين كانوا قد اسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا ابدا
قوم اسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا به فأنزل الله تعالى هذه الآية فكتبها عمر بن الخطاب رضى الله
عنه بيده ثم بعث بها الى عياش بن ابى ربيعة والوليد بن الوليد والى أولئك النفر فأسلموا جميعا وهاجروا
وعن ابن عمر ايضا قال كنا معشر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى اونقول ليس شئ من حسناتنا
الا وهى مقبولة حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما
هذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا اذا رأينا من أصاب شيئا منها قلنا هلك فنزلت
هذه الآية فكففنا عن القول في ذلك وكنا اذا رأينا من أصحابنا من أصاب شيئا من ذلك خفنا عليه وان
لم يصب منها شيئا رجوناله وقوله اسرفوا على أنفسهم أى تجاوزوا الحد في كل فعل مذموم قيل هو
ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش لا تقنطوا من رحمة الله أى لا تيأسوا من رحمة الله القنوط من
رحمة الله والأمن من مكر الله من الكبائر (ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) فان قلت حمل
هذه الآية على ظاهرها يكون اغراء بالمعاصى واطلاقا في الاقدام عليها وذلك لا يمكن قلت المراد منها
التنبيه على انه لا يجوز ان يظن العاصى انه لا مخلص له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة
الله اذ لا احد من العصاة الا ومتى تاب زال عقابه وصار من اهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله ان الله يغفر
الذنوب جميعا أى اذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل ان يتوب فهو موكول الى مشيئة الله
تعالى فان شاء غفرله وعفا عنه وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة
على كل احد وخوف العقاب مطلوب فلعل الله تعالى يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله أعلم
(فصل في ذكر احاديث تتعلق بالآية) روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه دخل المسجد فاذا

عنيتهم به كانه قيل ولوان لهؤلاء الظالمين ما في
الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين
حكم عليهم بسوء العذاب وأما الآية الاولى فلم
تقع مسببة وما هى الا جملة ناسبت جملة قبلها
فعطفت عليها بالواو نحو قام زيد وقعد عمرو
وبيان وقوعها مسببة انك تقول زيد يؤمن
بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب
ظاهر ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ
اليه فتجئ بالفاء مجيئك بها ثمة كان الكافر
حين التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره
مقام الايمان في جعله سببا في الالتجاء (قد
قالها) هذه المقالة وهى قوله انما أوتيته على
علم (الذين من قبلهم) أى قارون وقومه
حيث قال انما أوتيته على علم عندى وقومه
راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز ان يكون
في الامم الخالية آخرون قائلون مثلها (فما أغنى
عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا وما
يجمعون منها (فأصابهم سيئات ما كسبوا)
اى جزاء سيئات كسبهم وسمى جزاء السيئة سيئة
للازدواج كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (والذين
ظلموا) كفروا (من هؤلاء) اى من مشركى
قومك (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) أى
سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك فقتل
صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا
سبع سنين (وماهم بمعجزين) بفائتين من
عذاب الله ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل
لهم (أولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر) ويضيق وقيل يجعله على قدر القوت
(ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بانه لا قابض
ولا باسط الا الله عزوجل (قل ياعبادى الذين)
وبسكون الياء ابو عمرو وحمزة وعلى (أسرفوا
على أنفسهم) جنوا عليها بالاسراف في
المعاصى والغلو فيها (لا تقنطوا) لا تيأسوا
وبكسر النون على وبصرى (من رحمة الله ان
الله يغفر الذنوب جميعا) بالعفو عنها الا الشرك

وفى قراءة النبي عليه السلام يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظير نفى المبالاة نفى الخوف في قوله ولا يخاف عقباها قيل نزلت في وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احب ان لى الدنيا وما فيها بهذه الآية (انه هو الغفور) يستر عظائم الذنوب (الرحيم)

ذنب يتعصى وذنوب كرتنا روا ذا ظلال فقام على رأسه فقال لم تقنط الناس ثم قرأ قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كان فى بنى اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم خرج يسأل هل له توبة فأتى راهبا فسأله فقال هل لى من توبة قال لا فقتله وجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فضرب بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله تعالى الى هذه أن تقربى وأوحى الله الى هذه أن تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فوجد أقرب الى هذه بشبر فغفر له لفظ البخارى ولمسلم قال فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا كان نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله الى هذه أن تقربى والى هذه أن تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل أسرف على نفسه وفى رواية لم يعمل خيرا قط وفى رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال لبنيه اذا أنا مت فاحرقونى ثم اسحقونى ثم اذرونى فى الريح فوالله لئن قدر على ربى ليعذبنى عذابا ما عذبه أحدا فلما مات فعل به ذلك فأمر الله تعالى الارض فقال اجمعى ما فيك منه ففعلت فاذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يا رب أو قال مخافتك فغفر له بذلك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان فى بنى اسرائيل رجلان متحابان أحدهما مذنب والآخر فى العبادة مجتهد فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول له أقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلنى وربى أبعثت على رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك وقال لا يدخلك الله الجنة فقبض الله أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب تبارك وتعالى للمجتهد أكنت على ما فى يدى قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتى وقال للآخر اذهبوا به الى النار قال أبو هريرة تكلم والله بكلمة أوبقت دنياه وآخرته أخرجه أبو داود وعن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى يا ابن آدم لو أنك أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذى قوله عنان السماء العنان السحاب وقيل هو ما عن لك وقراب الارض بضم القاف هو ما يقارب ملأها قوله عز وجل (وأنيبوا الى ربكم) أى ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة (وأسلموا له) أى اخلصوا له التوحيد (من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) أى لا تمنعون منه (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن لانه كله حسن ومعنى الآية على ما قاله الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه أنزل فى القرآن ذكر القبيح ليجتنب وذكر الادون لئلا ترغب فيه وذكر الاحسن لتؤثره وتأخذ به وقيل الاحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ (من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) يعنى غافلين عنه (ان تقول نفس) أى لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا ان تقول وقيل خوف أن تصيروا الى حال ان تقول نفس (يا حسرتا) أى يا ندمى ويا حزنى والتحسر الاغتمام والحزن على ما فات (على ما فرطت فى جنب الله) أى على ما قصرت فى طاعة الله وقيل فى أمر الله وقيل فى حق الله وقيل على

(وأنيبوا الى ربكم) بكشف قضائه الكروب (وأسلموا له) وأخلصوا له العمل وتوبوا اليه (من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) (من قبل) نزول العذاب (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقوله (من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) أى يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيئا (أن تقول نفس) كراهة أن تقول (نفس) فان قلت لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس وهى نفس الكافر ويجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج فى الكفر شديد او بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير (يا حسرتا) الالف بدل من ياء المتكلم وقرئ يا حسرتى على الاصل ويا حسرتاى على الجمع بين العوض والمعوض منه (على ما فرطت) ما مصدرية مثلها فى بما رحبت (فى جنب الله) فى أمر الله او فى طاعة الله او فى ذاته وفى حرف عبد الله فى ذكر الله والجنب الجانب يقال انا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجانب والجنب ثم قالوا فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر فى مكان الرجل وحيزه فقد اثبته فيه ومنه الحديث من الشرك الخفى ان يصلى الرجل لمكان الرجل أى لاجله وقال الزجاج معناه فرط فى طريق الله وهو توحيده والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

(وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر أى فرطت فى حال سخريتى (اوتقول لوأن الله هدانى) أى اعطانى الهداية (لكنت من المتقين) من الذين يتقون الشرك قال الشيخ الامام ابو منصور رحمه الله تعالى هذا الكافر اعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لاتباعهم لو هدانا الله لهديناكم يقولون لو وفقنا الله للهداية واعطانا الهدى لدعوناكم اليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم واعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا والحاصل ان عند الله لطفا من اعطى ذلك اهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى وكان استحبابه العذاب وتضييعه الحق بعد ما مكن من تحصيله لذلك (أو تقول حين ترى العذاب لوأن لى كرة) رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) من الموحدين (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) بلى رد من الله عليه كانه يقول بلى قد جاءتك آياتى وبينت لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وضيعته واستكبرت عن قبوله وآثرت الضلالة على الهدى واشتغلت بضد ما أمرت به فانما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك وبلى جواب لنفى تقديرى لان المعنى لوان الله هدانى ماهديت وانما لم يقرن الجواب به لانه لابد من حكاية اقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب (ويوم القيامة ترى الذين ٥٧ كذبوا على الله) وصفوه بما لا يجوز عليه من اضافة الشريك والولد اليه ونفى الصفات عنه (وجوههم) مبتدأ (مسودة) خبر والجملة فى محل النصب على الحال ان كان ترى من رؤية البصر وان كان من رؤية القلب فمفعول ثان (أليس فى جهنم مثوى) منزل (للمتكبرين) هو اشارة الى قوله واستكبرت (وينجى الله وينجى روح (الذين اتقوا) من الشرك (بمفازتهم) بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة (لا يمسهم السوء) النار (ولا هم يحزنون) كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء أى ينجيهم بنفى السوء والحزن عنهم اى لا يمس ابدانهم اذى ولا قلوبهم خزى او بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أى منجاة منه لان النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لانه سببها ولا محل للا يمسهم على التفسير الاول لانه كلام مستأنف

١٥ ع ومحله النصب على الحال على الثانى بمفازاتهم كوفى غير حفص (الله خالق كل شئ) رد على المعتزلة والثنوية (وهو على كل شئ وكيل) حافظ (له مقاليد السموات والارض) أى هو مالك أمرهما وحافظهما وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذى يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان يملك مقاليد الملك وهى المفاتيح واحدها مقليد وقيل لا واحد لها من لفظها او الكلمة اصلها فارسية (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) هو متصل بقوله وينجى الله الذين اتقوا أى ينجى الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق كل شئ فهو مهيمن عليه فلا يخفى عليه شئ من اعمال المكلفين فيها وما يجزون عليها او بما يليه على ان كل شئ فى السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال ياعثمان ما سألنى عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله وهو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير وتأويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون (قل) لمن دعاك الى دين آبائك (أفغير الله تأمرونى اعبد) تأمرونى مكى تأمروننى على الاصل شامى تامرونى مدنى وانتصب افغير الله باعبد وتأمرونى اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم بعد هذا البيان

ماضيعت فى ذات الله وقيل معناه على ما قصرت فى الجانب الذى يؤدى الى رضا الله تعالى (وان كنت لمن الساخرين) أى المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله وبالمؤمنين قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر بأهلها (أو تقول لوان الله هدانى) أى أرشدنى الى دينه وطاعته (لكنت من المتقين) أى الشرك (أو تقول حين ترى العذاب) أى عيانا (لوان لى كرة) أى رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) أى الموحدين ثم أجاب الله تعالى هذا المتأول بأن الاعذار زائلة والتعلل باطل وهو قوله (بلى قد جاءتك آياتى) يعنى القرآن (فكذبت بها) أى قلت ليست من الله (واستكبرت) أى تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) اى زعموا ان له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشياء الينا ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل (وجوههم مسودة) قيل هو سواد مخالف لسائر أنواع السواد (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) أى عن الايمان قوله تعالى (وينجى الله الذين اتقوا) أى الشرك (بمفازتهم) أى الطرق التى تؤديهم الى الفوز والنجاة وقرئ بمفازاتهم أى ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة من النار (لا يمسهم السوء) أى لا يصيبهم المكروه (ولا هم يحزنون الله خالق كل شئ) أى مما هو كائن أو يكون فى الدنيا والآخرة (وهو على كل شئ وكيل) أى ان الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها (له مقاليد السموات والارض) اى مفاتيح خزائن السموات والارض واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس قيل هو فارسى معرب قال الراجز

لم يؤذها الديك بصوت تغريد * ولم يعالج غلقها باقليد

والمعنى ان الله تعالى مالك امرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الله الذى يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض النبات (والذين كفروا بآيات الله) اى جحدوا بآياته الظاهرة الباهرة (اولئك هم الخاسرون) قوله عز وجل (قل افغير الله تأمرونى اعبد ايها الجاهلون) وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين آبائه فوصفهم بالجهل

(ايها الجاهلون) بتوحيد الله (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك) من الانبياء عليهم السلام (لئن اشركت ليحبطن عملك) الذى عملت قبل الشرك (ولتكونن من الخاسرين) وانما قال لئن اشركت على التوحيد والموحى اليهم جماعة لان معناه أوحى اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله واللام الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب سادّ مسدّ الجوابين اعنى جوابى القسم والشرط وانما صح هذا الكلام مع علمه تعالى بان رسله لا يشركون لان الخطاب للنبى عليه السلام والمراد به غيره ولانه على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها وقيل لئن طالعت غيرى فى السر ليحبطن ما بينى و بينك من السر (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به من عبادة آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان عبدت فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه (وكن من الشاكرين) على ما أنعم به عليك من ان جعلك سيد ولد آدم (وما قدروا الله حق قدره) وما عظموه حق عظمته اذ دعوك الى عبادة غيره ولما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره فى نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) والمراد بهذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة والارض مبتدأ وقبضته الخبر وجميعا منصوب على الحال أى والارض اذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة والقبضة المرة من القبض والقبضة المقدار المقبوض بالكف ويقال اعطنى قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته اى ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعنى أن الارضين مع عظمهن وبسطهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحد كما تقول الجزور اكلة لقمان أى لا تفى الا باكلة فذة من اكلاته واذا أريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة والمطويات من الطى الذى هو ضد النشر كما قال يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب وعادة طاوى السجل ان يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه من الشركاء (ونفخ فى الصور فصعق) مات (من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله) اى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل هم حملة العرش او رضوان والحور العين ومالك والزبانية (ثم نفخ فيه أخرى) هى فى محل الرفع لان المعنى ونفخ فى الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه نفخة أخرى وانما حذفت لدلالة اخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها فى غير مكان (فاذاهم قيام ينظرون) يقلبون أبصارهم فى الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب او ينتظرون أمر الله فيهم ودلت الآية على ان النفخة اثنتان الاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على انها ثلاث الاولى للفزع كما قال ونفخ فى الصور ففزع والثانية للموت والثالثة للاعادة

لان الدليل القاطع قد قام بأنه هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل (ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك) اى الذى عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لان الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من الشرك وفيه تهديد لغيره (ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) اى لانعامه عليك قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره) اى ما عظموه حق عظمته حين اشركوا به غيره ثم اخبر عن عظمته فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يضع السماء على اصبع والارض على اصبع والجبال على اصبع والشجر والانهار على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما قدروا الله حق قدره وفى رواية والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا له ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره الآية (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الارضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وفى رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها ثم يقول أنا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وفى رواية يقول انا الله ويقبض اصابعه انا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شئ منه حتى انى أقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم وللبخارى ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السموات بيمينه ويقول أنا الملك (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض قال ابو سليمان الخطابى ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف وقد روى كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هى صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهى الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب اهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه قوله عز وجل (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض) اى ماتوا من الفزع وهى النفخة الاولى (الا من شاء الله) تقدم فى سورة النمل تفسير هذا الاستثناء وقال الحسن الا من شاء الله يعنى الله وحده (ثم نفخ فيه) اى فى الصور (اخرى) مرة اخرى وهى النفخة الثانية (فاذاهم قيام) اى من قبورهم (ينظرون) اى ينتظرون امر الله فيهم (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا

اربعون

(وأشرقت الارض) اضاءت (بنور ربها) أي بعدله بطريق الاستعارة يقال للملك العادل اشرقت الآفاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك كما يقال اظلمت البلاد بجور فلان وقال عليه الصلاة والسلام الظلم ظلمات يوم القيامة واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه وقال الامام ابو منصور رحمه الله يجوز ان يخلق الله نورا فينور به أرض الموقف واضافته اليه تعالى للتخصيص كبيت الله وناقة الله ٥٩ (ووضع الكتاب) اى صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس او اللوح المحفوظ (وجيء بالنبيين) ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة وما اجابهم قومهم (والشهداء) الحفظة وقيل هم الابرار في كل زمان يشهدون على اهل ذلك الزمان (وقضي بينهم) بين العباد (بالحق) بالعدل (وهم لا يظلمون) ختم الآية بنفي الظلم كما افتتحها باثبات العدل (ووفيت كل نفس ما عملت) أي جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) من غير كتاب ولا شاهد وقيل هذه الآية تفسير قوله وهم لا يظلمون أي ووفيت كل نفس ما عملت من خير وشر لا يزاد في شر ولا ينقص من خير (وسيق الذين كفروا الى جهنم) سوقا عنيفا كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس أو قتل (زمرا) حال اى افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض (حتى اذا جاؤها فتحت) بالتخفيف فيهما كوفي (أبوابها) وهي سبعة (وقال لهم خزنتها) اى حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب اهلها (ألم يأتكم رسل منكم) من بني آدم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) اى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة (قالوا بلى) أتونا وتلوا علينا (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أي ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملأن جهنم بسوء أعمالنا كما قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) حال مقدرة اى مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) اللام فيه للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) المراد سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم ويشرف من الوافدين على بعض الملوك (حتى اذا جاؤها) هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وقال الزجاج تقديره حتى اذا جاؤها (وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) دخلوها فحذف دخلوها لان في الكلام دليلا عليه وقال قوم حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت أبوابها فعندهم جاؤها محذوف والمعنى اذا جاؤها وقع مجيئهم

اربعون يوما قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة قوله تعالى (وأشرقت الارض بنور ربها) وذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فما يضارون في نوره كما لا يضارون في الشمس في اليوم الصحو وقيل بعدل ربها واراد بالارض عرصات القيامة (ووضع الكتاب) اى كتاب الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه اعمال جميع الخلق من المبدا الى المنتهى (وجيء بالنبيين) يعني ليكونوا شهداء على اممهم (والشهداء) قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني الحفظة (وقضي بينهم بالحق) اى بالعدل (وهم لا يظلمون) أى لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم (ووفيت كل نفس ما عملت) اى ثواب ما عملت (وهو اعلم بما يفعلون) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بأفعالهم لا يحتاج الى كاتب ولا الى شاهد قوله تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم) يعني سوقا عنيفا (زمرا) افواجا بعضهم على اثر بعض كل امة على حدة وقيل جماعات متفرقة واحدتها زمرة (حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها) يعني السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة (وقال لهم خزنتها) يعني توبيخا وتقريعا (ألم يأتكم رسل منكم) اى من انفسكم ومن جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب) اى وجبت (على الكافرين) وهي قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين (قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) قوله عز وجل (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق اهل النار طردهم الى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس او القتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانهم يذهبون اليها راكبين والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين (حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها) فان قلت قال في اهل النار فتحت بغير واو وهنا زاد حرف الواو فما الفرق قلت فيه وجوه احدها انها زائدة الثاني انها واو الحال مجازه وقد فتحت ابوابها فأدخل الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم اليها وحذف الواو في الآية الاولى لبيان ان ابواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم اليها ووجه الحكمة في ذلك ان اهل الجنة اذا جاؤها ووجدوا أبوابها مفتحة حصل لهم السرور والفرح بذلك واهل النار اذا رأوها مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو هنا لبيان ان ابواب الجنة ثمانية ونقصت هناك لان ابواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو فيما فوق السبعة تقول سبعة وثمانية فان قلت حتى اذا جاؤها شرط فأين جوابه قلت فيه وجوه احدها انه محذوف والمقصود من الحذف ان يدل على انه بلغ في الكمال الى حيث لا يمكن ذكره الثاني ان الجواب هو قوله قال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو الثالث تقديره فادخلوها خالدين دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) أي ابشروا بالسلامة من كل الآفات (طبتم) قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان واصحابه سلام عليكم طبتم (فادخلوها خالدين) وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا سيقوا

مع فتح ابوابها وقيل أبواب جهنم لاتفتح الاعند دخول اهلها فيها واما ابواب الجنة فتقدم فتحها لقوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو وكانه قال حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا وقال الزجاج أي كنتم طيبين في الدنيا ولم تكونوا خبيثين اى لم تكونوا أصحاب خبائث وقال ابن عباس طاب لكم المقام وجعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة لانها دار الطيبين ومثوى الطاهرين قد طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) انجزنا

ماوعدنا في الدنيا من نعيم العقبى (وأورثنا الارض) ارض الجنة وقد اورثوها اى ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرث واتساعه فيه (نتبوأ) حال (من الجنة حيث نشاء) اى يكون لكل واحد منهم جنة لاتوصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ اى فيتخذ متبوأ ومقرا من جنته حيث يشاء (فنعم أجر العاملين) في الدنيا الجنة (وترى الملائكة حافين) حال من الملائكة (من حول العرش) أى محدقين من حوله ومن لابتداء الغاية اى ابتداء حفوفهم من حول العرش الى حيث شاء الله (يسبحون) حال من الضمير في حافين (بحمد ربهم) اى يقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح وذلك للتلذذ دون التعبد اذ زال التكليف (وقضى بينهم) بين الانبياء والامم أو بين اهل الجنة والنار (بالحق) بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) اى يقول اهل الجنة شكرا حين دخولها وتم وعد الله لهم كما قال وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر والحواميم السبع كلها مكية عن ابن عباس رضي الله عنهما

(سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) ومابعده بالامالة حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد وبين الفتح والكسر مدني وغيرهم بالتفخيم وعن ابن عباس انه اسم الله الاعظم (تنزيل الكتاب) اى هذا تنزيل الكتاب (من الله العزيز) اى المنيع بسلطانه عن ان يتقول عليه متقول (العليم) بمن صدق به وكذب فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين (غافر الذنب) ساتر ذنب المؤمنين (وقابل التوب) قابل توبة الراجعين (شديد العقاب) على المخالفين (ذى الطول) ذى الفضل على العارفين اوذى الغنى عن الكل وعن ابن عباس غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله والتوب والثوب والاوب اخوات في معنى الرجوع والطول الغنى والفضل فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة قلت اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين كما يكون في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه واما شديد العقاب فهو في تقدير شديد عقابه فتكون نكرة فقيل هو بدل

الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من احداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على ابواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) اى بالجنة (واورثنا الارض) أى ارض الجنة نتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله تعالى (نتبوأ) اى ننزل (من الجنة) اى في الجنة (حيث نشاء) فان قلت فما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ احدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لاتوصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى غيره وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الامم فينزلون فيها حيث شاؤا ثم تنزل الامم بعدهم فيما فضل منها قال الله عز وجل (فنعم اجر العاملين) اى ثواب المطيعين في الدنيا الجنة في العقبى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) اى محدقين محيطين بحافته وجوانبه (يسبحون بحمد ربهم) وقيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول في ذلك اليوم (وقضى بينهم بالحق) بين اهل الجنة واهل النار بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) اى يقوله اهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتدأ الله ذكر الخلق بالحمد في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختم بالحمد في آخر الامر وهو استقرار الفريقين في منازلهم فنبه بذلك على تحميده في بداءة كل امر وخاتمته والله تعالى أعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر)

وهي مكية قيل غير آيتين وهما قوله تعالى الذين يجادلون في آيات الله والتي بعدها وهي خمس وثمانون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وار بعة آلاف وتسعمائة وستون حرفا عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال ان مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لاهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه اذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا اعجب منه واعجب فقيل له ان مثل الغيث الاول مثل عظم القرآن وان مثل هذه الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن وعن ابن عباس قال لكل شئ لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات الجنة اتأنق فيهن وقال سعد بن ابراهيم كن آل حم تسمى العرائس

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حم) قال ابن عباس رضي الله عنهما حم اسم الله الاعظم وعنه قال الر وحم ون حروف اسمه الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح اسمائه حليم وحميد وحي وحكيم وحنان والميم افتتاح اسمائه ملك ومجيد ومنان وقيل حم معناه حم بضم الحاء أى قضى ماهو كائن (تنزيل الكتاب من الله العزيز) اى الغالب القادر وقيل الذى لامثل له (العليم) أى بكل المعلومات (غافر الذنب) أى ساتر الذنب (وقابل التوب) اى التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله (شديد العقاب) لمن لا يقول لا اله الا الله (ذى الطول) اى السعة والغنى وقيل ذى

الفضل

وقيــل لما وجدت هذه النكرة بين هذه المعارف آذنت بان كلها ابدال غير أوصاف وادخال الواو فى وقابل التوب لنكتة وهى افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول وروى ان عمر رضى الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشأم فقيل له تتابع فى هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذى لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول قد وعدنى الله ان يغفر لى وحذرنى عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبتــه فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم اخا كم زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا له الله ان يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه (لا اله الا هو) صفة أيضا لذى الطول ويجوز ان يكون مستأنفا (اليه المصير) المرجع (ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا) ما يخاصم فيها بالتكذيب بها والانكار لها وقد دل على ذلك فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها واستنباط معانيها ورد اهل الزيغ بها فأعظم جهاد فى سبيل الله (فلا يغررك تقلبهم فى البــلاد) بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة سالمين غانمين فان عاقبة أمرهم الى العــذاب ثم بين كيف ذلك فاعلم ان الامم الذين كذبت قبلهم أهلكت فقال (كذبت قبلهم قوم نوح) نوحا (والاحزاب) اى الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (من بعدهم) من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة) من هذه الامم التى هى قوم نوح والاحزاب (برسولهم ليأخذوه) ليتمكنوا منه فيقتلوه والاخيذ الاسير (وجادلوا بالباطل) بالكفر (ليدحضوا به الحق) ليبطلوا به الايمان (فأخذتهم) مظهر مكى وحفص يعنى انهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على ارادة أخذ الرسل ان اخذتهم فعاقبتهم (فكيف كان عقاب) وبالياء يعقوب اى فانكم تمرون على بلادهم فتعاينون أثر ذلك وهــذا تقرير فيه معنى التعجيب (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا) كلمات ربك مدنى وشامى (انهم أصحاب النار) فى محل الرفع بدل من كلمة ربك اى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم فى الدنيا بعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار فى الآخرة أو فى محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك أولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من أصحاب النار ويلزم الوقف على النار لانه لو وصل لصار (الذين يحملون العرش)

الفضل والنعم وأصل الطول الانعام الذى تطول مدته على صاحبه (لا اله الا هو) اى هو الموصوف بصفات الوحدانية التى لا يوصف بها غيره (اليه المصير) اى مصير العباد اليه فى الآخرة قوله تعالى (ما يجادل) اى ما يخاصم ويحاجج (فى آيات الله) اى فى دفع آيات الله بالتكذيب والانكار (الا الذين كفروا) قال أبو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون فى القرآن قوله تعالى ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا فى القرآن كفر أخرجه أبو داود وقال المراء فى القرآن كفر وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما أنزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم منه فكلوه الى عالمه (م) عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمع أصوات رجلين اختلفا فى آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فى وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب (فلا يغررك تقلبهم) أى تصرفهم (فى البلاد) للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة امرهم العذاب (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) أى الكفار الذين تحزبوا على انبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه (وجادلوا) أى خاصموا (بالباطل ليدحضوا) أى ليبطلوا (به الحق) الذى جاءت به الرسل (فأخذتهم فكيف كان عقاب) اى انزلت بهم من الهلاك ما هموا هم بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابى اياهم أليس كان مهلكا مستأصلا (وكذلك حقت) اى وجبت (كلمة ربك) أى كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت (على الذين كفروا) أى من قومك (انهم) اى بأنهم (أصحاب النار) قوله عز وجل (الذين يحملون العرش) قيل حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة اردفهم الله تعالى بأربعة اخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم اشرف الملائكة وافضلهم اقربهم من الله عز وجل وهم على صورة الاوعال وجاء فى الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم اربعة اجنحة جناحان منها على وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفو بهما فى الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتمجيد ما بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ويروى ان اقدامهم فى تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم تسبيحهم سبحان ذى العزة والجبروت سبحان ذى الملك والملكوت سبحان الحى الذى لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقيل ان أرجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من التى تليها والتى تليها اشد خوفا من التى تليها وروى جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذن لى ان احدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش ان ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه ابو داود واما صفة العرش فقيل انه جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا وروى جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده انه قال ان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية كخفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام ويكسى العرش كل يوم ألف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من

خالق الله تعالى والاشياء كلها فى العرش كحلقة فى فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة لاهل السماء كما ان الكعبة قبلة لاهل الارض قوله (ومن حوله) يعنى الطائفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان حول العرش سبعين الف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون الف صف قيام ايديهم الى اعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير اولئك وتهليلهم رفعوا اصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما اعظمك واجلك انت الله لا اله غيرك انت الاكبر والخلق كلهم اليك راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة الف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم احد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر ما بين جناحى احدهم مسيرة ثلاثمائة عام وما بين شحمة أذنه الى عاتقه أربعمائة عام واحتجب الله عز وجل من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در ابيض وسبعين حجابا من ياقوت احمر وسبعين حجابا من زبرجد اخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه الا الله عز وجل قوله تعالى (يسبحون بحمد ربهم) اى ينزهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بأنه هو المنعم على الاطلاق (ويؤمنون به) اى يصدقون بأنه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له فان قلت الذين يسبحون بحمد ربهم يؤمنون به ولا يكون التسبيح الا بعد الايمان فما فائدة قوله ويؤمنون به قلت فائدته التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجبا عنهم بحجب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالايمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكأنهم يرون ذنوب بنى آدم (ويستغفرون للذين آمنوا) اى يسألون الله تعالى المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل لقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم اولا تداركوه بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم فى احد بشئ يكرهه ان يستغفر له (ربنا) اى ويقولون ربنا (وسعت كل شئ رحمة وعلما) اى وسعت رحمتك وعلمك كل شئ وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله تعالى بما هو اهله قبل المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل قالوا (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) اى دينك (وقهم عذاب الجحيم) قال مطرف انصح عباد الله للمؤمنين الملائكة واغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) قيل اذا دخل المؤمن الجنة قال اين أبى واين امى واين ولدى واين زوجتى فيقال انهم لم يعملوا عملك فيقول انى كنت اعمل لى ولهم فيقال ادخلوهم الجنة فاذا اجتمع بأهله فى الجنة كان أكمل لسروره ولذته (وقهم السيئات) أى عقوبات السيئات بأن تصونهم عن الاعمال الفاسدة التى توجب العقاب (ومن تق السيئات يومئذ) أى من تقه فى الدنيا (فقد رحمته) اى فى القيامة (وذلك هو الفوز العظيم) أى النعيم الذى لا ينقطع فى جوار مليك لا تصل العقول الى كنه عظمته وجلاله قوله تعالى (ان الذين كفروا ينادون) أى يوم القيامة وهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم (لمقت الله) اى اياكم فى الدنيا (أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) اى

(ومن حوله) يعنى حاملين العرش والحافين حوله وهم الكروبيون سادة الملائكة صفة لاصحاب النار وفساده ظاهر روى ان حملة العرش ارجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وفى الحديث ان الله تعالى أمر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف من الملائكة قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم يهللون ويكبرون ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر (يسبحون) خبر المبتدا وهو الذين (بحمد ربهم) أى مع حمده اذ الباء تدل على ان تسبيحهم بالحمدلة (ويؤمنون به) وفائدته مع علمنا بان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء فى غير موضع بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك فضل الايمان وقد روعى التناسب فى قوله ويؤمنون به (ويستغفرون للذين آمنوا) كانه قيل ويؤمنون به ويستغفرون لمن فى مثل حالهم وفيه دليل على ان الاشتراك فى الايمان يجب ان يكون ادعى شئ الى النصيحة والشفقة وان تباعدت الاجناس والاماكن (ربنا) اى يقولون ربنا وهذا المحذوف حال (وسعت كل شئ رحمة وعلما) والرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شئ فى المعنى اذ الاصل وسع كل شئ رحمتك وعلمك ولكن ازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز مبالغة فى وصفه بالرحمة والعلم (فاغفر للذين تابوا) أى الذين علمت منهم التوبة لتناسب ذكر الرحمة والعلم (واتبعوا سبيلك) اى طريق الهدى الذى دعوت اليه (وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم) من فى موضع نصب عطف على هم فى وادخلهم أو فى وعدتهم والمعنى وعدتهم ووعدت من صلح من آبائهم (وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم) اى الملك الذى لا يغلب وانت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا خاليا عن الحكمة وموجب حكمتك ان تفى بوعدك (وقهم السيئات) اى جزاء السيئات وهو عذاب النار (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك) اى رفع العذاب (هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون) اى يوم القيامة اذا دخلوا النار ومقتوا أنفسهم فيناديهم خزنة النار (لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم) اى لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم أنفسكم فاستغنى بذكرها مرة والمقت اشد البغض وانتصاب (اذ تدعون الى الايمان) بالمقت الاول عند الزمخشرى والمعنى انه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد

اى اغيدوا عليهم القتل كالذى كان أولا (واستحيوا نساءهم) للخدمة (وما كيد الكافرين الا فى ضلال) ضياع يعنى أنهم باشروا قتلهم أولا فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغنى عنهم هذا القتل الثانى وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام واحس بأنه قد وقع أعاده عليهم غيظا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم ان كيده ضائع فى الكرتين جميعا (وقال فرعون) لملئه (ذرونى أقتل موسى) كان اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذى تخافه وهو اقل من ذلك وما هو الا ساحر واذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر ان فرعون قد استيقن انه نبى وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن كان فيه خب وكان قتالا سفاكا للدماء فى اهون شئ فكيف لا يقتل من أحس بأنه هو الذى يهدم ملكه ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذرونى اقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما فى نفسه من هول الفزع (انى أخاف) ان لم اقتله (ان يبدل دينكم) ان يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام (أو أن يظهر) موسى (فى الارض الفساد) بضم الياء ونصب الدال مدنى وبصرى وحفص وغيرهم بفتح الياء ورفع الدال والاول أولى لموافقة يبدل

والفساد فى الارض التقاتل والتهايج الذى يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كأنه قال انى اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وقرأ غير اهل الكوفة وان ومعناه انى اخاف فساد دينكم ودنياكم معا (وقال موسى) لما سمع بما أجراه فرعون من حديث قتله لقومه (انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وفى قوله وربكم بعث لهم على ان يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار وادل على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع فى الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت ادغم ابو عمرو وحمزة وعلى (وقال رجل مؤمن من

آل فرعون يكتم ايمانه) قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا ومن آل فرعون صفة لرجل وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صلة ليكتم اى يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان اوحبيب اوخربيل أوحزبيل والظاهر الاول (أتقتلون رجلا ان يقول) لان يقول وهذا انكار منه عظيم كانه قيل اترتكبون الفعلة الشنعاء التى هى قتل نفس محرمة وما لكم علة فى ارتكابها الا كلمة الحق وهى قوله (ربى الله) وهو ربكم أيضا لا ربه وحده (وقد جاءكم) الجملة حال (بالبينات من ربكم) يعنى انه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند من نسب اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف به (وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) احتج عليهم بطريق التقسيم فانه لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا فان يك كاذبا فعليه وبال كذبه ولا يتخطاه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم من العذاب ولم يقل كل الذى يعدكم مع انه وعد من نبى صادق القول مداراة لهم وسلوكا لطريق الانصاف فجاء بما هو اقرب الى تسليمهم له وليس فيه نفى اصابة الكل فكأنه قال لهم أقل ما يكون فى صدقه ان يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العذاب العاجل وفى ذلك هلاككم وكان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل ايضا وتفسير البعض بالكل مزيف (ان الله

معه) قيل هذا القتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد امسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام اعاد القتل عليهم فمعناه اعيدوا عليهم القتل (واستحيوا نساءهم) أى استحيوا النساء لصدوهم بذلك عن متابعة موسى عليه الصلاة والسلام ومظاهرته (وما كيد الكافرين) أى وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم (الا فى ضلال) أى يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله تعالى (وقال فرعون) اى لملئه (ذرونى اقتل موسى) وانما قال فرعون هذا لانه كان فى خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وانما منعوه عن قتله لانه كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا وقيل قالوا لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف فلا يقدر ان يغلب سحرنا وان قتلته قالت العامة كان محقا صادقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه (وليدع ربه) أى وليدع موسى ربه الذى يزعم انه ارسله الينا فيمنعه منا (انى أخاف أن يبدل دينكم) يعنى يقول فرعون اخاف ان يغير دينكم الذى أنتم عليه (أو أن يظهر فى الارض الفساد) يعنى بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره (وقال موسى) يعنى لما توعده فرعون بالقتل (انى عذت بربى وربكم) يعنى ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يأت فى دفع شره الا بأن استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم أن صانه الله عن كل بلية (من كل متكبر) أى متعظم عن الايمان (لا يؤمن بيوم الحساب) قوله عز وجل (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بنى اسرائيل فعلى هذا يكون معنى الآية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وكان اسم هذا المؤمن حزبيل عند ابن عباس وأكثر العلماء وقال ابن اسحاق كان اسمه جبريل وقيل حبيب (أتقتلون رجلا ان يقول) اى لان يقول (ربى الله) وهذا استفهام انكار وهو اشارة الى التوحيد وقوله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) فيه اشارة الى تقرير نبوته باظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه (وان يك كاذبا فعليه كذبه) أى لا يضركم ذلك انما يعود وبال كذبه عليه (وان يك صادقا) أى فكذبتموه (يصبكم بعض الذى يعدكم) قيل معناه يصبكم الذى يعدكم ان قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على أصلها ومعناه كأنه قاله على طريق الاحتجاج اقل ما فى صدقه ان يصيبكم بعض الذى يعدكم وفيه هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل (ان الله

لايهدى من هومسرف) مجاوز للحد (كذاب) فى ادعائه وهذا ايضا من باب المجاهلة والمعنى انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله واهلكه فتتخلصون منه
اذلو كان مسرفا كذابا لما هداه الله بالنبوة ولما عضده بالبينات وقيل اوهم انه عنى بالمسرف موسى وهو يعنى به فرعون (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين)
عالين وهو حال من كم فى لكم (فى الارض) فى ارض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) يعنى ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم
فلا تفسدوا أمركم على انفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله اى عذابه فانه لا طاقة لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم فى القرابة وليعلمهم
بأن الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى) اى ما أشير عليكم برأى الا بما أرى من قتله يعنى لا أستصوب الا قتله وهذا الذى
تقولونه غير صواب (وما أهديكم) بهذا الرأى (الا سبيل الرشاد) طريق الصواب والصلاح وما أعلمكم الا ما أعلم من الصواب
ولا أدخر منه شيئا ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر
يعنى ان لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد
كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من
جهة موسى عليه السلام ولكنه كان يتجلد ولولا
استشعاره لم يستشر احدا ولم يقف الامر على
الاشارة (وقال الذى آمن ياقوم انى اخاف
عليكم مثل يوم الاحزاب) اى مثل ايامهم لانه
لما أضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوله (مثل
دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم)
ولم يلتبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر
على الواحد من الجمع ودأب هؤلاء دؤبهم فى
عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى
وكون ذلك دائبا دائما منهم ولا يفترون عنه
ولابد من حذف مضاف اى مثل جزاء دأبهم
وانتصاب مثل الثانى بأنه عطف بيان لمثل
الاول (وما الله يريد ظلما للعباد) اى وما يريد
الله ان يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب او يزيد
على قدر ما يستحقون من العذاب يعنى ان
تدميرهم كان عدلا لانهم استحقوه بأعمالهم وهو
ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل
المنفى ارادة ظلم منكر ومن بعد عن ارادة ظلم ما
لعباده كان عن الظلم ابعد وابعد وتفسير المعتزلة
بأنه لا يريد لهم ان يظلموا بعيد لان اهل اللغة قالوا
اذا قال الرجل لآخر لا أريد ظلما لك معناه
لا أريد ان اظلمك وهذا تخويف بعذاب الدنيا
ثم خوفهم من عذاب الآخرة بقوله (وياقوم
انى أخاف عليكم يوم التناد) اى يوم القيامة
التنادى مكى ويعقوب فى الحالين واثبات الياء
هو الاصل وحذفها احسن لان الكسرة تدل على الياء وآخر هذه الآية على الدال وهو ما حكى الله تعالى فى سورة الاعراف ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف وقيل ينادى مناد ألا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ألا ان فلانا شقى
شقاوة لا يسعد بعدها أبدا (يوم تولون مدبرين) منصرفين عن موقف الحساب الى النار (ما لكم من الله) من عذاب الله (من عاصم) مانع ودافع (ومن
يضلل الله فما له من هاد) مرشد (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) هو يوسف بن يعقوب وقيل يوسف بن افرايم بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم نبيا
عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل فرعون آخر ويخهم الله بأن يوسف أتاكم من قبل موسى بالمعجزات (فما زلتم
فى شك مما جاءكم به) فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين (حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حكما

لايهدى) أى الى دينه (من هومسرف كذاب) أى على الله تعالى (خ) عن عروة بن الزبير
قال سألت عبدالله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى عنقه وخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم قوله عز وجل
(ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض) أى غالبين فى الارض اى ارض مصر (فمن ينصرنا) اى
يمنعنا (من بأس الله ان جاءنا) والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبى فانه
لا مانع من عذاب الله تعالى ان حل بكم (قال فرعون ما أريكم) اى من الرأى والنصيحة (الا ما أرى)
اى لنفسى (وما أهديكم الا سبيل الرشاد) اى ما ادعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى ان
مؤمن آل فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفه ان يحل به ما حل بالامم قبله بقوله (وقال الذى
آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) أى مثل
عادتهم فى الاقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب (وما الله يريد ظلما للعباد) اى لا يهلكهم الا بعد اقامة
الحجة عليهم (وياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد) يعنى يوم القيامة سمى يوم القيامة يوم التناد لانه يدعى
فيه كل اناس بامامهم وينادى بعضهم بعضا فينادى أصحاب الجنة اصحاب النار وينادى أصحاب النار
اصحاب الجنة وينادى فيه بالسعادة والشقاوة الا ان فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلان
ابن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وينادى حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل
النار خلود بلا موت وقيل ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادى الكافر ياليتنى لم أوت كتابيه وقيل
يوم التناد يعنى يوم التنافر من ند البعير اذا نفر وهرب وذلك انهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون
قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه (يوم تولون
مدبرين) اى منصرفين عن موقف الحساب الى النار (ما لكم من الله من عاصم) اى يعصمكم من
عذابه (ومن يضلل الله فما له من هاد) اى يهديه (ولقد جاءكم يوسف) يعنى يوسف بن يعقوب
(من قبل) اى من قبل موسى (بالبينات) يعنى قوله أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار قيل
مكث فيهم يوسف عشرين سنة نبيا وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون آخر
(فما زلتم فى شك مما جاءكم به) قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له والمعنى انهم بقوا شاكين
فى نبوته لم ينتفعوا بتلك البينات التى جاءهم بها (حتى اذا هلك) يعنى مات (قلتم لن يبعث الله من
بعده رسولا) اى اقمتم على كفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة وانما قالوا ذلك على سبيل التشهى
والتمنى من غير حجة ولا برهان عليه بل قالوا ذلك ليكون لهم اساسا فى تكذيب الانبياء الذين يأتون بعده

من عند انفسكم من غير برهان اى اهتم على كفركم وظننتم انه لايجدّد عليكم ايجاب الحجة (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) اى مثل هذا الاضلال يضل الله كل مسرف فى عصيانه مرتاب شاك فى دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف وجاز ابداله منه وهو جمع لانه لا يريد مسرفا واحدا بل كل مسرف (فى آيات الله) فى دفعها وابطالها (بغير سلطان) حجة (أتاهم كبر مقتا) اى عظم بغضا وفاعل كبر ضمير من هو مسرف وهو جمع معنى وموحد لفظا فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه ويجوز ان يرفع الذين على الابتداء ولا بد فى هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير فى كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا (عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قلب بالتنوين أبو عمرو وانما وصف القلب بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كما تقول سمعت الاذن وهو كقوله فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة (وقال فرعون) تمويها على قومه أو جهلا منه (يا هامان ابن لى صرحا) أى قصرا وقيل الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى ٦٧ على الناظر وان بعد ومنه يقال صرح الشىء اذا ظهر (لعلى) وبفتح الياء حجازى وشامى وابو عمرو (أبلغ الاسباب) ثم ابدل منها تفخيما لشأنها وابانة انه يقصد أمرا عظيما (أسباب السموات) أى طرقها وأبوابها وما يؤدّى اليها وكل ما أدّاك الى شئ فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه (فأطلع) بالنصب حفص على جواب الترجى تشبيها للترجى بالتمنى وغيره بالرفع عطفا على أبلغ (الى اله موسى) والمعنى فانظر اليه (وانى لاظنه) اى موسى (كاذبا) فى قوله له اله غيرى (وكذلك) ومثل ذلك التزيين وذلك الصد (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) المستقيم وبفتح الصاد كوفى ويعقوب أى غيره صدّا أو هو بنفسه صد والمزين الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (وما كيد فرعون الا فى تباب) خسران وهلاك (وقال الذى آمن يا قوم اتبعون) اتبعونى فى الحالين مكى ويعقوب وسهل (أهدكم سبيل الرشاد) وهو نقيض الغى وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغى اجمل اولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها بقوله (يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) تمتع يسير فالاخلاد اليها اصل الشر ومنبع الفتن وثنى بتعظيم الآخرة وبين انها هى الوطن والمستقر بقوله (وان الآخرة هى دار القرار) ثم ذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف بقوله (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يدخلون مكى وبصرى ويزيد وابو بكر ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذى ثمرته الجنات ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذى عاقبته النار بقوله (ويا قوم مالى) وبفتح الياء حجازى وابو عمرو (ادعوكم الى النجاة) اى الجنة (وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله) هو بدل من تدعوننى الاول يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له (واشرك به ما ليس لى به علم) اى بربوبيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كأنه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها (وانا ادعوكم الى العزيز الغفار) وهو الله سبحانه وتعالى وتكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وانه من آل فرعون وجىء بالواو فى النداء الثالث دون الثانى لان الثانى داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له بخلاف الثالث (لا جرم) عند البصريين لا رد لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما فى حيزه فاعله اى حق ووجب بطلان دعوته (ان ما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) معناه ان ما يدعوننى اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اى من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعى الربوبية او معناه ليس له استجابة دعوة فى الدنيا

وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى التكذيب لرسالته (كذلك يضل الله من هو مسرف) اى فى شركه وعصيانه (مرتاب) اى فى دينه (الذين يجادلون فى آيات الله) قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعنى الذين يجادلون فى ابطال آيات الله بالتكذيب (بغير سلطان) أى بغير حجة وبرهان (أتاهم) من الله (كبر) اى ذلك الجدال (مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قوله عز وجل (وقال فرعون) يعنى لوزيره (يا هامان ابن لى صرحا) أى بناء ظاهرا لا يخفى على الناظرين وان بعد وقد تقدم ذكره فى سورة القصص (لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات) أى طرقها وابوابها من سماء الى سماء (فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه) يعنى موسى (كاذبا) أى فيما يدعى ويقول ان له ربا غيرى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قال ابن عباس رضى الله عنهما صدّه الله تعالى عن سبيل الهدى وقرئ وصدّ بالفتح اى وصد فرعون الناس عن السبيل (وما كيد فرعون الا فى تباب) اى وما كيده فى ابطال آيات موسى الا فى خسار وهلاك قوله تعالى (وقال الذى آمن يا قوم اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد) أى طريق الهدى (يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) أى متعة ينتفعون بها مدة ثم تنقطع (وان الآخرة هى دار القرار) اى التى لا تزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة لا منفعة فيها وان الآخرة باقية دائمة والباقى خير من الفانى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) قيل معناه من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصى فجزاؤه العقوبة بقدرها (ومن عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) أى لا تبعة عليهم فيما يعطون فى الجنة من الخير وقيل يصب عليهم الرزق صبا بغير تقتير (ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار) معناه انا ادعوكم الى الايمان الذى يوجب النجاة من النار وأنتم تدعوننى الى الشرك الذى يوجب النار ثم فسر ذلك فقال (تدعوننى لاكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم) اى لا اعلم ان الذى تدعوننى اليه اله وما ليس باله كيف يعقل جعله شريكا للاله الحق ولما بين انهم يدعونه الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان بقوله (وأنا أدعوكم الى العزيز) اى فى انتقامه ممن كفر (الغفار) اى لذنوب أهل التوحيد (لا جرم) يعنى حقا (ان ما تدعوننى اليه) يعنى الصنم (ليس له دعوة فى الدنيا

ولا فى الآخرة ادعوة مستجابة جعلت الدعوة التى لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة اوسميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمى الفعل المجازى عليه بالجزاء فى قوله كما تدين تدان (وان مردنا الى الله) وان رجوعنا اليه (وان المسرفين) وان المشركين (هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم) اى من النصيحة عند نزول العذاب (وافوض) واسلم (امرى) وبفتح اليا مدنى وابو عمرو (الى الله) لانهم توعدوه (ان الله بصير بالعباد) بأعمالهم ومآلهم (فوقاه الله سيئات ما مكروا) شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل انه خرج من عندهم هاربا الى جبل فبعث قريبا من الف فى طلبه فمنهم من اكلته السباع ومن رجع منهم صلبه فرعون (وحاق) ونزل (بآل فرعون سوء العذاب النار) بدل من سوء العذاب اوخبر مبتدا محذوف كأنه قيل ما سوء العذاب فقيل هو النار او مبتدأ خبره (يعرضون عليها) ٦٨ وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به (غدوا وعشيا) اى فى هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك اما ان يعذبوا بجنس آخر او ينفس منهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا فى الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال لخزنة جهنم (أدخلوا آل فرعون) من الادخال مدنى وحمزة وعلى وحفص وخلف ويعقوب وغيرهم ادخلوا اى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (أشد العذاب) اى عذاب جهنم وهذه الآية دليل على عذاب القبر (واذ يتحاجون) واذكر وقت تخاصمهم (فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا) يعنى الرؤساء (انا كنا لكم تبعا) اتباعا كخدم فى جمع خادم (فهل انتم مغنون) دافعون (عنا نصيبا) جزاء (من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها) التنوين عوض من المضاف اليه اى انا كلنا فيها لا يغنى احد عن احد (ان الله قد حكم بين العباد) قضى بينهم بأن ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار (وقال الذين فى النار لخزنة جهنم) للقوام بتعذيب اهلها وانما لم يقل لخزنتها لان فى ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هى ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وفيها اعتى الكفار واطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما) بقدر يوم من الدنيا (من العذاب قالوا) اى الخزنة توبيخا لهم بعد مدة طويلة (اولم تك) اى اولم تك قصة وقوله (تأتيكم رسلكم) تفسير للقصة (بالبينات) بالمعجزات (قالوا) أى الكفار (بلى قالوا) أى الخزنة تهكما بهم (فادعوا) أنتم ولا استجابة لدعائكم (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) بطلان وهو من قول الله تعالى ويحتمل ان يكون من كلام الخزنة (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) أى فى الدنيا والآخرة يعنى انه يغلبهم فى الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا فى الدنيا فى بعض الاحايين امتحانا من الله والعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم ولو بعد حين ويوم نصب محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول جئتك امس واليوم والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الحفظة والانبياء فالانبياء يشهدون عند رب العزة على الكفرة بالتكذيب والحفظة يشهدون على بنى آدم بما عملوا من الاعمال تقوم بالتاء الرازى عن هشام

ولا فى الآخرة) يعنى ليست له استجابة دعوة لاحد فى الدنيا ولا فى الآخرة وقيل ليست له دعوة الى عبادته فى الدنيا ولا فى الآخرة لان الاصنام لا تدعى الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفى الآخرة تتبرأ من عابديها (وان مردنا الى الله) أى مرجعنا الى الله فيجازى كلا بما يستحقه (وأن المسرفين) يعنى المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم) اى اذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر (وأفوض امرى الى الله) اى ارد أمرى الى الله وذلك انهم توعدوه لمخالفته دينهم (ان الله بصير بالعباد) يعنى يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله تعالى (فوقاه الله سيئات ما مكروا) أى ما ارادوا به من الشر قيل انه نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام وكان قبطيا (وحاق) اى نزل (بآل فرعون سوء العذاب) يعنى الغرق فى الدنيا والنار فى الآخرة وذلك قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) يعنى صباحا ومساء قال ابن مسعود أرواح آل فرعون فى اجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر اعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه (ق) عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيامة ثم أخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى (ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون) أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (أشد العذاب) قال ابن عباس ألوان من العذاب غير الذى كانوا يعذبون بها منذ اغرقوا وقوله تعالى (واذ يتحاجون) اى واذكر يا محمد لقومك اذ يختصمون يعنى اهل النار (فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا) أى فى الدنيا (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا) يعنى الرؤساء والقادة (انا كل فيها) يعنى نحن وأنتم (ان الله قد حكم بين العباد) اى قضى علينا وعليكم (وقال الذين فى النار) يعنى حين اشتد عليهم العذاب (لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا) يعنى الخزنة (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) يعنى لا عذر لكم بعد مجىء الرسل (قالوا بلى) أى اعترفوا بذلك (قالوا فادعوا) يعنى انتم انا لا ندعو لكم لانهم علموا انه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) يعنى يبطل ويضل ولا ينفعهم قوله عز وجل (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا) قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الاعداء فى الدنيا والآخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد نصرهم الله بالقهر على من عاداهم وأهلك اعداءهم بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فانه قتل به سبعين ألفا (ويوم يقوم الاشهاد) يعنى وننصرهم يوم القيامة يوم تقوم الاشهاد وهم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب

(يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) أي ان اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم (ولهم اللعنة) أي البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يعني جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) يعني النبوة وقيل التوراة (وأورثنا بني اسرائيل الكتاب) يعني التوراة وقيل سائر الكتب المنزلة على أنبيائهم (هدى وذكرى لأولي الالباب) قوله تعالى (فاصبر) أي يا محمد على اذاهم (ان وعد الله حق) اي في اظهار دينك واهلاك اعدائك قال الكلبي نسخت آية القتال آية الصبر (واستغفر لذنبك) يعني الصغائر وهذا على قول من يجوزها على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل يعني على ترك الاولى والافضل وقيل على ما صدر منه قبل النبوة وعند من لا يجوز الصغائر على الانبياء يقول هذا تعبد من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ليزيده درجة ولتصير سنة لغيره من بعده وذلك لان مجامع الطاعات محصورة في قسمين التوبة عما لا ينبغي والاشتغال بما ينبغي والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثاني الاشتغال بالطاعات وهو قوله تعالى (وسبح بحمد ربك) أي نزه ربك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك (بالعشي والابكار) يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم) يعني كفار قريش (ان في صدورهم) اي ما في قلوبهم (الا كبر) قال ابن عباس ما حملهم على تكذيبك الا ما في صدورهم من الكبر والعظمة (ما هم ببالغيه) يعني ببالغي مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه ان في صدورهم الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يغلبوه وما هم ببالغي ذلك وقيل نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى (فاستعذ بالله) اي من فتنة الدجال (انه هو السميع) اي لاقوالهم (البصير) اي بافعالهم قوله عز وجل (لخلق السموات والارض) اي مع عظمها (أكبر من خلق الناس) أي من اعادتهم بعد الموت والمعنى انهم مقرون ان الله تعالى خلق السموات والارض وذلك أعظم في الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون بالبعث بعد الموت (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني ان الكفار لا يعلمون حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم معنى أكبر من خلق الناس اي اعظم من خلق الدجال ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعني اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجال

*(فصل في ذكر الدجال) (م) عن هشام بن عروة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق اكبر من الدجال معناه أكبر فتنة واعظم شوكة من الدجال (ق) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه اعور العين اليمنى كأنها عنبة طافئة ولابي داود والترمذي عنه قال قام النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال اني انذركموه وما من نبي الا وقد انذره قومه لقد انذره نوح قومه ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس بأعور (ق) عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد انذر امته الاعور الكذاب الا انه اعور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية لمسلم بين عينيه كافر ثم تهجى ك ف ر يقرأه كل مسلم عن أسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها والارض نباتها كله فلا تبقى ذات ظلف ولا ضرس من البهائم الا هلكت ومن أشد فتنته انه يأتي الاعرابي فيقول ارأيت ان احييت لك ابلك الست تعلم اني ربك قال فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو ابله كاحسن ما تكون ضروعا واعظمه اسنمة ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول ارأيت ان احييت لك اخاك واباك الست تعلم اني ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو أخيه ونحو أبيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم

(يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم) هذا بدل من يوم يقوم اي لا يقبل عذرهم لا ينفع كوفي ونافع (ولهم اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء الدار) اي سوء دار الآخرة وهو عذابها (ولقد آتينا موسى الهدى) يريد به جميع ما اتى به في باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (واورثنا بني اسرائيل الكتاب) اي التوراة والانجيل والزبور لان الكتاب جنس أي تركنا الكتاب من بعد هذا الى هذا (هدى وذكرى) ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له او على الحال (لاولي الالباب) لذوي العقول (فاصبر) على ما يجرعك قومك من الغصص (ان وعد الله حق) يعني ان ما سبق به وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك حق (واستغفر لذنبك) اي لذنب امتك (وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) اي دم على عبادة ربك والثناء عليه وقيل هما صلاتا الفجر والعصر وقيل قل سبحان الله وبحمده (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم) لا وقف عليه لان خبر ان (ان في صدورهم الا كبر) تعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا يكون احد فوقهم فلهذا عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة او ارادة ان تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه او ارادة دفع الآيات بالجدال (ما هم ببالغيه) ببالغي موجب الكبر ومقتضاه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة او النبوة او دفع الآيات (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك (انه هو السميع) لما تقول ويقولون (البصير) بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم (لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس) لما كانت مجادلتهم في آيات الله مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها حجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بأن الله خالقها فان من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) لانهم لا يتأملون لغلبة الغفلة

في اهتمام وغم مما احدثهم قالت وأخذ بلحمتي الباب فقال مهيم أسماء فقلت يارسول الله لقد خلعت افئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وأنا حي فانا حجيجه والافان ربي خليفتي على كل مؤمن قالت اسماء فقلت يارسول الله والله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم ما يجزي أهل السماء من التسبيح والتقديس وفي رواية عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الارض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار هذا حديث أخرجه البغوي بسنده والذي جاء في صحيح مسلم قال قلنا يارسول الله مالبثه في الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كايامكم هذه قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح وفي رواية ابي داود عنه فمن ادركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله (ق) عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ماء ونارا فاما الذي يرى الناس انه نار فماء بارد والذي يرى الناس انه ماء فنار محرقة فمن ادرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى انه نار فانه ماء عذب بارد (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه انه اعور وانه يجيء بمثال الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هي النار واني انذركم كما انذر نوح قومه (ق) عن المغيرة بن شعبة قال ماسأل احد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال ماسألته وانه قال لي ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو اهون على الله من ذلك عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع بالدجال فلينأ منه فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب انه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات او قال لما يبعث به من الشبهات اخرجه ابوداود وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة ليس نقب من نقابها الا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر احد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج بأرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه اقوام كان وجوههم المجان المطرقة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة عن مجمع بن حارثة الانصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب لد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محي الدين النووي قال القاضي عياض هذه الاحاديث التي وردت في قصة الدجال حجة لمذهب الحق في صحة وجوده وانه شخص بعينه ابتلى الله تعالى به عباده فاقدره على أشياء من المقدورات من احياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الارض له وأمره السماء ان تمطر فتمطر والارض ان تنبت فتنبت ويقع كل ذلك بقدرة الله تعالى وفتنته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل امره ويقتله عيسى ابن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلافا لمن انكره وأبطل امره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم فانه صحيح الوجود ولكن الاشياء التي يأتي بها زعموا انها مخاريف وخيالات ولا حقائق لها وزعموا انها لو كانت حقا لضاهت معجزات الانبياء وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون مامعه كالتصديق له وانما يدعي الربوبية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود

عليهم (وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) لا زائدة (قليلا ما تتذكرون) تتعظون بتاءين كوفي وبياء وتاء غيرهم وقليلا صفة مصدر محذوف اى تذكرا قليلا يتذكرون وما صلة زائدة (ان الساعة لآتية لاريب فيها)

لابد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لانه لابد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة (ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) لا يصدقون بها (وقال ربكم ادعوني) اعبدوني (استجب لكم) أثبكم فالدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) وقال عليه السلام الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما وحدوني أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد وقيل سلوني اعطكم (سيدخلون جهنم) سيدخلون مكى وابو عمرو (داخرين) صاغرين (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) هو من الاسناد المجازي أي مبصرا فيه لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار وقرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال ولم يكونا حالين او مفعولا لهما رعاية لحق المقابلة لانهما متقابلان معنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا لم تتميز الحقيقة من المجاز اذ الليل يوصف بالسكون على الحقيقة الاترى الى قولهم ليل ساج اى ساكن لاريح فيه (ان الله لذو فضل على الناس) ولم يقل لمفضل او لمتفضل لان المراد تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) ولم يقل ولكن اكثرهم حتى لا يتكرر ذكر الناس لان في هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور وقوله ان الانسان لظلوم كفار (ذلكم) الذي خلق لكم الليل والنهار (الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو) اخبار مترادفة أي هو الجامع لهذه الاوصاف من الربوبية والالهية وخلق كل شئ والوحدانية (فأنى تؤفكون) فكيف ومن اى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) اى كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يطلب الحق أفك كما أفكوا (الله الذي جعل لكم الارض قرارا) مستقرا (والسماء بناء) سقفا فوقكم (وصوركم فأحسن صوركم) قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم (ورزقكم من الطيبات)

دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العور الذي في عينه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لا يغتر به الاعوام من الناس لشدة الفاقة رغبة في سد الرمق أو خوفا من فتنته لان فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الالباب ولهذا حذرت الانبياء من فتنته فاما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه ما ازددت فيك الا بصيرة قوله قلت يارسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك معناه هذا أهون على الله تعالى من ان يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضلا للمؤمنين ومشككا للقلوب بل انما جعله الله له ليزداد الذين آمنوا ايمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه انه ليس معه شئ من ذلك لانه ثبت في الحديث ان معه ماء ونارا فماؤه نار وناره ماء بارد والله تعالى أعلم قوله عز وجل (وما يستوي الاعمى والبصير) اى الجاهل والعالم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) اى لا يستوون (قليلا ما تتذكرون ان الساعة) يعنى القيامة (لآتية لاريب فيها) أي لاشك في قيامها ومجيئها (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) اى لا يصدقون بالبعث بعد الموت قوله تعالى (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) اى اعبدوني دون غيري أجبكم وأثبكم واغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الاثابة استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن أنس بن مالك قال الدعاء مخ العبادة أخرجه الترمذي وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ أكرم على الله من الدعاء أخرجه الترمذي وقال حديث غريب فان قلت كيف قال ادعوني أستجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له قلت الدعاء له شروط منها الاخلاص في الدعاء وان لا يدعو وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء وان يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للانسان وان لا يكون فيه قطيعة رحم فاذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالاجابة فاما ان يعجلها له واما ان يؤخرها له يدل عليه ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل له به في الدنيا واما ان يدخر له في الآخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا يارسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) اى عن توحيدي وقيل عن دعائي (سيدخلون جهنم داخرين) اى صاغرين ذليلين قوله عز وجل (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) اى لتحصل لكم الراحة فيه بسبب النوم والسكون (والنهار مبصرا) أى لتحصل لكم فيه مكنة التصرف في حوائجكم ومهماتكم (ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم) أي ذلكم المميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم (خالق كل شئ لا اله الا هو) أي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق الاشياء كلها وانه لا شريك له في ذلك (فأنى تؤفكون) أي فأنى تصرفون عن الحق (كذلك) أي كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك (يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا) اى فراشا لتستقروا عليها وقيل منزلا في حال الحياة وبعد الموت (والسماء بناء) أي سقفا مرفوعا كالقبة (وصوركم فأحسن صوركم) أي خلقكم فأحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه (ورزقكم من الطيبات)

اللذيذات (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا اله الا هو فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) اى الطاعة من الشرك والرياء قائلين (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين ولما طلب الكفار منه عليه السلام عبادة الاوثان نزل (قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى) هى القرآن وقيل العقل والوحى (وأمرت ان اسلم) استقيم وانقاد (لرب العالمين هو الذى خلقكم) اى اصلكم (من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا) اقتصر على الواحد لان المراد بيان الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) متعلق بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك (ثم لتكونوا شيوخا) وبكسر الشين مكى وحمزة وعلى وحماد ويحيى والاعشى (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل بلوغ الاشد اومن قبل الشيخوخة (ولتبلغوا أجلا مسمى) معناه ويفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت اويوم القيامة (ولعلكم تعقلون) ما فى ذلك من العبر والحجج (هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) أى فانما يكونه سريعا من غير كلفة (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون) ذكر الجدال فى هذه السورة فى ثلاثة مواضع فجاز ان يكون فى ثلاثة أقوام او ثلاثة اصناف اوللتأكيد (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن (وبما ارسلنا به رسلنا) من الكتب (فسوف يعلمون اذ الاغلال فى اعناقهم) اذ ظرف زمان ماض والمراد به هنا الاستقبال وهذا لان الامور المستقبلة لما كانت فى اخبار الله تعالى مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال (والسلاسل) عطف على الاغلال والخبر فى اعناقهم والمعنى اذ الاغلال والسلاسل فى أعناقهم (يسحبون فى الحميم) يجرون فى الماء الحار (ثم فى النار يسجرون) من سجر التنور اذ ملأه بالوقود ومعناه انهم فى النار فهى محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها اجوافهم (ثم قيل لهم) أى تقول لهم الخزنة (اينما كنتم تشركون من دون الله) يعنى الاصنام التى تعبدونها (قالوا ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيئا) أى تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شئ فاذا هو ليس بشئ اذا خبرته فلم تر عنده خيرا (كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة او طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا أو كما أضل هؤلاء المجادلين يضل سائر الكافرين نعدهم الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين (ذلكم) اى العذاب الذى نزل بكم (بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان فيقال لهم (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم (خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق جهنم (فاصبر) يا محمد (ان وعد الله) باهلاك الكفار (حق) كائن (فامانرينك) اصله فان نريك وما مزيدة لتوكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمنى أكرمك ولكن اما تكرمنى اكرمك (بعض الذى

قيل هو ما خلق الله لعباده من المأكل والمشرب من غير رزق الدواب (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى) وهذا يفيد الحصر اى لا حى الا هو فوجب أن يحمل ذلك على الذى يمتنع ان يموت امتناعا تاما ثابتا وهو الله تعالى الذى لا يوصف بالحياة الكاملة الا هو والحى هو المدرك الفعال لما يريد وهذه اشارة الى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوحدانية بقوله (لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) اى فادعوه واحمدوه قال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين (قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين) وذلك حين دعى الى الكفر امره الله تعالى ان يقول ذلك قوله (هو الذى خلقكم من تراب) يعنى أصلكم آدم وقيل يحتمل ان كل انسان خلق من تراب لانه خلق من النطفة وهى من الاغذية والاغذية من النبات والنبات من التراب (ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا) يعنى ان مراتب الانسان بعد خروجه من بطن أمه ثلاث الطفولية وهى حالة النمو والزيادة الى أن يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهى الشيخوخة (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل أن يصير شيخا (ولتبلغوا) اى جميعا (أجلا مسمى) اى وقتا محدودا لا تجاوزونه يعنى أجل الحياة الى الموت (ولعلكم تعقلون) اى ما فى هذه الاحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته (هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) اى يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من الافعال الدالة على قدرته كأنه قال من الاقتدار اذا قضى أمرا كان اهون شئ وأسرعه قوله تعالى (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله) يعنى القرآن (انى يصرفون) اى عن دين الحق وقيل نزلت فى القدرية (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون) فيه وعيد وتهديد ثم وصف ما أوعدهم به فقال تعالى (اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون) اى يجرون بتلك السلاسل (فى الحميم ثم فى النار يسجرون) اى توقد بهم النار (ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله) يعنى الاصنام (قالوا ضلوا عنا) اى فقدناهم فلم نرهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيئا) قيل انهم انكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعو شيئا ينفع ويضر وقيل ضاعت عبادتنا لها فكانا لم نكن ندعو من قبل شيئا (كذلك يضل الله الكافرين) اى كما اضل هؤلاء (ذلكم) اى العذاب الذى نزل بكم (بما كنتم تفرحون) اى تبطرون وتأشرون (فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) اى تختالون وتفرحون به (ادخلوا أبواب جهنم) يعنى السبعة (خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) أى عن الايمان قوله تعالى (فاصبر ان وعد الله حق) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى بنصرك على الاعداء (فامانرينك بعض الذى

نعدهم اونتوفينك فالينا يرجعون) هذا الجزاء متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف وتقديره واما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك أوان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم اشد الانتقام (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك) الى أممهم (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) قيل بعث الله ثمانية آلاف نبى أربعة آلاف من بنى اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس وعن على رضى الله عنه ان الله تعالى بعث نبيا اسود فهو ممن لم تذكر قصته فى القرآن (وما كان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله) وهذا جواب اقتراحهم الآيات عنادا يعنى انا قد ارسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم ان يأتى بآية الا باذن الله فمن اين لى بأن آتى بآية مما تقترحونه الا ان يشاء الله ويأذن فى الاتيان بها (فاذا جاء أمر الله) أى يوم القيامة وهو وعيد ورد عقيب اقتراحهم الآيات (قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون) المعاندون الذين اقترحوا الآيات عنادا (الله الذى جعل) خلق (لكم الانعام) الابل (لتركبوا منها ومنها تأكلون) اى لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها (ولكم فيها منافع) اى الالبان والاوبار (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) اى لتبلغوا عليها ما تحتاجون اليه من الامور (وعليها) وعلى الانعام (وعلى

نعدهم) أى من العذاب فى حياتك (أونتوفينك) اى قبل أن يحل ذلك بهم (فالينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك) اى خبره وحاله فى القرآن (ومنهم من لم نقصص عليك) أى ولم نذكر لك حال الباقين منهم وليس منهم أحد الا اعطاه الله تعالى آيات ومعجزات وقد جادله قومه وكذبوه فيها وما جرى عليهم يقارب ما جرى عليك فصبر وا وهذا تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم (وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) اى بأمره وارادته (فاذا جاء أمر الله) أى قضاؤه بين الانبياء والامم (قضى بالحق) أى بالعدل (وخسر هنالك المبطلون) أى الذين يجادلون فى آيات الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى (الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع) اى فى اصوافها وأوبارها وأشعارها والبانها (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) اى تحمل اثقالكم من بلد الى بلد فى اسفاركم وحاجاتكم (وعليها وعلى الفلك تحملون) أى على الابل فى البر وعلى السفن فى البحر (ويريكم آياته) اى دلائل قدرته (فأى آيات الله تنكرون) يعنى ان هذه الآيات التى ذكرها ظاهرة باهرة فليس شئ منها يمكن انكاره قوله تعالى (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الارض) يعنى مصانعهم وقصورهم والمعنى لو سار هؤلاء فى اطراف الارض لعرفوا ان عاقبة هؤلاء المنكرين المتمردين الهلاك والبوار مع انهم كانوا أكثر عددا وأموالا من هؤلاء (فما أغنى عنهم) اى لم ينفعهم (ما كانوا يكسبون) اى اى شئ أغنى عنهم كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا) اى رضوا (بما عندهم من العلم) قيل هو قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم بأحوال الدنيا سمى ذلك علما على ما يزعمونه وهو فى الحقيقة جهل (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا) اى عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) أى تبرأنا مما كنا نعدل بالله (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده) يعنى ان سنة الله قد جرت فى الامم الخالية بعدم قبول الايمان عند معاينة البأس وهو العذاب يعنى بتلك السنة انهم اذا رأوا العذاب آمنوا ولا ينفعهم ايمانهم عند معاينة العذاب (وخسر هنالك الكافرون) اى بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر فى كل وقت ولكنه يتبين خسرانه اذا رأى العذاب والله سبحانه وتعالى أعلم

* (تفسير سورة فصلت وتسمى سورة السجدة وسورة المصابيح وهى مكية وهى أربع وخمسون آية

الفلك تحملون) اى على الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك فى البر والبحر (ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون) انها ليست من عند الله واى نصب بتنكرون وقد جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى اى اغرب لابهامه (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم) عددا (وأشد قوة) بدنا (وآثارا فى الارض) قصورا ومصانع (فما أغنى عنهم) ما نافية (ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) يريد علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهى ابعد شئ من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به او علم الفلاسفة والدهريين فانهم كانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا

حاجة بنا الى من يهذبنا او المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كانه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحى فرحين مرحين ويدل عليه قوله (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) او الفرح للرسل اى الرسل لما رأوا جهلهم واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) اى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم (سنة الله) بمنزلة وعد الله ونحوه من المصادر المؤكدة (التى قد خلت فى عباده) ان الايمان عند نزول العذاب لا ينفع وان العذاب نازل بمكذبى الرسل (وخسر هنالك الكافرون) هنالك مكان مستعار للزمان والكافرون خاسرون فى كل أوان ولكن يتبين خسرانهم اذا عاينوا العذاب وفائدة ترادف الفاآت فى هذه الآيات أن فما أغنى عنهم نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وفلما جاءتهم رسلهم كالبيان والتفسير لقوله فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وفلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله والله أعلم

(سورة فصلت مكية وهى ثلاث وخمسون آية)

وسبعمائة وست وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وثلثمائة وخمسون حرفا) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته) أي بينت وميزت وجعلت معاني مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد (قرآنا عربيا) أي باللسان العربي (لقوم يعلمون) أي انما انزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم مافهموه (بشيرا ونذيرا) نعتان للقرآن اي بشيرا لاولياء الله بالثواب ونذيرا لاعدائه بالعقاب (فأعرض أكثرهم) اي عنه (فهم لا يسمعون) اي لا يصغون اليه تكبرا (وقالوا) يعني مشركي مكة (قلوبنا في أكنة) اي أغطية (مما تدعونا اليه) اي فلا نفقه ماتقول (وفي آذاننا وقر) اي صمم فلا نسمع ماتقول والمعنى انا في ترك القبول منك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع (ومن بيننا وبينك حجاب) أي خلاف في الدين وحاجز في الملة فلا نوافقك على ماتقول (فاعمل) اي انت على دينك (اننا عاملون) اي على ديننا (قل) يا محمد (انما أنا بشر مثلكم) اي كواحد منكم (يوحى الي) اي لولا الوحي مادعوتكم قال الحسن علمه الله تعالى التواضع (انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه) اي توجهوا اليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله (واستغفروه) اي من ذنوبكم وشرككم (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) قال ابن عباس لا يقولون لا اله الا الله لانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وقيل لا يقرون بالزكاة المفروضة ولا يرون ايتاءها واجبا يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقيل معناه لا ينفقون في طاعة الله ولا يتصدقون وقيل لا يزكون أعمالهم (وهم بالآخرة هم كافرون) اي جاحدون بالبعث بعد الموت (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون) قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون عليهم به وقيل غير محسوب نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون فيه (خ) عن ابي موسى الاشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول اذا كان العبد يعمل عملا صالحا فشغله عنه مرض أو سفر كتب الله تعالى له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم قوله عز وجل (قل أئنكم) استفهام بمعنى الانكار وذكر عنهم شيئين منكرين أحدهما الكفر بالله تعالى وهو قوله تعالى (لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) وثانيهما (وتجعلون له أندادا) اثبات الشركاء والانداد له والمعنى كيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة اندادا لله تعالى مع انه تعالى هو الذي خلق الارض في يومين يعني الأحد والاثنين (ذلك رب العالمين) اي هو رب العالمين

(بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) ان جعلته اسما للسورة كان مبتدأ (تنزيل) خبره وان جعلته تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أو تنزيل مبتدأ (من الرحمن الرحيم) صفته (كتاب) خبره (فصلت آياته) ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك (قرآنا عربيا) نصب على الاختصاص والمدح اي أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت او على الحال اي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا (لقوم يعلمون) اي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي ولقوم يتعلق بتنزيل او بفصلت اي تنزيل من الله لاجلهم او فصلت آياته لهم والاظهر ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب (بشيرا ونذيرا) صفتان لقرآنا (فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) اي لا يقبلون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه (وقالوا قلوبنا في أكنة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (مما تدعونا اليه) من التوحيد (وفي آذاننا وقر) ثقل يمنع من استماع قولك (ومن بيننا وبينك حجاب) ستر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كانها في غلف واغطية تمنع من نفوذه فيها ومج اسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كان بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل او نحوه فلا تلاقي ولا ترائي (فاعمل) على دينك (اننا عاملون) على ديننا أو فاعمل في ابطال امرنا اننا عاملون في ابطال امرك وفائدة زيادة من أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد) هذا جواب لقولهم قلوبنا في أكنة ووجهه انه قال لهم اني لست بملك وانما أنا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت نبوتي بالوحي الي وانا بشر واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى الي ان الهكم اله واحد (فاستقيموا اليه) فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء (واستغفروه) من الشرك (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) لا يؤمنون بوجوب الزكاة ولا يعطونها أو لا يفعلون ما يكونون به ازكياء وهو الايمان (وهم بالآخرة) بالبعث والثواب والعقاب (هم كافرون) وانما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة لان احب الشيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على استقامته وصدق نيته ونصوع طويته وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وما ارتدت بنو حنيفة الا بمنع الزكاة وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكاة وتخويف شديد من منعها (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) مقطوع قيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) الاحد والاثنين تعليما للاناة ولو أراد ان يخلقها في لحظة لفعل (وتجعلون له اندادا) شركاء واشباها (ذلك) الذي خلق ما سبق (رب العالمين) خالق جميع الموجودات وسيدها ومربيها

(وجعل فيها) فى الارض (رواسى) جبالا ثوابت (من فوقها) انما اختار ارساءها فوق الارض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها وليبصر ان الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك وهو الله عز وجل (وبارك) بالماء والزرع والشجر والثمر (فيها) فى الارض وقيل وبارك فيها واكثر خيرها (وقدر فيها اقواتها) أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام) فى تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين تقول سرت من البصرة الى بغداد فى عشرة والى الكوفة فى خمسة عشر أى تتمة خمسة عشر ولابد من هذا التقدير لانه لو اجرى على الظاهر لكانت ثمانية ايام لانه قال خلق الارض فى يومين ثم قال وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ثم قال فقضاهن سبع سموات فى يومين فيكون خلاف قوله فى ستة أيام فى موضع آخر وفى الحديث ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والعمران والخراب فتلك أربعة ايام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة وخلق آدم عليه السلام فى آخر ساعة من يوم الجمعة قيل هى الساعة التى تقوم فيها القيامة (سواء) يعقوب صفة للايام اى فى أربعة أيام مستويات تامات سواء بالرفع يزيد أى هى سواء غيرهما سواء على المصدر أى استوت سواء اى استواء او على الحال (للسائلين) متعلق بقدر أى قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها والمحتاجين اليها الان كلا يطلب القوت ويسأله أو بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سأل فى كم خلقت الارض وما فيها (ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) هو مجاز عن ايجاد الله تعالى السماء على ما أراد تقول العرب فعل فلان كذا ثم استوى الى عمل كذا يريدون انه اكمل الاول وابتدأ الثانى ويفهم منه ان خلق السماء كان بعد خلق الارض وبه قال ابن عباس رضى الله عنهما وعنه انه قال أول ما خلق الله تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة ألف سنة فى مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان بتسليط النار عليها فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد ارضا والدخان سماء ومعنى امر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما انه أراد ان يكونهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا فى ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وانما ذكر الارض مع السماء فى الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين لانه قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغى ان تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتى يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتى يا سماء مقبية سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول اتى عمله مرضيا وقوله طوعا أو كرها لبيان تأثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تأثير قدرته محال كما تقول لمن تحت يدك لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين او مكرهتين وانما لم يقل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لانهما سموات وارضون لانهن لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفهن بالطوع والكره قيل طائعين فى موضع طائعات كقوله ساجدين (فقضاهن) فأحكم خلقهن قال وعليهما مما مردودتان قضاهما والضمير يرجع الى السماء لان السماء للجنس ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بقوله (سبع سموات) والفرق بين النصبين فى سبع سموات ان الاول على الحال والثانى على التمييز (فى يومين) فى يوم الخميس والجمعة (وأوحى فى كل سماء أمرها) ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك (وزينا السماء الدنيا) القريبة من الارض

وخالقهم المستحق للعبادة لا الاصنام المنحوتة من الخشب والحجر (وجعل فيها رواسى) اى جبالا ثوابت (من فوقها) اى من فوق الارض (وبارك فيها) اى فى الارض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه (وقدر فيها اقواتها) أى قسم فى الارض أرزاق العباد والبهائم وقيل قدر فى كل بلدة ما لم يجعله فى الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر البر لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر آخر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك سائر الاقوات قيل ان الزراعة أكثر الحرف بركة لان الله تعالى وضع الاقوات فى الارض قال الله تعالى وقدر فيها أقواتها (فى أربعة ايام) اى مع اليومين الاولين فخلق الارض فى يومين وقدر الاقوات فى يومين وهما يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء فصارت اربعة ايام رد الآخر على الاول فى الذكر (سواء للسائلين) معناه سواء لمن سأل عن ذلك أى فهكذا الامر سواء لا زيادة فيه ولا نقصان جوابا لمن سأل فى كم خلقت الارض والاقوات (ثم استوى الى السماء) اى عمد الى خلق السماء (وهى دخان) ذلك الدخان كان بخار الماء قيل كان العرش قبل خلق السموات والارض على الماء فلما اراد الله تعالى ان يخلق السموات والارض امر الريح فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم أيبس الماء فخلقه ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا فان قلت هذه الآية مشعرة بان خلق الارض كان قبل خلق السماء وقوله والارض بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الارض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما قلت الجواب المشهور انه تعالى خلق الارض اولا ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحا الارض ومدها وجواب آخر وهو ان يقال ان خلق السماء مقدم على خلق الارض فعلى هذا يكون معنى الآية خلق الارض فى يومين وليس الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير أيضا فيكون المعنى قضى ان يحدث الارض فى يومين بعد احداث السماء فعلى هذا يزول الاشكال والله أعلم بالحقيقة (فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها) اى ائتيا ما أمرتكما به اى افعلاه وقيل افعلا ما امرتكما طوعا والا الجأتكما الى ذلك حتى تفعلاه كرها فاجابتا بالطوع (قالتا أتينا طائعين) معناه اتينا بما فينا طائعين فلما وصفهما بالقول اجراهما فى الجمع مجرى من يعقل قيل قال الله تعالى لهما اخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد اما أنت يا سماء فأطلعى شمسك وقمرك ونجومك وأنت يا ارض فشقى انهارك وأخرجى ثمارك ونباتك وقوله تعالى (فقضاهن سبع سموات) أى اتمهن وفرغ من خلقهن (فى يومين) وهما الخميس والجمعة (واوحى فى كل سماء امرها) قال ابن عباس خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى وقيل اوحى الى كل سماء ما اراد من الامر والنهى (وزينا السماء الدنيا) اى التى تلى

الارض (بمصابيح) أى بكواكب تشرق كالمصابيح (وحفظا) أى وجعلناها يعنى الكواكب حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع (ذلك) اى الذى ذكر من صنعه وخلقه (تقدير العزيز) أى فى ملكه (العليم) اى بخلقه وفيه اشارة الى كمال القدرة والعلم قوله تعالى (فان اعرضوا) يعنى هؤلاء المشركين من الايمان بعد هذا البيان (فقل انذرتكم) أى خوفتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) اى هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شئ (اذ جاءتهم الرسل) يعنى الى عاد وثمود (من بين ايديهم) يعنى الرسل الذين ارسلوا الى آبائهم (ومن خلفهم) يعنى ومن بعد الرسل الذين ارسلوا الى آبائهم وهم الرسل الذين ارسلوا اليهم وهما هود وصالح وانما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم (ان لا) أى بان لا (تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة) يعنى لو شاء ربنا دعوة الخلق لانزل ملائكة بدل هؤلاء الرسل (فانا بما ارسلتم به كافرون) روى البغوى باسناده الثعلبى عن جابر بن عبد الله قال قال الملأ من قريش وابو جهل قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فأتاه فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على ان كان كذلك فاتاه فلما خرج اليه قال يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير أم عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فان كان ما بك للرياسة عقدنا لك الويتنا فكنت رئيسا ما بقيت وان كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من اى بنات قريش وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغنى به انت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال ابو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبأ الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال ابو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا الا انك صبوت الى محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة واقسم لا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم انى من أكثر قريش مالا ولكنى اتيته وقصصت عليه القصة فأجابنى بشئ والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب وقال محمد بن كعب القرظى حدثت ان عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فى المسجد يا معشر قريش الا اقوم الى محمد فأكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل منها بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين اسلم حمزة ورأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون قالوا بلى يا أبا الوليد فقم اليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخى انك منا حيث علمت من البسطة فى العشيرة والمكانة فى النسب وانك قد اتيت قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت احلامهم وعبت آلهتهم وكفرت من مضى من آبائهم فاستمع منى اعرض عليك أمورا تنظر فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد فقال يا ابن أخى ان كنت انما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا وان كان هذا الذى بك رأيا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب اولعل هذا شعر جاش به صدرك فنعذرك فانكم لعمرى بنى عبد المطلب تقدرون من ذلك على ما لا يقدر عليه أحد حتى اذا فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاستمع منى قال فافعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة انصت والقى يده خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(بمصابيح) بكواكب (وحفظا) وحفظناها من المسترقة بالكواكب حفظا (ذلك تقدير العزيز) الغالب غير المغلوب (العليم) بمواقع الامور (فان أعرضوا) عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) خوفتكم (صاعقة) عذابا شديد الوقع كأنه صاعقة واصلها رعد معه نار (مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) أى أتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا الاعراض وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة (أن) بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة اصله بأنه (لا تعبدوا الا الله قالوا) اى القوم (لو شاء ربنا) ارسال الرسل فمفعول شاء محذوف (لانزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون) معناه فاذا انتم بشر ولستم بملائكة فانا لن نؤمن بكم وبما جئتم به وقوله ارسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وقولهم فانا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم روى ان قريشا بعثوا عتبة بن ربيعة وكان احسنهم حديثا ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وينظر ما يريد فأتاه وهو فى الحطيم فلم يسأل شيئا الا اجابه ثم قرأ عليه السلام السورة الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فناشده بالرحم وامسك على فيه ووثب مخافة أن يصب عليهم العذاب فأخبرهم به وقال لقد عرفت السحر والشعر فوالله ما هو بساحر ولا بشاعر فقالوا لقد صبأت اما فهمت منه كلمة فقال لا ولم اهتد الى جوابه فقال عثمان ابن مظعون ذلك والله لتعلموا انه من رب العالمين ثم بين ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال

(فأماعادفاستكبروافى الارض بغيرالحق) أى تعظموافيهاعلى اهلهابمالايستحقون به التعظيم وهوالقوة وعظم الاجرام اواستولواعلى الارض بغيراستحقاق للولاية (وقالوامن أشدمناقوة) كانواذوى اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده (أولم يروا) اولم يعلموا علمايقوم مقام العيان (أن الله الذى خلقهم هواشدمنهم قوة) أوسع منهم قدرة لانه قادرعلى كل شئ وهم قادرون على بعض الاشياء باقداره (وكانوابآياتنا يجحدون) معطوف على فاستكبروا اى كانوا يعرفون انهاحق ولكنهم جحدوها كمايجحدالمودع الوديعة (فأرسلناعليهم ريحاصرصرا) عاصفة تصرصر اى تصوت فى هبوبهامن الصرير اوباردة تحرق بشدة بردهاتكرير لبناء الصر وهوالبرد قيل انهاالدبور (فى أيام نحسات) مشؤمات عليهم نحسات مكى وبصرى ونافع ونحس نحسانقيض سعد سعدا وهونحس واما نحس فامامخفف نحس اوصفة على فعل اووصف بمصدر وكانت من الاربعاء فى آخر شوال الى الاربعاء وماعذب قوم الافى الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا) اضاف العذاب الى الخزى وهوالذل على انه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزى كماتقول فعل السوء تريدالفعل السيئ ويدل عليه قوله (ولعذاب الآخرة أخزى) وهومن الاسناد المجازى ووصف العذاب بالخزى ابلغ من وصفهم به فشتان مابين قوليك هوشاعروله شعرشاعر (وهم لاينصرون) من الاصنام التى عبدوها على رجاء النصرلهم (واماثمود) بالرفع على الابتداء وهوالفصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء والخبر (فهديناهم) وبالنصب المفضل باضمارفعل يفسره فهديناهم اى بينا لهم الرشد (فاستحبواالعمى على الهدى) فاختاروا الكفرعلى الايمان (فأخذتهم صاعقة العذاب) داهية العذاب (الهون) الهوان وصف به العذاب مبالغة اوابدله منه (بما كانوايكسبون) بكسبهم وهوشركهم ومعاصيهم وقال الشيخ ابومنصوريحتمل ماذكرمن الهداية التبيين كمابينا ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروامهتدين ثم كفروابعدذلك وعقروا الناقة لان الهدى المضاف الى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء فأما الهدى المضاف الى الخلق يكون بمعنى البيان لاغير وقال صاحب الكشاف فيه فان قلت أليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله فى الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنهم فازاح عللهم ولم يبق لهم عذرفكانه حصل البغية فيهم بتحصيل مايوجبها ويقتضيها وانماتمحل بهذالانه لايتمكن من ان يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه الفاسد (ونجينا لذين آمنوا) اى اختاروالهدى على العمى من تلك الصاعقة (وكانوايتقون) اختيارالعمى على الهدى (ويوم يحشرأعداءالله الى النار) اى الكفارمن الاولين والآخرين نحشرأعداء نافع ويعقوب (فهم يوزعون) يحبس اولهم على آخرهم اى يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهى عبارة عن كثرة اهل النار واصله من وزعته اى كففته (حتى اذاماجاؤها) صاروابحضرتها ومامزيدة للتأكيد ومعنى التأكيدان وقت مجيئهم النارلامحالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولاوجه لان يخلومنها (شهدعليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بماكانوايعملون) شهادة الجلود بملامسة الحرام وقيل هى كناية عن الفروج

الى السجدة فسجد ثم قال اسمعت ياأباالوليد فأنت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقدجاءكم ابوالوليد بغيرالوجه الذى ذهب به فلماجلس اليهم قالواماوراءك ياأباالوليد قال ورائى انى سمعت قولا والله ماسمعت بمثله قط ماهوبشعرولابسحرولاكهانة يامعشرقريش اطيعونى يامعشرقريش خلوابين هذاالرجل وبين ماهوفيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأفان تصبه العرب فقدكفيتموه بغيركم وان يظهرعلى العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وأنتم اسعدالناس به قالواسحرك والله محمدياأباالوليد بلسانه قال هذارأيى لكم فاصنعوامابدالكم قوله عزوجل (فأماعاد فاستكبروافى الارض بغيرالحق وقالوامن أشدمناقوة) وذلك أن هوداهددهم بالعذاب فقالوانحن نقدر على دفع العذاب عنابفضل قوتنا وكانواذوى أجسام طوال قال الله تعالى رداعليهم (أولم يروا) اى اولم يعلموا (أن الله الذى خلقهم هوأشدمنهم قوة وكانوابآياتنايجحدون فأرسلناعليهم ريحاصرصرا) أى عاصفاشديدالصوت وقيل هى الريح الباردة قيل ان الريح ثمانية فأربع منهاعذاب وهى الريح الصرصروالعاصف والقاصف والعقيم وأربع منهارحمة وهى الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل أرسل عليهم من الريح على قدرخرق الخاتم فأهلكواجميعا (فى أيام نحسات) أى نكدات مشؤمات ذات نحس وقيل ذات غبار وتراب ثائرلايكاديبصرفيه وقيل أمسك الله عزوجل عنهم المطرثلاث سنين ودأبت عليهم الريح من غيرمطر (لنذيقهم عذاب الخزى) أى عذاب الذل والهوان وذلك مقابل لقوله فاستكبروافى الارض بغيرالحق (فى الحياة الدنيا) أى ذلك الذى نزل بهم من الخزى والهوان فى الحياة الدنيا (ولعذاب الآخرة أخزى) اى أشداهانة (وهم لاينصرون) أى لايمنعون من العذاب (وأماثمود فهديناهم) قال ابن عباس بينالهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر (فاستحبواالعمى على الهدى) أى اختاروا الكفرعلى الايمان (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) أى ذى الهوان (بماكانوا يكسبون) أى من الشرك (ونجيناالذين آمنواوكانوايتقون) اى يتقون الشرك والاعمال الخبيثة وهم صالح ومن آمن معه من قومه قوله تعالى (ويوم يحشرأعداءالله الى النارفهم يوزعون) أى يساقون ويدفعون وقيل يحبس اولهم حتى يلحق آخرهم (حتى اذاماجاؤها) يعنى النار (شهدعليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) اى بشراتهم وقيل فروجهم (بماكانوايعملون) معناه ان الجوارح تنطق بماكتمت الالسن من عملهم (م) عن أنس رضى الله تعالى عنه قال كناعندرسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قلناالله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبدربه عزوجل يقول يارب الم تجرنى من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فانى لااجيزاليوم على نفسى الاشاهدامنى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيباوبالكرام الكاتبين عليك شهوداقال فيختم على فيه ويقال لاعضائه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدالكن وسحقافعنكن كنت اناضل

(وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) لما تعاظمهم من شهادتها عليهم (قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) من الحيوان والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وهو قادر على انشائكم أول مرة وعلى اعادتكم ورجوعكم الى جزائه (وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) اى انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا (ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) ولكنكم انما استترتم لظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من اعمالكم (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) وذلك الظن هو الذي

أهلككم وذلكم مبتدأ وظنكم خبر والذي ظننتم بربكم صفته وارداكم خبر ثان او ظنكم بدل من ذلكم وارداكم الخبر (فأصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم) اى فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار (وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) وان يطلبوا الرضى فما هم من المرضيين أو ان يسألوا العتبى وهي الرجوع جزعا مما هم فيه لم يعتبوا أى لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها (وقيضنا لهم) اى قدرنا لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيضان اى مثلان والمقايضة المعاوضة وقيل سلطنا عليهم (قرناء) اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم) اى ما تقدم من اعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر العاقبة وان لا بعث ولا حساب (وحق عليهم القول) كلمة العذاب (في أمم) في جملة أمم ومحله النصب على الحال من الضمير في عليهم اى حق عليهم القول كائنين في جملة أمم (قد خلت من قبلهم) قبل اهل مكة (من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) هو تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن) اذا قرئ (والغوا فيه لعلكم تغلبون) وعارضوه بكلام غير مفهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) يجوز ان يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وان يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم (ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون) اى اعظم عقوبة النار على اسوئ أعمالهم وهو الكفر (ذلك جزاء أعداء الله) ذلك اشارة الى الاسوئ ويجب ان يكون التقدير اسوأ جزاء الذين كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة (النار) عطف بيان للجزاء او خبر مبتدأ محذوف (لهم فيها دار الخلد) اى النار في نفسها دار الخلد كما تقول لك في هذه الدار دار السرور وانت تعني الدار بعينها (جزاء) اى جوزوا بذلك جزاء (بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا) وبسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ مكي وشامي وابو بكر وبالاختلاس ابو عمرو (اللذين أضلانا) اى الشيطانين اللذين اضلانا (من الجن والانس) لان الشيطان على ضربين جني وانسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن (نجعلهما تحت اقدامنا

(وقالوا) يعني الكفار الذين يحشرون الى النار (لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي انطق كل شيء) معناه ان القادر الذي خلقكم اول مرة في الدنيا وانطقكم ثم أعادكم بعد الموت قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله تعالى (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وقيل تم الكلام عند قوله الذي انطق كل شيء ثم ابتدأ بقوله وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وقيل انه ليس من جواب الجلود (وما كنتم تستترون) أي تستخفون وقيل معناه تظنون (أن يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم) والمعنى انكم لا تقدرون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون انها تشهد عليكم (ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر (ق) عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم اترون ان الله تعالى يسمع ما نقول قال الآخر يسمع اذا جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفي هو عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية قوله تعالى (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم) اى ظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (أرداكم) أى اهلككم قال ابن عباس طرحكم في النار (فأصبحتم من الخاسرين) ثم اخبر عن حالهم بقوله تعالى (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أي مسكن (وان يستعتبوا) أي يسترضوا ويطلبوا العتبى والمعتب هو الذي قبل عتابه وأجيب الى ما سأل (فما هم من المعتبين) أي المرضيين (وقيضنا لهم) أي بعثنا ووكلنا وهيأنا لهم وقيل سببنا لهم (قرناء) أي نظراء من الشياطين حتى اضلوهم (فزينوا لهم ما بين أيديهم) اى من امر الدنيا حتى آثروه على الآخرة (وما خلفهم) اى فدعوهم الى التكذيب بالآخرة وانكار البعث وقيل حسنوا لهم اعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة (وحق عليهم القول) أى وجب (في أمم) أي مع أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعني مشركي قريش (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) قال ابن عباس والغوا فيه من اللغط وهو كثرة الاصوات كان بعضهم يوصي الى بعض اذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر وقيل أكثروا الكلام حتى يختلط عليه ما يقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والصفير وقيل صيحوا في وجهه (لعلكم تغلبون) يعني محمدا على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ) يعني باسوء (الذي كانوا يعملون) أي في الدنيا وهو الشرك (ذلك) اى الذي ذكر من العذاب (جزاء اعداء الله) ثم بين ذلك الجزاء فقال (النار لهم فيها دار الخلد) أي دار الاقامة لا انتقال لهم عنها (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا) أي في النار (ربنا) أي يقولون يا ربنا (أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس) يعنون ابليس وقابيل بن آدم الذي قتل اخاه لانهما سنا المعصية (نجعلهما تحت أقدامنا) اى في

ليكونا من الاسفلين) في النار جزاء اضلالهم ايانا (ان الذين قالوا ربنا الله) اى نطقوا بالتوحيد (ثم استقاموا) ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن الصديق رضى
الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم

الامر على اشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا

النار (ليكونا من الاسفلين) اى فى الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا أشد عذابا منا
قوله عز وجل (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال اهل التحقيق كمال الانسان ان يعرف الحق
لذاته لاجل العمل به ورأس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا
الله ورأس الاعمال الصالحة ان يكون الانسان مستقيما فى الوسط غير مائل الى طرفى الافراط والتفريط
فتكون الاستقامة فى أمر الدين والتوحيد فتكون فى الاعمال الصالحة سئل أبو بكر الصديق رضى الله
عنه عن الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيئا وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الاستقامة
ان تستقيم على الامر والنهى ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان رضى الله تعالى عنه استقاموا اخلصوا
فى العمل وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أدوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا
على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله
وكان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة (تتنزل عليهم الملائكة) قال
ابن عباس عند الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون فى ثلاث مواطن عند الموت
وفى القبر وعند البعث (ان لا تخافوا) أى من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة
(ولا تحزنوا) اى على ما خلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم فى ذلك كله وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا
فأنا اغفرها لكم (وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن اولياؤكم) أى تقول لهم الملائكة عند نزولهم
بالبشرى نحن اولياؤكم أى انصاركم واحباؤكم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم (فى الحياة الدنيا و) نحن
اولياؤكم (فى الآخرة) لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها) أى فى الجنة (ما تشتهى أنفسكم) أى
من الكرامات واللذات (ولكم فيها ما تدعون) اى تتمنون (نزلا) أى رزقا والنزل رزق النزيل والنزيل
هو الضيف (من غفور رحيم) قال أهل المعانى كل هذه الاشياء المذكورة فى هذه الآية جارية مجرى
النزل والكريم اذا أعطى هذا النزل فما ظنك بما بعده من الالطاف والكرامة قوله تعالى (ومن أحسن
قولا ممن دعا الى الله) أى الى طاعة الله تعالى قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى
شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو المؤمن أجاب الله تعالى فيما دعاه اليه ودعا الناس الى ما اجاب اليه
(وعمل صالحا) فى اجابته وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها أرى هذه الآية نزلت فى المؤذنين وقيل ان
كل من دعا الى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل فى الآية وللدعوة الى الله مراتب الاولى دعوة الانبياء
عليهم الصلاة والسلام الى الله تعالى بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق لغير الانبياء
المرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله بالحجج والبراهين فقط والعلماء أقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء
باحكام الله المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله تعالى بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا
فى دين الله وطاعته المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم أيضا دعاة الى الله تعالى والى طاعته
وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من اعمال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون
بالجوارح وهو سائر الطاعات وقيل وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان والاقامة (ق) عن عبد الله
ابن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين
صلاة وقال فى الثالثة لمن شاء عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد
أخرجه أبو داود والترمذى وقال هذا حديث حسن (وقال اننى من المسلمين) قيل ليس الغرض منه
القول فقط بل يضم اليه اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ به قوله تعالى (ولا تستوى
الحسنة ولا السيئة) يعنى الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة (ادفع بالتى هى أحسن)
قال ابن عباس أمر بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الاساءة (فاذا الذى بينك وبينه

الى عبادة الاوثان وعن عمر رضى الله عنه لم يروغوا
روغان الثعالب اى لم ينافقوا وعن عثمان رضى
الله عنه اخلصوا العمل وعن على رضى الله عنه أدوا
الفرائض وعن الفضيل زهدوا فى الفانية ورغبوا
فى الباقية وقيل حقيقة الاستقامة القرار بعد
الاقرار لا الفرار بعد الاقرار (تتنزل عليهم
الملائكة) عند الموت (ان) بمعنى اى أو مخففة
من الثقيلة وأصله بأنه (لا تخافوا) والهاء ضمير
الشأن اى لا تخافوا ما تقدمون عليه (ولا تحزنوا)
على ما خلفتم فالخوف غم يلحق الانسان لتوقع
المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع
او حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم الامن
من كل غم فلن تذوقوه (وأبشروا بالجنة التى
كنتم توعدون) فى الدنيا وقال محمد بن على
الترمذى تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند
مفارقة الارواح الابدان ان لا تخافوا سلب
الايمان ولا تحزنوا على ما كان من العصيان
وابشروا بدخول الجنان التى كنتم توعدون فى
سالف الزمان (نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا
وفى الآخرة) كما ان الشياطين قرناء العصاة
واخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين
واحباؤهم فى الدارين (ولكم فيها ما تشتهى
أنفسكم) من النعيم (ولكم فيها ما تدعون)
تتمنون (نزلا) هو رزق النزيل وهو الضيف
وانتصابه على الحال من الهاء المحذوفة او من
ما (من غفور رحيم) نعت له (ومن أحسن
قولا ممن دعا الى الله) الى عبادته هو رسول الله
دعا الى التوحيد (وعمل صالحا) خالصا (وقال
اننى من المسلمين) تفاخرا بالاسلام ومعتقدا له
أو اصحابه عليه السلام أو المؤذنون او جميع الهداة
والدعاة الى الله (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة
ادفع بالتى هى احسن) يعنى ان الحسنة والسيئة
متفاوتتان فى انفسهما فخذ بالحسنة التى هى
احسن من أختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع
بها السيئة التى ترد عليك من بعض اعدائك
كما لو أساء اليك رجل اساءة فالحسنة ان تعفو
عنه والتى هى احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه او يقتل ولدك فتفتدى ولده من يد عدوه (فاذا الذى
بينك وبينه

عداوة كانه ولى حميم) فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولى الحميم مصافاة لك ثم قال (ومايلقاها) اى ومايلقى هذه الخصلة التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان (الا الذين صبروا) الا اهل الصبر (ومايلقاها الاذوحظ عظيم) الا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وانما لم يقل فادفع بالتى هى أحسن لانه على تقدير قائل قال فكيف أصنع فقال ادفع بالتى هى احسن وقيل لا مزيدة للتأكيد والمعنى لا تستوى الحسنة والسيئة وكان القياس على هذا التفسيران يقال ادفع بالتى هى حسنة ولكن وضع التى هى احسن موضع الحسنة ليكون أبلغ فى الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس رضى الله عنهما بالتى هى احسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ماعظم حظ دون الجنة وقيل نزلت فى ابى سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا للنبى صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا (واماينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على مالاينبغى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده اوأريد واماينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر اولتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى احسن (فاستعذ بالله) من شره وامض على حلمك ولا تطعه (انه هوالسميع) لاستعاذتك (العليم) بنزغ الشيطان (ومن آياته) الدالة على وحدانيته (الليل والنهار) فى تعاقبهما على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم (والشمس والقمر) فى اختصاصهما بسير مقدر ونور مقرر (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) فانهما مخلوقان وان كثرت منافعهما (واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون) الضمير فى خلقهن للآيات اوالليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة مالا يعقل حكم الانثى أوالاناث تقول الاقلام بريتها وبريتهن ولعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين فى عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان من عبد مع الله غيره لا يكون عابدا لله (فان استكبروا فالذين عند ربك) اى الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملون والمعنى فان استكبروا ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا الا الواسطة وأمروا ان يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا فدعهم وشأنهم فان الله تعالى لا يعدم عابدا وساجدا بالاخلاص ولله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وعند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وموضع السجدة عندنا عند لا يسأمون وعند الشافعى رحمه الله عند تعبدون والاول أحوط (ومن آياته انك ترى الارض خاشعة) يابسة مغبرة والخشوع التذلل فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لانبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) انتفخت (ان الذى احياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير) فيكون قادرا على البعث ضرورة (ان الذين يلحدون فى آياتنا) يميلون عن الحق فى ادلتنا بالطعن يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر فى شق فاستعير لحال الارض اذا كانت ملحودة فاستعير للانحراف فى تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة يلحدون حمزة (لا يخفون علينا) وعيد لهم على التحريف (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) هذا تمثيل للكافر والمؤمن

عداوة كأنه ولى حميم) أى صديق قريب قيل نزلت فى ابى سفيان بن حرب وذلك حيث لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التى حصلت بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة (ومايلقاها) أى ومايلقى هذه الخصلة والفعلة وهى دفع السيئة بالحسنة (الا الذين صبروا) أى على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام (ومايلقاها الاذوحظ عظيم) أى من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعنى مايلقاها الامن وجبت له الجنة (واماينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه أى يبعثه الى مالا ينبغى ومعنى الآية وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) اى من شره (انه هو السميع) اى لاستعاذتك (العليم) باحوالك قوله تعالى (ومن آياته) أى ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته (الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) اى انهما مخلوقان مسخران فلا ينبغى السجود لهما لان السجود عبارة عن نهاية التعظيم (واسجدوا لله الذى خلقهن) أى المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس والقمر (ان كنتم اياه تعبدون) يعنى ان ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون ان سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله عز وجل فنهوا عن السجود لهذه الوسائط وأمروا بالسجود لله الذى خلق هذه الاشياء كلها (فان استكبروا) أى عن السجود لله (فالذين عند ربك) يعنى الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) اى لا يفترون ولا يملون

(فصــــل) وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفى موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لاصحاب الشافعى احدهما انه عند قوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعى عن ابى حنيفة واحمد لان ذكر السجدة قبله والثانى وهو الاصح عند اصحاب الشافعى وكذلك نقله الرافعى انه عند قوله تعالى وهم لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد ابن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشرى عن ابى حنيفة لان عندها يتم الكلام (ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير) قوله تعالى (ان الذين يلحدون) اى يميلون عن الحق (فى آياتنا) اى فى ادلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقيل يكذبون بآياتنا ويعاندون ويشاقون (لا يخفون علينا) تهديد ووعيد قيل نزلت فى ابى جهل (أفمن يلقى فى النار) هو أبو جهل (خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) المعنى الذين يلحدون فى آياتنا يلقون فى النار والذين يؤمنون بآياتنا آمنون يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار

(اعملواماشئتم) هذانهايةفى التهديد ومبالغةفى الوعيد (انه بمـا تعملون بصير) فيجازيكم علـيه (ان الذين كفروا بالذكر) بالقرآن لانهم لـكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله (لمـا جاءهم) حين جاءهم وخبران محذوف اى يعذبون اوهالـكون اوأولئك ينـادون من مكان بعيد ومابينهما اعتراض (وانه لـكتاب عزيز) اى منيع محمى بحماية الله (لا يأتيه الباطل) التبديل أو التناقض (من بين يديه ولا من خلفه) اى بوجه من الوجوه (تنزيل من حكيم حميد) مستحق للحمد (مايقال لك) مايقول لك كفار قومك (الاماقد قيل للرسل من قبلك) الامثل ماقال للرسل كفار قومهم من الـكلمات المؤذية والمطاعنة فى الـكتب المنزلة (ان ربك لذو مغفرة) ورحمة لانبيـائه (وذو عقاب أليم) لاعدائهم ويجوزان يكون مايقول لك الله الامثل ماقال للرسل من قبلك والمقول هوقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم (ولوجعلناه) اى الذكر (قرآنا أعجميا) اى بلغة العجم كانوا لتعنتهم يقولون هلانزل القرآن بلغـة العجم فقيل فى جوابهم لوكان كمايقترحون (لقالوا لولا فصلت آياته) اى بينت بلسـان العرب حتى نفهمها تعنتا (أأعجمى وعربى) بهمزتين كوفى غيرحفص والهمزة للانكار يعنى لانكروا وقالوا أقرآن اعجمى ورسول عربى اومرسل اليه عربى الباقون بهمزة واحدة ممـدودة مستفهمة والاعجمى الذى لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العجم أو العرب والعجمى منسوب الى أمة العجم فصيحـا كان اوغيرفصيح والمعنى ان آيات الله علـى اى طريقة جاءتهم وجدوافيها متعنتا لانهم غـير طالبين للحق وانمـا يتبعون اهواءهم وفيـه اشارة على انه لوأنزله بلسـان العجم لـكان قرآنا فيكون دليلالابى حنيفة رضى الله عنه فى جواز الصلاة اذا قرأ بالفارسية (قل هو) أى القرآن (للذين آمنوا هدى) ارشادا الى الحق (وشفاء) لمـا فى الصـدور من الشك اذ الشك مرض (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر) فى موضع الجر لـكونه معطوفا علـى للذين آمنوا أى هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر اى صمم الاان فيـه عطفا علـى عاملين وهوجائز عند الاخفش أو الرفع وتقديره والذين لا يؤمنون هو فى آذانهم وقر على حذف المبتدا اوفى آذانهم منه وقر (وهو) اى القرآن (عليهم عمى) ظلمة وشبهة (أولئك ينـادون من مكان بعيد) يعنى انهم لعـدم قبولهم وانتفاعهم كانهم ينادون الى الايمان بالقرآن من حيث لا يسمعون لبعد المسافة وقيل ينادون فى القيامة من مكان بعيد بأقبح الاسماء (ولقد آتينا موسى الـكتاب فاختلف فيه) فقال بعضهم هوحق وقال بعضهم هوباطل كما اختلف قومك فى كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب (لقضى بينهم) لاهلكهم اهلاك استئصال وقيل الكلمة السابقة هى العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل فى ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم فى الدنيا (وانهم) وان الكفار (لفى شك منه مريب) موقع فى الريبة (من عمل صالحا فلنفسه) فنفسه نفع (ومن أساء فعليها) فنفسه ضر (وماربك بظلام للعبيد) فيعذب غير المسيء (اليه

ابن ياسر (اعملوا ماشئتم) امر تهديد ووعيد (انه بمـا تعملون بصير) أى انه عالم باعمالـكم فيجازيكم عليها (ان الذين كفروا بالذكر لمـا جاءهم) يعنى القرآن وفى جواب ان وجهان احدهـما انه محذوف تقديره ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثانى جوابه اولئك ينـادون من مكان بعيد ثم أخذ فى وصف الذكر فقال تعـالى (وانه لـكتاب عزيز) قال ابن عباس كريم على الله تعـالى وقيـل العزيز العديم النظير وذلك ان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل اعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله تعالى (لا يأتيه البـاطل من بين يديه ولا من خلفه) قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع ان يغيره وقيل انه محفوظ من ان ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه اويزاد فيأتيـه البـاطل من خلفه فعلى هـذا يكون معنى البـاطل الزيادة والنقصان وقيل لا يأتيه التكذيب من الـكتب التى قبله ولا يجىء بعده كتاب فيبطله وقيل معناه ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لا يأتيه الباطل عمـا اخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيمـا تأخر (تنزيل من حكيم) أى فى جميع افعـاله (حميد) أى الى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على تـكذيبهم اياه فقال عزوجل (مايقال لك) أى من الاذى والتـكذيب (الاماقد قيل للرسل من قبلك) يعنى انه قد قيل للانبياء قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت (ان ربك لذو مغفرة) أى لمن تاب وآمن بك (وذو عقاب اليم) اى ان اصر على التكذيب قوله عزوجل (ولوجعلناه) اى هـذا الـكتاب الذى تقرأه على النـاس (قرآنا أعجميا) أى بغير لغة العرب (لقـالوا لولا فصلت آياته) أى هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها (أأعجمى وعربى) اى اكتاب أعجمى ورسول عربى وهذا استفهام انـكار والمعـنى لونزل الـكتاب بلغة العجم لقـالوا كيف يكون المنزل عليه عربيا والمنزل عجميا وقيل فى معـنى الآية انا لوانزلنـا هذا القرآن بلغة العجم لـكان لهـم ان يقولوا كيف انزل الـكلام العجمى الى القوم العرب ولصح قولهـم ان يقولوا قلوبنا فى اكنة وفى آذاننا وقر لانا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه وانا لما أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب وهم يفهمونه فـكيف يمكنهم ان يقولوا قلوبنا فى أكنة وفى آذاننا وقر وقيـل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمى وكان يهوديا اعجميا يكنى أبا فكيهة فقال المشركون انمـا يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال هو والله يعلمنى فأنزل الله تعالى هذه الآية (قل) يامحمد (هو) يعنى القرآن (للذين آمنوا هدى) أى من الضلالة. (وشفاء) أى لمـا فى القلوب من مرض الشرك والشك وقيـل شفاء من الاوجاع والاسقام (والذين لا يؤمنون فى آذانهـم وقر وهو عليهـم عمى) أى عموا عن استمـاع القرآن وعموا عنـه فلا ينتفعون به (أولئـك ينـادون من مكان بعيد) أى كمان من دعى من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهـم كذلك هؤلاء فى قلة انتفاعهـم بمـا يوعظون به كانهم ينادون من حيث لا يسمعون (ولقد آتينا موسى الـكتاب فاختلف فيه) أى فصدق به ومكذب كما اختلف قومك فى كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى فى تأخير العذاب عن المـكذبين بالقرآن (لقضى بينهم) أى لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم (وانهم لفى شك منه مريب) أى من كتابك وصدقك (من عمل صالحـا فلنفسه) أى يعود نفـع ايمـانه وعمله لنفسه (ومن أساء فعليها) أى ضر اساءته وكفره يعود على نفسـه أيضا (وماربك بظلام للعبيد) يعنى فيعذب غير المسيء قوله عزوجل (اليه

يردعلم الساعة) اى علم قيامها يرد اليه اى يجب على المسؤل ان يقول الله يعلم ذلك (وماتخرج من ثمرات) مدنى وشامى وحفص وغيرهم بغير ألف (من اكمامها) اوعيتها قبل ان تنشق جمع كم (وماتحمل من أنثى) حملها (ولا تضع الا بعلمه) اى مايحدث شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد ايام الحمل وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك (ويوم يناديهم أين شركائى) اضافهم الى نفسه على زعمهم وبيانه فى قوله أين شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع (قالوا آذناك) اعلمناك وقيل أخبرناك وهو الاظهر اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم محال انما الاخبار للعالم بالشئ يتحقق بما علم به الا أن يكون المعنى انك علمت من قلوبنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه (مامنامن شهيد) اى مامنا أحد اليوم يشهد بان لك شريكا ومامنا الا من هو موحد لك أومامنا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لايبصرونها فى ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اى مامنا من شهيد يشهد بما أضافوا الينا من الشرك (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) فى الدنيا (وظنوا) وايقنوا (مالهم من محيص) مهرب (لا يسأم) لايمل (الانسان) الكافر بدليل قوله وماأظن الساعة قائمة (من دعاء الخير) من طلب السعة فى المال والنعمة والتقدير من دعائه الخير فحذف الفاعل واضيف الى المفعول (وان مسه الشر) الفقر (فيؤس) من الخير (قنوط) من الرحمة بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه اثر اليأس فيتضاءل وينكسر أى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى) واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أوسعة بعد ضيق قال هذا لى أى هذا حق وصل الى لانى استوجبته بما عندى من خير وفضل واعمال بر او هذا لى لايزول عنى (وما أظن الساعة قائمة) أى ما أظنها تكون قائمة (ولئن رجعت الى ربى) كما يقول المسلمون (ان لى عنده) عند الله (للحسنى) اى الجنة او الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا أمر الآخرة على امر الدنيا (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) فلنخبرنهم بحقيقة ماعملوا من الاعمال الموجبة للعذاب (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) شديد لا يفتر عنهم (واذا أنعمنا على الانسان اعرض) هذا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة فنسى المنعم واعرض عن شكره (ونأى بجانبه) وتباعد عن ذكر الله ودعائه اوذهب بنفسه وتكبر وتعظم وتحقيقه أن يوضع جانبه موضع نفسه لان مكان الشئ وجهته ينزل منزلة نفسه ومنه قول الكتاب كتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه قال ونأى بنفسه (واذامسه الشر) الضر والفقر (فذو دعاء عريض) كثير اى اقبل على دوام الدعاء واخذ فى الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام كما استعير الغلظ لشدة العذاب ولا منافاة بين قوله فيؤس قنوط و بين قوله فذو دعاء عريض لان الاول فى قوم والثانى فى قوم اوقنوط فى البر وذو دعاء عريض فى البحر اوقنوط بالقلب ذو دعاء عريض باللسان أوقنوط من الصنم ذو دعاء لله تعالى (قل أرأيتم) أخبرونى (ان كان) القرآن (من عند الله ثم كفرتم به) ثم جحدتم انه من عند الله (من أضل) منكم الا انه وضع قوله (ممن هو فى شقاق بعيد) موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم (سنريهم آياتنا فى الآفاق) من فتح البلاد شرقا وغربا (وفى أنفسهم) فتح مكة

يردّ علم الساعة) يعنى اذا سأل عنها سائل قيل له لا يعلم وقت قيام الساعة الا الله تعالى ولا سبيل للخلق الى معرفة ذلك (وماتخرج من ثمرة من أكمامها) اى من اوعيتها وقال ابن عباس هو الكفرّى قبل ان ينشق (وماتحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) اى يعلم قدر ايام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر الحمل هو ام أنثى ومعنى الآية كما يرد اليه علم الساعة فكذلك يرد اليه علم مايحدث من كل شئ كالثمار والنتاج وغيره فان قلت قد يقول الرجل الصالح من اصحاب الكشف قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون قلت اما اصحاب الكشف اذا قالوا قولا فهو من الهام الله تعالى واطلاعه اياهم عليه فكان من علمه الذى يرد اليه واما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم فى شئ مما يقولونه البتة وانما غايته ادعاء ظن ضعيف قد لا يصيب وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذى لا يشركه فيه احد (ويوم يناديهم) اى ينادى الله تعالى المشركين فيقول (أين شركائى) أى الذين تدعون انها آلهة (قالوا) يعنى المشركين (آذناك) اى اعلمناك (مامنامن شهيد) اى يشهد أن لك شريكا وذلك لما رأوا العذاب تبرؤا من الاصنام (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) اى يعبدون فى الدنيا (وظنوا مالهم من محيص) اى مهرب قوله تعالى (لا يسأم الانسان) اى لايمل الكافر (من دعاء الخير) يعنى لايزال يسأل ربه الخير وهو المال والغنى والصحة (وان مسه الشر) اى الشدة والفقر (فيؤس) اى من روح الله تعالى (قنوط) اى من رحمته (ولئن أذقناه رحمة منا) اى آتيناه خيرا وعافية وغنى (من بعد ضراء مسته) اى من بعد شدة وبلاء اصابه (ليقولن هذا لى) اى استحقه بعملى (وماأظن الساعة قائمة) اى ولست على يقين من البعث (ولئن رجعت الى ربى) يقول هذا الكافر أى فان كان الامر على ذلك ورددت الى ربى (ان لى عنده للحسنى) اى الجنة والمعنى كما أعطانى فى الدنيا سيعطينى فى الآخرة (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوى اعمالهم (ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا أنعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه) اى ذهب بنفسه وتكبر وتعظم (واذامسه الشر) اى الشدة والفقر (فذو دعاء عريض) اى كثير (قل) اى قل يامحمد لكفار مكة (أرأيتم ان كان من عند الله) يعنى هذا القرآن (ثم كفرتم به) اى جحدتموه (من اضل ممن هو فى شقاق بعيد) اى فى خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا احد اضل منكم (سنريهم آياتنا فى الآفاق) قال ابن عباس يعنى منازل الامم الخالية (وفى انفسهم) اى بالبلاء والامراض وقيل ما نزل بهم يوم بدر وقيل فى الآفاق هو ما يفتح من القرى والبلاد على محمد صلى الله عليه وسلم

(حتى يتبين لهم انه الحق) أى القرآن او الاسلام (أولم يكف بربك) موضع بربك الرفع على انه فاعل والمفعول محذوف وقوله (انه على كل شئ شهيد) بدل منه تقديره اولم يكفهم ان ربك على كل شئ شهيد أى أولم تكفهم شهادة ربك على كل شئ ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه و يشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شئ شهيد (ألا انهم فى مرية) شك (من لقاء ربهم الا انه بكل شئ محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية فيجازيهم على كفرهم ومريتهم ۸۳ فى لقاء ربهم * سورة شورى مكية وهى ثلاث

وسلم والمسلمين وفى انفسهم هو فتح مكة (حتى يتبين لهم انه الحق) يعنى دين الاسلام وقيل يتبين القرآن انه من عند الله وقيل يتبين لهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مؤيد من قبل الله تعالى وقيل فى الآفاق يعنى اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار والانهار والنبات وفى انفسهم يعنى من لطيف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم انه الحق يعنى لا يقدر على هذه الاشياء الا الله تعالى (اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد) يعنى يشهد ان القرآن من عند الله تعالى وقيل اولم يكفهم الدلائل الكثيرة التى اوضحها الله لهم على التوحيد وانه شاهد لا يغيب عنه شئ (ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم) اى فى شك عظيم من البعث والقيامة (ألا انه بكل شئ محيط) اى عالم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها أحاط بكل شئ علما واحصى كل شئ عددا والله أعلم

(تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى)

وهى مكية فى قول ابن عباس والجمهور وحكى عن ابن عباس الا أربع آيات نزلت بالمدينة أولها قل لا أسألكم عليه اجرا وقيل فيها من المدنى ذلك الذى يبشر الله عباده الى قوله بذات الصدور وقوله والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون الى قوله من سبيل وهى ثلاث وخمسون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا والله تعالى أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حم عسق) سئل الحسين بن الفضل لم قطع حروف حم عسق ولم يقطع حروف المص والمر وكهيعص فقال لانها بين سور أوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره لان حم عسق عدت آيتين وعدت اخواتها التى لم تقطع آية واحدة وقيل لان اهل التأويل لم يختلفوا فى كهيعص واخواتها انها حروف التهجى واختلفوا فى حم فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها حم الامر اى قضى وبقى عسق على اصله وقال ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه س سناه ق قدرته أقسم الله عز وجل بها وقيل ان العين من العزيز والسين من قدوس والقاف من قاهر وقيل ح حرب فى قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنون كسنى يوسف ق قدرة الله فى خلقه وقيل هذا فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فالحاء حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه فى المقام المحمود وقربه من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبى صاحب كتاب الا وقد أوحى اليه حم عسق فلذلك قال الله تعالى (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك) وقيل معناه كذلك يوحى اليك اخبار الغيب كما أوحينا الى الذين من قبلك (الله العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه والمعنى كانه قيل من يوحى فقال الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) اى من فوق الارضين وقيل تنفطر كل واحدة فوق التى قبلها من عظمة الله تعالى وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولدا (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) اى ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بأمر ربهم (ويستغفرون لمن فى الارض) اى من المؤمنين

وخمسون آية *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

فصل (حم) من (عسق) كتابة مخالفا لكهيعص تلفيقا بأخواتها ولانه آيتان وكهيعص آية واحدة (كذلك يوحى اليك) أى مثل ذلك الوحى أو مثل ذلك الكتاب يوحى اليك (والى الذين من قبلك) والى الرسل من قبلك (الله) يعنى ان ما تضمنته هذه السورة من المعانى قد أوحى الله اليك مثله فى غيرها من السور واوحاه الى من قبلك يعنى الى رسله والمعنى ان الله كرر هذه المعانى فى القرآن فى جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من نبى صاحب كتاب الا اوحى اليه بحم عسق يوحى بفتح الحاء مكى ورافع اسم الله على هذه القراءة ما دل عليه يوحى كان قائلا قال من الموحى فقيل الله (العزيز) الغالب بقهره (الحكيم) المصيب فى فعله وقوله (له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وملكا (وهو العلى) شأنه (العظيم) برهانه (تكاد السموات) وبالياء نافع وعلى (يتفطرن من فوقهن) يتشققن ينفطرن بصرى وأبو بكر ومعناه يكدن يتفطرن من علو شأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد قوله العلى العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه ومعنى من فوقهن أى يبتدى الانفطار من جهتهن الفوقانية وكان القياس ان يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التى جاءت منها كلمة الكفر لانها جاءت من الذين تحت السموات ولكنه بولغ فى ذلك فجعلت مؤثرة فى جهة الفوق كانه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن وقيل من فوقهن من فوق الارض فالكناية راجعة الى الارض لانه بمعنى الارضين وقيل يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة قال عليه السلام أطت السماء أطا وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وعليه ملك قائم او راكع او ساجد (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) خضوعا لما يرون من عظمته (ويستغفرون لمن فى الارض) أى للمؤمنين منهم كقوله ويستغفرون للذين آمنوا خوفا عليهم من سطواته أو يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات حامدين له على ما أولاهم من الطاعة متعجبين مما رأوا من تعرضهم لسخط الله تعالى ويستغفرون لمؤمنى أهل الارض الذين تبرؤا من تلك الكلمة أو يطلبون الى ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب

(ألا ان الله هو الغفور الرحيم) لهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أي جعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) رقيب على أقوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شئ فيجازيهم عليها (وما أنت) يا محمد (عليهم بوكيل) بموكل عليهم ولا مفوض اليك أمرهم انما أنت منذر فحسب (وكذلك) ومثل ذلك (أوحينا اليك) وذلك اشارة الى معنى الآية التي قبلها من أن الله رقيب عليهم لا أنت بل أنت منذر لان هذا المعنى كرره الله في كتبه أو هو مفعول به لاوحينا (قرآنا

عربيا) حال من المفعول به أي أوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين (لتنذر أم القرى) أي مكة لان الارض دحيت من تحتها ولانها اشرف البقاع والمراد اهل ام القرى (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع) يوم القيامة لان الخلائق تجتمع فيه (لا ريب فيه) اعتراض لا محل له يقال أنذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدى لتنذر أم القرى الى المفعول الاول وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني (فريق في الجنة وفريق في السعير) أي منهم فريق في الجنة ومنهم فريق في السعير والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) أي مؤمنين كلهم (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أي يكرم من يشاء بالاسلام (والظالمون) والكافرون (مالهم من ولي) شافع (ولا نصير) دافع (أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي) الفاء لجواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان أرادوا أولياء بحق فالله هو الولي بالحق وهو الذي يجب ان يتولى وحده لا ولي سواه (وهو يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير) فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شئ (وما اختلفتم فيه من شئ) حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أي ما خالفتكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين (فحكمه) أي حكم ذلك المختلف فيه مفوض (الى الله) وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذلكم) الحاكم بينكم (الله ربي عليه توكلت) في رد كيد اعداء الدين (واليه أنيب) ارجع في كفاية شرهم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح وغيره (فاطر السموات والأرض) ارتفاعه على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدا محذوف (جعل لكم من انفسكم) خلق لكم من جنسكم من الناس (أزواجا ومن الانعام أزواجا) أي وخلق للانعام أيضا من انفسها أزواجا (يذرؤكم) يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم (فيه) في هذا التدبير وهو ان جعل الناس والانعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل واختير فيه على به لانه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير والضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل نسل

دون الكفار لان الكافر لا يستحق ان تستغفر له الملائكة وقيل يحتمل ان يكون لجميع من في الارض اما في حق الكافرين فبواسطة طلب الايمان لهم ويحتمل ان يكون المراد من الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقاب واما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم وقيل استغفارهم لمن في الارض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن والكافر (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) يعني انه تعالى يعطي المغفرة التي سألوها ويضم اليها منه وكرمه الرحمة العامة الشاملة قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) اي جعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) اي رقيب على احوالهم واعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) اي لم توكل بهم حتى تؤخذ بهم انما أنت نذير (وكذلك) اي ومثل ما ذكرنا (أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى) يعني مكة والمراد اهلها (ومن حولها) يعني قرى الارض كلها (وتنذر يوم الجمع) اي وتنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله سبحانه وتعالى فيه الاولين والآخرين وأهل السموات واهل الارضين (لا ريب فيه) اي لا شك في الجمع انه كائن ثم بعد ذلك الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى (فريق في الجنة وفريق في السعير) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفه ومعه كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمين هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيامة ثم قال للذي في يساره هذا كتاب من رب العالمين بأسماء اهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله تعالى عليهم الى يوم القيامة فقال عبد الله بن عمر ونفيم العمل اذا قال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل أي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله تعالى اخرجه أحمد بن حنبل في مسنده قوله تعالى (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) قال ابن عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أي في دين الاسلام (والظالمون) اي الكافرون (مالهم من ولي) اي يدفع عنهم العذاب (ولا نصير) اي يمنعهم من العذاب (أم اتخذوا) يعني الكفار (من دونه أولياء فالله هو الولي) قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولي من اتبعك (وهو يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير) يعني ان من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بان يتخذ وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولي (وما اختلفتم فيه من شئ) اي من أمر الدين (فحكمه الى الله) اي يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب وقيل علمه الى الله وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه من حكم الله تعالى ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته (ذلكم الله) اي الذي يحكم بين المختلفين هو الله (ربي عليه توكلت) اي في جميع أموري (واليه أنيب) اي واليه ارجع في كل المهمات (فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم) اي من جنسكم (ازواجا) اي حلائل وانما قال من أنفسكم لان الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم (ومن الانعام ازواجا) اي اصنافا ذكرانا واناثا (يذرؤكم) أي يخلقكم وقيل يكثركم (فيه) أي في الرحم وقيل في البطن لانه قد تقدم ذكر الازواج وقيل نسلا بعد

(ليس كمثله شئ) قيل ان كلمة التشبيه كررت لتأكيد نفي التماثل وتقديره ليس مثله شئ وقيل المثل زيادة وتقديره ليس كهو شئ كقوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وهذا لان المراد نفي المثلية واذا لم تجعل الكاف أو المثل زيادة كان اثبات المثل وقيل المراد ليس كذاته شئ لانهم يقولون مثلك لا يبخل يريدون به نفي البخل عن ذاته ويقصدون المبالغة في ذلك بسلوك طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده فقد نفوه عنه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شئ وبين قوله ليس كمثله شئ الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكانهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه بل يداه مبسوطتان فمعناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة

عن الجود حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له (وهو السميع) لجميع المسموعات بلا اذن (البصير) لجميع المرئيات بلا حدقة وكانه ذكرهما لئلا يتوهم انه لا صفة له كما لا مثل له (له مقاليد السموات والارض) مر في الزمر (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يضيق (انه بكل شئ عليم شرع) بين واظهر (لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) أي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد وما بينهما من الانبياء عليهم السلام ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله (أن أقيموا الدين) والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون المرء باقامته مسلما ولم يرد به الشرائع فانها مختلفة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل أن أقيموا نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو رفع على الاستئناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين (ولا تتفرقوا فيه) ولا تختلفوا في الدين قال علي رضي الله عنه لا تتفرقوا فالجماعة رحمة والفرقة عذاب (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ما تدعوهم اليه) من اقامة دين الله والتوحيد (الله يجتبي) يجتلب ويجمع (اليه) الى الدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء ويهدي اليه من ينيب) يقبل على طاعته (وما تفرقوا) أي اهل الكتاب بعد انبيائهم (الا من بعد ما جاءهم العلم) الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وأمر متوعد عليه على السنة الانبياء عليهم السلام (بغيا بينهم) حسدا وطلبا للرياسة والاستطالة بغير حق (ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى)

نسل حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل وقيل الضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطب من الناس والانعام الا انه غلب جانب الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الانعام وقيل في بمعنى الباء أي يذرؤكم به اي يكثركم بالتزويج (ليس كمثله شئ) المثل صلة أي ليس كهو شئ وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شئ قال ابن عباس ليس له نظير فان قلت هذه الآية دالة على نفي المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى في السموات والارض يقتضي اثبات المثل فما الفرق قلت المثل الذي يكون مساويا في بعض الصفات الخارجة عن الماهية فقوله ليس كمثله شئ معناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس أو يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى مثل وقوله وله المثل الاعلى معناه وله الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه أحد فقد ظهر بهذا التفسير معنى الآيتين وحصل الفرق بينهما (وهو السميع) اى لسائر المسموعات (البصير) اى لسائر المبصرات (له مقاليد السموات والارض) اي مفاتيح الرزق في السموات يعني المطر وفي الارض يعني النبات يدل عليه قوله تعالى (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني انه يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده (انه بكل شئ عليم) اى من البسط والتضييق قوله عز وجل (شرع لكم من الدين) اى بين وسن لكم طريقا واضحا من الدين أي دينا تطابقت على صحته الانبياء وهو قوله تعالى (ما وصى به نوحا) يعني انه أول الانبياء اصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه واياك يا محمد دينا واحدا (والذي اوحينا اليك) أي من القرآن وشرائع الاسلام (وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) انما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبياء واصحاب الشرائع المعظمة والاتباع الكثيرة واولو العزم ثم فسر المشروع الذي اشترك فيه هؤلاء الاعلام من رسله بقوله تعالى (ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والمراد باقامة الدين هو توحيد الله والايمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر وطاعة الله في أوامره ونواهيه وسائر ما يكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب أحوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل أراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الامهات والبنات والاخوات فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا الا وصاه باقام الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله تعالى بالوحدانية والطاعة وقيل بعث الله الانبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة (كبر على المشركين ما تدعوهم اليه) أي من التوحيد ورفض الاوثان (الله يجتبي اليه من يشاء) أي يصطفي لدينه من يشاء من عباده (ويهدي اليه من ينيب) أي يقبل على طاعته (وما تفرقوا) يعني أهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس يعني اهل الكتاب (الا من بعد ما جاءهم العلم) اي بان الفرقة ضلالة (بغيا بينهم) أي ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وقيل بغيا منهم على محمد صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي في تأخير العذاب عنهم (الى أجل مسمى) يعني الى يوم القيامة (لقضي بينهم) اى بين من آمن وكفر يعني لانزل العذاب بالمكذبين في الدنيا (وان الذين أورثوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (من بعدهم) اى من بعد انبيائهم وقيل من الامم الخالية (لفي شك منه) أي من امر محمد صلى الله عليه وسلم فلا يؤمنون به (مريب) يعني مرتابين شاكين فيه (فلذلك) أى الى ذلك (فادع) اى الى

وهي بل الساعة موعدهم (لقضي بينهم) لاهلكوا حين افترقوا لعظم ما اقترفوا (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) هم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفي شك منه) من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان (مريب) مدخل في الريبة وقيل وما تفرق اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون اورثوا القرآن من بعد ما أورث اهل الكتاب التوراة والانجيل (فلذلك) فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا (فادع) الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القويمة

(واستقم) عليها وعلى الدعوة اليها (كما أمرت) كما أمرك الله (ولا تتبع اهواءهم) المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) بأى كتاب صح ان الله تعالى أنزله يعنى الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله أولئك هم الكافرون حقا (وأمرت لاعدل بينكم) فى الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الى (الله ربنا وربكم) أى كلنا عبيده (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) هو كقوله لكم دينكم ولى دين ويجوز ان يكون معناه انا لا نؤاخذ باعمالكم وانتم لا تؤاخذون باعمالنا (لا حجة بيننا وبينكم) أى لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم (والذين يحاجون فى الله) يخاصمون فى دينه (من بعد ما استجيب له) من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فى الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجيب لمحمد عليه السلام دعاؤه على المشركين يوم بدر (حجتهم داحضة) باطلة وسماها حجة وان كانت شبهة لزعمهم انها حجة (عند ربهم وعليهم غضب) بكفرهم (ولهم عذاب شديد) فى الآخرة (الله الذى أنزل الكتاب) أى جنس الكتاب (بالحق) بالصدق أو ملتبسا به (والميزان) والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل أنه أنزله فى كتبه المنزلة وقيل هو عين الميزان أنزله فى زمن نوح عليه السلام (وما يدريك لعل الساعة قريب) أى لعل الساعة قريب منك وانت لا تدرى والمراد مجىء الساعة والساعة فى تأويل البعث ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع انزال الكتب والميزان ان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكانه قيل أمركم بالعدل والتسوية والعمل الصالح فاعملوا بالكتاب والعدل قبل ان يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون) خائفون (منها) وجلون لهولها (ويعلمون انها الحق) الكائن لا محالة (ألا ان الذين يمارون فى الساعة) المماراة الملاحة لان كل واحد منهما يمرى ما عند صاحبه (لفى ضلال بعيد) عن الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها والعقول تشهد على انه لا بد من دار جزاء (الله لطيف بعباده) فى ايصال المنافع وصرف البلاء من وجه يلطف ادراكه وتسهيل او هو بليغ البر بهم وقد توصل بره الى جميعهم وقيل هو من لطف بالغوامض علمه وعظم عن الجرائم حلمه أو من ينشر المناقب ويستر المثالب أو يعفو عمن يهفو أو يعطى العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة وعن الجنيد لطف باوليائه فعرفوه ولو لطف باعدائه ما جحدوه (يرزق من يشاء) أى يوسع رزق من يشاء اذا علم مصلحته فيه فى الحديث ان من عبادى المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك (وهو القوى) الباهر القدرة الغالب على كل شئ (العزيز) المنيع الذى لا يغلب (من كان يريد حرث الآخرة) سمى ما يعمله العامل مما يبتغى به الفائدة حرثا مجازا (نزد له فى حرثه) بالتوفيق فى عمله أو التضعيف فى احسانه أو بان ينال به الدنيا والآخرة

ما وصى الله تعالى به الانبياء من التوحيد وقيل لاجل ما حدث به من الاختلاف فى الدين الكثير فادع انت الى الاتفاق على الملة الحنيفية (واستقم كما أمرت) أى اثبت على الدين الذى أمرت به (ولا تتبع اهواءهم) اى المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أى آمنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لان المتفرقين آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض (وأمرت لاعدل بينكم) قال ابن عباس أمرت ان لا أحيف عليكم باكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم فى جميع الاحوال والاشياء وقيل لاعدل بينكم فى الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الى (الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم اعمالكم) يعنى ان اله الكل واحد وكل أحد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت اعمالنا فكل يجازى بعمله (لا حجة) أى لا خصومة (بيننا وبينكم) وهذه الآية منسوخة باية القتال اذ لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة (الله يجمع بيننا) أى فى المعاد لفصل القضاء (واليه المصير) قوله عز وجل (والذين يحاجون فى الله) أى يخاصمون فى دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم (من بعد ما استجيب له) أى من بعد ما استجاب الناس لدين الله تعالى فأسلموا ودخلوا فى دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم (حجتهم داحضة) أى خصومتهم باطلة (عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) أى فى الآخرة (الله الذى انزل الكتاب بالحق) أى الكتاب المشتمل على أنواع الدلائل والاحكام (والميزان) أى العدل سمى العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال ابن عباس رضى الله عنهما أمر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس (وما يدريك لعل الساعة قريب) أى وقت اتيانها قريب وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا له متى تكون الساعة فأنزل الله تعالى (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) أى ظنا منهم انها غير آتية (والذين آمنوا مشفقون) أى خائفون (منها ويعلمون انها الحق) أى انها آتية لا شك فيها (الا ان الذين يمارون) أى يخاصمون (فى الساعة) وقيل يشكون فيها (لفى ضلال بعيد) قوله عز وجل (الله لطيف بعباده) اى كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس حفى بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله تعالى (يرزق من يشاء) يعنى ان الاحسان والبر انعام فى حق كل العباد وهو اعطاء ما لا بد منه فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذى روح فهو ممن يشاء الله ان يرزقه وقيل لطفه فى الرزق من وجهين أحدهما انه جعل رزقكم من الطيبات والثانى انه لم يدفع اليكم مرة واحدة (وهو القوى) اى القادر على كل ما يشاء (العزيز) أى الذى لا يغالب ولا يدافع (من كان يريد حرث الآخرة) أى كسب الآخرة والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة (نزد له فى حرثه) أى بالتضعيف الواحدة الى عشرة الى ما يشاء الله تعالى من الزيادة وقيل انا نزيد فى توفيقه واعانته

(ومن كان يريد حرث الدنيا) أي من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة (نؤته منها) اى شيئا منها لان من للتبعيض وهو رزقه الذى قسم له لا ما يريده ويبتغيه (وما
له في الآخرة من نصيب) وماله نصيب قط في الآخرة وله في الدنيا نصيب ولم يذكر في عالم الآخرة
ان رزقه المقسوم يصل اليه للاستهانة بذلك
الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في
المآب (أم لهم شركاء) قيل هي أم المنقطعة
وتقديره بل ألهم شركاء وقيل هي المعادلة لألف
الاستفهام وفي الكلام اضمار تقديره أيقبلون
ما شرع الله من الدين أم لهم آلهة (شرعوا لهم من
الدين ما لم يأذن به الله) أي لم يأمر به (ولولا كلمة
الفصل) اى القضاء السابق بتأجيل الجزاء اى
ولولا العدة بان الفصل يكون يوم القيامة (لقضى
بينهم) بين الكافرين والمؤمنين او لعجلت لهم
العقوبة (وان الظالمين لهم عذاب أليم) وان
المشركين لهم عذاب أليم في الآخرة وان اخر
عنهم في دار الدنيا (ترى الظالمين) المشركين
في الآخرة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا)
من جزاء كفرهم (وهو واقع بهم) نازل بهم
لا محالة اشفقوا اولم يشفقوا (والذين آمنوا
وعملوا الصالحات في روضات الجنات) كان
روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وانزهها
(لهم ما يشاؤن عند ربهم) عند نصب بالظرف
لا بيشاؤن (ذلك هو الفضل الكبير) على العمل
القليل (ذلك) أي الفضل الكبير (الذى
يبشر الله) يبشر مكي وابو عمرو وحمزة وعلى
(عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي به
عباده الذين آمنوا فحذف الجار كقوله واختار
موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله
أهذا الذى بعث الله رسولا ولما قال المشركون
أيبتغي محمد على تبليغ الرسالة أجرا نزل (قل
لا أسألكم عليه) على التبليغ (أجرا الا المودة في
القربى) يجوز ان يكون استثناء متصلا ويجوز ان
يكون منقطعا أى لا أسألكم اجرا قط ولكني
أسألكم أن تودوا قرابتي اى لا اسألكم عليه أجرا
الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي الذين هم قرابتكم
ولا تؤذوهم ولم يقل الا مودة القربى أو المودة
للقربى لانهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك
لى في آل فلان مودة ولى فيهم حب شديد تريد
أحبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة
للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها
والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في أهل القربى وروى انه لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم
قال علي وفاطمة وابناهما وقيل معناه الا أن تودوني لقرابتي فيكم ولا تؤذوني ولا تهيجوا على اذ لم يكن بطن من بطون قريش الا بين رسول الله وبينهم قرابة

وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات اليه (ومن كان يريد حرث الدنيا) يعني يريد بعمله الدنيا مؤثرا لها على
الآخرة (نؤته منها) أي ما قدر وقسم له منها (وماله في الآخرة من نصيب) يعني لانه لم يعمل لها عن ابى
ابن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسناء والرفعة
والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ذكره في جامع الاصول
ولم يعزه الى أحد من الكتب الستة وأخرجه البغوي باسناده قوله تعالى (ام لهم) يعني كفار مكة
(شركاء) يعني الاصنام وقيل الشياطين (شرعوا لهم من الدين) قال ابن عباس شرعوا لهم دينا
غير دين الاسلام (ما لم يأذن به الله) يعني ان تلك الشرائع باسرها على خلاف دين الله تعالى الذى
أمر به وذلك انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها (ولولا كلمة
الفصل) يعني ان الله حكم بين الخلائق بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة (لقضى بينهم) اى
لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا (وان الظالمين) يعني المشركين (لهم عذاب أليم) اى
في الآخرة (ترى الظالمين) يعني يوم القيامة (مشفقين) اى وجلين خائفين (مما كسبوا)
اى من الشرك والاعمال الخبيثة (وهو واقع بهم) اى جزاء كسبهم واقع بهم (والذين آمنوا وعملوا
الصالحات في روضات الجنات) لان هذه الروضات أطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين آمنوا
وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على ان في الجنة منازل غير الروضات هي لمن هو دون هؤلاء الذين عملوا
الصالحات من أهل القبلة (لهم ما يشاؤن عند ربهم) أي من الكرامة (ذلك هو الفضل الكبير
ذلك) اى الذى ذكر من نعيم الجنة (الذى يبشر الله) به (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قوله
عز وجل (قل لا اسألكم عليه) اى على تبليغ الرسالة (أجرا) اى جزاء (الا المودة في القربى)
(خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن قوله الا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير قربى
آل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس عجبت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن بطن من
قريش الا وله فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وعن ابن عباس أيضا في قوله
الا المودة في القربى يعني أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة
ومقاتل والسدي والضحاك (خ) عن ابن عمر ان أبا بكر قال ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل
بيته واختلفوا في قرابته فقيل علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم وقيل أهل بيته
من تحرم عليهم الصدقة من اقاربه وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا في جاهلية ولا في اسلام
(م) عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه
الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي
اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين من اهل بيته يا زيد اليس نساؤه من اهل
بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن اهل بيته من حرمت عليه الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي
وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس فان قلت طلب الاجر على تبليغ الرسالة والوحي لا يجوز لقوله في
قصة نوح عليه السلام وغيره من الانبياء وما أسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين قلت لا نزاع
في انه لا يجوز طلب الاجر على تبليغ الرسالة بقي الجواب عن قوله الا المودة في القربى فالجواب عنه من
وجهين الاول معناه لا اطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس باجر ومنه قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

معناه اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولان المودة بين المسلمين أمر واجب واذا

كان كذلك في حق جميع المسلمين كان في اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أولى فقوله قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى المودة في القربى ليست أجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت مودتهم وصلتهم لازمة لهم فثبت ان لا اجر البتة والوجه الثاني ان هذا الاستثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا أسألكم عليه اجرا ثم ابتدأ فقال الا المودة في القربى اى لكن اذكركم المودة في قرابتي الذين هم قرابتكم فلا تؤذوهم وقيل ان هذه الآية منسوخة وذلك لانها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الى المدينة وآواه الانصار ونصروه أحب الله تعالى ان يلحقه باخوانه من النبيين فأنزل الله تعالى قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله فصارت هذه الآية ناسخة لقوله قل لا إسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى واليه ذهب الضحاك والحسين ابن الفضل والقول بنسخ هذه الآية غير مرضى لان مودة النبي صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة اقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير الى نسخ هذه الآية وروى عن ابن عباس في معنى الآية قول آخر قال الا ان توادوا الله وتتقربوا اليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول الا التقرب الى الله تعالى والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح وقوله تعالى (ومن يقترف حسنة) أي يكتسب طاعة (نزد له فيها حسنا) أى بالتضعيف (ان الله غفور) للذنوب (شكور) أى للقليل من الاعمال حتى يضاعفها (أم يقولون) يعنى اي بل يقول كفار مكة (افترى على الله كذبا) فيه توبيخ لهم معناه ايقع في قلوبهم ويجرى على لسانهم ان ينسبوا مثله الى الكذب وانه افترى على الله كذبا وهو اقبح أنواع الكذب (فان يشأ الله يختم على قلبك) أي يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفترى وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما آتاك فأخبرهم انه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما اخبر به في هذه الآية (ويمح الله الباطل) اخبره الله ان ما يقولونه الباطل والله عز وجل يمحوه (ويحق الحق بكلماته) اى يحق الاسلام بما انزل من كتابه وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم واعلى كلمة الاسلام (انه عليم بذات الصدور) قال ابن عباس لما نزلت قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقع في قلوب قوم منها شئ وقالوا يريد ان يحثنا على أقاربه من بعده فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبره انهم اتهموه وانزل الله هذه الآية فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد انك صادق فنزل قوله عز وجل (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد اولياءه واهل طاعته

(فصل في ذكر التوبة وحكمها) قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط أحدها ان يقلع عن المعصية والثاني ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم أن لا يعود اليها أبدا فاذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها أربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع ان يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة الانتقال عن المعاصى نية وفعلا والاقبال على الطاعات نية وفعلا وقال سهل بن عبد الله التسترى التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة (خ) عن ابى هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة (م) عن الاغر بن يسار المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب اليه في اليوم مائة مرة (ق) عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله افرح بتوبة

وقيل القربى التقرب الى الله تعالى أي الا ان تحبوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح (ومن يقترف حسنة) يكتسب طاعة عن السدى انها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت في أبي بكر رضى الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في اى حسنة كانت الا انها تتناول المودة تناولا اوليا لذكرها عقيب ذكر المودة في القربى (نزد له فيها حسنا) أى تضاعفا كقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهو مصدر كالبشرى والضمير يعود الى الحسنة او الى الجنة (ان الله غفور) لمن اذنب بطوله (شكور) لمن أطاع بفضله وقيل قابل للتوبة حامل عليها وقيل الشكور في صفة الله تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب (أم يقولون افترى على الله كذبا) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله الى الافتراء على الله الذي هو أعظم الفرى وافحشها (فان يشأ الله يختم على قلبك) قال مجاهد أي يربط على قلبك بالصبر على أذاهم وعلى قولهم افترى على الله كذبا لئلا تدخله مشقة بتكذيبهم (ويمح الله الباطل) أى الشرك وهو كلام مبتدأ غير معطوف على يختم لان محو الباطل غير متعلق بالشرط بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالى ورفع ويحق وانما سقطت الواو في الخط كما سقطت في ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وسندع الزبانية على انها مثبتة في مصحف نافع (ويحق الحق) ويظهر الاسلام ويثبته (بكلماته) بما أنزل من كتابه على لسان نبيه عليه السلام وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم واظهر الاسلام (انه عليم بذات الصدور) أى عليم بما في صدرك وصدورهم فيجرى الامر على حسب ذلك (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) يقال قبلت منه الشئ اذا اخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ويقال قبلته عنه أى عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان لا يعود وان كان لعبد فيه حق لم يكن بد من التقضى على طريقه وقال على رضى الله عنه هو اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته وعن السدى هو صدق العزيمة على ترك الذنوب والانابة بالقلب الى علام الغيوب وعن غيره هو ان لا يجد حلاوة الذنب في القلب عند ذكره وعن سهل هو الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال

عبده

عبده المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش أو ماشاء الله قال ارجع الى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى اموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة (ق) عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى ارض فلاة ولمسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبيناهو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحه اللهم أنت عبدى وانا ربك اخطأ من شدة الفرح عن صفوان بن عسال المرادى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق مالم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الآية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وقوله عز وجل (ويعفو عن السيئات) اى يمحوها اذا تابوا (ويعلم ما يفعلون) يعنى من خير وشر فيجازيهم عليه (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعنى يجيب المؤمنون الله تعالى فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذا دعوه وقال ابن عباس ويثيب الذين آمنوا (ويزيدهم من فضله) أى سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه وقال ابن عباس يشفعهم فى اخوانهم ويزيدهم من فضله قال فى اخوان اخوانهم (والكافرون لهم عذاب شديد) قوله عز وجل (ولو بسط الله الرزق لعباده) قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية وذلك انا نظرنا الى أموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها فأنزل الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده اى وسع الله الرزق لعباده (لبغوا) اى لطغوا وعتوا (فى الارض) قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع الى مقتضى طبعه وهو التكبر واذا وقع فى شدة ومكروه وفقر انكسر فرجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان البغى مع القبض والفقر أقل ومع البسط والغنى اكثر لان النفس مائلة الى الشر لكنها اذا كانت فاقدة لآلاته كان الشر أقل واذا كانت واجدة لها كان الشر اكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان (ولكن ينزل بقدر ما يشاء) يعنى الارزاق نظرا لمصالح عباده وهو قوله تعالى (انه بعباده خبير بصير) والمعنى انه تعالى عالم باحوال عباده وبطبائعهم وبعواقب أمورهم فيقدر ارزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ماروى أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول الله عز وجل من اهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وانى لاغضب لاوليائى كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الى عبدى المؤمن بمثل اداء ما افترضت عليه ومايزال عبدى المؤمن يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا ان دعانى اجبته وان سألنى اعطيته وما ترددت فى شئ انا فاعله ترددى فى قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فاكفه عنه ان لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر فلو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو أسقمته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه

المحودة وعن الجنيد هو الاعراض عما دون الله (ويعفو عن السيئات) وهو مادون الشرك يعفو لمن يشاء بلا توبة (ويعلم ما تفعلون) بالتاء كوفى غير أبى بكر أى من التوبة والمعصية ولا وقف عليه للعطف عليه واتصال المعنى (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى اذا دعوه استجاب دعاءهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم (ويزيدهم من فضله) واستجاب واجاب بمعنى والسين فى مثله لتوكيد الفعل كقولك تعظم واستعظم والتقدير ويستجيب الله الذين آمنوا وقيل معناه ويستجيب للذين فحذف اللام من عليهم بان يقبل توبتهم اذا تابوا ويعفو عن سيئاتهم ويستجيب لهم اذا دعوه ويزيدهم على ما سألوه وعن ابراهيم بن أدهم انه قيل له ما بالنا ندعوه فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه (والكافرون لهم عذاب شديد) فى الآخرة (ولو بسط الله الرزق لعباده) أى لو اغناهم جميعا (لبغوا فى الارض) من البغى وهو الظلم أى لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون وفرعون عبرة او من البغى وهو الكبر أى لتكبروا فى الارض (ولكن ينزل) وبالتخفيف مكى وأبو عمرو (بقدر ما يشاء) بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا (انه بعباده خبير بصير) يعلم أحوالهم فيقدر لهم ما تقتضيه حكمته فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وماترى من البسط على من يبغى ومن البغى بدون البسط فهو قليل ولا شك ان البغى مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب

(وهو الذى ينزل الغيث) بالتشديد مدنى وشامى وعاصم (من بعد ما قنطوا) وقرئ قنطوا (وينشر رحمته) أى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وقيل لعمر رضى الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذا اراد هذه الآية أو أراد رحمته فى كل شئ (وهو الولى) الذى يتولى عباده باحسانه (الحميد) المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته (ومن آياته) أى علامات قدرته (خلق السموات والارض) مع عظمهما (وما بث) فرق وما يجوز ان يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف أو المضاف اليه (فيهما) فى السموات والارض (من دابة) الدواب تكون فى الارض وحدها لكن يجوز ان ينسب الشئ الى جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد وانما هو فى فخذ من افخاذهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ولا يبعد ان يخلق فى السموات حيوانا يمشون فيها مشى الاناسى على الارض او يكون للملائكة مشى مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف به الاناسى (وهو على جمعهم) يوم القيامة (اذا يشاء قدير) اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضى قال الله تعالى والليل اذا يغشى (وما أصابكم من مصيبة) غم وألم ومكروه (فبما كسبت أيديكم) أى بجناية كسبتموها عقوبة عليكم بما كسبت بغير الفاء مدنى وشامى على ان ما مبتدأ وبما كسبت خبره من غير تضمين معنى الشرط ومن اثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لو لم يكن للاطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا وقلنا الآية مخصوصة بالمكلفين بالسياق والسباق وهو (ويعفو عن كثير) أى من الذنوب فلا يعاقب عليه او عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة وقال ابن عطاء من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه اكثر كان قليل النظر فى احسان ربه اليه وقال محمد بن حامد العبد ملازم للجنايات فى كل أوان وجناياته فى طاعته اكثر من جناياته فى معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله فى القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك فى أول خطوة وعن على رضى الله تعالى عنه هذه ارجى آية للمؤمنين فى القرآن لان الكريم اذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا واذا عفا لا يعود (وما أنتم بمعجزين فى الارض) أى بفائتين ما قضى عليكم من المصائب (وما لكم من دون الله من ولى) متول بالرحمة (ولا نصير) ناصر يدفع عنكم العذاب اذا حل بكم (ومن آياته الجوار) جمع جارية وهى السفينة الجوارى فى الحالين مكى وسهل ويعقوب وافقهم مدنى وابو عمرو فى الوصل (فى البحر كالاعلام) كالجبال يعلم (ان يشأ يسكن الريح) الرياح مدنى (فيظللن رواكد) ثوابت لا تجرى (على ظهره) على ظهر البحر (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه أى لكل مؤمن مخلص فالايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر او صبار على طاعته شكور لنعمته (أو يوبقهن) يهلكهن فهو عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها (بما كسبوا) من الذنوب (ويعف عن كثير) منها فلا يجازى عليها وانما ادخل العفو فى حكم الايباق حيث جزم جزمه لان المعنى او ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم (ويعلم) بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم (الذين يجادلون فى آياتنا) أى فى ابطالها ودفعها ويعلم مدنى وشامى عطف على الاستئناف (ما لهم من محيص) مهرب من عذابه

الا السقم ولو صححته لافسده ذلك انى أدبر امر عبادى بعلمى بقلوبهم انى عليم خبير اخرجه البغوى باسناده قوله عز وجل (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) أى يئس الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر على اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزل الله عز وجل المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول النعمة بعد الشدة أتم (وينشر رحمته) أى يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب (وهو الولى) اى لاهل طاعته (الحميد) اى المحمود على ما يوصل الى الخلق من اقسام رحمته (ومن آياته خلق السموات والارض وما بث) اى اوجد (فيهما) اى فى السموات والارض (من دابة) فان قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلت الدبيب فى اللغة المشى الخفيف على الارض فيحتمل أن يكون للملائكة مشى مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل ان الله تعالى خلق فى السموات أنواعا من الحيوانات يدبون دبيب الانسان (وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) يعنى يوم القيامة قوله عز وجل (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من المصائب فبما كسبت أيديكم من الذنوب والمعاصى (ويعفو عن كثير) قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أبى سخيلة قال قال على بن أبى طالب رضى الله عنه الا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وسأفسرها لكم يا على ما أصابكم من مصيبة اى من مرض أو عقوبة او بلاء فى الدنيا فبما كسبت ايديكم والله أكرم من ان يثنى عليكم العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله أحلم من ان يعود بعد عفوه وقال عكرمة ما من نكبة اصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بها او درجة لم يكن الله ليرفعه الا بها (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة (وما انتم بمعجزين) اى بفائتين (فى الارض) هربا يعنى لا تعجزوننى حيثما كنتم (وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير) قوله عز وجل (ومن آياته الجوار) يعنى السفن وهى السيارة (فى البحر كالاعلام) اى كالقصور وكل شئ مرتفع عند العرب فهو علم (ان يشأ يسكن الريح) اى التى تجرى بها السفن (فيظللن) يعنى السفن الجوارى (رواكد) اى ثوابت (على ظهره) اى على ظهر البحر لا تجرى (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) وهذه صفة المؤمن لانه يصبر فى الشدة ويشكر فى الرخاء (أو يوبقهن) اى يغرقهن ويهلكهن (بما كسبوا) اى بما كسبت ركابها من الذنوب (ويعف عن كثير) اى من ذنوبهم فلا يعاقب عليها (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا ما لهم من محيص) يعنى

(فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بجميع ماله فلامه الناس (والذين يجتنبون) عطف على الذين آمنوا وكذا مابعده (كبائر الاثم) أي الكبائر من هذا الجنس كبير الاثم على وحمزة وعن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك (والفواحش) قيل ماعظم قبحه فهو فاحشة كالزنا (واذا ما غضبوا) من أمور دنياهم (هم يغفرون) اى هم الاخصاء بالغفران في حال الغضب والمجيء بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت في الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بان آمنوا به واطاعوه (واقاموا الصلاة) واتموا الصلوات الخمس (وأمرهم شورى بينهم) أي ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ماتشاور قوم الاهدوا الارشد أمرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والذين اذا اصابهم البغي) الظلم (هم ينتصرون) ينتقمون ممن ظلمهم اى يقتصرون في الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدون وكانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق وانما حمدوا على الانتصار لان من انتصر وأخذ حقه ولم يجاوز في ذلك حد الله فلم يسرف في القتل ان كان ولي دم فهو مطيع لله وكل مطيع محمود ثم بين حد الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فالاولى سيئة حقيقة والثانية لا وانما سميت سيئة لانها مجازاة السوء اولانها تسوء من تنزل به ولانه لولم تكن الاولى لكانت الثانية سيئة لانها اضرار وانما صارت حسنة لغيرها اوفي تسمية الثانية سيئة اشارة الى ان العفو مندوب اليه والمعنى انه يجب اذا قوبلت الاساءة ان تقابل بمثلها من غير زيادة (فمن عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء (فأجره على الله) عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظم (انه لا يحب الظالمين) الذين يبدؤن بالظلم أوالذين يجاوزون حد الانتصار في الحديث ينادي مناديوم القيامة من كان له اجر على الله فليقم فلا يقوم الامن عفا (ولمن انتصر بعد ظلمه) اى أخذ حقه بعد ما ظلم على اضافة المصدر الى المفعول (فأولئك) اشارة الى معنى من دون لفظه (ما عليهم من سبيل) للمعاقب ولا للمعاتب والمعايب (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدؤنهم بالظلم (ويبغون في الارض) يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون (بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) وفسر السبيل بالتبعة والحجة (ولمن صبر) على الظلم والاذى (وغفر) ولم ينتصر (ان ذلك) أي الصبر والغفران منه (لمن عزم الامور) اى من الامور التي ندب اليها أو مما ينبغي ان يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص في تركه وحذف الراجع اى منه لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم وقال ابوسعيد القرشي الصبر على المكاره من علامات الانتباه فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع اورثه الله تعالى حال الرضا وهو اجل الاحوال ومن جزع من المصيبات وشكا وكله الله تعالى الى نفسه ثم لم تنفعه شكواه (ومن يضلل الله فماله من ولي من بعده) فماله من احد يلي هدايته من بعد اضلال الله اياه ويمنعه من عذابه (وترى الظالمين) يوم القيامة (لما رأوا

يعلم الذين يكذبون بالقرآن اذا صاروا الى الله تعالى مالهم من مهرب من عذابه (فما أوتيتم من شئ) أي من زينة الدنيا (فمتاع الحياة الدنيا) اى ليس هو من زاد المعاد (وما عند الله) اى من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) والمعنى ان المؤمن والكافر يستويان في متاع الحياة الدنيا فاذا صاروا الى الله تعالى كان ما عند الله من الثواب خيرا وابقى للمؤمن (والذين يجتنبون كبائر الاثم) يعني كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك (والفواحش) يعني ماعظم قبحه من الاقوال والافعال (واذا ما غضبوا هم يغفرون) يعني يكظمون الغيظ ويحلمون (والذين استجابوا لربهم) يعني أجابوه الى ما دعاهم اليه من طاعته (وأقاموا الصلاة) يعني المفروضة (وأمرهم شورى بينهم) يعني يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ولا ينفردون برأى مالم يجتمعوا عليه قيل ماتشاور قوم الا هدوا الى رشد أمرهم (ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغي) يعني الظلم والعدوان (هم ينتصرون) يعني ينتقمون من ظالمهم من غير تعد قال ابن زيد جعل الله تعالى المؤمنين صنفين صنف يعفون عمن ظلمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصفون من ظالمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية وقال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فاذا قدروا عفوا وقيل ان العفو اغراء للسفيه وقال عطاء هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله عز وجل في الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى ان شرعة الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمى الجزاء سيئة وان لم يكن سيئة لتشابههما في الصورة وقيل لان الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هو جزاء القبيح اذا قال اخزاك الله فقل له اخزاك الله ولا تزد واذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعتد وقيل هو في القصاص في الجراحات والدماء يقتص بمثل ما جنى عليه وقيل ان الله تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو أولى بقوله تعالى (فمن عفا) أي عمن ظلمه (وأصلح) اى بالعفو بينه وبين الظالم (فأجره على الله) قال الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا من عفا ثم قرأ هذه الآية (انه لا يحب الظالمين) قال ابن عباس الذين يبدؤن بالظلم (ولمن انتصر بعد ظلمه) اى بعد ظلم الظالم اياه (فأولئك) يعني المنتصرين (ما عليهم من سبيل) أي بعقوبة ومؤاخذة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) اى يبدؤن بالظلم (ويبغون في الارض بغير الحق) أي يعملون فيها بالمعاصي (أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر) اى لم ينتصر (وغفر) وتجاوز عن ظالمه (ان ذلك) أي الصبر والتجاوز (لمن عزم الامور) يعني تركه الانتصار من عزم الامور الجيدة التي أمر الله عز وجل بها وقيل ان الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب اتم عزما (ومن يضلل الله فماله من ولي من بعده) يعني ماله من أحد يلي هدايته بعد اضلال الله اياه أو يمنعه من عذابه (وترى الظالمين لما رأوا

العذاب) حين يرون العذاب واختير لفظ الماضي للتحقيق (يقولون هل الى مرد من سبيل) يسألون ربهم الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا به (وتراهم يعرضون عليها) على النار اذ العذاب يدل عليها (خاشعين) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (من الذل ينظرون) الى النار (من طرف خفي) ضعيف بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة) يوم متعلق بخسروا وقول المؤمنين واقع في الدنيا او يقال اى يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة (الا ان الظالمين في عذاب مقيم) دائم (وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله) من دون عذابه (ومن يضلل الله فما له من سبيل) الى النجاة (استجيبوا لربكم) اجيبوه الى ما دعاكم اليه (من قبل ان يأتي يوم) اى يوم القيامة (لا مرد له من الله) من يتصل بلا مرد اى لا يرده الله بعدما حكم به

او يأتي اى من قبل ان يأتي من الله يوم لا يقدر احد على رده (مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير) اى ليس لكم مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودوّن في صحائف اعمالكم والنكير الانكار (فان اعرضوا) عن الايمان (فما ارسلناك عليهم حفيظا) رقيبا (ان عليك الا البلاغ) ما عليك الا تبليغ الرسالة وقد فعلت (وانا اذا اذقنا الانسان) المراد الجمع لا الواحد (منا رحمة) نعمة وسعة وامنا وصحة (فرح بها) بطر لاجلها (وان تصبهم سيئة) بلاء كالمرض والفقر ونحوهما وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع في وان تصبهم باعتبار المعنى (بما قدمت ايديهم) بسبب معاصيهم (فان الانسان كفور) ولم يقل فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار والكفور البليغ الكفران والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها قيل اريد به كفران النعمة وقيل اريد به الكفر بالله تعالى (لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم) اى يقرنهم (ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما) لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له تعالى الملك وانه يقسم النعمة والبلاء كيف اراد ويهب لعباده من الاولاد ما يشاء فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويجعل البعض عقيما والعقيم التي لا تلد وكذلك رجل عقيم اذا كان لا يولد له وقدم الاناث اولا على الذكور لان سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم وايلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء ولما اخر الذكور وهم احقاء بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا وقيل نزلت في الانبياء عليهم السلام حيث وهب للوط وشعيب اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام عقيمين (انه عليم) بكل شيء (قدير) قادر على كل شيء (وما كان لبشر) وما صح لاحد من البشر (ان يكلمه الله الا وحيا) اى الهاما كما روى نفث في روعي اورؤيا في المنام كقوله عليه السلام رؤيا الانبياء وحي وهو كامر ابراهيم عليه السلام بذبح الولد (او من وراء حجاب) اى يسمع كلاما من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وليس المراد به

العذاب) يعني يوم القيامة (يقولون هل الى مرد من سبيل) يعني انهم يسألون الرجعة الى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) اى على النار (خاشعين من الذل) اى خاضعين متواضعين (ينظرون من طرف خفي) يعني يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة في انفسهم وقيل ينظرون بطرف خفي اى ضعيف من الذل وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفي (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم) يعني بأن صاروا الى النار (وأهليهم يوم القيامة) يعني وخسروا اهليهم بأن صاروا لغيرهم في الجنة (الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل) اى وصول الى الحق في الدنيا والجنة في العقبى فقد استدت عليهم طرق الخير (استجيبوا لربكم) اى أجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) اى لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت (مالكم من ملجأ يومئذ) اى مالكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت (ومالكم من نكير) أي ينكر حالكم وقيل النكير الانكار يعني لا تقدرون ان تنكروا من أعمالكم شيئا (فان أعرضوا) أي عن الاجابة (فما أرسلناك عليهم حفيظا) اى تحفظ اعمالهم (ان عليك الا البلاغ) اى ليس عليك الا البلاغ وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة) قال ابن عباس يعني الغنى والصحة (فرح بها وان تصبهم سيئة) أي قحط (بما قدمت ايديهم) اى من الاعمال الخبيثة (فان الانسان كفور) أي لما تقدم من نعمة الله تعالى عليه قوله عز وجل (لله ملك السموات والارض) يعني له التصرف فيهما بما يريد (يخلق ما يشاء) اى لا يقدر احد ان يعترض عليه في ملكه وارادته (يهب لمن يشاء اناثا) اى فلا يولد له ذكر (ويهب لمن يشاء الذكور) اى فلا يولد له انثى (او يزوجهم ذكرانا واناثا) اى يجمع بينهما فيولد له الذكور والاناث (ويجعل من يشاء عقيما) اى فلا يولد له ولد وقيل هذا في الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقوله يهب لمن يشاء اناثا يعني لوطا لم يولد له ذكر انما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعني ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يولد له انثى أو يزوجهم ذكرانا واناثا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له اربع بنين واربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعني يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل والا فالآية عامة في جميع الناس (انه عليم) اى بما يخلق (قدير) اى على ما يريد ان يخلق قوله تعالى (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا) قيل في سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى صلى الله عليه وسلم ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله تعالى فأنزل الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اى يوحي اليه في المنام أو بالالهام كما رأى ابراهيم في المنام ان يذبح ولده وهو وحي وكما الهمت ام موسى ان تقذفه في البحر (أو من وراء حجاب) اى يسمعه كلامه من وراء

حجاب

حجاب الله تعالى لان الله تعالى لايجوز عليه ما يجوز على الاجسام من الحجاب ولكن المراد به ان السامع محجوب عن الرؤية فى الدنيا (اويرسل رسولا) اى يرسل ملكا (فيوحى) اى الملك اليه وقيل وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة اويرسل رسولا اى نبيا كما كلم امم الانبياء على السنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان ان يرسل فى معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا أومسمعا من وراء حجاب اومرسلا ويجوز ان يكون المعنى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بان يوحى اوان يسمع من وراء حجاب اوان يرسل رسولا وهو اختيار الخليل اويرسل رسولا فيوحى بالرفع نافع على تقديرا وهو يرسل (باذنه) باذن الله (ما يشاء) من الوحى (انه على) قاهر فلا يمانع (حكيم) مصيب فى

حجاب ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام (أو يرسل رسولا) يعنى من الملائكة اما جبريل أوغيره (فيوحى باذنه ما يشاء) يعنى يوحى ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء وهذه الآية محمولة على انه لا يكلم بشرا الا من وراء حجاب فى الدنيا ويأتى بيان هذه المسئلة ان شاء الله تعالى فى سورة النجم (انه على) اى عن صفات المخلوقين (حكيم) اى فى جميع أفعاله قوله عز وجل (وكذلك) اى وكما أوحينا الى سائر رسلنا (أوحينا اليك روحا من أمرنا) قال ابن عباس نبوة وقيل قرآنا لان به حياة الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل (ما كنت تدرى) اى قبل الوحى (ما الكتاب) يعنى القرآن (ولا الايمان) اختلف العلماء فى هذه الآية مع اتفاقهم على ان الانبياء قبل النبوة كانوا مؤمنين فقيل معناه ما كنت تدرى قبل الوحى شرائع الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحاق عن ابن خزيمة الايمان فى هذا الموضع الصلاة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعنى صلاتكم ولم يرد به الايمان الذى هو الاقرار بالله تعالى لان النبى صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد الله تعالى ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا يأكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم تتبين له شرائع دينه الا بعد الوحى اليه (ولكن جعلناه نورا) قال ابن عباس يعنى الايمان وقيل القرآن لانه يهتدى به من الضلالة وهو قوله تعالى (نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى) اى لتدعو (الى صراط مستقيم) يعنى الى دين الاسلام (صراط الله) يعنى دين الله الذى شرعه لعباده (الذى له ما فى السموات وما فى الارض الا الى الله تصير الامور) يعنى أمور الخلائق فى الآخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسىء والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة الزخرف وهى مكية)

وهى تسع وثمانون آية وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف واربعمائة حرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) اقسم بالكتاب وهو القرآن الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما تحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعنى الواضح للمتدبرين وجواب القسم (انا جعلناه) اى صيرنا هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل انزلناه (قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) يعنى معانيه واحكامه (وانه) يعنى القرآن (فى أم الكتاب) اى فى اللوح المحفوظ قال ابن عباس أول ما خلق الله عز وجل القلم فأمره ان يكتب ما يريد ان يخلق فى الكتاب عنده ثم قرأ وانه فى أم الكتاب (لدينا) اى عندنا فالقرآن مثبت عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ (لعلى حكيم) اخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا أهل مكة بالقرآن فانه عندنا لعلى اى رفيع شريف وقيل على على جميع الكتب حكيم اى محكم لا يتطرق اليه الفساد والبطلان قوله تعالى (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) معناه افنترك عنكم الوحى ونمسك عن انزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم من اجل انكم

اقواله وافعاله فلا يعارض (وكذلك) اى كما اوحينا الى الرسل قبلك اوكما وصفنا لك (اوحينا اليك) ايحاء كذلك (روحا من امرنا) يريد ما اوحى اليه لان الخلق يحيون به فى دينهم كما يحيا الجسد بالروح (ما كنت تدرى) الجملة حال من الكاف فى ليك (ما الكتاب) القرآن (ولا الايمان) اى شرائعه او ولا الايمان بالكتاب لانه اذا كان لا يعلم بأن الكتاب ينزل عليه لم يكن عالما بذلك الكتاب وقيل الايمان يتناول اشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحى (ولكن جعلناه) أى الكتاب (نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى) لتدعو وقرئ به (الى صراط مستقيم) الاسلام (صراط الله) بدل (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وملكا (ألا الى الله تصير الامور) هو وعيد بالجحيم ووعد بالنعيم والله أعلم بالصواب

(سورة الزخرف تسع وثمانون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله (انا جعلناه) صيرناه (قرآنا عربيا) جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه والمبين البين للذين أنزل عليهم لانه بلغتهم وأساليبهم أوالواضح للمتدبرين أوالذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان كل ما تحتاج اليه الامة فى أبواب الديانة (لعلكم تعقلون) لكى تفهموا معانيه (وانه فى أم الكتاب لدينا) وان القرآن مثبت عند الله فى

اللوح المحفوظ دليله قوله بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ وسمى أم الكتاب لانه الاصل الذى اثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ ام الكتاب بكسر الالف على وحمزة (لعلى) خبران أى فى أعلى طبقات البلاغة اورفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم) ذو حكمة بالغة (أفنضرب عنكم الذكر) أفننحى عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض والفاء للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وجعله قرآنا عربيا ليعقلوه وليعملوا بموجبه (صفحا) مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم ويجوز ان يكون مصدرا على خلاف الصدر لانه يقال ضربت عنه

أى أعرضت عنه كذا قاله الفراء (أن كنتم) لأن كنتم ان كنتم مدنى وحمزة وهو من باب الشرط الذى يصدر من المدل بصحة الامر المحقق ثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفنى حقى وهو عالم بذلك (قوما مسرفين) مفرطين فى الجهالة مجاوزين الحد فى الضلالة (وكم أرسلنا من نبى فى الاولين) أى كثيرا من الرسل أرسلنا الى من تقدمك (وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن) هى حكاية حال ماضية مستمرة اى كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه (فأهلكنا أشد منهم بطشا) تمييز والضمير للمسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مخبره عنهم (ومضى مثل الاولين) أى سلف فى القرآن فى غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التى حقها ان تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم (ولئن سألتهم) اى المشركين (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الارض مهدا) كوفى وغيره مهادا اى موضع قرار (وجعل لكم فيها سبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا فى اسفاركم (والذى نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار تسلم معه العباد ويحتاج اليه البلاد (فأنشرنا) فاحيينا عدول من الغايبة الى الاخبار لعلم المخاطب بالمراد (به بلدة ميتا) يريد ميتا (كذلك تخرجون) من قبوركم احياء تخرجون حمزة وعلى ولا وقف على العليم لان الذى صفته وقد وقف عليه ابو حاتم على تقدير هو الذى لان هذه الاوصاف ليست من مقول الكفار لانهم ينكرون الاخراج من القبور فكيف يقولون كذلك تخرجون بل الآية حجة عليهم فى انكار البعث (والذى خلق الازواج) الاصناف (كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) اى تركبونه يقال ركبوا فى الفلك وركبوا الانعام فغلب المتعدى بغير واسطة لقوته على المتعدى بواسطة فقيل تركبونه (لتستووا على ظهوره) على ظهور ما تركبونه وهو الفلك والانعام (ثم تذكروا) بقلوبكم (نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا) بألسنتكم (سبحان الذى سخر لنا هذا) ذلل لنا هذا المركوب (وما كنا له مقرنين) مطيقين يقال اقرن الشئ اذا اطاقه وحقيقة اقرنه وجده قرينته لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف (وانا الى ربنا لمنقلبون) لراجعون فى المعاد قيل يذكرون عند ركوبهم مراكب الدنيا آخر مركبهم منها وهو الجنازة وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب فى السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم وحكى ان قوما ركبوا وقالوا سبحان الذى سخر لنا هذا الآية وفيهم رجل على ناقة لا تتحرك هزالا فقال انى مقرن لهذه فسقط

اسرفتم فى كفركم وترككم الايمان وهو قوله تعالى (أن كنتم) اى لان كنتم (قوما مسرفين) والمعنى لا نفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده اوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عز وجل عاد بعائدته وكرمه ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة او ما شاء الله وقيل معناه أفنضرب عنكم بذكرنا اياكم صافحين اى معرضين عنكم وقيل معناه أفنطوى الذكر عنكم طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل أفنترككم فلا نعاقبكم على كفركم (وكم أرسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن) يعنى كاستهزاء قومك بك وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فأهلكنا أشد منهم بطشا) اى اقوى من قومك قوة (ومضى مثل الاولين) اى صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا فى الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا أن ينزل بهم مثل ما نزل بالاولين من الخزى والعقوبة قوله عز وجل (ولئن سألتهم) اى ولئن سألت يا محمد قومك (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) يعنى انهم اقروا بأن الله تعالى خلقهما واقروا بعزته وعلمه ومع اقرارهم بذلك عبدوا غيره وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدأ تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى (الذى جعل لكم الارض مهدا) معناه واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع راحة الصبى فكذلك سمى الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحة للخلق (وجعل لكم فيها سبلا) اى طرقا (لعلكم تهتدون) يعنى الى مقاصدكم فى اسفاركم (والذى نزل من السماء ماء بقدر) اى بقدر حاجاتكم اليه لا كما أنزل على قوم نوح حتى اهلكهم (فأنشرنا به) اى بالمطر (بلدة ميتا) اى كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر (كذلك تخرجون) اى من قبوركم أحياء (والذى خلق الازواج كلها) اى الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ما سوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد والزوجية (وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) يعنى فى البر والبحر (لتستووا على ظهوره) اى على ظهور الفلك والانعام (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه) يعنى بتسخير المركب فى البر والبحر (وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا) اى ذلل لنا هذا (وما كنا له مقرنين) اى مطيقين وقيل ضابطين (وانا الى ربنا لمنقلبون) اى لمنصرفون فى المعاد (م) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا للسفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم انت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى الاهل والمال والولد واذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون قوله وعثاء السفر يعنى تعبه وشدته ومشقته وكآبة المنظر وسوء المنقلب الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك ان يعود من سفره حزينا كئيبا أو يصادف ما يحزنه فى اهل او مال عن على بن ربيعة قال شهدت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله اكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك انى ظلمت نفسى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ثم ضحك فقلت يا أمير المؤمنين مم ضحكت قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من أى شئ ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده اذا قال رب اغفر لى ذنوبى انه لا يغفر الذنوب غيرك

اخرجه

منها الوثبتها واندقت عنقه و ينبغي ان لا يكون ركوب العاقل للتنزه والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل عنده انه هالك لا محالة ومنقلب الى الله غير منفلت من قضائه (وجعلوا له من عباده جزءا) متصل بقوله ولئن سألتهم أى ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا اى قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له و بعضا منه كما يكون الولد جزءا لوالده جزءا ابو بكر وحماد (ان الانسان لكفور مبين) لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر اصل الكفران كله (أم اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين) أى بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث ادعوا انه اتخذ اولنفسه المنزلة الادنى ولهم الاعلى (واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذى جعله له مثلا اى شبها لانه اذا جعل الملائكة جزءا لله و بعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد (ظل وجهه مسودا وهو كظيم) يعنى انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا تأسفا وهو مملوء من الكرب والظلول

بمعنى الصيرورة (أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين) أى او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشأ فى الحلية أى يتربى فى الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتى ببرهان وذلك لضعف عقولهن قال مقاتل لا تتكلم المرأة الا وتأتى بالحجة عليها وفيه انه جعل النشأة فى الزينة من المعايب فعلى الرجل ان يجتنب ذلك و يتزين بلباس التقوى ومن منصوب المحل والمعنى اوجعلوا من ينشأ فى الحلية يعنى البنات لله عز وجل ينشأ حمزة وعلى وحفص أى يربى فقد جمعوا فى كفرهم ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه اخس النوعين وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفوا بهم (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) أى سموهم وقالوا انهم اناث عند الرحمن مكى ومدنى وشامى اى عندية منزلة ومكانة لا منزل ومكان والعباد جمع عبد وهو الزم فى الحجاج مع اهل العناد لتضاد بين العبودية والولاد (اشهدوا خلقهم) وهذا تهكم بهم يعنى انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يخبروا عن المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التى شهدوا بها على الملائكة من انوثتهم (و يسئلون) عنها وهذا وعيد (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) اى الملائكة تعلقت المعتزلة بظاهر هذه الآية فى ان الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وانما شاء الايمان فان الكفار ادعوا ان الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الاصنام حيث قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اى لو شاء منا ترك عبادة الاصنام لمنعنا عن عبادتها ولكن شاء منا عبادة الاصنام والله تعالى ردّ عليهم قولهم واعتقادهم بقوله (مالهم بذلك) المقول (من علم ان هم الا يخرصون) أى يكذبون ومعنى الآية عندنا انهم ارادوا بالمشيئة الرضى وقالوا لو لم يرض بذلك لعجل عقوبتنا او لمنعنا عن عبادتها مع قهر واضطرار واذ لم يفعل ذلك فقد رضى بذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله مالهم بذلك من علم الآية اوقالوا هذا القول استهزاء لا جدا واعتقادا فأكذبهم الله تعالى فيه وجهلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال مخبرا عنهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه وهذا حق فى الاصل ولكن لما قالوا ذلك استهزاء كذبهم الله بقوله ان انتم الا فى ضلال مبين وكذلك قال الله تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم وظنوا ان الله لا يعاقبهم على شئ فعلوه بمشيئته وجعلوا انفسهم معذورين فى ذلك فرد الله تعالى عليهم (أم آتيناهم كتابا من قبله) من قبل القرآن او من قبل قولهم هذا (فهم به مستمسكون) آخذون عاملون وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره اشهدوا خلقهم ام آتيناهم كتابا فيه ان الملائكة اناث (بل قالوا) بل لا حجة لهم يتمسكون بها الا من حيث العيان

أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قوله تعالى (وجعلوا له من عباده جزءا) يعنى ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا هنا حكموا واثبتوا (ان الانسان لكفور مبين) اى لجحود لنعم الله تعالى عليه (أم اتخذ مما يخلق بنات) هذا استفهام انكار وتوبيخ يقول أتخذ ربكم لنفسه البنات (واصفاكم) اى اخلصكم (بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا) اى بالجنس الذى جعله للرحمن شبها لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا وأسفا وهو قوله تعالى (ظل وجهه) اى صار وجهه (مسودا وهو كظيم) اى من الحزن والغيظ قيل ان بعض العرب ولدت له أنثى فهجر بيت امرأته التى ولدت فيه الانثى فقالت المرأة

مالابى حمزة لا يأتينا * يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا * ليس لنا من امرنا ماشينا
وانما نأخذ ما أعطينا * حكمة رب ذى اقتدار فينا

قوله عز وجل (أومن ينشأ) يعنى أومن يتربى (فى الحلية) يعنى الزينة والنعمة والمعنى او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصانها لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بوجه آخر وهو قوله (وهو فى الخصام) اى المخاصمة (غير مبين) للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة قلما تكلمت امرأة فتريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها (وجعلوا) اى وحكموا واثبتوا (الملائكة الذين هم عباد) وقرئ عند (الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم) اى حضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار اى لم يشهدوا ذلك (ستكتب شهادتهم) اى على الملائكة انهم بنات الله (و يسئلون) اى عنها قيل لما قالوا هذا القول سألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم انها بنات الله قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم و يسئلون عنها فى الآخرة (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) يعنى الملائكة وقيل الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياها لرضاه منا بذلك قال الله تعالى رداعليهم (مالهم بذلك من علم) اى فيما يقولون (ان هم الا يخرصون) يعنى ما هم الا كاذبون فى قولهم ان الله رضى منا بعبادتها وقيل يكذبون فى قولهم ان الملائكة اناث وانهم بنات الله (أم آتيناهم كتابا من قبله) اى من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله (فهم به مستمسكون) اى يأخذون بما فيه (بل قالوا

ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع الا قولهم (انا وجدنا آباءنا على أمة) على دين فقلدناهم وهي من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم أي تقصد (وانا على آثارهم مهتدون) الظرف صلة لمهتدون او هما خبران (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير) نبي (الا قال مترفوها) اي متنعموها وهم الذين اترفتهم النعمة اي ابطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي و يعافون مشاق الدين وتكاليفه (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وبيان ان تقليد الآباء داء قديم (قال) شامي وحفص اي النذير قل غيرهما اي قيل للنذير قل (أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أى اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) انا ثابتون على دين آبائنا وان جئتنا بما هو اهدى واهدى (فانتقمنا منهم) فعاقبناهم بما استحقوه على اصرارهم (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لابيه وقومه) اى واذكر اذ قال (انني براء) اى برئ وهو مصدر يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول رجل عدل وامرأة عدل وقوم عدل والمعنى ذو عدل وذات عدل (مما تعبدون الا الذى فطرنى) استثناء منقطع كانه قال لكن الذى فطرنى (فانه سيهدين) يثبتني على الهداية (وجعلها) وجعل ابراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذى فطرنى (كلمة باقية في عقبه) في ذريته فلم يزل فيهم من يوحد الله ويدعوا الى توحيده (لعلهم يرجعون) لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم والترجي لابراهيم (بل متعت هؤلاء وآباءهم) يعني أهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) اى القرآن (ورسول) محمد عليه السلام (مبين) واضح الرسالة بما معه من الآيات البينة (ولما جاءهم الحق) القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا) فيه متحكمين بالباطل (لولا نزل هذا القرآن) فيه استهانة به (على رجل من القريتين عظيم) اى رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اى من أحدهما والقريتان مكة والطائف وعنوا بعظيم مكة الوليد بن المغيرة و بعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفي وأرادوا بالعظيم من كان ذا مال وذا جاه ولم يعرفوا ان العظيم من كان عند الله عظيما (أهم يقسمون رحمة ربك) اى النبوة والهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجب من تحكمهم في اختيار من يصلح للنبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) ما يعيشون به وهو أرزاقهم (في الحياة الدنيا) اى لم نجعل قسمة الادون اليهم وهو الرزق فكيف النبوة او كما فضلت البعض على البعض في الرزق فكذا أخص بالنبوة من اشاء (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) اى جعلنا البعض اقوياء واغنياء وموالي والبعض ضعفاء وفقراء وخدما (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم و يستخدموهم في مهنهم و يتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا و يصلوا الى منافعهم هذا بماله وهذا باعماله.

انا وجدنا آباءنا على أمة) اى على دين وملة (وانا على آثارهم مهتدون) يعني انهم جعلوا أنفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة ثم اخبران غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها) اى أغنياؤها ورؤساها. (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) اى بهم (قل أولو جئتكم بأهدى) اى بدين هو اصوب (مما وجدتم عليه آباءكم) فأبوا ان يقبلوا (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) قوله تعالى (واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء) اى برئ (مما تعبدون الا الذى فطرنى) معناه أنا اتبرأ مما تعبدون الا من الله الذى خلقني (فانه سيهدين) أي يرشدني الى دينه (وجعلها) أى وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا اله الا الله (كلمة باقية في عقبه) اى في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى و يدعوا الى توحيده (لعلهم يرجعون) اى لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل اهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه من الشرك الى دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام (بل متعت هؤلاء) يعني كفار مكة (وآباءهم) في الدنيا بالمد في العمر والنعمة ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم (حتى جاءهم الحق) يعني القرآن وقيل الاسلام (ورسول) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مبين) أي يبين لهم الاحكام وقيل بين الرسالة واوضحها بما معه من الآيات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام ان يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى (ولما جاءهم الحق) يعني القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون) قوله عز وجل (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) معناه انهم قالوا منصب النبوة منصب عظيم شريف لا يليق الا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من احدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا في هذا الرجل العظيم قيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد ياليل الثقفي من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمير الثقفي قال الله تعالى ردا عليهم (أهم يقسمون رحمة ربك) معناه أبايديهم مفاتيح الرسالة فيضعوها حيث شاؤا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثلا فقال تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) أى نحن اوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان أحدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فاذا عجزوا عن الاعتراض في حكمنا في احوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا في تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ثم قال تعالى (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) يعني لو اننا سوينا بينهم في كل الاحوال لم يخدم احد احدا ولم يصر

(ورحمت ربك) اى النبوة او دين الله وما يتبعه من الفوز فى المآب (خير مما يجمعون) مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا ولما قال أمر الدنيا واصغرها اردفه
مايقرر قلة الدنيا عنده فقال (ولولا ان يكون الناس أمة واحدة) ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه (لجعلنا) لحقارة الدنيا عندنا (لمن
يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا) اى لجعلنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها
من فضة وجعلنا لهم زخرفا اى زينة من كل شئ والزخرف الذهب والزينة ويجوز ان يكون الاصل سقفا

من فضة وزخرف اى بعضها من فضة
وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من
فضة لبيوتهم بدل اشتمال من ان يكفر سقفا على
الجنس مكى وابو عمرو ويزيد والمعارج جمع معرج
وهى المصاعد الى العلالى عليها يظهرون على
المعارج يظهرون السطوح اى يعلونها (وان كل
ذلك لما متاع الحياة الدنيا) ان نافية ولما بمعنى
الا اى وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا وقد قرئ
به وقرأ لما غير عاصم وحمزة على ان اللام هى
الفارقة بين ان المخففة والنافية وما صلة اى
وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا (والآخرة) اى
ثواب الآخرة (عند ربك للمتقين) لمن يتقى الشرك
(ومن يعش) وقرئ ومن يعش والفرق بينهما
انه اذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشى يعشى
واذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا يعشو
أو معنى القراءة بالفتح ومن يعم (عن ذكر الرحمن)
وهو القرآن لقوله صم بكم عمى ومعنى القراءة بالضم
ومن يتعام عن ذكره اى يعرف انه الحق وهو
يتجاهل كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
(نقيض له شيطانا فهو له قرين) قال ابن عباس
رضى الله عنهما نسلطه عليه فهو معه فى الدنيا
والآخرة يحمله على المعاصى وفيه اشارة الى ان
من داوم عليه لم يقرنه الشيطان (وانهم) اى
الشياطين (ليصدونهم) ليمنعون العاشين (عن
السبيل) عن سبيل الهدى (ويحسبون) اى
العاشون (انهم مهتدون) وانما جمع ضمير
من وضمير الشيطان لان من مبهم فى جنس
العاشى وقد قيض له شيطان مبهم من جنسه
فجاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا (حتى اذا
جاءنا) على الواحد عراقى غير ابى بكر اى العاشى
جاآنا غيرهم اى العاشى وقرينه (قال) لشيطانه
(ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) يريد المشرق

والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران والمراد بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق (فبئس القرين) انت (ولن ينفعكم اليوم
اذ ظلمتم) اذ صح ظلمكم اى كفركم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة فى انكم كنتم ظالمين واذ بدل من اليوم (انكم فى العذاب مشتركون) انكم فى محل الرفع على
الفاعلية اى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب او كونكم مشتركين فى العذاب كما كان عموم البلوى يطيب القلب فى الدنيا كقول الخنساء
ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى * ولا يبكون مثل أخى ولكن * أعزى النفس عنه بالتأسى * اما هؤلاء فلا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم
لعظم ماهم فيه وقيل الفاعل مضمر اى ولا ينفعكم هذا التمنى او الاعتذار لانكم فى العذاب مشتركون لاشتراككم فى سببه وهو الكفر ويؤيده قراءة من قرأ انكم

احدهم مسخرا لغيره وحينئذ يفضى ذلك الى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكنا فعلنا ذلك ليستخدم
بعضهم بعضا فتسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش
فهذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك (ورحمت ربك) يعنى
الجنة (خير) يعنى للمؤمنين (مما يجمعون) أى يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف
الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى ابد الآبدين قوله عز وجل (ولولا ان يكون الناس
امة واحدة) أى لولا ان يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه اذا رأوا الكفار فى
سعة من الخير والرزق لاعطيت الكفار اكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى (لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) يعنى مصاعد ودرجات من فضة (عليها يظهرون)
يعنى يصعدون ويرتقون عليها (ولبيوتهم ابوابا) أى من فضة (وسررا) أى وجعلنا لهم سررا من
فضة (عليها يتكئون وزخرفا) أى وجعلنا من ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل
شئ (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) يعنى ان الانسان يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضى لان الدنيا
سريعة الزوال والذهاب (والآخرة عند ربك للمتقين) يعنى الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا
عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة
ماسقى كافرا منها شربة ماء اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وعن المستورد بن شداد احد بنى
فهر قال كنت فى الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه هانت على اهلها حين القوها قالوا من هوانها القوها يا رسول الله قال
فان الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على اهلها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وعن قتادة بن
النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل احدكم يحمى
سقيمه الماء اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر قوله تعالى (ومن يعش) أى يعرض
(عن ذكر الرحمن) اى فلم يخف عقابه ولم يرد ثوابه وقيل يول ظهره عن القرآن (نقيض له شيطانا) أى
نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه (فهو له قرين) يعنى لا يفارقه يزين له العمى ويخيل اليه
انه على الهدى (وانهم) يعنى الشياطين (ليصدونهم عن السبيل) يعنى يمنعونهم عن الهدى (ويحسبون
انهم مهتدون) يعنى ويحسب كفار بنى آدم انهم على الهدى (حتى اذا جاءنا) يعنى الكافر وحده
وقرئ جاآنا على التثنية يعنى الكافر وقرينه وقد جعلا فى سلسلة واحدة (قال) الكافر لقرينه
الشيطان (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) أى بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على
الآخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولابى بكر وعمر العمران وقيل اراد بالمشرقين مشرق الصيف
ومشرق الشتاء والقول الاول اصح (فبئس القرين) يعنى الشيطان قال ابو سعيد الخدرى اذا بعث
الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصيرا الى النار (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) يعنى
اشركتم (انكم فى العذاب مشتركون) يعنى لا ينفعكم الاشتراك فى العذاب ولا يخفف عنكم شيئا لان

كل واحد من الكفار والشياطين له الحظ الاوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون فى العذاب كما كنتم مشتركين فى الكفر (أفانت تسمع الصم او تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين) يعنى الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب انهم لا يؤمنون قوله عزوجل (فاما نذهبن بك) أى بان نميتك قبل ان نعذبهم (فانا منهم منتقمون) أى بالقتل بعدك (أو نرينك) أى فى حياتك (الذى وعدناهم) اى من العذاب (فانا عليهم مقتدرون) أى قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم وأراد بهم مشركى مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يفيد التسلية للنبى صلى الله عليه وسلم لانه وعده الانتقام له منهم اما حال حياته او بعد وفاته وهذا قول اكثر المفسرين وقيل عنى به ما يكون فى أمته وقد كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة فى أمته اكرم الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به ولم يره فى امته الا الذى تقر به عينه وابقى النقمة بعده وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم أرى ما يصيب أمته بعده فما رئى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى (فاستمسك بالذى اوحى اليك) يعنى القرآن (انك على صراط مستقيم) أى على دين مستقيم لا يميل عنه الا الضال (وانه) يعنى القرآن (لذكر) أى الشرف عظيم (لك ولقومك وسوف تسئلون) يعنى عن حقه واداء شكره وروى ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك لم يخبر بشئ حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل قال لقريش (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر فى قريش ما بقى منهم اثنان (خ) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر فى قريش لا يعاديهم احد الا أكبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقرآن لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبنى هاشم وقيل ذكر لك أى ذلك شرف لك بما اعطاك الله من النبوة والحكمة ولقومك يعنى المؤمنين بما هداهم الله تعالى به وسوف تسئلون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه قوله تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) اختلف العلماء من هؤلاء المسؤلون فروى عن ابن عباس فى رواية عنه لما اسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم بعث الله عزوجل له آدم وولده من المرسلين فأذن جبريل ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا اسأل قد اكتفيت وهذا قول الزهرى وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة أسرى به وأمران يسألهم فلم يشك ولم يسأل فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلة اسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال أكثر المفسرين معناه سل مؤمنى أهل الكتاب الذين أرسلت اليهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس فى أكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى والحسن ومقاتل ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركى قريش انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عزوجل قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون) اى يسخرون (وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها) أى من قرينتها التى قبلها (وأخذناهم بالعذاب) اى بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه آيات ودلالات لموسى عليه الصلاة والسلام وعذابا لهم وكانت كل واحدة أكبر من التى قبلها (لعلهم يرجعون) اى عن كفرهم (وقالوا) يعنى لموسى

بالاسر (افانت تسمع الصم) اى من فقد سمع القبول (او تهدى العمى) اى من فقد البصر (ومن كان فى ضلال مبين) ومن كان فى علم الله انه يموت على الضلال (فاما) دخلت ما على ان توكيدا للشرط وكذا النون الثقيلة فى (نذهبن بك) اى نتوفينك قبل ان ننصرك عليهم ونشفى صدور المؤمنين منهم (فانا منهم منتقمون) اشد الانتقام فى الآخرة (او نرينك الذى وعدناهم) قبل ان نتوفينك يوم بدر (فانا عليهم مقتدرون) قادرون وصفهم بشدة الشكيمة فى الكفر والضلال بقوله افانت تسمع الصم الآية ثم اوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة بقوله فاما نذهبن بك الآيتين (فاستمسك) فتمسك (بالذى أوحى اليك) وهو القرآن واعمل به (انك على صراط مستقيم) على الدين الذى لا عوج له (وانه) وان الذى اوحى اليك (لذكر لك) لشرف لك (ولقومك) ولامتك (وسوف تسئلون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر فى اديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط فى ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية فى نفسها كافية لا حاجة الى غيرها وقيل انه عليه السلام جمع له الانبياء ليلة الاسراء فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل امم من أرسلنا وهم اهل الكتابين اى التوراة والانجيل وانما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء ومعنى هذا السؤال التقرير لعبدة الاوثان انهم على الباطل وسل بلاهمز مكى وعلى وسلنا ابو عمرو ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين) ما اجابوه به عند قوله انى رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الآية (اذاهم منها يضحكون) يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجأة وهو جواب فلما لان فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب فى محل اذا كانه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤا وقت ضحكهم (وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها) قرينتها وصاحبتها التى كانت قبلها فى [illegible] عليه نقض العادة وظاهر النظم يدل على ان اللاحقة اعظم من السابقة وليس كذلك بل المراد بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس يقال هما اخوان كل واحد منهما اكرم من الآخر (وأخذناهم بالعذاب) وهو ما قال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات وأرسلنا عليهم الطوفان الآية (لعلهم يرجعون) عن الكفر الى الايمان

(وقالوا يا ايه الساحر) كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم علم السحر يا يه الساحر بضم الهاء بلا الف شامي و وجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها (ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك من ان دعوتك مستجابة او بعهده عندك وهو النبوة او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى (اننا لمهتدون) مؤمنون به (فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) ينقضون العهد بالايمان ولا يفون به (ونادى فرعون) نادى بنفسه عظماء القبط او امر مناديا فنادى كقولك قطع الامير اللص اذا أمر بقطعه (في قومه) جعلهم محلا لندائه وموقعا له (قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار) اى أنهار النيل ومعظمها اربعة (تجرى من تحتى) من تحت قصرى وقيل بين يدى في جنانى والواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجرى نصب على الحال منها او الواو للحال واسم الاشارة مبتدا والانهار صفة لاسم الاشارة وتجرى خبر للمبتدا وعن الرشيد انه لما قرأها قال لا ولينها اخس عبيدى فولاها الخصيب وكان خادمه على وضوئه وعن عبدالله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما اشارفها قال اهى القرية التى افتخر بها فرعون حتى قال أليس لى ملك مصر والله لهى اقل عندى من ان ادخلها فثنى عنانه (أفلا تبصرون) قوتى وضعف موسى وغناى وفقره (أم أنا خير) ام منقطعة بمعنى بل والهمزة كانه قال اثبت عندكم واستقر انى انا خير وهذه حالى (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير (ولا يكاد يبين) الكلام لما كان به من الرتة (فلولا) فهلا (ألقى عليه أسورة) حفص و يعقوب وسهل جمع أسوار غيرهم اساورة جمع اسورة واساوير جمع سوار وهو السوار حذف الياء من اساوير وعوض منها التاء (من ذهب) اراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب (أو جاء معه الملائكة مقترنين) يمشون معه يقترن بعضهم ببعض ليكونوا اعضاده وانصاره وأعوانه (فاستخف قومه) استفزهم بالقول واستزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة فى الطاعة وهى الاسراع (فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين من دين الله (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) آسف منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومعناه انهم افرطوا فى المعاصى فاستوجبوا ان يعجل لهم عذابنا وانتقامنا وان لا نحلم عنهم (فجعلناهم سلفا) جمع سالف كخادم وخدم سلفا حمزة وعلى جمع سليف اى فريق قد سلف (ومثلا) وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يضرب بهم الامثال و يقال مثلكم مثل قوم فرعون (للآخرين) لمن يجىء بعدهم ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل افعالهم ومثلا يحدثون به (ولما ضرب ابن مريم مثلا) لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم غضبوا فقال ابن الزبعرى يا محمد اخاصة لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال الست تزعم ان عيسى بن مريم نبيا وتثنى عليه وعلى امه خيرا وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب ابن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا لآلهتهم وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) قريش (منه) من هذا المثل (يصدون) يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات النبى صلى الله عليه وسلم بجدله يصدون مدنى وشامى والاعشى وعلى من الصدود اى من اجل هذا المثل يصدون عن الحق و يعرضون عنه

عليه الصلاة والسلام لما عاينوا العذاب (يا أيه الساحر) اى العالم الكامل الحاذق وانما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا لان السحر كان عندهم علما عظيما وصنعة ممدوحة وقيل معناه يا أيها الذى غلبنا بسحره (ادع لنا ربك بما عهد عندك) أى بما أخبرتنا عن عهده اليك انا ان آمنا كشف عنا العذاب فاسأله ان يكشفه عنا (اننا لمهتدون) اى لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله سبحانه وتعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) اى ينقضون عهدهم و يصرون على كفرهم (ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى) يعنى انهار النيل الكبار وكانت تجرى تحت قصره وقيل معناه تجرى بين يدى جنانى و بساتينى وقيل تجرى بأمرى (افلا تبصرون) اى عظمتى وشدة ملكى (أم انا) بل انا (خير) وليس بحرف عطف على قول اكثر المفسرين وقيل فيه اضمار مجازه افلا تبصرون ثم ابتدأ فقال انا خير (من هذا الذى هو مهين) اى ضعيف حقير يعنى موسى (ولا يكاد يبين) اى يفصح بكلامه للثغة التى كانت فى لسانه وانما عابه بذلك لما كان عليه أولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التى تدل على صدقه فيما يدعى ولم يرد به انه لا قدرة له على الكلام (فلولا ألقى عليه) اى ان كان صادقا (أسورة من ذهب) قيل انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه اسورة من ذهب ان كان سيدا تجب طاعته (أو جاء معه الملائكة مقترنين) اى متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه و يعينونه على أمره قال الله تعالى (فاستخف) يعنى فرعون (قومه) يعنى القبط اى وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل (فأطاعوه) اى على تكذيب موسى (انهم كانوا قوما فاسقين) يعنى حيث أطاعوا فرعون فيما استخفهم به (فلما آسفونا) اى أغضبونا وهو فى حق الله تعالى ارادته العقاب وهو قوله تعالى (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) يعنى جعلنا المتقدمين الماضين عبرة وموعظة لمن يجىء من بعدهم قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى مجادلة عبدالله بن الزبعرى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وذلك لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره فى سورة الانبياء ومعنى الآية ولما ضرب عبدالله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) يعنى قريشا (منه) اى من المثل (يصدون) أى يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح

وقيل من الصد بدوهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعلف ويعكف (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون ان آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان امر آلهتنا هينا (ماضربوه) اي ماضربوا هذا المثل (لك الا جدلا) الا لاجل الجدل والغلبة فى القول لا لطلب المميز بين الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) لشداد الخصومة دأبهم اللجاج وذلك ان قوله تعالى انكم وما تعبدون لم يرد به الا الاصنام لان ما لغير العقلاء الا ان ابن الزبعرى بخداعه لما رأى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به أصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف اللفظ الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريق اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح فى ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه ربه (ان هو) ماعيسى (الا عبد) كسائر العبيد (أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل) وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبنى اسرائيل (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض) أى بدلا منكم كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم لجعلنا بدلكم ومن بمعنى البدل (يخلفون) يخلفونكم فى الارض او يخلف الملائكة بعضهم بعضا وقيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الامور لجعلنا منكم لولدنا منكم يارجال ملائكة يخلفونكم فى الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام والقديم متعال عن ذلك (وانه لعلم للساعة) وان عيسى مما يعلم به مجىء الساعة وقرأ ابن عباس لعلم للساعة وهو العلامة اى وان نزوله لعلم للساعة (فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها من المرية وهو الشك (واتبعون) وبالياء فيهما سهل ويعقوب أى واتبعوا هداى وشرعى او رسولى او هو أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقوله (هذا صراط مستقيم) اى هذا الذى ادعوكم اليه (ولا يصدنكم الشيطان) عن الايمان بالساعة او عن الاتباع (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة اذ أخرج اباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (ولما جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات او بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) أى بالانجيل والشرائع (ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه) وهو أمر الدين لا امر الدنيا (فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) هذا تمام كلام عيسى عليه السلام لا محالة (فاختلف الاحزاب) الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية والشمعونية (من بينهم) من بين النصارى (فويل للذين ظلموا) حيث قالوا فى عيسى ما كفروا به (من عذاب يوم أليم) وهو يوم القيامة (هل ينظرون الا الساعة) الضمير لقوم عيسى او للكفار (ان تأتيهم) بدل من الساعة أى هل ينظرون الا اتيان الساعة (بغتة

وقيل يقولون ان محمدا ما يريد منا الا ان نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معنى أم هو يعنى عيسى والمعنى قالوا يزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله فى النار فنحن قد رضينا ان تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة فى النار قال الله تعالى (ماضربوه) يعنى هذا المثل (لك الا جدلا) اى خصومة بالباطل وقد علموا ان المراد من قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الاصنام (بل هم قوم خصمون) اى بالباطل عن أبى امامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى (ان هو) اى ماعيسى (الا عبد انعمنا عليه) اى بالنبوة (وجعلناه مثلا) اى آية وعبرة (لبنى اسرائيل) يعرفون به قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير اب (ولو نشاء لجعلنا منكم) الخطاب لاهل مكة (ملائكة) معناه لو نشاء لاهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة (فى الارض يخلفون) اى يكونون خلفا منكم يعمرون الارض ويعبدوننى ويطيعوننى وقيل يخلف بعضهم بعضا (وانه) يعنى عيسى (لعلم للساعة) يعنى نزوله من شرائط الساعة يعلم به قربها (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وفى رواية أبى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بينى وبين عيسى نبى وانه نازل فيكم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام يدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله تعالى فى زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ثم يمكث فى الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم وامامكم منكم وفى رواية فأمكم منكم قال ابن ابى ذؤيب فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ويروى انه ينزل عيسى وبيده حربة وهى التى يقتل بها الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن وقيل فى معنى الآية وانه اى وان القرآن لعلم للساعة اى يعلم قيامها ويخبركم بأحوالها واهوالها (فلا تمترن بها) اى لا تشكون فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها (واتبعون) اى على التوحيد (هذا) اى الذى انا عليه (صراط مستقيم ولا يصدنكم) اى لا يصرفنكم (الشيطان) اى عن دين الله الذى أمر به (انه) يعنى الشيطان (لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) اى بالنبوة (ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه) أى من احكام التوراة وقيل من اختلاف الفرق الذين تحزبوا فى أمر عيسى وقيل الذى جاء به عيسى الانجيل وهو بعض الذى اختلفوا فيه فبين لهم عيسى فى غير الانجيل ما احتاجوا اليه (فاتقوا الله وأطيعون) اى فيما آمركم به (ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم) اى اختلف الفرق المتحزبة بعد عيسى (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون) اى ينتظرون (الا الساعة ان تأتيهم بغتة) أى فجأة والمعنى انها تأتيهم

وهم لا يشعرون) أى وهم غافلون لاشتغالهم بأمر دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون (الاخلاء) جمع خليل (يومئذ) يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو الا المتقين) أى المؤمنين وانتصاب يومئذ بعدو أى تنقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة ومعناه الاخلة المتصادقين فى الله فانها الخلة الباقية (يا عبادى) بالياء فى الوصل والوقف مدنى وشامى وابو عمرو وبفتح الياء ابو بكر الباقون بحذف الياء (لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) هو حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ (الذين) منصوب المحل صفة لعبادى لانه منادى مضاف (آمنوا بآياتنا) صدقوا بآياتنا (وكانوا مسلمين) لله منقادين له (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) المؤمنات فى الدنيا (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره أى اثره على وجوههم (يطاف عليهم بصحاف) جمع صحفة (من ذهب وأكواب) أى من ذهب ايضا والكوب الكوز لا عروة له (وفيها) وفى الجنة (ما تشتهيه الانفس) مدنى وشامى وحفص باثبات الهاء العائدة الى الموصول وحذفها غيرهم لطول الموصول بالفعل والفاعل والمفعول (وتلذ الاعين) وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهيات فى القلوب او مستلذة فى العيون (وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) تلك اشارة الى الجنة المذكورة وهى مبتدأ والجنة خبر والتى أورثتموها صفة الجنة او الجنة صفة للمبتدأ الذى هو اسم الاشارة والتى أورثتموها صفة الجنة وبما كنتم تعملون الخبر والباء يتعلق بمحذوف أى حاصلة او كائنة كما فى الظروف التى تقع اخبارا وفى الوجه الاول يتعلق بأورثتموها وشبهت فى بقائها على أهلها بالميراث الباقى على الورثة (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) من للتبعيض أى لا تأكلون الا بعضها واعقابها باقية فى شجرها فهى مزينة بالثمار أبدا وفى الحديث لا ينزع أحد فى الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها (ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون) خبر بعد خبر (لا يفتر عنهم) خبر آخر أى لا يخفف ولا ينقص (وهم فيه) فى العذاب (مبلسون) آيسون من الفرج متحيرون (وما ظلمناهم) بالعذاب (ولكن كانوا هم الظالمين) هم فصل (ونادوا يا مالك) لما أيسوا من فتور العذاب نادوا يا مالك وهو خازن النار وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم (ليقض علينا ربك) ليميتنا من قضى عليه اذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك ان يقضى علينا (قال انكم ماكثون) لابثون فى العذاب لا تتخلصون عنه بموت ولا فتور (لقد جئناكم بالحق) كلام الله تعالى ويجب ان يكون فى قال ضمير الله لما سألوا مالكا ان يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك وقيل هو متصل بكلام مالك والمراد بقوله جئناكم الملائكة اذ هم رسل الله وهو منهم (ولكن أكثركم للحق كارهون) لا تقبلونه وتنفرون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب (أم أبرموا أمرا) ام احكم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم وكانوا يتنادون فيتناجون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (أم يحسبون انا لا نسمع

لا محالة (وهم لا يشعرون الاخلاء) اى على الكفر والمعصية فى الدنيا (يومئذ) يعنى يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو) أى ان الخلة اذا كانت كذلك صارت عداوة يوم القيامة (الا المتقين) أى الا الموحدين المتحابين فى الله عز وجل المجتمعين على طاعته روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه فى الآية قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران مات أحد المؤمنين فقال يا رب ان فلانا كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك صلى الله عليه وسلم ويأمرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى انى ملاقيك يا رب فلا تضله بعدى واهده كما هديتنى واكرمه كما اكرمتنى فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت أحد الكافرين فيقول يا رب ان فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى انى غير ملاقيك فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب قوله عز وجل (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) قيل ان الناس حين يبعثون ليس أحد منهم الا فزع فينادى مناد يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم (ادخلوا الجنة انتم وأزواجكم تحبرون) اى تسرون وتنعمون (يطاف عليهم بصحاف من ذهب) جمع صحفة وهى القصعة الواسعة (وأكواب) جمع كوب وهو اناء مستدير بلا عروة (وفيها) أى فى الجنة (ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين) عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يا رسول الله هل فى الجنة خيل فانى احب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك فى أى الجنة شئت الا فعلت وسأله آخر فقال يا رسول الله هل فى الجنة من ابل فانى احب الابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك أخرجه الترمذى (وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) ورد فى الحديث انه لا ينزع أحد فى الجنة من ثمرها ثمرة الا نبت مكانها مثلاها قوله تعالى (ان المجرمين) يعنى المشركين (فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم) اى لا يخفف عنهم (وهم فيه مبلسون) اى آيسون من رحمة الله تعالى (وما ظلمناهم) أى وما عذبناهم بغير ذنب (ولكن كانوا هم الظالمين) اى لانفسهم بما جنوا عليها (ونادوا يا مالك) يعنى يدعون مالكا خازن النار يستغيثون به فيقولون (ليقض علينا ربك) اى ليمتنا ربك فنستريح والمعنى انهم توسلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت فيجيبهم بعد الف سنة قاله ابن عباس وقيل بعد مائة سنة وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان اهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم (قال انكم ماكثون) قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون فى العذاب (لقد جئناكم بالحق) يقول ارسلنا اليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق (ولكن اكثركم للحق كارهون أم ابرموا أمرا) اى احكموا أمرا فى المكر بالرسول صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) اى محكمون امرا فى مجازاتهم ان كادوا شرا كدتهم بمثله (أم يحسبون انا لا نسمع

سرهم) حديث انفسهم (ونجواهم) مايتحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم (بلى) نسمعها ونطلع عليها (ورسلنا) اى الحفظة (لديهم يكتبون) عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ من ستر من الناس ذنوبه وابداها لمن لا يخفى عليه خافية فقد جعله أهون الناظرين اليه وهو من أمارات النفاق (قل ان كان للرحمن ولد) وصح ذلك ببرهان (فأنا أول العابدين) فأنا أول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد اليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفي الولد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ونظيره قول سعيد ابن جبير للحجاج حين قال له والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ما عبدت الها غيرك وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول العابدين أى الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول الآنفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد وقرئ عبدين وقيل هى ان النافية أى ماكان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد وروى ان النضر قال الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر الاترون انه صدقنى فقال له الوليد ماصدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له ولد حمزة وعلى ثم نزه ذاته عن اتخاذ الولد فقال (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) أى هو رب السموات والارض والعرش فلا يكون جسما اذ لو كان جسما لم يقدر على خلقها واذ لم يكن جسما لا يكون له ولد لان التولد من صفة الاجسام (فذرهم يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) أى القيامة وهذا دليل على ان مايقولونه من باب الجهل والخوض واللعب (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف فى قوله فى السماء و فى الارض كما تقول هو حاتم فى طيئ وحاتم فى تغلب على تضمين معنى الجواد الذى شهر به كانك قلت هو جواد فى طيئ جواد فى تغلب وقرئ وهو الذى فى السماء الله و فى الارض الله ومثله قوله وهو الله فى السموات وفى الارض فكأنه ضمن معنى المعبود والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما انا بالذى قائل لك شيئا والتقدير وهو الذى هو فى السماء اله واله يرتفع على انه خبر مبتدا مضمر ولا يرتفع اله بالابتداء وخبره فى السماء لخلو الصلة حينئذ من عائد يعود الى الموصول (وهو الحكيم) فى أقواله وافعاله (العليم) بما كان و يكون (وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة) اى علم قيامها (واليه ترجعون) يرجعون مكى وحمزة وعلى (ولا يملك) آلهتهم (الذين يدعون) يدعونهم (من دونه) من دون الله (الشفاعة) كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله (الا من شهد بالحق) أى ولكن من شهد بالحق بكلمة التوحيد (وهم يعلمون) ان الله ربهم حقا و يعتقدون ذلك هو الذى يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع أو متصل لان فى جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة (ولئن سألتهم) أى المشركين (من خلقهم ليقولن الله) لا الاصنام والملائكة (فأنى يؤفكون) وكيف أو من اين يصرفون عن التوحيد مع هذا الاقرار (وقيله) بالجر عاصم وحمزة أى وعنده علم الساعة وعلم قيله (يارب) والهاء يعود الى محمد صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره فى قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين وبالنصب الباقون عطفا على محل الساعة و بعلم قيله اى قيل محمد يارب والقيل والقول والقال والمقال واحد ويجوز ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه وجواب القسم (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) كانه قيل واقسم بقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون واقسام الله بقيله رفع منه و تعظيم لدعائه والتجائه اليه

سرهم ونجواهم) اى ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم (بلى) نسمع ذلك كله و نعلمه (ورسلنا) يعنى الحفظة من الملائكة (لديهم يكتبون) قوله عز وجل (قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) معناه ان كان للرحمن ولد فى قولكم وعلى زعمكم فأنا أول من عبد الرحمن فانه لا شريك له ولا ولد له وقال ابن عباس ان كان اى ما كان للرحمن ولد فانا أول العابدين اى الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده بذلك ولكن لا ولد له وقيل العابدين بمعنى الآنفين اى انا أول الجاحدين المنكرين لما قلتم وانا اول من غضب للرحمن ان يقال له ولد وقال الزمخشرى فى معنى الآية ان كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تستدلون بها فأنا أول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة فى نفى الولد والاطناب فيه مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم فى باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق عليها محالا مثلها ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) اى عما يقولونه من الكذب (فذرهم يخوضوا) اى فى باطلهم (ويلعبوا) اى فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) اى هو الاله الذى يعبد فى السماء وفى الارض لا اله الا هو (وهو الحكيم) اى فى تدبير خلقه (العليم) اى بمصالحهم (وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) قيل سبب نزولها ان النضر بن الحارث ونفرا معه قالوا ان كان مايقول محمد هذا حقا فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية واراد بالذين يدعون من دونه آلهتهم ثم استثنى عيسى وعزيرا والملائكة بقوله (الا من شهد بالحق) لانهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزير والملائكة فان الله تعالى لا يملك لاحد من هؤلاء الشفاعة الا لمن شهد بالحق وهى كلمة الاخلاص وهى لا اله الا الله فمن شهد ها بقلبه شفعوا له وهو قوله (وهم يعلمون) اى بقلوبهم ماشهدوا به بألسنتهم وقيل يعلمون ان الله عز وجل خالق عيسى وعزيرا والملائكة و يعلمون انهم عباده (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) يعنى انهم اذا أقروا بأن الله خالق العالم باسره فكيف قدموا على عبادة غيره (فأنى يؤفكون) اى يصرفون عن عبادته الى غيره (وقيله يارب) يعنى قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه يارب (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) قال ابن عباس شكا الى الله تعالى تخلف قومه عن الايمان

(فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم يائساً عن ايمانهم وودعهم وتاركهم (وقل) لهم (سلام) أي تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم وبالتاء مدني وشامي (سورة الدخان تسع وخمسون آية مكية) *(بسم الله الرحمن الرحيم)* في الخبر من قرأها ليلة جمعة أصبح مغفوراً له (حم والكتاب المبين) أي القرآن الواو في والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديداً للحروف أو اسماً للسورة مرفوعاً على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسماً بها وجواب القسم (انا أنزلناه في ليلة مباركة) أي ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة والجمهور على الاول لقوله انا أنزلناه في ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وليلة القدر في أكثر الاقاويل في شهر رمضان ثم قالوا انزله جملة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل في وقت وقوع الحاجة الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ابتداء نزوله في ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده

لكفى به بركة (انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم كأنه قيل أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصاً لان انزال القرآن من الامور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة الى ليلة القدر التي تجيء في السنة المقبلة (حكيم) ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجازاً (أمراً من عندنا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلاً فخماً بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وفخامة بأن قال اعني بهذا الامر أمراً حاصلاً من عندنا كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا (انا كنا مرسلين) بدل من انا كنا منذرين (رحمة من ربك) مفعول له على معنى انا أنزلنا القرآن لان من شأننا وعادتنا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم او تعليل لقوله أمراً من عندنا ورحمة مفعول به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذاناً بأن الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين (انه هو السميع) لاقوالهم (العليم) بأحوالهم (رب) كوفي بدل من ربك وغيرهم بالرفع أي هو رب (السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) ومعنى الشرط انهم كانوا يقرون بأن للسموات والارض رباً وخالقاً فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذي أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته (لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم) اي هو ربكم (ورب آبائكم الاولين) عطف عليه ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم في شك يلعبون) فان اقرارهم غير صادر عن علم وايقان بل قول مخلوط بهزؤ ولعب (فارتقب) فانتظر (يوم تأتي السماء بدخان) يأتي دخان من السماء قبل يوم القيامة يدخل في اسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وقيل ان قريشاً لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فأصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان (مبين) ظاهر حاله لا يشك أحد في انه دخان

وقال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه (فاصفح عنهم) اى أعرض عنهم وفي ضمنه منعه من ان يدعو عليهم بالعذاب (وقل سلام) معناه المتاركة وقيل معناه قل خيراً بدلاً من شرهم (فسوف يعلمون) اى عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون انك صادق قال مقاتل نسختها آية السيف والله تعالى أعلم

(تفسير سورة الدخان وهي مكية)

وهي سبع وقيل تسع وخمسون آية وثلثمائة وست وأربعون كلمة وألف وأربعمائة واحد وثلاثون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) اى المبين ما يحتاج الناس اليه من حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام (انا أنزلناه في ليلة مباركة) قيل هي ليلة القدر أنزل الله فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل نجوماً على حسب الوقائع في عشرين سنة وقيل هي ليلة النصف من شعبان عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب أخرجه الترمذي (انا كنا منذرين) اى مخوفين عقابنا (فيها) اى في تلك الليلة المباركة (يفرق) اى يفصل (كل أمر حكيم) أي محكم قال ابن عباس يكتب في أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والارزاق والآجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وينسخ الاحياء من الاموات وروى البغوي بسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى وعن ابن عباس ان الله يقضي الاقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى أربابها في ليلة القدر (امراً) أي انزلناه أمراً (من عندنا انا كنا مرسلين) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبياء (رحمة من ربك) قال ابن عباس رأفة مني بخلقي ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسالة وقيل أنزلناه في ليلة مباركة رحمة من ربك (انه هو السميع) اى لاقوالهم (العليم) اى بأحوالهم (رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) اى ان الله رب السموات والارض وما بينهما (لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين) قوله تعالى (بل هم في شك) اى من هذا القرآن (يلعبون) اى يهزؤن به لاهون عنه (فارتقب) اى يا محمد (يوم تأتي السماء بدخان مبين

(يغشى الناس) يشملهم ويلبسهم وهو فى محل الجر صفة لدخان وقوله (هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) اى سنؤمن ان تكشف عنا العذاب منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب المحل على الحال أى قائلين ذلك (أنى لهم الذكرى)

يغشى الناس هذا عذاب أليم) (ق) عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان قاصا عند باب كندة يقص ويزعم ان آية الدخان تجىء فتأخذ بأنفاس الكفار وتأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيئا فليقل به ومن لا يعلم شيئا فليقل الله أعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله أعلم فان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس ادبارا قال اللهم سبعا كسبع يوسف وفى رواية لما دعا قريشا فكذبوه واستعصوا عليه قال اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حصت كل شئ حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر الى السماء احدهم فيرى كهيئة الدخان فأتاه أبو سفيان فقال يا محمد انك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله عائدون قال عبد الله أفيكشف عذاب الآخرة يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفى رواية للبخارى قالوا (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) فقيل له ان كشفناه عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله انا منتقمون قوله حصت كل شئ بالحاء والصاد المهملتين اى اهلكت واستأصلت كل شئ (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل اصابهم من الجوع كالظلمة فى ابصارهم وسبب ذلك ان فى سنة القحط العظيم تيبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهواء والجو وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يجىء قبل قيام الساعة ولم يأت بعد فيدخل فى اسماع الكفار والمنافقين حتى يكون الرجل رأسه كالرأس الحنيذ يعنى المشوى ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ماروى البغوى باسناد الثعلبى عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم تأتى السماء بدخان مبين يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام واما الكافر كمنزلة السكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره (أنى لهم الذكرى) اى كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة (وقد جاءهم رسول مبين) معناه وقد جاءهم ماهو اعظم وادخل فى وجوب الطاعة وهو ماظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والآيات الباهرات (ثم تولوا عنه) أى اعرضوا عنه (وقالوا معلم) اى يعلمه بشر (مجنون) اى تلقى اليه الجن هذه الكلمات حال مايعرض له الغشى (انا كاشفوا العذاب) اى الجوع (قليلا) اى زمنا يسيرا قيل الى يوم بدر (انكم عائدون) اى الى كفركم (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم بدر (انا منتقمون) اى منكم فى ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود واكثر العلماء وفى رواية عن ابن عباس انه يوم القيامة قوله تعالى (ولقد فتنا قبلهم) اى قبل هؤلاء (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) اى على الله وهو موسى بن عمران عليه السلام (ان أدوا الى عباد الله) اى اطلقوا الى بنى اسرائيل ولا تعذبوهم (انى لكم رسول أمين) اى على الوحى (وان لا تعلوا على الله) اى لا تتجبروا عليه بترك طاعته (انى آتيكم بسلطان مبين) اى ببرهان بين على صدق قولى فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال (وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون) اى تقتلون وقال ابن عباس تشتمون وتقولوا هو ساحر وقيل ترجمونى بالحجارة

كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أى وقد جاءهم ماهو اعظم وادخل فى وجوب الاذكار من كشف الدخان وهو ماظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بأن عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذى علمه ونسبوه الى الجنون (انا كاشفوا العذاب قليلا) زمانا قليلا او كشفا قليلا (انكم عائدون) الى الكفر الذى كنتم فيه اوالى العذاب (يوم نبطش البطشة الكبرى) هى يوم القيامة او يوم بدر (انا منتقمون) أى ننتقم منهم فى ذلك اليوم وانتصاب يوم نبطش باذكر او بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم لا بمنتقمون لان مابعد ان لا يعمل فيما قبلها (ولقد فتنا قبلهم) قبل هؤلاء المشركين أى فعلنا بهم فعل المختبر ليظهر منهم ما كان باطنا (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) على الله وعلى عباده المؤمنين او كريم فى نفسه حسيب نسيب لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم (ان أدوا الى) هى ان المفسرة لان مجىء الرسول الى من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله او المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث ادوا الى سلموا الى (عباد الله) هو مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الى وارسلوهم معى كقوله ارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على معنى ادوا الى يا عباد الله ما هو واجب لى عليكم من الايمان لى وقبول دعوتى واتباع سبيلى وعلل ذلك بقوله (انى لكم رسول أمين) أى على رسالتى غير متهم (وان لا تعلوا على الله) أن هذه مثل الاولى فى وجهيها اى لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه أو لا تستكبروا على نبى الله (انى آتيكم بسلطان مبين) بحجة واضحة تدل على انى نبى (وانى عذت) مدغم ابو عمرو وحمزة وعلى (بربى وربكم ان ترجمون) ان تقتلونى رجما ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل

وان

(وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) أى ان لم تؤمنوا لى فلا موالاة بيني و بين من لا يؤمن فتنحوا عني او فخلوني كفافا لا لى ولا على ولا تتعرضوا لى بشركم واذا كم فليس جزاء من دعاكم الى مافيه فلاحكم ذلك ترجموني فاعتزلوني فى الحالين بعقوب (فدعا ربه) شاكيا قومه (ان هؤلاء قوم مجرمون) بأن هؤلاء أى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اى فدعا ربه فقال ان هؤلاء (فأسر) من اسرى فاسر بالوصل حجازى من سرى والقول مضمر بعد الفاء أى فقال اسر (بعبادى) أى بنى اسرائيل (ليلا انكم متبعون) أى دبر الله ان تتقدموا و يتبعكم فرعون وجنوده فينجى المتقدمين و يغرق التابعين (واترك البحر رهوا) ساكنا أراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق فأمر بأن يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم وقيل الرهو الفجوة الواسعة أى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا (انهم جند مغرقون) بعد خروجكم من البحر وقرئ بالفتح أى لانهم (كم) عبارة عن الكثرة منصوب بقوله (تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) هو ما كان لهم من المنازل الحسنة وقيل المنابر (ونعمة) تنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين (كذلك) أى الامر كذلك فالكاف فى موضع الرفع على انه خبر مبتدا مضمر (وأورثناها قوما آخرين) ليسوا منهم فى شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) لانهم ماتوا كفارا والمؤمن اذا مات تبكى عليه السماء والارض فيبكى على المؤمن من الارض مصلاه ومن السماء مصعد عمله وعن الحسن أهل السماء والارض (وما كانوا منظرين) أى لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) أى الاستخدام والاستعباد وقتل الاولاد (من فرعون) بدل من العذاب المهين باعادة الجار كانه فى نفسه كان عذابا مهينا لافراطه فى تعذيبهم واهانتهم أو خبر مبتدا محذوف أى ذلك من فرعون (انه كان عاليا) متكبرا (من المسرفين) خبر ثان أى كان متكبرا مسرفا (ولقد اخترناهم) أى بنى اسرائيل (على علم) حال من ضمير الفاعل أى عالمين بمكان الخيرة و بأنهم احقاء بأن يختاروا (على العالمين) على عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك (ما فيه بلاء مبين) نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون (ان هؤلاء) يعنى كفار قريش (ليقولون ان هى) ما الموتة (الا موتتنا الاولى) والاشكال ان الكلام وقع فى الحياة الثانية لا فى الموت فهلا قيل ان هى الا حياتنا الدنيا وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة أخرى حتى جحدوها وأثبتوا الاولى والجواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هى الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التى من شأنها ان يتعقبها حياة الا الموتة الاولى فلا فرق اذا بين هذا و بين قوله الا حياتنا الدنيا فى المعنى ويحتمل ان يكون هذا انكارا لما فى قوله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم (فأتوا بآبائنا) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (ان كنتم صادقين) أى ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على ان ما تعدونه من قيام الساعة و بعث الموتى حق

(وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) اى فاتركون لا معى ولا على وقال ابن عباس اعتزلوا أذاى باليد واللسان فلم يؤمنوا (فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون) اى مشركون (فأسر بعبادى ليلا) اى اجاب الله دعاءه وامره ان يسرى ببنى اسرائيل بالليل (انكم متبعون) اى يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر) اى اذا قطعته انت واصحابك (رهوا) اى ساكنا والمعنى لا تأمره ان يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طريقا يابسا وذلك انه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتئم وخاف ان يتبعه فرعون بجنوده فقيل لموسى اترك البحر كما هو (انهم جند مغرقون) يعنى اخبر موسى بغرقهم ليطمئن قلبه فى تركه البحر كما هو (كم تركوا) أى بعد الغرق (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) اى مجلس شريف حسن (ونعمة) اى وعيش لين رغد (كانوا فيها) اى فى تلك النعمة (فاكهين) اى ناعمين وقرئ فكهين اى اشرين بطرين (كذلك) أى أفعل بمن عصانى (وأورثناها قوما آخرين) يعنى بنى اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) وذلك ان المؤمن اذا مات تبكى عليه السماء والارض اربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكى السماء على فقده ولا لهم على الارض عمل صالح فتبكى الارض عليه عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مؤمن الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين أخرجه الترمذى وقال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه قيل بكاء السماء حمرة اطرافها وقال مجاهد ما مات مؤمن الا بكت عليه السماء والارض اربعين صباحا فقيل او تبكى فقال وما للارض لا تبكى على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكى على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوى كدوى النحل وقيل المراد اهل السماء واهل الارض (وما كانوا منظرين) اى لم يمهلوا حين اخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها قوله عز وجل (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) اى من قتل الابناء واستحياء النساء والتعب فى العمل (من فرعون انه كان عاليا) اى جبارا (من المسرفين ولقد اخترناهم على علم) اى علمه الله تعالى فيهم (على العالمين) اى عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) اى نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التى انعمنا بها عليهم وقيل ابتلاؤهم بالرخاء والشدة (ان هؤلاء) يعنى مشركى مكة (ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى) اى لا موتة لنا الا هذه التى نموتها فى الدنيا ولا بعث بعدها وهو قوله (وما نحن بمنشرين) اى بمبعوثين بعد موتتنا هذه (فأتوا بآبائنا) اى الذين ماتوا قبل (ان كنتم صادقين) اى أنا نبعث أحياء بعد الموت قيل طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم ان يحيى لهم قصى بن

كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى (أهم خير أم قوم تبع) اى ليسوا خيرا
من قوم تبع يعنى فى الشدة والقوة والكثرة قيل هو تبع الحميرى وكان من ملوك اليمن سمى تبعا لكثرة
اتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه الذى قبله كما يسمى فى الاسلام
خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فأسلم ودعا قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه عن سهل بن سعد قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم أخرجه احمد بن حنبل فى مسنده
وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدرى أكان تبع نبيا او غير نبى وعن عائشة
رضى الله تعالى عنها قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وكان من قصته على ما ذكر محمد بن اسحاق
وغيره وذكره عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الآخر وهو ابو كرب اسعد بن مليك وكان سار بالجيوش
نحو المشرق حتى حير الحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة وقد كان
حين مر بها خلف بين اظهرهم ابناله فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال اهلها فجمع
له هذا الحى من الانصار حين سمعوا بذلك من امره فخرجوا لقتاله فكان الانصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه
بالليل فأعجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام فبينا هو كذلك اذ جاءه حبران عالمان من احبار بنى قريظة
وكانا ابنى عم اسم احدهما كعب والآخر اسد حين سمعا ما يريد من اهلاك المدينة واهلها فقالا له
ايها الملك لا تفعل فانك ان ابيت الا ما تريد حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فان هذه
المدينة مهاجر نبى يخرج من هذا الحى من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذى
أنت فيه يكون به من القتل والجراح أمر كبير فى اصحابه وفى عدوهم قال تبع ومن يقاتله وهو نبى قالا
يسير اليه قومه فيقتتلون ههنا فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعواه الى دينهما فأجابهما
واتبعهما على دينهما واكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن
فأتاه فى الطريق نفر من هذيل وقالوا له انا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال أى
بيت هذا قالوا بيت بمكة وانما اراد هذيل هلاكه لانهم عرفوا انه لم يرده احد بسوء الا هلك فذكر الملك
ذلك للاحبار فقالوا ما نعلم لله فى الارض بيتا غير هذا البيت الذى بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده
وانحر واحلق رأسك وما أراد القوم الا هلاكك وما ناواه أحد قط الا هلك فأكرمه واصنع عنده ما يصنعه
اهله فلما قالوا له ذلك أخذ أولئك النفر من هذيل فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم ثم صلبهم فلما
قدم مكة نزل بالشعب شعب المطابخ وكسا البيت الوصائل وهى برود تصنع باليمن وهو أول من كسا
البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام به ستة ايام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن
ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا له لا تدخلها علينا وانت قد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال
انه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا الى النار وكانت باليمن نار فى اسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون
فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم قال تبع انصفتم فخرج القوم باوثانهم وما يتقربون به فى دينهم وخرج
الحبران ومصاحفهما فى اعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه فخرجت النار فأقبلت
حتى غشيتهم فأكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما
يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرهما النار ونكصت النار حتى رجعت الى مخرجها الذى خرجت
منه فأصفقت عند ذلك حمير على دينهما فمن هناك كان أصل اليهودية باليمن وقال الرياشى كان ابو كرب
اسعد الحميرى من التبابعة ممن آمن بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة وقال
كعب ذم الله قومه ولم يذمه قوله تعالى (والذين من قبلهم) اى من الامم الكافرة (اهلكناهم انهم
كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق) أى بالعدل وهو
الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (ولكن أكثرهم لا يعلمون) قوله عز وجل (ان يوم الفصل)
أى الذى يفصل الله فيه بين العباد (ميقاتهم أجمعين) أى يوافى يوم القيامة الاولون والآخرون (يوم

لا يغنى

(أهم خير) فى القوة والمنعة (أم قوم تبع)
هو تبع الحميرى كان مؤمنا وقومه كافرين وقيل
كان نبيا وفى الحديث ما ادرى اكان تبع نبيا
أو غير نبى (والذين من قبلهم) مرفوع بالعطف
على قوم تبع (أهلكناهم انهم كانوا مجرمين)
كافرين منكرين للبعث (وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما) أى وما بين الجنسين (لاعبين)
حال ولو لم يكن بعث ولا حساب ولا ثواب كان خلق
الخلق للفناء خاصة فيكون لعبا (ما خلقناهما
الا بالحق) ما بالجد ضد اللعب (ولكن أكثرهم
لا يعلمون) أنه خلق لذلك (ان يوم الفصل)
بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة (ميقاتهم
أجمعين) وقت موعدهم كلهم (يوم

لا يغني مولى عن مولى شيئا) أى ولى كان عن أى ولى كان شيئا من اغناء اى قليلا منه (ولا هم ينصرون) الضمير للوالى لانهم فى المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى (الامن رحم الله) فى محل الرفع على البدل من الواو فى ينصرون اى لا يمنع من العذاب الامن رحمه الله (انه هو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) لاوليائه (ان شجرت الزقوم) هى على صورة شجر الدنيا لكنها فى النار والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل (طعام الاثيم) هو الفاجر الكثير الآثام وعن أبى الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا و بهذا تستدل على ان ابدال الكلمة مكان الكلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه اجاز ابو حنيفة رضى الله عنه القراءة بالفارسية بشرط ان يؤدى القارئ المعانى كلها على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة كلا اجازة لان فى كلام العرب خصوصا فى القرآن الذى هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعانى والدقائق مالا يستقل باداته لسان من فارسية وغيرها ويروى رجوعه الى قولهما وعليه الاعتماد (كالمهل) هو دردى الزيت والكاف رفع خبر بعد خبر (تغلى فى البطون) وبالياء مكى وحفص فالتاء للشجرة والياء للطعام (كغلى الحميم) أى الماء الحار الذى انتهى غليانه ومعناه غليا كغلى الحميم فالكاف منصوب المحل ثم يقال للزبانية (خذوه) اى الاثيم (فاعتلوه) فقودوه بعنف وغلظة فاعتلوه مكى ونافع وشامى وسهل ويعقوب (الى سواء الجحيم) الى وسطها ومعظمها (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) المصبوب هو الحميم لا عذابه الا انه اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته وصب العذاب استعارة ويقال له (ذق انك أنت العزيز الكريم) على سبيل الهزء والتهكم أنك أى لانك على (ان هذا) أى العذاب او هذا الامر هو (ما كنتم به تمترون) تشكون (ان المتقين فى مقام) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذى وقع مستعملا فى معنى العموم وبالضم مدنى وشامى وهو موضع الاقامة (أمين) من أمن الرجل امانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كأنما يخوف صاحبه بما يلقى فيه من المكاره (فى جنات وعيون) بدل من مقام أمين (يلبسون من سندس) مارق من الديباج (واستبرق) ماغلظ منه وهو تعريب استبر واللفظ اذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب فساغ ان يقع فى القرآن العربى (متقابلين) فى مجالسهم وهو اتم للانس (كذلك) الكاف مرفوعة أى الامر كذلك (وزوجناهم) وقرناهم ولهذا عدى بالباء (بحور) جمع حوراء وهى الشديدة سواد العين والشديدة بياضها (عين) جمع عيناء وهى واسعة العين (يدعون فيها) يطلبون فى الجنة (بكل فاكهة آمنين) من الزوال والانقطاع وتولد الضرر من الاكثار (لا يذوقون فيها) أى فى الجنة (الموت) البتة (الا الموتة الاولى) أى سوى الموتة الاولى التى ذاقوها فى الدنيا وقيل لكن الموتة قد ذاقوها فى الدنيا (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) أى للفضل فهو مفعول له أو مصدر مؤكد لما قبله لان قوله و وقاهم عذاب الجحيم تفضل منه لهم لان العبد لا يستحق

لا يغنى مولى عن مولى شيئا) أى لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئا (ولا هم ينصرون) اى يمنعون من عذاب الله (الا من رحم الله) يعنى المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض (انه هو العزيز) اى فى انتقامه من اعدائه (الرحيم) أى باوليائه المؤمنين قوله تعالى (ان شجرت الزقوم طعام الاثيم) أى ذى الاثم وهو ابو جهل (كالمهل) أى كدردى الزيت الاسود (يغلى فى البطون) أى فى بطون الكفار (كغلى الحميم) يعنى كالماء الحار اذا اشتد غليانه عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه أخرجه الترمذى وقال لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قوله تعالى (خذوه) أى يقال للزبانية خذوه يعنى الاثيم (فاعتلوه) أى ادفعوه وسوقوه بالعنف (الى سواء الجحيم) اى الى وسط النار (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) قيل ان خازن النار يضرب على رأسه فينقب رأسه من دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له (ذق) اى هذا العذاب (انك انت العزيز الكريم) اى عند قومك بزعمك وذلك ان اباجهل كان يقول انا اعز اهل الوادى واكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ (ان هذا ما كنتم به تمترون) أى تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى (ان المتقين فى مقام أمين) أى فى مجلس أمنوا فيه من الغير (فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق) قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ماغلظ منه وهو معرب استبر فان قلت كيف ساغ ان يقع فى القرآن العربى المبين لفظ أعجمى قلت اذا عرب خرج من ان يكون اعجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب (متقابلين) اى يقابل بعضهم بعضا (كذلك) اى كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك (و) أكرمناهم بان (زوجناهم بحور عين) اى قرناهم بهن وليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم أزواجا لهن اى جعلناهم اثنين اثنين والحور من النساء النقيات البيض وقيل يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين (يدعون فيها بكل فاكهة) يعنى ارادوها واشتهوها (آمنين) اى من نفادها ومن مضرتها وقيل آمنين فيها من الموت والاوصاب والشيطان (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) اى لا يذوقون فى الجنة الموت البتة سوى الموتة التى ذاقوها فى الدنيا وقيل الا بمعنى لكن وتقديره لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقيل انما استثنى الموتة من موت الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى اسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم فى الجنة فكان موتهم فى الدنيا كانه فى الجنة لا تصالهم باسبابها ومشاهدتهم اياها (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) يعنى كل ما وصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز

على الله شيئا (ذلك) أي صرف العذاب ودخول الجنة (هو الفوز العظيم فانما يسرناه) أي الكتاب وقد جرى ذكره في أول السورة (بلسانك لعلهم يتذكرون) يتعظون (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) منتظرون ما يحل بك من الدوائر (سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) ان جعلتها اسما للسورة فهي مرفوعة بالابتداء والخبر (تنزيل الكتاب من الله) صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا (العزيز) في انتقامه (الحكيم) في تدبيره (ان في السموات والارض لآيات) لدلالات على وحدانيته ويجوز ان يكون المعنى ان في خلق السموات والارض لآيات (للمؤمنين) دليله قوله (وفي خلقكم) و يعطف (وما يبث من دابة) على الخلق المضاف لان المضاف اليه ضمير مجرور متصل يقبح العطف عليه

(آيات) حمزة وعلي بالنصب وغيرهما بالرفع مثل قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق أو وعمرو في السوق (لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) اي مطر وسمي به لانه سبب الرزق (فأحيى به الارض بعد موتها وتصريف الرياح) الريح حمزة وعلي (آيات لقوم يعقلون) بالنصب علي وحمزة وغيرهما بالرفع وهذا من العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان اذا نصبت ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وحرف في عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف هذا مذهب الاخفش لانه يجوز العطف على عاملين واما سيبويه فانه لا يجيزه وتخريج الآية عنده ان يكون على اضمار في والذي حسنه تقديم ذكر في في الآيتين قبل هذه الآية ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وفي اختلاف الليل والنهار ويجوز ان ينصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله أو على التكرير توكيدا لآيات في الاولى كأنه قيل آيات آيات ورفعها باضمار هي والمعنى في تقديم الآيات على الايقان وتوسيطه وتأخير الآخر أن المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض نظرا صحيحا علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وفي خلق ما ظهر على الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وأيقنوا فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم (تلك) اشارة الى الآيات المتقدمة اي تلك الآيات (آيات الله) وقوله (نتلوها) في محل الحال اي متلوة (عليك بالحق) والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة (فبأي حديث بعد الله وآياته) اي بعد آيات الله كقولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد (يؤمنون) حجازي وأبو عمرو وسهل وحفص وبالتاء غيرهم على تقدير قل يا محمد (ويل لكل أفاك) كذاب (أثيم) بالغ في اقتراف الآثام (يسمع آيات الله) في موضع جر صفة (تتلى عليه) حال من آيات الله (ثم يصر) يقبل على كفره و يقيم عليه (مستكبرا) عن الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدر بها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من أحاديث العجم و يشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله وجيء بثم لان الاصرار على الضلالة والاستكبار عن الايمان

بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه (ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك) اى سهلنا القرآن على لسانك كناية عن غير مذكور (لعلهم يتذكرون) اى يتعظون (فارتقب) اى فانتظر النصر من ربك وقيل انتظر لهم العذاب (انهم مرتقبون) اى منتظرون قهرك بزعمهم وقيل منتظرون موتك قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون الف ملك أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعمر بن خثعم احد رواته وهو ضعيف وقال البخاري هو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر له أخرجه الترمذي وقال هشام ابو المقدام احد رواته ضعيف والله أعلم

(سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة)

وهي مكية وهي سبع وثلاثون آية وأربعمائة وثمان وثمانون كلمة والفان ومائة واحد وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض) أي ان في خلق السموات والارض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله (لآيات للمؤمنين وفي خلقكم) أي وفي خلق انفسكم من تراب ثم من نطفة الى ان يصير انسانا ذا عقل وتمييز (وما يبث من دابة) اى وما يفرق في الارض من جميع الحيوانات على اختلاف اجناسها في الخلق والشكل والصورة (آيات) دلالات تدل على وحدانية من خلقها وانه الاله القادر المختار (لقوم يوقنون) يعني انه لا اله غيره (واختلاف الليل والنهار) يعني بالظلام والضياء والطول والقصر (وما أنزل الله من السماء من رزق) يعني المطر الذي هو سبب ارزاق العباد (فأحيى به) اى بالمطر (الارض بعد موتها) اى بعد يبسها (وتصريف الرياح) اى في مهابها فمنها الصبا والدبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك (آيات لقوم يعقلون) فان قلت ما وجه هذا الترتيب في قوله لآيات للمؤمنين ولقوم يوقنون ويعقلون قلت معناه ان المنصفين من العباد اذا نظروا في هذه الدلائل النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فآمنوا به وأقروا انه الاله القادر على كل شئ ثم اذا امعنوا النظر ازدادوا ايقانا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا في زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده في اسرار كتابه (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله) أي بعد كتاب الله (وآياته يؤمنون) قوله تعالى (ويل لكل أفاك أثيم) أي كذاب صاحب اثم يعني النضر بن الحارث (يسمع آيات الله) يعني آيات القرآن (تتلى عليه ثم يصر مستكبرا

عند سماع آيات القرآن مستبعد في العقول (كأن لم يسمعها) كأن مخففة والاصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن ومحل الجملة النصب على الحال اى يصر مثل غير السامع (فبشره بعذاب أليم) فأخبره خبرا يظهر أثره على البشرة (واذا علم من آياتنا شيئا) واذا بلغه شئ من آياتنا وعلم انه منها (اتخذها) اتخذ الآيات (هزوا) ولم يقل اتخذه للاشعار بأنه اذا أحس بشئ من الكلام انه من جملة الآيات خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويجوز أن يرجع الضمير الى شئ لانه في معنى الآية كقول ابى العتاهية * نفسي بشئ من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدي يكفيها * حيث أراد عتبة (أولئك) اشارة الى كل افاك أثيم لشموله الافاكين (لهم عذاب مهين) مخز (من ورائهم) من قدامهم الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف أو قدام (جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا) من الاموال (شيئا) من عذاب الله (ولا ما اتخذوا) ما فيهما مصدرية أو موصولة (من دون الله) من الاوثان (أولياء ولهم عذاب عظيم) في جهنم (هذا هدى) اشارة الى القرآن ويدل عليه (والذين كفروا بآيات ربهم) لان آيات ربهم هي القرآن اى هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل أى كامل في الرجولية (لهم عذاب من رجز) هو أشد العذاب (أليم) بالرفع مكي و يعقوب وحفص صفة لعذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره) باذنه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري (ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا) هو تأكيد ما في السموات وهو مفعول سخر وقيل جميعا نصب على الحال (منه) حال اى سخر هذه الاشياء كائنة منه حاصلة من عنده أو خبر مبتدا محذوف اى هذه النعم كلها منه أو صفة للمصدر أى تسخيرا منه (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا) اى قل لهم اغفروا يغفروا فحذف المقول لان الجواب يدل عليه ومعنى يغفروا يعفوا ويصفحوا وقيل انه مجزوم بلام مضمرة تقديره ليغفروا فهو أمر مستأنف وجاز حذف اللام للدلالة على الامر (للذين لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من قولهم لوقائع العرب ايام العرب وقيل لا يؤملون الاوقات التي وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بني غفار فهم أن يبطش به (ليجزي) تعليل للامر بالمغفرة أى انما أمروا بأن يغفروا ليوفيهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة وتنكير (قوما) على المدح لهم كأنه

٢٨ ع

قيل ليجزي ايما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم على أذى اعدائهم لنجزي شامي وحمزة وعلي ليجزى قوما يزيد أى ليجزي الخير قوما فاضمر الخير لدلالة الكلام عليه كما اضمر الشمس في قوله حتى توارت بالحجاب لان قوله اذ عرض عليه بالعشي دليل على توارى الشمس وليس التقدير ليجزي الجزاء قوما لان المصدر لا يقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح اما اقامة المفعول الثاني مقام الفاعل فجائز وانت تقول جزاك الله خيرا (بما كانوا يكسبون) من الاحسان (من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها) اى لها الثواب وعليها العقاب (ثم الى ربكم ترجعون) اى الى جزائه (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب) التوراة (والحكم) الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم (والنبوة) خصها بالذكر لكثرة الانبياء عليهم السلام فيهم (ورزقناهم من الطيبات) مما احل الله لهم واطاب من الارزاق (وفضلناهم على العالمين) على عالمي زمانهم (وآتيناهم بينات) آيات ومعجزات (من الامر) من امر الدين (فما اختلفوا) فما وقع الخلاف بينهم في الدين (الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) اى الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا للبغي حدث بينهم اى لعداوة وحسد بينهم

كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من آياتنا شيئا) يعني آيات القرآن (اتخذها هزوا) اى سخر منها (أولئك) اشارة الى من هذه صفته (لهم عذاب مهين) ثم وصفهم فقال تعالى (من ورائهم جهنم) يعني امامهم جهنم وذلك خزيهم في الدنيا ولهم في الآخرة النار (ولا يغني عنهم ما كسبوا) اى من الاموال (شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء) اى ولا يغني عنهم ما عبدوا من دون الله من الآلهة (ولهم عذاب عظيم هذا) يعني القرآن (هدى) أي هو هدى من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله) اى بسبب التجارة واستخراج منافعه (ولعلكم تشكرون) نعمته على ذلك (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض) يعني انه تعالى خلقها ومنافعها فهي مسخرة لنا من حيث انا ننتفع بها (جميعا منه) قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه واحسان (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) قوله عز وجل (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) اى لا يخافون وقائع الله ولا يبالون بنقمته قال ابن عباس نزلت في عمر بن الخطاب وذلك ان رجلا من بني غفار شتمه بمكة فهم عمر ان يبطش به فأنزل الله هذه الآية وامره ان يعفو عنه وقيل نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا في أذى شديد من المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ثم نسخها بآية القتال (ليجزي قوما بما كانوا يكسبون) أى من الاعمال ثم فسر ذلك فقال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون) قوله تعالى (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب) يعني التوراة (والحكم) يعني معرفة احكام الله (والنبوة ورزقناهم من الطيبات) اى الحلالات وهو ما وسع عليهم في الدنيا واورثهم اموال قوم فرعون وديارهم وأنزل عليهم المن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) أى على عالمي زمانهم قال ابن عباس لم يكن احد من العالمين في زمانهم اكرم على الله ولا احب اليه منهم (وآتيناهم بينات من الامر) اى بيان الحلال والحرام وقيل العلم بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) معناه التعجب من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهنا صار مجيء العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك انه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم اساؤا عاندوا واظهروا النزاع والحسد والاختلاف

(ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل المراد اختلافهم فى أوامر الله ونواهيه فى التوراة حسدا وطلبا للرياسة لا عن جهل يكون الانسان به معذورا (ثم جعلناك) بعد اختلاف اهل الكتاب (على شريعة) على طريقة ومنهاج (من الامر) من امر الدين (فاتبعها) فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج والدلائل (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) ولا تتبع ما لا حجة عليه من اهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك (انهم) ان هؤلاء الكافرين (لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولى المتقين) وهم موالوه وما أبين الفضل بين الولايتين (هذا) أى القرآن (بصائر للناس) جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب كما جعل روحا وحياة (وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لقوم يوقنون) لمن آمن وأيقن بالبعث (ام حسب الذين) ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان (اجترحوا السيئات) اكتسبوا المعاصى والكفر ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله أى كاسبهم (أن نجعلهم) ان نصيرهم وهو من جعل المتعدى الى مفعولين فاولهما الضمير والثانى الكاف فى (كالذين امنوا وعملوا الصالحات) والجملة التى هى (سواء محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت فى حكم المفرد سواء على وحمزة وحفص بالنصب على الحال من الضمير فى نجعلهم ويرتفع محياهم ومماتهم بسواء وقرأ الاعمش ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج اى سواء فى محياهم وفى مماتهم والمعنى انكار ان يستوى المسيؤن والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعة واولئك على اقتراف السيئات ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والكرامة وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة وقيل معناه انكار ان يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة فى الرزق والصحة وعن تميم الدارى رضى الله عنه انه كان يصلى ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكى ويردد الى الصباح وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكى ويقول يا فضيل ليت شعرى من أى الفريقين أنت (ساء ما يحكمون) بئس ما يقضون اذ حسبوا انهم كالمؤمنين فليس من اقعد على بساط الموافقة كمن أقعد فى مقام المخالفة بل نفرق بينهم فنعلى المؤمنين ونخزى الكافرين (وخلق الله السموات والارض بالحق) ليدل على قدرته (ولتجزى) معطوف على هذا المعلل المحذوف (كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ الهه الآية هواه) أى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه (واضله الله على علم) منه باختياره الضلال او انشأ فيه فعل الضلال على علم منه بذلك (وختم على سمعه) فلا يقبل وعظا (وقلبه) فلا يعتقد حقا (وجعل على بصره غشاوة) فلا يبصر عبرة غشوة حمزة وعلى (فمن يهديه من بعد الله) من بعد اضلال الله اياه (افلا تذكرون) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص وغيرهم بالتشديد فاصل الشر متابعة الهوى والخير كله فى مخالفته فنعم ما قال

اذا طالبتك النفس يوما بشهوة * وكان اليها للخلاف طريق * فدعها وخالف ما هويت فانما * هواك عدو والخلاف صديق

(وقالوا ما هى) أى ما الحياة لانهم وعدوا حياة ثانية (الا حياتنا الدنيا) التى نحن فيها (نموت ونحيى) نموت نحن ونحيى ببقاء أولادنا او يموت بعض ويحيى بعض او نكون نطفا فى الاصلاب مواتا ونحيى بعد ذلك او يصيبنا الامران الموت والحياة يريدون الحياة فى الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقيل هذا كلام من يقول بالتناسخ أى يموت الرجل

(ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك) يا محمد (على شريعة) أى على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى (من الامر) أى من الدين (فاتبعها) اى اتبع شريعتك الثابتة (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) يعنى مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع الى دين آبائك فانهم كانوا افضل منك قال تعالى (انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) أى لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا ان اتبعت اهواءهم (وان الظالمين بعضهم اولياء بعض) يعنى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا فى الدنيا ولا ولى لهم فى الآخرة (والله ولى المتقين) اى هو ناصرهم فى الدنيا ووليهم فى الآخرة (هذا) يعنى القرآن (بصائر للناس) اى معالم للناس فى الحدود والاحكام يبصرون به (وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات) اى اكتسبوا المعاصى والكفر (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) نزلت فى نفر من مشركى مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم فى الآخرة كما فضلنا فى الدنيا (سواء محياهم ومماتهم) معناه احسبوا ان حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا والمعنى ان المؤمن مؤمن فى محياه ومماته فى الدنيا والآخرة والكافر كافر فى محياه ومماته فى الدنيا والآخرة وشتان ما بين الحالين فى الحال والمآل (ساء ما يحكمون) اى بئس ما يقضون قال مسروق قال لى رجل من اهل مكة هذا مقام اخيك تميم الدارى ولقد رأيته قام ذات ليلة حتى أصبح او قرب ان يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكى أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية (وخلق الله السموات والارض بالحق) اى بالعدل (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) ومعنى الآية ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا فى القيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين فى الدرجات والدركات قوله عز وجل (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) قال ابن عباس اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ما تهواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا رأوا شيئا أحسن من الاول رموا بالاول وكسروه وعبدوا الآخر وقيل انما سمى هوى لانه يهوى بصاحبه فى النار (وأضله الله على علم) أى علما منه بعاقبة امره وقيل على ما سبق فى علم الله انه ضال قبل ان يخلقه (وختم على سمعه وقلبه) اى فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه (وجعل على بصره غشاوة) اى ظلمة فهو لا يبصر الهدى (فمن يهديه من بعد الله) أى من بعد ان اضله الله (افلا تذكرون) قال الواحدى ليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياه عن الهدى حتى اخبر انه ختم على سمعه وقلبه وبصره (وقالوا) يعنى منكرى البعث (ما هى الا حياتنا الدنيا) اى ما الحياة الا حياتنا الدنيا (نموت ونحيى) اى يموت

ثم تجعل روحه فى موات فيحيى به (ومايهلكنا الا الدهر) كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالى هو المؤثر فى هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبض الارواح باذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر أى فان الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر (ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) وما يقولون ذلك من علم ويقين ولكن من ظن وتخمين (واذا تتلى عليهم آياتنا) أى القرآن يعنى ما فيه من ذكر البعث (بينات ما كان حجتهم) وسمى قولهم حجة وان لم يكن حجة لانه (١١١) فى زعمهم حجة (الا أن قالوا ائتوا بآبائنا) أى احيوهم (ان كنتم صادقين) فى دعوى البعث وحجتهم خبر كان واسمها ان قالوا والمعنى ما كان حجتهم الا مقالتهم ائتوا بآبائنا وقرئ حجتهم بالرفع على انها اسم كان وان قالوا الخبر (قل الله يحييكم) فى الدنيا (ثم يميتكم) فيها عند انتهاء اعماركم (ثم يجمعكم الى يوم القيامة) أى يبعثكم يوم القيامة جميعا ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائكم ضرورة (لا ريب فيه) اى فى الجمع (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) قدرة الله على البعث لاعراضهم عن التفكر فى الدلائل (ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) عامل النصب فى يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم (وترى كل أمة جاثية) جالسة على الركب يقال جثا فلان يجثو اذا جلس على ركبتيه وقيل جاثية مجتمعة (كل أمة) بالرفع على الابتداء كل بالفتح يعقوب على الابدال من كل امة (تدعى الى كتابها) الى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس فيقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) فى الدنيا (هذا كتابنا) اضيف الكتاب اليهم لملابسته اياهم لان اعمالهم مثبتة فيه والى الله تعالى لانه مالكه والآمر ملائكته ان يكتبوا فيه أعمال عباده (ينطق عليكم) يشهد عليكم بما عملتم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أى نستكتب الملائكة اعمالكم وقيل نسخت واستنسخت بمعنى وليس ذلك بنقل من كتاب بل معناه نثبت (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) جنته (ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا) فيقال لهم (افلم تكن آياتى تتلى عليكم) والمعنى ألم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه (فاستكبرتم) عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) كافرين (واذا قيل ان وعد الله) بالجزاء (حق والساعة) بالرفع عطف على محل ان واسمها والساعة حمزة عطف على وعد الله (لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة) أى شئ الساعة (ان نظن الا ظنا) أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فأدخل حرف النفى والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفى ما سواه وزيد نفى ما سوى الظن توكيدا بقوله (وما نحن بمستيقنين وبدا لهم) ظهر لهؤلاء الكفار (سيئات ما عملوا) قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها

الآباء ويحيى الابناء وقيل تقديره نحيى ونموت (ومايهلكنا الا الدهر) اى وما يفنينا الا مر الزمان واختلاف الليل والنهار (ومالهم بذلك من علم) اى لم يقولوه عن علم علموه (ان هم الا يظنون) (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدى الامر اقلب الليل والنهار وفى رواية يؤذينى ابن آدم ويقول يا خيبة الدهر فلا يقولن احدكم يا خيبة الدهر فانى انا الدهر اقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما وفى رواية يسب ابن آدم الدهر وانا الدهر بيدى الليل والنهار ومعنى هذه الاحاديث ان العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وابادهم الدهر كما اخبر الله عز وجل عنهم بقوله ومايهلكنا الا الدهر فاذا اضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدائد وسبوا فاعلها كان مرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل فى الحقيقة للامور التى يضيفونها الى الدهر لا الدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل والدهر متصرف فيه يقع به التأثير كما يقع بكم والله اعلم قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) معناه ان منكرى البعث احتجوا بان قالوا ان صح ذلك فأتوا بآبائنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) يعنى فى ذلك اليوم يظهر خسران اصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون الى النار (وترى كل أمة جاثية) أى باركة على الركب وهى جلسة المخاصم بين يدى الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان الفارسى ان فى القيامة ساعة هى عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى ابراهيم ينادى ربه لا اسألك الا نفسى (كل أمة تدعى الى كتابها) اى الذى فيه اعمالها ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) اى من خير وشر (هذا كتابنا) يعنى ديوان الحفظة فان قلت كيف اضاف الكتاب اليهم اولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا بقوله هذا كتابنا قلت لا منافاة بينهما فاضافته اليهم لانه كتاب اعمالهم واضافته اليه لانه تعالى هو آمر الحفظة بكتبه (ينطق عليكم بالحق) اى يشهد عليكم ببيان شاف كأنه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) اى نأمر الملائكة بنسخ اعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ أى نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من اعمال بنى آدم والاستنساخ لا يكون الا من أصل فينسخ كتاب من كتاب (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) اى جنته (ذلك هو الفوز المبين) اى الظفر الظاهر (وأما الذين كفروا) اى يقال لهم (أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) يعنى آيات القرآن (فاستكبرتم) اى عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) يعنى كافرين منكرين قوله عز وجل (واذا قيل ان وعد الله حق) اى البعث كائن (والساعة لا ريب فيها) اى لا شك فى انها كائنة (قلتم ما ندرى ما الساعة) اى انكرتموها وقلتم (ان نظن الا ظنا) اى ما نعلم ذلك الا حدسا وتوهما (وما نحن بمستيقنين) اى انها كائنة (وبدا لهم) اى فى الآخرة (سيئات ما عملوا) اى فى الدنيا والمعنى بدا لهم جزاء سيئاتهم

(وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) نزل بهم جزاء استهزائهم (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أى نترككم فى العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم
وهى الطاعة واضافة اللقاء الى اليوم كاضافة المكر فى قوله بل مكر الليل والنهار أى نسيتم لقاء الله تعالى فى يومكم هذا ولقاء جزائه (ومأواكم النار) اى
منزلكم (ومالكم من ناصرين ذلكم) العذاب (بأنكم) بسبب انكم (اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لايخرجون منها)

لايخرجون حمزة وعلى (ولا هم يستعتبون) ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) أى فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب (وله الكبرياء فى السموات والارض) وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته فى السموات والارض (وهو العزيز) فى انتقامه (الحكيم) فى أحكامه

(سورة الاحقاف مكية وهى خمس وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ماخلقنا السموات والارض ومابينهما الا بالحق) ملتبسا بالحكمة (وأجل مسمى) وبتقدير اجل مسمى ينتهى اليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما أنذروا) عما انذروه من هول ذلك اليوم الذى لابد لكل مخلوق من انتهائه اليه (معرضون) لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز ان تكون مامصدرية اى عن انذارهم ذلك اليوم (قل أرأيتم) اخبرونى (ماتدعون من دون الله) تعبدونه من الاصنام (أرونى ماذا خلقوا من الارض) اى شئ خلقوا مما فى الارض ان كانوا آلهة (ام لهم شرك فى السموات) شركة مع الله فى خلق السموات والارض (ائتونى بكتاب من قبل هذا) اى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله (او أثارة من علم) او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين (ان كنتم صادقين) ان الله امركم بعبادة الاوثان (ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) اى ابدا (واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء) اى الاصنام لعبدتها (وكانوا) اى الاصنام (بعبادتهم) بعبادة عبدتهم (كافرين) يقولون مادعوناهم الى عبادتنا ومعنى الاستفهام أى فى من اضل انكار ان يكون فى الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على كل شئ ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة احد منهم مادامت الدنيا والى ان تقوم القيامة واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا فى الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم فى الدنيا بالاستجابة وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم ولما اسند اليهم ما يسند الى أولى العلم من الاستجابة والغفلة

(وحاق بهم) اى نزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) اى تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم (ومأواكم النار ومالكم من ناصرين) اى مالكم من مانعين يمنعونكم من العذاب (ذلكم) اى هذا الجزاء (بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا) يعنى حين قلتم لا بعث ولا حساب (فاليوم لايخرجون منها) اى من النار (ولا هم يستعتبون) اى لا يطلب منهم ان يرجعوا الى طاعة الله والايمان به لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) معناه فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل حال (وله الكبرياء) اى وكبروه فان له الكبرياء والعظمة (فى السموات والارض) وحق لمثله ان يكبر ويعظم (وهو العزيز الحكيم) (م) عن ابى سعيد وأبى هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العز ازاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعنى عذبته لفظ مسلم واخرجه البرقانى وابو مسعود عنهما يقول الله عز وجل العز ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى شيئا منهما عذبته ولابى داود عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فى واحد منهما قذفته فى النار شرح الحديث قيل هذا الكلام خرج على ما تعتاده العرب فى بديع استعاراتهم وذلك انهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثوب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الازار والرداء مثلا له فى انفراده بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى انهما ليسا كسائر الصفات التى يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار والرداء لان المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الانسان ولانه لا يشاركه فى ازاره وردائه أحد فكذلك الله تعالى لا ينبغى ان يشاركه فيهما احد لانهما من صفاته اللازمة له المختصة به التى لا تليق لغيره والله أعلم

(تفسير سورة الاحقاف وهى مكية)

قيل غير قوله قل أرأيتم وقيل وقوله فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهى اربع وقيل خمس وثلاثون آية وستمائة واربع واربعون كلمة والفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ماخلقنا السموات والارض ومابينهما الا بالحق) اى بالعدل (واجل مسمى) يعنى يوم القيامة وهو الاجل الذى ينتهى اليه فناء السموات والارض (والذين كفروا عما أنذروا) اى خوفوا به فى القرآن من البعث والحساب (معرضون) أى لا يؤمنون به (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله) يعنى الاصنام (أرونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا) اى بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون (أو أثارة من علم) أى بقية من علم يؤثر عن الاولين ويسند اليهم وقيل برواية عن علم الانبياء وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه فى الارض (ان كنتم صادقين) أى ان لله شريكا (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) يعنى الاصنام لا تجيب عابديها الى شئ يسألونها (الى يوم القيامة) يعنى لا تجيب أبدا مادامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) يعنى لانها جمادات لا تسمع ولا تفهم (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين)

أي جاحدين. (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) سموا القرآن سحرا (أم يقولون افتراه) اى اختلق القرآن محمد من قبل نفسه قال الله عز وجل (قل) يا محمد (ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا) اى لا تقدرون ان تردوا عنى عذابه ان عذبنى على افترائى فكيف أفترى على الله من اجلكم (هو أعلم) اى الله اعلم (بما تفيضون فيه) أى تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه انه سحر (كفى به شهيدا بينى وبينكم) اى ان القرآن جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) أى فى تأخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم الى التوبة ومعناه انه غفور لمن تاب منكم رحيم به قوله تعالى (قل) يا محمد (ما كنت بدعا) اى بديعا (من الرسل) اى لست بأول مرسل قد بعث قبلى كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوّتى (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فقيل معناه ما ادرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامة ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله الا واحد وما له علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذى بعثه بما يفعل به فأنزل الله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبى الله قد علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار الآية وأنزل وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به وبهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه وانما اخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك (خ) عن خارجة بن زيد بن ثابت ان أم العلاء امرأة من الانصار وكانت بايعت النبى صلى الله عليه وسلم اخبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه فى ابياتنا فوجع وجعه الذى توفى فيه فلما توفى وغسل وكفن فى اثوابه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك ابا السائب فشهادتى عليك لقد اكرمك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله اكرمه فقلت بابى انت يا رسول الله فمن يكرمه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هو فقد جاءه اليقين والله انى لارجو له الخير والله ما ادرى وانا رسول الله ما يفعل بى قالت فوالله لا ازكى بعده أحدا يا رسول الله قالت وأريت لعثمان فى النوم عينا تجرى فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله وفى رواية غير البخارى قالت لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون وفيه والله ما ادرى وانا رسول الله ما يفعل بى ولا بكم وقيل فى معنى قوله ما ادرى ما يفعل بى ولا بكم هذا فى الدنيا أما فى الآخرة فقد علم انه فى الجنة وان من كذبه فى النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلاء باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو بمكة أرضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له اصحابه متى تهاجر الى الارض التى أريت فسكت فأنزل الله هذه الآية وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم أأترك فى مكانى ام اخرج انا وانتم الى الارض التى رفعت لى وقيل لا ادرى الى ماذا يصير أمرى وامركم فى الدنيا أما انا فلا ادرى أخرج كما اخرجت الانبياء من قبلى ام اقتل كما قتل بعض الانبياء من قبلى واما أنتم ايها المصدقون فلا ادرى اتخرجون معى ام تتركون ام ماذا يفعل بكم ولا ادرى ما يفعل بكم ايها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء ام يخسف بكم أم اى شئ يفعل بكم مما فعل بالامم المكذبة ثم اخبره الله عز وجل انه يظهر دينه على الاديان كلها فقال تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال فى أمته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه ما يصنع به وبأمته وقيل معناه لا ادرى الى ماذا يصير أمرى وامركم ومن الغالب والمغلوب ثم أخبره انه يظهر دينه على الاديان وامته على سائر الامم وقوله (ان أتبع الا ما يوحى الى) معناه ما اتبع غير القرآن الذى يوحى الى ولا ابتدع من عندى

قيل من وهم ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) جمع بينة وهى الحجة والشاهد أو واضحات مبينات (قال الذين كفروا للحق) المراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق (لما جاءهم) اى بادؤه بالجحود ساعة اتاهم واوّل ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر (هذا سحر مبين) ظاهر امره فى البطلان لا شبهة فيه (ام يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا عليه السلام افتراه اى اختلقه واضافه الى الله كذبا والضمير للحق والمراد به الآيات (قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا) اى ان افتريته على سبيل الفرض عاجلنى الله بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتى ولا تطيقون دفع شئ من عقابه فكيف افتريه وأتعرض لعقابه (هو اعلم بما تفيضون فيه) اى تندفعون فيه من القدح فى وحى الله والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى (كفى به شهيدا بينى وبينكم) يشهد لى بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالجحود والانكار ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة ان تابوا عن الكفر وآمنوا (قل ما كنت بدعا من الرسل) اى بديعا كالخف بمعنى الخفيف والمعنى انى لست باوّل مرسل فتنكروا نبوتى (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) أى ما يفعل الله بى وبكم فيما يستقبل من الزمان وعن الكلبى قال له اصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج الى ارض قد رفعت لى ورأيتها يعنى فى منامه ذات نخيل وشجر وما فى ما يفعل يجوز ان تكون موصولة منصوبة وان تكون استفهامية مرفوعة وانما دخل لا فى قوله ولا بكم مع ان يفعل مثبت غير منفى لتناول النفى فيما ادرى ما وما فى حيزه (ان اتبع الا ما يوحى الى

شيئا (وماأنا الا نذير مبين) اى انذركم العذاب وابين لكم الشرائع (قل أرأيتم) اى اخبروني ماذا تقولون (ان كان من عند الله) يعنى القرآن (وكفرتم به) أيها المشركون (وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله) اى انه من عند الله (فآمن) يعنى الشاهد (واستكبرتم) أى عن الايمان به والمعنى اذا كان الامر كذلك اليس قد ظلمتم وتعديتم (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) واختلفوا فى هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن سلام آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يؤمنوا يدل عليه ماروى عن أنس بن مالك قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهو فى ارض يخترف النخل فأتاه وقال انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما أول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة ومن اى شئ ينزع الولد الى أبيه ومن اى شئ ينزع الى اخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى بهن آنفا جبريل قال فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما أول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الشبه فى الولد فان الرجل اذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له واذا سبقت كان الشبه لها قال اشهد انك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان علموا باسلامى قبل ان تسألهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى رجل فيكم عبد الله بن سلام فقالوا أعلمنا وابن اعلمنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افرأيتم ان اسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك زاد فى رواية فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك قال فخرج عبد الله اليهم فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد فى رواية فقال يعنى عبد الله بن سلام هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله اخرجه البخارى فى صحيحه (ق) عن سعد بن أبى وقاص قال ما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لحى يمشى على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله قال الراوى لا ادرى قال مالك الآية أو فى الحديث وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق فى هذه الآية والله ما نزلت فى عبد الله بن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت الآية فى محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على القرآن وكل يصدق الآخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوراة التى هى مثل القرآن انها من عند الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن انه كلام الله فآمن من آمن بموسى والتوراة واستكبرتم أنتم يا معشر العرب ان تؤمنوا بمحمد والقرآن ان الله لا يهدى القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قائم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونون مهتدين بل تكونون ضالين قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعنى من اليهود (للذين آمنوا لو كان خيرا) يعنى دين محمد صلى الله عليه وسلم (ما سبقونا اليه) يعنون عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل نزلت فى مشركى مكة قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا أسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعنى جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم قال الله تعالى (واذلم يهتدوا به) اى بالقرآن كما اهتدى به اهل الايمان (فسيقولون هذا افك قديم) اى كذب متقدم (ومن قبله) اى من قبل القرآن (كتاب موسى) يعنى التوراة (اماما) اى جعلناه اماما يقتدى به (ورحمة) اى من الله لمن

وما أنا الا نذير مبين قل ارأيتم ان كان) القران (من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل) هو عبد الله بن سلام عند الجمهور ولهذا قيل ان هذه الآية مدنية لان اسلام ابن سلام بالمدينة روى انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وقال له انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه او الى أمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وما أول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد انك رسول الله حقا (على مثله) الضمير للقرآن اى مثله فى المعنى وهو ما فى التوراة من المعانى المطابقة لمعانى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز أن يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعنى كونه من عند الله (فآمن) الشاهد (واستكبرتم) عن الايمان به وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) والواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط وكذلك الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو فى وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به والمعنى قل اخبرونى ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بنى اسرائيل على نزول مثله فايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به ألستم أضل الناس واظلمهم (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) اى لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود (لو كان خيرا ما سبقونا اليه) لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء (واذلم يهتدوا به) العامل فى اذ محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره واذلم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله (فسيقولون هذا افك قديم) مسبب عنه وقولهم افك قديم أى كذب متقادم كقولهم أساطير الاولين (ومن قبله) اى القرآن (كتاب موسى) اى التوراة وهو مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب (اماما) على الحال نحو فى الدار زيد قائما ومعنى اماما قدوة يؤتم به فى دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما فيه

(وهذا) القرآن (كتاب مصدّق) لكتاب موسى أولما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق أو من كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوزان يكون مفعولا لمصدق اى يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول (لينذر) اى الكتاب لتنذر حجازي وشامي (الذين ظلموا) كفروا (وبشرى) في محل النصب معطوف على محل لتنذر لانه مفعول له (للمحسنين) المؤمنين المطيعين (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على توحيد الله وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم (فلا خوف عليهم) في القيامة (ولا هم يحزنون) عند الموت (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها) حال من اصحاب الجنة والعامل فيه معنى الاشارة الذى دل عليه أولئك (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أى جوزوا جزاء (ووصينا الانسان بوالديه احسانا) كوفي اى وصينا بأن يحسن بوالديه احسانا حسنا غيرهم اى وصيناه بوالديه أمرا ذا حسن أى بأمر ذى حسن فهو في موضع البدل من قوله بوالديه وهو من بدل الاشتمال (حملته أمّه كرها ووضعته كرها) وبفتح الكافين حجازي وابو عمرو وهما لغتان في معنى المشقة وانتصابه على الحال أى ذات كره او على انه صفة للمصدر اى حملا ذا كره (وحمله وفصاله) ومدّة حمله وفطامه (ثلاثون شهرا) وفيه دليل على ان اقل مدّة الحمل ستة أشهر لان مدّة الرضاع اذا كانت حولين لقوله تعالى حولين كاملين بقيت للحمل ستة أشهر وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال أبو حنيفة رضى الله عنه المراد به الحمل بالاكف وفصاله يعقوب والفصل والفصال كالعظم والعظام بناء ومعنى (حتى اذا بلغ اشدّه) هو جمع لا واحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحده شدة وبلوغ الاشدّ ان يكتهل ويستوفى السن التى تستحكم فيها قوته وعقله وذلك اذا اناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه ان يكون ذلك أوّل الاشد وغايته الاربعون (وبلغ اربعين سنة قال رب أوزعنى) الهمنى (ان اشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى) المراد به نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه (وان أعمل صالحا ترضاه) قيل هى الصلوات الخمس (وأصلح لى فى ذريتي) اى اجعل ذريتي موقعا للصلاح ومظنة له (انى تبت اليك) من كل ذنب (وانى من المسلمين) المخلصين (أولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم) حمزة وعلى وحفص يتقبل ويتجاوز واحسن غيرهم (فى اصحاب الجنة) هو كقولك اكرمنى الامير فى ناس من اصحابه تريد اكرمنى فى جملة من اكرم منهم ونظمنى فى عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين فى اصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه وفى ابيه ابى قحافة وأمه أم الخير وفى اولاده واستجابة دعائه فيهم فانه آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن اربعين سنة ولم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير ابى بكر رضى الله عنه

آمن به (وهذا كتاب) يعنى القرآن (مصدّق) اى للكتب التى قبله (لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا) يعنى مشركى مكة (وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) تقدم تفسيره قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) اى يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة (حملته أمه كرها) يعنى حين اثقلت وثقل عليها الولد (ووضعته كرها) يريد شدّة الطلق (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) يعنى ومدة حمله الى أن ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا فاقل مدة الحمل ستة اشهر واكثر مدة الرضاع اربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المرأة تسعة اشهر ارضعت أحدا وعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا (حتى اذا بلغ أشدّه) اى نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثمان عشرة سنة الى اربعين سنة وهو قوله تعالى (وبلغ أربعين سنة) قيل نزلت هذه الآية فى سعد بن أبى وقاص وقد تقدمت القصة وقيل انها على العموم والاصح انها نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وذلك انه صحب النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبى صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة فى تجارة الى الشأم فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبى صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى أبو بكر الى راهب هناك يسأله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذى فى ظل السدرة فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبى وما استظل تحتها بعد عيسى أحد الا هذا وهو نبى آخر الزمان فوقع فى قلب أبى بكر اليقين والتصديق فكان لا يفارق النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة اكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالته فآمن به أبو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما بلغ اربعين سنة دعا ربه عز وجل (قال رب اوزعنى) اى الهمنى (ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى) اى بالايمان والهداية وقال على بن أبى طالب فى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا فى أبى بكر اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ان اسلم ابواه غيره أوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده (وأن أعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس اجابه تعالى فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله منهم بلال ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال (وأصلح لى فى ذريتى) فأجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا آمن فاجتمع لابى بكر اسلام أبويه ابوه ابو قحافة عثمان بن عمرو وأمه ام الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبى عتيق محمد فهؤلاء اربعة ابو بكر وابوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم ادركوا النبى صلى الله عليه وسلم واسلموا ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير ابى بكر وقوله (انى تبت اليك) أى رجعت اليك الى كل ما تحب (وانى من المسلمين) اى واسلمت بقلبى ولسانى (أولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا) يعنى اعمالهم الصالحة التى عملوها فى الدنيا وكلها حسن فالاحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها (ويتجاوز عن سيئاتهم) فلا يؤاخذهم بها (فى اصحاب الجنة) اى مع اصحاب الجنة (وعد الصدق) اى الذى وعدهم بان يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم ووعده صدق

(الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا (والذى قال لوالديه) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذى قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه قبل اسلامه و يشهد لبطلانه كتاب معاوية الى مروان ليأمر الناس بالبيعة ليزيد فقال عبد الرحمن بن ابى بكر لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم فقال مروان يا أيها الناس هذا الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة رضى الله عنها فغضبت وقالت والله ماهو به ولوشئت ان أسميه لسميته ولكن الله تعالى لعن أباك وانت فى صلبه فانت فضض من لعنة الله (أف لكما) مدنى وحفص اف مكى وشامى اف غيرهم. وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام للبيان اى هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما (اتعداننى أن اخرج) ان أبعث واخرج من الارض (وقدخلت القرون من قبلى) ولم يبعث منهم أحد (وهما) ابواه (يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويقولان له (ويلك) دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك (آمن) بالله وبالبعث (ان وعد الله) بالبعث (حق) صدق (فيقول) لهما (ماهذا) القول (الا أساطير الاولين أولئك الذين حق عليهم القول) اى لاملأن جهنم (فى أمم) فى جملة أمم (قدخلت) مضت (من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل) من الجنسين المذكورين الابرار والفجار (درجات مما عملوا) اى منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر أو من اجل ما عملوا منهما وانما قال درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات على وجه التغليب (وليوفيهم اعمالهم) بالياء مكى وبصرى وعاصم (وهم لا يظلمون) اى وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات واللام متعلقة بمحذوف (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) عرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به وقيل المراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا (أذهبتم) أى يقال لهم اذهبتم وهو ناصب الظرف (طيباتكم فى حياتكم الدنيا) أى ما كتب لكم من حظ من الطيبات الا ما قد اصبتموه فى دنياكم وقد ذهبتم به واخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شئ منها وعن عمر رضى الله عنه لوشئت لكنت أطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكنى استبقى طيباتى وقوله (واستمتعتم بها) بالطيبات (فاليوم تجزون عذاب الهون) أى الهوان وقرئ به (بما كنتم تستكبرون) تتكبرون (فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) أى باستكباركم وفسقكم

وقيل وعدهم بان يدخلهم الجنة (الذى كانوا يوعدون) اى فى الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (والذى قال لوالديه) يعنى اذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث بعد الموت (أف لكما) وهى كلمة كراهية (اتعداننى ان اخرج) اى من قبرى حيا (وقدخلت القرون من قبلى) اى فلم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) اى يستصرخان بالله عليه و يقولان له (ويلك آمن ان وعد الله حق) أى بالبعث (فيقول ماهذا) اى الذى تدعوننى اليه (الا اساطير الاولين) قال ابن عباس نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قبل اسلامه وكان ابواه يدعوانه الى الاسلام وهو يأبى و يقول احيوا الى عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى اسألهم عما تقولون وانكرت عائشة ان يكون قد نزل هذا فى عبد الرحمن بن أبى بكر (خ) عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكى يبايع له فقال له عبد الرحمن ابن أبى بكر شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان هذا الذى انزل الله فيه والذى قال لوالديه اف لكما فقالت عائشة من وراء الحجاب ما انزل الله فينا شيئا من القرآن الا ما أنزل الله فى سورة النور من براءتى والقول الصحيح انه ليس المراد من الآية شخص معين بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فأبى وانكر وقيل نزلت فى كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل اسلامه يبطله قوله تعالى (أولئك الذين حق عليهم القول) أعلم الله ان هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من افاضل المؤمنين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب اى وجب عليهم العذاب (فى أمم) أى مع امم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا) قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين والبار والعاق درجات يعنى منازل ومراتب عند الله يوم القيامة باعمالهم فيجازيهم عليها قيل درجات الجنة تذهب الى علو ودرجات النار تذهب الى أسفل (وليوفيهم أعمالهم) أى جزاء اعمالهم (وهم لا يظلمون) قوله عز وجل (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) اى يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم (اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) يعنى ان كل ما قدر لكم من الطيبات واللذات فقد افنيتموه فى الدنيا وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شئ (فاليوم تجزون عذاب الهون) أى الذى فيه ذل وخزى (بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) علق هذا العذاب بامرين أحدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل أن يكون عن الايمان والثانى الفسق وهو المعاصى والاول من عمل القلوب والثانى من عمل الجوارح

(فصل لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات اثر النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات فى الدنيا رجاء ثواب الآخرة)

(ق) عن عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد اثر فى جنبه فقلت أستأنس يارسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسى فى البيت فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر الا أهبة ثلاثة فقلت ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم ولا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفى شك انت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت استغفر لى يارسول الله (ق) عن عائشة قالت ما شبع آل محمد

من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عنها قالت كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا انما هو الاسودان التمر والماء الا أن نؤتى باللحيم وفي رواية اخرى قالت انا كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة في شهرين وما أوقد في ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال عروة قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا انه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقينا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم خبز الشعير أخرجه الترمذي وله عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اخفت في الله ما لم يخف أحد واوذيت في الله ما لم يؤذ أحد ولقد اتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام الا شيء يواري ابط بلال (خ) عن ابي هريرة قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا في اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته (خ) عن ابراهيم بن عبد الرحمن ان عبد الرحمن بن عوف أتي بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في بردة ان غطي رأسه بدت رجلاه وان غطي رجلاه بدا رأسه قال واراه قال قتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه الا بردة ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وقد خشيت ان تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام وقال جابر بن عبد الله رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا في يدي فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر اوكلما اشتهيت يا جابر اشتريت اما تخاف هذه الآية اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قوله تعالى (واذكر أخا عاد) يعني هودا عليه السلام (اذ انذر قومه بالاحقاف) قال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ ان يكون جبلا وقيل الاحقاف ما استدار من الرمل (وقد خلت النذر) اي مضت الرسل (من بين يديه) اي من قبل هود (ومن خلفه) اي بعده (الا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى ان هودا قد انذرهم بذلك وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره (قالوا أجئتنا لتأفكنا) اي لتصرفنا (عن آلهتنا) اي عبادتها (فأتنا بما تعدنا) اي من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعني أن العذاب نازل بنا (قال) يعني هودا (انما العلم عند الله) يعني هو يعلم متى يأتيكم العذاب (وأبلغكم ما أرسلت به) يعني من الوحي الذي انزله الله علي وأمرني بتبليغه اليكم (ولكني أراكم قوما تجهلون) يعني قدر العذاب الذي ينزل بكم (فلما رأوه) يعني رأوا ما يوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى (عارضا) يعني رأوا سحابا عارضا وهو السحاب الذي يعرض في ناحية السماء ثم يطبق السماء (مستقبل أوديتهم) وذلك انه خرجت عليهم سحابة سوداء من ناحية واد يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما رأوا تلك السحابة استبشروا بها ثم (قالوا هذا عارض ممطرنا) قال الله ردا عليهم (بل هو ما استعجلتم به) يعني من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى (ريح فيها عذاب أليم) ثم وصف تلك الريح فقال تعالى (تدمر كل شيء بأمر ربها) يعني تهلك كل شيء مرت به من رجال عاد وأموالهم يقال ان تلك الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة فلما رأوا ذلك دخلوا بيوتهم وأغلقوا ابوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب وصرعتهم وأمر الله الريح فأهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل واحتملتهم فرمت بهم في البحر وقيل ان هودا

(واذكر أخا عاد) أي هودا (اذ انذر قومه بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج عن ابن عباس رضي الله عنه هو واد بين عمان ومهرة (وقد خلت النذر) جمع نذير بمعنى المنذر أو الانذار (من بين يديه ومن خلفه) من قبل هود ومن خلف هود وقوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه وقع اعتراضا بين أنذر قومه وبين (الا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك (قالوا) أي قوم هود (أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا فالافك الصرف يقال أفكه عن رأيه (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من معاجلة العذاب على الشرك (ان كنت من الصادقين) في وعيدك (قال انما العلم) بوقت مجيء العذاب (عند الله) ولا علم لي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم (وابلغكم ما ارسلت به) اليكم وبالتخفيف أبو عمرو اي الذي هو من شأني ان أبلغكم ما ارسلت به من الانذار والتخويف (ولكني أراكم قوما تجهلون) أي ولكنكم جاهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه (فلما رأوه) الضمير يرجع الى ما تعدنا أو هو مبهم وضح أمره بقوله (عارضا) اما تمييزا أو حالا والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء (مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) روي ان المطر قد احتبس عنهم فرأوا سحابة استقبلت اوديتهم فقالوا هذا سحاب يأتينا بالمطر واظهروا من ذلك فرحا واضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة (بل هو) أي قال هود بل هو ويدل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو (ما استعجلتم به) من العذاب ثم فسره فقال (ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء) تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية (بأمر ربها) رب الريح

عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التي تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وقيل ان الله تعالى أمر خازن الريح أن يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فأهلكهم الله بهذا القدر وفي هذا اظهار كمال القدرة (ق) عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد في رواية وكان اذا رأى غيما عرف في وجهه قالت يا رسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه المطر وأراك اذا رأيت غيما عرف في وجهك الكراهة فقال يا عائشة وما يؤمنني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفي رواية قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى مخيلة في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا أمطرت السماء سري عنه فعرفته عائشة ذلك فقال وما أدري لعله كما قال قوم هود فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الآية وفي رواية أخرى قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به واذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فاذا أمطرت السماء سري عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذي يظن فيه مطر وتخيلت السماء اذا تغيمت وقوله سري عنه اي كشف وأزيل عنه ما كان به من الغم والحزن وقوله تعالى (فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم) قرئ بالتاء مفتوحة على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ما ترى يا محمد الا مساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها احد وقرئ بالياء المضمومة والمعنى لا يرى الا آثار مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا الآثار والمساكن معطلة (كذلك نجزي القوم المجرمين) يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) الخطاب لاهل مكة يعني مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) يعني انا اعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم في أمر الدين فما استعملوها الا في طلب الدنيا ولذاتها فلاجرم (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) يعني انه لما نزل بهم العذاب ما أغنى ذلك عنهم شيئا (اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) يعني ونزل بهم العذاب الذي كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) الخطاب لاهل مكة يعني أهلكنا قرى ديار ثمود وهي الحجر وسدوم وهي قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف أهل مكة بذلك (وصرفنا الآيات) يعني وبينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد (لعلهم يرجعون) يعني عن كفرهم فلم يرجعوا فأهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم في الكفر (فلولا) يعني فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) يعني انهم اتخذوا الاصنام آلهة يتقربون بعبادتها الى الله تعالى والقربان كل ما يتقرب به الى الله تعالى (بل ضلوا عنهم) يعني بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم (وذلك افكهم) يعني كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله وتشفع لهم عنده (وما كانوا يفترون) يعني يكذبون بقولهم انها آلهة وانها تشفع لهم قوله عز وجل (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) الآية

* (ذكر القصة في ذلك) * قال المفسرون لما مات أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة له والمنعة من قومه فروى محمد بن اسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمير وعندهم امرأة من

(فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم) عاصم وحمزة وخالف أي لا يرى شئ الا مساكنهم غيرهم لا ترى الا مساكنهم والخطاب للرائي من كان (كذلك نجزي القوم المجرمين) أي مثل ذلك نجزي من أجرم مثل جرمهم وهو تحذير لمشركي العرب عن ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود عليه السلام ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما تلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ان نافية أي فيما ما مكناكم فيه الا ان ان أحسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع الا ترى ان الاصل في مهما ماما لبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء وقد جعلت ان صلة وتؤول بانا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول لقوله تعالى هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وما بمعنى الذي او نكرة موصوفة (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) أي آلات الدرك والفهم (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) أي من شئ من الاغناء وهو القليل منه (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) اذ نصب بقوله فما أغنى وجرى مجرى التعليل والظرف في قولك ضربته لاساءته وضربته اذ أساء لانك اذا ضربته في وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا ان اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن) جزاء استهزائهم وهذا تهديد لكفار مكة ثم زادهم تهديدا بقوله (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) نحو حجر ثمود وقرى قوم لوط والمراد أهل القرى ولذلك قال (وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) أي كررنا عليهم الحجج وأنواع العبر لعلهم يرجعون عن الطغيان الى الايمان فلم يرجعوا (فلولا) فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) القربان ما تقرب به الى الله تعالى أي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واحد مفعولي اتخذوا الراجع الى الذين محذوف أي اتخذوهم والثاني آلهة وقربانا حال (بل ضلوا عنهم) غابوا عن نصرتهم (وذلك افكهم وما كانوا يفترون) وذلك اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب (واذ صرفنا اليك نفرا) أملناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة (من الجن) جن نصيبين

قريش من بني جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاء له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك وقال الآخر ما وجد الله أحدا ارسله غيرك وقال الثالث لا اكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا على وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه فيزيدذلك في تجرئهم عليه فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع اليه الناس والجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان مالقي من سفهاء ثقيف وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس فأنت رؤف وانت أرحم الراحمين وانت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني أو الى عدو ملكته أمري ان لم يكن بك على غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من ان ينزل بي غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى لاحول ولا قوة الا بك فلما رأى ابنا ربيعة مالقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ذلك ثم أقبل بالطبق حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اى البلاد انت ياعداس وما دينك فقال انا نصراني وانا رجل من أهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخي كان نبيا وانا نبي فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رأسه ويديه وقدميه قال فقال أحد ابني ربيعة اما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهم عداس قالا له ويلك ياعداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدى ما في الارض خير من هذا الرجل لقد أخبرني بأمر ما يعلمه الا نبي فقالا له ويحك ياعداس لا يصرفك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وقد آمنوا به وأجابوا لما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وفي الآية قول آخر وسيأتي في سورة الجن وهو حديث مخرج في الصحيحين من حديث ابن عباس وروى ان الجن لما رجوا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان أول بعث من أهل نصيبين وهم اشراف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة وقال أبو حمزة بلغنا انهم من بني الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا وقال جماعة بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عز وجل اليه نفرا من الجن وهم أهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعني فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه أحد غيري قال

فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة دخل نبى الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لى خطا ثم
أمرنى ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى
أمثال النسور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبى الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة
حالت بينى و بينه حتى لا اسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الى فقال لى نمت فقلت لا والله يا رسول الله لقد هممت
مرارا ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن عليك ان
يتخطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيئا قلت نعم رأيت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال اولئك جن
نصيبين سألونى المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة و بعرة قالوا يا رسول الله يقذرها الناس
علينا فنهى النبى صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يا رسول الله وما يغنى ذلك عنهم
فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم اكلت فقلت
يا رسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارأت فى قتيل قتل بينهم فتحاكموا الى فقضيت بينهم بالحق
قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم واتانى فقال هل معك ماء قلت يا رسول الله معى اداوة فيها شئ
من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يديه فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور قال قتادة ذكر لنا ان ابن
مسعود قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط فأفزعوه حين رآهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم
من الزط فقال ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث
التوضؤ بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقى فى كتابه الخلافيات بأسانيده وأجاب عنها كلها والذى صح عن علقمة
قال قلت لابن مسعود هل صحب النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم احد قال ما صحبه منا احد ولكنا كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه فى الاودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل
فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم
نجدك فبتنا بشر ليلة بات قوم قال أتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا
فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى ايديكم اوفر ما يكون لحما
وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد
فى رواية قال الشعبى وكانوا من جن الجزيرة اخرجه مسلم فى صحيحه واما تفسير الآية فقوله تعالى واذ صرفنا
اليك الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى واذكر اذ بعثنا اليك يا محمد نفرا من الجن واختلفوا فى عدد
أولئك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله رسلا الى قومهم وقال آخرون
كانوا تسعة وروى عن ذر بن حبيش قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن وروى ان الجن
ثلاثة أصناف صنف منهم لهم أجنحة يطيرون بها فى الهواء وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف
يحلون ويظعنون ونقل بعضهم ان أولئك الجن كانوا يهودا فأسلموا قالوا وفى الجن ملل كثيرة مثل الانس
ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفى مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن
ونحو ذلك من المذاهب والبدع واطبق المحققون من العلماء على ان الكل مكلفون سئل ابن عباس هل
للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب (يستمعون القرآن فلما حضروه) الضمير يعود الى القرآن يعنى
فلما حضروا القرآن وقيل يحتمل انه يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما
حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل استماع القرآن (قالوا أنصتوا) يعنى قال بعضهم لبعض اسكتوا
لنسمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شئ فأنصتوا وسمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض
من شدة حرصهم على سماعه (فلما قضى) اى فرغ من قراءته (ولوا) أى رجعوا (الى قومهم منذرين)
يعنى داعين لهم الى الايمان مخوفين لهم من المخالفة وذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وذلك
بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القرآن والتصديق الا بعد ايمانهم به وتصديقهم له

(قالوا

(يستمعون القرآن) منه عليه السلام (فلما
حضروه) أى الرسول صلى الله عليه وسلم أو
القرآن أى كانوا منه بحيث يسمعون (قالوا) أى
قال بعضهم لبعض (أنصتوا) اسكتوا مستمعين
روى ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست
السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبا
حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف
جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى
بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف
الليل يصلى أو فى صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته
وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو
فى صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر
فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل الله أمر رسوله
ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا
منهم وقال انى أمرت ان اقرأ على الجن الليلة
فمن يتبعنى قالها ثلاثا فأطرقوا الا عبد الله بن
مسعود رضى الله عنهما قال لم يحضره ليلة الجن
أحد غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة فى
شعب الحجون فخط لى خطا وقال لا تخرج منه حتى
اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا
شديدا فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا فقال أولئك
جن نصيبين وكانوا اثنى عشر ألفا والسورة التى
قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فلما قضى) أى
فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من القراءة
(ولوا الى قومهم منذرين) اياهم

(قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا) قال عطاء كان دينهم اليهودية ولذلك قالوا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا (لما بين يديه) يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء وذلك ان كتب الانبياء كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد وتصديق الانبياء والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب وهو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كذلك فذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب (يهدي الى الحق والى طريق مستقيم) يعني يهدي الى دين الحق وهو دين الاسلام ويهدي الى طريق الجنة (يا قومنا أجيبوا داعي الله) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه لا يوصف بهذا غيره وفي الآية دليل على انه مبعوث الى الانس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله (وآمنوا به) فان قلت قوله تعالى اجيبوا داعي الله أمر باجابته في كل ما أمر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم أعاد ذكره بلفظ التعيين قلت انما أعاده لان الايمان اهم أقسام المأمور به واشرفها فلذلك ذكره على التعيين فهو من باب ذكر العام ثم يعطف عليه اشرف انواعه (يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) قال بعضهم لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل هي على اصلها وذلك ان الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا أسلموا جرت عليهم احكام الاسلام فمن أتى بذنب أخذ به ما لم يتب منه او يبقى تحت خطر المشيئة ان شاء الله غفر له وان شاء آخذه بذنبه واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الا نجاتهم من النار وتأولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم واليه ذهب أبو حنيفة وحكي عن الليث قال ثوابهم ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وعن أبي الزناد قال اذا قضي بين الناس قيل لمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال الآخرون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس وهذا هو الصحيح وهو قول ابن عباس واليه ذهب مالك وابن أبي ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وقال ارطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها يعني في الجنة وقوله تعالى (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض) يعني لا يعجز الله فيفوته (وليس له من دونه أولياء) يعني أنصار يمنعونه من الله (أولئك) يعني الذين لم يجيبوا داعي الله (في ضلال مبين) قوله تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن) يعني انه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه (بقادر على أن يحيي الموتى) يعني ان اعادة الخلق واحياءه بعد الموت أهون عليه من ابداعه وخلقه فالكل عليه هين من ابداع الخلق واعادته بعد الموت وهو قوله (بلى انه على كل شيء قدير) يعني من اماتة الخلق واحيائهم لانه قادر على كل شيء (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) فيه اضمار تقديره فيقال لهم (أليس هذا بالحق) يعني هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل وهو الحق (قالوا بلى وربنا) هذا اعتراف منهم على أنفسهم بعد ما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك (قال) لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) قوله عز وجل (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله تعالى بالاقتداء باولي العزم من الرسل في الصبر على أذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر واختلفوا في أولي العزم من الرسل من هم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل وهذا القول هو اختيار الامام فخر الدين الرازي قال لان لفظة من في قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كأنه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على أذى قومهم ووصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبياء كلهم أولوا العزم الا يونس لعجلة كانت فيه ألا ترى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم

(قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) وانما قالوا من بعد موسى لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام (مصدقا لما بين يديه) من الكتب (يهدي الى الحق) الى الله تعالى (والى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله) أي محمدا صلى الله عليه وسلم (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) قال أبو حنيفة رضي الله عنه لا ثواب لهم الا النجاة من النار لهذه الآية وقال مالك وابن أبي ليلى وأبو يوسف ومحمد رحمهم الله لهم الثواب والعقاب وعن الضحاك انهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض) أي لا ينجي منه مهرب (وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن) هو كقوله وما مسنا من لغوب ويقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه (بقادر) محله الرفع لانه خبر ان يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على أن وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر ألا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم (على أن يحيي الموتى بلى) هو جواب للنفي (انه على كل شيء قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يقال لهم (أليس هذا بالحق) وناصب الظرف القول المضمر وهذا اشارة الى العذاب (قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفركم في الدنيا (فاصبر كما صبر أولوا العزم) أولوا الجد والثبات والصبر (من الرسل) من للتبعيض والمراد بأولي العزم ما ذكر في الاحزاب واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم ويونس ليس منهم لقوله ولا تكن كصاحب الحوت وكذا آدم لقوله ولم نجد له عزما أو للبيان فيكون أولوا العزم صفة الرسل كلهم

أولو العزم هم نجباء الرسل المذكورون فى سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبى هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشرة لاعداء الله وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق فى سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه وابراهيم صبر على النار واسحاق صبر على الذبح فى قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الجب والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين فى قوله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية روى البغوى بسنده عن عائشة قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولى العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض الا أن كلفنى ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وانى والله لا بد لى من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا قوة الا بالله قوله تعالى (ولا تستعجل لهم) يعنى اصبر على أذاهم ولا تستعجل بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لا محالة كانه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم فأمره الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر بقرب العذاب فقال تعالى (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) يعنى من العذاب فى الآخرة (لم يلبثوا) يعنى فى الدنيا (الا ساعة من نهار) يعنى انهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كانه قدر ساعة من نهار لان ما مضى وان كان طويلا فهو يسير الى ما يدوم عليهم من العذاب وهو أبدا لا آبدين بلا انقطاع ولا فناء وتم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ فقال تعالى (بلاغ) أى هذا القرآن وما فيه من البينات والهدى بلاغ من الله الحكيم والبلاغ بمعنى التبليغ (فهل يهلك) يعنى بالعذاب اذا نزل (الا القوم الفاسقون) يعنى الخارجين عن الايمان بالله وطاعته قال الزجاج تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما فى الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية والله أعلم

(تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهى مدنية وهى ثمان وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) يعنى أبطلها ولم يتقبلها منهم وأراد بالاعمال ما كانوا يفعلون من أعمال البر من اطعام الطعام وصلة الارحام وفك العانى وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك قال بعضهم أول هذه السورة متعلق بآخر سورة الاحقاف المتقدمة كان قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال صالحة كاطعام الطعام ونحوه من الاعمال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فأخبر بأن الفاسقين الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم يعنى أبطلها لانها لم تكن لله ولا بأمره انما فعلوها من عند أنفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب أبطلها الله تعالى وقال الضحاك أبطل كيدهم ومكرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم رؤس كفار قريش منهم أبو جهل والحارث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قريش وقيل هم كفار أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعنى ومنعوا غيرهم عن الدخول فى دين الله وهو الاسلام أو منعوا أنفسهم من الدخول فى الاسلام أضل أعمالهم يعنى أبطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (والذين آمنوا وعملوا

(ولا تستعجل لهم) لكفار قريش بالعذاب
أى لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان
تأخر (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا
ساعة من نهار) أى انهم يستقصرون حينئذ
مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار
(بلاغ) هذا بلاغ أى هذا الذى وعظتم به
كفاية فى الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول
(فهل يهلك) هلاك عذاب والمعنى فلن يهلك
بعذاب الله (الا القوم الفاسقون) أى المشركون
الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه
قال عليه السلام من قرأ سورة الاحقاف كتب
الله له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا
* سورة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل سورة
القتال مدنية وقيل مكية وهى ثمان وثلاثون
آية أو تسع وثلاثون آية *
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أى
اعرضوا وامتنعوا عن الدخول فى الاسلام
اوصدوا غيرهم عنه قال الجوهرى صد عنه
يصد صدودا أى اعرض وصده عن الامر صدا
منعه وصرفه عنه وهم المطعمون يوم بدر او اهل
الكتاب او عام فى كل من كفر وصد (أضل
أعمالهم) ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها
ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها
كالضالة من الابل وأعمالهم ما عملوه فى كفرهم
من صلة الارحام واطعام الطعام وعمارة المسجد
الحرام او ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى
الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله (والذين
آمنوا وعملوا

الصالحات) هم ناس من قريش أو من الانصار أو من أهل الكتاب او عام (وآمنوا بما نزل على محمد) وهو القرآن وتخصيص الايمان بالمنزل على رسوله من بين ما يجب الايمان به لتعظيم شأنه وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية وهي قوله (وهو الحق من ربهم) أى القرآن وقيل ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره (كفر عنهم سيئاتهم) ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم (وأصلح بالهم) أى حالهم وشأنهم بالتوفيق فى أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) ذلك مبتدأ وما بعده خبره أى ذلك الامر وهو اضلال اعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني والاصلاح كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهو الشيطان وهؤلاء الحق وهو القرآن (كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله) أى يبين الله (للناس أمثالهم) والضمير راجع الى الناس او الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم وقد جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكافرين واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين او جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز الابرار (فاذا لقيتم الذين كفروا) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لا أن الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء ولان قتل الانسان أكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته (حتى اذا أثخنتموهم) اكثرتم فيهم القتل (فشدوا الوثاق) فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به والمعنى فشدوا وثاق الاسارى حتى لا يفلتوا منكم (فاما منا بعد) أى بعد ان تأسروهم (واما فداء) منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين أى فاما تمنون منا او تفدون فداء والمعنى التخيير بين الامرين بعد الاسر بين ان يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين ان يفادوهم وحكم اسارى المشركين عندنا القتل أو الاسترقاق والمن والفداء المذكور فى الآية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين لان سورة براءة من آخر ما نزل وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق او المراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وبالفداء ان يفادى باساراهم أسارى المسلمين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن أبي حنيفة رحمه الله وهو قولهما والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره لئلا يعودوا حربا علينا وعند الشافعي رحمه الله تعالى الامام ان يختار أحد الامور الاربعة القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين والمن

الصالحات) قال ابن عباس الذين كفروا هم مشركو قريش والذين آمنوا هم الانصار وقيل مؤمنو أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مؤمن آمن بالله ورسوله وهذا هو الاولى ليشمل جميع المؤمنين (وآمنوا بما نزل على محمد) يعني القرآن الذى أنزله الله على محمد وانما ذكره بلفظ الاختصاص مع ما يجب من الايمان بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعظيما لشأن القرآن الكريم وتنبيها على انه لا يتم الايمان الا به وأكد ذلك بقوله (وهو الحق من ربهم) وقيل معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق لانه ناسخ للاديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثورى فى قوله وآمنوا بما نزل على محمد يعني لم يخالفوه فى شئ (كفر عنهم سيئاتهم) يعني ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ما كان منهم (وأصلح بالهم) يعني حالهم وشأنهم وأمرهم بالتوفيق فى أمور الدين والتسليط على أمور الدنيا بما أعطاهم من النصر على أعدائهم وقيل أصلح بالهم يعني قلوبهم لان القلب اذا صلح صلح سائر الجسد وقال ابن عباس عصمهم أيام حياتهم يعني ان هذا الاصلاح يعود الى اصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل) يعني الشيطان (وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) يعني القرآن ومعنى الآية ذلك الامر وهو اضلال أعمال الكفار وتكفير سيئات المؤمنين كائن بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع المؤمنين الحق من ربهم (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) الضمير فى أمثالهم راجع الى الناس على انه تعالى يضرب للناس أمثال أنفسهم أو انه راجع الى الفريقين على معنى انه تعالى ضرب أمثال الفريقين للناس ليعتبروا بها قال الزجاج كذلك يضرب الله أمثال حسنات المؤمنين وامثال اعمال الكافرين للناس قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) يعني فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الاعضاء وانما خص الرقاب بالضرب لان قتل الانسان أشنع ما يكون بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكر فى الامر بالقتل ولان الرأس من أشرف أعضاء البدن فاذا أبين عن بدنه كان أسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضاء (حتى اذا أثخنتموهم) يعني بالغتم فى القتل وقهرتموهم مأخوذ من الشئ الثخين الغليظ والمعنى حتى اذا أثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة (فشدوا الوثاق) يعني فى الاسرى والمعنى فأسروهم وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به أى يشد به (فاما منا بعد واما فداء) يعني بعد الاسر اما أن تمنوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض واما أن تفادوهم فداء

(فصل فى حكم الآية) اختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هى منسوخة بقوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهذا قول قتادة والضحاك والسدى وابن جريج واليه ذهب الاوزاعى وأصحاب الرأى قالوا لا يجوز المن على من وقع فى الاسر من الكفار ولا الفداء بل اما القتل أو الاسترقاق أيهما رأى الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يكون المراد أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبول الجزية ان كانوا من أهل الذمة ويراد بالفداء أن يفادى باساراهم أسرى المسلمين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن أبي حنيفة والمشهور عنه انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين وذهب أكثر العلماء الى ان الآية محكمة والامام بالخيار فى الرجال

البالغين من الكفار اذا أسروا بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثوري والشافعي وأحمد واسحاق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل في الاسارى فاما منا بعد واما فداء وهذا القول هو الصحيح ولانه به عمل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده (ق) عن أبي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه في سارية من سواري المسجد فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتل تقتل ذادم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذادم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذادم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الارض أبغض الي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه الي والله ما كان من دين أبغض الي من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله الي والله ما كان من بلد أبغض الي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها الي وان خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل أصبوت قال لا ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخاري عن عمران ابن حصين قال أسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل فأوثقوه وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف أخرجه الشافعي في مسنده وأخرجه مسلم وأبو داود بلفظ أطول من هذا وقوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) يعني أثقالها وأحمالها والمراد أهل الحرب يعني حتى يضعوا أسلحتهم ويمسكوا عن القتال وأصل الوزر ما يحمله الانسان فسمى الاسلحة وزرا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار الآثام ومعناه حتى يضع المحاربون اوزارهم بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بان يسلموا ومعنى الآية أثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثني الله الى ان يقاتل آخر أمتي الدجال هكذا ذكره البغوي بغير سند وقال الكلبي معناه حتى يسلموا ويسالموا وقال الفراء حتى لا يبقى الا مسلم أو مسالم (ذلك) يعني الذي ذكر وبين من حكم الكفار (ولو يشاء الله لانتصر منهم) يعني ولو شاء الله لاهلكهم بغير قتال وكفاكم أمرهم (ولكن) يعني ولكن أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) يعني فيصير من قتل من المؤمنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب (والذين قتلوا في سبيل الله) يعني الشهداء وقرئ قاتلوا وهم المجاهدون في سبيل الله (فلن يضل أعمالهم) يعني فلن يبطلها بل يوفيهم ثواب أعمالهم التي عملوها الله تعالى قال قتادة ذكر لنا ان هذه الآية نزلت يوم أحد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل (سيهديهم) يعني ايام حياتهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الآخرة الى الدرجات العلى (ويصلح بالهم) ويرضى أعمالهم ويقبلها (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) بين لهم منازلهم في الجنة حتى اهتدوا الى مساكنهم لا يخطئونها ولا يستدلون عليها كأنهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المؤمن اهدى الى درجته ومنزله

(حتى تضع الحرب أوزارها) أثقالها وآلاتها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع وقيل أوزارها آثامها يعني حتى تترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم بأن يسلموا وحتى لا يخلو من ان يتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء فالمعنى على كلا التعلقين عند الشافعي رحمه الله انهم لا يزالون على ذلك أبدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند أبي حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها الا ان يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل (ذلك) أي الامر ذلك فهو مبتدأ وخبر او افعلوا بهم ذلك فهو في محل النصب (ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم بغير قتال ببعض اسباب الهلاك كالخسف أو الرجفة أو غير ذلك (ولكن) أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) أي المؤمنين بالكافرين تمحيصا للمؤمنين وتمحيقا للكافرين (والذين قتلوا) بصري وحفص قاتلوا غيرهم (في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم) الى طريق الجنة او الى الصواب في جواب منكر ونكير (ويصلح بالهم) يرضي خصماءهم ويقبل أعمالهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يحتاجوا ان يسألوا او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة

وزوجته

وزوجته وخدمه منه الى منزله واهله فى الدنيا هذا قول اكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف أى مطيب قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) يعنى تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا اولياء الله وحزبه (ينصركم) يعنى على عدوكم (ويثبت اقدامكم) يعنى عند القتال وعلى الصراط (والذين كفروا فتعسا لهم) قال ابن عباس يعنى بعدا لهم وقال أبو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس فى الدنيا العثرة وفى الآخرة التردى فى النار يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعا اذا دعوا له وأرادوا قيامه وفى هذا اشارة جليلة وهى انه تعالى لما قال فى حق المؤمنين ويثبت اقدامكم يعنى فى الحرب والقتال كان من الجائز ان يتوهم متوهم ان الكافر أيضا يصبر ويثبت قدمه فى الحرب والقتال فأخبر الله تعالى ان لكم الثبات أيها المؤمنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال فى حق المؤمنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه شئ وقال فى حق الكفار بصيغة الدعاء عليهم (وأضل اعمالهم) يعنى ابطل اعمالهم لأنها كانت فى طاعة الشيطان (ذلك) يعنى التعس والاضلال (بانهم كرهوا ما أنزل الله) يعنى القرآن الذى فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة على النفس لانهم كانوا قد الفوا الاهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك ذلك والاخذ بالجد والاجتهاد فى طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما أنزل الله (فأحبط أعمالهم) يعنى فأبطل أعمالهم التى عملوها فى غير طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعنى من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة (دمر الله عليهم) يقال دمره الله يعنى اهلكه ودمر عليه اذا اهلك ما يختص به والمعنى اهلك الله عليهم ما يختص بهم من انفسهم واموالهم واولادهم (وللكافرين) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم (أمثالها) يعنى ان لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله وهذا التضعيف انما يكون فى الآخرة (ذلك) يعنى الاهلاك والهوان (بان) أى بسبب ان (الله مولى الذين آمنوا) يعنى هو ناصرهم ووليهم ومتولى امورهم (وان الكافرين لا مولى لهم) يعنى لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهى جماد لا تضر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها فلا جرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل أحد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الآيتين ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والكافرين فى الدنيا ذكر حالهم فى الآخرة فقال تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) يعنى هذا لهم فى الآخرة (والذين كفروا يتمتعون) يعنى فى الدنيا بشهواتها ولذاتها (ويأكلون كما تأكل الانعام) يعنى ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم فى غدهم ولهذا شبههم بالانعام لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز وكذلك الكافر لا عقل له ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه قيل المؤمن فى الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع فى الدنيا لانها جنته وهى سجن المؤمن بالنسبة الى ما اعد الله له فى الآخرة من النعيم العظيم الدائم (والنار مثوى لهم) يعنى مقام الكفار فى الآخرة والثواء المقام فى المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم قوله تعالى (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى اخرجتك) يعنى أخرجك اهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هى أشد قوة من اهل مكة اهلكهم الله يدل عليه قوله (اهلكناهم) ولم يقل أهلكناها (فلا ناصر لهم) يعنى فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذى حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال انت أحب بلاد الله تعالى الى الله واحب بلاد الله الى ولو ان المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك فأنزل الله هذه الآية (أفمن كان على بينة

(يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) أى دين الله ورسوله (ينصركم) على عدوكم ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) فى مواطن الحرب او على محجة الاسلام (والذين كفروا) فى موضع رفع بالابتدا والخبر (فتعسا لهم) وعطف قوله (وأضل أعمالهم) على الفعل الذى نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم والتعس العثور وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد فى الدنيا القتل وفى الآخرة التردى فى النار (ذلك) أى التعس والضلال (بأنهم كرهوا ما أنزل الله) اى القرآن (فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا فى الارض) يعنى كفار أمتك (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) اهلكهم هلاك استئصال (وللكافرين) مشركى قريش (أمثالها) أمثال تلك الهلكة لان التدمير يدل عليها (ذلك) أى نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين (بأن الله مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم (وان الكافرين لا مولى لهم) أى لا ناصر لهم فالله مولى العباد جميعا من جهة الاختراع وملك التصرف فيهم والنصرة فهو مولى المؤمنين والكافرين من جهة الاختراع والتصرف فيهم ومولى المؤمنين خاصة من جهة النصرة (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون) ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا اياما قلائل (ويأكلون) غافلين غير متفكرين فى العاقبة (كما تأكل الانعام) فى معالفها ومسارحها غافلة عما هى بصدده من النحر والذبح (والنار مثوى لهم) منزل ومقام (وكأين من قرية) أى وكم من قرية للتكثير وأراد بالقرية اهلها ولذلك قال أهلكناهم (هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) أى وكم من قرية أشد قوة من قومك الذين اخرجوك أى كانوا سبب خروجك (أهلكناهم فلا ناصر لهم) أى فلم يكن لهم من ينصرهم ويدفع العذاب عنهم (أفمن كان على بينة

من ربه) يعني على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه (كمن زين له سوء عمله) وهو الكافر أبوجهل ومن معه من المشركين (واتبعوا اهواءهم) يعني في عبادة الاوثان قوله عزوجل (مثل الجنة التي وعد المتقون) لما بين الله عزوجل حال الفريقين في الاهتداء والضلال بين في هذه الآية ما أعد لكل واحد من الفريقين فبين اولا ما اعد للمؤمنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون يعني صفة الجنة قال سيبويه المثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضي مشابهة وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب وشئ عظيم وقيل الممثل به مذكور وهو كمن هو خالد في النار (فيها) يعني الجنة التي وعد المتقون (انهار من ماء غير آسن) يعني غير متغير ولا منتن يقال أسن الماء وأجن اذا تغير طعمه وريحه (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) يعني كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من الطعوم (وأنهار من خمر لذة للشاربين) يعني ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولم تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدي بالعصر وليس مع شرابها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هي لمجرد الالتذاذ فقط (وانهار من عسل مصفى) يعني ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله بل هو خالص صاف من جميع شوائب عسل الدنيا عن حكيم بن معاوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فأما سيحان وجيحان المذكوران في الحديث اللذان هما من انهار الجنة فهما في بلاد الارمن فسيحان نهر أردنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا اكبرهما جيحان هذا هو الصواب في موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال فأما كون هذه الانهار من ماء الجنة ففيه تأويلان الثاني وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة فالجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب أهل السنة وقال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوي عنه وقوله تعالى (ولهم فيها من كل الثمرات) في ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى ان مأكول أهل الجنه للذة لا لحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة (ومغفرة من ربهم) فان قلت المؤمن المتقي لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة قلت ليس بلازم ان يكون المعنى ولهم مغفرة من فيها لان الواو لا تقتضي الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها وجواب آخر وهو ان المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما يأكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان مأكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه قوله تعالى (كمن هو خالد في النار) يعني من هو في هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد في النار يتجرع من حميمها وهو قوله (وسقوا ماء حميما) يعني شديد الحر قد استعرت عليه جهنم منذ خلقت اذا دنا منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤسهم (ف) اذا شربوه (قطع أمعاءهم) يعني فخرجت من ادبارهم والامعاء جمع معى وهو جميع ما في البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله كمن هو خالد في النار راجع الى ما تقدم كأنه تعالى قال أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذي وقال حديث غريب حسن صحيح عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى تخرج من دبره قال الله

من ربه) أي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم (كمن زين له سوء عمله) هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله وقال سوء عمله (واتبعوا أهواءهم) للحمل على لفظ من ومعناه (مثل الجنة) صفة الجنة العجيبة الشأن (التي وعد المتقون) من الشرك (فيها أنهار) داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها أنهار أو حال أي مستقرة فيها انهار (من ماء غير آسن) غير متغير اللون والريح والطعم يقال أسن الماء اذا تغير طعمه وريحه اسن مكي (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) كما تتغير البان الدنيا الى الحموضة وغيرها (وأنهار من خمر لذة) تأنيث لذ وهو اللذيذ (للشاربين) أي ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر (وأنهار من عسل مصفى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) مثل مبتدأ خبره (كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما) حارا في النهاية (فقطع أمعاءهم) والتقدير أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار وهو كلام في صورة الاثبات ومعناه النفي لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وهو قوله أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وفائدة حذف حرف الانكار زيادة تصوير المكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها الحميم

تعالى ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه أخرجه
الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى (ومنهم) يعني ومن هؤلاء الكفار (من يستمع اليك) وهم
المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه (حتى اذا خرجوا من عندك)
يعني ان هؤلاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك (قالوا) يعني
المنافقين (للذين أوتوا العلم) يعني من الصحابة (ماذا قال آنفا) يعني ما الذي قال محمد الآن وهو من
الائتناف يقال ائتنفت الامر أي ابتدأته قال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب
و يعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد صلى الله عليه
وسلم قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل (أولئك) يعني المنافقين (الذين طبع الله على قلوبهم) يعني
فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) يعني في الكفر
والنفاق والمعنى انهم لما تركوا اتباع الحق أمات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا أهواءهم
في الباطل (والذين اهتدوا) يعني المؤمنين لما بين الله ان المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة
الهوى بين حال المؤمن المهتدي الذي ينتفع بما يستمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعني بهداية الله
اياهم الى الايمان (زادهم هدى) يعني انهم كلما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جاء به
عن الله عز وجل آمنوا بما سمعوا وآمنوا به وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع هدايتهم وايمانا مع ايمانهم
(وآتاهم تقواهم) يعني وفقهم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير آتاهم ثواب تقواهم
وقيل آتاهم نفس تقواهم بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى قوله عز وجل (فهل ينظرون الا الساعة ان
تأتيهم بغتة) يعني الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن الايمان فلم يؤمنوا فالساعة تأتيهم بغتة
تفجؤهم وهم على كفرهم ونفاقهم ففيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة والساعة آتية
لا محالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بادروا بالاعمال سبعاً فهل تنتظرون الا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا
مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن
وقوله تعالى (فقد جاء اشراطها) اى اماراتها وعلاماتها واحدها شرط ولما كان قيام الساعة امرا
مستبعداً في النفوس وقد قال الله تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فكان قائلا قال متى
يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء اشراطها قال المفسرون من اشراط الساعة انشقاق القمر
و بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن سهل بن سعد قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بأصبعه هكذا الوسطى والتي تلي الابهام وقال بعثت انا والساعة كهاتين وفي رواية قال بعثت انا
والساعة كهاتين و يشير بأصبعيه يمدهما (ق) عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا
والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية قال بعثت في نفس الساعة
فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قيل معنى الحديث ان المراد ان ما بين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقيام
الساعة شئ يسير كما بين الاصبعين في الطول وقيل هو اشارة الى قرب المجاورة (ق) عن انس قال عند
قرب وفاته الا أحدثكم حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيري سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة أو قال من اشراط الساعة ان يرفع العلم و يظهر الجهل و يشرب
الخمر و يفشو الزنى و يذهب الرجال و يبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم وفي رواية و يظهر الزنى و يقل
الرجال و يكثر النساء (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة
أن يتقارب الزمان و ينقص العلم و تظهر الفتن و يلقى الشح و يكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل وفي رواية
يرفع العلم و يثبت الجهل أو قال و يظهر الجهل (خ) عن أبي هريرة قال بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مجلس يحدث القوم اذ جاءه اعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك
قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا) هم المنافقون
كانوا يحضرون مجالس رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا
تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولي العلم من الصحابة
ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء (أولئك
الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم
والذين اهتدوا) بالايمان واستماع القرآن
(زادهم) الله (هدى) أي بصيرة وعلما وشرح
صدورهم (وآتاهم تقواهم) اعانهم عليها او آتاهم
جزاء تقواهم او بين لهم ما يتقون (فهل ينظرون
الا الساعة) أي ينتظرون (ان تأتيهم) أي
اتيانها فهو بدل اشتمال من الساعة (بغتة)
فجأة (فقد جاء اشراطها) علاماتها وهو مبعث
محمد صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر والدخان
وقيل قطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام

في حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين
السائل عن الساعة قال ها انا ذا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها
قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظروا الساعة وقوله تعالى (فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) يعنى فمن اين
لهم التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم اذا جاءتهم الساعة
فلا تنفعهم الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالايمان في ذلك الوقت (فاعلم انه لا اله الا الله)
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وانه لا اله الا
هو فما فائدة هذا الامر وأجيب عنه بأن معناه دم على ما انت عليه من العلم فهو كقول القائل للجالس
اجلس أي دم على ما انت عليه من الجلوس أو يكون معناه ازدد علما الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان
كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره من أمته قال أبو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله
معناه اذا جاءتهم فاعلم انه لا ملجأ ولا منجى ولا مفزع عند قيامها الا الى الله الذي لا اله الا هو وقيل معناه
فاعلم انه لا اله الا الله وان جميع الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا الله الذي لا اله الا هو
(واستغفر لذنبك) أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع انه مغفور له ليستن به أمته
وليقتدوا به في ذلك (م) عن الاغر المزني اغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه
ليغان على قلبي حتى استغفر في اليوم مائة مرة وفي رواية قال توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي عز وجل
مائة مرة في اليوم (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاستغفر الله
وأتوب اليه في اليوم سبعين مرة وفي رواية أكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبي الغين التغطية
والستر أي يلبس على قلبي و يغطى وسبب ذلك ما أطلعه عليه من احوال أمته بعده فأحزنه ذلك حتى
كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان يشغله النظر في أمور المسلمين ومصالحهم حتى يرى انه قد شغل بذلك
وان كان من أعظم طاعة وأشرف عبادة عن أرفع مقام مما هو فيه وهو التفرد بربه عز وجل وصفاء وقته
معه وخلوص همه من كل شئ سواه فلهذا السبب كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله فان حسنات الابرار
سيئات المقربين وقيل هو مأخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذي يغشى السماء فكان هذا الشغل والهم
يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه عن غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التي
تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وكان سبب استغفاره لها اظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى وحكى
الشيخ محيي الدين النووي عن القاضي عياض ان المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذي كان شأنه
صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا فتر أو غفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن
غيره وقال الحارث المحاسبي خوف الانبياء والملائكة خوف اعظام واجلال وان كانوا آمنين من عذاب
الله تعالى وقيل يحتمل ان هذا الغين حالة حسنة واعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا كما قال أفلا
أكون عبدا شكورا وقيل في معنى الآية استغفر لذنبك اى لذنوب أهل بيتك (وللمؤمنين والمؤمنات) يعنى
من غير أهل بيته وهذا اكرام من الله عز وجل لهذه الامة حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر
لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قال ابن عباس والضحاك متقلبكم
يعنى متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا ومثواكم يعنى مصيركم الى الجنة أو الى النار وقيل متقلبكم
في أشغالكم بالنهار ومثواكم بالليل الى مضاجعكم وقيل متقلبكم من اصلاب الآباء الى أرحام الامهات
و بطونهن ومثواكم في الدنيا وفي القبور والمعنى انه تعالى عالم بجميع احوالكم فلا يخفى عليه شئ منها
وان دق وخفى قوله تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) وذلك ان المؤمنين كانوا حراصا على
الجهاد في سبيل الله فقالوا فهلا أنزلت سورة تأمرنا بالجهاد لكي نجاهد (فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر
فيها القتال) قال مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين
(رأيت الذين في قلوبهم مرض) يعنى نفاقا وهم المنافقون (ينظرون اليك) يعنى شزرا وكراهية منهم

للجهاد

(فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) قال الاخفش التقدير فأنى لهم ذكراهم اذا جاءتهم (فاعلم انه) ان الشأن (لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) والمعنى فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك وفي شرح التأويلات جاز أن يكون له ذنب فأمره بالاستغفار له ولكنا لا نعلمه غير ان ذنب الانبياء ترك الافضل دون مباشرة القبيح وذنوبنا مباشرة القبائح من الصغائر والكبائر وقيل الفاآت في هذه الآيات لعطف جملة على جملة بينهما اتصال (والله يعلم متقلبكم) في معايشكم ومتاجركم (ومثواكم) و يعلم حيث تستقرون من منازلكم أو متقلبكم في اعمالكم ومثواكم في القبور أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في الجنة والنار ومثله حقيق بأن يتقى ويخشى وان يستغفر وسئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) فيها ذكر الجهاد (فاذا أنزلت سورة) في معنى الجهاد (محكمة) مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة (وذكر فيها القتال) أي امر فيها بالجهاد (رأيت الذين في قلوبهم مرض) نفاق أي رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها (ينظرون اليك)

للجهاد وجبنا عن لقاء العدو (نظر المغشى عليه من الموت) يعنى كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت (فأولى لهم) فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم فى التهديد ويلك وقاربك ما تكره وتم الكلام عند هذا ثم ابتدأ بقوله (طاعة وقول معروف) فعلى هذا هو مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل لهم وأولى بهم والمعنى لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام فى لهم بمعنى الباء مجازه فأولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة والمعنى لو اطاعوا وأجابوا لكانت الطاعة والاجابة أولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس فى رواية عطاء عنه (فاذا عزم الامر) فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر وقيل هو على اصله ومجازه كقولنا جاء الامر ودنا الوقت وهذا أمر متوقع ومعنى الآية فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذبوا فيما وعدوا به (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) يعنى الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله فى اظهار الايمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم (فهل عسيتم) أى فلعلكم (ان توليتم) يعنى اعرضتم عن سماع القرآن وفارقتم احكامه (ان تفسدوا فى الارض) يعنى تعودوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الفساد فى الارض بالمعصية والبغى وسفك الدم وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام (وتقطعوا أرحامكم) قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن (ق) عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو معقد الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به والاخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم مبرة الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللائذ المستجير قال القاضى عياض الرحم التى توصل وتقطع وتبر انما هى معنى من المعانى وليست بجسم وانما هى قرابة ونسب يجمعه رحم والده فيتصل بعضه ببعض فسمى ذلك الاتصال رحما والمعانى لا يتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب فى استعمال ذلك والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصليها وعظيم اثم قاطعها ولهذا سمى العقوق قطعا كانه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز ان يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بأمر الله عز وجل هذا كلام القاضى عياض فى معنى هذا الحديث والله اعلم وقيل فى الآية فى قوله ان توليتم هو من الولاية يعنى فهل عسيتم ان توليتم امر الناس ان تفسدوا فى الارض يعنى بالظلم وتقطعوا أرحامكم ومعنى الاستفهام فى قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم الافساد فان قلت عسى طمع وترج وتوقع وذلك على الله محال لانه تعالى عالم بكل شئ فما معناه قلت قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجى المبتلى وقال بعضهم معناه كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك وقال الزمخشرى معناه انه لما عهد منكم احقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم فى الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا (أولئك) اشارة الى من اذا تولى أفسد فى الارض وقطع الارحام (الذين لعنهم الله) يعنى أبعدهم من رحمته وطردهم عن جنته (فأصمهم) يعنى عن سماع الحق (وأعمى أبصارهم) يعنى عن طريق الهدى وذلك انهم لما سمعوا القرآن فلم يفهموه

نظر المغشى عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من اصابته الغشية عند الموت (فأولى لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو افعل من الولى وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أى طاعة وقول معروف خير لهم (فاذا عزم الامر) فاذا جدّ الامر ولزمهم فرض القتال (فلو صدقوا الله) فى الايمان والطاعة (لكان) الصدق (خيرا لهم) من كراهة الجهاد ثم التفت من الغيبة الى الخطاب بضرب من التوبيخ والارهاب فقال (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم) فلعلكم ان أعرضتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته ان ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وخبر عسى ان تفسدوا والشرط اعتراض بين الاسم والخبر والتقدير فهل عسيتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم ان توليتم (أولئك) اشارة الى المذكورين (الذين لعنهم الله) ابعدهم عن رحمته (فأصمهم) عن استماع الموعظة (وأعمى أبصارهم) عن ابصارهم طريق الهدى

ولم يؤمنوا به وأبصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمى وان كان لهم اسماع وابصار في الظاهر (أفلا يتدبرون القرآن) يعنى يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره واصل التدبر التفكر في عاقبة الشئ ومايؤول اليه أمره وتدبر القرآن لا يكون الامع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية (أم على قلوب أقفالها) يعنى بل على قلوب أقفالها القفل مثل لكل مانع للانسان من تعاطى فعل الطاعة يقال فلان مقفل عن كذا بمعنى ممنوع منه فان قلت اذا كان الله تعالى قد اصمهم واعمى ابصارهم وقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القرآن مع هذه الموانع الشديدة قلت تكليف مالا يطاق جائز عندنا لان الله أمر بالايمان لمن سبق في علمه انه لا يؤمن فكذلك هنا والله يفعل مايريد لا اعتراض لاحد عليه وقيل ان قوله أفلا يتدبرون القرآن المراد به التأسى وقيل ان هذه الآية محققة للآية المتقدمة وذلك ان الله تعالى لما قال أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى أبصارهم فكان قوله أفلا يتدبرون القرآن كالتهييج لهم على ترك ماهم فيه من الكفر الذى استحقوا بسببه اللعنة أو كالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر والله أعلم بمراده وروى البغوى باسناد الثعلبى عن عروة بن الزبير قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فقال شاب من أهل اليمن بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها او يفرجها فمازال الشاب فى نفس عمر حتى ولى فاستعان به هذا حديث مرسل وعروة بن الزبير تابعى من كبار التابعين واجلهم لم يدرك النبى صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة اثنتين وعشرين وقيل غير ذلك قوله عز وجل (ان الذين ارتدوا على أدبارهم) يعنى رجعوا القهقرى كفارا (من بعد ماتبين لهم الهدى) يعنى من بعد ماوضح لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ماعرفوه ووجدوا نعته فى كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدى هم المنافقون آمنوا أولا ثم كفروا ثانيا (الشيطان سول لهم) يعنى زين لهم القبيح حتى رأوه حسنا (وأملى لهم) قرئ بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء على مالم يسم فاعله يعنى أمهلوا ومد لهم فى العمر وقرئ وأملى لهم بفتح الالف واللام بمعنى وأملى لهم الشيطان بان مد لهم فى الامل فان قلت الاملاء والامهال لا يكونان الا من الله لانه الفاعل المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب اهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت ان المسول والمملى هو الله تعالى فى الحقيقة وليس للشيطان فعل وانما اسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم فى آجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى آخر العمر (ذلك) اشارة الى التسويل والاملاء (بانهم) يعنى بان أهل الكتاب أو المنافقين (قالوا للذين كرهوا مانزل الله) وهم المشركون (سنطيعكم فى بعض الامر) يعنى من التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك الجهاد معه والقعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا فأخبر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم قال (والله يعلم أسرارهم) يعنى انه تعالى لا تخفى عليه خافية من أمرهم (فكيف اذا توفتهم الملائكة) يعنى فكيف يكون حالهم اذا توفتهم الملائكة (يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك) يعنى ذلك الضرب (بانهم) يعنى بسبب انهم (اتبعوا ما أسخط الله) يعنى ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم (وكرهوا رضوانه) يعنى كرهوا مافيه رضوان الله عز وجل وهو الايمان والطاعة والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فأحبط أعمالهم) التى عملوها من أعمال البر لانها لم تكن لله ولا بأمره (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق وهم المنافقون (ان لن يخرج الله أضغانهم) يعنى يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرف المؤمنون نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم) لما قال تعالى أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم فكان قائلا قال لم يخرج اضغانهم ويظهرها فأخبر

تعالى

(أفلا يتدبرون القرآن) فيعرفوا مافيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصى (أم على قلوب أقفالها) بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر ونكرت القلوب لان المراد على قلوب قاسية مبهم أمرها فى ذلك والمراد بعض القلوب وهى قلوب المنافقين واضيفت الاقفال الى القلوب لان المراد الاقفال المختصة بها وهى اقفال الكفر التى استغلقت فلا تنفتح نحو الرين والختم والطبع (ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى) أى المنافقون رجعوا الى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم (الشيطان سول) زين (لهم) جملة من مبتدا وخبر وقعت خبر الان نحو ان زيدا عمرو مر به (وأملى لهم) ومد لهم فى الآمال والامانى وأملى ابو عمرو أى امهلوا ومد فى عمرهم (ذلك) بأنهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله) اى المنافقون قالوا لليهود (سنطيعكم فى بعض الامر) أى عداوة محمد والقعود عن نصرته (والله يعلم اسرارهم) على المصدر من اسر حمزة وعلى وحفص أسرارهم غيرهم جمع سر (فكيف اذا توفتهم الملائكة) أى فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ (يضربون وجوههم وأدبارهم) عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الا يضرب من الملائكة فى وجهه ودبره (ذلك) اشارة الى التوفى الموصوف (بأنهم) بسبب انهم (اتبعوا ما أسخط الله) من معاونة الكافرين (وكرهوا رضوانه) من نصرة المؤمنين (فأحبط أعمالهم أم حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله أضغانهم) احقادهم والمعنى اظن المنافقون ان الله تعالى لا يبرز بغضهم وعداوتهم للمؤمنين (ولو نشاء لأريناكهم) لعرفناكهم ودللناك عليهم (فلعرفتهم بسيماهم) بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن أنس رضى الله عنه ماخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية أحد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم

تعالى انه انما أخر ذلك لمحض المشيئة لا لخوف منهم فقال تعالى ولو نشاء لاريناكهم لا مانع لنا من ذلك والاراءة بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم لزيادة فائدة وهي ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان المعنى هنا عرفنا كهم تعريفا تعرفهم به ففيه اشارة الى قوة ذلك التعريف الذي لا يقع معه اشتباه وقوله بسيماهم يعني بعلامتهم أي نجعل لك علامة تعرفهم بها قال أنس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم في لحن القول) يعني في معنى القول وفحواه ومقصده وللحن معنيان صواب وخطأ صرف الكلام وازالته عن التصريح الى المعنى والتعريض وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم الحن بحجته من بعض واليه قصد بقوله ولتعرفنهم في لحن القول واما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب الى الخطا بازالة الاعراب أو التصحيف ومعنى الآية وانك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين أمرك وأمر المسلمين وتقبيحه والاستهزاء به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ثم قال تعالى (والله يعلم أعمالكم) يعني أعمال جميع عباده فيجازي كلا على قدر عمله قوله تعالى (ولنبلونكم) يعني ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها ووجودها (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) يعني انا نأمركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر منكم و يصبر من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم أي علم الوجود والظهور (ونبلوا أخباركم) يعني نظهرها ونكشفها ليتبين من يأبى القتال ولا يصبر على الجهاد (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) يعني خالفوه فيما يأمرهم به من الجهاد وغيره (من بعد ما تبين لهم الهدى) يعني من بعد ما ظهر لهم ادلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم (لن يضروا الله شيئا) يعني انما يضرون انفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك (وسيحبط أعمالهم) يعني وسيبطل أعمالهم فلا يرون لها ثوابا في الآخرة لانها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) لما ذكر الله عز وجل الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (ولا تبطلوا أعمالكم) قال عطاء يعني بالشرك والنفاق والمعنى دوموا على ما أنتم عليه من الايمان والطاعة ولا تشركوا فتبطل أعمالكم وقيل لا تبطلوا أعمالكم بترك طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كما بطل أهل الكتاب أعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبي لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والسمعة لان الله لا يقبل من الاعمال الا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصي والكبائر قال ابو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضرهم مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا من الكبائر بعد ان تحبط أعمالهم واستدل بهذه الآية من يرى احباط الطاعات بالمعاصي ولا حجة لهم فيها وذلك لان الله تعالى يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فالله تعالى اعدل واكرم من ان يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروي عن ابن عمر انه قال كنا نرى انه لا شيء من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن ذلك القول وكنا نخاف على من أصاب الكبيرة ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الآية من لا يرى ابطال النوافل حتى لو دخل في صلاة تطوع أو صوم تطوع لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم في الآية ولا حجة لان السنة مبينة للكتاب وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم أصبح صائما فلما رجع الى البيت وجد حيسا فقال لعائشة قربيه

(ولتعرفنهم في لحن القول) في نحوه واسلوبه الحسن من فحوى كلامهم لانهم كانوا لا يقدرون على كتمان ما في انفسهم واللام في فلعرفتهم داخلة في جواب لو كالتي في لاريناكهم كررت في المعطوف واما اللام في ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف (والله يعلم أعمالكم) فيميز خيرها من شرها (ولنبلونكم) بالقتال اعلاما لا استعلاما او نعاملكم معاملة المختبر ليكون ابلغ في اظهار العدل (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على الجهاد اي نعلم كائنا ما علمناه انه سيكون (ونبلوا أخباركم) أسراركم وليبلونكم حتى يعلم ويبلوا ابو بكر وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه يعني المطعمين يوم بدر وقد مر (من بعد ما تبين لهم الهدى) من بعد ما ظهر لهم انه الحق وعرفوا الرسول (لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم) التي عملوها في مشاقة الرسول أي سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بالنفاق او بالرياء

ذلقد أصبحت صائمًا فا كل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفى الصحيحين أيضا ان سلمان زار ابا الدرداء فصنع له طعاما فلما اقربه اليه قال كل فانى صائم قال لست بآكل حتى تأكل فأكل معه وقال مقاتل فى معنى الآية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل أعمالكم نزلت فى بنى أمية وسنذكر القصة فى تفسير سورة الحجرات ان شاء الله تعالى (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر لهم) قيل نزلت فى أهل القليب وهم أبو جهل واصحابه الذين قتلوا ببدر والقول فى قليب بدر وحكمها عام فى كل كافر مات على كفره فالله لا يغفر له لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء (فلا تهنوا) الخطاب فيه لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعنى فلا تضعفوا أيها المؤمنون (وتدعوا الى السلم) يعنى ولا تدعوا الكفار الى الصلح أبدا منع الله المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وامرهم بحربهم حتى يسلموا (وأنتم الاعلون) يعنى وانتم الغالبون لهم والعالون عليهم أخبر الله تعالى ان الامر للمسلمين والنصرة والغلبة لهم عليهم وان غلبوا المسلمين فى بعض الاوقات (والله معكم) يعنى بالنصر والمعونة ومن كان الله معه فهو العالى الغالب (ولن يتركم اعمالكم) يعنى لن ينقصكم شيئا من ثواب أعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم اجورها ثم حض على الآخرة بذم الدنيا فقال تعالى (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) أى باطل وغرور يعنى كيف تمنعكم الدنيا عن طلب الآخرة وقد علمتم ان الدنيا كلها لعب ولهو الا ما كان منها فى عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب ما يشغل الانسان وليس فيه منفعة فى الحال ولا فى المآل ثم اذا استعمله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه أشغاله المهمة فهو اللعب وان اشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) يعنى يؤتكم أجور أعمالكم فى الآخرة (ولا يسألكم أموالكم) يعنى ان الله تعالى لا يسأل من العباد اموالهم لابتغاء الاجر عليها بل يأمرهم بالايمان والتقوى والطاعة ليثيبهم عليها الجنة وقيل معناه ولا يسألكم محمد صلى الله عليه وسلم أموالكم وقيل معناه لا يسألكم الله و رسوله صلى الله عليه وسلم اموالكم كلها فى الصدقات انما يسألكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من أموالكم وهو زكاة أموالكم ثم ترد عليكم ليس لله ورسوله فيها حاجة انما فرضها الله تعالى فى أموال الاغنياء وردها على الفقراء فطيبوا باخراج الزكاة انفسكم والى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (ان يسألكموها) الضمير عائد الى الاموال (فيحفكم) يعنى يجهدكم ويطلبها كلها والاحفاء المبالغة فى المسئلة وبلوغ الغاية فى كل شئ يقال أحفاه فى المسئلة اذا لم يترك شيئا من الالحاح (يبخلوا) يعنى بالمال فلا تعطوه (ويخرج أضغانكم) يعنى بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم الله ان الاحفاء بمسئلة الاموال مخرج للاضغان (ها أنتم هؤلاء) يعنى أنتم يا هؤلاء المخاطبون الموصوفون ثم استأنف وصفهم فقال تعالى (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) قيل أراد به النفقة فى الجهاد والغزو وقيل المراد به اخراج الزكاة وجميع وجوه البر والكل فى سبيل الله (فمنكم من يبخل) يعنى بما فرض عليه اخراجه من الزكاة أو ندب الى انفاقه فى وجوه البر (ومن يبخل) يعنى بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضر بخله وهو قوله تعالى (فانما يبخل عن نفسه) أى على نفسه (والله الغنى) يعنى عن صدقاتكم وطاعاتكم لانه الغنى المطلق الذى له ملك السموات والارض (وأنتم الفقراء) يعنى اليه والى ما عنده من الخيرات والثواب فى الدنيا والآخرة (وان تتولوا) يعنى عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن القيام بما أمركم به والزمكم اياه (يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم) يعنى يكونون أطوع لله ورسوله صلى الله عليه وسلم منكم قال الكلبى هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا واصحابه أخرجه الترمذى

(ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) قيل هم أصحاب القليب والظاهر العموم (فلا تهنوا) فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو (وتدعوا الى السلم) وبالكسر حمزة وابو بكر وهما المسالمة أى ولا تدعوا الكفار الى الصلح (وأنتم الاعلون) اى الاغلبون وتدعوا مجزوم لدخوله فى حكم النهى (والله معكم) بالنصرة اى ناصركم (ولن يتركم أعمالكم) ولن ينقصكم اجر اعمالكم (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) تنقطع فى اسرع مدة (وان تؤمنوا) بالله ورسوله (وتتقوا) الشرك (يؤتكم أجوركم) ثواب ايمانكم وتقواكم (ولا يسألكم أموالكم) اى لا يسألكم جميعها بل ربع العشر والفاعل الله او الرسول وقال سفيان ابن عيينة غيضا من فيض (ان يسألكموها فيحفكم) اى يجهدكم و يطلبه كله والاحفاء المبالغة و بلوغ الغاية فى كل شئ يقال احفاه فى المسئلة اذا لم يترك شيئا من الالحاح واحفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا ويخرج) اى الله أو البخل (أضغانكم) عند الامتناع أو عند سؤال الجميع لان عند مسئلة المال تظهر العداوة والحقد (ها أنتم) ها للتنبيه (هؤلاء) موصول بمعنى الذين صلته (تدعون) اى أنتم الذين تدعون (لتنفقوا فى سبيل الله) هى النفقة فى الغزو والزكاة كانه قيل الدليل على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء انكم تدعون الى اداء ربع العشر (فمنكم من يبخل) بالرفع لان من هذه ليست للشرط اى فمنكم ناس يبخلون به (ومن يبخل) بالصدقة واداء الفريضة (فانما يبخل عن نفسه) اى يبخل عن داعى نفسه لا عن داعى ربه وقيل يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه (والله الغنى وأنتم الفقراء) اى انه لا يأمر بذلك لحاجته اليه لانه غنى عن الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب (وان تتولوا) وان تعرضوا أيها العرب عن طاعته وطاعة رسوله والانفاق فى سبيله وهو معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا (يستبدل قوما غيركم) يخلق قوما خيرا منكم واطوع وهم فارس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لناله رجال من فارس (ثم لا يكونوا أمثالكم) اى ثم لا يكونوا فى الطاعة أمثالكم بل اطوع منكم

وقال

وقال حديث غريب وفي اسناده مقال وله في رواية أخرى عن أبي هريرة قال قال ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله عز وجل ان تولينا استبدلوا منا ثم لا يكونوا أمثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا واصحابه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق في الصحيح ترد في سورة الجمعة ان شاء الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

(تفسير سورة الفتح وهي مدنية)

(خ) عن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض اسفاره وعمر بن الخطاب كان يسير معه ليلا فسأله عمر عن شئ فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك أمك يا عمر كررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت امام الناس وخشيت ان ينزل في قرآن فالبثت ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت ان يكون نزل في قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد أنزل على الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا واخرجه الترمذي وزاد فيه وكان في بعض اسفاره بالحديبية (ق) عن أنس قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدى بالحديبية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على آية هي احب الي من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخاري انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا مريئا فما لنا فأنزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له فقال اما انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن أنس واما هنيئا مريئا فعن عكرمة واخرجه الترمذي عن قتادة عن أنس قال أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على الليلة آية أحب الي مما على الارض ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يا رسول الله لقد بين لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (انا فتحنا لك فتحا مبينا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى انا قضينا وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا بغير قتال ولا تعب واختلفوا في هذا الفتح فروى قتادة عن انس انه فتح مكة وقال مجاهد انه فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التي يفتحها الله عز وجل له فان قلت على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت بعد فكيف قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضي قلت انما قال فتحنا بلفظ الماضي جريا على عادة الله تعالى في أخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة كانه تعالى قال انا فتحنا لك في حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو كائن لا محالة وقال أكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو رواية عن أنس ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عز وجل ويسره وسهله بقدرته ولطفه عن البراء قال تعدون انتم الفتح فتح مكة ولقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا فتحنا لك فتحا مبينا) الفتح الظفر بالبلدة عنوة أو صلحا بحرب او بغير حرب لانه مغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به فقد فتح ثم قيل هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي لانها في تحققها بمنزلة الكائنة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر عنه ما لا يخفى وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة فرموا المسلمون المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وسألوا الصلح فكان فتحا مبينا وقال الزجاج كان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه في البئر فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس وقيل هو فتح خيبر وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة ان تدخلها أنت واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة

شغفرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا وما شئنا وركابنا وقال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدى محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم فاسلم في ثلاث سنين خلق كثير فعز الاسلام بذلك واكرم الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي والمعنى فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسن ابن الفضل هو مردود الى قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات وقال ابن جرير هو راجع الى قوله في سورة النصر واستغفره انه كان توابا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الامور الاربعة المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنا لك ذنبك وهديناك صراطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين واغراض العاجل والآجل وقيل يجوز ان يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد للعدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الآية ليغفر لك الله جميع ما فرط منك ما تقدم من ذنبك يعني قبل النبوة وما تأخر يعني بعدها وهذا على قول من يجوز الصغائر على الانبياء وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر من ذنوب أمتك بدعائك لهم وقال سفيان الثوري ما تقدم من ذنبك مما كان منك قبل النبوة وما تأخر يعني كل شيء لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التأكيد كما تقول أعط من تراه ومن لم تره واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ما وقع لك من ذنب وما لم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان من سهو وغفلة وتأول لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب منها ما عسى ان يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيئات المقربين فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فأعلمه الله عز وجل بذلك وانه مغفور له ليتم نعمته عليه وهو قوله تعالى (ويتم نعمته عليك) يعني بالنبوة وما أعطاك من الفتح والنصر والتمكين (ويهديك صراطا مستقيما) يعني ويهديك الى صراط مستقيم وهو الاسلام ويثبتك عليه والمعنى ليجمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهدي بك الى صراط مستقيم (وينصرك الله نصرا عزيزا) يعني غالبا ذا عز ومنعة وظهور على الاعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالى فان قلت وصف الله تعالى النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور وصاحب النصر فما معناه قلت معناه ذا عزة كقوله عيشة راضية أي ذات رضا وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال هذا كلام صادق كما يقال متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف ايجازا واختصارا وقيل انما يحتاج الى هذه التقديرات اذا كانت العزة من الغلبة والعزيز الغالب اما اذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل والعديم النظير فلا يحتاج الى هذه التقديرات لان النصر الذي هو من الله تعالى عزيز في نفسه لكونه من الله تعالى فصح وصف كونه نصرا عزيزا قوله تعالى (هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين) يعني الطمأنينة والوقار في قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة في القرآن طمأنينة الا التي في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في موضعها ولما قال الله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه تعالى جعل السكينة التي هي الطمأنينة والثبات في قلوب المؤمنين ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند اللقاء في الحروب وغيرها فكان ذلك من اسباب النصر

(ليغفر لك الله) قيل الفتح ليس بسبب للمغفرة والتقدير انا فتحنا لك فتحا مبينا فاستغفر ليغفر لك الله ومثله اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران وقيل الفتح لم يكن ليغفر له بل لتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز ولكنه لما عدد عليه هذه النعم وصلها بما هو اعظم النعم كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة او كذا ليجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) يريد جميع ما فرط منك أو ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد (ويتم نعمته عليك) باعلاء دينك وفتح البلاد على يدك (ويهديك صراطا مستقيما) ويثبتك على الدين المرضي (وينصرك الله نصرا عزيزا) قويا منيعا لا ذل بعده أبدا (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين

الذى وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) وذلك انه جعل السكينة والطمأنينة فى قلوب المؤمنين سببا لزيادة الايمان فى قلوبهم وذلك انه كلما ورد عليهم أمر أونهى آمنوا به وعملوا بمقتضاه فكان ذلك زيادة فى ايمانهم وقال ابن عباس بعث الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما آمنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى اكمل دينهم فكلما أمروا بشئ وصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقال الكلبى هذا فى أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل لما آمنوا بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله عز وجل وآمنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وآمنوا بالفروع وهى جميع التكاليف البدنية والمالية كان ذلك زيادة فى ايمانهم (ولله جنود السموات والارض) لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المؤمنون فى قلة من العدد والعدد فكأن قائلا قال كيف ينصره فاخبره الله عز وجل ان له جنود السموات والارض وهو قادر على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على ان يهلك عدوه بصيحة ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل أنزل سكينة فى قلوبكم أيها المؤمنون ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاك اعدائه على ايديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفى جنود السموات والارض وجوه الاول انهم ملائكة السموات والارض الثانى ان جنود السموات الملائكة وجنود الارض جميع الحيوانات الثالث ان جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك (وكان الله عليما) يعنى بجميع جنوده الذين فى السموات والارض (حكيما) يعنى فى تدبيرهم وقيل عليما بما فى قلوبكم أيها المؤمنون حكيما حيث جعل النصر لكم على اعدائكم قوله عز وجل (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار) يستدعى سابقا تقديره هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه وحكمته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار وقد تقدم ماروى عن أنس انه لما نزل قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال الصحابة هنيئا مريئا قد بين الله تعالى ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله عز وجل الآية التى بعدها ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار (خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم) فان قلت تكفير السيئات انما يكون قبل دخولهم الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة قلت الواو لا تقتضى الترتيب وقيل ان تكفير السيئات والمغفرة من توابع كون المكلف من أهل الجنة فقدم الادخال بالذكر بمعنى انه من أهل الجنة (وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) يعنى ان ذلك الادخال والتكفير كان فى علم الله تعالى فوزا عظيما (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) يعنى المنافقين والمنافقات من أهل المدينة والمشركين والمشركات من أهل مكة وانما قدم المنافقين على المشركين هنا وفى غيره من المواضع لان المنافقين كانوا أشد على المؤمنين من الكافرين لان الكافر يمكن أن يحترز منه ويجاهد لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن أن يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره أكثر من شر الكافر فكان تقديم المنافق بالذكر أولى (الظانين بالله ظن السوء) يعنى انهم ظنوا ان الله تعالى لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) يعنى عليهم دائرة العذاب والهلاك (وغضب الله عليهم) زيادة فى تعذيبهم وهلاكهم (ولعنهم) يعنى وأبعدهم وطردهم عن رحمته (وأعد لهم جهنم) يعنى فى الآخرة (وساءت مصيرا) يعنى ساءت جهنم منقلبا (ولله جنود السموات والارض) تقدم تفسيره بقى ما فائدة التكرير ولم قدم ذكر جنود السموات والارض على ادخال المؤمنين الجنة ولم أخر ذكر جنود السموات والارض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فائدة التكرار للتأكيد وجنود السموات

ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) السكينة للسكون كالبهيتة
للبهتان أى أنزل الله فى قلوبهم السكون
والطمأنينة بسبب الصلح ليزدادوا يقينا على
يقينهم وقيل السكينة الصبر على ما أمر الله
والثقة بوعد الله والتعظيم لامر الله (ولله جنود
السموات والارض وكان الله عليما حكيما
ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من
تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم
وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات) أى ولله
جنود السموات والارض يسلط بعضها على
بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان
سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم
ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون
نعمة الله و يشكروها فيثيبهم ويعذب الكافرين
والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه (الظانين
بالله ظن السوء) وقع السوء عبارة عن رداءة
وفساد يقال فعل سوء أى مسخوط فاسد والمراد
ظنهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين
ولا يرجعهم الى مكة ظاهرين فاتحيها عنوة وقهرا
(عليهم دائرة السوء) مكى وأبو عمرو أى ما يظنونه
و يتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم
والسوء الهلاك والدمار وغيرهما دائرة السوء
بالفتح اى الدائرة التى يذمونها ويسخطونها
والسوء والسوء كالكره والكره والضعف
والضعف الا ان المفتوح غلب فى ان يضاف اليه
ما يراد ذمه من كل شئ وأما السوء فجار مجرى
الشر الذى هو نقيض الخير (وغضب الله عليهم
ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) جهنم
(ولله جنود السموات والارض) فيدفع كيد
من عادى نبيه عليه السلام والمؤمنين بما شاء منها

والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال
المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة
افضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شئ وأخر ذكر جنود السموات
والارض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم أبدا فان قلت
قال فى الآية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال فى هذه الآية (وكان الله عزيزا حكيما) فما معناه
قلت لما كان فى جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المؤمنين
ناسب أن تكون خاتمة الآية الاولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ فى وصف تعذيب الكافر والمنافق
وشدته ناسب ان تكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله أليس الله بعزيز ذى
انتقام وقوله أخذناهم أخذ عزيز مقتدر قوله تعالى (انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) الخطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم ذكره فى معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة و بعثه الى الكافة شاهدا
على اعمال أمته ومبشرا يعنى لمن آمن به وأطاعه بالثواب ونذيرا يعنى لمن خالفه وعصى أمره بالعقاب
ثم بين فائدة الارسال فقال تعالى (ليؤمنوا بالله و رسوله) فالضمير فيه للناس المرسل اليهم (ويعزروه)
يعنى ويقووه وينصروه والتعزير نصر مع تعظيم (ويوقروه) يعنى ويعظموه والتوقير التعظيم والتبجيل
(ويسبحوه) من التسبيح الذى هو التنزيه من جميع النقائص أو من السبحة وهى الصلاة قال الزمخشرى
والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله تعالى تعزير دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن فرق الضمائر
فقد أبعد وقال غيره الكنايات فى قوله ويعزروه ويوقروه راجعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعندها
تم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف تام ثم يبتدئ بقوله ويسبحوه (بكرة وأصيلا) على ان الكناية
فى ويسبحوه راجعة الى الله تعالى يعنى ويصلوا لله او ويسبحوا الله بالغداة والعشى قوله عز وجل (ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله) يعنى ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على ان لا يفروا انما
يبايعون الله لانهم باعوا أنفسهم من الله عز وجل بالجنة وأصل البيعة العقد الذى يعقده الانسان على
نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذى التزمه له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية
وهى قرية ليست بكبيرة بينها و بين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة سميت ببئر هناك وقد جاء فى الحديث
ان الحديبية بئر قال مالك هى من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز فى الحديبية التخفيف
والتشديد والتخفيف أفصح وعامة المحدثين يشددونها (ق) عن يزيد بن عبيد قال قلت لسلمة بن
الاكوع على أى شئ بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت (م) عن معقل بن يسار
قال لقد رأيتنى يوم الشجرة والنبى صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من اغصانها عن
رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال العلماء لا منافاة
بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الاكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين
يديه حتى يقتلوا أو ينتصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على ان لا يفروا (خ) عن ابن عمر قال ان
الناس كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا فى ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبى
صلى الله عليه وسلم فقال يعنى عمر يا عبد الله انظر ما شأن الناس أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع وقوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) قال ابن
عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم وقال السدى كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق أيديهم كذا نقله البغوى عنه وقال الكلبى نعمة الله عليهم فى الهداية
فوق ما صنعوا من البيعة وقال الامام فخر الدين الرازى يد الله فوق أيديهم يحتمل وجوها وذلك لان
اليد فى الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد واما ان تكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان
أحدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان

وثانيهما

(وكان الله عزيزا) غالبا فلا يرد بأسه (حكيما)
(انا أرسلناك شاهدا) تشهد على أمتك
(ومبشرا) للمؤمنين
يوم القيامة وهذه حال مقدرة
بالجنة (ونذيرا) للكافرين من النار (لتؤمنوا
بالله ورسوله) والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولامته (وتعزروه) وتقووه بالنصر
(وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) من التسبيح
أو من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد
بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق
الضمائر فجعل الاوليين للنبى صلى الله عليه وسلم
فقد ابعد ليؤمنوا ومكى وأبو عمرو والضمير للناس
وكذا الثلاثة الاخيرة بالياء عندهما (بكرة)
صلاة الفجر (وأصيلا) الصلوات الاربع
(ان الذين يبايعونك) أى بيعة الرضوان ولما
قال (انما يبايعون الله) اكده تأكيدا على
طريقة التخييل فقال (يد الله فوق أيديهم)
يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التى
تعلو أيدى المبايعين هى يد الله والله منزه عن
الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى
تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع
الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع
الرسول فقد أطاع الله وانما يبايعون الله
خبران

(فمن نكث) نقض العهد ولم يف بالبيعة (فانما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت بطن بعيره ولم يسر مع القوم (ومن أوفى بما عاهد) يقال وفيت بالعهد وأوفيت به ومنه قوله أوفوا بعهد الله والموفون بعهدهم (عليه الله) حفص (فسيؤتيه) وبالنون حجازى وشامى (أجرا عظيما) الجنة (سيقول لك) اذا رجعت من الحديبية (المخلفون من الاعراب) هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم واشجع والديل وذلك انه عليه السلام حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة (شغلتنا أموالنا وأهلونا) هى جمع أهل اعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وانه ليس لهم من يقوم بأشغالهم (فاستغفر لنا) ليغفر لنا الله تخلفنا عنك (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم) تكذيب لهم فى اعتذارهم وان الذى خلفهم ليس ما يقولون وانما هو الشك فى الله والنفاق فطلبهم الاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة (قل فمن يملك لكم من الله شيئا) فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (ان أراد بكم ضرا) ما يضركم من قتل أو هزيمة ضرا حمزة وعلى (أو أراد بكم نفعا) من غنيمة وظفر (بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك فى قلوبكم) زينه الشيطان (وظننتم ظن السوء) من علو الكفر وظهور الفساد (وكنتم قوما بورا) جمع بائر كعائذ وعوذ من بار الشئ هلك وفسد أى وكنتم قوما فاسدين فى أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين) أى لهم فأقيم الظاهر مقام الضمير للايذان بأن من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله والايمان برسوله فهو كافر ونكر (سعيرا) لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى (ولله ملك السموات والارض) يدبره تدبير قادر حكيم (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) يغفر ويعذب بمشيئته وحكمته المغفرة

وثانيهما يد الله فوق ايديهم أى نصرته اياهم أقوى واعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان أى الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا انها بمعنيين فنقول اليد فى حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفى حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق أيديهم بالحفظ وقال الزمخشرى لما قال انما يبايعون الله اكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تعلو أيدى المبايعين هى يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله عز وجل من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله هذا مذهب اهل التأويل وكلامهم فى هذه الآية ومذهب السلف السكوت عن التأويل وامرار آيات الصفات كما جاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل وقوله تعالى (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) يعنى فمن نقض العهد الذى عقده مع النبي صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فان وبال ذلك وضره يرجع اليه ولا يضر الا نفسه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) يعنى من البيعة (فسيؤتيه أجرا عظيما) يعنى فى الآخرة وهو الجنة قوله تعالى (سيقول لك المخلفون من الاعراب) قال ابن عباس ومجاهد يعنى اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع والنخع واسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق الهدى ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فأنزل الله تعالى فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الاعراب الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف عنك (شغلتنا أموالنا واهلونا) يعنى النساء والذرارى يعنى لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذا تخلفنا عنك (فاستغفر لنا) أى انا مع عذرنا معترفون بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فأكذبهم الله تعالى فقال (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم) يعنى انهم فى طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون أستغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم أم لا (قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا) يعنى سوءا (او اراد بكم نفعا) وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر أو يعجل لهم النفع بالسلامة لهم فى أنفسهم وأموالهم فأخبرهم الله عز وجل انه ان أراد شيئا من ذلك لم يقدر احد على دفعه (بل كان الله بما تعملون خبيرا) يعنى من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار واخفائكم النفاق (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) يعنى ظننتم ان العدو يستأصلهم فلا يرجعون الى اهليهم (وزين ذلك فى قلوبكم) يعنى زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان قد يوسوس فى قلب الانسان بالشئ ويزينه له حتى يقطع به (وظننتم ظن السوء) يعنى وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة رأس يريدون بذلك قلتهم فلا يرجعون فأين تذهبون معهم انظروا ما يكون من أمرهم (وكنتم قوما بورا) يعنى وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بائرين هالكين (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضى بصاحبه الى الكفر حرضهم على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر وانا أعتدنا للكافرين سعيرا (ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء اخبر ان له ملك السموات والارض ومن كان

كذلك فهو يغفر لمن يشاء بمشيئته و يعذب من يشاء ولكن غفرانه ورحمته أعم واشمل وأتم وا كمل واليه الاشارة بقوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما) قوله عز وجل (سيقول المخلفون) يعنى الذين تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم) يعنى اذا سرتم وذهبتم ايها المؤمنون (الى مغانم لتأخذوها) يعنى غنائم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيئا وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم اهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا (ذرونا نتبعكم) يعنى الى خيبر فنشهد معكم قتال أهلها وفى هذا بيان كذب المخلفين عن الحديبية حيث قالوا اشغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لهم هنالك طمع فى غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع فى الغنيمة (يريدون ان يبدلوا كلام الله) يعنى يريدون ان يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر لهم خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعنى أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث أمره ان لا يسير منهم أحدا الى خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالى فان استأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا والقول الاول اصوب (قل) أى قل لهم يا محمد (لن تتبعونا) يعنى الى خيبر (كذلكم قال الله من قبل) يعنى من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب (فسيقولون بل تحسدوننا) يعنى يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنائم شيئا (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) يعنى لا يعلمون ولا يفهمون من الله مالهم وعليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله قوله عز وجل (قل للمخلفين من الاعراب) لما قال الله للنبى صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من ترجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه فجعل الله عز وجل لقبول توبتهم علامة وهى انهم يدعون الى قوم اولى بأس شديد فان اطاعوا كانوا من المؤمنين و يؤتيهم الله أجرا حسنا وهو الجنة وان تولوا وأعرضوا عما دعوا اليه كانوا من المنافقين و يعذبهم عذابا أليما واختلفوا فى المشار اليهم بقوله (ستدعون الى قوم أولى بأس شديد) من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم أهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهرى و جماعة هم بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر رضى الله تعالى عنه الى قتال بنى حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر رضى الله عنه الى قتال فارس وقال ابو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد واقوى هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبعدها قول من قال انهم بنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب اما الدليل على صحة القول الاول فهو ان العرب كان قد ظهر أمرهم فى آخر الامر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا مؤمن نقى ظاهر أو كافر مجاهر واما المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من خالفه من الكفار وكانت هوازن وثقيف من أشد العرب بأسا وكذلك غطفان فاستنفر النبى صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبنى المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعى هو النبى صلى الله عليه وسلم فان قيل هذا ممتنع لوجهين أحدهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معى أبدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهى الوجه الثانى قوله اولى بأس شديد ولم يبق للنبى صلى الله عليه وسلم حرب مع قوم أولى بأس شديد لان الرعب كان قد دخل قلوب العرب كافة فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين أحدهما ان يكون قوله قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معى أبدا مقيد بقيد وهو أن يكون تقديره قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معى أبدا مادمتم على ما أنتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لا بد منه لان من أسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبى صلى الله عليه وسلم الوجه الثانى فى الجواب عن الوجه

الاول

للمؤمنين والتعذيب للكافرين (وكان الله غفورا رحيما) سبقت رحمته غضبه (سيقول المخلفون) الذين تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم الى مغانم) الى غنائم خيبر (لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله) كلام الله حمزة وعلى أى يريدون أن يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا (قل لن تتبعونا) الى خيبر وهو اخبار من الله بعدم اتباعهم ولا يبدل القول لديه (كذلكم قال الله من قبل) من قبل انصرافهم الى المدينة ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية دون غيرهم (فسيقولون بل تحسدوننا) أى لم يأمركم الله به بل تحسدوننا ان نشارككم فى الغنيمة (بل كانوا لا يفقهون) من كلام الله (الا قليلا) الا شيئا قليلا يعنى مجرد القول والفرق بين الاضرابين ان الاول رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثانى اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه (قل للمخلفين من الاعراب) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (ستدعون الى قوم أولى بأس شديد) يعنى بنى حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم أبو بكر رضى الله عنه لان مشركى العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف وقيل هم فارس وقد دعاهم عمر رضى الله عنه

الاول ان المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا يعني في غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يدعهم الى الجهاد معه ومنعهم من الخروج الى الجهاد معه لامتنع ابو بكر وعمر من الاذن لهم في الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعا من أخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من اخذها واما الجواب عن الوجه الثاني وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق له حرب مع قوم اولى بأس شديد فغير مسلم لان الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم أولو بأس شديد فثبت بهذا البيان ان الداعي للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم وأما قول من قال ان ابا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب وان عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر في الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما لان الله تعالى وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار وقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) فيه اشارة الى وقوع أحد الامرين اما الاسلام أو القتل (فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) يعني الجنة (وان تتولوا) يعني تعرضوا عن الجهاد (كما توليتم من قبل) يعني عام الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) يعني النار ولما نزلت هذه الآية قال اهل الزمانة والاعذار كيف حالنا يا رسول الله فأنزل الله عز وجل (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) يعني في التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة في جواز ترك الجهاد لان اصحابها لا يقدرون على الكر والفر لان الاعمى لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفي معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفي معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرون على الكر والفر فهذه اعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك اعذار أخر دون ما ذكر وهي الفقر الذي لا يمكن صاحبه ان يستصحب معه ما يحتاج اليه من مصالح الجهاد والاشغال التي تعوق عن الجهاد كتمريض المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وانما قدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرس ولا غيره بخلاف الاعرج لانه يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذره أشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب (ومن يطع الله ورسوله) يعني في أمر الجهاد وغيره (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول) يعني يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق (يعذبه عذابا أليما) يعني في الآخرة قوله عز وجل (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) يعني بالحديبية على ان يناجزوا قريشا ولا يفروا (تحت الشجرة) وكانت هذه الشجرة سمرة (ق) عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فأتيت ابن المسيب فأخبرته فقال سعيد كان أبي ممن بايع تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها فأنتم أعلم فضحك وفي رواية عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لقد رأيت الشجرة ثم اتيتها بعد عام فلم اعرفها وروي ان عمر مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجرة (خ) عن ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى (م) عن أبي الزبير انه سمع جابرا يسئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه جميعا غير جد بن قيس الانصاري اختفى تحت بطن بعيره زاد في رواية قال بايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت واخرجه الترمذي عن جابر في قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت (ق) عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر ابن عبد الله يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم اليوم خير اهل الارض وكنا الفا

(تقاتلونهم أو يسلمون) أي يكون أحد الامرين اما المقاتلة أو الاسلام ومعنى يسلمون على هذا التأويل ينقادون لان فارس مجوس تقبل منهم الجزية وفي الآية دلالة على صحة خلافة الشيخين حيث وعدهم الثواب على طاعة الداعي عند دعوته بقوله (فان تطيعوا) من دعاكم الى قتاله (يؤتكم الله أجرا حسنا) فوجب ان يكون الداعي مفترض الطاعة (وان تتولوا كما توليتم من قبل) أي عن الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) في الآخرة (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) نفي الحرج عن ذوي العاهات في التخلف عن الغزو (ومن يطع الله ورسوله) في الجهاد وغير ذلك (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول) يعرض عن الطاعة (يعذبه عذابا أليما) ندخله ونعذبه مدني وشامي (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) هي بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها ان النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل بالحديبية بعث جواس بن أمية الخزاعي رسولا الى مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال اني أخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي اياهم فبعث عثمان بن عفان فخبرهم انه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا للبيت موقرا له واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه على ان يناجزوا قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت سمرة وكان عدد المبايعين الفا وأربع مائة

وأربعمائة قال ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كانوا خمس عشرة مائة (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان أصحاب الشجرة ألفا وثلثمائة وكان أسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الآية وكان سبب هذه البيعة على ما ذكر محمد بن اسحاق عن بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا جواس بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعهم الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله اني أخاف على نفسي قريشا وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب انما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل ان يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت ان تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال بكير بن الأشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وقد تقدم عن جابر ومعقل بن يسار انهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر وقد تقدم أيضا الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الأكوع بايعناه على الموت وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجلا من بني أسد يقال له أبو سنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان أحد من المسلمين حضرها الا الجد بن قيس أخو بني سلمة قال جابر فكأني أنظر اليه لاصقا بابط ناقته يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي ذكر من أمر عثمان باطل (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الأحمر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقوله تعالى (فعلم ما في قلوبهم) يعني من الصدق والاخلاص والوفاء كما علم ما في قلوب المنافقين من المرض والنفاق (فأنزل السكينة) يعني الطمأنينة (عليهم) يعني على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت وعلى ان لا يفروا وفي هذه الآية لطيفة وهي ان هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عز وجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالى في الآية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فثبت بهذا البيان ان أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة ويشهد لصحة ما قلناه الحديث المتقدم فان قلت الفاء في فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضا لانه تعالى علم ما في قلوبهم من الصدق والايمان فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في قوله فعلم ما في قلوبهم قلت قوله فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك فيكون تقديره لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق اشارة الى ان الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التي عندها علم الله بصدقهم والفاء في قوله فأنزل السكينة للتعقيب لانه تعالى لما علم ما في قلوبهم رضي عنهم فأنزل السكينة عليهم وقوله تعالى (وأثابهم فتحا قريبا) يعني خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعني من أموال أهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار وأموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (وكان الله عزيزا) يعني منيعا كامل العزة غنيا عن اعانتكم (حكيما) حيث حكم لكم بالغنائم

ولأعدائكم

(فعلم ما في قلوبهم) من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه (فأنزل السكينة) أي الطمأنينة والامن بسبب الصلح (عليهم) (وأثابهم) وجازاهم (فتحا قريبا) هو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة (ومغانم كثيرة يأخذونها) هي مغانم خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسمها عليهم (وكان الله عزيزا) منيعا فلا يغالب (حكيما) فيما يحكم فلا يعارض

ولا عدائكم بالهلاك على أيديكم قوله تعالى (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) يعني المغانم التي تغنمونها من الفتوحات التي تفتح لكم الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعني مغانم خيبر وفيه اشارة الى كثرة الفتوحات والغنائم التي يعطيهم الله عز وجل في المستقبل وانما عجل لهم هذه كعجالة الراكب عجلها الله لكم وهي في جنب ما وعدكم الله به من الغنائم كالقليل من الكثير (وكف أيدي الناس عنكم) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر أهلها اهمت قبائل من بني اسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عز وجل ايديهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل المعنى ان الله عز وجل كف أيدي أهل مكة بالصلح عنكم لتمام المنة عليكم (ولتكون آية للمؤمنين) هو عطف على ما تقدم تقديره فعجل لكم الغنائم لتنتفعوا بها ولتكون آية للمؤمنين يعني ولتحصل من بعدكم آية تدلهم على ان ما وهبكم الله يحصل مثله لهم وقيل لتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا الى يقينهم ويعلموا ان الله هو المتولى احاطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم (ويهديكم صراطا مستقيما) يعني ويهديكم الى دين الاسلام ويثبتكم عليه ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر

* (ذكر غزوة خيبر) *

وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر في بقية المحرم سنة سبع (ق) عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما لم يغز بنا حتى يصبح وينظر فان سمع أذانا كف عنهم وان لم يسمع أذانا أغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فلما انتهينا اليهم ليلا فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب وركبت خلف أبي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين (م) عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم

تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا * فثبت الاقدام ان لاقينا
وانزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال انا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر اني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروب أقبلت تلهب

قال وبرز له عمي عامر فقال

قد علمت خيبر اني عامر * شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابكي فقلت يا رسول الله بطل عمل عمي عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له اجره مرتين ثم أرسلني الى علي وهو أرمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فأتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية فخرج مرحب فقال

(وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) هي ما أصابوه مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعده الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) المغانم يعني مغانم خيبر (وكف أيدي الناس عنكم) يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم وقيل قذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح (ولتكون) هذه الكفة (آية للمؤمنين) وعبرة يعرفون بها انهم من الله عز وجل بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم فعل ذلك (ويهديكم صراطا مستقيما) ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله

قد علمت خيبر انى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب * اذا الحروب اقبلت تلهب

فقال على رضى الله عنه

أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره * اوفيكم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحبا فقتله ثم كان الفتح على يده أخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد اخرج البخارى طرفا منه قال البغوى وقد روى حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وانس بن مالك وابو هريرة يزيدون وينقصون وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد اخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس فأخذ أبو بكر راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الاول ثم رجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه فدعا عليا فأعطاه الراية وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله على يديك فأتى خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعلى رأسه مغفر من حجر قد نقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج اليه على بن أبى طالب فضربه فقد الحجر والمغفر وفلق رأسه حتى أخذ السيف فى الاضراس ثم خرج بعد مرحب اخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابنى يا رسول الله قال ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبى الذرية ويحوز الاموال قال محمد بن اسحاق فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة القت اليهود عليه حجرا فقتله ثم فتح حصن ابن ابى الحقيق فاصاب سبايا منهم صفية بنت حيى بن احطب جاء بها بلال وبأخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التى مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعزبوا عنى هذه الشيطانة وأمر بصفية فجهزت خلفه والقى عليها رداءه فعرف المسلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ان قمرا وقع فى حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا انك تمنين ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منها فسألها عن ذلك ما هو فاخبرته الخبر وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بنى النضير فسأله فجحد ان يكون يعلم مكانه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة أرأيت ان وجدناه عندك انقتلك قال نعم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقى فأبى ان يؤديه فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير بن العوام أن يعذبه حتى يستأصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزنده على صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة (ق) عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبى الله صلى الله عليه وسلم وركب أبو طلحة وأنا رديف ابى طلحة فأجرى نبى الله صلى الله عليه وسلم فى زقاق خيبر وان ركبتى لتمس فخذ نبى الله صلى الله عليه وسلم ثم حسر الازار عن فخذه حتى انى انظر بياض فخذ نبى الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم الى اعمالهم فقالوا محمد والخميس يعنى الجيش قال فأصبناها عنوة فجمع السبى فجاء دحية فقال يا رسول الله اعطنى جارية من السبى قال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيى فجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله أعطيت دحية صفية بنت حيى

سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك قال ادعوه فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال فأعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت يا أبا حمزة ما اصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فأهدتها له من الليل واصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجيء به وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الآخر يجيء بالسمن قال واحسبه ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عبد الله بن أبي اوفى قال اصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الاهلية فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكفؤا القدور ولا تأكلوا من لحوم الحمر شيئا فقال أناس انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال آخرون انما نهى عنها البتة (ق) عن أنس ان امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت لا قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك أو قال على قالوا الا نقتلها قال لا فما زلت اعرفها في لهوات محمد صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسماعيل قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم (خ) عن عائشة قالت لما فتحت خيبر قلت الآن نشبع من التمر (ق) عن ابن عمر أن عمر اجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر أراد اخراج اليهود منها وكانت الارض لما ظهر عليها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فأراد اخراج اليهود منها فسألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقرهم بها على ان يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ما شئنا فقروا بها حتى اجلاهم عمر في امارته الى تيماء واريحاء قال محمد بن اسحاق لما سمع أهل فدك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه ان يحقن دماءهم وان يسيرهم ويخلوا له الاموال ففعل بهم ثم ان اهل خيبر سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاملهم على النصف ففعل على ان لنا اذا شئنا اخراجكم فصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعني مشوية وسألت أي عضو الشاة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فأكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فأخذها فلاك منها قطعة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فأخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما بشر فأساغها يعني ابتلعها وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها وقال ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لا يخفى عليك فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذي توفي فيه فقال يا أم بشر ما زالت اكلة خيبر التي اكلت مع ابنك تعاودني فهذا أوان انقطاع ابهري فكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله تعالى به من النبوة عن عبيد الله بن سلمان ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبر اخرجوا غنائمهم من المتاع والسبي فجعل الناس يتباعون غنائمهم فجاء رجل فقال يا رسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ما ربح احد من أهل هذا الوادي قال ويحك وما ربحت قال ما زلت ابيع وابتاع حتى ربحت ثلاثمائة أوقية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنبئك بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال ركعتان بعد الصلاة أخرجه ابو داود وقوله تعالى (وأخرى لم تقدروا

عليها) يعني وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها (قد أحاط الله بها) يعني حفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تأخذوها وقال ابن عباس علم الله أنه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم حتى أقدرهم الله عليها بشرف الاسلام وعزه وقيل هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هي مكة وقيل هو كل فتح فتحه المسلمون او يفتحونه الى آخر الزمان (وكان الله على كل شئ قديرا) أي من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك (ولو قاتلكم الذين كفروا) أي أسد وغطفان وأهل خيبر (لولوا الادبار) أي لانهزموا عنكم (ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) يعني من تولى الله خذلانه فلا ناصر له ولا مساعد (سنة الله التي قد خلت من قبل) يعني سنة الله نصر أوليائه وقهر أعدائه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) قوله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) سبب نزول هذه الآية ما روى عن أنس بن مالك ان ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غدر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخذهم سلما فاستحياهم فأنزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان أظفركم عليهم انفرد باخراجه مسلم وقال عبد الله بن معقل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله بأبصارهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد او هل جعل لكم أحد أمانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم ومعنى الآية ان الله تعالى ذكر منته بحجز بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان أعظم من الفتح وهو قوله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم يعني أيدي أهل مكة وأيديكم عنهم أي قضى بينهم وبينكم بالمكافة والمحاجزة (ببطن مكة) قيل أراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة (من بعد أن أظفركم عليهم) أي مكنكم منهم حتى ظفرتم بهم (وكان الله بما تعملون بصيرا) قوله عز وجل (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام)

* ذكر صلح الحديبية * روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان أتى عينه الخزاعي وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس أترون ان أميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله أو ترون أن نؤم البيت لا نريد قتال أحد ولا حربا فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر يا رسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفذوا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هو بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا يدعوني قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس

ان

(وأخرى) معطوفة على هذه أي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى هي مغانم هوازن في غزوة حنين (لم تقدروا عليها) لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) أي قدر عليها واستولى وأظهركم عليها وجوز في أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما لم تقدروا عليها فصفة لأخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد أحاط الله بها خبر المبتدا (وكان الله على كل شئ قديرا) قادرا (ولو قاتلكم الذين كفروا) من أهل مكة ولم يصالحوا أو من حلفاء أهل خيبر (لولوا الادبار) لغلبوا وانهزموا (ثم لا يجدون وليا) يلي أمرهم (ولا نصيرا) ينصرهم (سنة الله) في موضع المصدر المؤكد أي سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله لأغلبن أنا ورسلي (التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) تغييرا (وهو الذي كف أيديهم عنكم) أي أيدي أهل مكة (وأيديكم عنهم) عن أهل مكة يعني قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان في غزوة الحديبية لما روى ان عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت (ببطن مكة) أي بمكة أو بالحديبية لأن بعضها منسوب الى الحرم (من بعد أن أظفركم عليهم) أي أقدركم وسلطكم (وكان الله بما تعملون بصيرا) وبالياء أبو عمرو (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام

أن نزحوه وشكا الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البئر فغرزه في جوفه فوالله مازال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا على اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤا ماددتهم ويخلوا بيني وبين الناس فان أظهر فان شاؤا ان يدخلوا فيما دخل الناس فيه فعلوا والا فقد جموا وان هم ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال انا جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشيء وقال ذو الرأي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال اي قوم ألستم بالوالد قالوا بلى قال أولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال ألستم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم باهلي وولدي ومن اطاعني قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتيه قالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك يا محمد أرأيت ان استأصلت قومك فهل سمعت باحد من العرب اجتاح أصله قبلك وان تكن الاخرى فاني والله لارى وجوها واني لارى أشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر رضي الله عنه امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قال أبو بكر قال اما والذي نفسي بيده لولا يد لك عندي لم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أي غدر ألست اسعى في غدرتك وكان المغيرة قد صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه في شيء ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى اصحابه وقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رأيت ملكا يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ما تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعوني آتيه فقالوا ائته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رأيت البدن قد قلدت واشعرت فما أرى ان يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدي يسيل اليه من عرض الوادي في قلائده قد اكل اوباره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى

الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال يا معشر قريش انى قد رأيت ما لا يحل صد الهدى فى قلائده قد اكل
اوباره من طول الحبس عن محله قالوا له اجلس فانما أنت رجل اعرابى لا علم لك فغضب الحليس عند
ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم يصد عن بيت الله من جاءه
معظما والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له او لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد
فقالوا مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال
دعونى آته فقالوا ائته فلما أشرف عليهم قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل
يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فأخبرنى أيوب عن عكرمة انه
لما جاء سهيل قال النبى صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم قال معمر قال الزهرى فى حديثه فجاء
سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى
طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن والله ما أدرى ما هو ولكن اكتب
باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله ما نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى
صلى الله عليه وسلم لعلى اكتب باسمك اللهم ثم قال له اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله
فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن هذا البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انى لرسول الله وان كذبتمونى اكتب محمد بن عبد الله قال
الزهرى وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها
فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر
سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ان تخلوا بيننا
وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام
المقبل فكتب فقال سهيل وعلى ان لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون
سبحان الله كيف يرد الى المشركين من جاء مسلما وروى عن البراء قصة الصلح وفيها قالوا لو نعلم انك رسول
الله ما منعناك شيئا ولكن أنت محمد بن عبد الله قال أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله ثم قال لعلى امح
رسول الله قال لا والله لا امحوك أبدا قال فأرنيه فأراه اياه فمحاه النبى صلى الله عليه وسلم بيده وفى رواية
فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد
الله قال البراء على ثلاثة أشياء على ان من أتاه من المشركين رده اليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى
ان يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة أيام ولا يدخلها بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت
عن أنس أن قريشا صالحوا النبى صلى الله عليه وسلم فاشترطوا ان من جاءنا منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا
رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله انكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم
سيجعل الله له فرجا ومخرجا رجعنا الى حديث الزهرى قال بينما هم كذلك اذ جاء ابو جندل بن سهيل بن
عمرو يرسف فى قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا
يا محمد أول من أقاضيك عليه ان ترده الى فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله
اذا لا أصالحك على شئ أبدا قال النبى صلى الله عليه وسلم فأجزه لى قال ما أنا بمجيره لك قال بلى فافعل قال
ما أنا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش فقال أبو جندل أى معشر المسلمين أرد الى المشركين
وقد جئت مسلما الا ترون ما لقيت وكان قد عذب فى الله عذابا شديدا وفى الحديث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يا أبا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد
عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر فوثب عمر الى جنب أبى جندل وجعل يقول اصبر يا أبا
جندل فانما هم المشركون ودم احدهم دم كلب ويدنى السيف منه قال عمر ورجوت ان يأخذ السيف
فيضرب به فضن الرجل بأبيه وقد كان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح

لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم
أمر أبي جندل شرا الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ أسلمت الا يومئذ قال الزهري في حديثه عن مروان
والمسور ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف قال ابن الخطاب فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ألست
نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم
في النار قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت
أولست كنت تحدثنا انا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرتك انك تأتيه العام قلت لا قال فانك
آتيه وتطوف به قال فأتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر أليس هذا نبي الله قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا
على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا قال أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت أليس كان يحدثنا انه سيأتي
البيت ويطوف به قال بلى أفأخبرك انه آتيه العام قلت لا قال فانك تأتيه وتطوف به فلما فرغ من قضية
الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل
منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم أحد منهم قام صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة فذكر لها
مالقي من الناس قالت أم سلمة يا نبي الله أخرج ثم لا تكلم منهم احدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو
حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك ونحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك
قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عباس وابن عمر حلق
رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا يارسول
الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا يارسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين والمقصرين قالوا
يارسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك أنه تربص
قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
في هداياه جملا لابي جهل في رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك قال الزهري في حديثه ثم جاء نسوة
مؤمنات فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق
عمر امرأتين يومئذ كانتا في الشرك فتزوج احداهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان ابن
أمية قال فنهاهم ان يردوا النساء وأمرهم أن يردوا الصداق قال ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة
فجاءه أبو نصير عتبة بن أسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه ازهر بن عبد
عوف والاخنس بن شريق الثقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا في طلبه رجلا من بني عامر بن
لؤي ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا العهد الذي جعلت لنا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا أبا نصير انا قد اعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح في ديننا الغدر وان الله
جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه الى الرجلين فخرجا به حتى اذا بلغا ذا الحليفة
نزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو نصير لاحد الرجلين والله اني لارى سيفك هذا جيدا فاستله الآخر فقال
اجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال أبو نصير أرني انظر اليه فأخذه منه فضربه حتى برد
وفر الآخر حتى اتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأى هذا ذعرا
فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويلك مالك قال قتل والله صاحبي واني لمقتول فوالله
ما برح حتى طلع ابو نصير متوشح السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله
أوفى الله ذمتك قد رددتني اليهم فأنجاني الله تعالى منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل امه مسعر
حرب لو كان معه أحد فلما سمع ذلك عرف انه يرده اليهم فخرج حتى أتى سيف البحر وبلغ المسلمين
الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي نصير ويل امه مسعر حرب لو كان معه
أحد فخرج عصابة منهم اليه فانفلت أبو جندل فلحق بأبي نصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين

رجلا فوالله ما يجمعون بعير خرجت لقريش الى الشأم الا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسلت اليهم فمن أتاه فهو آمن فأرسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا اليه المدينة وانزل الله عزوجل وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم انهم لم يقروا انه نبي الله ولم يقروا بسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين هذا البيت اخرجه البخاري بطوله سوى الفاظ منه وهي مستثناة في الحديث منها قوله فنزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه الى قوله فوالله مازال يجيش لهم بالري ومنها قوله ثم بعثوا الحليس ابن علقمة الى قوله فقالوا كف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا بما نرضى ومنها قوله هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الى قوله وعلى ان يخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله وروى البراء قصة الصلح الى قوله رجعنا الى حديث الزهري ومنها قوله وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل الى قوله قال عمر فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبي الله حقا ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس الى قوله وقال الزهري في حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فهذه الالفاظ لم يخرجها البخاري في صحيحه *شرح غريب الفاظ الحديث قوله بضع عشرة البضع في العدد بالكسر وقد يفتح هو ما بين الثلاثة الى التسعة وقيل ما بين الواحد الى العشرة قوله وبعث عينا له أي جاسوسا قوله وقد جمعوا لك الاحابيش هم احياء انضموا الى بني ليث في محاربتهم قريشا وقيل هم حلفاء قريش وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبش فسموا بذلك وقيل هو اسم واد بأسفل مكة وقيل سموا بذلك لتجمعهم والتحبش التجمع قوله فان قعدوا قعدوا موتورين أي منقوصين قوله فنفذوا أي مضوا وتخلصوا وقوله ان خالد بن الوليد بالغميم اسم موضع ومنه كراع الغميم وقوله طليعة الطليعة الجماعة يبعثون بين يدي الجيش ليطلعوا على أخبار العدو وقترة الجيش هو الغبار الساطع معه سواد قوله يركض نذيرا النذير الذي يعلم القوم بالامر الحادث قوله حل حل هو زجر للناقة قوله خلأت القصوى يعني انها لما توقفت عن المشي وتقهقرت ظنوا ذلك خلاقا في خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت أي ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل أي منعها عن المسير الذي منع الفيل عن مكة وهو الله تعالى والقصوى اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قصوى وهو شق الاذن قوله خطة أي حالة وقضية يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة وهي فرضه وما يجب القيام به يريد بذلك حرمة الحرم ونحوه قوله حتى نزل بأقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهي قرية ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل وقال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل حكاه في المطالع والثمد الماء القليل الذي لا مادة له والتربض أخذ الشئ قليلا قليلا وقوله فما زال يجيش بالري يقال جاشت البئر بالماء اذا ارتفعت وفاضت والري ضد العطش والصدر الرجوع بعد الورود وقوله وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان عيبة نصح فلان اذا كان موضع سره وثقته في ذلك قوله نزلوا على اعداد مياه الحديبية الماء العد الكثير الذي لا انقطاع له كالعيون وجمعه اعداد قوله ومعهم العوذ المطافيل العوذ جمع عائذ وهي الناقة اذا وضعت الى أن يقوى ولدها وقيل هي كل أنثى لها سبع ليال منذ وضعت والمطافيل جمع مطفل وهي الناقة معها فصيلها وهذه استعارة استعار ذلك للناس وأراد بهم أن معهم النساء والصبيان قوله وان قريشا نهكتهم الحرب أي اضرت بهم وأثرت فيهم وقوله ماددتهم أي جعلت بيني وبينهم مدة قوله والا فقد جموا اى استراحوا والجمام بالجيم الراحة بعد التعب قوله تنفرد سالفتي السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا العنق وقيل السالفة حبل العنق وهو ما بينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت لانها لا تنفرد منه الا بالموت قوله اني استنفرت يقال استنفر القوم اذا دعاهم الى قتال العدو وعكاظ اسم سوق كانت في الجاهلية معروفة وقوله بلحوا

على فيه لغتان التخفيف والتشديد وأصل التبليغ الاعياء والفتو والمراد امتناعهم من اجابته وتقاعدهم عنه قوله استأصلت قومك واجتاح اصله من الاجتياح ايقاع المكروه بالانسان ومنه الجائحة والاستئصال والاجتياح متقاربان فى مبالغة الاذى قوله انى لارى وجوها واشوابا الاشواب مثل الاوباش وهم الاخلاط من الناس والرعاع يقال فلان حليق بذلك أى جدير لا يبعد ذلك من خلقه قوله امصص بظر اللات وهى اسم صنم كانوا يعبدونه لهم والبظر ما تقطعه الخافضة وهى الخاتنة من المنة التى تكون فى فرج المرأة وكان هذا اللفظ شتما لهم يدور فى ألسنتهم قوله لولا يد لك عندى اليد النعمة وما يمتن به الانسان على غيره قوله أى غدر معدول عن غادر وهو للمبالغة وقوله قد عرض عليكم خطة رشد يقال خطة رشد وخطة غى والرشد والرشاد خلاف الغى والمراد منه انه قد طلب منكم طريقا واضحا فى هدى واستقامة قوله وهو من قوم يعظمون البدن أى الابل تهدى الى البيت فى حج أو عمرة وتقليدها هو ان يجعل فى رقابها شئ كالقلادة من لحاء الشجر او نعل أو غيره ليعلم بذلك انه هدى والاشعار هو ان يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه وقوله لما رأى الهدى يسيل عليه أى يقبل عليه كالسيل من عرض الوادى اى جانبه وقوله هذا مكرز وهو رجل فاجر الفجور المايل عن الحق وكل انبعاث فى شرفهو فجور قوله هذا ما قاضى عليه أى فاعل من القضاء وهو احكام الامر وامضاؤه وهو فى اللغة على وجوه مرجعها الى انقضاء الشئ واتمامه قوله ضغطة هو كناية عن القهر والضيق قوله بجلبان السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء ويروى بضم اللام أيضا مع التشديد وهو وعاء من أدم شبه الجراب يوضع فيه السيف مغمودا و يعلق فى مؤخرة الرحل قوله يرسف بضم السين وكسرها لغتان وهى مشى المقيد قوله فأجزه لى قال ابن الاثير يجوز ان يكون بالزاى من الاجازة أى اجعله جائزا غير ممنوع ولا محرم أو اطلقه لى وان كان بالراء المهملة فهو من الاجارة والحماية والحفظ وكلاهما صالح فى هذا الموضع قوله فلم نعطى الدنية أى القضية التى لا نرضى بها أى لم نرضى بالادون والاذل فى ديننا قوله فاستمسك بغرزه الغرز لكور الناقة كالركاب لسرج الفرس والمعنى فاستمسك به لا تفارقه ساعة كما لا تفارق رجل الراكب غرز رحله فانه على الحق الذى لا يجوز لاحد تركه قوله و يل أمه هذه كلمة تقال للواقع فيما يكره و يتعجب بها أيضا مسعر الحرب اى موقدها يقال سعرت النار واسعرتها اذا أوقدتها والمسعر الخشب الذى توقد به النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله أعلم وأما تفسير الآية فقوله عز وجل هم الذين كفروا يعنى كفار مكة وصدوكم أى منعوكم عن المسجد الحرام أن تطوفوا به (والهدى) أى وصد والهدى وهو البدن التى ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة (معكوفا) أى محبوسا (أن يبلغ محله) أى منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) يعنى المستضعفين بمكة (لم تعلموهم) أى تعرفوهم (أن تطؤهم) اى بالقتل وتوقعوا بهم (فتصيبكم منهم معرة بغير علم) أى اثم وقيل غرم الدية وقيل كفارة قتل الخطا لان الله أوجب على قاتل المؤمن فى دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقيل هو ان المشركين يعيبونكم و يقولون قتلوا أهل دينهم والمعرة المشقة يقول لولا أن تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم به كفارة او سبة وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم فى دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك لهذا السبب (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) أى فى دين الاسلام من يشاء أى من اهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها (لو تزيلوا) اى لو تميز المؤمنون من الكفار (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أى بالسبى والقتل بأيديكم وقيل لعذبنا جواب لكلامين أحدهما لولا رجال والثانى لو تزيلوا ثم قال ليدخل الله فى رحمته من يشاء يعنى المؤمنين والمؤمنات فى رحمته أى فى جنته قال قتادة فى الآية ان الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركى مكة قوله تعالى (اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية) أى الانفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت ومنعوا الهدى محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن

والهدى) هو ما يهدى الى الكعبة ونصبه عطفا على كم فى صدوكم أى وصدوا الهدى (معكوفا ان يبلغ) محبوسا ان يبلغ ومعكوفا حال وكان عليه السلام ساق سبعين بدنة (محله) مكانه الذى يحل فيه نحره أى يجب وهذا دليل على ان المحصر محل هديه الحرم والمراد المحل المعهود وهو منى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) بمكة (لم تعلموهم) صفة للرجال والنساء جميعا (ان تطؤهم) بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب فى تعلموهم (فتصيبكم منهم معرة) اثم وشدة وهى مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه و يشق عليه وهو الكفارة اذا قتله خطأ وسوء قالة المشركين انهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والاثم اذا قصر (بغير علم) متعلق بان تطؤهم يعنى أن تطؤهم غير عالمين بهم والوطء عبارة عن الايقاع والابادة والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم فقال ولولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين ظهرانى المشركين وانتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم وقوله (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) تعليل لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الايدى عن أهل مكة والمنع عن قتلهم صونا لما بين أظهرهم من المؤمنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله فى رحمته أى فى توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم اوليدخل فى الاسلام من رغب فيه من مشركيهم (لو تزيلوا) لو تفرقوا وتميز المسلمون من الكافرين وجواب لولا محذوف اغنى عنه جواب لو ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون (لعذبنا الذين كفروا) هو الجواب تقديره ولولا ان تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين لعذبناهم بالسيف (منهم) من اهل مكة (عذابا اليما) والعامل فى (اذ جعل الذين كفروا) أى قريش لعذبنا اى لعذبناهم فى ذلك الوقت او اذكر (فى قلوبهم الحمية

الرحيم وانكروا أن يكون محمد رسول الله وقيل قال أهل مكة قد قتلوا أبناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم منا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فكانت هذه (حمية الجاهلية) التي دخلت قلوبهم (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) أي حتى لا يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصون الله في قتالهم (وألزمهم كلمة التقوى) قال ابن عباس كلمة التقوى لا اله الا الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال علي وابن عمر كلمة التقوى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وقال عطاء الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم (وكانوا أحق بها) اي من كفار مكة (وأهلها) اي كانوا أهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أهل الخير والصلاح (وكان الله بكل شئ عليما) يعني من أمر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وامر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من الخير قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام وهو بالمدينة قبل أن يخرج الى الحديبية انه يدخل المسجد الحرام هو واصحابه آمنين ويحلقون رؤسهم فأخبر بذلك اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلو مكة عامهم فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون أين رؤياه التي رآها فأنزل الله هذه الآية ودخلوا في العام المقبل وروى عن مجمع بن حارثة الانصاري قال شاهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس قال أوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نوجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر أهو فتح يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده ففيه دليل على ان المراد من الفتح هو صلح الحديبية وتحقيق الرؤيا كان في العام المقبل وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أخبر ان الرؤيا التي أراها اياه في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد حق وصدق بالحق أي الذي رآه حق وصدق وقيل يجوز أن يكون بالحق قسما لان الحق من أسماء الله تعالى أو قسما بالحق الذي هو ضد الباطل وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن رؤياه فأخبر الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك (ان شاء الله آمنين) قيل انما استثنى مع علمه بدخوله تعليما لعباده الادب وتأكيدا كقوله ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله وقيل ان بمعنى اذ مجازه اذ شاء الله وقيل لما لم يقع الدخول في عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول ويأبون الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام لا بقوتكم وارادتكم ولكن بمشيئة الله تعالى وقيل الاستثناء واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع انه لا يشك في الموت (محلقين رؤسكم) أي كلها (ومقصرين) أي تأخذون بعض شعوركم (لا تخافون) اي من عدو في رجوعكم لان قوله آمنين في حال الاحرام لانه لا قتال فيه وقوله لا تخافون يرجع الى كمال الامن بعد الاحرام وفي حال الرجوع (فعلم ما لم تعلموا) يعني علم ان الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول وكان ذلك سببا لوطء المؤمنين والمؤمنات وقيل علم ان دخولكم في السنة الثانية ولم تعلموا أنتم فظننتم انه في السنة الاولى (فجعل من دون ذلك) اي من قبل دخولكم الحرم (فتحا قريبا) يعني صلح الحديبية قاله الاكثرون وقيل

حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) المراد بحمية الذين كفروا هي الانفة وسكينة المؤمنين وهي الوقار مايروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فانا اشهد اني رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا (والزمهم كلمة التقوى) الجمهور على انها كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن الرحيم والاضافة الى التقوى باعتبار انها سبب التقوى واساسها وقيل كلمة أهل التقوى (وكانوا) أي المؤمنون (أحق بها) من غيرهم (وأهلها) بتأهيل الله اياهم (وكان الله بكل شئ عليما) فيجري الامور على مصالحها (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) أي صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل خروجه الى الحديبية كأنه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وغيره والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت (بالحق) متعلق بصدق اى صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اى بالحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين من في قلبه مرض ويجوز ان يكون بالحق قسما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل أو بالحق الذي هو من اسمائه وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وعلى الاول هو جواب قسم محذوف (ان شاء الله) حكاية من الله تعالى ما قال رسوله لاصحابه وقص عليهم أو تعليم لعباده ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك هو متأدبين بادب الله ومقتدين بسنته (آمنين) حال والشرط معترض (محلقين) حال من الضمير في آمنين (رؤسكم) أي جميع شعورها (ومقصرين) بعض شعورها (لا تخافون) حال مؤكدة (فعلم ما لم تعلموا) من الحكمة في تأخير فتح مكة الى العام القابل (فجعل من دون ذلك) أي من دون فتح مكة (فتحا قريبا) وهو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الفتح الموعود

هو فتح خيبر قوله عز وجل (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) هذا لبيان صدق الرؤيا وذلك ان الله تعالى لا يرى رسوله صلى الله عليه وسلم مالا يكون فيحدث الناس فيقع خلافه فيكون سببا للضلال فحقق الله أمر الرؤيا بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وبقوله هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى (ليظهره على الدين كله) أى يعليه ويقويه على الاديان كلها فتصير الاديان كلها دونه (وكفى بالله شهيدا) أى فى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه تسلية لقلوب المؤمنين وذلك انهم تأذوا من قول الكفار لو نعلم انه رسول الله ما صددناه عن البيت فقال الله تعالى وكفى بالله شهيدا أى فى انه رسول الله ثم قال (محمد رسول الله) أى هو محمد رسول الله الذى سبق ذكره فى قوله أرسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدأ فقال (والذين معه) يعنى أصحابه المؤمنين (أشداء على الكفار) أى غلاظ أقوياء كالاسد على فريسته لا تأخذهم فيهم رأفة (رحماء بينهم) أى متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد كما قال فى حقهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها (يبتغون) اى يطلبون (فضلا من الله) يعنى الجنة (ورضوانا) أى ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان المخلص بعمله لله يطلب أجره من الله والمرائى بعمله لا ينبغى له أجر وذكر بعضهم فى قوله والذين معه يعنى أبا بكر الصديق أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا على ابن أبى طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة (سيماهم) اى علامتهم (فى وجوههم من أثر السجود) واختلفوا فى هذه السيما على قولين أحدهما ان المراد فى يوم القيامة قيل هى نور وبياض فى وجوههم يعرفون به يوم القيامة انهم سجدوا لله فى الدنيا وهى رواية عن ابن عباس وقيل تكون مواضع السجود فى وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك والقول الثانى ان ذلك فى الدنيا وذلك انهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذى ترون ولكنه سيما الاسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى ان السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل ويعرف ذلك فى رجلين أحدهما سهر الليل فى الصلاة والعبادة والآخر فى اللهو واللعب فاذا أصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر فى وجه المصلى نور وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وقيل هو أثر التراب على الجباه لانهم كانوا يصلون على التراب لا على الاثواب قال عطاء الخراسانى دخل فى هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس (ذلك مثلهم فى التوراة) يعنى ذلك الذى ذكر صفتهم فى التوراة وتم الكلام هاهنا ثم ابتدأ بذكر نعتهم وصفتهم فى الانجيل فقال تعالى (ومثلهم) اى صفتهم (فى الانجيل كزرع أخرج شطأه) أى افراطه قبل فراخه قيل هو نبت يخرج بعده فهو شطؤه (فآزره) اى قواه وأعانه وشد أزره (فاستغلظ) اى غلظ ذلك الزرع وقوى (فاستوى) اى تم وتلاحق نباته وقام (على سوقه) جمع ساق اى على أصوله (يعجب الزراع) اى يعجب ذلك الزرع زراعه وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب فى الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب فى الانجيل أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطء أصحابه والمؤمنون وقيل الزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه على بن أبى طالب يعجب الزراع يعنى جميع المؤمنين (ليغيظ بهم الكفار) قيل هو قول عمر ابن الخطاب لاهل مكة بعد ما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك ابن أنس من اصبح وفى قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية

(فصل فى فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله

(هو الذى أرسل رسوله بالهدى) بالتوحيد (ودين الحق) اى الاسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين يريد الاديان المختلفة من اديان المشركين وأهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العزة والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات (وكفى بالله شهيدا) على ان ما وعده كائن وعن الحسن شهيدا على نفسه انه سيظهر دينه والتقدير وكفاه الله شهيدا وشهيدا تمييز وحال (محمد) خبر مبتدا أى هو محمد لتقدم قوله هو الذى أرسل رسوله أو مبتدأ خبره (رسول الله) وقف عليه نصير (والذين معه) أى أصحابه مبتدأ والخبر (أشداء على الكفار) أو محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف على المبتدا وأشداء خبر عن الجميع ومعناه غلاظ (رحماء بينهم) متعاطفون وهو خبران وهما جمعا شديد ورحيم ونحوه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وبلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه (تراهم ركعا) راكعين (سجدا) ساجدين (يبتغون) حال كما ان ركعا وسجدا كذلك (فضلا من الله ورضوانا سيماهم) علامتهم (فى وجوههم من اثر السجود) أى من التأثير الذى يؤثره السجود وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل لقوله عليه السلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذلك) أى المذكور (مثلهم) صفتهم (فى التوراة) وعليه وقف (ومثلهم فى الانجيل) مبتدأ خبره (كزرع أخرج شطأه) فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ (فآزره) قواه فأزره شامى (فاستغلظ) فصار من الرقة الى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق (يعجب الزراع) يتعجبون من قوته وقيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بابى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى رضوان الله عليهم وهذا مثل ضربه الله تعالى لبدء الاسلام وترقيه فى الزيادة الى ان قوى واستحكم لان النبى صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع (ليغيظ بهم الكفار) تعليل لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم فى الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به

صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم (م) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس خير قال القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث قوله خير الناس قرني ثم الذين يلونهم يعني الصحابة ثم التابعين وتابعيهم والقرن كل أهل زمان قيل هو أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة عن عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر في الجنة وعمر ابن الخطاب في الجنة وعثمان بن عفان في الجنة وعلي بن أبي طالب في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة أخرجه الترمذي وأخرج عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا أصح من الحديث الاول عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتي بأمتي ابو بكر وأشدهم في امر الله عمر وأشدهم حياء عثمان واقضاهم علي وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وافرضهم زيد بن ثابت واقرأهم أبي بن كعب ولكل قوم أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر أشبه عيسى في ورعه قال عمر فتعرف له ذلك يارسول الله قال نعم أخرجه الترمذي مفرقا في موضعين احدهما الى قوله أبو عبيدة بن الجراح والآخر الى أبي ذر (خ) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد احدا وابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال اثبت احدا وضربه برجله فانما عليك نبي وصديق وشهيدان عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اقتدوا بالذين بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عثمان وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ق) عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أي الناس أحب اليك قال عائشة فقلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وصحبني في الغار وأعتق بلالا من ماله رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وماله من صديق رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن زر بن حبيش قال سمعت عليا يقول والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الامي الي أن لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يموت من أصحابي بأرض الا بعثه الله قائدا ونورا لهم يوم القيامة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقد روي عن أبي بريدة مرسلا (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لوان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وعن أبي هريرة نحوه أخرجه مسلم عن عبد الله ابن مغفل المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) لفظة من في قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فيكون معنى الآية وعد الله الذين آمنوا من جنس الصحابة وقال ابن جرير يعني من الشطء الذي أخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام الى يوم القيامة الهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه ولذلك لم يقل منه (مغفرة وأجرا عظيما) يعني الجنة وقيل ان المغفرة جزاء الايمان فان لكل مؤمن مغفرة والاجر العظيم جزاء العمل الصالح والله تعالى أعلم بمراده

(تفسير سورة الحجرات)

(وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) لان الكفار اذا سمعوا بما أعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومن في منهم للبيان كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان يعني فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان وقولك أنفق من الدراهم اي اجعل نفقتك هذا الجنس وهذه الآية ترد قول الروافض انهم كفروا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم اذ الوعد لهم بالمغفرة والاجر العظيم انما يكون ان لو ثبتوا على ما كانوا عليه في حياته
سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها الذين آمنوا لا تقدّموا) قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه وحذف المفعول ليتناول كل ما وقع في النفس مما يقدّم من القول او الفعل وجاز ان لا يقصد مفعول والنهي متوجه الى نفس التقدمة كقوله هو الذي يحيي ويميت او هو من قدّم بمعنى تقدّم كوجه بمعنى توجه ومنه مقدّمة الجيش وهي الجماعة المتقدّمة منه ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدّموا بحذف احدى تأي تتقدّموا (بين يدي الله ورسوله) حقيقة قولهم جلست بين يدي فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وفي هذه العبارة ضرب من المجاز الذي يسمى تمثيلا وفيه فائدة جليلة وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على أمر من الامور دون الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة ويجوز

ان يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله اي سرني حسن حال زيد فكذلك هنا المعنى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك به هذا المسلك وفي هذا تمهيد لما نقم منهم من رفع أصواتهم فوق صوته عليه السلام لان من فضله الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص كان ادنى ما يجب له من التهيب والاجلال ان يخفض صوته بين يديه وعن الحسن ان ناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعيدوا ذبحا آخر وعن عائشة رضي الله عنها انها نزلت في النهي عن صوم يوم الشك (واتقوا الله) فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها (ان الله سميع) لما تقولون (عليم) بما تعملون وحق لمثله ان يتقى (يا أيها الذين آمنوا) اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتحريك منهم لئلا يغفلوا عن تأملهم (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) اي اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته لديكم واضحة (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) اي اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان تعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر ولا تقولوا يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة والسكينة والتعظيم ولما نزلت هذه الآية ما كلم النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر الا كاخي السرار وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وكاف التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه فيما بينهم وهو الخلو عن مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها (أن تحبط أعمالكم) منصوب الموضع على انه المفعول له متعلق بمعنى النهي والمعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف

وهي مدنية وهي ثمان عشرة آية وثلاثمائة وثلاث وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله) من التقديم أي لا ينبغي لكم ان يصدر منكم تقديم أصلا وقيل لا تقدّموا فعلا بين يدي الله ورسوله والمعنى لا تقدّموا بين يدي امر الله ورسوله ولا نهيهما وقيل لا تجعلوا لانفسكم تقدما عند النبي صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لاوامره ونواهيه والمعنى لا تعجلوا بقول او فعل قبل ان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم او قبل ان يفعله وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا في معنى الآية فروى عن جابر انه في الذبح يوم الاضحى أي لا تذبحوا قبل ان يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم فأمروا ان يعيدوا الذبح عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل ما نبدأ به في يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل ان يصلي فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شيء زاد الترمذي في أوّله قال خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر وذكر الحديث وروى عن عائشة انه في النهي عن صوم يوم الشك أي لا تصوموا قبل نبيكم عن عمار ابن ياسر قال من صام في اليوم الذي يشك فيه فقد عصى ابا القاسم صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقيل في سبب نزول هذه الآية ما روى عن عبد الله بن الزبير انه قدم وفد من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر أمّر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل أمّر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافي وقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله حتى انقضت زاد في رواية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه أخرجه البخاري وقيل نزلت الآية في ناس كانوا يقولون لو نزل في كذا او صنع كذا وكذا فكره الله ذلك وقيل في معنى الآية لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله على لسانه وقيل في القتال وشرائع الدين أي لا تقضوا أمرا من دون الله ورسوله (واتقوا الله) أي في تضييع حقه بمخالفة أمره (ان الله سميع) أي لاقوالكم (عليم) أي بأفعالكم قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي لا تجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وذلك لان رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وقوله لا تقدّموا نهي عن فعل وقوله لا ترفعوا أصواتكم نهي عن قول (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أمرهم ان يبجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا فيقول يا محمد بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله (ان تحبط

أعمالكم) أي لئلا تحبط وقيل مخافة أن تحبط حسناتكم (وأنتم لا تشعرون) أي بذلك (ق) عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو ما شأن ثابت اشتكى فقال سعد انه لجاري وما علمت له شكوى قال فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت انزلت هذه الآية ولقد علمتم اني من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من اهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من أهل الجنة زاد في رواية فكنا نراه يمشي بين اظهرنا رجل من اهل الجنة لفظ مسلم والبخاري نحوه وروى لما نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية اتخوف ان تكون انزلت في وانا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم اخاف ان يحبط عملي وان اكون من اهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي على الضبة بمسمار فضربتها بمسمار وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره قال اذهب فادعه فجاء عاصم الى المكان الذي رآه فيه فلم يجده فجاء الى أهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيت واتخوف ان تكون هذه الآية نزلت في فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا ارفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا فأنزل الله تعالى (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الآية قال انس فكنا ننظر الى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل اعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وانه قال له اعلم ان فلانا رجلا من المسلمين نزع درعي فذهب به وهو في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طوله وقد وضع على درعي برمة فأت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعي وأت ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا حتى يقضيه عني وفلان من رقيقي عتيق فأخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز ابو بكر وصيته قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال ابو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الآية كان ابو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كأخي السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الآية ما حدث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فأنزل الله تعالى ان الذين يغضون أي يخفضون أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اجلالا له وتعظيما (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) اي اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار ليخرج خالصه (لهم مغفرة وأجر عظيم) قوله عز وجل (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بني العنبر وامر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا في اهله فلما رأتهم الذراري اجهشوا الى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فجعلوا

(وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) ثم اسم ان عند قوله رسول الله والمعنى يخفضون اصواتهم في مجلسه تعظيما له (أولئك) مبتدأ خبره (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) وتم صلة الذين عند قوله للتقوى وأولئك مع خبره خبر ان والمعنى اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وحقيقته عاملها معاملة المختبر فوجدها مخلصة وعن عمر رضي الله عنه اذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد (لهم مغفرة وأجر عظيم) جملة اخرى قيل نزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدا وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امره دالة على غاية الاعتداد والارتضاء بفعل الخافضين اصواتهم وفيها تعريض بعظم ما ارتكب الرافعون اصواتهم (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) نزلت في وفد بني تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد وفيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته وقالوا اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فاستيقظ وخرج والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وهي فعلة بمعنى مفعولة كالقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم وهي قراءة يزيد والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها لعلهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له اوناداه بعض من وراء الحجرة التي كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم

تولوه جميعا (أكثرهم لا يعقلون) يحتمل ان يكون فيهم من قصد استثناؤه ويحتمل ان يكون المراد النفي العام اذ القلة تقع موقع النفي وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه مالا يخفى من اجلال محل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها التسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل ومنها ايقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها التعريف باللام دون الاضافة ولو تأمل متأمل من أول السورة الى آخر هذه الآية لوجدها كذلك فتأمل كيف ابتدأ بايجاب أن تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير تقييد ثم اردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثاني ثم اثنى على الغاضين اصواتهم ليدل على عظم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما جسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا (ولو انهم صبروا) اى ولو ثبت صبرهم ومحل انهم صبروا الرفع على الفاعلية والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وقيل الصبر مر لا يتجرعه الا حر وقوله (حتى تخرج اليهم) يفيد انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم (لكان) الصبر (خيرا لهم) في دينهم (والله غفور رحيم) بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) اجمعوا انها نزلت في الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة في الجاهلية فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين اليه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فبعث خالد بن الوليد فوجدهم يصلون فسلموا اليه الصدقات ورجع وفي تنكير الفاسق والنبأ شياع في الفساق والانباء كأنه قال أي فاسق جاءكم بأي نبأ فتبينوا فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه وفي الآية دلالة قبول خبر الواحد العدل لانا لو توقفنا في خبره لسوينا بينه وبين الفاسق ولخلا التخصيص به عن الفائدة والفسوق الخروج من الشئ يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه أيضا قفست الشئ اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد بركوب الكبائر حمزة وعلى فتثبتوا والتثبت

فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يأمرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضوا ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة انا لا احكم وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور ارى ان تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم واعتق نصفهم فأنزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (أكثرهم لا يعقلون) وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل في معنى الآية أكثرهم اشارة الى من يرجع منهم عن ذلك الامر ومن لم يرجع فيستمر على حاله وهم الاكثر (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم) فيه بيان لحسن الادب وهو خلاف ما جاؤا به من سوء الادب وطلب العجلة في الخروج (لكان خيرا لهم) اى الصبر لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء وقيل لكان حسن الادب في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم خيرا لهم وقيل نزلت الآية في ناس من اعراب تميم وكان فيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب ويروى ذلك عن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب فقالوا يا محمد اخرج علينا فان مدحنا زين وذمنا شين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين قالوا نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا جئنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخر أمرت ولكن هاتوا فقام منهم شاب فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاجبه فقام فأجابه وقام شاعرهم فذكر ابياتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان أجبه فأجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا لمؤتى له تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم احسن شعرا وقولا ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقد كان تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم فأزرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآيات الى قوله (والله غفور رحيم) أي لمن تاب منهم وقال زيد بن الارقم جاء ناس من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن أسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جناحه فجاؤا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي له ما قبلناه من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر وأمره ان يخفي عليهم قدومه وقال انظر فان رأيت منهم ما يدل على

اعانهم نخذ منهم زكاة أموالهم وان لم ترذلك فاستعمل فيهم ما تستعمل فى الكفار ففعل ذلك خالد فوافاهم فسمع منهم أذان المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق يعنى الوليد بن عقبة وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو أولى من حكم الآية على رجل بعينه لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك الا انه ظن وتوهم فأخطأ فعلى هذا يكون معنى الآية ان جاءكم فاسق بنبأ أى بخبر فتبينوا وقرئ فتثبتوا أى فوقفوا واطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق (ان تصيبوا) أى كيلا تصيبوا بالقتل والسبى (قوما بجهالة) أى جاهلين حالهم وحقيقة أمرهم (فتصبحوا على ما فعلتم) أى من اصابتكم بالخطا (نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله) اى فاتقوا الله ان تقولوا باطلا وتكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا (لو يطيعكم) اى الرسول (فى كثير من الامر) اى مما تخبرونه به فيحكم برأيكم (لعنتم) اى لاثمتم وهلكتم عن ابى سعيد الخدرى انه قرأ واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار أئمتكم لو أطاعهم فى كثير من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب (ولكن الله حبب اليكم الايمان) اى جعله احب الاديان اليكم (وزينه) اى حسنه وقربه منكم وادخله (فى قلوبكم) حتى اخترتموه لان من احب شيئا اذا طال عليه قد يسأم منه والايمان فى كل يوم يزداد فى القلب حسنا وثباتا وبذلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكره اليكم الكفر والفسوق) قال ابن عباس يريد الكذب (والعصيان) جميع معاصى الله تعالى وفى هذه لطيفة وهو ان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة الاشياء فى مقابلة الايمان الكامل المزين فى القلب المحبب اليه والايمان الكامل ما اجتمع فيه ثلاثة امور تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر فى مقابلة قوله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وهو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب فى مقابلة الاقرار باللسان فكره الى عبده المؤمن الكذب وهو الجحود وحبب اليه الاقرار بشهادة الحق والصدق وهو لا اله الا الله والعصيان فى مقابلة العمل بالاركان فكره اليه العصيان بالاركان وحبب اليه العمل الصالح بالاركان ثم قال تعالى (أولئك هم الراشدون) اشارة الى المؤمنين المحبب اليهم الايمان المزين فى قلوبهم اى أولئك هم المهتدون الى محاسن الاعمال ومكارم الاخلاق (فضلا من الله) اى فعل ذلك بكم فضلا منه (ونعمة) عليكم (والله عليم) اى بكم وبما فى قلوبكم (حكيم) فى امره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما فى خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكم قوله عز وجل (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) (ق) عن انس قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله بن ابى فانطلق اليه النبى صلى الله عليه وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهى ارض سبخة فلما اتاه النبى صلى الله عليه وسلم قال اليك عنى والله لقد آذانى نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والايدى والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ويروى انها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض (ق) عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه اكاف تحته قطيفة فدكية واردف اسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة فى بنى الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن ابى بن سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن أبى واذا فى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاصنام واليهود وفى المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابى انفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم

والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف (ان تصيبوا قوما) لئلا تصيبوا (بجهالة) حال يعنى جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة (فتصبحوا) فتصيروا (على ما فعلتم نادمين) الندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام (واعلموا ان فيكم رسول الله) فلا تكذبوا فان الله يخبره فينهتك ستر الكاذب او فارجعوا اليه واطلبوا رأيه ثم قال مستأنفا (لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم) لوقعتم فى الجهد والهلاك وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببنى المصطلق وتصديق قول الوليد وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم فى التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان) وقيل هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ولما كانت صفة الذين حبب الله اليهم الايمان غايرت صفة المتقدم ذكرهم وقعت لكن فى حاق موقعها من الاستدراك وهو مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا (وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر) وهو تغطية نعم الله وغمطها بالجحود (والفسوق) وهو الخروج عن محجة الايمان بركوب الكبائر (والعصيان) وهو ترك الانقياد لما أمر به الشارع (أولئك هم الراشدون) اى أولئك المستثنون هم الراشدون يعنى اصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهى الصخرة (فضلا من الله ونعمة) الفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والانتصاب على المفعول له اى حبب وكره للفضل والنعمة (والله عليم) باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) حين يفضل وينعم بالتوفيق على الافاضل (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا

وقف

وقف فنزل فدعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن ابى بن سلول ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذونا به فى مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يارسول الله فاغشنا فى مجالسنا فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتبارزون فلم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبى صلى الله عليه وسلم دابته وقال قتادة نزلت فى رجلين من الانصار كان بينهما مماراة فى حق بينهما فقال احدهما للآخر لآخذن حقى منك عنوة لكثرة عشيرته وان الآخر دعاه ليحاكمه الى النبى صلى الله عليه وسلم فأبى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدى والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امرأة من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شئ فرقى بها الى علية فحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء معه قومه فاقتتلوا بالايدى والنعال فأنزل الله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل المراد من الطائفتين الاوس والخزرج (فأصلحوا بينهما) اى بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما (فان بغت) اى تعدت (احداهما على الاخرى) وابت الاجابة الى حكم كتاب الله (فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ) اى ترجع (الى أمر الله) اى الى كتابه الذى جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع الى طاعته فى الصلح الذى امر به (فان فاءت) اى رجعت الى الحق (فأصلحوا بينهما بالعدل) اى الذى يحملهما على الانصاف والرضا بحكم الله (واقسطوا) اى اعدلوا (ان الله يحب المقسطين) اى العادلين (انما المؤمنون اخوة) اى فى الدين والولاية وذلك الا الايمان قد عقد بين اهله من النسب والقرابة كعقد النسب الملاصق وان بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام لهم كالاب قال بعضهم

ابى الاسلام لا اب لى سواه * اذا افتخروا بقيس او تميم

(فأصلحوا بين أخويكم) اى اذا اختلفا واقتتلا (واتقوا الله) اى فلا تعصوه ولا تخالفوا امره (لعلكم ترحمون) (ق) عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ومن كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله تعالى يوم القيامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

* فصل فى حكم قتال البغاة * قال العلماء فى هاتين الآيتين دليل على ان البغى لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين ويدل عليه ما روى عن على بن أبى طالب وهو القدوة فى قتال اهل البغى وقد سئل عن اهل الجمل وصفين امشركون هم فقال لا انهم من الشرك فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغى فى الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل ونصبوا لهم اماما فالحكم فيهم ان يبعث اليهم الامام ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة واصروا على البغى قاتلهم الامام حتى يفيئوا الى طاعته ثم الحكم فى قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى مناد فى يوم الجمل الا لا يتبع مدبر ولا يقتل اسير ولا يذفف على جريح وهو بذال معجمة وهو الاجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه واتى على يوم صفين باسير فقال لا اقتلك صبرا انى اخاف الله رب العالمين وما اتلفت احدى الطائفتين على الاخرى فى حال القتال من نفس ومال فلا ضمان عليها قال ابن شهاب كانت فى تلك الفتنة دماء يعرف فى بعضها القاتل والمقتول واتلف فيها اموال ثم صار الناس الى ان سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما رأيته اقتص من احد ولا اغرم مالا امامن لم تجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بان كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم اولم يكن لهم تأويل أولم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم اذا لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق فى الحكم وروى ان عليا سمع رجلا يقول فى

فأصلحوا بينهما) وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فأمسك ابن ابى بأنفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لأطيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصى وقيل بالايدى والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم ونزلت وجمع اقتتلوا حملا على المعنى لان الطائفتين فى معنى القوم والناس وثنى فى فأصلحوا بينهما نظرا الى اللفظ (فان بغت احداهما على الاخرى) البغى الاستطالة والظلم واباء الصلح (فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ) اى ترجع والفئ الرجوع وقد سمى به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار الى المسلمين وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت فاذا كفت وقبضت عن الحرب ايديها تركت (الى أمر الله) المذكور فى كتابه من الصلح وزوال الشحناء (فان فاءت) عن البغى الى امر الله (فأصلحوا بينهما بالعدل) بالانصاف (وأقسطوا) واعدلوا وهو أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعدما أمر به فى اصلاح ذات البين (ان الله يحب المقسطين) العادلين والقسط الجور والقسط العدل والفعل منه اقسط وهمزته للسلب اى ازال القسط وهو الجور (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) هذا تقرير لما ألزمه من تولى الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان ان الايمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على انه اذا نشب مثل ذلك بين الاخوين ولادا لزم السائران يتناهضوا فى رفعه وازاحته بالصلح بينهما فالاخوة فى الدين احق بذلك اخوتهم يعقوب (واتقوا الله لعلكم ترحمون) اى واتقوا الله فالتقوى تحملكم على التواصل والائتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم مرجوا والآية تدل على ان البغى لا يزيل اسم الايمان

لانه سماهم مؤمنين مع وجود البغي (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن) القوم الرجال خاصة لانهم القوام بأمور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية اذ لو كانت النساء داخلة في قوم لم يقل ولا نساء وحقق ذلك زهير في قوله

* وما ادري ولست اخال ادري *
* أقوم آل حصن ام نساء *

واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان يقصد افادة الشياع وان يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشأن الذي كانوا عليه وقوله عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف ورد مورد جواب المستخبر عن علة النهي والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب ان يعتقد كل واحد ان المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر اذ لا اطلاع للناس الا على الظواهر ولا علم لهم بالسرائر والذي يزن عند الله خلوص الضمائر فينبغي ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى وعن ابن مسعود رضي الله عنه البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا (ولا تلمزوا أنفسكم) ولا تطعنوا أهل دينكم واللمز الطعن والضرب باللسان ولا تلمزوا يعقوب وسهل والمؤمنون كنفس واحدة فاذا عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة (ولا تنابزوا بالالقاب) التنابز بالالقاب التداعي بها والنبز لقب السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له فاما ما يحبه فلا بأس به وروي ان قوما من بني تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب الرجل فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة وكانت قصيرة وعن انس رضي الله عنه عيرت نساء النبي صلى الله عليه وسلم ام سلمة بالقصر وروي انها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل انا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية

ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال علي كلمة حق اريد بها باطل لكم علينا ثلاثة لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت ايديكم مع ايدينا ولا نبدأكم بقتال قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) الآية نزلت في ثلاثة اسباب السبب الاول من اولها الى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان في آذانه وقر وكان اذا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم فظن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد وكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قائما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ثم يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال انا فلان قال له ثابت ابن فلانة وذكر اما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحيى فأنزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزؤن بفقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى حذيفة لما رأوه من رثاثة حالهم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم اي لا يستهزئ غني بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر ولا ذو حسب بلئيم واشباه ذلك مما ينقصه به ولعله عند الله خير منه وهو قوله تعالى (عسى ان يكونوا خيرا منهم) السبب الثاني قوله (ولا نساء من نساء) اي لا يستهزئ نساء من نساء (عسى ان يكن خيرا منهن) روي عن انس انها نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وعن ابن عباس انها نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن انس بلغ صفية ان حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت قالت لي حفصة اني بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي وعمك لنبي وانك لتحت نبي ففيم تفتخر عليك ثم قال اتقي الله يا حفصة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب والسبب الثالث قوله تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب) عن ابي جبيرة بن الضحاك هو اخو ثابت بن الضحاك الانصاري قال فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا وله اسمان او ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم فأنزل الله هذه الآية ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اخرجه ابو داود وفي الترمذي قال كان الرجل منا يكون له اسمان او ثلاثة فيدعى ببعضها فعسى ان يكره قال فنزلت هذه الآية ولا تنابزوا بالالقاب قال الترمذي حديث حسن قوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم اي لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم في بعض والمراد بالانفس الاخوان هنا والمعنى لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين لانهم كانفسكم فاذا عاب عائب أحدا بعيب فكأنه عاب نفسه وقيل لا يخلو احد من عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكأنه هو العائب لنفسه ولا تنابزوا بالالقاب اي لا تدعوا الانسان بغير ما سمي به وقال ابن عباس التنابز بالالقاب ان يكون

الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى ان يعير بما سلف من عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق
يا منافق يا كافر قيل كان الرجل اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا
عن ذلك وقيل هو ان تقول لاخيك يا كلب يا حمار يا خنزير وقال بعض العلماء المراد بهذه الالقاب ما يكرهه
المنادى به فاما الالقاب التي صارت كالاعلام لاصحابها كالاعمش والاعرج وما اشبه ذلك فلا بأس
بها اذا لم يكرهها المدعو بها واما الالقاب التي تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا فلا تكره كما قيل
لابي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلي ابو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك (بئس
الاسم الفسوق بعد الايمان) اي بئس الاسم ان تقولوا له يا يهودي او يا نصراني بعد ما اسلم او يا فاسق بعد
ما تاب وقيل معناه ان من فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق و بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق (ومن لم يتب) اي من ذلك كله (فأولئك هم
الظالمون) اي الضارون لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل ظلموا الذين قالوا لهم ذلك قوله عز وجل
(يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما و يتقدمهما الى
المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض اسفاره فتقدم
سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ شيئا لهما فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال لا غلبتني عيناي
فنمت قالا انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان
عنده فضل طعام وادم فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فأتاه فقال
ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما فأخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى
طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان
هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاآ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما
مالي ارى خضرة اللحم في أفواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتما تأكلان لحم
سلمان واسامة فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعني ان يظن بأهل الخير
سوء نهى الله المؤمن ان يظن بأخيه المؤمن شرا وقيل هو ان يسمع من اخيه المسلم كلاما لا يريد به سوءا
او يدخل مدخلا لا يريد به سوءا فيراه أخوه المسلم فيظن شرا لان بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا
وفي نفس الامر لا يكون كذلك لجواز ان يكون فاعله ساهيا او يكون الرائي مخطئا فاما أهل السوء والفسق
المجاهرون بذلك فلنا ان نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم (ان بعض الظن اثم) قال سفيان الثوري
الظن ظنان أحدهما اثم وهو ان يظن و يتكلم به والآخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به وقيل الظن
أنواع فمنه واجب ومأمور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو الظن الحسن بالاخ
المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز و جل وسوء الظن بالاخ المسلم
(ولا تجسسوا) أي لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عن البحث عن المستور من امور الناس وتتبع
عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اياكم والظن لان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا
عباد الله اخوانا كما أمركم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى
ههنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله
ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم التجسس بالجيم التفتيش
عن بواطن الامور وأكثر ما يقال في الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع الى حديث الغير وقيل
معناهما واحد وهو طلب الاخبار وقوله ولا تنافسوا اي لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من اسباب

فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر على
أحد في الحسب بعدها أبدا (بئس الاسم
الفسوق بعد الايمان) الاسم ههنا بمعنى الذكر
من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللؤم
وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس
كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب
ارتكاب هذه الجرائم ان يذكروا بالفسق وقوله
بعد الايمان استقباح للجمع بين الايمان
والفسق الذي يحظره الايمان كما تقول بئس
الشأن بعد الكبرة الصبوة وقيل كان في
شتائمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق
فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا
الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه (ومن
لم يتب) عما نهي عنه (فأولئك هم الظالمون)
وحد وجمع للفظ من ومعناه (يا أيها الذين
آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) يقال جنبه
الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله في جانب
فيعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام ومطاوعه اجتنب الشر
فنقص مفعولا والمأمور باجتنابه بعض الظن
وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى
قوله (ان بعض الظن اثم) قال الزجاج هو ظنك
بأهل الخير سوءا فاما أهل الفسق فلنا ان نظن
فيهم مثل الذي ظهر منهم اومعناه اجتنابا
كثيرا واحترز من الكثير ليقع التحرز عن
البعض والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه
العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه
كالنكال والعذاب (ولا تجسسوا) اي لا تتبعوا
عورات المسلمين ومعايبهم يقال تجسس الامر
اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس وعن
مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله وقال
سهل لا تبحثوا عن طلب معايب ما ستره

الدنيا وحظوظها والحسد تمنى زوال النعمة عن صاحبها قوله ولا تدابروا اى لا يعطى كل واحد منكم اخاه دبره وقفاه فيعرض عنه و يهجره عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع يامعشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمؤمن اعظم حرمة عند الله منك أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال اتى ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شئ نأخذ به أخرجه ابوداود وله عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى عورة فسترها كان كمن احيا موؤدة (م) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا فى الدنيا الا ستره الله يوم القيامة قوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) أى لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قلت الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قلت وان كان فى أخى ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه بهته أخرجه مسلم عن عائشة قالت قلت للنبى صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعنى قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما احب انى حكيت انسانا وان لى كذا وكذا أخرجه ابوداود والترمذى وقال حديث حسن صحيح قوله لمزجته اى خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من ابلغ الزواجر عن الغيبة قوله تعالى (أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) قال مجاهد لما قيل ايحب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اى كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غائبا قيل تأويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لانه لا يحس بذلك وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه لان الانسان يتألم قلبه اذا ذكر بسوء كما يتألم جسده اذا قطع لحمه والعرض اشرف من اللحم فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحم الناس فترك اعراضهم اولى وقوله لحم اخيه آكد فى المنع لان العدو قد يحمله الغضب على أكل لحم عدوه وقوله ميتا ابلغ فى الزجر عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفى نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى اعراضهم أخرجه ابوداود وقال ميمون بن سيار بينا انا نائم اذا بجيفة زنجى وقائل يقول كل يا عبد الله قلت وما آكل قال كل بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع احدا يغتاب احدا عنده قوله تعالى (واتقوا الله) أى فى امر الغيبة واجتناب نواهيه (ان الله تواب رحيم) قوله عز وجل (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) قال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وقوله فى الرجل الذى لم يفسح له ابن فلانة فقال النبى صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت انا يا رسول الله قال انظر فى وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت ابيض واحمر واسود قال فانك لا تفضلهم الا بالدين والتقوى فنزلت فى ثابت هذه الآية ونزل فى الذى لم يفسح له يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا الآية وقيل لما كان يوم فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة واذن فقال عتاب بن اسيد بن العيص الحمد لله الذى قبض ابى ولم ير هذا اليوم وقال الحارث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهل بن عمرو ان يكره الله شيئا يغيره وقال ابوسفيان انى لا اقول شيئا اخاف ان يخبره رب السماء فنزل جبريل فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا وسألهم عما قالوا فأقروا فأنزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازراء بالفقراء فقال يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى يعنى

الله على عباده (ولا يغتب بعضكم بعضا) الغيبة الذكر بالعيب فى ظهر الغيب وهى من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وفى الحديث هو ان تذكر أخاك بما يكره فان كان فيه فهو غيبة والا فهو بهتان وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس (أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا) ميتا مدنى وهذا تمثيل وتصوير لما ينال المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه وفيه مبالغات منها الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ماهو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى أحدكم والاشعار بأن أحدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان حتى جعل الانسان أخا ومنها ان لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة ان تأكل منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حى وانتصب ميتا على الحال من اللحم أو من أخيه ولما قررهم بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله (فكرهتموه) أى فتحققت كراهتكم له باستقامة العقل فليتحقق أيضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة باستقامة الدين (واتقوا الله ان الله تواب رحيم) التواب البليغ فى قبول التوبة والمعنى واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم بثواب المؤمنين التائبين وروى ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوى لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندى شئ فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما جاآ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى ارى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما قال انكما قد اغتبتما ومن اغتاب مسلما فقد أكل لحمه ثم قرأ الآية وقيل غيبة الخلق انما تكون من الغيبة عن الحق (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) من آدم وحواء او كل واحد منكم من اب وام فما منكم من أحد الا وهو يدلى بمثل ما يدلى به الآخر سواء بسواء فلا معنى

آدم وحواء والمعنى انكم متساوون فى النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونكم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة وقيل يحتمل ان يكون المعنى انا خلقنا كل واحد منكم أيها الموجودون من اب وام فان كل واحد منكم خلق كما خلق الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل فى النسب (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بفتح الشين وهى رؤس القبائل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج سموا شعوبا لتشعب القبائل منهم وقيل لتجمعهم (وقبائل) جمع قبيلة وهى دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العمائر واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العمائر البطون واحدتها بطن وهم كبنى غالب ولؤى من قريش ودون البطون الافخاذ واحدتها فخذ وهم كبنى هاشم وبنى امية من لؤى ودون الافخاذ الفصائل واحدتها فصيلة بالصاد المهملة كبنى العباس من بنى هاشم ثم بعد ذلك العشائر واحدتها عشيرة وليس بعد العشيرة شئ يوصف وقيل الشعوب للعجم والقبائل للعرب والاسباط من بنى اسرائيل وقيل الشعوب الذين لا ينسبون الى أحد بل ينسبون الى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينتسبون الى آبائهم (لتعارفوا) اى ليعرف بعضكم بعضا فى قرب النسب وبعده لا للتفاخر بالانساب ثم بين الخصلة التى بها يفضل الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) قيل اكرم الكرم التقوى والأم اللؤم الفجور وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (ق) عن ابى هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الناس أكرم قال أكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألون قالوا نعم قال فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا فقهوا بضم القاف على المشهور وحكى كسرها ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على ايدى الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله واثنى عليه وقال الحمد لله الذى اذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس ان الناس رجلان بر تقى كريم على الله وكافر شقى هين على الله ثم تلا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم قال اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم والمحجن عصا محنية الرأس كالصولجان وقوله عبية الجاهلية يعنى كبرها وفخرها (ان الله عليم) اى بظواهركم ويعلم انسابكم (خبير) اى ببواطنكم لا تخفى عليه اسراركم فاجعلوا التقوى زادكم الى معادكم قيل التقى هو العالم بالله المواظب على الوقوف ببابه المتقرب الى جنابه وقيل حد التقوى ان يجتنب العبد المناهى ويأتى بالاوامر والفضائل ولا يغتر ولا يأمن فان اتفق ان يرتكب منهيا لا يأمن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهيا ولم يتب فى الحال واتكل على المهلة وغره طول الامل فليس بمتق لان المتقى لم يترك ما أمر به ويترك ما نهى عنه وهو مع ذلك خاش لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فان التفت لحظة الى نفسه واهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه وجدد له توبة جعلنا الله واياكم من المتقين قوله تعالى (قالت الاعراب آمنا) الآية نزلت فى نفر من بنى اسد قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة مجدبة فأظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين فى السر فأفسدوا طرق المدينة بالقذرات واغلوا اسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال والذرارى ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة ويقولون اعطنا فأنزل الله فيهم هذه الآية وقيل نزلت فى الاعراب الذين ذكرهم الله فى سورة الفتح وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا يقولون آمنا ليأمنوا على أنفسهم واموالهم فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا عنها فأنزل الله عز وجل قالت الاعراب آمنا أى صدقنا (قل لم تؤمنوا) اى لم تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) اى استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبى (ولما يدخل

للتفاخر والتفاضل فى النسب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها (لتعارفوا) أى انما رتبكم على شعوب وقبائل ليعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزى الى غير آبائه لا ان تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاضل فى الانساب ثم بين الخصلة التى يفضل بها الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) فى الحديث من سره ان يكون أكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وروى انه صلى الله عليه وسلم طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله الذى أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم قرأ الآية وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوق المدينة فرأى غلاما اسود يقول من اشترانى فعلى شرط ان لا يمنعنى من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه بعضهم فمرض فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفى فحضر دفنه فقالوا فى ذلك شيئا فنزلت (ان الله عليم) بكرم القلوب وتقواها (خبير) بهمم النفوس فى هواها (قالت الاعراب) أى بعض الاعراب لان من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر وهم اعراب بنى اسد قدموا المدينة فى سنة جدبة فأظهروا الشهادة يريدون الصدقة ويمنون عليه (آمنا) أى ظاهرا وباطنا (قل) لهم يا محمد (لم تؤمنوا) لم تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) فالايمان هو التصديق والاسلام الدخول فى السلم والخروج من ان يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الا ترى الى قوله (ولما يدخل

الايمان فى قلوبكم) ناعلم ان مايكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان وهذا من حيث اللغة واما فى الشرع فالايمان والاسلام واحد لما عرف وفى لما معنى التوقع وقد دل على ان بعض هؤلاء قد آمنوا فيما بعد والآية تنقض على الكرامية مذهبهم ان الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان فان قلت مقتضى نظم الكلام ان يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا فقيل لم تؤمنوا مع أدب حسن فلم يقل كذبتم تصريحا ووضع لم تؤمنوا الذى هو نفى ما ادعوا اثباته موضعه واستغنى بقوله لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهى عن القول بالايمان ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به وليس

تكرير المعنى قوله لم تؤمنوا فان فائدة قوله لم تؤمنوا تكذيب لدعواهم وقوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم توقيت لما أمروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حيث لم تثبت مواطأة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير فى قولوا (وان تطيعوا الله ورسوله) فى السر بترك النفاق (لا يلتكم) لا يألتكم بصرى (من أعمالكم شيئا) أى لا ينقصكم من ثواب حسناتكم شيئا ألت يألت وألات يليت ولات يليت بمعنى وهو النقص (ان الله غفور) بستر الذنوب (رحيم) بهدايتهم للتوبة عن العيوب ثم وصف المؤمنين المخلصين فقال (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا) ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه فى الشك مع التهمة والمعنى انهم آمنوا ثم لم يقع فى نفوسهم شك فيما امنوا به ولا اتهام لمن صدقوه ولما كان الايقان و زوال الريب ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخى اشعارا باستقراره فى الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) يجوز ان يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب او الشيطان أو الهوى وان يكون جاهد مبالغة فى جهد ويجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان يتناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو صنيع عثمان فى جيش العسرة وان يتناول الزكاة وكل ما يتعلق بالمال من اعمال البر وخبر المبتدا الذى هو المؤمنون (أولئك هم الصادقون) اى الذين صدقوا فى قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب اعراب بنى أسد اوهم الذين ايمانهم ايمان صدق وحق وقوله الذين آمنوا صفة لهم ولما نزلت هذه الآية جاؤا وحلفوا انهم مخلصون فنزل (قل أتعلمون الله بدينكم) اى اتخبرونه بتصديق قلوبكم (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم) من النفاق والاخلاص وغير ذلك (يمنون عليك ان) أى بأن (أسلموا) يعنى باسلامهم والمن ذكر الايادى تعريضا للشكر (قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم) أى المنة لله عليكم (ان هداكم) بأن هداكم أو لان (للايمان ان كنتم صادقين) ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا انكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين فى ادعائكم الايمان بالله فلله المنة عليكم وقرئ ان هداكم (ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) وبالياء مكى وهذا بيان لكونهم غير صادقين فى دعواهم يعنى انه تعالى

الايمان فى قلوبكم) اخبر ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالابدان لا يكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص (ق) عن سعد بن ابى وقاص قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وأنا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم هو اعجبهم الى فقلت مالك عن فلان والله انى لأراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا وأجابه بمثل ذلك ثم قال انى لاعطى الرجل وغيره احب الى منه خشية ان يكب فى النار على وجهه زاد فى رواية قال الزهرى فنرى ان الاسلام الكلمة والايمان العمل الصالح لفظ الحميدى اعلم ان الاسلام هو الدخول فى السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله لابراهيم عليه السلام أسلم قال اسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وقيل الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمأنينة النفس عليه والاسلام هو الدخول فى السلم والخروج من ان يكون حربا للمسلمين مع اظهار الشهادتين فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند أهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق فالايمان لا يحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام اعم والايمان اخص لكن العام فى صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون أمرا غيره فالعام والخاص مختلفان فى العموم والخصوص متحدان فى الوجود فذلك المؤمن والمسلم وقوله تعالى (وان تطيعوا الله ورسوله) اى ظاهرا وباطنا سرا وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا له الايمان (لا يلتكم) اى لا ينقصكم (من أعمالكم شيئا) اى من ثواب اعمالكم (ان الله غفور رحيم) ثم بين حقيقة الايمان فقال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) اى لم يشكوا فى دينهم (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) اى فى ايمانهم ولما نزلت هاتان الآيتان أتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مؤمنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فانزل الله عز وجل (قل أتعلمون الله بدينكم) أى تخبرون الله بدينكم الذى أنتم عليه (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) اى لا تخفى عليه خافية (والله بكل شئ عليم) اى لا يحتاج الى اخباركم (يمنون عليك ان أسلموا) هو قولهم اسلمنا ولم نحاربك يمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين بذلك أن اسلامهم لم يكن خالصا (قل لا تمنوا على اسلامكم) اى لا تعتدوا على باسلامكم (بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان) اى لله المنة عليكم أن ارشدكم وامدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى (ان كنتم صادقين) اى انكم مؤمنون (ان الله يعلم غيب السموات والارض) اى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ فى السموات والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم (والله بصير بما تعملون) اى بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله سبحانه

وتعالى أعلم

(تفسير سورة ق)

وهي مكية وهي خمس وأربعون آية وثلاثمائة وسبع وخمسون كلمة وألف وأربعمائة واربعة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ق) قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل اسم من أسماء الله وقيل اسم من اسماء القرآن وقيل هو مفتاح اسم القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه قضى الامر وقضى ما هو كائن وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كتفاها وخضرة السماء منه والعالم داخله ولا يعلم ماوراءه الا الله تعالى ويقال هو من وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة (والقرآن المجيد) أي الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا في جواب القسم قيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا ومعنى (بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم) انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان يخوفهم رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته وصدقه (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) أي معجب غريب (أئذا متنا وكنا ترابا) أي أحين نموت ونبلى ونبعث ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه (ذلك رجع بعيد) أي يبعد أن نبعث بعد الموت قال الله تعالى (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) أي ما تأكل الارض من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شئ (وعندنا) أي مع علمنا بذلك (كتاب حفيظ) بمعنى محفوظ أي من التبديل والتغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ لعددهم وأسمائهم ولما تنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد أثبت فيه ما يكون (بل كذبوا بالحق) أي بالقرآن (لما جاءهم) قيل معناه كذبوا به لما جاءهم وقيل كذبوا المنذر لما جاءهم (فهم في أمر مريج) أي مختلط ملتبس قيل معنى اختلاط أمرهم قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم مجنون ويقولون مرة في القرآن سحر ومرة زجر ومرة مفترى فكان أمرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل في هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك قوم الحق الا مرج عليهم أمرهم ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) أي بغير عمد (وزيناها) أي بالكواكب (وما لها من فروج) أي شقوق وصدوع (والارض مددناها) أي وبسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسي) أي جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن كريم يبتهج به أي يسر به (تبصرة) أي جعلنا ذلك تبصرة (وذكرى) أي تذكرة (لكل عبد منيب) أي راجع الى الله تعالى والمعنى يتبصر ويتذكر من أناب (ونزلنا من السماء

يعلم كل مستقر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شئ فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وهو علام الغيوب *(سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية)* (بسم الله الرحمن الرحيم) (ق والقرآن المجيد بل عجبوا) الكلام في (ق والقرآن المجيد بل عجبوا) كالكلام في ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وقوله بل عجبوا أي كفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) أي محمد صلى الله عليه وسلم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا عدالته وأمانته ومن كان كذلك لم يكن الا ناصحا لقومه خائفا أن ينالهم مكروه واذا علم ان مخوفا أظلهم لزمه أن ينذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف وانكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شئ واقرارهم بالنشأة الاولى مع شهادة العقل بأنه لا بد من الجزاء ثم عول على احد الانكارين بقوله (فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا وكنا ترابا) دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على انهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع متنا نافع وحمزة وعلى وحفص (ذلك رجع بعيد) مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد أي بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعاد الانكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف على ترابا على هذا حسن وناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه حتى علم ما تنقص الارض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا (وعندنا كتاب حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر (فهم في أمر مريج) مضطرب يقال مرج الخاتم في الاصبع اذا اضطرب من سعته فيقولون تارة شاعر وطورا ساحر ومرة كاهن لا يثبتون على شئ واحد وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث ثم دلهم على قدرته على البعث فقال (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث (الى السماء فوقهم) الى آثار قدرة الله تعالى في خلق العالم (كيف بنيناها) رفعناها بغير عمد (وزيناها) بالنيرات (وما لها من فروج) من فتوق وشقوق أي انها سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل (والارض مددناها) دحوناها (وألقينا فيها رواسي) جبالا ثوابت لولا هي لمادت (وأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (بهيج) يبتهج به لحسنه (تبصرة وذكرى) لنبصر به ونذكر (لكل عبد منيب) راجع الى ربه مفكر في بدائع خلقه (ونزلنا من السماء

ماء مباركا) كثير المنافع (فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) أي وحب الزرع الذي من شأنه ان يحصد كالحنطة والشعير وغيرهما (والنخل باسقات) طوالا في السماء (لها طلع) هو كل ما يطلع من ثمر النخيل (نضيد) منضود بعضه فوق بعض لكثرة الطلع وتراكمه أو لكثرة ما فيه من الثمر (رزقا للعباد) أي أنبتناها رزقا للعباد لان الانبات في معنى الرزق فيكون رزقا مصدرا من غير لفظه أو هو مفعول له أي أنبتناها لرزقهم (وأحيينا به) بذلك الماء (بلدة ميتا) قد جف نباتها (كذلك الخروج) أي كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم لان احياء الموات كاحياء الاموات والكاف في محل الرفع على الابتداء (كذبت قبلهم) قبل قريش (قوم نوح وأصحاب الرس) هو بئر لم تطو وهم قوم باليمامة وقيل أصحاب الاخدود (وثمود وعاد وفرعون) أراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملئهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات (واخوان لوط وأصحاب الايكة) سماهم اخوانه لان بينهم وبينه نسبا قريبا

(وقوم تبع) هو ملك باليمن أسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه وسمي به لكثرة تبعه (كل) أي كل واحد منهم (كذب الرسل) لان من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميعهم (فحق وعيد) فوجب وحل وعيدي وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أفعيينا) عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار (بالخلق الاول) أي انا لم نعجز عن الخلق الاول فكيف نعجز عن الثاني والاعتراف بذلك اعتراف بالاعادة (بل هم في لبس) في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم وذلك تسويله اليهم ان احياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح وهو ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة أقدر (من خلق جديد) بعد الموت وانما نكر الخلق الجديد ليدل على عظمة شأنه وان حق من سمع به أن يخاف ويهتم به (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) الوسوسة الصوت الخفي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس في ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قوله صوت بكذا (ونحن أقرب اليه) المراد قرب علمه منه (من حبل الوريد) هو مثل في فرط القرب والوريد عرق في باطن العنق والحبل العرق والاضافة للبيان كقولهم بعير سانية (اذ يتلقى المتلقيان) يعني الملكين الحافظين (عن اليمين وعن الشمال قعيد) التلقي التلقن بالحفظ والكتابة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه كقوله

رماني بأمر كنت منه ووالدي بريئا ومن أجل الطوي رماني

أي رماني بأمر كنت منه بريئا وكان والدي منه بريئا واذ منصوب بأقرب لما فيه من معنى يقرب والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس ولا شئ أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بأن استحفاظ الملكين أمر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم القيامة من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات (ما يلفظ من قول) ما يتكلم به وما يرمي به من فيه (الا لديه رقيب) حافظ (عتيد) حاضر ثم قيل يكتبان كل شئ حتى أنينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما فيه أجر أو وزر وقيل ان الملكين لا يجتنبانه الا عند الغائط والجماع لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه أعلمهم ان ما أنكروه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله

ماء مباركا) أي كثير الخير والبركة فيه حياة كل شئ وهو المطر (فأنبتنا به) أي بذلك الماء (جنات) اي بساتين (وحب الحصيد) يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد (والنخل باسقات) أي طوالا وقيل مستويات (لها طلع) أي ثمر يطلع ويظهر وسمي طلعا قبل ان يتشقق (نضيد) أي متراكب بعضه على بعض في أكمامه فاذا تشقق وخرج من أكمامه فليس بنضيد (رزقا) أي جعلناه ذلك رزقا (للعباد وأحيينا به) أي بالمطر (بلدة ميتا) فأنبتنا فيها الكلأ والعشب (كذلك الخروج) أي من القبور والاحياء بعد الموت قوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة) وقيل كان لوط مرسلا الى طائفة من قوم ابراهيم ولذلك قال واخوان لوط (وقوم تبع) هو أبو كرب تبع الحميري وقد تقدم قصص جميعهم قيل ذم الله عز وجل قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه هو المكذب المستخف لقومه فلهذا خص بالذكر دونهم (كل كذب الرسل فحق وعيد) أي كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسلهم فحق وعيدي أي وجب لهم عذابي وقيل فحق وعيد للرسل بالنصر (أفعيينا بالخلق الاول) هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى أعجزنا حين خلقناهم أولا فنعيا بالاعادة ثانيا وذلك لانهم اعترفوا بالخلق الاول وانكروا البعث (بل هم في لبس) أي شك (من خلق جديد) وهو البعث قوله عز وجل (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) اي ما يحدث به قلبه فلا تخفى علينا سرائره وضمائره (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) بيان لكمال علمه أي نحن اعلم به منه والوريد العرق الذي يجري فيه الدم ويصل الى كل جزء من أجزاء البدن وهو بين الحلقوم والمري ومعنى الآية ان أجزاء الانسان وابعاضه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شئ وقيل يحتمل أن يكون المعنى ونحن أقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجري فيه أمرنا كما يجري الدم في عروقه (اذ يتلقى المتلقيان) أي يتلقن الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه (عن اليمين وعن الشمال) يعني ان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات (قعيد) أي قاعد وكل واحد منهما قعيد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل أراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح (ما يلفظ من قول) أي ما يتكلم من كلام يخرج من فيه (الا لديه رقيب) أي حافظ (عتيد) أي حاضر أينما كان سوى وقت الغائط وعند جماعه فانهما يتأخران عنه فلا يجوز للانسان أن يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا يؤذي الملائكة بدنوهما منه وهو على تلك الحالة حتى يكتبا ما يتكلم به قيل انهما يكتبان عليه كل شئ يتكلم به حتى أنينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما له أجر وثواب أو عليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الحنك وكان الحسن البصري

(وجاءت سكرة الموت) أى شدّته الذاهبة بالعقل ملتبسة (بالحق) أى بحقيقة الامر أو بالحكمة (ذلك ما كنت منه) الاشارة الى الموت والخطاب للانسان فى قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات (تحيد) تنفر وتهرب (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أى وقت ذلك يوم الوعيد على حذف المضاف والاشارة الى مصدر نفخ (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) أى ملكان أحدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ماهو فى حكم المعرفة (لقد كنت) أى يقال لها لقد كنت (فى غفلة من هذا) النازل بك اليوم (فكشفنا عنك غطاءك) أى فأزلنا غفلتك بما تشاهده (فبصرك اليوم حديد) جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر مالم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه (وقال قرينه) الجمهور على انه الملك الكاتب الشهيد عليه (هذا) اى ديوان عمله مجاهد شيطانه الذى قيض له فى قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين هذا أى الذى وكلت به (ما لدى عتيد) هذا مبتدأ وما نكرة بمعنى شئ والظرف بعده وصف له وكذلك عتيد وما وصفتها خبر هذا والتقدير هذا شئ ثابت لدى عتيد ثم يقول الله تعالى (ألقيا) والخطاب للسائق والشهيد أو لمالك وكان الاصل ألق ألق فناب ألقيا عن ألق ألق لان الفاعل كالجزء من الفعل فكانت تثنية الفاعل نائبة عن تكرار الفعل وقيل اصله ألقين والالف بدل من النون اجراء للوصل مجرى الوقف دليله قراءة الحسن ألقين (فى جهنم كل كفار) بالنعم والمنعم (عنيد) معاند مجانب للحق معاد لاهله (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه أو مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله (معتد) ظالم متخط للحق (مريب) شاك فى الله وفى دينه (الذى جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره (فألقياه فى العذاب الشديد) او بدل من كل كفار وفألقياه تكرير للتوكيد ولا يجوز ان يكون صفة لكفار لان النكرة لا توصف بالموصول (قال قرينه) اى شيطانه الذى قرن به وهو شاهد لمجاهد وانما أخليت هذه الجملة عن الواو دون الاولى لان الاولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها فى الحصول اعنى مجئ كل نفس

٤٢ ح

مع الملكين وقول قرينه ما قال له واما هذه فهى مستأنفة كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول كما فى مقاولة موسى وفرعون فكان الكافر قال رب هو اطغانى فقال قرينه (ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد) اى ما أوقعته فى الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى (قال لا تختصموا) هو استئناف مثل قوله تعالى قال قرينه كان قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا (لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد) اى لا تختصموا فى دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة فى اختصامكم ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابى على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فما تركت لكم حجة على والباء فى بالوعيد مزيدة كما فى قوله ولا تلقوا بأيديكم او معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم (ما يبدل القول لدى) اى لا تطمعوا ان ابدل قولى ووعيدى بادخال الكفار فى النار

يحبه ان ينظف عنه فقته روى البغوى باسناد الثعلبى عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر قوله تعالى (وجاءت سكرة الموت) أى غمرته وشدته التى تغشى الانسان وتغلب على عقله (بالحق) أى بحقيقة الموت وقيل بالحق من أمر الآخرة حتى يتنبه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه أمر الانسان من السعادة والشقاوة (ذلك ما كنت منه تحيد) أى يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذى كنت عنه تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أى ذلك اليوم الذى وعد الله الكفار أن يعذبهم فيه (وجاءت) أى فى ذلك اليوم (كل نفس معها سائق) أى يسوقها الى المحشر (وشهيد) أى يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الايدى والارجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس (لقد كنت فى غفلة من هذا) أى من هذا اليوم فى الدنيا (فكشفنا عنك غطاءك) أى الذى كان على قلبك وسمعك وبصرك فى الدنيا (فبصرك اليوم حديد) أى قوى ثابت نافذ تبصر ما كنت تتكلم به فى الدنيا وقيل ترى ما كان محجوبا عنك وقيل نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك (وقال قرينه) يعنى الملك الموكل به (هذا ما لدى) أى عندى (عتيد) أى معد محضر وقيل يقول الملك هذا الذى وكلتنى به من بنى آدم قد أحضرته واحضرت ديوان عمله (ألقيا فى جهنم) أى يقول الله تعالى لقرينه وقيل هذا أمر للسائق والشهيد (كل كفار) أى شديد الكفر (عنيد) أى عاص مسرف للحق معاند لله فيما أمره به (مناع للخير) أى للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه فى ماله (معتد) أى ظالم لا يقر بتوحيد الله (مريب) أى شاك فى التوحيد (الذى جعل مع الله الها آخر فألقياه فى العذاب الشديد) يعنى النار (قال قرينه) يعنى الشيطان الذى قيض لهذا الكافر (ربنا ما أطغيته) قيل هذا جواب لكلام مقدر وهو ان الكافر حين يلقى فى النار يقول ربنا أطغانى شيطانى فيقول الشيطان ربنا ما أطغيته أى ما أضللته وما أغويته (ولكن كان فى ضلال بعيد) أى عن الحق فيتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه يعنى الملك يقول الكافر رب ان الملك زاد على فى الكتابة فيقول الملك ربنا ما أطغيته أى ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان فى ضلال بعيد أى طويل لا يرجع عنه الى الحق (قال) الله تعالى (لا تختصموا لدى) أى لا تعتذروا عندى بغير عذر وقيل هو خصامهم مع قرنائهم (وقد قدمت اليكم بالوعيد) أى بالقرآن وأنذرتكم على ألسن الرسل وحذرتكم عذابى فى الآخرة لمن كفر (ما يبدل القول لدى) أى لا تبديل لقولى وهو قوله عز وجل لأملأن جهنم وقضيت عليكم ما أنا قاض فلا تغيير قولى ولا يبدل وقيل معناه لا يكذب عندى ولا يغير القول عن وجهه لانى علام الغيوب وأعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الاولى

يدل عليه انه قال ما يبدل القول لدى ولم يقل يبدل قولى (وما أنا بظلام للعبيد) أى فأعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فأزيد على اساءة المسيء أو انقص من احسان المحسن قوله عز وجل (يوم نقول لجهنم هل امتلأت) بيان لما سبق لما من وعيد الله تعالى اياها انه يملأها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده (وتقول) يعنى جهنم (هل من مزيد) يعنى تقول قد امتلأت ولم يبق فى موضع لم يمتلئ فهو استفهام انكارى وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل امتلأت قبل دخول جميع اهلها فيها وروى عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سيق أعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملأها شئ فتقول ألست قد أقسمت لتملأنى فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلأت وليس فى مزيد (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العرش وفى رواية رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولابى هريرة نحوه وزاد ولا يظلم الله من خلقه أحدا

(فصل) هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفى أمثاله مذهبان أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين انه لا يتكلم فى تأويلها بل نؤمن بأنها حق على ما أراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب الثانى وهو قول جمهور المتكلمين انها تتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا فى تأويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم المقدم وهو سائغ فى اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من أهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير فى قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يحتمل ان فى المخلوقات من تسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضى عياض اظهر التأويل انهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه من ظاهره لقيام الدليل القطعى العقلى على استحالة الجارحة على الله تعالى والله أعلم قوله قط قط أى حسبى حسبى قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطاء وكسرها منونة وغير منونة وقوله ولا يظلم الله من خلقه أحدا يعنى انه يستحيل الظلم فى حق الله تعالى فمن عذبه بذنب او بغير ذنب فذلك عدل منه سبحانه وتعالى قوله تعالى (وأزلفت الجنة) أى قربت وأدنيت (للمتقين) أى الذين اتقوا الشرك (غير بعيد) يعنى انها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها أهل الموقف قبل ان يدخلوها (هذا ما توعدون) أى يقال لهم هذا الذى وعدتم به فى الدنيا على ألسنة الانبياء (لكل أوّاب) أى رجاع عن المعصية الى الطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل هو الذى يذكر ذنوبه فى الخلاء فيستغفر منها وقيل هو التواب وقال ابن عباس هو المسبح وقيل هو المصلى (حفيظ) قال ابن عباس الحافظ لامر الله وعنه هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل حفيظ لما استودعه الله من حقه وقيل هو المحافظ على نفسه المتعهد لها المراقب لها وقيل هو المحافظ على الطاعات والاوامر (من خشى الرحمن بالغيب) أى خاف الرحمن فأطاعه وان لم يره وقيل خافه فى الخلوة بحيث لا يراه أحد اذا ألقى الستر وأغلق الباب (وجاء بقلب منيب) أى مخلص مقبل على طاعة الله (ادخلوها) أى يقال لاهل هذه الصفة ادخلوا الجنة (بسلام) أى بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم (ذلك يوم الخلود) أى فى الجنة لانه لا موت فيها (لهم ما يشاؤن فيها) وذلك انهم يسألون الله حتى تنتهى مسئلتهم فيعطون ما سألوا ثم يزيد الله عبيده ما لم يسألوا مما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى (ولدينا مزيد) وقيل المزيد هو النظر الى وجهه الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فى كل جمعة فى دار كرامته فهذا هو المزيد قوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم) أى قبل كفار مكة (من قرن هم أشد منهم بطشا)

(وما انا بظلام للعبيد) فلا أعذب عبدا بغير ذنب وقال بظلام على لفظ المبالغة لانه من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده (يوم) نصب بظلام أو بمضمر هو اذكر وانذر (يقول) نافع وابو بكر اى يقول الله (لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) وهو مصدر كالمحيد اى انها تقول بعد امتلائها هل من مزيد اى هل بقى فى موضع لم يمتلئ يعنى قد امتلأت او انها تستزيد وفيها موضع للمزيد وهذا على تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كانطاق الجوارح والسؤال لتوبيخ الكفرة لعلمه تعالى بأنها امتلأت ام لا (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) غير نصب على الظرف اى مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالصليل والمصادر يستوى فى الوصف بها المذكر والمؤنث او على حذف الموصوف اى شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل (هذا) مبتدأ وهو اشارة الى الثواب او الى مصدر أزلفت (ما توعدون) صفته وبالياء مكى (لكل أوّاب) رجاع الى ذكر الله خبره (حفيظ) حافظ لحدوده فى الحديث من حافظ على اربع ركعات فى اول النهار كان أوّابا حفيظا (من) مجرور المحل بدل من اوّاب او رفع بالابتداء وخبره ادخلوها على تقدير يقال لهم ادخلوها بسلام لان من فى معنى الجمع (خشى الرحمن) الخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة وقرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشى وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنه خاش مع ان المخشى منه غائب (بالغيب) حال من المفعول اى خشيه وهو غائب او صفة لمصدر خشى اى خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب الحسن اذا أغلق الباب وارخى الستر (وجاء بقلب منيب) راجع الى الله وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة (ادخلوها بسلام) اى سالمين من زوال النعم وحلول النقم (ذلك يوم الخلود) اى يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين اى مقدرى الخلود (لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد) على ما يشتهون والجمهور على انه رؤية الله تعالى بلا كيف (وكم اهلكنا قبلهم) قبل قومك (من قرن) من القرون الذين كذبوا رسلهم (هم أشد منهم) من قومك (بطشا) يعنى

يعني سطوة والبطش الاخذ بصولة وعنف (فنقبوا في البلاد) أي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق (هل من محيص) أي فلم يجدوا ولهم محيصا أي مهربا من أمر الله وقيل لا يجدون لهم مفرا من الموت بل يموتون فيصيرون الى عذاب الله وفيه تخويف لاهل مكة لانهم على مثل سبيلهم (ان في ذلك لذكرى) أي ان في ماذكر من اهلاك القرى تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) قال ابن عباس أي عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله (أو ألقى السمع) أي استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره (وهو شهيد) أي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه قوله تعالى (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) أي اعياء وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض وما بينهما في ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره والظاهر ان المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما فقوله وما مسنا من لغوب أي ما تعبنا بالخلق الاول حتى لا نقدر على الاعادة ثانيا كما قال الله تعالى أفعيينا بالخلق الاول الآية وأما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو مما تحرف منهم أو لم يعلموا تأويله وذلك أن الاحد والاثنين أزمنة مستمرة بعضها بعد بعض فلو كان خلق السموات والارض ابتدئ يوم الاحد لكان الزمان قبل الاجسام والزمان لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام أجسام لان اليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات والارض لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان أي مدة كانت قوله عز وجل (فاصبر على ما يقولون) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي اصبر يا محمد على ما يقولون أي من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الامر بقتالهم (وسبح بحمد ربك) أي صل حامدا لله (قبل طلوع الشمس) أي صلاة الصبح (وقبل الغروب) قال ابن عباس صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) يعني صلاة المغرب والعشاء وقيل يعني صلاة الليل أي وقت صلى (وادبار السجود) قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهما ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهي رواية عن ابن عباس ويروى مرفوعا عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شئ من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر (م) عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعني بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال ما أحصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل في قوله وادبار السجود التسبيح باللسان في ادبار الصلوات المكتوبات (خ) عن ابن عباس قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبح في ادبار الصلوات كلها يعني قوله وادبار السجود (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر (خ) عنه ان فقراء المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا قوله تعالى (واستمع يوم ينادي المناد) يعني استمع يا محمد حديث يوم ينادي المنادي وقيل معناه انتظر صيحة القيامة والنشور وقال

قوة وسطوة (فنقبوا) خرقوا (في البلاد) وطافوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم اشد منهم بطشا أي شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة في اسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويدل عليه قراءة من قرأ فنقبوا على الامر (هل من محيص) مهرب من الله أو من الموت (ان في ذلك) المذكور (لذكرى) تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) واع لان من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له (أو ألقى السمع) اصغى الى المواعظ (وهو شهيد) حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) اعياء قيل نزلت في اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والارض في ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذي وقع من التشبيه في هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم اخذوا وأنكر اليهود التربيع في الجلوس وزعموا انه جلس تلك الجلسة يوم السبت (فاصبر على ما يقولون) اي على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه او على ما يقول المشركون في امر البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم (وسبح بحمد ربك) حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره او على الصلاة فالصلاة (قبل طلوع الشمس) الفجر (وقبل الغروب) الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) العشاآن أو التهجد (وادبار السجود) التسبيح في آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات او الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وإدبار حجازي وحمزة وخلف من ادبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم (واستمع) لما اخبرك به من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به وقد وقف يعقوب عليه وانتصب (يوم ينادي المنادي) بما دل عليه ذلك يوم الخروج اي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور وقيل تقديره واستمع حديث يوم ينادي المنادي بالياء في الحالين مكي وسهل ويعقوب وفي الوصل مدني وابو عمرو وغيرهم بغير ياء فيهما والمنادي اسرافيل ينفخ في الصور وينادي ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة

واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر (من مكان قريب) من صخرة بيت المقدس وهي اقرب مكان من الارض الى السماء باثنى عشر ميلا وهي وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة) بدل من يوم ينادي الصيحة النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر والجزاء (ذلك يوم الخروج) من القبور (انا نحن نحيى) الخلق (ونميت) اى نميتهم فى الدنيا (والينا المصير) اى مصيرهم (يوم تشقق) خفيف كوفى وابو عمرو وغيرهم بالتشديد (الأرض عنهم) اى تتصدع الارض فتخرج الموتى من صدوعها (سراعا) حال من المجرور اى مسرعين (ذلك حشر علينا يسير) هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص اى لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذى لا يشغله شأن عن شأن (نحن أعلم بما يقولون) فيك وفينا تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنت عليهم بجبار) كقوله بمسيطر اى ما أنت بمسلط عليهم انما انت داع وباعث وقيل هو من جبره على الامر بمعنى اجبره اى ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الايمان (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) كقوله انما انت منذر من يخشاها لانه لا ينفع الا فيه والله أعلم

(سورة الذاريات مكية وهى ستون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والذاريات) الرياح لانها تذرو التراب وغيره وبادغام التاء فى الذال حمزة وأبو عمرو (ذروا) مصدر والعامل فيه اسم الفاعل (فالحاملات) السحاب لانها تحمل المطر (وقرا) مفعول الحاملات (فالجاريات) الفلك (يسرا) جريا ذا يسر أى ذا سهولة (فالمقسمات امرا) الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرهما او تفعل التقسيم مأمورة بذلك او تتولى تقسيم أمر العباد فجبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجرى فى الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب ومعنى الفاء على الاول انه اقسم بالرياح فبالسحاب التى تسوقه فبالفلك التى تجريها بهبوبها فبالملائكة التى تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها وعلى الثانى انها تبتدئ فى الهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجرى فى الجو باسطة له فتقسم المطر (ان ماتوعدون) جواب القسم وما موصولة او مصدرية والموعود البعث (لصادق) وعد صادق كعيشة راضية اى ذات رضا (وان الدين) الجزاء على الاعمال (لواقع) لكائن (والسماء) هذا قسم آخر (ذات الحبك) الطرائق الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها جمع حباك (انكم لفى قول مختلف) أى قولهم فى الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفى القرآن سحر وشعر وأساطير الاولين (يؤفك عنه من افك) الضمير للقرآن او الرسول أى يصرف عنه من صرف الصرف الذى لا صرف اشد منه واعظم او يصرف عنه من صرف فى سابق علم الله اى علم فيما لم يزل انه مأفوك عن الحق لا يرعوى ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم بالذاريات على ان وقوع أمر القيامة

المفسرون المنادى هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادى بالحشر فيقول يا أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وهو قوله تعالى (من مكان قريب) قيل ان صخرة بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هى فى وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة بالحق) أى الصيحة الاخيرة (ذلك يوم الخروج) اى من القبور (انا نحن نحيى) اى فى الدنيا (ونميت) يعنى عند انقضاء الاجل (والينا المصير) اى فى الآخرة وقيل تقديره نميت فى الدنيا ونحيى للبعث والينا المصير بعد البعث (يوم تشقق الارض عنهم سراعا) اى يخرجون سراعا الى المحشر وهو قوله تعالى (ذلك حشر علينا يسير) اى هين (نحن أعلم بما يقولون) يعنى كفار مكة فى تكذيبك (وما أنت عليهم بجبار) اى بمسلط تجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا وذلك قبل ان يؤمر بقتالهم (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) اى ما أوعدت به من عصانى من العذاب قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيد أى عظ بالقرآن من يخاف وعيدى والله أعلم بمراده

(تفسير سورة الذاريات)

وهى مكية وهى ستون آية وثلثمائة وستون كلمة وألف ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والذاريات ذروا) يعنى الرياح التى تذرو التراب (فالحاملات وقرا) يعنى السحاب يحمل ثقلا من الماء (فالجاريات يسرا) يعنى السفن تجرى فى الماء جريا سهلا (فالمقسمات أمرا) يعنى الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ما أمروا به وقيل هم أربعة جبريل صاحب الوحى الى الانبياء الامين عليه وصاحب الغلظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف الاربعة فى الرياح لانها تنشئ السحاب وتسيره ثم تحمله وتقله ثم تجرى به جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب أقسم الله تعالى بهذه الاشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته والمعنى أقسم بالذاريات وبهذه الاشياء وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى (ان ماتوعدون) اى من الثواب والعقاب يوم القيامة (لصادق) اى لحق (وان الدين) أى الحساب والجزاء (لواقع) اى لكائن ثم ابتدأ قسما آخر فقال تعالى (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوى وقيل ذات الزينة حبكت بالنجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرائق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لا ترى لبعدها من الناس وجواب القسم قوله (انكم) يعنى يا أهل مكة (لفى قول مختلف) يعنى فى القرآن وفى محمد صلى الله عليه وسلم يقولون فى القرآن سحر وكهانة وأساطير الاولين وفى محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وقيل لفى قول مختلف اى مصدق ومكذب (يؤفك عنه من أفك) اى يصرف عن الايمان به من صرف حتى يكذبه وهو

من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وقيل معناه انهم كانوا يتلقون الرجل اذا أراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان به (قتل الخراصون) اى الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول فى النبى صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة (الذين هم فى غمرة) اى فى غفلة وعمى وجهالة (ساهون) اى لاهون غافلون عن امر الآخرة والسهو الغفلة عن الشئ وذهاب القلب عنه (يسألون أيان يوم الدين) أى يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعنى يوم القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله تعالى (يوم هم) اى يكون هذا الجزاء فى يوم هم (على النار يفتنون) اى يدخلون و يعذبون بها وتقول لهم خزنة النار (ذوقوا فتنتكم) اى عذابكم (هذا الذى كنتم به تستعجلون) اى فى الدنيا تكذيبا به قوله تعالى (ان المتقين فى جنات وعيون) يعنى فى خلال الجنات عيون جارية (آخذين ما آتاهم) اى ما أعطاهم (ربهم) اى من الخير والكرامة (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) اى قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين فى الدنيا ثم وصف احسانهم فقال تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) اى كانوا ينامون قليلا من الليل و يصلون أكثره وقال ابن عباس كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيئا اما من اولها أو من أوسطها وعن أنس بن مالك فى قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون كانوا يصلون بين المغرب والعشاء أخرجه ابو داود وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقيل قل ليلة اتت عليهم هجعوها كلها ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا أى من الناس ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون اى لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله فى الصلاة والعبادة (وبالاسحار هم يستغفرون) اى ربما مدوا عبادتهم الى وقت السحر ثم اخذوا فى الاستغفار وقيل يستغفرون من تقصيرهم فى العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذى كانوا ينامونه من الليل وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب المغفرة (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له ولمسلم قال فيقول أنا الملك أنا الملك وذكر الحديث وفيه حتى يضيئ الفجر وزاد فى رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم

(فصل) هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان أحدهما وهو مذهب السلف وغيرهم انه يمر كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل و يترك الكلام فيه وفى امثاله مع الايمان به وتنزيه الرب تبارك وتعالى عن صفات الاجسام المذهب الثانى وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم ان الصعود والنزول من صفات الاجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية وقربها من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل لان ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة أكثر الناس عن التعرض لنفحات رحمة الله تعالى وفى ذلك الوقت تكون النية خالصة والرغبة الى الله تعالى متوفرة فهو مظنة لقبول الاجابة والله تعالى أعلم (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت زاد فى رواية وما أنت اعلم به منى انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت أو لا اله غيرك زاد النسائى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (خ) عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الحمد لله وسبحان الله

حق ثم اقسم بالسماء على انهم فى قول مختلف فى وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بأمر القيامة من هو المأفوك (قتل) لعن واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن (الخراصون) الكذابون المقدرون مالا يصح وهم أصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون (الذين هم فى غمرة) فى جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسألون) فيقولون (ايان يوم الدين) أى متى يوم الجزاء وتقديره ايان وقوع يوم الدين لانه انما يقع الاحيان ظروفا للحدثان وانتصب اليوم الواقع فى الجواب بفعل مضمر دل عليه السؤال أى يقع (يوم هم على النار يفتنون) و يجوز ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة ومحله نصب بالمضمر الذى هو يقع اورفع على هو يوم هم على النار يفتنون يحرقون و يعذبون (ذوقوا فتنتكم) أى تقول لهم خزنة النار ذوقوا عذابكم واحراقكم فى النار (هذا) مبتدأ خبره (الذى كنتم به تستعجلون) فى الدنيا بقولكم فائتنا بما تعدنا ثم ذكر حال المؤمنين فقال (ان المتقين فى جنات وعيون) أى وتكون العيون وهى الانهار الجارية بحيث يرونها وتقع عليها ابصارهم لانهم فيها (آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به وآخذين حال من الضمير فى الظرف وهو خبر ان (انهم كانوا قبل ذلك) قبل دخول الجنة فى الدنيا (محسنين) قد احسنوا أعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ينامون وما مزيدة للتوكيد و يهجعون خبر كان والمعنى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل او مصدرية والتقدير كانوا قليلا من الليل هجوعهم فيرتفع هجوعهم لكونه بدلا من الواو فى كانوا لا بقليلا لانه صار موصوفا بقوله من الليل خرج من شبه الفعل وعمله باعتبار المشابهة أى كان هجوعهم قليلا من الليل ولا يجوز ان تكون ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا و يحيونه كله لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت (وبالاسحار هم يستغفرون) وصفهم بانهم يحيون

الليل متهجدين فاذا اسحروا أخذوا فى الاستغفار كانهم اسلفوا فى ليالهم الجرائم والسحر السدس الاخير من الليل (وفى أموالهم حق للسائل) لمن يسال لحاجته (والمحروم) اى الذى يتعرض ولا يسال حياء (وفى الارض آيات) تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هى مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للتقلبين فيها وهى مجزأة فمن سهل ومن جبل وصلبة ورخوة وعذاة وسبخة وفيها عيون منفجرة ومعادن مفننة ودواب منبثة مختلفة الصور والاشكال متباينة الهيئات والافعال (للموقنين) للموحدين الذين سلكوا الطريق السوى البرهانى الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا ايقانا على ايقانهم (وفى انفسكم) فى حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفى بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك

بالقلوب وماركز فيها من العقول وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما فى تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها ودع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وماسوى فى الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثنى فانه اذا جسا منها شئ جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين وما قيل ان التقدير افلا تبصرون فى أنفسكم ضعيف لانه يفضى الى تقديم ما فى حيز الاستفهام على حرف الاستفهام (افلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر (وفى السماء رزقكم) أى المطر لانه سبب الاقوات وعن الحسن انه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم (وما توعدون) الجنة فهى على ظهر السماء السابعة تحت العرش او أراد ان ما ترزقونه فى الدنيا وما توعدونه فى العقبى كله مقدور مكتوب فى السماء (فورب السماء والارض انه لحق) الضمير يعود الى الرزق او الى ما توعدون (مثل ما انكم تنطقون) بالرفع كوفى غير حفص صفة للحق أى حق مثل نطقكم وغيرهم بالنصب أى انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز ان يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة وعن الاصمعى انه قال اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابى على قعود فقال من الرجل فقلت من بنى اصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الله قال اتل على فتلوت والذاريات فلما بلغت وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد وطفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بى بصوت رقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابى قد نحل واصفر فسلم على واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذى اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى حلف قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه (هل أتاك) تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما عرفه بالوحى وانتظامها بما قبلها باعتبار انه قال وفى الارض آيات وقال فى آخر هذه القصة وتركنا فيها آية (حديث ضيف ابراهيم) الضيف للواحد والجماعة كالصوم والزور لانه فى الاصل مصدر ضافه وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وجعلهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم او لانهم كانوا فى حسبانه كذلك (المكرمين) عند الله لقوله بل عباد مكرمون وقيل لانه خدمهم بنفسه واخدمهم امرأته وعجل لهم القرى

والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال اللهم اغفر لى أو قال دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته قوله تعار من الليل يقال تعار الرجل من ذنوبه اذا انتبه وله صوت قوله عز وجل (وفى اموالهم حق) أى نصيب قيل انه ما يصلون به رحما او يقرون به ضيفا أو يحملون به كلا أو يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل انه الزكاة المفروضة (للسائل) أى الذى يسأل الناس ويطلب منهم (والمحروم) قيل هو الذى ليس له فى الغنائم سهم ولا يجرى عليه من الفئ شئ قال ابن عباس رضى الله عنهما المحروم الذى ليس له فى الاسلام سهم وقيل معناه الذى حرم الخير والعطاء وقيل المحروم المتعفف الذى لا يسأل وقيل هو صاحب الحاجة الذى أصيب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم فى الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب وأظهر الاقوال انه المتعفف لانه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل وانما يفطن له متيقظ (وفى الارض آيات) أى عبر من البحار والجبال والاشجار والثمار وأنواع النبات (للموقنين) أى بالله الذين يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه (وفى أنفسكم) أى آيات اذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما الى ان تنفخ الروح وقال ابن عباس رضى الله عنهما يريد اختلاف الالسنة والصور والالوان والطبائع وقيل يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعنى تقدم الادوات السمع والبصر والنطق والعقل الى غير ذلك من العجائب المودعة فى ابن آدم (أفلا تبصرون) يعنى كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث (وفى السماء رزقكم) قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الارزاق (وما توعدون) يعنى من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال (فورب السماء والارض انه لحق) أى ما ذكر من الرزق وغيره (مثل ما انكم تنطقون) أى بلا اله الا الله وقيل شبه تحقق ما اخبر عنه بتحقق نطق الآدمى ومعناه انه لحق كما انك تتكلم وقيل ان معناه فى صدقه ووجوده كالذى تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه ان ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذى قسم له لا يقدر ان يأكل رزق غيره قوله تعالى (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم) يعنى هل أتاك يا محمد حديث الذين جاؤا ابراهيم بالبشرى فاستمع نقصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم فى سورة هود (المكرمين) قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقيل لانهم كانوا ضيف ابراهيم وهو اكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون وقيل لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته اياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما سماهم مكرمين لانهم كانوا غير مدعوين (ق) عن ابن شريح العدوى قال قال رسول الله

(اذ دخلوا عليه) نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم لهم والا فبما صار اذكر (فقالوا سلاما) مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه واصله نسلم عليكم سلاما (قال سلام) أي عليكم سلام فهو مرفوع على الابتداء وخبره محذوف والعدول الى الرفع للدلالة على اثبات السلام كأنه قصد ان يحييهم باحسن مما حيوه به اخذا بأدب الله وهذا أيضا من اكرامه لهم حمزة وعلى سلم والسلم السلام (قوم منكرون) أي انتم قوم منكرون فعرفوني من أنتم (فراغ الى اهله) فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن ادب المضيف ان يخفي امره وان يبادر بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه وكان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر (فجاء بعجل سمين فقربه اليهم) ليأكلوا منه فلم يأكلوا (قال الا تأكلون) انكر عليهم ترك الاكل او حثهم عليه (فأوجس) فأضمر (منهم خيفة) خوفا لان من لم يأكل طعامك لا يحفظ ذمامك عن ابن عباس رضي الله عنهما وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب (قالوا لا تخف) انا رسل الله وقيل مسح جبريل العجل فقام ولحق بأمه (وبشروه بغلام عليم) أي يبلغ ويعلم والمبشر به اسحاق عند الجمهور (فأقبلت امرأته في صرة) في صيحة من صر القلم والباب قال الزجاج الصرة شدة الصياح ههنا ومحله النصب على الحال أي فجاءت صارة وقيل فأخذت في صياح وصرتها قولها ياويلتا (فصكت وجهها) فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب (وقالت عجوز عقيم) أي انا عجوز فكيف ألد كما قال في موضع آخر أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا (قالوا كذلك) مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا به (قال ربك) أي انما نخبرك عن الله تعالى والله قادر على ما تستبعدين (انه هو الحكيم) في فعله (العليم) فلا يخفى عليه شئ وروى ان جبريل قال لها حين استبعدت انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا بأمر الله رسلا في بعض الامور (قال فما خطبكم) أي فما شأنكم وما طلبتكم وفيم ارسلتم (أيها المرسلون) أرسلتم بالبشارة خاصة أو لامر آخر أو لهما (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) أي قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) اريد السجيل وهو طين طبخ كما طبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة (مسومة) معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به (عند ربك) في ملكه وسلطانه (للمسرفين) سماهم مسرفين كما سماهم عادين أي لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقتنعوا بما ابيح لهم (فأخرجنا من كان فيها) في القرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة (من المؤمنين) يعني لوطا ومن آمن به (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) أي غير أهل بيت وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد لان الملائكة سموهم مؤمنين ومسلمين هنا (وتركنا فيها) في قراهم (آية للذين يخافون العذاب الاليم) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قيل هي ماء اسود منتن (وفي موسى) معطوف على وفي الارض آيات او على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله

* علفتها تبنا وماء باردا * (اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين) بحجة ظاهرة وهي اليد والعصا (فتولى) فاعرض عن الايمان (بركنه) بما كان يتقوى به من جنوده وملكه والركن ما يركن اليه الانسان من مال وجند (وقال ساحر) أي هو ساحر (او مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم) آت بما يلام عليه من كفره وعناده وانما وصف يونس عليه السلام به في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم لان موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكفر ملوم على مقداره وراكب الكبيرة والصغيرة والزلة كذلك والجملة مع الواو حال من الضمير في فأخذناه

صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) أي غرباء لا نعرفكم قال ابن عباس قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل انما انكر أمرهم لانهم دخلوا بغير استئذان وقيل انكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض (فراغ) أي عدل ومال (الى أهله فجاء بعجل سمين) أي جيد وكان مشويا قيل كان عامة مال ابراهيم البقر فجاء بعجل (فقربه اليهم) هذا من آداب المضيف ان يقدم الطعام الى الضيف ولا يحوجهم السعي اليه فلما لم يأكلوا (قال ألا تأكلون) يعني انه حثهم على الاكل وقيل عرض عليهم الاكل من غير ان يأمرهم (فأوجس) أي فأضمر (منهم خيفة) لانهم لم يتحرموا بطعامه (قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم) اي يبلغ ويعلم وقيل عليم أي نبي (فأقبلت امرأته) قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت في البيت فهو كقول القائل اقبل يفعل كذا اذا أخذ فيه (في صرة) أي في صيحة والمعنى انها أخذت تولول وذلك من عادة النساء اذا سمعن شيئا (فصكت وجهها) قال ابن عباس لطمت وجهها وقيل جمعت اصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النساء أيضا اذا انكرن شيئا (وقالت عجوز عقيم) معناه اتلد عجوز عقيم وذلك لان سارة لم تلد قبل ذلك (قالوا كذلك قال ربك) أي كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاما (انه هو الحكيم العليم) ثم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما علم حالهم وانهم من الملائكة (قال فما خطبكم) أي فما شأنكم وما طلبكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعني قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) قيل هو الآجر (مسومة) أي معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا (عند ربك للمسرفين) قال ابن عباس يعني المشركين لان الشرك اسرف الذنوب وأعظمها (فأخرجنا من كان فيها) أي في قرى قوم لوط (من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت) أي اهل بيت (من المسلمين) يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم لان الاسلام أعم من الايمان واطلاق العام على الخاص لا مانع منه فاذا سمي المؤمن مسلما لا يدل على اتحاد مفهومهما (وتركنا فيها) أي مدينة قوم لوط (آية) أي عبرة (للذين يخافون العذاب الاليم) والمعنى تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على ان الله مهلكهم فيخافون مثل عذابهم قوله عز وجل (وفي موسى) أي وتركنا في ارسال موسى آية وعبرة (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) أي بحجة ظاهرة (فتولى) أي اعرض عن الايمان (بركنه) أي بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم (وقال ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) أي فأغرقناهم في البحر (وهو مليم) أي اتى بما يلام عليه من

(وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم) هى التى لا خير فيها من انشاء مطر او القاح شجر وهى ريح الهلاك واختلف فيها والاظهر انها الدبور لقوله عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور (ما تذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم) هو كل ما رم أى بلى وتفتت من عظم او نبات اوغير ذلك والمعنى ما تترك من شئ هبت عليه من انفسهم وانعامهم واموالهم الا اهلكته (وفى ثمود) آية أيضا (اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فأخذتهم الصاعقة) العذاب وكل عذاب مهلك صاعقة الصعقة على وهى المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة (وهم ينظرون) لانها كانت نهارا يعاينونها (فما استطاعوا من قيام) أى هرب اوهو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا منتصرين) ممتنعين من العذاب اولم يمكنهم مقابلتها بالعذاب لان معنى الانتصار المقابلة (وقوم نوح) أى واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او واذكر قوم نوح وبالجر أبو عمرو وعلى وحمزة أى وفى قوم نوح آية ويؤيده قراءة عبد الله وفى قوم نوح (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين (والسماء) نصب بفعل يفسره (بنيناها بايد) بقوة والايد القوة (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوى على الانفاق اولموسعون ما بين السماء والارض (والارض فرشناها) بسطناها ومهدناها وهى منصوبة بفعل مضمر أى فرشنا الارض فرشناها (فنعم الماهدون) أى نحن (ومن كل شئ) من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكرا وانثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد اشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له (لعلكم تذكرون) أى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه (ففروا الى الله) أى من الشرك الى الايمان بالله او من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن او مما سواه اليه (انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين) والتكرير للتوكيد والاطالة فى الوعيد ابلغ (كذلك) الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا او مجنونا ثم فسر ما أجمل بقوله (ما اتى الذين من قبلهم) من قبل قومك (من رسول الا قالوا) هو (ساحر او مجنون) رموهم بالسحر ان او الجنون لجهلهم (أتواصوا به) الضمير للقول أى اتواصى الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه (بل هم قوم طاغون) أى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه (فتول عنهم) فاعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا عنادا (فما انت بملوم) فلا لوم عليك فى اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة

دعوى الربوبية وتكذيب الرسل (وفى عاد) أى وفى اهلاك عاد أيضا آية وعبرة (اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) يعنى التى لا خير فيها فلا بركة فلا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا (ما تذر من شئ أتت عليه) أى من أنفسهم واموالهم وانعامهم (الا جعلته كالرميم) أى كالشئ الهالك البالى وهو ما يبس أو ديس من نبات الارض كالشجر والتبن ونحوه واصله من رم العظم اذا بلى (وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) يعنى الى وقت انقضاء آجالهم وذلك انهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) أى تكبروا عن طاعة ربهم (فأخذتهم الصاعقة) أى بعد مضى ثلاثة أيام من بعد عقر الناقة وهى الموت فى قول ابن عباس وقيل اخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك (وهم ينظرون) أى يرون ذلك العذاب عيانا (فما استطاعوا من قيام) أى فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض من تلك الصرعة (وما كانوا منتصرين) أى ممتنعين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من امر الله (وقوم نوح) قرئ بكسر الميم ومعناه وفى قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه واغرقنا قوم نوح (من قبل) أى من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن الطاعة قوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد) أى بقوة وقدرة (وانا لموسعون) قيل هو من السعة أى اوسعنا السماء بحيث صارت الارض وما يحيط بها من السماء بالنسبة الى سعة السماء كالحلقة الملقاة فى الفلاة وقال ابن عباس معناه قادرون على بنائها كذلك وعنه لموسعون أى الرزق على خلقنا وقيل معناه انا ذو والسعة والغنى (والارض فرشناها) أى بسطناها ومددناها لكم (فنعم الماهدون) أى نحن (ومن كل شئ خلقنا زوجين) أى صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء والجن والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والحامض (لعلكم تذكرون) أى فتعلموا ان خالق الازواج فرد لا نظير له ولا شريك معه (ففروا الى الله) أى قل يا محمد ففروا الى الله أى فاهربوا من عذابه الى ثوابه بالايمان والطاعة وقال ابن عباس ففروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله ففروا مما سوى الله الى الله (انى لكم منه نذير) أى مخوف (مبين) أى بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) أى وحدوه ولا تشركوا به شيئا (انى لكم منه نذير مبين) قيل انما كرر قوله انى لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما (كذلك) أى كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون كذلك (ما أتى الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة والامم الخالية (من رسول) يعنى يدعوهم الى الايمان والطاعة (الا قالوا ساحر أو مجنون) قال الله تعالى (أتواصوا به) أى اوصى اولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤا عليه وفيه توبيخ لهم (بل هم قوم طاغون) أى لم يتواصوا بهذا القول لانهم لم يتلاقوا على زمان واحد بل جمعتهم على ذلك علة واحدة وهى الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول (فتول عنهم) أى اعرض عنهم (فما أنت بملوم) أى لا لوم عليك فقد اديت الرسالة وبذلت المجهود وما قصرت فيما أمرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد على اصحابه وظنوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ أمر النبى صلى الله عليه وسلم

ان يتولى عنهم فانزل الله عزوجل (وذ كرفان الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقرآن كفارمكة فان الذكرى تنفع من علم الله أنه يؤمن منهم وقيل معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم قوله عزوجل (وماخلقت الجن والانس) أى من المؤمنين (الاليعبدون) قيل هذا خاص باهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وماخلقت الجن والانس من المؤمنين الاليعبدون وقيل معناه وماخلقت السعداء من الجن والانس الالعبادتى والاشقياء منهم الالمعصيتى وهوماجبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال على بن ابى طالب الاليعبدون أى الالآمرهم ان يعبدونى وادعوهم الى عبادتى وقيل معناه الاليعرفونى وهذا حسن لانه لولم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده وقيل معناه الاليخضعوالى ويتذللوالان معنى العبادة فى اللغة التذلل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل للمشيئة لايملك احدلنفسه خروجا عما خلق له وقيل معناه الاليوحدونى فأما المؤمن فيوحده اختيارافى الشدة والرخاء وأما الكافرفيوحده اضطرارافى الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء (ماأريدمنهم من رزق) أى ماأريدان يرزقوااحدامن خلق الله ولاان يرزقواانفسهم لانى أناالرزاق المتكفل لعبادى بالرزق القائم لكل نفس بمايقيمهامن قوتها (وماأريد أن يطعمون) أى ان يطعمواحدامن خلقى وانمااسندالاطعام الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله ومن اطعم عيال احد فقداطعمه لماصح من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل يقول يوم القيامة ياابن آدم مرضت فلم تعدنى قال يارب كيف اعودك وأنت رب العالمين قال اماعلمت ان عبدى فلانامرض فلم تعده اماعلمت انك لوعدته لوجدتنى عنده ياابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يارب كيف اطعمك وأنت رب العالمين قال اماعلمت انه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه اماعلمت انك لوأطعمته لوجدت ذلك عندى ياابن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال يارب كيف اسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه اماعلمت انك لوسقيته لوجدت ذلك عندى أخرجه مسلم ثم بين ان الرزاق هولاغيره فقال تعالى (ان الله هوالرزاق) أى لجميع خلقه (ذوالقوة المتين) يعنى هوالقوى الشديد المقتدر البالغ القوة والقدرة الذى لايلحقه فى افعاله مشقة (فان للذين ظلموا) أى من اهل مكة (ذنوبا) أى نصيبامن العذاب (مثل ذنوب اصحابهم) أى مثل نصيب اصحابهم الذين هلكوامن قوم نوح وعادوثمود (فلايستعجلون) اى بالعذاب لانهم اخروا الى يوم القيامة يدل عليه قوله عزوجل (فويل للذين كفروامن يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة وقيل يوم بدر والله تعالى أعلم بمراده

(سورة الطورمكية وهى تسع وأربعون آية وثلثمائة واثنتى عشرة كلمة وألف وخمسمائة حرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عزوجل (والطور) أراد به الجبل الذى كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام عليه بالارض المقدسة وقيل مدين (وكتاب مسطور) أى مكتوب (فى رق) يعنى الاديم الذى يكتب فيه المصحف (منشور) أى مبسوط واختلفوافى الكتاب فقيل هوماكتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير الاقلام وقيل هواللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة يخرج اليهم يوم القيامة منشورافاخذ بيمينه وآخذ بشماله وقيل هوالقرآن (والبيت المعمور) يعنى بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت فى السماء

(وذكر) وعظ بالقرآن (فان الذكرى تنفع المؤمنين) بان تزيدفى عملهم (وماخلقت الجن والانس الاليعبدون) العبادة ان حملت على حقيقتها فلاتكون الآية عامة بل المرادبها المؤمنون من الفريقين دليله السياق اعنى وذكرفان الذكرى تنفع المؤمنين وقراءة ابن عباس رضى الله عنهما وماخلقت الجن والانس من المؤمنين وهذالانه لايجوزان يخلق الذين علم منهم انهم لايؤمنون للعبادة لانه اذاخلقهم للعبادة واراد منهم العبادة فلابدان توجد منهم فاذالم يؤمنوا علم انه خلقهم لجهنم كماقال ولقد ذرأنالجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل الا لآمرهم بالعبادة وهومنقول عن على رضى الله عنه وقيل الاليكونواعبادالى والوجه ان تحمل العبادة على التوحيد فقدقال ابن عباس رضى الله عنهما كل عبادة فى القرآن فهى توحيد والكل يوحدونه فى الآخرة لماعرف ان الكفاركلهم مؤمنون موحدون فى الآخرة دليله قوله ثم لم تكن فتنتهم الاان قالوا والله ربنا ماكنامشركين نعم قداشرك البعض فى الدنيا لكن مدة الدنيابالاضافة الى الابداقل من يوم ومن اشترى غلاماوقال مااشتريته الالكتابة كان صادقافى قوله مااشتريته الالكتابة وان استعمله فى يوم من عمره لعمل آخر (ماأريدمنهم من رزق) ماخلقتهم ليرزقوا انفسهم اوواحدا من عبادى (وماأريدان يطعمون) قال ثعلب ان يطعمواعبادى وهى اضافة تخصيص كقوله عليه السلام خبراعن الله تعالى من أكرم مؤمنافقدأكرمنى ومن آذى مؤمنافقدآذانى (ان الله هوالرزاق ذوالقوة المتين) الشديد القوة والمتين بالرفع صفة لذووقرأ الاعمش بالجرصفة للقوة على تأويل الاقتدار (فان للذين ظلموا) رسول الله بالتكذيب من أهل مكة (ذنوبامثل ذنوب اصحابهم) نصيبامن عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من القرون المهلكة قال الزجاج الذنوب فى اللغة النصيب (فلايستعجلون) نزول العذاب وهذا جواب النضرواصحابه حين استعجلوا العذاب (فويل للذين كفروامن يومهم الذى يوعدون) أى من يوم القيامة وقيل من يوم بدر ليعبدونى أن يطعمونى فلايستعجلونى بالياء فى الحالين يعقوب ووافقه سهل فى الوصل الباقون بغيرياء والله اعلم

(سورة الطورمكية وهى تسع واربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

٤٤ ع (والطور) هوالجبل الذى كلم الله عليه موسى وهو بمدين (وكتاب مسطور) هوالقرآن ونكرلانه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب اواللوح المحفوظ اوالتوراة (فى رق) هوالصحيفة اوالجلد الذى يكتب فيه (منشور) مفتوح لاختم عليه اولانه (والبيت المعمور) أى الضراح وهو بيت فى السماء حيال الكعبة وعمرانه بكثرة زوّاره من الملائكة روى انه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ويخرجون ثم لايعودون اليه أبدا وقيل الكعبة لكونها

السابعة قدام العرش بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض وصح فى حديث المعراج من افراد مسلم عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور فى السماء السابعة قال فاذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه وفى رواية فانتهيت الى بناء فقلت للملك ما هذا قال بناء بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون يسبحون الله ويقدسونه وفى افراد البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) يعنى الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ما روى ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها فى نار جهنم وجاء فى الحديث عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل البحر الا غازيا أو معتمرا أو حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل المسجور المملوء وقيل هو اليابس الذى ذهب ماؤه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالملح وروى عن على انه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش غمره كما بين سبع سموات الى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه أربعين صباحا فينبتون من قبورهم أقسم الله بهذه الاشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله تعالى (ان عذاب ربك لواقع) يعنى انه لحق وكائن ونازل بالمشركين فى الآخرة (ماله من دافع) أى مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اسارى بدر فدفعت له وهو يصلى بأصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكأنما صدع قلبى حين سمعت ولم يكن أسلم يومئذ فأسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت أظن انى أقوم من مكانى حتى يقع بى العذاب ثم بين انه متى يقع فقال تعالى (يوم تمور السماء مورا) أى تدور كدور الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة وقيل تتحرك وتختلف اجزاؤها بعضها من بعض وتضطرب (وتسير الجبال سيرا) أى تزول عن أماكنها وتصير هباء منثورا والحكمة فى مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بأن لا رجوع ولا عود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بنى آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها أزالها الله تعالى وذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة (فويل) أى شدة وعذاب (يومئذ للمكذبين) أى يوم القيامة (الذين هم فى خوض) اى يخوضون فى الباطل (يلعبون) اى غافلون لاهون عما يراد بهم (يوم يدعون) أى يدفعون (الى نار جهنم دعا) يعنى دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايدى الكفار الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعون بهم دفعا الى النار على وجوههم وزخا فى أقفيتهم حتى يردوا الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) اى فى الدنيا (أفسحر هذا) وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطى على الابصار فوبخوا بذلك وقيل لهم أفسحر هذا (أم أنتم لا تبصرون اصلوها) أى قاسوا شدتها (فاصبروا) أى على العذاب (أولا تصبروا) أى عليه (سواء عليكم) أى الصبر والجزع (انما تجزون ما كنتم تعملون) أى من الكفر والتكذيب فى الدنيا قوله تعالى (ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين) أى معجبين بذلك ناعمين (بما آتاهم ربهم) أى من الخير والكرامة (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا) أى يقال لهم كلوا (واشربوا هنيئا) أى مأمون العاقبة من التخمة والسقم (بما كنتم تعملون) أى فى الدنيا من الايمان والطاعة (متكئين على سرر مصفوفة) اى موضوعة

مسجورة بالمجاج والعمار (والسقف المرفوع) أى السماء او العرش (والبحر المسجور) المملوء او الموقد والواو الاولى للقسم والبواقى للعطف وجواب القسم (ان عذاب ربك) أى الذى اوعد الكفار به (لواقع) لنازل قال جبير بن معطم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلمه فى الاسارى فلقيته فى صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب (ماله من دافع) لا يمنعه مانع والجملة صفة لواقع أى واقع غير مدفوع والعامل فى يوم لواقع اى يقع فى ذلك اليوم او اذكر (يوم تمور) تدور كالرحى مضطربة (السماء مورا وتسير الجبال سيرا) فى الهواء كالسحاب لانها تصير هباء منثورا (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون) غلب الخوض فى الاندفاع فى الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين ويبدل (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) من يوم تمور والدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون أيديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا فى اقفيتهم فيقال لهم (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) فى الدنيا (أفسحر هذا) هذا مبتدأ وسحر خبره يعنى كنتم تقولون للوحى هذا سحر أفسحر هذا يريد اهذا المصداق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى (ام انتم لا تبصرون) كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا يعنى ام انتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم (اصلوها فاصبروا اولا تصبروا سواء عليكم) خبر سواء محذوف أى سواء عليكم الامران الصبر وعدمه وقيل على العكس وعلل استواء الصبر وعدمه بقوله (انما تجزون ما كنتم تعملون) لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه فى العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير فأما الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع (ان المتقين فى جنات) فى أية جنات (ونعيم) أى وأى نعيم بمعنى الكمال فى الصفة او فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة (فاكهين) حال من الضمير فى الظرف والظرف خبر أى متلذذين (بما آتاهم ربهم) وعطف قوله (ووقاهم ربهم) على فى جنات أى ان المتقين استقروا فى جنات ووقاهم ربهم او على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم (عذاب الجحيم) او الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) أكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه (متكئين) حال من الضمير فى كلوا واشربوا (على سرر) جمع سرير (مصفوفة) موصول بعضها ببعض

(وزوجناهم) وقرناهم (بحور) جمع حوراء (عين) عظام الاعين حسانها (والذين آمنوا) مبتدأ والحقنا بهم خبره (واتبعتهم) واتبعناهم أبوعمرو (ذريتهم) اولادهم (بايمان) حال من الفاعل (ألحقنا بهم ذريتهم) أي نلحق الاولاد بايمانهم واعمالهم درجات الآباء وان قصرت اعمال الذرية عن اعمال الآباء وقيل ان الذرية وان لم يبلغوا مبلغا يكون منهم الايمان استدلالا وانما تلقنوا منهم تقليدا فهم يلحقون

بعضا الى بعض (وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بايمان) يعني ألحقنا أولادهم الصغار والكبار بايمانهم فالكبار بايمانهم بأنفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد أبويه (ألحقنا بهم ذرياتهم) يعني المؤمنين في الجنة بدرجات آبائهم وان لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم هذه رواية عن ابن عباس وفي رواية أخرى عنه ان معنى الآية والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم يعني البالغين بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان آبائهم أخبر الله تعالى انه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا ان يجتمعوا اليه فيدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمله من غير ان ينقص الآباء من أعمالهم شيئا وذلك قوله تعالى (وما ألتناهم من عملهم من شئ) يعني وما نقصنا الآباء من اعمالهم شيئا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم الى آخر الآية عن علي قال سألت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما رأى الكراهة في وجهها قال لو رأيت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين وأولادهم في الجنة وان المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم أخرج هذين الحديثين البغوي باسناد الثعلبي (كل امرئ) أي كافر (بما كسب) أي من عمل الشرك (رهين) اي مرتهن بعمله في النار والمؤمن لا يكون مرتهنا بعمله لقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى (وأمددناهم بفاكهة) يعني زيادة عما كان لهم (ولحم مما يشتهون) أي من انواع اللحوم (يتنازعون) أي يتعاطون ويتناولون (فيها) اي في الجنة (كأسا لا لغو فيها) أي لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا (ولا تأثيم) أي لا يكون فيها ما يؤثمهم ولا يجري بينهم ما فيه لغو واثم كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا وقيل لا يأثمون في شربها (ويطوف عليهم) أي للخدمة (غلمان لهم كأنهم) اي في الحسن والبياض والصفاء (لؤلؤ مكنون) أي مخزون مصون لم تمسه الايدي قال عبد الله بن عمر ما من أحد من أهل الجنة الا يسعى عليه ألف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب قوله تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يعني يسأل بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من الخوف والتعب في الدنيا (قالوا انا كنا قبل في أهلنا) أي في الدنيا (مشفقين) أي خائفين من العذاب (فمن الله علينا) أي بالمغفرة (ووقانا عذاب السموم) يعني عذاب النار وقيل هو اسم من أسماء جهنم (انا كنا من قبل) أي في الدنيا (ندعوه) أي نخلص الدعاء والعبادة له (انه هو البر) قال ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق فيما وعد وقيل البر العطوف على عباده المحسن اليهم الذي عم بره جميع خلقه (الرحيم) بعبيده قوله عز وجل (فذكر) يعني فعظ يا محمد بالقرآن كفار مكة (فما أنت بنعمة ربك) أي برحمته وعصمته وقيل بانعامه عليك بالنبوة (بكاهن ولا مجنون) الكاهن هو الذي يوهم انه يعلم الغيب ويخبر بما في غد من غير وحي والمعنى انك لست كما يقول كفار مكة انه كاهن او مجنون انما تنطق بالوحي نزلت في الذين اقتسموا عقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالآباء ذريتهم ذرياتهم مدني ذريتهم ذرياتهم أبوعمرو ذرياتهم ذرياتهم شامي (وما ألتناهم من عملهم من شئ) وما نقصناهم من ثواب عملهم من شئ ألتناهم مكي ألت يألت وألات يليت لغتان من الاولى متعلقة بالتناهم والثانية زائدة (كل امرئ بما كسب رهين) أي مرهون فنفس المؤمن مرهونة بعمله وتجازى به (وامددناهم) وزدناهم في وقت بعد وقت (بفاكهة ولحم مما يشتهون) وان لم يقترحوا (يتنازعون فيها كاسا) خمرا يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من اقربائهم يتناول هذا الكأس من يد هذا وهذا من يد هذا (لا لغو فيها) في شربها (ولا تأثيم) أي لا يجري بينهم ما يلغى يعني لا يجري بينهم باطل ولا ما فيه اثم لو فعله فاعل في دار التكليف من الكذب والشتم ونحوهما كشاربي خمر الدنيا لان عقولهم ثابتة فيتكلمون بالحكم والكلام الحسن لا لغو فيها ولا تأثيم مكي وبصري (ويطوف عليهم غلمان لهم) مملوكون لهم مخصوصون بهم (كأنهم) من بياضهم وصفائهم (لؤلؤ مكنون) في الصدف لانه رطبا احسن واصفى او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة في الحديث ان ادنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك (واقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله وما استحق به نيل ما عند الله (قالوا انا كنا قبل) أي في الدنيا (في أهلنا مشفقين) ارقاء القلوب من خشية الله او خائفين من نزع الايمان وفوت الامان او من رد الحسنات والاخذ بالسيئات (فمن الله علينا) بالمغفرة والرحمة (ووقانا عذاب السموم) هي الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة (انا كنا من قبل) من قبل لقاء الله تعالى والمصير اليه يعنون في الدنيا (ندعوه) نعبده ولا نعبد غيره ونسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن (الرحيم) العظيم الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب انه بالفتح مدني وعلي أي بانه او لانه (فذكر) فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم (فما أنت بنعمة ربك) برحمة ربك وانعامه عليك بالنبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) كما زعموا وهو في موضع الحال والتقدير لست كاهنا ولا مجنونا متلبسا بنعمة ربك

(ام يقولون) هو (شاعر نتربص به ريب المنون) حوادث الدهر أى ننتظر نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة وام فى اوائل
هذه الآى منقطعة بمعنى بل والهمزة (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى (ام تأمرهم احلامهم) عقولهم (بهذا)
التناقض فى القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الاحلام والنهى (ام هم قوم طاغون) مجاوزون الحد
فى العناد مع ظهور الحق لهم واسناد الامر الى
الاحلام مجاز (ام يقولون تقوله) اختلقه محمد من
تلقاء نفسه (بل) ردّ عليهم أى ليس الامر كما زعموا
(لا يؤمنون) فلكفرهم وعنادهم يرمون
بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس
بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من
العرب (فليأتوا بحديث) مختلق (مثله) مثل
القرآن (ان كانوا صادقين) فى ان محمدا تقوله
من تلقاء نفسه لانه بلسانهم وهم فصحاء (ام خلقوا)
ام أحدثوا وقدروا التقدير الذى عليه فطرتهم
(من غير شئ) من غير مقدر (ام هم الخالقون)
ام هم الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون
الخالق وقيل اخلقوا من اجل لا شئ من جزاء
ولا حساب ام هم الخالقون فلا يأتمرون (ام خلقوا
السموات والارض) فلا يعبدون خالقهما (بل
لا يوقنون) أى لا يتدبرون فى الآيات فيعلموا
خالقهم وخالق السموات والارض (ام عندهم
خزائن ربك) من النبوة والرزق وغيرهما
فيخصوا من شاؤا بما شاؤا (ام هم المصيطرون)
الارباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا
الامور على مشيئتهم وبالسين مكى وشامى (ام لهم
سلم) منصوب يرتقون به الى السماء (يستمعون
فيه) كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب
حتى يعلموا ما هو كائن من تقدّم هلاكه على هلاكهم
وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون قال الزجاج
يستمعون فيه أى عليه (فليأت مستمعهم
بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماع
مستمعهم (ام له البنات ولكم البنون) ثم سفه
احلامهم حيث اختاروا لله ما يكرهون وهم حكماء
عند أنفسهم (ام تسألهم اجرا) على التبليغ
والانذار (فهم من مغرم مثقلون) المغرم ان يلتزم
الانسان ما ليس عليه أى لزمهم مغرم ثقيل
فدحهم فزهدهم ذلك فى اتباعك (ام عندهم
الغيب) أى اللوح المحفوظ (فهم يكتبون)
ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب (ام يريدون كيدا) وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله والمؤمنين (فالذين كفروا) اشارة اليهم (فذرهم)
او اريد بهم كل من كفر بالله تعالى (هم المكيدون) هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون فى الكيد
من كايدته فكدته (ام لهم اله غير الله) يمنعهم من عذاب الله (سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب) الكسف القطعة
وهو جواب قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد انهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو اسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب (مركوم) قد ركم أى جمع بعضه

بالكهانة والسحر والشعر والجنون (أم يقولون) يعنى هؤلاء المقتسمين (شاعر) أى هو شاعر (نتربص به) أى ننتظر به (ريب المنون) يعنى حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء أو يتفرق عنه أصحابه وان أباه مات وهو شاب ونحن نرجو ان يكون موته كموت أبيه والمنون اسم للموت وللدهر واصله القطع سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل (قل تربصوا) أى انتظروا الى الموت (فانى معكم من المتربصين) اى من المنتظرين حتى يأتى أمر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبى (أم تأمرهم أحلامهم) اى عقولهم (بهذا) وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فأزرى الله بعقولهم حين لم تتميز لهم معرفة الحق من الباطل (أم هم قوم طاغون) أى يتجاوزون الحد فى الطغيان والكفر (أم يقولون تقوله) أى اختلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل الا فى الكذب والمعنى ليس الامر كما زعموا (بل لا يؤمنون) أى بالقرآن استكبارا ثم ألزمهم الحجة فقال تعالى (فليأتوا بحديث مثله) أى مثل القرآن فى نظمه وحسنه وبيانه (ان كانوا صادقين) يعنى ان محمدا تقوله من قبل نفسه (أم خلقوا من غير شئ) قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى أم خلقوا من غير شئ خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان أنكروا الخالق لم يجز أن يوجد وا بلا خالق (أم هم الخالقون) أى لانفسهم وذلك فى البطلان أشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل فى معنى الآية أخلقوا باطلا فلا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون أم هم الخالقون أى لانفسهم فلا يجب عليهم لله أمر (أم خلقوا السموات والارض) يعنى ليس الامر كذلك (بل لا يوقنون) أى بالحق وهو توحيد الله تعالى وقدرته على البعث وان الله تعالى خالقهم وخالق السموات والارض فليؤمنوا به وليوقنوا انه ربهم وخالقهم (أم عندهم خزائن ربك) يعنى النبوة ومفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤا وقيل خزائن المطر والرزق (أم هم المسيطرون) اى المسلطون الجبارون وقيل الارباب القاهرون فلا يكونون تحت أمر ولا نهى ويفعلون ما يشاؤن (أم لهم سلم) يعنى مرقى ومصعدا الى السماء (يستمعون فيه) أى يستمعون عليه الوحى من السماء فيعلمون ان ما هم عليه حق فهم به مستمسكون (فليأت مستمعهم) أى ان ادعوا ذلك (بسلطان مبين) اى بحجة بينة (أم له البنات ولكم البنون) هذا انكار عليهم حيث جعلوا لله ما يكرهون لانفسهم (أم تسألهم أجرا) اى جعلا على ما جئتهم به من النبوة ودعوتهم اليه من الدين (فهم من مغرم مثقلون) يعنى أثقلهم ذلك المغرم الذى سألتهم فمنعهم عن الاسلام (أم عندهم الغيب) أى علم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم به الرسول من أمر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى اعلموا ان محمدا يموت قبلهم (فهم يكتبون) أى يحكمون قال ابن عباس معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به (أم يريدون كيدا) أى مكرا بك ليهلكوك (فالذين كفروا هم المكيدون) أى المجزيون بكيدهم والمعنى ان ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو انهم مكروا به فى دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر (أم لهم اله غير الله) يعنى يرزقهم وينصرهم (سبحان الله عما يشركون) نزه نفسه عما يقولون قوله تعالى (وان يروا كسفا من السماء ساقطا) هذا جواب لقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم (يقولوا) لمعاندتهم (سحاب مركوم) اى بعضه على بعض يسقينا

(فذرهم حتى يلاقوا) اى يعاينوا (يومهم الذى فيه يصعقون) اى يموتون ويهلكون (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) اى لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع (وان للذين ظلموا) أي كفروا (عذابا دون ذلك) اى عذابا فى الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) اى ان العذاب نازل بهم قوله عز وجل (واصبر لحكم ربك) أى الى ان يقع بهم العذاب الذى حكمنا عليهم به (فانك بأعيننا) أى بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقيل معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك بمكروه (وسبح بحمد ربك حين تقوم) اى وقل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت بذلك احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكر الله باللسان من حين تقوم من الفراش الى ان تدخل فى الصلاة وعن عاصم بن حميد قال سألت عائشة بأى شئ كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت سألتنى عن شئ ما سألنى عنه أحد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى وعافنى وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائى وقيل اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما روى عن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا اله غيرك أخرجه الترمذى وأبو داود وقد تكلم فى أحد رواته وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) أى فصل له يعنى صلاة المغرب والعشاء (وادبار النجوم) يعنى الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم اى تغيب بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين يدل عليه ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وادبار السجود الركعتان بعد المغرب أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل ادبار النجوم هى فريضة صلاة الصبح (ق) عن جبير ابن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة النجم وهى مكية وهى اثنتان وستون آية وثلثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والنجم اذا هوى) قال ابن عباس يعنى الثريا اذا سقطت وغابت والعرب تسمى الثريا نجما ومنه قولهم اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعى كساء وجاء فى الحديث عن أبى هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفى الارض من العاهة شئ الا رفع أراد بالنجم الثريا وقيل هى نجوم السماء كلها وهويها غروبها فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع وروى عن ابن عباس انه الرجوم من النجوم وهى ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هى النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل أراد بالنجم القرآن سمى نجما لانه نزل نجوما متفرقة فى عشرين سنة وهو قول ابن عباس ايضا وقيل النجم هو النبت الذى لا ساق له وهويه سقوطه اذا يبس على الارض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء وجواب القسم قوله تعالى (ماضل صاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ماضل عن طريق الهدى (وما غوى) أى ما جهل وقيل الفرق بين الضلال والغى ان الضلال هو ان لا يجد

على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) بضم الياء عاصم وشامى الباقون بفتح الياء يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعقة (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا) وان لهؤلاء الظلمة (عذابا دون ذلك) دون يوم القيامة وهو القتل يوم بدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك ثم امره بالصبر الى ان يقع بهم العذاب فقال (واصبر لحكم ربك) بامهالهم وبما يلحقك فيه من المشقة (فانك بأعيننا) أى بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير بلفظ الجماعة الا ترى الى قوله ولتصنع على عينى (وسبح بحمد ربك حين تقوم) للصلاة وهو ما يقال بعد التكبير سبحانك اللهم وبحمدك او من أى مكان قمت او من منامك (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وأدبار زيد أى فى اعقاب النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الامر بقول سبحان الله وبحمده فى هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلاة اذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر والله الموفق

(سورة النجم اثنتان وستون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنجم) اقسم بالثريا او بجنس النجوم (اذا هوى) اذا غرب او انتثر يوم القيامة وجواب القسم (ماضل) عن قصد الحق (صاحبكم) أى محمد صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش (وما غوى) فى اتباع الباطل وقيل الضلال نقيض الهدى والغى نقيض الرشد أى هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال

السالك الى مقصده طريقا أصلا والغواية ان لا يكون له طريق الى مقصده مستقيم وقيل ان الضلال أكثر استعمالا من الغواية (وما ينطق عن الهوى) أي بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا يقول القرآن من تلقاء نفسه (ان هو) أي ما هو يعني القرآن وقيل نطقه في الدين (الا وحى) من الله (يوحى) اليه (علمه شديد القوى) يعني جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله اليه عز وجل وكونه شديد القوى انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحي على الانبياء أسرع من رجعة الطرف (ذو مرة) أي ذو قوة وشدة وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل حسن (فاستوى) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام (وهو) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج (بالافق الاعلى) عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعني جبريل وهو كناية عن جبريل ايضا اى قام في صورته التي خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك ان جبريل عليه الصلاة والسلام كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة الآدميين كما كان يأتي الانبياء قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء فاما التي في الارض فبالافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه الصلاة والسلام من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله تعالى (ثم دنا فتدلى) واما التي في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره احد من الانبياء على تلك الصورة التي خلق عليها الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) اختلف العلماء في معنى هذه الآية فروى عن مسروق بن الاجدع قال قلت لعائشة فأين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وانه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الافق أخرجاه في الصحيحين وعن زر بن حبيش في قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى وفي قوله ما كذب الفؤاد ما رأى وفي قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال فيها كلها ان ابن مسعود قال رأى جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح زاد في رواية رأى جبريل في صورته أخرجه مسلم والبخاري في قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى فعلى هذا يكون معنى الآية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين أو أدنى أي بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل في الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا لان التدلي سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى أي فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وقد ورد في الصحيحين من حديث المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذه رواية أبي سلمة عن ابن عباس والتدلي هو النزول الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر حديث انس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به وفي رواية شريك قدم وأخر وزاد ونقص فيحتمل ان هذا اللفظ من زيادة شريك في الحديث وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى اى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى والقاب القدر والقوس الذي يرمى به وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فأخبر انه كان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذه اشارة الى تأكيد القرب وأصله ان الحليفين من العرب كانا اذا أرادا عقد الصفاء والعهد خرجا

بقوسيهما

والغى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى) وما آتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه انما هو وحى من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء عليهم السلام ويجاب بأن الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد وقررهم عليه كان كالوحي لا نطقا عن الهوى (علمه) علم محمدا عليه السلام (شديد القوى) ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام عند الجمهور ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين (ذو مرة) ذو منظر حسن عن ابن عباس (فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو افق الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه احد من الانبياء عليهم السلام في صورته الحقيقية سوى محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض ومرة في السماء (وهو) أي جبريل عليه السلام (بالافق الاعلى) مطلع الشمس (ثم دنا) جبريل من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتدلى) فزاد في القرب والتدلي هو النزول بقرب الشئ (فكان قاب قوسين) مقدار قوسين عربيتين وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع ومنه لا صلاة ولا كلام الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط وتقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت المضافات (او ادنى) أي على تقديركم كقوله او يزيدون وهذا لانهم خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر

بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد
الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التي يقاس بها من قاس يقيس أو أدنى بل
أقرب (فأوحى) اى فأوحى الله (الى عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (ما أوحى) وعن ابن عباس
رضى الله عنهما قال أوحى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى اليه ربه عز وجل وقال سعيد
ابن جبير أوحى الله اليه ألم يجدك يتيما فآوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل أوحى اليه ان الجنة محرمة
على الانبياء حتى تدخلها انت وعلى الامم حتى تدخلها أمتك قوله عز وجل (ما كذب الفؤاد) قرئ
بالتشديد اى ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم (ما رأى) اى بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه
وقرئ بالتخفيف أى ما كذب فؤاد محمد الذى رآه بل صدقه والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رأى
واختلفوا فى الذى رآه فقيل رأى جبريل وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعائشة وقيل هو الله عز
وجل ثم اختلفوا فى معنى الرؤية فقيل جعل بصره فى فؤاده وهو قول ابن عباس (م) عن ابن عباس
ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين وذهب جماعة الى انه رآه بعينه حقيقة
وهو قول أنس بن مالك والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه عز وجل وروى عكرمة عن ابن عباس
قال ان الله عز وجل اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية وقال كعب
ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين أخرجه الترمذى بأطول من
هذا وكانت عائشة تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الآية على رؤية جبريل عن مسروق
قال قلت لعائشة يا أماه هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعرى مما قلت اين انت من ثلاث من
حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ومن حدثك انه
يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ومن
حدثك انه كتم أمرا فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ولكنه رأى جبريل فى
صورته مرتين أخرجاه فى الصحيحين (م) عن أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك
قال نور أنى اراه قوله عز وجل (أفتمارونه على ما يرى) يعنى أفتجادلونه على ما يرى وذلك انهم جادلوه
حين أسرى به وقالوا صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا فى الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى
أفتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما رآه وعلمه (ولقد رآه نزلة أخرى) يعنى رأى جبريل فى صورته التى
خلق عليها نازلا من السماء نزلة أخرى وذلك انه رآه فى صورته مرتين مرة فى الارض ومرة عند سدرة
المنتهى (م) عن أبى هريرة ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى جبريل وعلى قول ابن عباس يعنى نزلة أخرى
هو انه كانت للنبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة عرجات لمسئلة التخفيف من اعداد الصلوات فيكون
لكل عرجة نزلة فرأى ربه عز وجل فى بعضها وروى عن ابن عباس انه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه
انه رآه بعينه (عند سدرة المنتهى) (م) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لما اسرى برسول الله صلى
الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة واليها ينتهى ما يعرج من الارض
فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها وقال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من
ذهب وفى رواية الترمذى اليها ينتهى علم الخلائق لا علم لهم فوق ذلك وفى حديث المعراج المخرج فى الصحيح
ثم صعد بى الى السماء السابعة ثم قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها
كآذان الفيلة قال فلما غشيها من نور الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها
وقال هلال بن سياف سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب انها سدرة فى أصل
العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهى علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله عز وجل وعن
أسماء بنت أبى بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سدرة المنتهى فقال يسير الراكب

رمحين اوانقص وقيل بل ادنى (فاوحى) جبريل
عليه السلام (الى عبده) الى عبدالله وان
لم يجر لاسمه ذكر لانه لا يلتبس كقوله ما ترك على
ظهرها (ما أوحى) تفخيم للوحى الذى اوحى
اليه قيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء
حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك
(ما كذب الفؤاد) فؤاد محمد (ما رأى) ما رآه
ببصره من صورة جبريل عليه السلام أى ما قال
فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا
لانه عرفه يعنى رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك
فى ان ما رآه حق وقيل المرئى هو الله سبحانه رآه
بعين رأسه وقيل بقلبه (افتمارونه) افتجادلونه
من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة
كأن كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند
صاحبه افتمرونه حمزة وعلى وخلف ويعقوب
افتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه
من معنى الغلبة قال (على ما يرى) فعدى
بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل افتمرونه
افتجحدونه يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته
بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين (ولقد رآه)
رأى محمد جبريل عليهما السلام (نزلة أخرى)
مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف
الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل
فكانت فى حكمها أى نزل عليه جبريل عليه
السلام نزلة أخرى فى صورة نفسه فرآه عليها
وذلك ليلة المعراج (عند سدرة المنتهى) الجمهور
على انها شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين
العرش والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء او الانتهاء
كأنها فى منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها
احد واليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم
احد ما وراءها وقيل تنتهى

في ظل الفنن منها مائة سنة أو قال يستظل بظلها مائة ألف راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال
أخرجه الترمذي وقال مقاتل هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الألوان ولو أن ورقة وضعت
منها في الأرض لأضاءت لأهل الأرض وهي شجرة طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد (عندها جنة
المأوى) قال ابن عباس جنة المأوى يأوي إليها جبريل والملائكة وقيل يأوي إليها أرواح الشهداء
(إذ يغشى السدرة ما يغشى) قال ابن مسعود فراش من ذهب وقيل يغشاها ملائكة أمثال الغربان
وقيل أمثال الطيور حتى يقفن عليها وقيل غشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة من حب الله تعالى أمثال
الغربان حتى يقفن عليها وقيل هو نور رب العزة ويروى في الحديث قال رأيت على كل ورقة
منها ملكا قائما يسبح الله عز وجل (ما زاغ البصر وما طغى) أي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في
ذلك المقام وفي تلك الحضرة المقدسة الشريفة يمينا وشمالا ولا جاوز ما رأى وقيل ما أمر به وهذا وصف
أدبه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام الشريف إذ لم يلتفت إلى شيء سوى ما أمر به وفي معنى الآية إن قلنا
إن الذي يغشى السدرة فراش من ذهب أي لم يلتفت إليه ولم يشتغل به وفيه بيان أدبه صلى الله عليه
وسلم إذ لم يقطع بصره عن المقصود وإن قلنا الذي يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه وجهان أحدهما
أنه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت عنه يمنة ولا يسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك النور الوجه الثاني ما زاغ
البصر بصعقة ولا غشية كما أخبر عن موسى بقوله وخر موسى صعقا وذلك أنه لما تجلى رب العزة وظهر
نوره على الجبل قطع نظره وغشي عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم ثبت في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه
العقول وتزل فيه الأقدام وتميل فيه الأبصار فوصف الله عز وجل قوة نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك
المقام العظيم بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وقوله تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) يعني رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات العظام وقيل أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره ورجوعه وقيل معناه
لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى (م) عن عبد الله بن مسعود قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى
قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح (خ) عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى
رفرفا أخضر سد أفق السماء

*(فصل من كلام الشيخ محيي الدين النواوي في معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى وهل رأى النبي
صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الإسراء)* قال القاضي عياض اختلف السلف والخلف هل
رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء فأنكرته عائشة كما وقع في صحيح مسلم وجاء مثله عن أبي
هريرة وجماعة وهو المشهور عن أبي مسعود وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروي عن ابن
عباس أنه رآه بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود
وأبي هريرة وأحمد بن حنبل وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه أنه رآه
ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عز وجل في الدنيا
جائزة وسؤال موسى إياها دليل على جوازها إذ لا يجهل نبي ما يجوز أو يمتنع على ربه واختلفوا في أن نبينا
صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه ليلة الإسراء بغير واسطة أم لا فحكي عن الأشعري وقوم من المتكلمين أنه كلمه
وعزا بعضهم هذا القول إلى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا في قوله ثم دنا فتدلى
فالأكثر على أن هذا الدنو والتدلي منقسم بين جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم أو مختص بأحدهما من
الآخر أو من سدرة المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم أنه دنو من
النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه أو من الله فعلى هذا القول يكون الدنو والتدلي متأولا ليس على وجهه
بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود فيكون معنى دنو النبي صلى الله عليه
وسلم وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه وإشراق أنوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه وأسرار ملكوته على
ما لم يطلع سواه عليه والدنو من الله تعالى له إظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى

إليها أرواح الشهداء (عندها جنة المأوى)
أي الجنة التي يصير إليها المتقون وقيل تأوي
إليها أرواح الشهداء (إذ يغشى السدرة ما يغشى)
أي رآه إذ يغشى السدرة ما يغشى وهو تعظيم
وتكبير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن
ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله
تعالى وجلاله أشياء لا يحيط بها الوصف وقيل
يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله
تعالى عندها وقيل يغشاها فراش من
ذهب (ما زاغ البصر) بصر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما عدل عن رؤية العجائب التي
أمر برؤيتها ومكن منها (وما طغى) وما جاوز
ما أمر برؤيته (لقد رأى) والله لقد رأى (من
آيات ربه الكبرى) الآيات التي هي
كبراها وعظماها يعني حين رقي به إلى السماء

قاب قوسين أو أدنى هنا عبارة عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى اجابة الرغبة وابانة المنزلة هذا آخر كلام القاضي عياض قال الشيخ محي الدين واما صاحب التحرير فانه اختار اثبات الرؤية قال والحجج في المسئلة وان كانت كثيرة ولكن لا نتمسك الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وعن عكرمة قال سئل ابن عباس هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد روى باسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن انس قال رأى محمد ربه عز وجل وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل والاصل في المسئلة حديث ابن عباس حبر هذه الامة وعالمها والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسئلة راسله هل رأى محمد ربه عز وجل فاخبره انه رآه ولا يقدح في هذا حديث عائشة لان عائشة لم تخبر انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم ار ربي وانما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب او يرسل رسولا ولقوله لا تدركه الابصار والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة واذا قد صحت الروايات عن ابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة باثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها لانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وانما يتلقى بالسمع ولا يستجيز أحد ان يظن بابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ثم ان ابن عباس اثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي هذا كلام صاحب التحرير في اثبات الرؤية قال الشيخ محي الدين فالحاصل ان الراجح عند اكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بعيني رأسه ليلة الاسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا لا يأخذونه الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي ان يتشكك فيه ثم ان عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها حديث لذكرته وانما اعتمدت على الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها فنقول اما احتجاج عائشة رضي الله تعالى عنها بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع اختصاره واما احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الآية فالجواب عنه من اوجه أحدها انه لا يلزم مع الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام الوجه الثاني انه عام مخصوص بما تقدم من الادلة الوجه الثالث ما قاله بعض العلماء ان المراد بالوحي الكلام من غير واسطة وهذا القول وان كان محتملا لكن الجمهور على ان المراد بالوحي هنا الالهام والرؤية في المنام وكلاهما يسمى وحيا واما قوله تعالى أو من وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد ان هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة في أول الحديث لقد قف شعري فمعناه قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي ان يقال تقول العرب عند انكار الشئ قف شعري واقشعر جلدي واشمأزت نفسي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي ذر نور أني اراه فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة في أني وتشديد النون المفتوحة ومعناه حجابه نور فكيف اراه قال المازري الضمير في اراه عائد على الله تعالى والمعنى ان النور يمنعني من الرؤية كما جرت العادة باغشاء الانوار الابصار ومنعها من ادراك ما حالت بين الرائي وبينه وفي رواية رأيت نورا معناه النور فحسب ولم أر غيره وفي رواية ذاته نوراني أراه ومعناه هو خالق النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الافعال ومن المستحيل ان تكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام والله يتعالى عن ذلك هذا مذهب جميع ائمة المسلمين والله اعلم قوله عز وجل (افرأيتم اللات والعزى) هذه اسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها

وارى عجائب الملكوت (افرأيتم اللات والعزى

واشتقوا لها اسماء من اسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تانيث الاعز والمعنى اخبرونا عن هذه الآلهة التى تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة شئ وكان اللات بالطائف وقيل بنخلة كانت قريش تعبده وقرئ اللات بالتشديد (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان اللات رجلا يلت السويق للحاج قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان فى رأس جبل له غنيمة يسلى منها السمن ويأخذ منها الاقط ثم يجمع حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقيل كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلى السمن فيضعه على صخرة فتأتيه العرب فتلت به أسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى منازلها فعبدتها فعمرت الطائف على موضع اللات واما العزى فقيل هى شجرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل يضربها بالفأس ويقول

ياعز كفرانك لا سبحانك * انى رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها ويقال ان خالدا رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال ما رأيت فقال ما رأيت شيئا فقال ما قطعت فعاودها ومعه المعول فقطعها واجتث اصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا وقيل هى صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفانى وقيل انه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى اهل مكة يطوفون بينهما فرجع الى بطن نخلة فقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا قال انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذى أخذ من الصفا وقال هذا الصفا ثم وضع الذى اخذ من المروة وقال هذه المروة ثم اخذ ثلاثة احجار واسندها الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة الثلاث حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وامر برفع الحجارة وامر خالد بن الوليد بالعزى فقطعها وقيل هى بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف وقوله (ومناة) قيل هى لخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها فى الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقيل هى بيت كانت تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة وكانت تعبدها اهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة اصنام من الحجارة كانت فى جوف الكعبة يعبدونها (الثالثة الاخرى) الثالثة نعت لمناة اذ هى الثالثة فى الذكر وأما الاخرى فان العرب لا تقول الثالثة الاخرى وانما الاخرى ههنا نعت للثلاثة قال الخليل فالها لوفاق رؤس الآى كقوله مآرب اخرى ولم يقل أخر وقيل فى الآية تقديم وتأخير تقديره افرأيتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل هى صفة ذم كانه تعالى قال ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة فعلى هذا فالاصنام ترتب مراتب وذلك لان اللات كان صنما على صورة آدمى والعزى شجرة فهى نبات ومناة صخرة فهى جماد وهى فى أخريات المراتب ومعنى الآية هل رأيتم هذه الاصنام حق الرؤية واذا رأيتموها علمتم انها لا تصلح للعبادة لانها لا تضر ولا تنفع وقيل افرأيتم ايها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله ألكم الذكر وله الانثى وقيل كان المشركون بمكة يقولون الاصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره ذلك فقال الله عز وجل منكرا عليهم (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) قال ابن عباس اى قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لانفسكم وقيل قسمة عوجاء غير معتدلة (ان هى) أى ما هذه الاصنام (الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم) والمعنى انكم سميتموها آلهة وليست بآلهة حقيقة ولا معبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى ولا عزة لها فلا يكون لها مسمى حقيقة (ما أنزل الله بها من سلطان) اى حجة بما تقولون انها آلهة (ان يتبعون الا الظن) اى فى قولهم انها آلهة (وما تهوى الانفس) يعنى هو ما زين لهم الشيطان من عبادة الاصنام وقيل وضعوا عبادتهم

ومناة الثالثة) أى اخبرونا عن هذه الاشياء التى تعبدونها من دون الله عز وجل هل لها من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة اللات والعزى ومناة اصنام لهم وهى مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة والعزى كانت لغطفان وهى سمرة واصلها تانيث الاعز وقطعها خالد بن الوليد ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكانها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها أى تراق ومناءة مكى مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها (الاخرى) هى صفة ذم أى المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت اخراهم لاولاهم أى وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات وكراهتهم لهن فقيل لهم (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) أى جعلكم لله البنات ولكم البنين قسمة ضيزى أى جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه وضيزى فعلى اذ لا فعلى فى النعوت فكسرت الضاد للياء كما قيل بيض وهو بوض مثل حمر وسود وضئزى بالهمز مكى من ضازه مثل ضازه (ان هى) ما الاصنام (الا اسماء) ليس تحتها فى الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شئ منها واشده منافاة لها (سميتموها) أى سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد (أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان) حجة (ان يتبعون الا الظن) الا توهم ان ما هم عليه حق (وما تهوى الانفس) وما تشتهيه انفسهم

بمقتضى شهواتهم والذي ينبغي ان تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بمتابعة هوى النفس (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أي البيان بالكتاب المنزل والنبي المرسل ان الاصنام ليست بآلهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار قوله تعالى (ام للانسان ما تمنى) معناه ايظن الكافر ان له ما يتمنى و يشتهي من شفاعة الاصنام أي ليس الامر كما يظن و يتمنى (فلله الآخرة والاولى) أي لا يملك أحد فيهما شيئا أبدا الا باذنه وقيل معناه ان الانسان اذا اختار معبودا على ما تمناه واشتهاه فلله الآخرة والاولى يعاقبه على فعله ذلك ان شاء في الدنيا والآخرة وان شاء أمهله الى الآخرة (وكم من ملك في السموات) أي ممن يعبده هؤلاء ويرجون شفاعتهم عند الله (لا تغني شفاعتهم شيئا) يعني ان الملائكة مع علو منزلتهم لا تغني شفاعتهم شيئا فكيف تشفع الاصنام مع حقارتها ثم اخبر ان الشفاعة لا تكون الا باذنه فقال تعالى (الا من بعد ان يأذن الله) أي في الشفاعة (لمن يشاء ويرضى) اى من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضي الله عنه وقيل الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء من الملائكة في الشفاعة لمن شاء الشفاعة له (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعني الكفار الذين انكروا البعث (ليسمون الملائكة تسمية الانثى) أي بتسمية الانثى حيث انهم قالوا بنات الله فان قلت كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لمناسبته رؤس الآي وقيل ان كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية الانثى وذلك لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى (وما لهم به من علم) أي بالله فيشركون به ويجعلون له ولدا وقيل ما يستيقنون ان الملائكة اناث (ان يتبعون الا الظن) أي في تسمية الملائكة بالاناث (وان الظن لا يغني من الحق شيئا) اى لا يقوم الظن مقام العلم الذي هو الحق وقيل معناه انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) يعني القرآن وقيل عن الايمان (ولم يرد الا الحياة الدنيا) يعني انهم لا يؤمنون بالآخرة حتى يريدوها ويعملوا لها وفيه اشارة الى انكارهم الحشر ثم صغر رأيهم فقال تعالى (ذلك مبلغهم من العلم) أي نهاية علمهم وقلة عقولهم ان آثروا الدنيا على الآخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا من العلم الا ظنهم ان الملائكة بنات الله وانهم يشفعون لهم فاعتمدوا على ذلك واعرضوا عن القرآن والايمان (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) اى هو عالم بالفريقين ويجازيهم باعمالهم (ولله ما في السموات وما في الارض) وهذه اشارة الى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين الآية الاولى وبين قوله (ليجزي الذين أساؤا بما عملوا) والمعنى اذا كان اعلم بهم جازى كل احد بما يستحقه فيجزي الذين اساؤا اى اشركوا بما عملوا من الشرك (ويجزي الذين أحسنوا) اى وحدوا ربهم (بالحسنى) يعني بالجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء اذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله ما في السموات وما في الارض ثم وصف المحسنين فقال (الذين يجتنبون كبائر الاثم) قيل الاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال المبطئة عن الثواب وقيل هو فعل ما لا يحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه آثام والكبيرة متعارفة في كل ذنب تعظم عقوبته وجمعه كبائر (والفواحش) جمع فاحشة وهي ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وقيل هي ما فحش من الكبائر (الا اللمم) اى الا ما قل وصغر من الذنوب وقيل هي مقاربة المعصية من قولك الممت بكذا اذا قاربته من غير مواقعة واختلفوا في معنى الآية فقيل هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الآية الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب او يقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول ابي هريرة ومجاهد والحسن ورواية عن ابن عباس وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال ابو صالح سئلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس فقال اعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس في قوله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول والكتاب فتركوه ولم يعملوا به (ام للانسان ما تمنى) هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أي ليس للانسان يعني الكافر ما تمنى من شفاعة الاصنام او من قوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي (فلله الآخرة والاولى) أي هو مالكهما وله الحكم فيهما يعطي النبوة والشفاعة من شاء وارتضى لا من تمنى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) يعني ان أمر الشفاعة ضيق فان الملائكة مع قربهم وكثرتهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد ان يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه اهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه لعبدتهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة) أي كل واحد منهم (تسمية الانثى) لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى (وما لهم به من علم) أي بما يقولون وقرئ بها أي بالملائكة او بالتسمية (ان يتبعون الا الظن) هو تقليد الآباء (وان الظن لا يغني من الحق شيئا) أي انما يعرف الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) فأعرض عمن رأيته معرضا عن ذكر الله اى القرآن (ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك) أي اختيارهم الدنيا والرضا بها (مبلغهم من العلم) منتهى علمهم (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أي هو أعلم بالضال والمهتدي ومجازيهما (ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء او بسبب ما عملوا من السوء (ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او بسبب الاعمال الحسنى والمعنى ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذا الملكوت ليجزي المحسن من المكلفين والمسيء منهم اذ الملك أهل لنصر الاولياء وقهر الاعداء (الذين) بدل او في موضع رفع على المدح أي هم الذين (يجتنبون كبائر الاثم) أي الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي يكبر عقابها كبيرة وقلى اى النوع الكبير منه (والفواحش) ما فحش من الكبائر كانه قال والفواحش منها خاصة قيل الكبائر ما اوعد عليه النار والفواحش ما شرع فيه الحد (الا اللمم) أي الصغائر والاستثناء منقطع لانه ليس من الكبائر والفواحش وهو كالنظرة والقبلة.

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك لا ألما

أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقيل أصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له اعادة ولا اقامة وقيل هو استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقيل هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم به في الاسلام وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فأنزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وقيل اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنى وهو قول ابن مسعود وابي هريرة ومسروق والشعبي والرواية الاخرى عن ابن عباس (ق) عن ابن عباس قال ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنى ادرك ذلك لا محالة فزنى العينين النظر وزنى اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه ولمسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه وقيل اللمم على وجهين أحدهما انه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان ما لم يبلغ الكبائر والفواحش الوجه الثاني هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو ما لم على القلب أي خطر وقيل اللمم النظرة من غير عمد فهو مغفور فان أعاد النظر فليس بلمم فهو ذنب والله سبحانه وتعالى أعلم

(فصل في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة) قال العلماء أكبر الكبائر الشرك بالله وهو ظاهر لا خفاء به لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق فأما ما سواهما من الزنى واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور وأكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وأكل الربا وغير ذلك من الكبائر التي ورد بها النص فلها تفاصيل وأحكام تعرف بها مراتبها ويختلف أمرها باختلاف الاحوال والمفاسد المترتبة عليها فعلى هذا يقال في كل واحدة منها هي من أكبر الكبائر بالنسبة الى ما دونها وقد جاء عن ابن عباس انه سئل عن الكبائر أسبع هي قال هي الى السبعين أقرب وفي رواية الى سبعمائة أقرب وقد اختلف العلماء في حد الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة فجاء عن ابن عباس كل شئ نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الاستاذ أبو اسحاق الاسفرايني وحكاه القاضي عياض عن المحققين واحتج القائلون بهذا بأن كل مخالفة فهي بالنسبة الى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف الى انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة واستعمال سلف الائمة واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فقد اختلف في ضبطها فروي عن ابن عباس انه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب وعن الحسن نحو هذا وقيل هي ما وعد الله عليه بنار في الآخرة أو حد في الدنيا وقال الغزالي في البسيط الضابط الشامل في ضبط الكبيرة ان كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف واستحداث ندم كالمتهاون في ارتكابها والمتجرئ عليها اعتيادا فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما تحمل عليه فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن ندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتابه القواعد اذا أردت معرفة الفرق بين الكبيرة والصغيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فان نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر وان ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو زادت عليه فهي من الكبائر فمن أمسك امرأة محصنة لمن يزني بها او امسك مسلما لمن يقتله فلا شك ان مفسدة ذلك أعظم من أكل درهم من مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه أنهم يستأصلونهم بدلالته

فان تسنده الى هذه المفسدة أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر وكذلك لو كذب على انسان كذبا يقتل بيمينه ولو كذب على انسان كذبا يعلم انه يأخذ منه ثمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكبائر وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم بحيث يصح معه انه يطلق عليه اسم الكبيرة ويوصف بكونه عظيما على الاطلاق فهذا حد الكبيرة ولها امارات منها الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب والسنة ومنها ما وصف فاعلها بالفسق ويضاف اليها اللعن كلعن الله من غير منار الارض ونحو ذلك والله أعلم وقوله تعالى (ان ربك واسع المغفرة) قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب وأناب وروي عن عمر بن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة في الاسلام اي لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار ومعناه ان الكبيرة أيضا تمحى بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالاصرار عليها وقيل في حد الاصرار هو ان تتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بذنبه وتم الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدأ فقال (هو أعلم بكم) أي قبل ان يخلقكم وهو قوله (اذ أنشأكم من الارض) أي خلق أباكم آدم من التراب (واذ أنتم أجنة) جمع جنين (في بطون أمهاتكم) سمي جنينا لاستتاره في بطن امه (فلا تزكوا أنفسكم) قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ماهي صانعة والى ماهي صائرة فلا تزكوا أنفسكم فلا تبرؤها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل في معنى الآية هو أعلم بكم أيها المؤمنون علم حالكم من أول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا أنفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته أنا خير منك وأنا أزكى منك أو أتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى (هو أعلم بمن اتقى) أي بمن بر وأطاع وأخلص العمل وقيل في معنى الآية فلا تزكوا أنفسكم أي لا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها الى الزكاة والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله المزكي منكم والتقي أولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب أبيكم وقبل ان تخرجوا من بطون أمهاتكم قيل نزلت في ناس كانوا يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فأنزل الله فيهم هذه الآية قوله عز وجل (أفرأيت الذي تولى) نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقالوا أتركت دين الاشياخ وضللت قال اني خشيت عذاب الله فضمن له الذي عاتبه ان اعطاه كذا من ماله ورجع الى الشرك ان يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك وأعطى للذي عيره بعض الذي ضمن له من المال ومنعه تمامه فأنزل الله أفرأيت الذي تولى اي ادبر واعرض عن الايمان (وأعطى) أي لصاحبه الذي عيره (قليلا وأكدى) أي بخل بالباقي وقيل أعطى قليلا أي من الخير بلسانه وأكدى أي قطعه وامسك ولم يتم بالعطية وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقيل نزلت في أبي جهل وذلك انه قال والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله وأعطى قليلا وأكدى اي لم يؤمن به ومعنى الآية أكدى اي قطع وأصله من الكدية وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر (أعنده علم الغيب فهو يرى) أي ما غاب عنه أي ان صاحبه يتحمل عنه عذابه (أم لم ينبأ) أي يخبر (بما في صحف موسى) يعني اسفار التوراة (وابراهيم) أي ويخبر بما في صحف ابراهيم (الذي وفى) أي كمل وتمم ما امر به وبلغ رسالات ربه الى خلقه وقيل وفى بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفى بما فرض عليه في سهام الاسلام وهو قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن والتوفية الاتمام وقيل وفى شأن المناسك وروى البغوي بسنده عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذي وفى عمله كل يوم بأربع ركعات أول النهار عن أبي الدرداء وأبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى انه قال ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ثم بين ما في صحفهما

والانبة والنميمة (ان ربك واسع المغفرة) فيغفر ما شاء من الذنوب من غير توبة (هو أعلم بكم اذ أنشأكم) أي أباكم (من الارض واذ أنتم أجنة) جمع جنين (في بطون امهاتكم فلا تزكوا أنفسكم) فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات أو الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي أولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه السلام وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الرياء لا على سبيل الاعتراف بالنعمة فانه جائز لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (هو أعلم بمن اتقى) فاكتفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس (أفرأيت الذي تولى) اعرض عن الايمان (وأعطى قليلا وأكدى) قطع عطيته وامسك واصله اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر عن ابن عباس رضي الله عنهما في من كفر بعد الايمان وقيل في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض الكافرين وقال له تركت دين الاشياخ وزعمت انهم في النار قال اني خشيت عذاب الله فضمن له ان هو اعطاه شيئا من ماله ورجع الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل واعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه (أعنده علم الغيب فهو يرى) اهو يعلم ان ما ضمنه من عذاب الله حق (ام لم ينبأ) يخبر (بما في صحف موسى) أي التوراة (وابراهيم) أي وفي صحف ابراهيم (الذي وفى) أي وفر واتم كقوله فأتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية وقرئ مخففا والتشديد مبالغة في الوفاء وعن الحسن ما أمره الله بشئ الا وفى به وعن عطاء بن السائب عهد ان لا يسأل مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل ألك حاجة فقال اما اليك فلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى وروي الا اخبركم لم سمى الله خليله الذي

فقال (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى والمعنى لا تؤاخذ بإثم غيرها وفي هذا إبطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة أنه يحمل عنه الإثم وقال ابن عباس كانوا قبل إبراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده حتى كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى ألا تزر وازرة وزر أخرى (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) أي عمل وهذا في صحف إبراهيم وموسى أيضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله ألحقنا بهم ذرياتهم فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء وقيل كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى فأما هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روي عن ابن عباس أن امرأة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر أخرجه مسلم وعنه أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أمي توفيت أينفعها إن تصدقت عنها قال نعم وفي رواية أن سعد بن عبادة أخا بني ساعدة ذكر نحوه وأخرجه البخاري وعن عائشة رضي الله عنها قالت إن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أمي افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها قال نعم أخرجاه في الصحيحين وفي حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعي ومالك وأحمد وجماهير العلماء أن حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه وإن كان لا يجزيه عن حجة الإسلام بل يقع تطوعا وقال أبو حنيفة لا يصح حجه وإنما يكون ذلك تمرينا للعبادة وفي الحديثين الآخرين دليل على أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو إجماع العلماء وكذلك أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة في ذلك ويصح الحج عن الميت حجة الإسلام وكذا لو أوصى بحج تطوع على الأصح عند الشافعي واختلف العلماء في الصوم إذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للأحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعي أن قراءة القرآن لا يصله ثوابها وقال جماعة من أصحابه يصله ثوابها وبه قال أحمد بن حنبل وأما الصلوات وسائر التطوعات فلا يصله عند الشافعي والجمهور وقال أحمد يصله ثواب الجميع والله أعلم وقيل أراد بالإنسان الكافر والمعنى ليس له من الخير إلا ما عمل هو فيثاب عليه في الدنيا بأن يوسع عليه في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له في الآخرة خير وروي أن عبد الله بن أبي بن سلول كان أعطى العباس قميصا ألبسه إياه فلما مات أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له في الآخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للإنسان إلا ما سعى هو من باب العدل فأما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه (وأن سعيه سوف يرى) أي يراه في ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمؤمن وذلك أن الله تعالى يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر بأعماله الفاسدة فيزداد غما (ثم يجزاه) أي السعي (الجزاء الأوفى) أي الأتم الأكمل والمعنى أن الإنسان يجزى جزاء سعيه الجزاء الأوفى في قوله عز وجل (وأن إلى ربك المنتهى) أي إليه منتهى الخلق ومصيرهم إليه في الآخرة وهو مجازيهم بأعمالهم وفي المخاطب بهذا وجهان أحدهما أنه عام تقديره وإن إلى ربك أيها السامع والعاقل كائنا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد للمحسن ليقلع المسيء عن إساءته ويزداد المحسن في إحسانه الوجه الثاني أن المخاطب بهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن فإن إلى ربك المنتهى وقيل في معنى الآية منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الآمال وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وأن إلى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وهذا مثل ما روي عن أبي هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنه لا تحيط به الفكرة ومعناه لا فكرة في الرب أي انتهى الأمر إليه لأنك إذا نظرت إلى سائر الموجودات الممكنة علمت أنه لا بد لها من موجد وإذا علمت أن موجدها هو الله تعالى فقد انتهى الأمر إليه فهو إشارة إلى وجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى (وأنه هو أضحك وأبكى) أي هو القادر على إيجاد الضدين في محل واحد الضحك والبكاء ففيه دليل على أن جميع ما يعمله الإنسان بقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكاء قيل أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار وقيل أضحك الأرض بالنبات

وأبكى

فسبحان الله وفي كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى حين تمسون إلى حين تظهرون وقيل وفي سهام الإسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الأحزاب إن المسلمين وعشرة في المؤمنين قد أفلح المؤمنون ثم أعلم بما في صحف موسى وإبراهيم فقال (ألا تزر وازرة وزر أخرى) تزر من وزر يزر إذا اكتسب وزرا وهو الإثم وأن مخففة من الثقيلة والمعنى أنه لا تزر والضمير ضمير الشأن ومحل أن وما بعدها الجر بدلا مما في صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأن قائلا قال وما في صحف موسى وإبراهيم فقيل ألا تزر وازرة وزر أخرى أي لا تحمل نفس ذنب نفس (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) أي سعيه وهذه أيضا مما في صحف إبراهيم وموسى وأما ما صح في الأخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه فقد قيل إن سعي غيره لما لم ينفعه إلا مبنيا على سعي نفسه وهو أن يكون مؤمنا كان سعي غيره كأنه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه ولأن سعي غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه ولكن إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه (وأن سعيه سوف يرى) أي يرى سعيه هو يوم القيامة في ميزانه (ثم يجزاه) ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وإيصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله (الجزاء الأوفى) أو أبدله عنه (وأن إلى ربك المنتهى) هذا كله في الصحف الأولى والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء أي ينتهي إليه الخلق ويرجعون إليه كقوله وإلى الله المصير (وأنه هو أضحك وأبكى) خلق الضحك والبكاء وقيل خلق الفرح والحزن وقيل أضحك المؤمنين في العقبى بالمواهب وأبكاهم في الدنيا بالنوائب

وابكى السماء بالمطر وقيل افرح وأحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اذا ضحكوا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية سماك بن حرب فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عمر هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم أعظم من الجبل (ق) عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين هو بالخاء المعجمة أي بكاء مع صوت يخرج من الانف (وأنه هو أمات وأحيى) أي امات في الدنيا واحيى للبعث وقيل امات الآباء واحيى الابناء وقيل امات الكافر بالفكرة وأحيى المؤمن بالمعرفة (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى) أي من كل حيوان وهو أيضا من جملة المتضادات التي تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها أنثى وهذا شئ لا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وانما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة (من نطفة اذا تمنى) أي تصب في الرحم وقيل تقدر وفي هذا تنبيه على كمال قدرته لان النطفة شئ واحد خلق الله منها اعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق منها الذكر والانثى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يؤكده بقوله وانه هو خلق لانه لم يدع أحد ايجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره كما لم يقدر أحد ان يدعي خلق السموات والارض (وان عليه النشأة الاخرى) أي الخلق الثاني بعد الموت للبعث يوم القيامة (وأنه هو أغنى وأقنى) أي اغنى الناس بالاموال واعطى القنية وهي أصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقيل أغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وأقنى بالابل والبقر والغنم وقيل اقنى اي اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى اي أعطى فأرضى وقيل أغنى يعني رفع حاجته ولم يتركه محتاجا الى شئ لان الغنى ضد الفقر واقنى اي زاد فوق الغنى (وأنه هو رب الشعرى) أي انه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى وأول من سن لهم ذلك رجل من أشرافهم يقال له ابو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب في الدين سموه ابن أبي كبشة تشبيها له به في خلافه اياهم كما خالفهم أبو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يضئ خلف الجوزاء ويسمى كلب الجبار أيضا وهما شعريان يمانية وشامية يقال لاحداهما العبور والاخرى الغميصاء سميت بذلك لانها اخفى من العبور والمجرة بينهما وأراد بالشعرى هنا العبور (وأنه أهلك عادا الاولى) وهم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا أخرى وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى يعني أول الخلق هلاكا بعد قوم نوح (وثمود) وهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة (فما أبقى) يعني منهم أحدا (وقوم نوح من قبل) يعني اهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) يعني لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب (والمؤتفكة) يعني قرى قوم لوط (أهوى) أي اسقط وذلك ان جبريل رفعها الى السماء ثم أهوى بها (فغشاها) أي البسها الله (ما غشى) يعني الحجارة المنضودة المسومة (فبأي آلاء ربك تتمارى) أي تشك أيها الانسان وقيل اراد الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى أي تكذب (هذا نذير) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (من النذر الاولى) أي رسول من الرسل المتقدمة ارسل اليكم كما أرسلت الرسل الى قومهم وقيل انذر محمد كما أنذرت الرسل من قبله (أزفت الآزفة) أي قربت القيامة واقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أي مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه

(وانه هو امات واحيى) قيل امات الآباء واحيى الابناء او امات بالكفر واحيى بالايمان او امات هنا واحيى ثمة (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) اذا تدفق في الرحم يقال منى وامنى (وان عليه النشأة الاخرى) الاحياء بعد الموت (وانه هو اغنى واقنى) واعطى القنية وهي المال تأثلته وعزمت ان لا تخرجه من يدك (وانه هو رب الشعرى) هو كوكب يطلع بعد الجوزاء في شدة الحر وكانت خزاعة تعبدها فأعلم الله انه رب معبودهم هذا (وانه اهلك عادا الاولى) هم قوم لوط وهود وعاد الاخرى ارم عادلولى مدني وبصري غير سهل بادغام التنوين في اللام وطرح همزة الاولى ونقل ضمتها الى لام التعريف (وثمود فما ابقى) حمزة وعاصم الباقون وثمودا وهو معطوف على عادا ولا ينصب بفما ابقى لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبله لا تقول زيدا فضربت وكذا ما بعد النفي لا يعمل فيما قبله والمعنى واهلك ثمودا فما ابقاهم (وقوم نوح) أي واهلك قوم نوح (من قبل) من قبل عاد وثمود (انهم كانوا هم أظلم واطغى) من عاد وثمود لانهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه (والمؤتفكة) والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهم قوم لوط يقال افكه فائتفك (اهوى) أي رفعها الى السماء على جناح جبريل ثم اهواها الى الارض أي اسقطها والمؤتفكة منصوب باهوى (فغشاها) ألبسها (ما غشى) تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وامطر عليها من الصخر المنضود (فبأي آلاء ربك) أيها المخاطب (تتمارى) تتشكك أي بما اولاك من النعم او بما كفاك من النقم او باي نعم ربك الدالة على وحدانيته وربوبيته تشكك (هذا نذير) أي محمد منذر (من النذر الاولى) من المنذرين الاولين وقال الاولى على تأويل الجماعة او هذا القرآن نذير من النذر الاولى أي انذار من جنس الانذارات الاولى التي انذر بها من قبلكم (أزفت الآزفة) قربت الموصوفة بالقرب في قوله اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أي ليس لها نفس كاشفة أي مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو او ليس

النفس لها راد يعني إذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد قوله تعالى (أفمن هذا الحديث) يعني القرآن (تعجبون) تنكرون (وتضحكون) أي استهزاء (ولا تبكون) أي مما فيه من الوعيد (وأنتم سامدون) أي لاهون غافلون قاله ابن عباس وعنه ان السمود هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وأصل السمود في اللغة رفع الرأس مأخوذ من سمد البعير إذا رفع رأسه وجد في سيره والسامد اللاهي والمغني وقيل معناه أشرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطمون قيل له وما البرطمة قال الاعراض (فاسجدوا لله) يعني أيها المؤمنون شكرا على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض في الصلاة (واعبدوا) أي اعبدوا الله وإنما قال واعبدوا إما لكونه معلوما وإما لان العبادة في الحقيقة لا تكون إلا لله تعالى (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش أخذ كفا من حصباء أو تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافرا زاد البخاري في رواية له قال أول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره وقال في آخره وهو أمية بن خلف (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس (ق) عن زيد بن ثابت قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها في هذا الحديث دليل على ان سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعي وأحمد وقال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء وذهب قوم الى وجوبها على القارئ والمستمع وهو قول سفيان وأصحاب الرأي والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة القمر وهي مكية)

وهي خمس وخمسون آية وثلثمائة واثنتان وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اقتربت الساعة) أي دنت القيامة (وانشق القمر) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل عليه ما روي عن أنس ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين أخرجه البخاري ومسلم وزاد الترمذي فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية أخرى قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى إذا انفلق القمر فلقتين فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ولهما عن ابن عباس قال ان القمر انشق في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (م) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد أعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع ان يسحر الناس كلهم أخرجه الترمذي وزاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بأنهم قد رأوه فيكذبونهم قال مقاتل انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن أبي كبشة فسألوا السفارة فقالوا نعم قد رأيناه فأنزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الأحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن المجيد بذلك فانه أدل دليل وأقوى مثبت له

وامكانه لا يشك فيه مؤمن وقد أخبر عنه الصادق فيجب الايمان به واعتقاد وقوعه وقال الشيخ محيي الدين النووي في شرح صحيح مسلم قال الزجاج وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفي الملة وذلك لما أعمى الله قلبه ولا انكار للعقل فيها لان القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره فاما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترا واشترك أهل الارض كلهم في رؤيته له ومعرفته ولم يختص بها أهل مكة فأجاب العلماء عن هذا بأن هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء او ينظر اليها الا الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره مما يحدث في السماء في الليل من العجائب والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا آحاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرنا من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتأهب غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض اهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف اهل بلد دون بلد والله أعلم وقيل في معنى الآية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين على خلافه ولان الله ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد يفتقر الى قرينة تنقله او دليل يدل عليه وفي قوله تعالى (وان يروا آية يعرضوا) دليل على وجود هذه الآية العظيمة وقد كان ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وان يروا آية أي تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد بالآية هنا انشقاق القمر يعرضوا اي عن التصديق بها (ويقولوا سحر مستمر) اي دائم مطرد وكل شئ دام حاله قيل فيه مستمر وذلك لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات فقالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر أي قوي محكم شديد يعلو كل سحر وقيل مستمر أي ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى وانما قالوا ذلك تمنية لانفسهم وتعليلا (وكذبوا) يعني النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله (واتبعوا أهواءهم) أي ما زين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم انه سحر القمر (وكل أمر مستقر) اي لكل أمر حقيقة فما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف وقيل كل أمر مستقر فالخير مستقر بأهله في الجنة والشر مستقر بأهله في النار وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين حين يعرفون حقيقته بالثواب أو العقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى وقيل ما قدر فهو كائن وواقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر يعني ليس أمره بذاهب كما زعمتم بل كل أمر من أموره مستقر وان أمر محمد صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين فيها انه حق (ولقد جاءهم) يعني أهل مكة (من الانباء) اي من اخبار الامم الماضية المكذبة في القرآن (ما فيه مزدجر) أي منتهى وموعظة (حكمة بالغة) يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية (فما تغني النذر) يعني اي غنى تغني النذر اذا خالفوهم وكذبوهم (فتول عنهم) اي اعرض عنهم نسختها آية القتال (يوم يدع الداع) اي اذكر يا محمد يوم يدعو الداعي وهو اسرافيل ينفخ في الصور قائما على صخرة بيت المقدس (الى شئ نكر) اي منكر فظيع لم ير وامثله فينكر ونه استعظاما له (خاشعا) وقرئ خشعا (أبصارهم) اي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب (يخرجون من الاجداث) اي من القبور (كأنهم جراد منتشر) مثل في كثرتهم وتموج بعضهم في بعض حيارى فزعين (مهطعين) مسرعين مادي أعناقهم مقبلين (الى الداع) اي الى صوت الداعي وهو اسرافيل وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بأبصارهم (يقول الكافرون هذا يوم عسر) اي صعب شديد وفيه اشارة الى ان ذلك اليوم يوم شديد على الكافرين لا على المؤمنين قوله تعالى (كذبت قبلهم) اي قبل اهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) يعني نوحا

نعيم (وان يروا) يعني أهل مكة (آية) تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (يعرضوا) عن الايمان به (ويقولوا سحر مستمر) محكم قوي من المرة القوة او دائم مطرد او مار ذاهب يزول ولا يبقى (وكذبوا) النبي صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وكل أمر) وعدهم الله (مستقر) كائن في وقته وقيل كل ما قدر واقع وقيل كل امر من امرهم واقع مستقر اي سيثبت ويستقر عند ظهور العقاب والثواب (ولقد جاءهم) اهل مكة (من الانباء) من القرآن المودع انباء القرون الخالية او انباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (ما فيه مزدجر) ازدجار عن الكفر تقول زجرته وازدجرته اي منعته واصله ازتجر ولكن التاء اذا وقعت بعد زاي ساكنة ابدلت دالا لان التاء حرف مهموس والزاي حرف مجهور فابدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسبا وهذا في آخر كتاب سيبويه (حكمة) بدل من ما او على هو حكمة (بالغة) نهاية الصواب او بالغة من الله اليهم (فما تغني النذر) ما نفي والنذر جمع نذير وهم الرسل او المنذر به او النذر مصدر بمعنى الانذار (فتول عنهم) لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم نصب (يوم يدع الداع) بيخرجون او باضمار اذكر الداعي الى الداعي سهل ويعقوب ومكي فيهما وافق مدني وابو عمرو في الوصل ومن اسقط الياء اكتفى بالكسرة عنها وحذف الواو من يدعو في الكتابة لمتابعة اللفظ والداعي اسرافيل عليه السلام (الى شئ نكر) منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول يوم القيامة نكر بالتخفيف مكي (خاشعا أبصارهم) عراقي غير عاصم وهو حال من الخارجين وهو فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع ابصارهم غيرهم خشعا على يخشعن ابصارهم وهي لغة من يقول اكلوني البراغيث ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم وتقع ابصارهم بدلا عنه وخشوع الابصار كناية عن الذلة لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما (يخرجون من الاجداث) من القبور (كأنهم جراد منتشر) في كثرتهم وتفرقهم في كل جهة والجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاؤا كالجراد (مهطعين الى الداع) مسرعين مادي أعناقهم اليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب شديد (كذبت قبلهم) قبل اهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا عليه السلام ومعنى تكرار التكذيب انهم كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا

كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل (وقالوا مجنون) اى هو مجنون (وازدجر) زجر عن اداء الرسالة بالشتم وهدد بالقتل او هو من جملة قيلهم اى قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه (فدعا ربه انى) اى بانى (مغلوب) غلبنى قومى فلم يسمعوا منى واستحكم اليأس من اجابتهم لى (فانتصر) فانتقم لى منهم بعذاب تبعثه عليهم (ففتحنا أبواب السماء) ففتحنا شامى ويزيد وسهل ويعقوب (بماء منهمر) منصب فى كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها عيونا كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا عيون الارض (فالتقى الماء) اى مياه السماء والارض وقرئ الماآن اى النوعان من الماء السماوى والارضى (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله كيف شاء او على أمر قد قدر فى اللوح المحفوظ انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه على ذات ألواح ودسر)

اراد السفينة وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدى مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصى مسرودة من حديد اراد ولكن قميصى درع الاترى انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه (تجرى بأعيننا) بمرأى منا او بحفظنا وبأعيننا حال من الضمير فى تجرى اى محفوظة بنا (جزاء) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده اى فعلنا ذلك جزاء (لمن كان كفر) وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبى نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح نعمة مكفورة (ولقد تركناها) أى السفينة او الفعلة اى جعلناها (آية) يعتبر بها وعن قتادة ابقاها الله بأرض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة (فهل من مدكر) متعظ يتعظ ويعتبر واصله مذتكر بالذال والتاء ولكن التاء ابدلت منها الدال والدال والذال من موضع فادغمت الذال فى الدال (فكيف كان عذابى ونذر) جمع نذير وهو الانذار ونذرى يعقوب فيهما وافقه سهل فى الوصل غيرهما بغير ياء وعلى هذا الاختلاف ما بعده الى آخر السورة (ولقد يسرنا القرآن للذكر) سهلناه للادكار والاتعاظ بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من مدكر) متعظ يتعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويروى ان كتب اهل الاديان نحو التوراة والانجيل والزبور لا يتلوها اهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) واحدا اى وانذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله او وانذاراتى فى تعذيبهم لمن بعدهم (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة او شديدة الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستمر) دائم الشر فقد استمر عليهم حتى اهلكهم وكان فى أربعاء فى آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم عن اماكنهم وكانوا يصطفون آخذا بعضهم بايدى بعض ويتداخلون فى الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم (كأنهم) حال (أعجاز نخل منقعر) اصول نخل منقلع عن مغارسه وشبهوا باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى اجسادا بلا رؤس فيتساقطون على الارض امواتا وهم جثث طوال كأنهم اعجاز نخل وهى أصولها بلا فروع وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال كأنها أعجاز نخل خاوية (فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا

(وقالوا مجنون وازدجر) اى زجر وه على دعوته ومقالته بالشتم والوعيد بقولهم لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين (فدعا) يعنى نوحا (ربه) وقال (انى مغلوب) اى مقهور (فانتصر) اى فانتقم لى منهم (ففتحنا أبواب السماء) قيل هو على ظاهره وللسماء أبواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه قد صح فى الحديث ان للسماء أبوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر ان يكون المطر من السحاب (بماء منهمر) اى منصب انصبابا شديدا لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) اى وجعلنا الارض كلها عيونا تسيل بالماء (فالتقى الماء) يعنى ماء السماء وماء الارض (على أمر قد قدر) أى قضى عليهم فى أم الكتاب وقيل قدر الله ان يكون الماآن سواء فكانا على ما قدر (وحملناه) يعنى نوحا (على ذات ألواح) اى سفينة ذات ألواح وأراد بالالواح خشب السفينة العريضة (ودسر) هى المسامير التى تشد بها الالواح وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هى عوارض السفينة واضلاعها وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر أصلها وطرفاها (تجرى) يعنى السفينة (بأعيننا) أى بمرأى منا وقيل بحفظنا وقيل بأمرنا (جزاء لمن كان كفر) يعنى فعلنا ذلك به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لانه كان كفر به وجحد أمره وقيل لمن بمعنى لما أى جزاء لما كان كفر من أيادى الله ونعمه عند الذين أغرقهم وقيل جزاء لما صنع بنوح وأصحابه (ولقد تركناها آية) يعنى الفعلة التى فعلنا بهم آية يعتبر بها وقيل أراد السفينة قال قتادة ابقاها الله تعالى بأرض الجزيرة عبرة حتى نظر اليها أوائل هذه الامة (فهل من مدكر) اى متذكر معتبر متعظ خائف مثل عقوبتهم (ق) عن ابن مسعود قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكر فردها على وفى رواية أخرى سمعته يقول مدكرا الا (فكيف كان عذابى ونذر) اى انذارى (ولقد يسرنا القرآن) اى سهلنا القرآن (للذكر) أى ليتذكر ويعتبر به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شئ من كتب الله تعالى يقرأ كله ظاهرا الا القرآن (فهل من مدكر) أى متعظ بموعظة وفيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال به لانه قد يسره الله وسهله على من يشاء من عباده بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير والعربى والعجمى وغيرهم قوله تعالى (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) أى انذارى لهم بالعذاب (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أى شديدة الهبوب (فى يوم نحس) اى فى يوم شؤم (مستمر) اى دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسته فلم يبق منهم أحد الا هلك فيه وقيل كان ذلك اليوم يوم الاربعاء فى آخر الشهر (تنزع الناس) اى الريح تقلعهم ثم ترمى بهم على رؤسهم فتدق رقابهم قيل كانت تنزعهم من حفرهم (كأنهم أعجاز نخل) قال ابن عباس أصول نخل (منقعر) أى منقطع من مكانه ساقط على الارض قيل كانت الريح تبين رؤسهم من أجسامهم فتبقى اجسامهم بلا رؤس كعجز النخلة الملقاة (فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) اى بالانذار الذى جاء به صالح (فقالوا أبشرا منا

واحدا) يعني آدميا واحدا منا (نتبعه) اي ونحن جماعة كثيرون (انا اذا لفي ضلال) اي خطأ وذهاب عن الصواب (وسعر) قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب وقيل انا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفي جنون وقيل لفي بعد عن الحق (أألقي الذكر عليه) يعني أأنزل عليه الوحي (من بيننا بل هو كذاب أشر) اي بطر متكبر يريد ان يتعظم علينا بادعائه النبوة (سيعلمون غدا) اي حين ينزل بهم العذاب وقيل يعني يوم القيامة وانما ذكر الغد للتقريب (من الكذاب الاشر) اي صالح ام من كذبه (انا مرسلوا الناقة) اي باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سألوا وذلك انهم تعنتوا على صالح فسألوه ان يخرج لهم من صخرة حمراء ناقة عشراء فقال الله تعالى انا مرسلوا الناقة (فتنة) اى محنة واختبارا (لهم فارتقبهم) اي فانتظر ماهم صانعون (واصطبر) أي على أذاهم (ونبئهم) اى اخبرهم (أن الماء قسمة بينهم) اي بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال تعالى بينهم تغليبا للعقلاء (كل شرب) اي نصيب من الماء (محتضر) اى يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم حضروا شربهم وقيل يعني يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن (فنادوا صاحبهم) يعني قدار بن سالف (فتعاطى) اى فتناول الناقة بسيفه (فعقر) يعني الناقة (فكيف كان عذابي ونذر) ثم بين عذابهم فقال تعالى (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) يعني صيحة جبريل (فكانوا كهشيم المحتظر) قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يحظر لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالي الذي يهشم حين تذروه الرياح والمعنى انهم صاروا كيبيس الشجر اذا بلي وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) قوله تعالى (كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا) يعني الحصباء وهي الحجارة التي دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامي فعلى هذا يكون المعنى انا أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم أي يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى (الا آل لوط) يعني لوطا وابنتيه (نجيناهم) يعني من العذاب (بسحر نعمة من عندنا) أي جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم (كذلك نجزي) أي كما انعمنا على آل لوط كذلك نجزي (من شكر) يعني ان من وحد الله لم يعذبه مع المشركين (ولقد أنذرهم) اى لوط (بطشتنا) يعني أخذنا اياهم بالعقوبة (فتماروا بالنذر) أي شكوا بالانذار ولم يصدقوا وكذبوا (ولقد راودوه عن ضيفه) أي طلبوا منه ان يسلم اليهم أضيافه (فطمسنا أعينهم) وذلك انهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم فقالت الرسل انا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم عميا باذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون الى الباب وأخرجهم لوط عميا لا يبصرون ومعنى فطمسنا أعينهم اى صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق وقيل طمس الله ابصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا فاين ذهبوا فلم يروهم (فذوقوا عذابي ونذر) يعني ما انذركم به لوط من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) أي جاءهم

واحدا) انتصب بشرا بفعل يفسره (نتبعه) تقديره انتبع بشرا منا واحدا (انا اذا لفي ضلال وسعر) كان يقول ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون وقولهم ابشرا انكار لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكون من الملائكة فقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا او ارادوا واحدا من افنائهم وليس من أشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قوله (أألقي الذكر عليه من بيننا) اى أأنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو احق منه بالاختيار للنبوة (بل هو كذاب أشر) بطر متكبر حمله بطره وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة (من الكذاب الاشر) اصالح ام من كذبه ستعلمون شامي وحمزة على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم او هو كلام الله على سبيل الالتفات (انا مرسلوا الناقة) باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا (فتنة لهم) امتحانا لهم وابتلاء وهو مفعول له او حال (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ماهم صانعون (واصطبر) على اذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري (ونبئهم ان الماء قسمة بينهم) مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وقال بينهم تغليبا للعقلاء (كل شرب محتضر) محضور يحضر القوم الشرب يوما وتحضر الناقة يوما (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف احيمر ثمود (فتعاطى) فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له (فعقر) الناقة او فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف وانما قال فعقروا الناقة في آية أخرى لرضاهم به او لانه عقر بعونهم (فكيف كان عذابي ونذر انا أرسلنا عليهم) في اليوم الرابع من عقرها (صيحة واحدة) صاح بهم جبريل عليه السلام (فكانوا كهشيم المحتظر) والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطأه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أي الحظيرة (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم) يعني على قوم لوط (حاصبا) ريحا تحصبهم بالحجارة أي ترميهم (الا آل لوط) ابنتيه ومن آمن معه (نجيناهم بسحر) من الاسحار ولذا صرفه ويقال لقيته بسحر اذا لقيته في سحر يومه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه (نعمة) مفعول له اى انعاما (من عندنا كذلك نجزي من شكر) نعمة الله بايمانه وطاعته (ولقد أنذرهم) أي لوط عليه السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا بالنذر) فكذبوا بالنذر متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) طلبوا الفاحشة من أضيافه (فطمسنا أعينهم) اعميناهم وقيل مسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روى انهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون ولا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط (فذوقوا) فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة (عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة) أول النهار

وقت الصبح (عذاب مستقر) أي دائم استقر فيهم حتى افضى بهم الى عذاب الآخرة (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) قوله عز وجل (ولقد جاء آل فرعون النذر) يعني موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وقيل النذر الآيات التي انذرهم بها موسى (كذبوا بآياتنا كلها) يعني الآيات التسع (فأخذناهم) أي بالعذاب (أخذ عزيز مقتدر) اي غالب في انتقامه قادر على اهلاكهم لا يعجزه عما أراد ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أكفاركم خير من أولئكم) يعني أقوى واشد من الذين احللت بهم نقمتي مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون وهذا استفهام انكار أي ليسوا بأقوى منهم (أم لكم براءة) يعني من العذاب (في الزبر) أي في الكتب انه لن يصيبكم ما أصاب الامم الخالية (أم يقولون) يعني كفار مكة (نحن جميع) أي امرنا (منتصر) أي من اعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصرون ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الآي وقيل معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم أي كل واحد منهم عالم قال الله تعالى (سيهزم الجمع) يعني كفار مكة (ويولون الدبر) أي الادبار فوحد لاجل رؤس الآي وقيل في الافراد اشارة الى انهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف أحد عن الهزيمة ولا يثبت أحد للزحف فهم في ذلك كرجل واحد (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة يوم بدر اللهم اني أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد هذا اليوم أبدا فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك فخرج وهو في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في درعه و يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعلمت تأويلها بل الساعة موعدهم يعني جميعا والساعة أدهى وأمر أي اعظم داهية وأشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر قوله عز وجل (ان المجرمين) يعني المشركين (في ضلال وسعر) قيل في بعد عن الحق وسعر اي نار تسعر عليهم وقيل في ضلال في الدنيا ونار مسعرة في الآخرة وقيل في ضلال أي عن طريق الجنة وسعر أي عذاب الآخرة ثم بين عذابهم فقال تعالى (يوم يسحبون) أي يجرون (في النار على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) اي ذوقوا أيها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر (انا كل شيء خلقناه بقدر) أي مقدور مكتوب في اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له وقال ابن عباس كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك

(فصل في سبب نزول الآية وما ورد في القدر وما قيل فيه) (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء (م) عن ابي هريرة قال جاءت مشركو قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية ان المجرمين في ضلال وسعر الى قوله انا كل شيء خلقناه بقدر (م) عن طاوس قال أدركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر الله تعالى وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس او الكيس والعجز عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن

(عذاب مستقر) ثابت قد استقر عليهم الى ان يفضي بهم الى عذاب الآخرة وفائدة تكرير (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ان يجددوا عند استماع كل نبأ من انباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستأنفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وهذا حكم التكرير في قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية اوردها وكذلك تكرير الانباء والقصص في انفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل أوان (ولقد جاء آل فرعون النذر) موسى وهارون وغيرهما من الانبياء او هو جمع نذير وهو الانذار (كذبوا بآياتنا كلها) بالآيات التسع (فأخذناهم أخذ عزيز) لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شيء (أكفاركم) يا اهل مكة (خير من أولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون اي اهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا يعني ان كفاركم مثل أولئك بل شر منهم (أم لكم براءة في الزبر) ام انزلت لكم يا أهل مكة براءة في الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة (أم يقولون نحن جميع) جماعة امرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لا نرام ولا نضام (سيهزم الجمع) جمع اهل مكة (ويولون الدبر) اى الادبار كما قالوا كلوا في بعض بطنكم تعفوا اي ينصرفون منهزمين يعني يوم بدر وهذه من علامات النبوة (بل الساعة موعدهم) موعد عذابهم بعد بدر (والساعة أدهى) أشد من موقف بدر والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه (وأمر) مذاقا من عذاب الدنيا او اشد من المرة (ان المجرمين في ضلال) عن الحق في الدنيا (وسعر) ونيران في الآخرة او في هلاك ونيران (يوم يسحبون في النار) يجرون فيها (على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) كقوله وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا أصابتهم بحرها فكأنها تمسهم مسا بذلك وسقر غير منصرف للتأنيث والتعريف لانها علم لجهنم من سقرته النار اذا لوحته (انا كل شيء خلقناه بقدر) كل منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ بالرفع شاذا والنصب اولى لانه لو رفع لامكن ان يكون خلقناه في موضع الجر وصفا للشيء ويكون الخبر مقدرا وتقديره انا كل شيء مخلوق لنا كائن بقدر ويحتمل ان يكون خلقناه هو الخبر وتقديره انا كل شيء مخلوق لنا بقدر فلما تردد الامر في الرفع عدل الى النصب وتقديره انا خلقنا كل شيء بقدر فيكون الخلق عاما لكل شيء وهو المراد بالآية ولا يجوز في النصب ان يكون خلقناه صفة لشيء لانه تفسير الناصب والصفة لا تعمل في الموصوف والقدر والقدر التقدير اي بتقدير سابق او خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه قال ابو هريرة جاء مشركو قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت الآية وكان عمر يحلف انها نزلت في القدرية

أحدكم حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر أخرجه الترمذى وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن ميمون وهو منكر الحديث وفى حديث جبريل المتفق عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت ففيه ذم القدرية عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل أمة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوه وهم من شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال أخرجه ابو داود وله عن ابى هريرة مثله وزاد فلا تجالسوهم ولا تفاتحوهم فى الكلام وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أمتى ليس لهم فى الاسلام نصيب المرجئة والقدرية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وروى ابن الجوزى فى تفسيره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أمر مناديا فينادى نداء يسمعه الاولون والآخرون أين خصماء الله فتقوم القدرية فيأمر بهم الى النار يقول الله ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر قال ابن الجوزى وانما قيل خصماء الله لانهم يخاصمون فى انه لا يجوز ان يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها وروى عن الحسن قال والله لو ان قدريا صام حتى يصير كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم اخذ ظلما حتى ذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه فى سقر ثم قيل له ذق مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله اعلم ان مذهب اهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء فى القدم وعلم سبحانه وتعالى انها ستقع فى اوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى على صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ما قدرها الله تعالى وانكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وانها مستأنفة العلم أى انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه تعالى عن اقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر قال اصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق احد من اهل القبلة عليه وصارت القدرية فى الازمان المتأخرة تعتقد اثبات القدر ولكن تقول الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وحكى ابو محمد بن قتيبة فى كتابه غريب الحديث وأبو المعالى امام الحرمين فى كتابه الارشاد فى اصول الدين ان بعض القدرية قالوا لسنا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم اثبات القدر قال ابن قتيبة وامام الحرمين هذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتواقح فان اهل الحق يفوضون امورهم الى الله تعالى ويضيفون القدر والافعال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه الى أنفسهم ومدعى الشئ لنفسه ومضيفه اليها اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال امام الحرمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر فى حكم الارادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير الى يزدان والشر الى اهرمن ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة رواه أبو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجه ابو داود فى سننه والحاكم ابو عبد الله فى المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين ان صح سماع ابى حازم عن ابن عمر وقال الخطابى انما جعلهم صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس لقولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون ان الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره والله سبحانه وتعالى خالق كل شئ الخير والشر جميعا لا يكون شئ منهما الا بمشيئته فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا قال الخطابى وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه

وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها اقال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشئ وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء فى هذا معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات أى خلقهن وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة واهل العقد والحل من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك أئمة المتكلمين احسن تقرير بدلائله القطعية السمعية والعقلية والله اعلم واما معانى الاحاديث المتقدمة فقوله جاء مشركو قريش الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه وارادته فكل ذلك مقدر فى الازل معلوم لله تعالى مراد له وكذلك قوله كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء المراد منه تحديد وقت الكتابة فى اللوح المحفوظ أو غيره لا اصل القدر فان ذلك ازلى لا اول له وقوله وعرشه على الماء أى قبل ان يخلق السموات والارض وقوله كل شئ بقدر حتى العجز والكيس او قال الكيس والعجز العجز عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله بالتسويف به وتأخيره عن وقته وقيل يحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم فى أمور الدنيا والآخرة والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق بالامور ومعنى الحديث ان العاجز قدر عجزه والكيس قدر كيسه قوله تعالى (وما أمرنا الا واحدة) أى وما أمرنا الا مرة واحدة وقيل معناه وما أمرنا للشئ اذا أردنا تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيه فعلى هذا اذا أراد الله سبحانه وتعالى شيئا قال له كن فيكون فهنا بان فرق بين الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة فيه بيان انه لا حاجة الى تكرير القول بل هو اشارة الى نفاذ الامر (كلمح بالبصر) قال ابن عباس يريد ان قضائى فى خلقى أسرع من لمح البصر وعن ابن عباس أيضا معناه وما أمرنا بمجئ الساعة فى السرعة الا كطرف البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أى اشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الامم السالفة (فهل من مدكر) أى متعظ بان ذلك حق فيخاف ويعتبر (وكل شئ فعلوه) يعنى الاشياع من خير وشر (فى الزبر) أى فى كتب الحفظة وقيل فى اللوح المحفوظ (وكل صغير وكبير) أى من الخلق واعمالهم وآجالهم (مستطر) أى مكتوب قوله عزوجل (ان المتقين فى جنات) أى بساتين (ونهر) أى انهار وانما وحده لموافقة رؤس الآى وأراد انهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقيل معناه فى ضياء وسعة ومنه النهار والمعنى لا ليل عندهم (فى مقعد صدق) أى فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وقيل فى مجلس حسن وقيل فى مقعد لا كذب فيه لان الله صادق فمن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو فى مقعد صدق (عند مليك) قيل معناه قرب المنزلة والتشريف لا معنى المكان (مقتدر) أى قادر لا يعجزه شئ وقيل مقربين عند مليك أمره فى الملك والاقتدار اعظم شئ فلا شئ الا وهو تحت ملكه وقدرته فأى منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا اهل الصدق والله اعلم

(تفسير سورة الرحمن علا وعزوجل)

وهى مكية وذكر ابن الجوزى انها مدنية فى قول من قولين عن ابن عباس وهى ست وسبعون آية وثلثمائة واحد وخمسون كلمة والف وستمائة وستة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عزوجل (الرحمن علم القرآن) قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فأنكروه

(وما أمرنا الا واحدة) الا كلمة واحدة اى وما امرنا لشئ نريد تكوينه الا ان نقول له كن فيكون (كلمح بالبصر) على قدر ما يلمح احدكم ببصره وقيل المراد بامرنا القيامة كقوله وما أمر الساعة الا كلمح البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) اشباهكم فى الكفر من الامم (فهل من مدكر) متعظ (وكل شئ فعلوه) اى أولئك الكفار اى وكل شئ مفعول لهم ثابت (فى الزبر) فى دواوين الحفظة ففعلوه فى موضع جر نعت لشئ وفى الزبر خبر لكل (وكل صغير وكبير) من الاعمال ومن كل ما هو كائن (مستطر) مسطور فى اللوح (ان المتقين فى جنات ونهر) وانهارا اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء ومنه النهار (فى مقعد صدق) فى مكان مرضى (عند مليك) عنديه منزلة وكرامة لا مسافة ومماسة (مقتدر) قادر وفائدة التنكير فيهما ان يعلم ان لا شئ الا هو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شئ قدير

(سورة الرحمن جل وعلا مكية وهى ست وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الرحمن علم القرآن)

خلق الانسان) أى الجنس أو آدم او محمدا عليهما السلام (علمه البيان) عدد الله عز وجل آلاءه فأراد ان يقدم أول شئ ماهو اسبق قدما من ضروب آلائه وصنوف نعمائه وهى نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ماهو سنام فى اعلى مراتبها واقصى مراقبها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحى الله رتبة واعلاه منزلة واحسنه فى أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم أتبعه اياه ليعلم أنه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وقدم ماخلق الانسان من أجله عليه ثم ذكر ماعيزه عن سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير والرحمن مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها أخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيدا غناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك مالم يفعل أحد باحد فما تنكر من احسانه (الشمس والقمر بحسبان) بحساب معلوم وتقدير سوى يجريان فى بروجهما ومنازلهما وفى ذلك منافع للناس منها علم السنين والحساب (والنجم) النبات الذى ينجم من الارض لاساق له كالبقول (والشجر) الذى له ساق وقيل النجم نجوم السماء (يسجدان) ينقادان لله تعالى فيما خلقا له تشبيها بالساجد من المكلفين فى انقياده واتصلت هاتان الجملتان بالرحمن بالوصل المعنوى لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ولم يذكر العاطف فى الجمل الاول ثم جئ به بعد لان الاول وردت على سبيل التعديد تبكيتا لمن انكر آلاءه كما يبكت منكر أيادى المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه فى المثال المذكور ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت فى وصل مايجب وصله للتناسب والتقارب بالعطف وبيان التناسب ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لاتزالان تذكران قرينتين وان جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر (والسماء رفعها) خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ احكامه ومصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على انبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه (ووضع الميزان) أى كل ماتوزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أى خلقه موضوعا على الارض حيث علق به أحكام عباده من التسوية والتعديل فى أخذهم واعطائهم (أن لا تطغوا فى الميزان) لئلا تطغوا أو هى ان المفسرة (وأقيموا الوزن بالقسط) وقوموا وزنكم بالعدل (ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه (والارض وضعها) خفضها مدحوة على الماء (للانام) للخلق وهو كل ماعلى ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فيها فاكهة) ضروب مما يتفكه به (والنخل ذات الاكمام) هى أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف أو كل مايكم أى يغطى من ليفه وسعفه وكفره وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه (والحب

وقالوا لانعرف الرحمن فأنزل الله الرحمن يعنى الذى انكرتموه هو الذى علم القرآن وقيل هذا جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القرآن يعنى علم محمدا القرآن وقيل علم القرآن يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم اعظمها نعمة واعلاها رتبة وهو القرآن العزيز لانه اعظم وحى الله الى انبيائه واشرفه منزلة عند أوليائه واصفيائه واكثره ذكرا واحسنه فى أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية المنزلة على أفضل البرية (خلق الانسان) يعنى آدم عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس (علمه البيان) يعنى اسماء كل شئ وقيل علمه اللغات كلها فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة افضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس وأراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان أى النطق الذى يتميز به عن سائر الحيوانات وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف مايقول ومايقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذى يتكلمون به وقيل أراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعنى بيان مايكون وماكان لانه صلى الله عليه وسلم ينبئ عن خبر الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام (الشمس والقمر بحسبان) قال ابن عباس يجريان بحساب ومنازل لايتعديانها وقيل يعنى بهما حساب الاوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب مايريد وقيل الحسبان هو الفلك تشبيها بحسبان الرحى وهو مايدور بالجريد ورانه (والنجم والشجر يسجدان) قيل النجم ماليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ماله ساق يبقى فى الشتاء وسجودهما سجود ظلهما وقيل النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه والقول الاول اظهر لانه ذكره مع الشجر فى مقابلة الشمس والقمر ولانهما ارضيان فى مقابلة سمائيين (والسماء رفعها) أى فوق الارض (ووضع الميزان) قيل أراد بالميزان العدل لانه آلة العدل والمعنى انه أمر بالعدل يدل عليه قوله (أن لا تطغوا فى الميزان) أى لا تجاوزوا العدل وقيل أراد به الآلة التى يوزن بها للتوصل الى الانصاف والانتصاف واصل الوزن التقدير ان لا تطغوا فى الميزان أى لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق فى الميزان (وأقيموا الوزن بالقسط) أى بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب (ولا تخسروا) أى لا تنقصوا (الميزان) أى لا تطففوا فى الكيل والوزن أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية وتقوية للامر باستعماله والحث عليه (والارض وضعها) أى خفضها مدحوة على الماء (للانام) أى للخلق الذين بثهم فيها وهو كل ماظهر عليها من دابة وقيل للانس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فيها) أى فى الارض (فاكهة) أى من انواع الفاكهة وقيل مايتفكهون به من النعم التى لاتحصى (والنخل ذات الاكمام) يعنى الاوعية التى يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون فى غلاف وهو الطلع مالم ينشق وكل شئ ستر شيئا فهو كم وقيل اكمامها ليفها واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر لانه اعظمها واكثرها بركة (والحب) يعنى

جميع الحبوب التي يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وانما أخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء الى الاعلى لان الحب انفع من النخل واعم وجودا في الاماكن (ذو العصف) قال ابن عباس يعني التبن وعنه انه ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤسه ويبس وقيل هو ورق كل شئ يخرج منه الحب يبدو صلاحه ولا ورق وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيها اكماما ثم يحدث في الاكمام الحب (والريحان) يعني الرزق قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ريحان في القرآن فهو رزق وقيل هو الريحان الذي يشم وقيل العصف التين والريحان ثمرته فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانس فقال تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان) يعني أيها الثقلان يريد هذه الاشياء المذكورة وكرر هذه الآية في هذه السورة في احد وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا في التذكير بها ثم عدد على الخلق آلاءه وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل لمن احسن اليه وتابع اليه بالايادي وهو ينكرها ويكفرها الم تكن فقيرا فأغنيتك افتنكر هذا الم تكن عريانا فكسوتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا ومثل هذا الكلام شائع في كلام العرب وذلك لان الله تعالى ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر السماء والارض الى غير ذلك مما أنعم به على خلقه وخاطب الجن والانس فقال فبأي آلاء ربكما تكذبان من الاشياء المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم عن جابر رضي الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها الى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا احسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي رواية غيره كانوا احسن منكم ردا وفيه ولا بشئ قوله تعالى (خلق الانسان من صلصال) يعني من طين يابس له صلصلة وهو الصوت منه اذا نقر (كالفخار) يعني الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلفت العبارات في صفة خلق الانسان الذي هو آدم فقال تعالى من تراب وقال من حمأ مسنون وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس في هذه العبارات اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه اولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنونا وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار (وخلق الجان) وهو ابو الجن وقيل هو ابليس (من مارج من نار) يعني الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا اوقدت (فبأي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين) يعني مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس (ورب المغربين) يعني مغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل يعني مغرب الشمس والقمر (فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين) يعني أرسل البحرين العذب والملح متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين لان من شأنهما الاختلاط وهو قوله (يلتقيان) لكن الله تعالى منعهما عما في طبعهما بالبرزخ وهو قوله (بينهما برزخ) أي حاجز من قدرة الله (لا يبغيان) اي لا يبغي أحدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا يتغيران وقيل لا يطغيان على الناس بالغرق وقيل مرج البحرين يعني بحر الروم وبحر الهند وأنتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ يعني الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الارض يلتقيان في كل عام (فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما) قيل انما يخرج من البحر الملح دون العذب وهو كقوله وجعل القمر فيهن نورا وقيل أراد يخرج من أحدهما فحذف المضاف وقيل لما التقى البحران فصارا كالشئ الواحد جاز ان يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر قيل اذا أمطرت السماء تفتح الاصداف افواهها فحيثما وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر القطرة وقوله تعالى (اللؤلؤ) قيل هو ما عظم من الدر (والمرجان) صغارا

وقيل

ذو العصف) هو ورق الزرع أو التبن (والريحان) الرزق وهو اللب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب والريحان بالجر حمزة وعلي أي والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الانام والرفع على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم والحب ذا العصف والريحان شامي أي وخلق الحب والريحان أو واخص الحب والريحان (فبأي آلاء) أي النعم مما عدد من أول السورة جمع ألى وإلى (ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين لدلالة الانام عليهما (خلق الانسان من صلصال) طين يابس له صلصلة (كالفخار) أي الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف ولا اختلاف في هذا وفي قوله من حمأ مسنون من طين لازب من تراب لاتفاقهما معنى لانه يفيد انه خلقه من تراب ثم جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا (وخلق الجان) ابا الجن قيل هو ابليس (من مارج) هو اللهب الصافي الذي لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشئ اذا اضطرب واختلط (من نار) هو بيان للمارج كانه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار او اراد من نار مخصوصة كقوله فأنذرتكم نارا تلظى (فبأي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين) أراد مشرقي الشمس في الصيف والشتاء ومغربيهما (فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان) أي أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في مرأى العين (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة (فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج) مدني وبصري (منهما اللؤلؤ) بلا همز ابو بكر ويزيد وهو كبار الدر (والمرجان) صغاره وانما قال منهما وهما يخرجان من الملح لانهما لما التقيا وصارا كالشئ الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه

وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب (فبأي آلاء ربكما تكذبان وله) ولله (الجوار) السفن جمع جارية قال الزجاج الوقف عليها بالياء والاختيار وصلها وان وقف عليها بغير ياء فذا جائز على بعد ولكن يروم الكسر في الراء ليدل على حذف الياء (المنشآت) المرفوعات الشرع المنشئات بكسر الشين حمزة ويحيى الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن (في البحر كالاعلام) جمع علم وهو الجبل الطويل (فبأي آلاء ربكما تكذبان كل من عليها) على الارض (فان ويبقى وجه ربك) ذاته (ذو الجلال) ذو العظمة والسلطان وهو صفة الوجه (والاكرام) بالتجاوز والاحسان وهذه الصفة من عظيم صفات الله وفي الحديث ألظوا بياذا الجلال والاكرام

وروى انه عليه السلام مر برجل وهو يصلي ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك (فبأي آلاء ربكما تكذبان) والنعمة في الفناء باعتبار ان المؤمنين به يصلون الى النعيم السرمد وقال يحيى بن معاذ حبذا الموت فهو الذي يقرب الحبيب الى الحبيب (يسأله من في السموات والارض) وقف عليها نافع كل من أهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم واهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم وينتصب (كل يوم) ظرفا بما دل عليه (هو في شأن) أي كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا كما روى انه عليه السلام تلاها فقيل له وما ذلك الشان فقال من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله يومان أحدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهي والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شأنا وسأل بعض الملوك وزيره عن الآية فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يا مولاي اخبرني ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدي فأخبره فقال انا افسرها للملك فأعلمه فقال ايها الملك شأن الله انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير احسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شأن الله وقيل سوق المقادير الى المواقيت وقيل ان عبد الله ابن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي قوله فأصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شأن وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وكذا قيل وان ليس للانسان الا ما سعى مخصوص بقوم ابراهيم وموسى عليهما السلام وأما قوله كل يوم هو في شأن فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه (فبأي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم) مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز ان يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي أرادها بقوله كل يوم هو في شأن فلا يبقى الا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل سيفرغ حمزة وعلي أي الله تعالى (أيها الثقلان) الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض.

وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الاحمر (فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) يعني السفن الكبار (المنشآت) أي المرفوعات التي يرفع خشبها بعضه على بعض وقيل هي ما رفع قلعها من السفن اما ما لم يرفع قلعها فليست من المنشآت وقيل معنى المنشآت المحدثات المخلوقات المسخرات (في البحر كالاعلام) أي كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبل في البر (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قوله عز وجل (كل من عليها) أي على الارض من حيوان وانما ذكره بلفظة من تغليبا للعقلاء (فان) أي هالك لان وجود الانسان في الدنيا عرض فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة وصرف الزمن اليسير الى الطاعة (ويبقى وجه ربك) يعني ذاته والوجه يعبر به عن الجملة وفي الخطاب وجهان أحدهما انه كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك أيها الانسان السامع والوجه الثاني انه يحتمل ان الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم (ذو الجلال) أي ذو العظمة والكبرياء ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه (والاكرام) أي المكرم لانبيائه واوليائه وجميع خلقه بلطفه واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته (فبأي آلاء ربكما تكذبان) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام أخرجه الترمذي وقال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى ألظوا الزموا هذه الدعوة واكثروا منها (يسأله من في السموات والارض) يعني من ملك وانس وجن فلا يستغني عن فضله أهل السموات والارض قال ابن عباس فأهل السموات يسألونه المغفرة وأهل الارض يسألونه الرزق والمغفرة وقيل كل أحد يسأله الرحمة وما يحتاج اليه في دينه او دنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وان كل مخلوق وان جل وعظم فهو عاجز عن تحصيل ما يحتاج اليه مفتقر الى الله تعالى (كل يوم هو في شأن) قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا قال المفسرون انه من شأنه يحيي ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفي مريضا ويمرض صحيحا ويفك عانيا ويفرج عن مكروب ويجيب داعيا ويعطي سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من أفعاله واحداثه في خلقه ما يشاء سبحانه وتعالى وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شأن قال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة والشأن الذي هو فيه اليوم الذي هو مدة أيام الدنيا الاختبار بالامر والنهي والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين ابن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت ومعناه ان الله عز وجل كتب ما يكون في كل يوم وقدر ما هو كائن فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل فيوجده في ذلك الوقت وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية في كل يوم الى العبد بر جديد وقيل شأنه تعالى انه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب الآباء الى أرحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم أيها الثقلان) قيل هو وعيد من

الله تعالى للخلق بالمحاسبة وليس هو فراغ عن شغل لان الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن فهو كقول القائل لمن يريد تهديده لاتفرغن لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن ذكر هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ فى أمركم فهو كقول القائل الذى لا شغل له قد فرغت لك وقيل معناه ان الله وعد أهل التقوى وأوعد أهل الفجور فقال سنفرغ لكم مما وعدنا كم واخبرنا كم فنحاسبكم ونجازيكم فننجز لكم ما وعدنا كم فنتم ذلك ونفرغ منه فهو على طريق المثل وأراد بالثقلين الانس والجن سميا ثقلين لانهما ثقلا على الارض احياء واموا تا وقيل كل شئ له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى فجعلهما ثقلين اعظاما لقدرهما وقال جعفر بن محمد الصادق سمى الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب (فبأى آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا) أى تخرجوا (من أقطار السموات والارض) أى جوانبهما واطرافهما (فانفذوا) أى فاخرجوا والمعنى ان استطعتم ان تهربوا من الموت بالخروج من اقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها فحيثما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة والمعنى ان استطعتم أن تخرجوا من اقطار السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فاخرجوا وقيل معناه ان استطعتم ان تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكى ومن سمائى وأرضى فافعلوا وقدم الجن على الانس فى هذه الآية لانهم اقدر على النفوذ والهرب من الانس واقوى على ذلك ثم قال تعالى (لاتنفذون الا بسلطان) يعنى لاتقدرون على النفوذ الا بقهر وغلبة وأنى لكم ذلك لانكم حيثما توجهتم كنتم فى ملكى وسلطانى وقال ابن عباس معناه ان استطعتم ان تعلموا ما فى السموات والارض فاعلموا ولن تعلموه الا بسلطان اى بينة من الله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وفى الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادى يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والارض الآية فذلك قوله تعالى (يرسل عليكما شواظ من نار) قال أكثر المفسرين هو اللهب الذى لا دخان فيه وقيل هو اللهب الاخضر المنقطع من النار (ونحاس) قيل هو الدخان وهو رواية عن ابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وقال ابن مسعود النحاس المهل وقيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة وقيل يجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالآخر (فلا تنتصران) أى فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكم ناصر منه (فبأى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء) أى انفجرت فصارت ابوابا لنزول الملائكة وقيل المراد منه خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان اشارة الى أهل الارض ذكر فى هذه الآية بيان حال سكان السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم للامر لان فيه اشارة الى ما هو اعظم من ارسال الشواظ على الانس والجن وهو تشقق السماء وذوبانها وهو قوله تعالى (فكانت وردة كالدهان) جمع دهن شبه تلون السماء عند انشقاقها بتلون الفرس الورد وهو الابيض الذى يضرب الى الحمرة وقيل ان السماء تتلون يومئذ الوانا كألوان الفرس الورد يكون فى الربيع اصفر وفى أول الشتاء احمر فاذا اشتد البرد صار اغبر فشبه السماء فى تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس فى تلونه وقيل كالدهان أى كعصير الزيت لانه يتلون فى الساعة الوانا وقيل تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصلها حر جهنم وقيل كالدهان أى كالاديم الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) قيل لا يسئلون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله تعالى علمها منهم وكتبتها الحفظة عليهم وهذه رواية عن ابن عباس وعنه لا تسأل الملائكة المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم دليله ما بعده وعن ابن عباس أيضا فى الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه اعلم بذلك منهم ولكنه يسألهم لم عملتم كذا وكذا وقيل انها مواطن فيسئل فى بعضها ولا يسئل فى بعضها وعن ابن عباس أيضا قال لا يسئلون سؤال شفقة ورحمة انما يسئلون سؤال تقريع وتوبيخ وقيل

(فبأى آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس) هو كالترجمة لقوله أيها الثقلان (ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا) اى ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هربا من قضائى فاخرجوا ثم قال (لاتنفذون) لاتقدرون على النفوذ (الا بسلطان) بقوة وقهر وغلبة وانى لكم ذلك وقيل دلهم على العجز عن فوتهم الحساب غدا وقيل يقال لهم هذا اليوم وقيل بالعجز عن نفوذ الاقطار يوم القيامة حين تحدق بهم الملائكة فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احتاطت به (فبأى آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار) وبكسر الشين مكى وكلاهما اللهب الخالص (ونحاس) أى دخان ونحاس مكى وابو عمرو فالرفع عطف على شواظ والجر على نار والمعنى اذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكما لهب خالص من النار ودخان يسوقكم الى المحشر (فلا تنتصران) فلا تمتنعان منهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء) انفك بعضها من بعض لقيام الساعة (فكانت وردة) فصارت كلون الورد الاحمر وقيل اصل لون السماء الحمرة ولكن من بعدها ترى زرقاء (كالدهان) كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردى الزيت وهو جمع دهن وقيل الدهان الاديم الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ) أى فيوم تنشق السماء (لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) أى ولا جن فوضع الجان الذى هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده والتقدير لا يسئل انس ولا جان عن ذنبه والتوفيق بين هذه الآية وبين قوله فوربك لنسألنهم أجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤلون ان ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسئلون فى موطن ولا يسئلون فى آخر وقال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسئل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسئل للتوبيخ

لا يسئل غير المجرم عن ذنب المجرم (فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) يعنى بسواد وجوههم وزرقة عيونهم (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) قيل تجعل الاقدام مضمومة الى النواصى من خلف ظهره وقيل تجعل رؤسهم على ركبهم ونواصيهم فى أصابع أرجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصى وبعضهم بالاقدام ثم يلقون فى النار (فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم) أى يقال لهم هذه جهنم ثم يلقون فيها (التى يكذب بها المجرمون) يعنى المشركين (يطوفون بينها وبين حميم آن) يعنى قد انتهى حره والمعنى انهم يسعون بين الجحيم وبين الحميم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الآنى الذى قد صار كالمهل وقال كعب الاحبار آن واد من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم فى الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان قلت هذه الامور المذكورة فى هذه الآيات من قوله كل من عليها فان الى هنا ليست نعما فكيف عقبها بقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان قلت المذكور فى هذه الآيات مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزجر العبد عن المعاصى فصارت نعما فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى فبأى آلاء ربكما تكذبان ثم ذكر ما اعده لمن اتقاه وخافه من عباده المؤمنين فقال تعالى (ولمن خاف مقام ربه) يعنى مقامه بين يدى ربه للحساب فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعنى اطلاعه عليه وهو الذى يهم بالمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيدعها من مخافة الله وقيل لمن راقب الله فى السر والعلانية بعمله فما عرض له من محرم تركه من خشيته وما عمل من خير اخلصه لله ولا يحب أن يطلع عليه أحد قيل ان المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله مع الاخلاص ودأبوا الليل والنهار (جنتان) يعنى جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركه شهوته عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة اخرجه الترمذى قوله أدلج الادلاج مخففا سير اول الليل ومثقلا سير آخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد فى أول الامر فان من سار اول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل وروى البغوى بسنده عن أبى ذر انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال وان زنى وان سرق على رغم أنف ابى ذر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال تعالى (ذواتا أفنان) أى اغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وقيل ذواتا ظلال وهو ظل الاغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذواتا ألوان يعنى ألوان الفواكه وجمع عطاء بين القولين فقال فى كل غصن فنون من الفاكهة وقيل ذواتا فضل وسعة على ماسواهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان) قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لاهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) أى صنفان ونوعان وقيل معناه ان فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس ما فى الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهى فى الجنة حتى الحنظل الا انه حلو (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة وهى التى تلى الارض من تحت الظهارة (من استبرق) وهو ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود وأبو هريرة هذه البطائن فما ظنكم بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظهائر قال هى مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وعنه أيضا قال بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس

(فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) بسواد وجوههم وزرقة عيونهم (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) أى يؤخذ تارة بالنواصى وتارة بالاقدام (فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) ماء حار قد انتهى حره أى يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) والنعمة فى هذا نجاة الناجى منه بفضله ورحمته وما فى الانذار به من التنبيه (ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة فترك المعاصى اوفادى الفرائض وقيل هو مقحم كقوله ونفيت عنه مقام الذئب أى نفيت عنه الذئب (جنتان) جنة الانس وجنة الجن لان الخطاب للثقلين وكانه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى (فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان) اغصان جمع فنن وخص الافنان لانها هى التى تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار أو الوان جمع فن اى له فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين قال

ومن كل افنان اللذاذة والصبا
لهوت به والعيش اخضر ناضر

(فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما) فى الجنتين (عينان تجريان) حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان صنف معروف وصنف غريب (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين) نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لان من خاف فى معنى الجمع (على فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة (من استبرق) ديباج ثخين وهو معرب قيل ظهائرها من سندس وقيل لا يعلمها

وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس فى الارض أحد يعرف ما الظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر أن بطائنها من الاستبرق ولابد ان تكون الظهائر خيرا من البطائن فهو مما لا يعلمه البشر (وجنى الجنتين دان) يعنى ان ثمرهما قريب يناله القائم والقاعد والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لا تنال الا بكد وتعب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيها ولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وقيل لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) فان قلت الضمير الى ماذا يعود قلت الى الجنتين وانما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور ومجالس (قاصرات الطرف) أى غاضات الاعين قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ولا يرين سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة ربى ما ارى فى الجنة أحسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك (لم يطمثهن) أى لم يجامعهن ولم يقربهن والمعنى لم يدنهن بالجماع وقيل معناه لم يمسهن ومنه قول الفرزدق

خرجن الى لم يطمثن قبلى * وهن اصح من بيض النعام

أى لم يمسسن والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن (انس قبلهم) أى قبل أزواجهن من أهل الجنة (ولاجان) قيل انما نفى الجن لان لهم أزواجا فى الجنة منهم وفى الآية دليل على ان الجنى يغشى كما يغشى الانسى وسئل حمزة بن حبيب هل للجن ثواب فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الانسيات للانس والجنيات للجن وقال مجاهد فى هذه الآية اذا جامع ولم يسم انطوى الجنى على احليله فجامع معه واختلف فى هؤلاء اللواتى لم يطمثن فقيل هن الحور العين لانهن خلقن فى الجنة لم يمسهن أحد قبل أزواجهن وقيل انهن من نساء الدنيا انشئن خلقا آخر ابكارا كما وصفهن لم يمسهن منذ أنشئن خلق آخر وقيل هن الآدميات اللاتى متن ابكارا ومعنى الآية المبالغة فى نفى الطمث عنهن لان ذلك أقر لاعين ازواجهن اذا لم يغشهن احد غيرهم (فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان) أراد صفاء الياقوت فى بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ وأشده بياضا وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لان احسن الالوان البياض المشوب بحمرة والاصح انه شبههن بالياقوت لصفائه لانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه وقال عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ماروى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لان الله تعالى يقول كأنهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه أخرجه الترمذى قال وقد روى عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو اصح (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد فى رواية ثم الذين يلونهم على اشد كوكب درى فى السماء اضاءة لا يبصقون ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشية وللبخارى قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يسقمون قوله مجامرهم الالوة يعنى بخورهم العود (فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان) أى ما جزاء من احسن فى الدنيا الا ان يحسن اليه فى الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة روى البغوى باسناد الثعلبى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروى الواحدى بغير سند عن ابن عمر وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية يقول الله عز وجل هل جزاء من

الا الله (وجنى الجنتين دان) وثمرها قريب
يناله القائم والقاعد والمتكئ (فبأى آلاء
ربكما تكذبان فيهن) فى الجنتين لاشتمالهما
على اماكن وقصور ومجالس اوفى هذه الآلاء
المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة
والفرش والجنى (قاصرات الطرف) نساء
قصرن أبصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى
غيرهم (لم يطمثهن) بكسر الميم الدورى وعلى
بضم الميم والطمث الجماع بالتدمية (انس قبلهم
ولاجان) وهذا دليل على ان الجن يطمثون
كما يطمث الانس (فبأى آلاء ربكما تكذبان
كأنهن الياقوت) صفاء (والمرجان) بياضا
فهو أبيض من اللؤلؤ (فبأى آلاء ربكما تكذبان
هل جزاء الاحسان) فى العمل (الا الاحسان)
فى الثواب وقيل ما جزاء من قال لا اله الا الله الا
الجنة وعن ابراهيم الخواص فيه هل جزاء
الاسلام الا دار السلام

أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي وقيل في معنى الآية هل جزاء من أتى بالفعل الحسن الا ان يؤتى في مقابلته بفعل حسن وفي الآية اشارة الى رفع التكليف في الآخرة لان الله وعد المؤمن بالاحسان وهو الجنة فلو بقي التكليف في الآخرة وتركه العبد لاستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ترك الاحسان اليه فلا تكليف (فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان) أي ومن دون الجنتين الاوليين جنتان أخريان وقال ابن عباس من دونهما في الدرج وقيل في الفضل وقال أبو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن أربع جنان جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان (ق) عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال الكسائي ومن دونهما جنتان يعني امامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والجنتان الاخريان من ياقوت وزبرجد وهما افضل من الاوليين (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال تعالى (مدهامتان) أي سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) أي فوارتان بالماء لا ينقطعان وقال ابن عباس والضحاك ينضخان بالخير والبركة على اهل الجنة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والكافور على أولياء الله وقال أنس بن مالك ينضخان بالمسك والعنبر في دور أهل الجنة كطش المطر (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) يعني فيهما من انواع الفواكه كلها وانما عطف النخل والرمان بالواو وان كانا من جملة الفواكه تنبيها على فضلهما على سائر الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين وأهل اللغة قالوا انما افصلهما بالذكر للتخصيص والتفضيل فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال خصهما بالذكر وان كانا من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه لان ثمرة النخل فاكهة وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ولهذا قال أبو حنيفة اذا حلف لا يأكل الفاكهة فأكل رطبا ورمانا لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف قول أهل اللغة ولا حجة له في الآية وروى البغوي بسنده عن ابن عباس موقوفا قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكربها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها حللهم وثمرها امثال القلال او الدلاء اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس له عجم وروى ان الرمانة من رمان الجنة مثل البعير المقتب وقيل ان نخل اهل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت منها واحدة عادت مكانها اخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن) أي في الجنان الاربع (خيرات حسان) روى عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني عن الخيرات الحسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه (فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات) أي مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها وقيل قصرن أطرافهن وانفسهن على ازواجهن فلا يبغين بهم بدلا (في الخيام) قيل هي البيوت قال ابن الاعرابي الخيمة لا تكون الا من أربعة أعواد ثم تسقف بالثمام ويقال خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا أقام بها وتظلل فيها وقيل كل خيامها من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف تضاف الى القصور في الجنة (ق) عن أبي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء وفي رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا

(فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين (جنتان) لمن دونهم من أصحاب اليمين (فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) سوداوان من شدة الخضرة قال الخليل الدهمة السواد (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء لا تنقطعان (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة) ألوان الفواكه (ونخل ورمان) والرمان والتمر ليسا من الفواكه عند أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه للعطف ولان التمر فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه وهما قالا انما عطفا على الفاكهة لفضلهما كأنهما جنسان آخران لما لهما من المزية كقوله وجبريل وميكال (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات) أى خيرات فخففت وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق (حسان) حسان الخلق (فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام) أى مخدرات يقال امرأة قصيرة ومقصورة أى مخدرة وقيل الخيام من الدر المجوف

(فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) تقدم تفسيره (فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر) قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة وروى هذا عن ابن عباس وقيل ان الرفرف البسط وعن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط منه وقيل في مجالس خضر فوق الفرش وقيل هي المرافق وقيل الزرابي وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف (وعبقري حسان) قيل هي الزرابي والطنافس الثخان وقيل هي الطنافس الرقاق وقيل كل ثوب موشى عند العرب فهو عبقري وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم فهو عبقري عند العرب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر فلم أر عبقريا يفري فريه واصل هذا فيما قيل انه نسب الى عبقر وهي ارض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب الى شيء رفيع عجيب وذلك ان العرب تعتقد في الجن كل صفة عجيبة وانهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كانت عبقر معروفة بسكنى الجن نسبوا اليها كل شيء عجيب بديع (فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) قيل لما ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى ان الباقي هو الله تعالى وان الدنيا فانية ختم نعمة الآخرة بهذه الآية وهو اشارة الى تمجيده وتحميده (م) عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اخرجه ابو داود والنسائي غير قولهما لم يقعد الا مقدار ما يقول والله اعلم بمراده

* (تفسير سورة الواقعة) *

وهي مكية وسبع وتسعون آية وثلثمائة وثمان وسبعون كلمة والف وسبعمائة وثلاثة أحرف روى البغوي بسنده عن أبي ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا وكان ابو ظبية لا يدعها ابدا واخرجه ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعزه والله تعالى أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اذا وقعت الواقعة) اي اذا قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة وهي النفخة الاخيرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالآزفة (ليس لوقعتها) اي لمجيئها (كاذبة) اي ليس لها كذب والمعنى انها تقع حقا وصدقا وقيل معناه ليس لوقعتها قصة كاذبة اي كل ما أخبر الله عنها وقص من خبرها قصة صادقة غير كاذبة وقيل معناه ليس لوقعتها نفس كاذبة اي ان كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس اخبرت عن وقوعها (خافضة رافعة) اي تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض اقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع أقواما كانوا في الدنيا متضعين وقيل تخفض اقواما بالمعصية وترفع اقواما بالطاعة (اذا رجت الارض رجا) اي اذا حركت وزلزلت زلزالا وذلك ان الله عز وجل اذا أوحى اليها اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما فيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى (وبست الجبال بسا) اي فتتت حتى صارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقيل معناه قلعت من اصلها وسيرت على وجه الارض حتى ذهب بها (فكانت هباء منبثا) اي غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء (وكنتم أزواجا) اي اصنافا (ثلاثة) ثم فسر الازواج فقال تعالى (فأصحاب الميمنة) يعني اصحاب اليمين والميمنة ناحية اليمين وهم الذين

يؤخذ

(فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم) قبل أصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين (ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين) نصب على الاختصاص (على رفرف) هو كل ثوب عريض وقيل الوسائد (خضر وعبقري حسان) ديباج أو طنافس (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وانما تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما لان مدهامتان دون ذواتا أفنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ (تبارك اسم ربك ذي الجلال) ذي العظمة ذو الجلال شامي صفة للاسم (والاكرام) لاوليائه بالانعام روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن فقال مالي أراكم سكوتا الجن كانوا احسن منكم ردا ما أتيت على قول الله فبأي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر وكررت هذه الآية في هذه السورة احدى وثلاثين مرة ذكر ثمانية منها عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد ابواب جهنم وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين واهلهما على عدد أبواب الجنة وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما فمن اعتقد الثمانية الاولى وعمل بموجبها فتحت له ابواب الجنة واغلقت عنه ابواب جهنم نعوذ بالله منها والله أعلم

* (سورة الواقعة ست وتسعون آية مدنية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا وقعت الواقعة) قامت القيامة وقيل وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكأنه قيل اذا وقعت الواقعة التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت اترقب نزوله وانتصاب اذا باضمار اذكر (ليس لوقعتها كاذبة) نفس كاذبة اي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام مثلها في قوله تعالى ياليتني قدمت لحياتي (خافضة رافعة) اي هي خافضة رافعة ترفع اقواما وتضع آخرين (اذا رجت الارض رجا) حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء وهو بدل من اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال (وبست الجبال بسا) وفتتت حتى تعود كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال (فكانت هباء) غبارا (منبثا) متفرقا (وكنتم أزواجا) اصنافا يقال للاصناف التي بعضها مع بعض أو يذكر بعضها مع بعض ازواج (ثلاثة) صنفان في الجنة وصنف في النار ثم فسر الازواج فقال

يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه وقال الله هؤلاء الى الجنة ولا أبالى وقيل هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين اى مباركين على انفسهم وكانت اعمالهم صالحة فى طاعة الله وهم التابعون باحسان (ما أصحاب الميمنة) تعجيب من حالهم فى السعادة والمعنى اى شئ هم (واصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) يعنى أصحاب الشمال وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم عند اخراج الذرية وقال الله تعالى لهم هؤلاء الى النار ولا أبالى وقيل هم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقيل هو المشائيم على أنفسهم وكانت اعمالهم فى المعاصى لان العرب تسمى اليد اليسرى الشؤمى (والسابقون السابقون) قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة السابقون فى الآخرة الى الجنة وقيل هم السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل هم المسارعون الى التوبة والى ما دعا الله اليه من اعمال البر والخير وقيل هم اهل القرآن المتوجون يوم القيامة فان قلت لم اخر ذكر السابقين وكانوا اولى بالتقديم على اصحاب اليمين قلت فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر فى أول السورة من الامور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده فاما محسن فيزداد رغبة فى الثواب واما مسئ فيرجع عن اساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم اصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر اصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر ليجتهد اصحاب اليمين فى القرب من درجتهم ثم أثنى على السابقين فقال تعالى (أولئك المقربون) اى من الله فى جواره وفى ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله (فى جنات النعيم) قوله تعالى (ثلة) اى جماعة غير محصورة العدد (من الاولين) اى من الامم الماضية من لدن آدم الى زمن نبينا (وقليل من الآخرين) يعنى من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من الامم الماضية اكثر ممن عاين النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل ان الاولين هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعنى التابعين لهم باحسان وقيل ان الاولين سباق المهاجرين والانصار وقليل من الآخرين اى ممن جاء بعدهم من الصحابة (على سرر موضونة) اى منسوجة من الذهب والجوهر وقيل موضونة يعنى مصفوفة (متكئين عليها) اى على السرر (متقابلين) يعنى لا ينظر بعضهم فى قفا بعض وصفوا بحسن العشرة فى المجالسة وقيل لانهم صاروا أرواحا نورانية صافية ليس لهم ادبار وظهور (يطوف عليهم) اى للخدمة (ولدان) اى غلمان (مخلدون) لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة الى حالة وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق فى الاذن واختلفوا فى هؤلاء الولدان فقيل هم اولاد المؤمنين الذين ماتوا اطفالا وفيه ضعف لان الله اخبر انه يلحقهم بآبائهم ولان من المؤمنين من لا ولد له ولو خدمه ولد غيره كان منقصة بالخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف هذا القول اقرب من الاول لانه قد اختلف فى اولاد المشركين على ثلاث مذاهب فقال الاكثرون هم فى النار تبعا لآبائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذى ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم اطفال ماتوا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الاقوال يعلل بأن الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذى لا معدل عنه ان شاء الله انهم ولدان خلقوا فى الجنة لخدمة اهل الجنة كالحور وان لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة اطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمى الغلام وليدا ما لم يحتلم والامة وليدة وان أسنت (بأكواب) جمع كوب وهى الاقداح المستديرة الافواه لا آذان لها ولا عرى (وأباريق) جمع ابريق وهى ذوات الخراطيم والعرى سميت اباريق لبريق لونها من الصفاء وقيل لانها يرى باطنها كما يرى ظاهرها (وكأس من معين) اى من خمر جارية (لا يصدعون عنها) اى لا تصدع رؤسهم من شربها وعنها كناية عن الكأس وقيل لا يتفرقون عنها

(فأصحاب الميمنة) مبتدأ وهم الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم (ما أصحاب الميمنة) مبتدأ وخبر وهما خبر المبتدا الاول وهو تعجيب من حالهم فى السعادة وتعظيم لشأنهم كانه قال ماهم واى شئ هم (واصحاب المشأمة) اى الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم او اصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية الخسيسة من قولك فلان منى باليمين وفلان منى بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال (ما أصحاب المشأمة) اى اى شئ هم وهو تعجيب من حالهم بالشقاء (والسابقون) مبتدأ (السابقون) خبره تقديره السابقون الى الخيرات السابقون الى الجنات وقيل الثانى تأكيد للاول والخبر (أولئك المقربون) والاول اوجه (فى جنات النعيم) اى هم فى جنات النعيم (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) اى هم ثلة والثلة الامة من الناس الكثيرة والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى نبينا محمد عليهما السلام وقليل من الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الاولين من متقدمى هذه الامة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من أمتى (على سرر) جمع سرير ككثيب وكثب (موضونة) مرمولة ومنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت (متكئين) حال من الضمير فى على وهو العامل فيها اى استقروا عليها متكئين (عليها متقابلين) ينظر بعضهم فى وجوه بعض ولا ينظر بعضهم فى اقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق وصفاء المودة ومتقابلين حال أيضا (يطوف عليهم) يخدمهم (ولدان) غلمان جمع وليد (مخلدون) مبقون ابدا على شكل الولدان لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها وفى الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة (بأكواب) جمع كوب وهى آنية لا عروة لها ولا خرطوم (واباريق) جمع ابريق وهو ما له خرطوم وعروة (وكأس) وقدح فيه شراب وان لم يكن فيه شراب فليس بكأس (من معين) من خمر تجرى من العيون (لا يصدعون عنها)

(ولا ينزفون) اى لا يغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقرئ بكسر الزاى ومعناه لا ينفد شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) اى يأخذون خيارها (ولحم طير مما يشتهون) قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم طير فيطير ممثلا بين يديه على ما اشتهى وقيل انه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه ما اشتهى ثم يطير فان قلت هل فى تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة قلت نعم وكيف لا وفى كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة والذى يظهر فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجائع تميل نفسه الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجائع مشتهه والشبعان غير مشتهه بل هو مختار واهل الجنة انما يأكلون لا من جوع بل للتفكه فميلهم الى الفاكهة اكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت فى مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه ادنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم والله أعلم (وحور عين) اى ويطوف عليهم حور عين وقيل ولهم حور عين وجاء فى تفسير حور أى بيض عين اى ضخام العيون (كأمثال اللؤلؤ المكنون) اى المخزون فى الصدف المصون الذى لم تمسه الايدى ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون فى نهاية الصفاء روى انه سطع نور فى الجنة فقيل ما هذا قيل ثغر حوراء ضحكت وروى ان الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك من نحرها وفى رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح (جزاء بما كانوا يعملون) اى فعلنا ذلك بهم جزاء بما كانوا يعملون فى الدنيا بطاعتنا (لا يسمعون فيها) اى فى الجنة (لغوا) قيل اللغو ما يرغب عنه من الكلام ويستحق ان يلغى وقيل هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع (ولا تأثيما) قيل معناه ان بعضهم لا يقول لبعض أثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم كما يتكلم به اهل الدنيا وقيل معناه لا يأتون تأثيما اى ما هو سبب التأثيم من قول او فعل قبيح (الا قيلا) معناه لكن يقولون قيلا ويسمعون قيلا (سلاما سلاما) يعنى يسلم بعضهم على بعض وقيل تسلم الملائكة عليهم او يرسل الرب بالسلام اليهم وقيل معناه ان قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر اصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) لما بين حال السابقين شرع فى بيان حال اصحاب اليمين فقال تعالى (فى سدر مخضود) اى لا شوك فيه كأنه خضد شوكه اى قطع ونزع منه وهذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حملا قيل ثمرها أعظم من القلال وهو النبق قيل لما نظر المسلمون الى وج وهو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدره قالوا ليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية (وطلح) قيل هو الموز عند اكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر أم غيلان له شوك ونور طيب الرائحة فخوطبوا ووعدوا بمثل ما يحبون ويعرفون الا ان فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا (منضود) اى متراكم قد نضد بالحمل من اوله الى آخره وليس له سوق بارزة بل من عروقه الى اغصانه ثمر وليس شئ من ثمر الجنة فى غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلاء والجوز ونحوهما بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه (وظل ممدود) أى دائم لا تنسخه الشمس كظل أهل الدنيا وذلك لان الجنة ظل كلها لا شمس فيها (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة اقرؤا ان شئتم وظل ممدود وعن ابن عباس فى قوله وظل ممدود قال شجرة فى الجنة على ساق يخرج اليها أهل الجنة فيتحدثون فى أصلها فيشتهى بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو فى الدنيا (وماء مسكوب) أى مصبوب يجرى دائما فى غير اخدود ولا ينقطع (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) قال ابن عباس لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع من احد اذا أراد اخذها وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا فى الشتاء ولا يوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء فى الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا أبدل الله عز وجل مكانها ضعفين (وفرش مرفوعة) قال على مرفوعة على الاسرة وقيل بعضها فوق بعض فهى مرفوعة

اى بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها او لا يفرقون عنها (ولا ينزفون) ولا يسكرون نزف الرجل ذهب عقله بالسكر ولا ينزفون بكسر الزاى كوفى اى لا ينفد شرابهم يقال انزف القوم اذا فنى شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) يأخذون خيره وافضله (ولحم طير مما يشتهون) يتمنون (وحور) جمع حوراء (عين) جمع عيناء أى وفيها حور عين أو ولهم حور عين ويجوز ان يكون عطفا على ولدان وحور يزيد وحمزة وعلى عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم فى جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور (كأمثال اللؤلؤ) فى الصفاء والنقاء (المكنون) المصون وقال الزجاج كأمثال الدر حين يخرج من صدفه لم يغيره الزمان واختلاف احوال الاستعمال (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مفعول له اى يفعل بهم ذلك كله لجزاء اعمالهم او مصدر اى يجزون جزاء (لا يسمعون فيها) فى الجنة (لغوا) باطلا (ولا تأثيما) هذيانا (الا قيلا سلاما سلاما) الا قولا ذا سلامة والاستثناء منقطع وسلاما بدل من قيلا أو مفعول به لقيلا اى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود) السدر شجر النبق والمخضود الذى لا شوك له كأنما خضد شوكه (وطلح منضود) الطلح شجر الموز والمنضود الذى نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست له ساق بارزة (وظل ممدود) ممتد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (وماء مسكوب) جار بلا حد ولا خد اى تجرى على الارض فى غير اخدود (وفاكهة كثيرة) اى كثيرة الاجناس (لا مقطوعة) لا تنقطع فى بعض الاوقات كفواكه الدنيا بل هى دائمة (ولا ممنوعة) لا تمنع عن متناولها بوجه وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان (وفرش مرفوعة) رفيعة القدر او نضدت حتى ارتفعت او مرفوعة على الاسرة وقيل هى النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وازواجهم فى ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله

عالية عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال الترمذي قال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاعها كما بين السماء والارض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات والدرجات ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقيل أراد بالفرش النساء والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة أي رفعن بالفضل والجمال على نساء الدنيا ويدل على هذا التأويل قوله في عقبه (انا أنشأناهن انشاء) أي خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعني الآدميات العجائز الشمط يقول خلقناهن بعد الهرم والكبر خلقا آخر (فجعلناهن ابكارا) يعني عذارى عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا انشأناهن انشاء قال ان المنشآت اللاتي كن في الدنيا عجائز عمشا رمصا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وضعفه بعض رواته وروى البغوي بسنده عن الحسن قال أتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي قال أخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى قال انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا هذا حديث مرسل وروى باسناد الثعلبي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انا أنشأناهن انشاء قال عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن ابكارا وقال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا انشأهن الله بقدرته خلقا جديدا كلما أتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وقيل انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقيل هن الحور العين أنشأهن الله لم تقع عليهن ولادة فجعلناهن ابكارا عذارى وليس هناك وجع (عربا) جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها قاله ابن عباس في رواية عنه وعنه انها الملقة وقيل الغنجة وعن اسامة بن زيد عن ابيه عربا قال حسان الكلام (أترابا) يعني امثالا في الخلق وقيل مستويات في السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين عن معاذ ابن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين أبناء ثلاثين او قال ثلاث وثلاثين سنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (لاصحاب اليمين) يعني أنشأناهن لاصحاب اليمين وقيل هذا الذي ذكرنا لاصحاب اليمين (ثلة من الاولين) يعني من المؤمنين الذين هم قبل هذه الامة (وثلة من الآخرين) يعني من مؤمني هذه الامة يدل عليه ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن رويم قال لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين بكى عمر فقال يانبي الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فانزل الله عز وجل ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد انزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الا سودان من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على الامم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه احد اذ رفع الى سواد عظيم فظننت انهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي انظر الى الافق الآخر فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض القوم في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه فأخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم فقام رجل آخر فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة الرهيط تصغير رهط وهم دون العشرة وقيل الى الاربعين

(انا أنشأناهن انشاء) ابتدأنا خلقهن ابتداء من غير ولادة فاما ان يراد اللاتي ابتدئ انشاؤهن او اللاتي اعيد انشاؤهن وعلى غير هذا التأويل اضمرلهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن (فجعلناهن ابكارا) عذارى كلما أتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا (عربا) عربا حمزة وخلف ويحيى وحماد جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل (أترابا) مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وازواجهن كذلك واللام في (لاصحاب اليمين) من صلة انشأنا (ثلة) اى اصحاب اليمين ثلة (من الاولين وثلة من الآخرين) فان قلت كيف قال قبل هذا وقليل من الآخرين ثم قال هنا وثلة من الآخرين قلت ذاك في السابقين وهذا في اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا وعن الحسن سابقوا الامم اكثر من سابقي أمتنا وتابعوا الامم مثل تابعي هذه الامة

(وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) الشمال والمشأمة واحدة (في سموم) في حر نار ينفذ في المسام (وحميم) وماء حار متناهي الحرارة (وظل من يحموم) من دخان اسود (لا بارد ولا كريم) نفي لصفتي الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوي اليه من أذى الحر وكذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل

من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار (انهم كانوا قبل ذلك) اى في الدنيا (مترفين) متنعمين فمنعهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار (وكانوا يصرون) يداومون (على الحنث العظيم) اى على الذنب العظيم أو على الشرك لانه نقض عهد الميثاق والحنث نقض العهد المؤكد باليمين او الكفر بالبعث بدليل قوله وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) تقديره انبعث اذا متنا وهو العامل في الظرف وجاز حذفه اذ مبعوثون يدل عليه ولا يعمل فيه مبعوثون لان اذ والاستفهام يمنعان ان يعمل ما بعدهما فيما قبلهما (أو آباؤنا الاولون) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف وحسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير توكيد بنحن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما أشركنا ولا آباؤنا الفصل لا المؤكدة للنفي او آباؤنا مدني وشامي (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشئ اى حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما (ثم انكم أيها الضالون) عن الهدى (المكذبون) بالبعث وهم اهل مكة ومن في مثل حالهم (لآكلون من شجر) من لابتداء الغاية (من زقوم) من لبيان الشجر (فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم) أنث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في منها وعليه (فشاربون شرب) بضم الشين مدني وعاصم وحمزة وسهل وبفتح الشين غيرهم وهما مصدران (الهيم) هي ابل عطاش لا تروى جمع اهيم وهيماء والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم وانما صح عطف الشاربين على الشاربين وهما الذوات متفقة وصفتين متفقتين لان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين (هذا نزلهم) هو الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له (يوم الدين) يوم الجزاء (نحن خلقناكم فلولا) فهلا (تصدقون) تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا انه لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا (أفرأيتم ما تمنون) ما تمنونه الارحام

(ق) عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة نحوا من اربعين فقال اترضون ان تكونوا ربع اهل الجنة قلنا نعم قال اترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده اني لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها الا نفس مؤمنة مسلمة وما أنتم في اهل الشرك الا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود او كالشعرة السوداء في جلد الثور الاحمر وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون من هذه الامة واربعون من سائر الامم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وذهب جماعة الى ان الثلتين جميعا من هذه الامة وهو قول ابي العالية ومجاهد وعطاء بن ابي رباح والضحاك قالوا ثلة من الاولين من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة أيضا في آخر الزمان يدل على ذلك ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس في هذه الآية ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من أمتي وهذا القول هو اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وعاينه وجماعة ممن آمن به وكان بعده ولم يعاينه فان قلت كيف قال في الآية الاولى وقليل من الآخرين وقال في هذه الآية وثلة من الآخرين قلت الآية الاولى في السابقين الاولين وقليل ممن يلحق بهم من الآخرين وهذه الآية في اصحاب اليمين وهم كثيرون من الاولين والآخرين وحكى عن بعضهم ان هذه ناسخة للاولى واستدل بحديث عروة بن رويم ونحوه والقول بالنسخ لا يصح لان الكلام في الآيتين خبر والخبر لا يدخله النسخ قوله تعالى (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) قد تقدم انه بمعنى التعجب من حالتهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما أعد لهم من العذاب فقال تعالى (في سموم) اى في حر النار وقيل في ريح شديد الحرارة (وحميم) اى ماء حار يغلي (وظل من يحموم) يعني وظل من دخان شديد السواد قيل ان النار سوداء واهلها سود وكل شئ فيها أسود وقيل اليحموم اسم من اسماء النار (لا بارد ولا كريم) يعني لا بارد المنزلة ولا كريم المنظر وذلك لان فائدة الظل ترجع الى امرين احدهما دفع الحر والثاني حسن المنظر وكون الانسان فيه مكرما وظل اهل النار بخلاف هذا لانهم في ظل من دخان اسود حار ثم بين بم استحقوا ذلك فقال تعالى (انهم كانوا قبل ذلك) يعني في الدنيا (مترفين) يعني منعمين (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) يعني على الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون) فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل ان الاولين والآخرين) يعني الآباء والابناء (لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) يعني انهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب (ثم انكم أيها الضالون) يعني عن الهدى (المكذبون) اى بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل انه عام مع كل ضال مكذب (لآكلون من شجر من زقوم) تقدم تفسيره (فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم) يعني الابل العطاش قيل ان الهيام داء يصيب الابل فلا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الارض ذات الرمل التي لا تروى بالماء قيل يلقى على اهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون (هذا نزلهم) يعني ما ذكر من الزقوم والحميم اى رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم (يوم الدين) يعني يوم يجازون بأعمالهم ثم احتج عليهم بالبعث بقوله تعالى (نحن خلقناكم) يعني ولم تكونوا شيئا وانتم تعلمون ذلك (فلولا) اى فهلا (تصدقون) يعني بالبعث بعد الموت قوله عز وجل (أفرأيتم ما تمنون) يعني ما تصبون في

الارحام من النطف (أأنتم تخلقونه) اى أأنتم تخلقون ما تمنون بشرا (أم نحن الخالقون) اى انه خالق النطفة وصورها واحياها فلم لا تصدقون بأنه واحد قادر على ان يعيدكم كما أنشأكم احتج عليهم فى البعث بالقدرة على ابتداء الخلق (نحن قدرنا بينكم الموت) يعنى الآجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وغير ذلك من الآجال القريبة والبعيدة وقيل معناه انه جعل اهل السماء واهل الارض فيه سواء شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا (ومانحن بمسبوقين) يعنى لا يفوتنى شئ أريده ولا يمتنع منى احد وقيل معناه ومانحن بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بأمثالكم وهو قوله تعالى (على ان نبدل امثالكم) اى نأتى بخلق مثلكم بدلا منكم فى اسرع حين (وننشئكم) اى نخلقكم (فيما لا تعلمون) اى من الصور والمعنى نغير حليتكم الى ما هو اسمج منها من أى خلق شئنا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم أى ان اردنا ان نفعل ذلك بكم ما فاتنا وقال سعيد بن المسيب فيما لا تعلمون فى حواصل طيور سود كانها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الاقوال كلها تدل على المسخ وعلى انه لو شاء ان يبدلهم بأمثالهم من بنى آدم قدر ولو شاء ان يمسخهم فى غير صورهم قدر وقال بعض اهل المعانى هذا يدل على النشأة الثانية يكونها الله تعالى فى وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الانشاء الاول من جهة التناسل و يكون التقدير على هذا ومانحن بمسبوقين على ان ننشئكم فى وقت لا تعلمونه يعنى وقت البعث والقيامة وفيه فائدة وهى التحريض على العمل الصالح لان التبديل والانشاء هو الموت والبعث واذا كان ذلك واقعا فى الازمان ولا يعلمه احد فينبغى ان لا يتكل الانسان على طول المدة ولا يغفل عن اعداد العدة (ولقد علمتم النشأة الاولى) اى الخلقة الاولى ولم تكونوا شيئا وفيه تقرير للنشأة الثانية يوم القيامة (فلولا تذكرون) اى بأنى قادر على اعادتكم كما قدرت على ابدائكم اول مرة قوله تعالى (أفرأيتم ما تحرثون) لما ذكر الله تعالى ابتداء الخلق وما فيه من دلائل الوحدانية ذكر بعده الرزق لان به البقاء وذكر أمورا ثلاثة المأكول والمشروب وما به اصلاح المأكول والمشروب ورتبه ترتيبا حسنا فذكر المأكول اولا لانه هو الغذاء واتبعه المشروب لان به الاستمراء ثم النار التى بها الاصلاح وذكر من انواع المأكول الحب لانه هو الاصل ومن المشروب الماء لانه أيضا هو الاصل وذكر من المصلحات النار لان بها اصلاح اكثر الاغذية فقوله أفرأيتم ما تحرثون اى ما تثيرون من الارض وتلقون فيه البذر (أأنتم تزرعونه) اى تنبتونه وتنشئونه حتى يشتد و يقوم على سوقه (أم نحن الزارعون) معناه أأنتم فعلتم ذلك ام الله ولا شك فى ان ايجاد الحب فى السنبل ليس بفعل احد غير الله تعالى وان كان القاء البذر من فعل الناس (لو نشاء لجعلناه) يعنى ما تحرثونه وتلقون فيه من البذر (حطاما) اى تبنا لا قمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به فى مطعم ولا غيره وقيل هو جواب لمعاند يقول نحن نحرثه وهو بنفسه يصير زرعا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله على هذا المعاند بقوله لو نشاء لجعلناه حطاما فهل تقدرون انتم على حفظه او هو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الآفات التى تصيبه ولا يشك احد فى ان دفع الآفات ليس الا باذن الله وحفظه (فظلتم تفكهون) اى تتعجبون مما نزل بكم فى زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على ما سلف منكم من المعاصى التى اوجبت تلك العقوبة وقيل تلاومون وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على ما فات (انا لمغرمون) اى وتقولون فحذف القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه اوقع بنا وقال ابن عباس رضى الله عنهما معذبون يعنى انهم عذبوا بذهاب اموالهم بغير فائدة والمعنى انا غرمنا الحب الذى بذرناه فذهب بغير عوض (بل نحن محرومون) أى ممنوعون والمعنى حرمنا الذى كنا نطلبه من الريع فى الزرع (أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) ذكرهم الله تعالى نعمه عليهم بانزال المطر الذى لا يقدر عليه الا الله عز وجل (لو نشاء جعلناه أجاجا) قال ابن

اى تقذفونه فى الارحام من النطف (أأنتم تخلقونه) تقدرونه وتصورونه وتجعلونه بشرا سويا (أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت) تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الارزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل ومتوسط قدرنا بالتخفيف مكى سبقته بالشئ اذا أعجزته عنه وغلبته عليه فعنى قوله (ومانحن بمسبوقين على ان نبدل أمثالكم) انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وامثالكم جمع مثل اى على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق (وننشئكم فيما لا تعلمون) وعلى ان ننشئكم فى خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعنى انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما ماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز ان يكون امثالكم جمع مثل اى على ان نبدل ونغير صفاتكم التى انتم عليها فى خلقكم واخلاقكم وننشئكم فى صفات لا تعلمونها (ولقد علمتم النشأة الاولى) النشاءة مكى وابو عمرو (فلولا تذكرون) ان من قدر على شئ مرة لم يمتنع عليه ثانيا وفيه دليل صحة القياس حيث جهلهم فى ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى (أفرأيتم ما تحرثون) ما تحرثونه من الطعام اى تثيرون الارض وتلقون فيها البذر (أأنتم تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتا (أم نحن الزارعون) المنبتون وفى الحديث لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت (لو نشاء لجعلناه حطاما) هشيما متكسرا قبل ادراكه (فظلتم تفكهون) تعجبون او تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم من المعاصى التى اصبتم بذلك من اجلها (انا) اى تقولون انا أئنا ابو بكر (لمغرمون) لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن) قوم (محرومون) محارفون محدودون لا مجدودون لا حظ لنا ولا بخت لنا ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا (أفرأيتم الماء الذى تشربون) اى الماء العذب الصالح للشرب (أأنتم أنزلتموه من المزن) السحاب الابيض وهو اعذب ماء (أم نحن المنزلون) بقدرتنا (لو نشاء جعلناه أجاجا) ملحا أو مرا لا يقدر على شربه

عباس شديد الملوحة وقيل مر لا يمكن شربه (فلولا) أى أفلا (تشكرون) يعنى نعمة الله عليكم (أفرأيتم النار التى تورون) يعنى تقدحون من الزند (أأنتم أنشأتم شجرتها) يعنى التى تقدح منها النار وهى المرخ والعفار وهما شجرتان تقدح منهما النار وهما رطبتان وقيل أراد جميع الشجر الذى توقد منه النار (ام نحن المنشئون نحن جعلناها) يعنى نار الدنيا (تذكرة) اى للنار الكبرى اذا رأى الرائى هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف عقابه وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها (ومتاعا) أى بلغة ومنفعة (للمقوين) يعنى للمسافرين والمقوى النازل فى الارض القواء وهى القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى انه ينتفع بها أهل البوادى والمسافرون فان منفعتهم أكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدى بها الضال الى غير ذلك من المنافع هذا قول أكثر المفسرين وقيل المقوين الذين يستمتعون بها فى الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها فى الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع وقيل المقوى من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغنى مقو لقوته على ما يريد والمعنى ان فيها متاعا ومنفعة للفقراء والاغنياء جميعا لا غنى لاحد عنها (فسبح باسم ربك العظيم) لما ذكر الله ما يدل على وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون خطابا لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك أى برئ الله ونزهه عما يقول المشركون فى صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح بذات ربك العظيم قوله عز وجل (فلا اقسم) قال أكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة مؤكدة وقيل لا على اصلها وفى معناها وجهان احدهما انها ترجع الى ما تقدم ومعناها النهى وتقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج الوجه الثانى ان لا رد لما قاله الكفار فى القرآن من انه سحر وشعر وكهانة والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استأنف القسم فقال اقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل ان لا هنا معناها النفى فهو كقول القائل لا تسأل عما جرى وهو يريد تعظيم الامر لا النهى عن السؤال (بمواقع النجوم) قال ابن عباس أراد نجوم القرآن فانه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا وقيل اراد مغارب النجوم ومساقطها وقيل اراد منازلها وقيل انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقيل مواقعها فى اتباع الشياطين عند الرجم (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) قيل هذا يدل على ان المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والمعنى ان القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لانتفعتم بذلك وقيل معنى لو تعلمون اى فاعلموا عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فأقسم بمواقع النجوم (انه لقرآن كريم) اى ان الكتاب الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لقرآن كريم اى عزيز مكرم لانه كلام الله تعالى ووحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذى من شأنه ان يعطى الكثير وسمى القرآن كريما لانه يفيد الدلائل التى تؤدى الى الحق فى الدين وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب اصل علمه منه وقيل سمى كريما لان كل احد يناله ويحفظه من كبير وصغير وذكى وبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل ان الكلام اذا كرر مرارا يسأمه السامعون ويهون فى الاعين وتمله

(فلولا تشكرون) فهلا تشكرون ودخلت اللام على جواب لو فى قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هنا لان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها فى مضمونى جملتيها ان الثانى امتنع لامتناع الاول افتقرت فى جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك ولما شهر موقعه لم يبال باسقاطه عن اللفظ لعلم كل أحد به وتساوى حالى حذفه واثباته على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ولان هذه اللام تفيد معنى التأكيد لا محالة فأدخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على ان أمر المطعوم مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده أشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب (أفرأيتم النار التى تورون) تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة (أأنتم أنشأتم شجرتها) التى منها الزناد (أم نحن المنشئون) الخالقون لها ابتداء (نحن جعلناها) اى النار (تذكرة) تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما أوعدوا به (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للمسافرين فى القواء وهى القفر او للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام من قولهم اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها بدأ بذكر خلق الانسان فقال أفرأيتم ما تمنون لان النعمة فيه سابقة على جميع النعم ثم بما به قوامه وهو الحب فقال أفرأيتم ما تحرثون ثم بما يعجن به ويشرب عليه وهو الماء ثم بما يخبز به وهو النار فحصول الطعام بمجموع الثلاثة ولا يستغنى عنه الجسد ما دام حيا (فسبح باسم ربك) فنزه ربك عما لا يليق به أيها المستمع المستدل او اراد بالاسم الذكر أى فسبح بذكر ربك (العظيم) صفة للمضاف او للمضاف اليه وقيل قل سبحان ربى العظيم وجاء مرفوعا أنه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها فى ركوعكم (فلا أقسم) اى فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها فى قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقرئ فلاقسم ومعناه فلانا أقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدا وخبر وهى انا أقسم ثم حذف المبتدأ ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لان حقها ان تقرن بها النون المؤكدة (بمواقع النجوم) بمساقطها ومغاربها بموقع حمزة وعلى ولعل لله تعالى فى آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة أولانه وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) وهو اعتراض فى اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله (انه لقرآن كريم) حسن مرضى او نفاع جم المنافع او كريم

الآذان والقرآن عزيز كريم لا يملون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الرد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الألسنة بل هو غض طري يبقى أبد الدهر كذلك (في كتاب مكنون) أي مصون مستور عند الله تعالى في اللوح المحفوظ من الشيطان من أن يناله بسوء وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظا من التبديل والتحريف والقول الأول أصح (لا يمسه) أي ذلك الكتاب المكنون (إلا المطهرون) وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والأحداث يروى هذا القول عن ابن عباس وأنس وهو قول سعيد بن جبير وأبي العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم السفرة الكرام البررة وعلى القول الثاني من أن المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا يمسه إلا المطهرون أي من الشرك وكان ابن عباس ينهى أن يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به وقيل معناه لا يقرأه إلا الموحدون وقال قوم معناه لا يمسه إلا المطهرون من الأحداث والجنابات وظاهر الآية نفي ومعناها نهي قالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا للمحدث حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم وبه قال مالك والشافعي وأكثر الفقهاء يدل عليه ما روى مالك في الموطأ عن عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم أن لا تمس القرآن إلا طاهر أخرجه مالك مرسلا وقد جاء موصولا عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن بهذا والصحيح فيه الإرسال وروى الدارقطني بسنده عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس القرآن إلا طاهر والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو وأراد به المصحف وقال الحكم وحماد وأبو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بعلاقة فإن قلت إذا كان الأصح أن المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ وأن المراد من لا يمسه إلا المطهرون هم الملائكة ولو كان المراد نفي الحدث لقال لا يمسه إلا المتطهرون من التطهر فكيف يصح قول الشافعي لا يصح للمحدث مس المصحف قلت من قال إن الشافعي أخذه من صريح الآية حمله على التفسير الثاني وهو القول بأن المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال إنه أخذه من طريق الاستنباط قال المس بطاهر صفة دالة على التعظيم والمس بغير طاهر نوع استهانة وهذا لا يليق بمباشرة المصحف الكريم والصحيح أنه أخذه من السنة ودليله ما تقدم من الأحاديث والله أعلم قوله تعالى (تنزيل من رب العالمين) صفة للقرآن أي القرآن منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال إن القرآن شعر أو سحر أو كهانة فقال الله تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين قوله عز وجل (أفبهذا الحديث) يعني القرآن (أنتم) أي يا أهل مكة (مدهنون) قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن الكذاب والمنافق الادهان الجري في الباطن على خلاف الظاهر هذا أصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وإن صرح بالتكذيب والكفر (وتجعلون رزقكم) أي حظكم ونصيبكم من القرآن (أنكم تكذبون) قال الحسن في هذه الآية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أي بنعمة الله عليكم وهذا في الاستسقاء بالأنواء وذلك أنهم كانوا إذا مطروا يقولون مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله عليهم فقيل لهم أتجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقكم التكذيب فمن نسب الإنزال إلى النجم فقد كذب برزق الله تعالى ونعمه وكذب بما جاء به القرآن والمعنى أتجعلون بدل الشكر التكذيب (ق) عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب رواه مسلم وفيه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه

على الله واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته (في كتاب) أي اللوح المحفوظ (مكنون) مصون عن أن يأتيه الباطل أو من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم (لا يمسه إلا المطهرون) من جميع الأدناس أدناس الذنوب وغيرها إن جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وإن جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي أن يمسه إلا من هو على الطهارة من الناس والمراد مس المكتوب منه (تنزيل) صفة رابعة للقرآن أي منزل (من رب العالمين) أو وصف بالمصدر لأنه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل أو هو تنزيل على حذف المبتدأ (أفبهذا الحديث) أي القرآن (أنتم مدهنون) متهاونون به كمن يدهن في بعض الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أي تجعلون شكر رزقكم التكذيب أي وضعتم التكذيب موضع الشكر وفي قراءة علي رضي الله عنه وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أي تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل نزلت في الأنواء ونسبتهم السقيا إليها والرزق المطر أي وتجعلون شكر ما رزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث

وزاد فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أنزل الله من السماء من بركة الا اصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون الكوكب كذا وكذا وفى رواية بكوكب كذا وكذا عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا وفى رواية بكوكب كذا وكذا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قوله فى اثر سماء أى اثر مطر والنوء الكوكب يقال ناء النجم ينوء اذا سقط وغاب وقيل ناء اذا نهض وطلع واختلف العلماء فى معنى الحديث وكفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين احدهما انه كفر بالله تعالى سالب لاصل الايمان مخرج عن ملة الاسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا ان الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك فى كفره وهذا القول هو الذى ذهب اليه جماهير العلماء منهم الشافعى وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا وكذا وهو معتقد ان ايجاد المطر من الله ورحمته وان النوء ميقات له ومراده انا مطرنا فى وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد الى فعل النجم كما جاء عن عمر انه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقى من نوء الثريا فقال ان العلماء يزعمون انها تعترض فى الافق سبعا بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس وانما اراد عمر كم بقى من الوقت الذى جرت العادة انه اذا تم أتى الله بالمطر فهذا جائز لا كفر فيه واختلفوا فى كراهية هذا والاظهر انها كراهية تنزيه لا اثم فيها ولا تحريم وسبب هذه الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولانها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم والقول الثانى فى تأويل اصل الحديث ان المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على اضافة الغيث الى الكواكب وهذا جار فيمن لا يعتقد تدبير الكواكب ويؤيد هذا التأويل حديث ابى هريرة ما أنزل الله من السماء من بركة الا أصبح فريق من الناس بها كافرين فقوله بها يدل على انه كفر بالنعمة والله أعلم قوله تعالى (فلولا) أى فهلا (اذا بلغت الحلقوم) اى النفس او الروح الى الحلقوم عند الموت (وأنتم) يعنى يا أهل الميت (حينئذ تنظرون) يعنى الى الميت متى تخرج نفسه وقيل تنظرون الى امرى وسلطانى لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئا (ونحن اقرب اليه منكم) اى بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه اقرب الى الميت منكم (ولكن لا تبصرون) اى الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون اى لا تعلمون ذلك (فلولا ان كنتم غير مدينين) اى مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين (ترجعونها ان كنتم صادقين) اى تردون نفس هذا الميت الى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله مجازى فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال تعالى (فأما ان كان من المقربين) يعنى السابقين (فروح) اى فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل رحمة (وريحان) اى وله استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان الذى يشم قال ابو العالية لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه (وجنة نعيم) اى وله جنة نعيم يفضى اليها فى الآخرة قال ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان رضوان دار القرار (وأما ان كان) يعنى المتوفى (من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين) اى فسلامة لك يا محمد منهم والمعنى فلا تهتم لهم فانهم سلموا من عذاب الله وانك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل هو ان الله يتجاوز عن سيئاتهم ويتقبل حسناتهم وقيل معناه مسلم لك انهم من اصحاب اليمين او يقال لصاحب اليمين مسلم لك انك من اصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من اصحاب اليمين (وأما ان كان من المكذبين) اى بالبعث (الضالين) اى عن الهدى وهم اصحاب الشمال (فنزل من حميم)

تنسبونه الى النجوم (فلولا اذا بلغت) النفس أى الروح عند الموت (الحلقوم) ممر الطعام والشراب (وأنتم حينئذ تنظرون) الخطاب لمن حضر الميت تلك الساعة (ونحن أقرب اليه) الى المحتضر (منكم ولكن لا تبصرون) لا تعقلون ولا تعلمون (فلولا ان كنتم غير مدينين) مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم (ترجعونها) تردون النفس وهى الروح الى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (ان كنتم صادقين) انكم غير مربوبين مقهورين فلولا فى الآيتين للتحضيض يستدعى فعلا وذا قوله ترجعونها واكتفى بذكره مرة وترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتأكيد ونحن أقرب اليه منكم يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا وبملائكة الموت والمعنى انكم فى جحودكم آيات الله فى كل شئ ان أنزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدى الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثمة قابض وكنتم صادقين فى تعطيلكم وكفركم بالمحيى المميت المبدئ المعيد (فأما ان كان) المتوفى (من المقربين) من السابقين من الازواج الثلاثة المذكورة فى أول السورة (فروح) فله استراحة (وريحان) ورزق (وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أى فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك أصحاب اليمين أى يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما (وأما ان كان من المكذبين الضالين) هم الصنف الثالث من الازواج الثلاثة وهم الذين قيل لهم فى هذه السورة ثم انكم أيها الضالون المكذبون (فنزل من حميم

اى الذى بعدلهم جحيم جهنم (وتصلية جحيم) اى وادخال نار عظيمة (ان هذا) يعنى ماذكر من قصة المحتضرين (لهو حق اليقين) اى لاشك فيه وقيل ان هذا الذى قصصناه عليك فى هذه السورة من الاقاصيص وما أعد الله لاوليائه من النعيم وما أعد لاعدائه من العذاب الاليم وماذكر مما يدل على وحدانيته يقين لاشك فيه (فسبح باسم ربك العظيم) اى فنزه ربك العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذكر ربك العظيم وبأمره عن عقبة بن عامر الجهنى قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم أخرجه أبوداود وعن حذيفة انه صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فكان يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم وفى سجوده سبحان ربى الاعلى وما أتى على آية رحمة الا وقف وسأل وما أتى على آية عذاب الا وقف وتعوذ أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح وله عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة (م) عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا اخبرك بأحب الكلام الى الله تعالى قال سبحان الله وبحمده (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث أخرجه فى صحيح البخارى والله أعلم

(تفسير سورة الحديد)

وهى مدنية وتسع وعشرون آية وخمسمائة واربع واربعون كلمة والفان واربعمائة وستة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عزوجل (سبح لله ما فى السموات والارض) يعنى كل ذى روح وغيره يسبح لله تعالى فتسبيح العقلاء تنزيه الله عزوجل عن كل سوء وعما لا يليق بجلاله و تسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد اختلفوا فيه فقيل تسبيحه دلالته على صانعه فكانه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم أى قولهم والحق ان التسبيح هو القول الذى لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وما سوى العاقل ففى تسبيحه وجهان أحدهما انها تدل على تعظيمه وتنزيهه والثانى ان جميع الموجودات باسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان حملنا التسبيح المذكور فى الآية على القول كان المراد بقوله ما فى السموات والارض من فى السموات وهم الملائكة ومسبحى الارض وهم المؤمنون العارفون بالله وان حملنا التسبيح على التسبيح المعنوى فجميع اجزاء السموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك وجميع ذوات الارضين وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال عظمة الله جل جلاله وتقدست اسماؤه وصفاته منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان قلت قد جاء فى بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضى وفى بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه قلت فيه اشارة الى كون جميع الاشياء مسبح لله ابدا غير مختص بوقت دون وقت بل هى كانت مسبحة أبدا فى الماضى وستكون مسبحة ابدا فى المستقبل (وهو العزيز) اى الغالب الكامل القدرة الذى لا ينازعه شئ (الحكيم) أى الذى جميع افعاله على وفق الحكمة والصواب (له ملك السموات والارض) أى انه الغنى عن جميع خلقه وكلهم محتاجون اليه (يحيى ويميت) أى يحيى الاموات للبعث ويميت الاحياء فى الدنيا (وهو على كل شئ قدير) قوله عزوجل (هو الاول والآخر والظاهر والباطن) يعنى هو الاول قبل كل شئ بلا ابتداء كان هو ولم يكن شئ موجودا والآخر بعد فناء كل أحد بلا انتهاء يفنى الاشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالى على كل شئ والباطن العالم بكل شئ هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول بوجوده ليس قبله شئ والآخر ليس بعده شئ وقيل هو الاول بوجوده فى الازل وقبل الابتداء والآخر بوجوده فى

وتصلية جحيم) أى ادخال فيها وفى هذه الآيات اشارة الى ان الكفر كله ملة واحدة وان أصحاب الكبائر من اصحاب اليمين لانهم غير مكذبين (ان هذا) الذى أنزل فى هذه السورة (لهو حق اليقين) أى الحق الثابت من اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) روى ان عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على ابن مسعود رضى الله عنه فى مرض موته فقال له ما تشتكى فقال ذنوبى فقال ما تشتهى قال رحمة ربى قال أفلا ندعو الطبيب قال الطبيب أمرضنى فقال ألا نأمر بعطائك قال لا حاجة لى فيه قال ندفعه الى بناتك قال لا حاجة لهن فيه قد أمرتهن ان يقرأن سورة الواقعة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وليس فى هذه السور الثلاث ذكر الله اقتربت الرحمن الواقعة والله أعلم

(سورة الحديد مكية وهى تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله) جاء فى بعض الفواتح سبح بلفظ الماضى وفى بعضها بلفظ المضارع وفى بنى اسرائيل بلفظ المصدر وفى الاعلى بلفظ الامر استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهى أربع المصدر والماضى والمضارع والامر وهذا الفعل قد عدى باللام تارة وبنفسه أخرى فى قوله وتسبحوه واصله التعدى بنفسه لان معنى سبحته بعدته من السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام اما ان تكون مثل اللام فى نصحته ونصحت له واما ان يراد يسبح لله اكتسب التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا (ما فى السموات والارض) ما يتأتى منه التسبيح ويصح (وهو العزيز) المنتقم من مكلف لم يسبح عنادا (الحكيم) فى مجازاة من سبح له انقيادا (له ملك السموات والارض) لا لغيره وموضع (يحيى) رفع أى هو يحيى الموتى (ويميت) الاحياء او نصب أى له ملك السموات والارض محييا ومميتا (وهو على كل شئ قدير هو الاول) هو القديم الذى كان قبل كل شئ (والآخر) الذى يبقى بعد هلاك كل شئ (والظاهر) بالادلة الدالة عليه (والباطن) لكونه غير مدرك بالحواس وان كان مرئيا او لو او الاولى معناها الدلالة على انه

الابد وبعد الانتهاء والظاهر بالدلائل الدالة على وحدانيته والباطن الذى احتجب عن العقول ان تكيفه وقيل هو الاول الذى سبق وجوده كل موجود والآخر الذى يبقى بعد كل مفقود وقال الامام أبو بكر ابن الباقلانى معناه انه تعالى الباقى بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التى كان عليها فى الازل ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم وقدرهم وحواسهم وتفرق اجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم فى فناء الاجسام وذهابها بالكلية قالوا معناه انه الباقى بعد فناء خلقه ومذهب اهل الحق يعنى اهل السنة بخلاف ذلك وان المراد الآخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال آخر من بقى من بنى فلان فلان يراد حياته ولا يراد فناء اجسام موتاه وذهابها بالكلية هذا آخر كلام ابن الباقلانى وقيل هو الاول السابق للاشياء والآخر الباقى بعد فناء الاحياء والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن الذى احتجب عن ابصار الخلق فلا تستولى عليه الكيفية وقيل هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقيل هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والآخر بجوده اذ عرفك طريق التوبة عما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيت يستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر كعبا عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن (وهو بكل شئ عليم) (م) عن سهيل بن ابى صالح قال كان ابو صالح يأمرنا اذا اراد احدنا ان ينام ان يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل شئ أنت آخذ بناصيته وفى رواية من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها اللهم أنت الاول فليس قبلك شئ وانت الآخر فليس بعدك شئ وانت الظاهر فليس فوقك شئ وانت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين وأغننا من الفقر وكان يروى ذلك عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن ابى هريرة أيضا قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اذ اتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذه العنان هذه روايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله أعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال سماآن بعد ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماءين كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذى تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما الذى تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع ارضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذى نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم أخرجه الترمذى وقال حديث غريب قال الترمذى قال بعض اهل العلم فى تفسير هذا الحديث انما اراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله فى كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه العنان اسم للسحاب ومعنى روايا الارض الحوامل والرقيع اسم للسماء وقيل هو اسم لسماء الدنيا قوله عز وجل (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) تقدم تفسيره (وهو معكم اينما كنتم) أى بالعلم والقدرة فليس ينفك احد من تعليق علم الله تعالى وقدرته به اينما كان من ارض او سماء برا وبحرا وقيل وهو معكم بالحفظ والحراسة قوله تعالى (والله بما تعملون بصير) يدل على صحة القول الاول (له ملك السموات والارض والى الله

ترجع

الجامع بين الظهور والخفاء واما الوسطى فمعنى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاولين ومجموع الصفتين الاخريين فهو مستمر الوجود فى جميع الاوقات الماضية والآتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن وقيل الظاهر العالى على كل شئ الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذى بطن كل شئ أى علم باطنه (وهو بكل شئ عليم) هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام عن الحسن من ايام الدنيا ولو اراد ان يجعلها فى طرفة عين لفعل ولكن جعل الستة اصلا ليكون عليها المدار (ثم استوى) استولى (على العرش يعلم ما يلج فى الارض) ما يدخل فى الارض من البذر والقطر والكنوز والموتى (وما يخرج منها) من النبات وغيره (وما ينزل من السماء) من الملائكة والامطار (وما يعرج فيها) من الاعمال والدعوات (وهو معكم اينما كنتم) بالعلم والقدرة عموما وبالفضل والرحمة خصوصا (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على حسب اعمالكم (له ملك السموات والارض والى الله

ترجع الامور يولج الليل فى النهار) يدخل الليل فى النهار بان ينقص من الليل و يزيد فى النهار (ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وانفقوا) يحتمل الزكاة والانفاق فى سبيل الله (مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى ان الاموال التى فى أيديكم انما هى أموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها للاستمتاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها فليست هى بأموالكم فى الحقيقة وما أنتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها فى حقوق الله تعالى وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل الانفاق من مال غيره اذا أذن له فيه او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما فى أيديكم بتوريثه اياكم وسينقله منكم الى من بعدكم فاعتبروا بحالهم ولا تبخلوا به (فالذين آمنوا) بالله ورسله (منكم وانفقوا لهم أجر كبير ومالكم لا تؤمنون بالله) هو حال من معنى الفعل فى مالكم كما تقول مالك قائما بمعنى ما تصنع قائما أى ومالكم كافرين بالله والواو فى (والرسول يدعوكم) واو الحال فهما حالان متداخلتان والمعنى وأى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم (لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم) وقبل ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بقوله ألست بربكم او بما ركب فيكم من العقول ومكنكم من النظر فى الادلة فاذا لم تبق لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول فمالكم لا تؤمنون (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه أخذ ميثاقكم أبو عمرو (هو الذى ينزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعنى القرآن (ليخرجكم) الله تعالى او محمد بدعوته (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف) بالمد والهمزة حجازى وشامى وحفص (رحيم) الرأفة أشد الرحمة (ومالكم الا تنفقوا) فى أن لا تنفقوا (فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شئ فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعنى وأى غرض لكم فى ترك الانفاق فى سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من ابلغ البعث على الانفاق فى سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل) أى فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة أهله ودخول الناس فى دين الله أفواجا ومن انفق من بعد الفتح فحذف لان قوله من الذين انفقوا من بعد يدل عليه (أولئك) الذين انفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم لو أنفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه (اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا) أى كل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة مع تفاوت الدرجات وكلا مفعول أول لوعد والحسنى مفعول ثان وكل شامى أى وكل وعده الله الحسنى نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه لانه أول من أسلم وأول من انفق فى سبيل الله وفيه دليل على فضله وتقدمه (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم على قدر اعمالكم (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) بطيب نفسه والمراد الانفاق فى سبيله واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء

ترجع الامور يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور) تقدم تفسيره قوله تعالى (آمنوا بالله ورسوله) لما ذكر انواعا من الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب كفار قريش و يأمرهم بالايمان بالله ورسوله و يأمرهم بترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة فى جميع وجوه البر وهو قوله تعالى (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى المال الذى كان بيد غيركم فاهلكهم واعطاكم اياه فكنتم فى ذلك المال خلفاء عمن مضى (فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) يعنى وأى عذر لكم فى ترك الايمان بالله والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه و يتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج (وقد أخذ ميثاقكم) أى اخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من آدم عليه السلام بان الله ربكم لا اله لكم سواه وقيل اخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة والبراهين والحجج التى تدعو الى متابعة الرسول (ان كنتم مؤمنين) أى يوما ما فالآن احرى الاوقات ان تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (هو الذى ينزل على عبده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعنى القرآن (ليخرجكم) يعنى الله بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة (من الظلمات الى النور) أى من ظلمات الشرك الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف رحيم) قوله تعالى (ومالكم الا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يقول أى شئ لكم فى ترك الانفاق فيما يقربكم من الله تعالى وأنتم ميتون تاركون اموالكم لغيركم فالاولى ان تنفقوها انتم فيما يقربكم الى الله وتستحقون به الثواب ثم بين فضل من سبق بالانفاق فى سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى (لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل) يعنى فى فتح مكة فى قول اكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لا يستوى فى الفضل من انفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من أنفق ماله وقاتل بعد الفتح (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) قال الكلبى ان هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لانه أول من اسلم واول من انفق ماله فى سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن مسعود اول من أظهر اسلامه سبع منهم النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر وعليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال فنزل جبريل فقال مالى ارى ابا بكر عليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال فقال انفق ماله على قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له اراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ان الله يقرئك السلام ويقول لك أراض أنت فى فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أسخط على ربى انى على ربى راض انى على ربى راض (وكلا وعد الله الحسنى) يعنى الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين انفقوا قبل الفتح فى أفضلها (والله بما تعملون خبير من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) اى صادقا محتسبا بالصدقة طيبة بها نفسه وسمى هذا الانفاق قرضا من حيث انه وعد به الجنة تشبيها بالقرض قال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى تجمع فيه أوصاف عشرة وهى ان يكون المال من الحلال وان يكون من أجود المال وان تتصدق به وانت محتاج

(فيضاعفه له) أى يعطيه اجره على انفاقه اضعافا مضاعفة من فضله (وله أجر كريم) اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه فيضعفه مكى فيضعفه شامى فيضاعفه عاصم وسهل فيضاعفه غيرهم فالنصب على جواب الاستفهام والرفع على فهو يضاعفه او عطف على يقرض (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله وله أجر كريم اومنصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم (يسعى) يمضى (نورهم) نور التوحيد والطاعات وانما قال (بين أيديهم وبأيمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور فى الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعى بسعيهم ذلك النور وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات) أى دخول جنات لان البشارة تقع بالاحداث دون الجثث (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول) هو بدل من يوم ترى (المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) انتظرونا لانه يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة انظرونا حمزة من النظرة وهى الامهال جعل اتئادهم فى المضى الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) طرد لهم وتهكم بهم أى تقول لهم الملائكة او المؤمنون ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطيناهذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان (فضرب بينهم) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار وقيل هو الاعراف (له) لذلك السور (باب) لاهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور او الباب وهو الشق الذى يلى الجنة (فيه الرحمة) أى النور أو الجنة (وظاهره) ما ظهر لاهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) أى الظلمة او النار (ينادونهم) أى ينادى المنافقون المؤمنين (ألم نكن معكم) يريدون مرافقتهم فى الظاهر (قالوا) أى المؤمنون (بلى ولكنكم فتنتم انفسكم) محنتموها بالنفاق واهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) وشككتم فى التوحيد (وغرتكم الامانى) طول الآمال والطمع فى امتداد الاعمار (حتى جاء أمر الله) أى الموت (وغركم بالله الغرور) وغركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم او بانه لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يؤخذ) وبالتاء شامى (منكم) ايها المنافقون (فدية) ما يفتدى به (ولا من الذين كفروا) المشركين

اليه وان تصرف صدقتك الى الاحوج اليها وان تكتم الصدقة ما أمكنك وان لا تتبعها بالمن والاذى وان تقصد بها وجه الله ولا ترائى بها الناس وان تستحقر ما تعطى وتتصدق به وان كان كثيرا وان يكون من أحب أموالك اليك وان لا ترى غنى نفسك وذل الفقير فهذه عشرة اوصاف اذا اجتمعت فى الصدقة كانت قرضا حسنا (فيضاعفه له) يعنى يعطيه أجره على انفاقه مضاعفا (وله أجر كريم) يعنى وذلك الاجر كريم فى نفسه قوله عز وجل (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) يعنى على الصراط (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) اى عن ايمانهم وقيل أراد جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم الى الجنة وقال قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن ابين وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهامه فيطفأ مرة ويقاد مرة وقيل فى معنى الآية يسعى نورهم بين أيديهم أى يعطون كتبهم بايمانهم وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) اى انتظرونا (نقتبس من نوركم) اى نستضئ من نوركم قيل تغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطى الله المؤمنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطى المنافقين ايضا نورا خديعة لهم فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فأطفأت نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقيل بل يستضيؤن بنور المؤمنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون بقوا فى الظلمة وقالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم (قيل ارجعوا وراءكم) قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون وقيل يقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم وقيل ارجعوا الى الدنيا فاعملوا فيها اعمالا يجعلها الله لكم نورا وقيل معناه لا نور لكم عندنا فارجعوا وراءكم (فالتمسوا) اى اطلبوا لانفسكم هناك (نورا) اى لا سبيل لكم الى الاقتباس من نورنا فيرجعون فى طلب النور فلا يجدون شيئا فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين فذلك قوله تعالى (فضرب بينهم) أى المؤمنين والمنافقين (بسور) وهو حائط بين الجنة والنار (له) اى لذلك السور (باب باطنه فيه الرحمة) اى فى باطن ذلك السور الرحمة وهى الجنة (وظاهره من قبله العذاب) اى من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار وروى عن عبد الله بن عمر قال ان السور الذى ذكر فى القرآن هو سور بيت المقدس الشرقى باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادى جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول فى الباب الذى يسمى باب الرحمة فى بيت المقدس انه الباب الذى قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية (ينادونهم) يعنى ينادى المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين حجز بينهم وبقوا فى الظلمة (ألم نكن معكم) اى فى الدنيا نصلى ونصوم (قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) اى أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها فى المعاصى والشهوات وكلها فتنة (وتربصتم) اى بالايمان والتوبة وقيل تربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه (وارتبتم) أى شككتم فى نبوته وفيما أوعدكم به (وغرتكم الامانى) اى الاباطيل وذلك ما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين (حتى جاء أمر الله) يعنى الموت وقيل هو القاؤهم فى النار وهو قوله تعالى (وغركم بالله الغرور) يعنى الشيطان قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله فى النار (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) أى عوض وبدل بأن تفدوا أنفسكم من العذاب وقيل لا يقبل منكم ايمان ولا توبة (ولا من الذين كفروا) يعنى

المشركين وانما عطف الكفار على المنافقين وان كان المنافق كافرا فى الحقيقة لان المنافق أبطن الكفر والكافر أظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق (مأواكم النار) اى مصيركم (هى مولاكم) اى وليكم وقيل هى أولى بكم لما أسلفتم من الذنوب والمعنى هى التى تلى عليكم لانها ملكت أمركم وأسلمتم اليها فهى أولى بكم من كل شئ وقيل معنى الآية لا مولى لكم ولا ناصر لان من كانت النار مولاه فلا مولى له (وبئس المصير) قوله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) قيل نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم قالوا لسلمان الفارسى ذات يوم حدثنا عن التوراة فان فيها العجائب فنزل نحن نقص عليك أحسن القصص فأخبرهم ان القرآن أحسن من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ماشاء الله ثم عادوا فسألوه مثل ذلك فنزل الله نزل أحسن الحديث الآية فكفوا عن سؤاله ماشاء الله ثم عادوا فسألوه فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول يكون تأويل قوله ألم يأن للذين آمنوا يعنى فى العلانية باللسان ولم يؤمنوا بالقلب وقيل نزلت فى المؤمنين وذلك انهم لما قدموا المدينة أصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا ونزل فى ذلك ألم يأن للذين آمنوا الآية قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية الا أربع سنين أخرجه مسلم وقال ابن عباس ان الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال ألم يأن للذين امنوا أن تخشع قلوبهم اى ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله اى لمواعظ الله (وما نزل من الحق) يعنى القران (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) يعنى اليهود والنصارى (فطال عليهم الامد) اى الزمان الذى بينهم وبين أنبيائهم (فقست قلوبهم) قال ابن عباس مالوا الى الدنيا واعرضوا عن مواعظ القرآن والمعنى ان الله نهى المؤمنين ان يكونوا فى صحبة القرآن كاليهود والنصارى الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر روى عن أبى موسى الاشعرى انه بعث الى قرى البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤا القرآن فقال أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم (وكثير منهم فاسقون) يعنى الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل (اعلموا أن الله يحيى الارض) اى بالمطر (بعد موتها) اى يخرج منها النبات بعد يبسها فكذلك يقدر على احياء الموتى وقال ابن عباس يلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة وكذلك يحيى القلوب الميتة بالعلم والحكمة والا فقد علم احياء الارض بالمطر مشاهدة (قد بينا لكم الآيات) اى الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا (لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا) اى بالنفقة والصدقة فى سبيل الله (يضاعف لهم) اى ذلك القرض (ولهم أجر كريم) اى ثواب حسن وهو الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) اى الكثير والصدق قال مجاهد كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الآية فعلى هذا الآية عامة فى كل من آمن بالله ورسوله وقيل ان الآية خاصة فى ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا اهل الارض فى زمانهم الى الاسلام وهم ابو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته (والشهداء عند ربهم) قيل اراد بالشهداء المؤمنين المخلصين قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الآية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ والشهداء عند ربهم وهم الانبياء الذين يشهدون على الامم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا فى سبيل الله (لهم أجرهم) اى بما عملوا من العمل الصالح (ونورهم) يعنى على الصراط (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب

مأواكم النار) مرجعكم (هى مولاكم) هى اولى بكم وحقيقة مولاكم محراكم أى مكانكم الذى يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة للكرم اى مكان لقول القائل انه لكريم (وبئس المصير) النار (ألم يأن) من أنى الامر يأنى اذا جاء اناه أى وقته قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن أبى بكر رضى الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب (للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) بالتخفيف نافع وحفص الباقون نزل وما بمعنى الذى والمراد بالذكر وما نزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) القراءة بالياء عطف على تخشع وبالتاء ورش على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره (فطال عليهم الامد) الاجل او الزمان (فقست قلوبهم) باتباع الشهوات (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما فى الكتابين أى وقليل منهم مؤمنون (اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) قيل هذا تمثيل لاثر الذكر فى القلوب وانه يحييها كما يحيى الغيث الارض (ان المصدقين والمصدقات) بتشديد الدال وحده مكى وأبو بكر وهو اسم فاعل من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعنى المؤمنين الباقون بتشديد الصاد والدال وهو اسم فاعل من تصدق فادغمت التاء فى الصاد وقرئ على الاصل (وأقرضوا الله قرضا حسنا) هو عطف على معنى الفعل فى المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى الفعل وهو اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة (يضاعف لهم) يضعف مكى وشامى (ولهم أجر كريم) أى الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) يريد ان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله (لهم أجرهم ونورهم) أى مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ويجوز ان يكون والشهداء مبتدأ ولهم اجرهم خبره (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب

الجحيم اعلموا انما الحياة الدنيا لعب) كلعب الصبيان (ولهو) كلهو الفتيان (وزينة) كزينة النسوان (وتفاخر بينكم) كتفاخر الاقران (وتكاثر) كتكاثر الدهقان (فى الاموال والاولاد) أى مباهاة بهما والتكاثر ادعاء الاستكثار (كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا) بعد خضرته (ثم يكون حطاما) متفتتا شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى وقوى واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث الله عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع (وفى الآخرة عذاب شديد) للكفار (ومغفرة من الله ورضوان) للمؤمنين يعنى ان الدنيا وما فيها ليست الا من محقرات الامور وهى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما الآخرة فما هى الا أمور عظام وهى العذاب الشديد والمغفرة والرضوان من الله الحميد والكاف فى كمثل غيث فى محل رفع على انه خبر بعد خبر اى الحياة الدنيا مثل غيث (وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور) لمن ركن اليها واعتمد عليها قال ذو النون يا معشر المريدين لا تطلبوا الدنيا وان طلبتموها فلا تحبوها فان الزاد منها والمقيل فى غيرها ولما حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهى المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة بقوله (سابقوا) أى بالاعمال الصالحة (الى مغفرة من ربكم) وقيل سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم فى المضمار (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) قال السدى كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ماله عرض وطول فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله ابسط او أريد بالعرض البسطة وهذا ينفى قول من يقول ان الجنة فى السماء الرابعة لان التى فى احدى السموات لا تكون فى عرض السموات والارض (اعدت للذين آمنوا بالله ورسله) وهذا دليل على انها مخلوقة (ذلك) الموعود من المغفرة والجنة (فضل الله يؤتيه من يشاء) وهم المؤمنون وفيه دليل على انه لا يدخل احد الجنة الا بفضل الله (والله ذو الفضل العظيم) ثم بين ان كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله (ما أصاب من مصيبة فى الارض) من الجدب وآفات الزروع والثمار وقوله فى الارض فى موضع الجر أى ما أصاب من مصيبة ثابتة فى الارض (ولا فى أنفسكم) من الامراض والاوصاب وموت الاولاد (الا فى كتاب) فى اللوح وهو فى موضع الحال اى الا مكتوبا فى اللوح (من قبل ان نبرأها) من قبل ان نخلق الانفس (ان ذلك) اى تقدير ذلك واثباته فى كتاب (على الله يسير) وان كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه بقوله (لكيلا تأسوا) تحزنوا حزنا يطغيكم (على ما فاتكم) من الدنيا وسعتها او من العافية وصحتها (ولا تفرحوا) فرح المختال الفخور (بما آتاكم)

الجحيم) لما ذكر حال المؤمنين اتبعه بحال الكافرين قوله عز وجل (اعلموا انما الحياة الدنيا) اى مدة الحياة فى هذه الدار الدنيا وانما أراد من صرف حياته فى غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته فى طاعة الله فحياته خير كلها ثم وصفها بقوله (لعب) اى باطل لا حاصل له كلعب الصبيان (ولهو) اى فرح ساعة ثم ينقضى عن قريب (وزينة) اى منظر يتزينون به (وتفاخر بينكم) يعنى انكم تشتغلون فى حياتكم بما يفتخر به بعضكم على بعض (وتكاثر فى الاموال والاولاد) اى مباهاة بكثرة الاموال والاولاد وقيل يجمع ما لا يحل فيتطاول بماله وخدمه وولده على أولياء الله تعالى وأهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة مثلا فقال تعالى (كمثل غيث اعجب الكفار) اى الزراع انما سمى الزراع كفارا لسترهم الارض بالبذر (نباته) اى ما نبت بذلك الغيث (ثم يهيج) اى ييبس (فتراه مصفرا) اى بعد خضرته (ثم يكون حطاما) اى يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى (وفى الآخرة عذاب شديد) اى لمن كانت حياته بهذه الصفة قال أهل المعانى زهد الله بهذه الآية فى العمل للدنيا وهذه صفة حياة الكافرين وحياة من يشتغل باللعب واللهو ورغب فى العمل للآخرة بقوله (ومغفرة من الله ورضوان) اى لاوليائه وأهل طاعته وقيل عذاب شديد لاعدائه ومغفرة من الله و رضوان لاوليائه لان الآخرة اما عذاب واما جنة (وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور) اى لمن عمل لها ولم يعمل للآخرة فمن اشتغل فى الدنيا بطلب الآخرة فهى له بلاغ الى ما هى خير منه وقيل متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة قوله عز وجل (سابقوا الى مغفرة من ربكم) معناه لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم فى غير ما انتم عليه بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم فى طلب الآخرة والمعنى سارعوا مسارعة السابقين فى المضمار الى المغفرة اى ما يوجب المغفرة وهى التوبة من الذنوب وقيل سابقوا الى ما كلفتم به من الاعمال فتدخل فيه التوبة وغيرها (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) قيل ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح وألزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة فى قدرها جميعا وقال ابن عباس ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والارضين ولا شك ان الطول يكون أزيد من العرض فذكر العرض تنبيها على ان طولها اضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع فى نفوسهم وافكارهم وأكثر ما يقع فى نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والارض على ما يعرفه الناس (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) فيه أعظم رجاء واقوى أمل لانه ذكر ان الجنة أعدت لمن آمن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيئا آخر يدل عليه قوله فى سياق الآية (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) فبين انه لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله تعالى لا بعمله (والله ذو الفضل العظيم) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله بفضل رحمته وقد تقدم الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فى تفسير سورة النحل قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة فى الارض) يعنى عدم المطر وقلة النبات ونقص الثمار (ولا فى أنفسكم) يعنى الامراض وفقد الاولاد (الا فى كتاب) يعنى فى اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) اى من قبل ان نخلق الارض والانفس وقال ابن عباس من قبل ان نبرأ المصيبة (ان ذلك على الله يسير) اى اثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل (لكيلا تأسوا) اى تحزنوا (على ما فاتكم) من الدنيا (ولا تفرحوا) اى تبطروا (بما آتاكم) اى اعطاكم

اعطاكم من الايتاء أبو عمرو أتاكم أى جاءكم من الاتيان يعنى انكم اذا علمتم ان كل شئ مقدر ومكتوب عند الله قل أساكم على الفائت وفرحكم على الآتى لان من علم ان ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله وليس احد الا وهو يفرح عند منفعة تصيبه ويحزن عند مضرة تنزل به ولكن ينبغى ان يكون الفرح شكرا والحزن صبرا وانما يذم من الحزن الجزع المنافى للصبر ومن الفرح الاشر المطغى الملهى عن الشكر (والله لا يحب كل مختال فخور) لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم فى نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس (الذين يبخلون) خبر مبتدا محذوف او بدل من كل مختال فخور كانه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغى اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به (ويأمرون الناس بالبخل) ٢١٧ ويحضون غيرهم على البخل ويرغبونهم فى الامساك (ومن يتول) يعرض عن الانفاق او عن اوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتى (فان الله هو الغنى) عن جميع المخلوقات فكيف عنه (الحميد) فى افعاله فان الله الغنى بترك هو مدنى وشامى (لقد أرسلنا رسلنا) يعنى أرسلنا الملائكة الى الانبياء (بالبينات) بالحجج والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) أى الوحى وقيل الرسل الانبياء والاول اولى لقوله معهم لان الانبياء ينزل عليهم الكتاب (والميزان) روى ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به (ليقوم الناس) ليتعاملوا بينهم ايفاء واستيفاء (بالقسط) بالعدل ولا يظلم احد احدا (وأنزلنا الحديد) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المر والمسحاة وعن الحسن أنزلنا الحديد خلقناه (فيه بأس شديد) وهو القتال به (ومنافع للناس) فى مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها او ما يعمل بالحديد (وليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح فى مجاهدة اعداء الدين وقال الزجاج ليعلم الله من يقاتل مع رسوله فى سبيله (بالغيب) غائبا عنهم (ان الله قوى) يدفع بقوته بأس من يعرض عن ملته (عزيز) يربط بعزته جاش من يتعرض لنصرته والمناسبة بين هذه الاشياء الثلاثة ان الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المراشد والعهود ويتضمن جوامع الاحكام والحدود ويأمر بالعدل والاحسان وينهى عن البغى والطغيان واستعمال العدل والاجتناب عن الظلم انما يقع بآلة يقع بها التعامل ويحصل بها التساوى والتعادل وهى الميزان ومن المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية والآلة الموضوعة للتعامل بالتسوية انما تحض العامة على اتباعهما بالسيف الذى هو حجة الله على من جحد وعند ونزع عن صفقة الجماعة اليد وهو الحديد الذى وصف بالبأس الشديد (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم) خصا بالذكر لانهما ابوان للانبياء عليهم السلام (وجعلنا فى ذريتهما) اولادهما (النبوة والكتاب) الوحى وعن ابن عباس رضى الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة (فمنهم) فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين (مهتد وكثير منهم فاسقون) هذا تفصيل لحالهم أى فمنهم من اهتدى باتباع الرسل ومنهم من فسق اى خرج من الطاعة والغلبة للفساق (ثم قفينا على آثارهم) اى نوح وابراهيم ومن مضى من الانبياء (برسلنا

قال عكرمة ليس أحد الا وهو يفرح ويحزن لكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا قال صاحب الكشاف ان قلت ما من أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغى الملهى عن الشكر فاما الحزن الذى لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما والله أعلم وقال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم ما لك تأسف على مفقود لا يرده اليك الفوت وما لك تفرح بموجود لا يتركه فى يديك الموت (والله لا يحب كل مختال) اى متكبر بما أوتى من الدنيا (فخور) اى بذلك الذى أوتى على الناس (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) قيل هذه الآية متعلقة بما قبلها والمعنى والله لا يحب الذين يبخلون يريد اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا ينفقونه فى سبيل الله ووجوه الخير ولا يكفيهم انهم بخلوا به حتى يأمرون الناس بالبخل وقيل ان الآية كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله وانها فى صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته (ومن يتول) قال ابن عباس عن الايمان (فان الله هو الغنى) عن عباده (الحميد) اى الى اوليائه قوله عز وجل (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) اى بالدلالات والآيات والحجج (وأنزلنا معهم الكتاب) اى المتضمن للاحكام وشرائع الدين (والميزان) يعنى العدل اى وأمرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان هو الآلة التى يوزن بها وهو يرجع الى العدل ايضا وهو قوله (ليقوم الناس بالقسط) اى ليتعاملوا بينهم بالعدل (وانزلنا الحديد) قيل ان الله تعالى أنزل مع آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض السندان والمطرقة والكلبتين وروى عن ابن عمر يرفعه ان الله أنزل أربع بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح وقيل انزلنا هنا بمعنى انشأنا وأحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامه (فيه بأس شديد) اى قوة شديدة فمنه الجنة وهى آلة الدفع ومنه آلة السلاح وهى آلة الضرب (ومنافع للناس) اى ومنه ما ينتفعون به فى مصالحهم كالسكين والفأس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد آلة لكل صنعة فلا غنى لاحد عنه (وليعلم الله) اى وأرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله (من ينصره) اى من ينصر دينه (ورسله بالغيب) اى الذين لم يروا الله ولا الآخرة وانما يحمد ويثاب من أطاع بالغيب وقال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه (ان الله قوى) فى أمره (عزيز) فى ملكه (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) معناه انه تعالى شرف نوحا وابراهيم بالرسالة وجعل فى ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبى الا من نسلهما (فمنهم) اى من الذرية (مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا) اى اتبعنا (على آثارهم برسلنا) والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى ان انتهت

الرسالة الى عيسى بن مريم وهو قوله تعالى (وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه) اى على دينه (رأفة ورحمة) يعنى انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض (ورهبانية ابتدعوها) ليس هذا عطفا على ما قبله والمعنى انهم جاؤا بها من قبل انفسهم وهى ترهبهم فى الجبال والكهوف والغيران والديرة فروا من الفتنة وحملوا انفسهم المشاق فى العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن فى المطعم والمشرب والملبس مع التقلل من ذلك (ما كتبناها عليهم) اى ما فرضناها نحن عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) اى لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) يعنى انهم لم يرعوا تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموا اليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا فى دين ملوكهم وأقام اناس منهم على دين عيسى حتى أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به فذلك قوله تعالى (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى صلى الله عليه وسلم وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فأخذوهم وقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازات الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا فى البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل فيهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم قال صلى الله عليه وسلم من آمن بى وصدقنى واتبعنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فأولئك هم الهالكون وعنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لى يا ابن أم عبد هل تدرى من اين أخذت بنو اسرائيل الرهبانية قلت الله ورسوله أعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصى فغضب أهل الايمان فقاتلوهم فهزم أهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء فتنونا ولم يبق أحد يدعو اليه تعالى فتعالوا لنتفرق فى الارض الى أن يبعث الله النبى الذى وعدنا عيسى به يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا فى غيران الجبال وأحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية ابتدعوها الى فآتينا الذين آمنوا منهم اى من الذين ثبتوا عليها أجرهم ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يا ابن أم عبد اتدرى ما رهبانية أمتى قلت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والصلاة والجهاد والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع وروى عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد فى سبيل الله وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم او دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل او يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم انفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا فيه ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وطائفة قالت دعونا نسيح فى الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا فى ارضكم فاقتلونا وقالت طائفة ابنوا لنا دورا فى الفيافى ونحتفر الآبار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس أحد من القبائل الا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون فى مكان فلان نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها يعنى ابتدعها الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعنى الآخرين الذين جاؤا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم يعنى الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون وهم الذين جاؤا من بعدهم فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته

وصاحب

وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة) مودة ولينا (ورحمة) تعطفا على اخوانهم كما قال فى صفة أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم (ورهبانية ابتدعوها) هى ترهبهم فى الجبال فارين من الفتنة فى الدين مخلصين أنفسهم للعبادة وهى الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها أى أخرجوها من عند أنفسهم ونذروها (ما كتبناها عليهم) لم نفرضها نحن عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) أى أهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام او الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (وكثير منهم فاسقون) الكافرون

وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته اجرين بايمانهم بعيسى وبالتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم له وقال ويجعل لكم نورا تمشون به القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لئلا يعلم أهل الكتاب الذين يتشبهون بكم أن لا يقدرون على شيء من فضل الله الآية اخرجه النسائي موقوفا على ابن عباس وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك انهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان فما رعوها يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير مذكور فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وهم اهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا الرهبانية ويكون معنى قوله ابتغاء رضوان الله على هذا التأويل ما كتبناها عليهم لكن ابتغاء رضوان الله اتباع ما امر به دون الترهب لانه لم يأمر به قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) الخطاب لاهل الكتابين من اليهود والنصارى يعني يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد وآمنوا به وهو قوله تعالى (وآمنوا برسوله) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم كفلين) اي نصيبين (من رحمته) يعني يؤتكم اجرين لايمانكم بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك الذي ادى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده أمة يطأها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله أجران (ويجعل لكم نورا تمشون به) يعني على الصراط وقال ابن عباس النور هو القرآن وقيل هو الهدى والبيان أي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون به (ويغفر لكم) أي ما سلف من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب) قيل لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين قالوا للمسلمين اما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لايمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم يؤمن فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزل لئلا يعلم أي ليعلم ولا صلة أهل الكتاب يعني الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المؤمنين (الا يقدرون) يعني انهم لا يقدرون (على شيء من فضل الله) والمعنى جعلنا الاجرين لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم الذين لم يؤمنوا به انهم لا أجر لهم ولا نصيب من فضل الله وقيل لما نزل في مسلمي أهل الكتاب أولئك يؤتون أجرهم مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة الأجر فشق ذلك على المسلمين فنزل لئلا يعلم أهل الكتاب يعني المؤمنين منهم ان لا يقدرون على شيء من فضل الله (وان الفضل بيد الله) يعني الذي خصكم به فانه فضلكم على جميع الخلائق وقيل يحتمل ان يكون الاجر الواحد أكثر من الاجرين وقيل قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا يكون فضل الله النبوة (يؤتيه من يشاء) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قوله وان الفضل بيد الله أي في ملكه وتصرفه يؤتيه من يشاء لانه قادر مختار (والله ذو الفضل العظيم) (خ) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس أوتي اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتي أهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتابين اي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن أكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتكم من أجركم شيئا قالوا لا قال فهو فضلي أوتيه من اشاء وفي رواية انما أجلكم في اجل من خلا من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط

(يا أيها الذين آمنوا) الخطاب لاهل الكتاب
(اتقوا الله وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم
(يؤتكم) الله (كفلين) نصيبين (من رحمته)
لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم
بمن قبله (ويجعل لكم) يوم القيامة (نورا تمشون
به) وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم الآية
(ويغفر لكم) ذنوبكم (والله غفور رحيم لئلا يعلم)
(اهل الكتاب) الذين لم يسلموا ولا مزيده
ليعلم (ان) مخففة من الثقيلة اصله
(ان لا يقدرون) يعني ان الشأن لا يقدرون
انه لا يقدرون) اى لا ينالون شيئا
(على شئ من فضل الله) من الكفلين والنور
مما ذكر من فضل الله لم يؤمنوا برسول الله صلى الله
والمغفرة لانهم لم يؤمنوا بمن قبله ولم يكسبهم
عليه وسلم فلم ينفعهم ايمانهم
فضلا قط (وان الفضل) عطف على ان
لا يقدرون (بيد الله) أى في ملكه وتصرفه
(يؤتيه من يشاء) من عباده (والله ذو الفضل
العظيم) والله أعلم

قيراطا ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى غروب الشمس على قيراطين قيراطين الا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر الى غروب الشمس الا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا واقل عطاء قال الله عز وجل وهل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فانه فضلي اصيب به من شئت أي أعطيه من شئت (خ) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له الى الليل على اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم اعملوا بقية يومكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال اعملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال أكملوا بقية عملكم فان ما بقي من النهار شئ يسير فأبوا فاستأجر قوما أن يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور والله سبحانه وتعالى أعلم

(سورة المجادلة مدنية)

وهي اثنان وعشرون آية وأربعمائة وثلاث وسبعون كلمة وألف وسبعمائة واثنان وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) نزلت في خولة بنت ثعلبة وقيل اسمها جميلة وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت وكان به لمم وكانت هي حسنة الجسم فأرادها فأبت عليه فقال لها أنت علي كظهر امي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلاء من طلاق اهل الجاهلية فقال ما اظنك الا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله ان زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات اهل ومال حتى اذا أكل مالي وافنى شبابي وتفرق اهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شئ يجمعني واياه وتنعشني به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وانه ابو ولدي واحب الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي قد طالت له صحبتي ونثرت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه ولم أومر في شأنك بشئ فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم الي جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اشكو اليك اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجي وهذا كان اول ظهار في الاسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر في امري جعلني الله فداءك يا نبي الله فقالت عائشة اقصري حديثك ومجادلتك اما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي أخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي لي زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية (ق) عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته في جانب البيت وما اسمع ما تقول فأنزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك اي تحاورك وتخاصمك وتراجعك في زوجها اي في امر زوجها (وتشتكي الى الله) أي شدة حالها وفاقتها ووحدتها (والله يسمع تحاوركما) اي مراجعتكما الكلام (ان الله سميع) أي ان

يناجيه و يتضرع اليه (بصير) اى بمن يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) يعني يقولون لهن انتن كظهور امهاتنا (ماهن أمهاتهم) اى ما اللواتى يجعلونهن من زوجاتهن كالامهات بامهات والمعنى ليس هن بامهاتهم (ان أمهاتهم) أى ما امهاتهم (الا اللائى ولدنهم) يعنى المظاهرين (وانهم ليقولون منكرا من القول) يعنى لا يعرف فى الشرع (وزورا) يعنى كذبا وقيل انما وصفه بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمة تحريما مؤبدا والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريما مؤبدا فلاجرم صار ذلك منكرا من القول وزورا (وان الله لعفو غفور) عفا الله عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم

(فصل فى أحكام الظهار وفيه مسائل) المسئلة الاولى فى معناه لغة قيل انه مشتق من الظهر وهو العلو وليس هو من ظهر الانسان اذ ليس الظهر بأولى من سائر الاعضاء التى هى مواضع التلذذ والمباضعة فثبت بهذا انه مأخوذ من الظهر الذى هو العلو لان امرأة الرجل مركب له وظهر يدل عليه قول العرب فى الطلاق نزلت عن امرأتى اى طلقتها وفى قولهم انت على كظهر امى حذف واضمار لان تأويله ظهرك على أى ملكى اياك وعلوى عليك حرام كعلوى امى وعلوه عليها حرام *المسئلة الثانية* كان الظهار من أشد طلاق اهل الجاهلية لانه فى التحريم آكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا بالشرع كانت الآية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما يدخل فى الشرائع لا فى احكام الجاهلية وعاداتهم

المسئلة الثالثة فى الالفاظ المستعملة لهذا المعنى فى الشريعة وعرف الفقهاء الاصل فى هذا قوله انت على كظهر امى وانت منى او معى او عندى كظهر امى وكذا لو قال انت على كبطن امى او كرأس امى او كيد امى او قال بطنك او رأسك او يدك على كظهر امى او شبه عضوا منها بعضو من اعضاء امه يكون ذلك ظهارا وقال ابو حنيفة ان شبهها ببطن امه او بفرجها او بفخذها يكون ظهارا وان شبهها بعضو غير هذه الاعضاء لا يكون ظهارا ولو قال أنت على كامى او كروح امى وأراد به الاعزاز والاكرام لا يكون ظهارا حتى ينويه ويريده ولو شبهها بجدته فقال انت على كظهر جدتى يكون ظهارا وكذا لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بأن قال انت على كظهر اختى او عمتى او خالتى او شبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهارا على الاصح

المسئلة الرابعة فيمن يصح ظهاره قال الشافعى الضابط فى هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره فعلى هذا يصح ظهار الذمى وقال ابو حنيفة لا يصح احتج الشافعى بعموم قوله والذين يظاهرون من نسائهم واحتج ابو حنيفة بأن هذا خطاب للمؤمنين فيدل على ان الظهار مخصوص بالمؤمنين واجيب عنه بأن هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين فلم قلتم انه مختص بالمؤمنين قوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم) يعنى يمتنعون بهذا اللفظ من جماعهن (ثم يعودون لما قالوا) اختلف العلماء فى معنى العود فى قوله ثم يعودون لما قالوا ولا بد أولا من بيان أقوال اهل العربية ثم بيان اقوال الفقهاء فنقول قال الفراء لا فرق فى اللغة بين ان يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال ابو على الفارسى كلمة الى واللام تتعاقبان كقوله وأوحى الى نوح وبأن ربك أوحى لها واما لفظة ما فى قوله لما فهى بمعنى الذى والمعنى يعودون الى الذى قالوا او فى الذى قالوا وفيه وجهان احدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ الوجه الثانى ان المراد لما قالوا أى المقول فيه وهو الذى حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلى هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا أى يعودون الى شئ وذلك الشئ هو الذى قالوا فيه ذلك القول ثم اذا فسر هذا اللفظ بالوجه الاول يجوز ان يكون المعنى عاد لما فعل أى فعله مرة اخرى وعلى الوجه الثانى يجوز ان يقال عاد لما فعل أى نقض ما فعل وذلك ان من فعل شيئا ثم اراد ان يفعله ثانيا فقد عاد اليه وكذا من فعل شيئا ثم اراد ابطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد ظهر بما تقدم ان قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بأن يفعلوا مثله مرة أخرى ويحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب أكثر المجتهدين ثم اختلفوا فيه على وجوه الاول وهو قول

يسمع شكوى المضطر (بصير) بحاله (الذين يظاهرون) عاصم يظهرون حجازى وبصرى يظاهرون غيرهم وفى (منكم) توبيخ للعرب لانه كان من أيمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم (من نسائهم) زوجاتهم (ماهن أمهاتهم) والاول حجازى والثانى تميمى امهاتهم المفضل (ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم) يريد ان الامهات على الحقيقة الوالدات والمرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع وكذا أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيادة حرمتهن واما الزوجات فأبعد شئ من الامومة فلذا قال (وانهم ليقولون منكرا من القول) اى تنكره الحقيقة والاحكام الشرعية (وزورا) وكذبا باطلا منحرفا عن الحق (وان الله لعفو غفور) لما سلف منهم (والذين يظاهرون من نسائهم) بين فى الآية الاولى ان ذلك من قائله منكر وزور وبين فى الثانية حكم الظهار (ثم يعودون لما قالوا) العود الصيرورة ابتداء او بناء فمن الاول قوله تعالى وان عدتم عدنا ومن الثانى حتى عاد كالعرجون القديم ويعدى بنفسه كقولك عدته اذا أتيته وصرت اليه وبحرف الجر بالى وعلى وفى واللام كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ومنه ثم يعودون لما قالوا أى يعودون لنقض ما قالوا او لتداركه على حذف المضاف وعن ثعلب يعودون لتحليل ما حرموا على حذف المضاف أيضا غير انه اراد بما قالوا ما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كقوله ونرثه ما يقول أراد المقول فيه وهو المال والولد ثم اختلفوا ان النقض بماذا يحصل فعندنا بالعزم على الوطء وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة وعند الشافعى بمجرد الامساك وهو ان لا يطلقها عقيب الظهار

الشافعي ان معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها فيه وذلك لانه لما ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد تمم ماشرع فيه من ايقاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق فذلك يدل على انه ندم على ما ابتدأ به من التحريم فحينئذ تجب عليه الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون فيرجعون الى الالفة الوجه الثاني في تفسير العود وهو قول أبي حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطء والملامسة والنظر اليها بالشهوة وذلك انه لما شبهها بالام في حرمة هذه الاشياء ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضا لقوله أنت علي كظهر امي الوجه الثالث وهو قول مالك ان العود اليها عبارة عن العزم على وطئها وهو قريب من قول أبي حنيفة الوجه الرابع وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري ان العود اليها عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه مالم يطأها قال العلماء والعود المذكور هنا هو أنه صالح للجماع او للعزم عليه أو لاستباحته الا ان الذي قاله الشافعي هو اقل ما ينطلق عليه الاسم فيجب تعليق الحكم عليه لانه هو الذي به يتحقق مسمى العود واما الباقي فزيادة لا دليل عليه واما الاحتمال في قوله ثم يعودون أي يفعلون مثل مافعلوه فعلى هذا الاحتمال في الآية وجوه أيضا الاول قال مجاهد والثوري العود هو الاتيان بالظهار في الاسلام وتجب الكفارة به والمراد من العود هو العود الى ما كانوا عليه في الجاهلية وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله حكم الظهار في الاسلام على خلاف حكمه عندهم فمعنى ثم يعودون لما قالوا أي في الاسلام فيقولون في الاسلام مثل ما كانوا يقولون في الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه الثاني قال ابو العالية اذا كرر لفظ الظهار فقد عاد والا لم يكن عود وهذا قول أهل الظاهر واحتجوا عليه بأن ظاهر قوله ثم يعودون لما قالوا يدل على اعادة مافعلوه وهذا لا يكون الا بالتكرير وان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه وقوله تعالى (فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا) المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للظاهر وطء امرأته التي ظاهر منها مالم يكفر (ذلكم توعظون به) يعني ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه (والله بما تعملون) اى من التكفير وتركه (خبير) ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى (فمن لم يجد) اى الرقبة (فصيام شهرين) اى فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع) اى الصيام (ف) كفارته (اطعام ستين مسكينا ذلك) اى الفرض الذي وصفناه (لتؤمنوا بالله ورسوله) اى لتصدقوا الله فيما أمر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عن الله تعالى (وتلك حدود الله) يعني ما وصف من الكفارة في الظهار (وللكافرين) اى لمن جحد هذا وكذب به (عذاب أليم) اى في نار جهنم يوم القيامة

*(فصل في احكام الظهار وما يتعلق بالظهار) وفيه مسائل *المسئلة الاولى* اختلفوا في ما يحرمه الظهار فللشافعي قولان أحدهما انه يحرم الجماع فقط والقول الثاني وهو الاظهر انه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول أبي حنيفة *المسئلة الثانية* اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعي وابو حنيفة لكل ظهار كفارة الا ان يكون في مجلس واحد وأراد التكرار للتأكيد فان عليه كفارة واحدة وقال مالك من ظاهر من امرأته في مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة *المسئلة الثالثة* الآية تدل على ايجاب الكفارة قبل المماسة سواء اراد التكفير بالاعتاق او بالصيام او بالاطعام وعند مالك ان أراد التكفير بالاطعام يجوز له الوطء قبله لان الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقل في الاطعام من قبل ان يتماسا فدل على ذلك وعند الآخرين الاطلاق في الاطعام محمول على المقيد في العتق والصيام فان جامع قبل ان يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة وهو قول أكثر اهل العلم كمالك وابي حنيفة والشافعي واحمد وسفيان وقال بعضهم ان واقعها قبل ان يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن مهدي *المسئلة الرابعة* كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال ابو حنيفة هذه الرقبة تجزي سواء كانت مؤمنة وكافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة فهذا اللفظ يفيد العموم في جميع الرقاب دليلنا

على

(فتحرير رقبة) فعليه اعتاق رقبة مؤمنة اوكافرة ولم يجز المدبر وام الولد والمكاتب الذي ادى شيئا (من قبل ان يتماسا) الضمير يرجع الى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها والمماسة الاستمتاع بها من جماع اولمس بشهوة اونظر الى فرجها بشهوة (ذلكم) الحكم (توعظون به) لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه (والله بما تعملون خبير) والظهار ان يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي واذا وضع موضع انت عضوا منها يعبر به عن الجملة او مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ او مكان الام ذات رحم محرم منه بنسب اورضاع اوصهر أو جماع نحو ان يقول أنت علي كظهر أختي من الرضاع او عمتي من النسب او امرأة ابني او أبي اوأم امرأتي او ابنتها فهو مظاهر واذا امتنع المظاهر من الكفارة للمرأة ان ترافعه وعلى القاضي ان يجبره على ان يكفر وان يحبسه ولا شئ من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فان مس قبل ان يكفر استغفر الله ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستأنف عند أبي حنيفة رضي الله عنه (فمن لم يجد) الرقبة (فصيام شهرين) فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع) الصيام (فاطعام) فعليه اطعام (ستين مسكينا) لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره ويجب ان يقدمه على المسيس ولكن لا يستأنف ان جامع في خلال الاطعام (ذلك) البيان والتعليم للاحكام (لتؤمنوا) أي لتصدقوا (بالله ورسوله) في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم (وتلك) اى الاحكام التي وصفنا في الظهار والكفارة (حدود الله) التي لا يجوز تعديها (وللكافرين) الذين لا يتبعونها (عذاب أليم) مؤلم

على ان اجمعنا على ان الرقبة فى كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد اولى
* المسئلة الخامسة * الصوم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا او نسى النية
يجب عليه استئناف الشهرين ولو شرع فى الصوم ثم جامع فى خلال الشهرين بالليل عصى الله تعالى بتقديم
الجماع على الكفارة لكن لا يجب عليه استئناف الشهرين وعند ابى حنيفة يجب عليه استئناف
الشهرين * المسئلة السادسة * ان يعجز عن الصوم لمرض او كبر او فرط شهوة بحيث لا يصبر عن الجماع يجب
عليه اطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد من الطعام الذى يقتات به اهل البلد من حنطة او شعير
أو ارز او ذرة او تمرا ونحو ذلك وقال ابو حنيفة يعطى لكل مسكين نصف صاع من بر او دقيق او سويق
اوصاعا من شعير ولو اطعم مسكينا واحدا ستين جزءا لا يجزيه عند الشافعى وقال ابو حنيفة يجزيه حجة
الشافعى ظاهر الآية وهو ان الله تعالى اوجب اطعام ستين مسكينا فوجب رعاية ظاهر الآية وحجة
ابى حنيفة ان المقصود دفع الحاجة وهو حاصل وأجيب عنه بأن ادخال السرور على قلب ستين مسكينا
اولى من ادخال السرور على مسكين واحد * المسئلة السابعة * اذا كانت له رقبة الا انه محتاج الى الخدمة
او له ثمن الرقبة لكنه محتاج اليه لنفقته ونفقة عياله فله ان ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعى يلزمه
الاعتاق اذا كان واجدا للرقبة او ثمنها وان كان محتاجا اليه وقال أبو حنيفة ان كان واجدا لعين الرقبة
يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجا اليها وان كان واجدا لثمن الرقبة لكنه محتاج اليه فله ان يصوم
* المسئلة الثامنة * قال أصحاب الشافعى الشبق المفرط والغلمة الهائجة عذر فى الانتقال من الصيام الى
الاطعام والدليل عليه ماروى عن سلمة بن صخر البياضى قال كنت امرأ اصيب من النساء مالا يصيب غيرى
فلما دخل شهر رمضان خفت ان اصيب من امرأتى شيئا تتابع بى حتى اصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر
رمضان فبينما هى تخدمنى ذات ليلة اذ انكشف لى منها شئ فالبثت ان نزوت عليها فلما أصبحت خرجت
الى قومى فأخبرتهم الخبر قال فقلت امشوا معى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أنت بذلك ياسلمة قلت بذلك يارسول الله مرتين وأنا صابر لامر
الله فاحكم بما أمرك الله به قال حرر رقبة قلت والذى بعثك بالحق نبيا ما املك رقبة غيرها وضربت
صفحة رقبتى قال فصم شهرين متتابعين قال وهل اصبت الذى اصبت الا من الصيام قال فأطعم وسقا من
تمر ستين مسكينا قلت والذى بعثك بالحق نبيا لقد بتنا وحشين لا نملك لنا طعاما قال فانطلق الى صاحب
صدقة بنى زريق فليدفعها اليك فأطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل أنت وعيالك بقيتها فرجعت الى
قومى فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأى ووجدت عند النبى صلى الله عليه وسلم السعة وحسن
الرأى وقد أمرلى بصدقتكم وبنو بياضة بطن من بنى زريق أخرجه ابو داود وقوله نزوت عليها أى وثبت عليها
واراد به الجماع وقوله تتابع بى التتايع الوقوع فى الشر واللجاج فيه والوسق ستون صاعا وقوله وحشين
يقال رجل وحش اذا لم يكن له طعام وأوحش الرجل اذا جاع وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت
ظاهر منى زوجى اوس بن الصامت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكو اليه ورسول الله صلى
الله عليه وسلم يجادلنى فيه ويقول اتقى الله فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل القرآن قد سمع الله قول
التى تجادلك فى زوجها الى الفرض قال يعتق رقبة قلت لا يجد قال فليصم شهرين متتابعين قلت يارسول
الله انه شيخ كبير مابه من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت ما عنده شئ يتصدق به قال فانى سأعينه
بعرق من تمر قلت يارسول الله وانا اعينه بعرق آخر قال قد احسنت اذهبى فأطعمى بهما عنه ستين مسكينا
وارجعى الى ابن عمك أخرجه ابو داود وفى رواية قالت ان اوسا ظاهر منى وذكرت ان به لمما وقالت والذى
بعثك بالحق ما جئتك الا رحمة له ان له فى منافع وذكرت نحوه العرق بفتح العين والراء المهملتين زنبيل
يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا وقولها ان به لمما اللمم طرف من الجنون وقال الخطابى ليس المراد
من اللمم هنا الجنون والخبل اذ لو كان به ذلك ثم ظاهر فى تلك الحال لم يلزمه شئ بل معنى اللمم ههنا الالمام

(ان الذين يحادون الله ورسوله) يعادون ويشاقون (كبتوا) أخزوا واهلكوا (كما كبت الذين من قبلهم) من اعداء الرسل (وقد أنزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وصحة ماجاء به (وللكافرين) بهذه الآيات (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم) منصوب بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم (الله جميعا) كلهم لا يترك منهم أحدا غير مبعوث او مجتمعين فى حال واحدة (فينبئهم بما عملوا) تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزى على رؤس الاشهاد (أحصاه الله) أحاط به عددا لم يفته منه شئ (ونسوه) لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه وانما تحفظ معظمات الامور (والله على كل شئ شهيد) لا يغيب عنه شئ (ألم تر أن الله يعلم مافى السموات ومافى الارض مايكون) من كان التامة أى مايقع (من نجوى ثلاثة) النجوى التناجى وقد أضيفت الى ثلاثة أى من نجوى ثلاثة نفر (الا هو) أى الله (رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى) ولا أقل (من ذلك ولا أكثر الا هو معهم) يعلم مايتناجون به ولا يخفى عليه ماهم فيه وقد تعالى عن المكان علوا كبيرا وتخصيص الثلاثة والخمسة لانها نزلت فى المنافقين وكانوا يتحلقون للتناجى مغايظة للمؤمنين على هذين العددين وقيل مايتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة ولا أدنى من عدديهم ولا أكثر الا والله معهم يسمع مايقولون ولان أهل التناجى فى العادة طائفة من أهل الرأى والتجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى مااقتضته الحال فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا أدنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا أكثر فدل على مايقارب هذا العدد (أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) فيجازيهم عليه (ان الله بكل شئ عليم ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين ويريدون ان يغيظوهم ويوهموهم فى نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان أقاربهم قتلوا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته ويتنجون حمزة وهو بمعنى الاول (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) يعنى انهم يقولون فى تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا أيها الرسول ويا أيها النبى (ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أى يقولون فيما بينهم لو كان نبيا لعاقبنا الله بما نقوله فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) حال أى يدخلونها (فبئس المصير) المرجع جهنم

بالنساء وشدة الحرص والشبق والله اعلم قوله عز وجل (ان الذين يحادون الله ورسوله) أى يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون أمرهما (كبتوا) اى ذلوا واخزوا واهلكوا (كما كبت الذين من قبلهم) اى كما اخزى من كان قبلهم من اهل الشرك (وقد أنزلنا آيات بينات) يعنى فرائض واحكاما (وللكافرين) اى الذين لم يعملوا بها او جحدوها (عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله) اى حفظ الله اعمالهم (ونسوه) اى نسوا ما كانوا يعملون فى الدنيا (والله على كل شئ شهيد) قوله تعالى (ألم تر) اى الم تعلم (ان الله يعلم مافى السموات ومافى الارض) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا تخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السموات ثم أكد ذلك بقوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة) اى من اسرار ثلاثة وهى المسارة والمشاورة والمعنى مامن شئ يناجى به الرجل صاحبه وقيل مايكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا (الا هو رابعهم) اى بالعلم يعنى يعلم نجواهم كانه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذى يكون معهم (ولا خمسة الا هو سادسهم) فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة قلت اقل مايكفى فى المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان كالمتنازعين فى النفى والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تحمد تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لا بد من واحد يكون حكما بينهم مقبول القول وقيل ان العدد الفرد اشرف من الزوج فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة ثم قال تعالى (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر) يعنى ولا اقل من ثلاثة وخمسة ولا اكثر من ذلك العدد (الا هو معهم أينما كانوا) اى بالعلم والقدرة (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم) قوله عز وجل (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى) نزلت فى اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم ويوهمون المؤمنين انهم يتناجون بما يسوءهم فيحزن المؤمنون لذلك ويقولون مانراهم الا قد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا فى السرايا قتل أو هزيمة فيقع ذلك فى قلوبهم ويحزنهم فلما طال على المؤمنين وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم ان لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فأنزل الله ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى اى المناجاة فيما بينهم (ثم يعودون لما نهوا عنه) اى يرجعون الى المناجاة التى نهوا عنها (ويتناجون بالاثم والعدوان) يعنى ذلك السر الذى كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين او شئ يسوءهم وكلاهما اثم وعدوان (ومعصية الرسول) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل معناه يوصى بعضهم بعضا بمعصية الرسول (واذا جاؤك) يعنى اليهود (حيوك بما لم يحيك به الله) وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه بأنهم يسلمون عليه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم (ويقولون فى أنفسهم) يعنى اذا خرجوا من عنده قالوا (لولا يعذبنا الله بما نقول) يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف به قال الله تعالى (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) المعنى ان تقديم العذاب انما يكون

بحسب

بحسب المشيئة والمصلحة واذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله فقلت يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت عليكم وللبخاري ان اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت أولم تسمع ما قالوا قال اولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في السام الموت قال الخطابي عامة المحدثين يروون اذا سلم عليكم أهل الكتاب فانما يقولون السام عليكم فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو في وعليكم وكان سفيان بن عيينة يرويه بغير واو قال وهو الصواب لانه اذا حذف الواو صار قولهم الذي قالوه مردودا عليهم بعينه واذا اثبت الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو تجمع بين الشيئين والعنف ضد الرفق واللين والفحش الردئ من القول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) في المخاطبين بهذه الآية قولان أحدهما انه خطاب للمؤمنين وذلك انه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجي بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اتبعه بأن نهى المؤمنين ان يسلكوا مثل طريقهم وأن يفعلوا كفعلهم فقال لا تتناجوا بالاثم وهو ما يقبح من القول والعدوان وهو ما يؤدي الى الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافا عليه والقول الثاني وهو الاصح انه خطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم وقيل آمنوا بزعمهم كأنه قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول (وتناجوا بالبر والتقوى) اي بالطاعة وترك المعصية (واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان) أي من تزيين الشيطان وهو ما يأمرهم به من الاثم والعدوان ومعصية الرسول (ليحزن الذين آمنوا) اي انما يزين ذلك ليحزن المؤمنين (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود في رواية فان ذلك يحزنه وهذه الزيادة لابي داود (وليس بضارهم شيئا) يعني ذلك التناجي وقيل الشيطان ليس بضارهم شيئا (الا باذن الله) اي الا ما اراد الله تعالى وقيل الا باذن الله في الضر (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) اي فليكل المؤمنون أمرهم الى الله تعالى ويستعيذوا به من الشيطان فان من توكل على الله لا يخيب امله ولا يبطل سعيه قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا) الآية قيل في سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر أولئك النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة في سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا اذا رأوا من جاءهم مقبلا تضاموا في مجلسهم فأمرهم الله ان يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة في الصفة والمكان ضيق والاقرب ان المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه فأمر الله المؤمنين بالتواضع وان يفسحوا في المجلس لمن أراد الجلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم ليتساوى الناس في الاخذ بالحظ منه وقرئ في المجالس لان لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح كل رجل مجلسه فافسحوا أي فأوسعوا في المجلس

(يا أيها الذين آمنوا) بألسنتهم وهو خطاب للمنافقين والظاهر انه خطاب للمؤمنين (اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) اي اذا تناجيتم فلا تشبهوا باليهود والمنافقين في تناجيهم بالشر (وتناجوا بالبر) باداء الفرائض والطاعات (والتقوى) وترك المعاصي (واتقوا الله الذي اليه تحشرون) للحساب فيجازيكم بما تتناجون به من خير أو شر (انما النجوى) بالاثم والعدوان (من الشيطان) من تزيينه (ليحزن) أي الشيطان وبضم الياء نافع (الذين آمنوا وليس) الشيطان أو الحزن (بضارهم شيئا الا باذن الله) بعلمه وقضائه وقدره (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي يكلون أمرهم الى الله ويستعيذون به من الشيطان (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس) توسعوا فيه وفي المجالس عاصم ونافع والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال وقيل في صلاة الجمعة (فافسحوا) فوسعوا

أمروا بأن يوسعوا فى المجالس لغيرهم (يفسح الله لكم) أى يوسع الله لكم فى الجنة والمجالس فيها (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم (م) عن جابر بن عبد الله قال لا يقيمن أحدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا وذكره الحميدى فى افراد مسلم موقوفا عن جابر ورفعه غير الحميدى وقيل فى معنى الآية ان هذا فى مجالس العرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتى القوم وهم فى الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم فى الشهادة فأمروا بأن يوسعوا لاخوانهم لان الرجل الشديد البأس قد يكون متأخرا عن الصف الاول والحاجة داعية الى تقدمه فلا بد من التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقرآن والحديث والذكر ونحو ذلك لان كل من وسع على عباد الله أنواع الخير والراحة وسع الله عليه خيرى الدنيا والآخرة (واذا قيل انشزوا فانشزوا) اى اذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة فى الجماعة اذا نودى لها فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى اذا نودى الى الصلاة فانهضوا اليها وقيل اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فانهضوا اليه ولا تقصروا عنه (يرفع الله الذين آمنوا منكم) اى بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال أوامره فى قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم (والذين أوتوا العلم) أى ويرفع الذين أوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم (درجات) اى على من سواهم فى الجنة قيل يقال للمؤمن الذى ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف فاشفع فى الناس أخبر الله عز وجل ان رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما أمر وان أولئك المؤمنين مثابون فيما أئتمروا وان النفر من أهل بدر مستحقون لما عوملوا به من الاكرام (والله بما تعملون خبير) قال الحسن قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم فان الله تعالى يقول يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذى ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لانه يقتدى بالعالم فى أقواله وفى افعاله كلها عن قيس بن كثير قال قدم رجل من المدينة على أبى الدرداء وهو بدمشق فقال ما أقدمك يا اخى قال حديث بلغنى انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما جئت لحاجة غيره قال لا قال اما قدمت فى تجارة قال لا قال ما جئت الا فى طلب هذا الحديث قال نعم قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يبتغى فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم وان العالم يستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما أورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر أخرجه الترمذى ولابى داود نحوه (ق) عن معاوية بن أبى سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وعن ابن عباس مثله أخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين فى مسجده أحد المجلسين يدعون الى الله ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير واحدهما أفضل من صاحبه اما هؤلاء فيدعون الى الله ويرغبون اليه واما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء أفضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) يعنى اذا أردتم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا امام ذلك صدقة وفائدة ذلك اعظام مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الانسان اذا وجد الشئ بمشقة استعظمه وان وجده بسهولة استحقره ونفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة قال ابن عباس ان الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثروا حتى شق عليه فأراد الله تعالى ان يخفف على

(يفسح الله لكم) مطلق فى كل ما يبتغى الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك (واذا قيل انشزوا) انهضوا للتوسعة على المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرتم بالنهوض عنه او انهضوا الى الصلاة والجهاد واعمال الخير (فانشزوا) بالضم فيهما مدنى وشامى وعاصم غير حماد (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بامتثال أوامره وأوامر رسوله (والذين أوتوا العلم) والعالمين منهم خاصة (درجات والله بما تعملون خبير) وفى الدرجات قولان أحدهما فى الدنيا فى المرتبة والشرف والآخر فى الآخرة وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان اذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم وعن النبى صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم عبادة العالم يوما واحدا تعدل عبادة العابد أربعين سنة وعنه صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة هى واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه وقال صلى الله عليه وسلم أوحى الله الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انى عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعرى أى شئ ادرك من فاته العلم وأى شئ فات من أدرك العلم وعن الزبيرى العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال والعلوم أنواع فأشرفها أشرفها معلوما (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول) اذا أردتم مناجاته (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) أى قبل نجواكم وهى استعارة ممن له يدان كقول عمر رضى الله عنه أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته

نبيه صلى الله عليه وسلم ويثبطهم عن ذلك فأمرهم ان يقدموا صدقة عند مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الاغنياء وذلك انهم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته و يغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما أمروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فاما الفقراء وأهل العسرة فلم يجدوا شيئا واما الاغنياء وأهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة وقال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه الا علي بن أبي طالب تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان علي يقول آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ماترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات الآية قال فبي خفف الله عن هذه الامة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله قلت شعيرة أي وزن شعيرة من ذهب وقوله انك لزهيد يعني قليل المال قدرت على قدر حالك فان قلت في هذه الآية منقبة عظيمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه اذ لم يعمل بها أحد غيره قلت هو كما قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك ان الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الآية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى تقدير اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا ما يتصدقون به لو احتاجوا الى المناجاة فيكون ذلك سببا لحزن الفقراء اذ لم يجدوا ما يتصدقون به عند مناجاته ووجه آخر وهو ان هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب اليها انما كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة ولما كانت هذه المناجاة اولى بأن تترك لم يعملوا بها وليس فيها طعن على أحد منهم وقوله (ذلك خير لكم) يعني تقديم الصدقة على المناجاة لما فيه من طاعة الله ورسوله (وأطهر) اي لذنوبكم (فان لم تجدوا) يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به (فان الله غفور رحيم) يعني انه تعالى رفع عنهم ذلك (أأشفقتم) قال ابن عباس ابخلتم والمعنى اخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهو قوله (ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا) اي ما أمرتم به (وتاب الله عليكم) أي تجاوز عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ (فأقيموا الصلاة) أي المفروضة (وآتوا الزكاة) اي الواجبة (وأطيعوا الله ورسوله) أي فيما امر ونهى (والله خبير بما تعملون) اي انه محيط بأعمالكم ونياتكم قوله عز وجل (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) نزلت في المنافقين وذلك انهم تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين اليهم فاراد بقوله قوما غضب الله عليهم اليهود (ماهم) يعني المنافقين (منكم) اي من المؤمنين في الدين والولاء (ولا منهم) يعني ولا من اليهود (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) اي انهم كذبة نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق العينين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت وأصحابك فحلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فأنزل الله هذه الآية (أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم) يعني الكاذبة (جنة) اي يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم (فصدوا عن سبيل الله) يعني انهم صدوا المؤمنين عن جهادهم وأخذ أموالهم بسبب ايمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذي هو الاسلام (فلهم عذاب مهين) يعني في الآخرة (لن تغني عنهم

(ذلك) التقديم (خير لكم) في دينكم (وأطهر) لان الصدقة طهرة (فان لم تجدوا) ما تتصدقون به (فان الله غفور رحيم) في ترخيص المناجاة من غير صدقة قيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ وقال علي رضي الله عنه هذه آية من كتاب الله ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مسائل فأجابني عنها قلت يا رسول الله ما الوفاء قال التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله قلت وما الفساد قال الكفر والشرك بالله قلت وما الحق قال الاسلام والقرآن والولاية اذا انتهت اليك قلت وما الحيلة قال ترك الحيلة قلت وما علي قال طاعة الله وطاعة رسوله قلت وكيف أدعو الله قال بالصدق واليقين قلت وماذا أسأل الله قال العافية قلت وما أصنع لنجاة نفسي قال كل حلالا وقل صدقا قلت وما السرور قال الجنة قلت وما الراحة قال لقاء الله فلما فرغت منها نزل نسخها (أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذي تكرهونه (فاذ لم تفعلوا) ما أمرتم به وشق عليكم (وتاب الله عليكم) أي خفف عنكم وازال عنكم المؤاخذة بترك تقديم الصدقة على المناجاة كما أزال المؤاخذة بالذنب عن التائب عنه (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله) أي فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات (والله خبير بما تعملون) وهذا وعد ووعيد (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله من لعنه الله وغضب عليه وينقلون اليهم اسرار المؤمنين (ماهم منكم) يا مسلمون (ولا منهم) ولا من اليهود كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء (ويحلفون على الكذب) أي يقولون والله انا لمسلمون لا منافقون (وهم يعلمون) انهم كاذبون منافقون (أعد الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) أي انهم كانوا في الزمان الماضي مصرين على سوء العمل أو هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة (اتخذوا ايمانهم) الكاذبة (جنة) وقاية دون أموالهم ودمائهم (فصدوا) الناس في خلال أمنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) عن طاعته والايمان به (فلهم عذاب مهين) وعدهم العذاب المخزي لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (لن تغني عنهم

أموالهم ولا أولادهم) يوم القيامة (من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) يعني كاذبين انهم ما كانوا مشركين (كما يحلفون لكم) أي في الدنيا وقيل كان الحلف جنة لهم في الدنيا فظنوا انه ينفع في الآخرة أيضا (ويحسبون انهم على شيء) يعني من ايمانهم (الا انهم هم الكاذبون) يعني في أقوالهم وايمانهم (استحوذ عليهم الشيطان) أي غلب واستولى عليهم وملكهم (فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين) يعني في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة لان ذل أحد الخصمين على حسب عز الخصم الثاني ولما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية (كتب الله لاغلبن أنا ورسلي) اى قضى الله ذلك قضاء ثابتا قيل غلبة الرسل على نوعين فنهم من يؤمر بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة (ان الله قوي) اي على نصر رسله وأوليائه (عزيز) أي غالب على أعدائه قوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) أخبر الله تعالى ان ايمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين وان من كان مؤمنا لا يوالي من كفر لان من احب أحدا امتنع ان يحب عدوه * فان قلت قد اجتمعت الامة على انه تجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة قلت المودة المحظورة هي مناصحتهم وارادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم فأما ما سوى ذلك فلا حظر فيه ثم انه تعالى بالغ في الزجر عن مودتهم بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) يعني ان الميل الى هؤلاء من أعظم انواع الميل ومع هذا فيجب ان يطرح الميل الى هؤلاء والمودة لهم بسبب مخالفة الدين قيل نزلت هذه الآية في حاطب ابن أبي بلتعة حين كتب الى أهل مكة وستأتي قصته في سورة الممتحنة وروي عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال ولو كانوا آباءهم يعني أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه الجراح يوم أحد أو أبناءهم يعني أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال يا رسول الله دعني أكن فيه الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أو اخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل أخاه عبد الله بن عمير وعشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلي بن أبي طالب وحمزة وأبا عبيدة قتلوا عتبة وشيبة بني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر (أولئك كتب في قلوبهم الايمان) أي اثبت التصديق في قلوبهم فهي مؤمنة موقنة مخلصة وقيل حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه (وأيدهم بروح منه) أي قواهم بنصر منه وانما سمى نصره اياهم روحا لان به حيي أمرهم وقيل بالايمان وقيل بالقرآن وقيل بجبريل وقيل برحمته (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه) انما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لانه أعظم النعم وأجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم اتبعه بما يوجب ترك المودة لاعداء الله سبحانه وتعالى فقال (أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون) والله أعلم بمراده

(تفسير سورة الحشر)

قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضر وهي مدنية أربع وعشرون آية وأربعمائة وخمس وأربعون كلمة وألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا

أموالهم ولا أولادهم من الله) من عذاب الله (شيئا) قليلا من الاغناء (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) أي لله في الآخرة انهم كانوا مخلصين في الدنيا غير منافقين (كما يحلفون لكم) في الدنيا على ذلك (ويحسبون انهم) في الدنيا (على شيء) من النفع أو يحسبون انهم على شيء من النفع ثم بأيمانهم الكاذبة كما انتفعوا ههنا (الا انهم هم الكاذبون) حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والآخرة (استحوذ عليهم الشيطان) استولى عليهم (فأنساهم ذكر الله) قال شاه الكرماني علامة استحواذ الشيطان على العبد ان يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس ويشغل قلبه عن التفكر في آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان ويشغل لبه عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها (أولئك حزب الشيطان) جنده (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين) في جملة من هو اذل خلق الله تعالى لا ترى أحدا أذل منهم (كتب الله) في اللوح (لاغلبن أنا ورسلي) بالحجة والسيف أو بأحدهما (ان الله قوي) لا يمتنع عليه ما يريد (عزيز) غالب غير مغلوب (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون) هو مفعول ثان لتجد أو حال أو صفة لقوما وتجد بمعنى تصادف على هذا (من حاد الله) خالفه وعاداه (ورسوله) أي من الممتنع ان تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والمراد انه لا ينبغي ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في التوصية بالتصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) وبقوله (أولئك كتب في قلوبهم الايمان) أي اثبته فيها وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله (وأيدهم بروح منه) أي بكتاب أنزله فيه حياة لهم ويجوز ان يكون الضمير للايمان أي بروح من الايمان على انه في نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثوري انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن أبي رواد انه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه وتلاها وقال سهل من صحح ايمانه وأخلص توحيده فانه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه ويظهر له من نفسه العداوة ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ومن أجاب مبتدعا لطلب عز الدنيا أو غناها اذله الله بذلك العز وافقره بذلك الغنى ومن ضحك الى مبتدع نزع الله نور الايمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم) بتوحيدهم الخالص وطاعتهم (ورضوا عنه) بثوابه الجسيم في الآخرة وبما قضى عليهم في الدنيا (أولئك حزب الله) انصار حقه ودعاة خلقه (ألا ان حزب الله هم المفلحون) الباقون في النعيم المقيم الفائزون بكل محبوب الآمنون من كل مرهوب

(سورة الحشر مدنية وهي أربع وعشرون آية) بسم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم ه والذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم) قال المفسرون نزلت هذه السورة فى بنى النضير وهى طائفة من اليهود وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قال بنو النضير والله انه النبى الامى الذى نجد نعته فى التوراة لا ترد له راية فلما غزا احدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ونقضوا العهد الذى كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف فى أربعين راكبا من اليهود الى مكة فأتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل ابو سفيان فى أربعين من قريش وكعب بن الاشرف فى أربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين استار الكعبة ثم رجع كعب وأصحابه الى المدينة فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما عاقد عليه كعب وأبو سفيان وأمره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد ابن مسلمة غيلة وقد تقدمت القصة فى سورة آل عمران وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة حين أتاهم يستعينهم فى دية الرجلين المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى فى منصرفه من بئر معونة فهموا بطرح حجر على النبى صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله منهم وأخبره بذلك وقد تقدمت القصة فى سورة المائدة فلما قتل كعب بن الاشرف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بالمسير الى بنى النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبى صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف فقالوا يا محمد واعية على اثر واعية وباكية على اثر باكية قال نعم فقالوا ذرنا نبك شجونا ثم ائتمر أمرك فقال النبى صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب وأذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن أبى وأصحابه اليهم ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا اليه ان اخرج الينا فى ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقى بمكان نصف بيننا و بينك فيسمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين من أصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى كانوا فى براز من الارض فقال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من اصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن ارسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج فى ثلاثة من أصحابك ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان آمنوا بك آمنا بك وصدقناك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت امرأة ناصحة من بنى النضير الى أخيها وهو رجل مسلم من الانصار فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل اخوها سريعا حتى ادرك النبى صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل ان يصل اليهم فرجع النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد صبحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله فى قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فأبى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل من أموالهم الا الحلقة وهى السلاح وعلى ان يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم وقال ابن عباس على ان يحمل كل أهل بيت على بعير ما شاؤا من متاعهم وللنبى صلى الله عليه وسلم ما بقى وقيل أعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاء ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الى أذرعات وأريحاء من أرض الشأم الا أهل بيتين منهم آل ابى الحقيق

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) روى ان هذه السورة نزلت باسرها فى بنى النضير وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هذا النبى الذى نعته فى التوراة فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف فى أربعين راكبا الى مكة فحالف أبا سفيان عند الكعبة فأمر صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة ثم خرج صلى الله عليه وسلم مع الجيش اليهم فحاصرهم احدى وعشرين ليلة وأمر بقطع نخلهم فلما قذف الله الرعب فى قلوبهم طلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشأم الى اريحاء واذرعات (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى يهود بنى النضير (من ديارهم) بالمدينة والادم فى

(لأول الحشر) تعلق بأخرج وهي اللام في قوله تعالى ياليتني قدمت لحياتي وقوله جئته لوقت كذا أي اخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشر ان هذا أول حشرهم الى الشأم وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من أخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشأم او هذا أول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشأم او آخر حشرهم حشر يوم القيامة قال ابن عباس رضي الله عنهما من شك ان المحشر بالشأم فليقرأ هذه الآية فهم الحشر الاول وسائر الناس الحشر الثاني وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرجوا امضوا فانكم أول الحشر ونحن على الاثر قتادة اذا كان آخر الزمان جاءت نار من قبل المشرق فحشرت الناس الى أرض الشأم وبها تقوم عليهم القيامة وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لانه أول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ماظننتم ان يخرجوا) لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) أي ظنوا ان حصونهم تمنعهم من بأس الله والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذي جاء عليه ان في تقديم الخبر على المبتدا دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم (فأتاهم الله) أي امر الله وعقابه وفي الشواذ فآتاهم الله أي فآتاهم الهلاك (من حيث لم يحتسبوا) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد أخيه رضاعا (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) يخربون ابو عمرو والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد وكانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما اراد الله من استئصال شأفتهم وان لا تبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذي دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الازقة وان لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان في ابنيتهم من جيد الخشب والساج واما المؤمنون فداعيهم الى التخريب ازالة متحصنهم وان يتسع لهم مجال الحرب ومعنى تخريبهم لها بايدي المؤمنين انهم لما عرضوهم بنكث العهد لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم اياه (فاعتبروا يا أولي الابصار) اى فتأملوا فيما نزل بهؤلاء والسبب الذي استحقوا به ذلك فاحذروا ان تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم وهو دليل على جواز القياس (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من الوطن مع الاهل والولد (لعذبهم في الدنيا) بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة (ولهم) سواء أجلوا او قتلوا (في الآخرة عذاب النار) الذي لا أشد منه (ذلك بأنهم) أي انما اصابهم ذلك بسبب انهم (شاقوا الله) خالفوه (ورسوله ومن يشاق الله) ورسوله (فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة) هو بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كانه قيل أي شئ قطعتم وانث الضمير الراجع الى ما في قوله (أو تركتموها) لانه في معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها وقيل اللينة النخلة الكريمة كانهم اشتقوها من اللين (قائمة على أصولها فباذن الله) فقطعها وتركها باذن الله

وآل حيي بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب يعني بني النضير من ديارهم يعني التي كانت بالمدينة قال ابن اسحاق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد وفتح قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان (لأول الحشر) قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا قال ابن عباس من شك ان المحشر بالشأم فليقرأ هذه الآية فكان هذا أول حشر الى الشأم قال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى أين قال الى أرض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة الى الشأم وقيل انما قال لأول الحشر لانهم كانوا أول من اجلي من اهل الكتاب من جزيرة العرب ثم اجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل كان هذا أول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى اذرعات واريحاء من أرض الشأم في ايام عمر وقيل كان هذا أول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم يوم القيامة من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا (ماظننتم) يعني أيها المؤمنون (ان يخرجوا) اى من المدينة لعزتهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا أهل حصون وعقار ونخل كثير (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) أي وظن بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله (فأتاهم الله) اى أتاهم أمر الله وعذابه (من حيث لم يحتسبوا) وهو ان الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك (وقذف في قلوبهم الرعب) اى الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن الاشرف (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) قال الزهري وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدرات لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من ادبارهم فيخرجون الى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمونه بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاعتبروا) اى فاتعظوا وانظروا ما نزل بهم (يا أولي الابصار) أي ياذوي العقول والبصائر (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء) يعني الخروج من الوطن (لعذبهم في الدنيا) يعني بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة (ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك) اى الذي لحقهم ونزل بهم (بأنهم شاقوا الله ورسوله) أي خالفوا الله ورسوله (ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) قوله تعالى (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله) الآية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه

أنزل عليك الفساد فى الارض فوجد المسلمون فى أنفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا فى ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان باذن الله تعالى (ق) عن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فنزل ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين البويرة اسم موضع لبنى النضير وفى ذلك يقول حسان بن ثابت

وهان على سراة بنى لؤى * حريق بالبويرة مستطير

قال ابن عباس النخل كلها لينة ما خلا العجوة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم الا العجوة وأهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوان وقيل النخل كلها لينة الا العجوة والبرنية وقيل اللينة النخل كلها من غير استثناء وقال ابن عباس فى رواية أخرى عنه هى لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هى ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهو شديد الصفرة ويرى نواه من خارج يغيب فيه الضرس وكان من أجود تمرهم وأعجبه اليهم وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف وأحب اليهم من وصيف فلما رأوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون دعوا هذا النخل قائما هو لمن غلب عليه فأخبر الله ان قطعها كان باذنه (وليخزى الفاسقين) يعنى اليهود والمعنى ولاجل اخزاء اليهود أذن الله فى قطعها احتج العلماء بهذه الآية على ان حصون الكفار وديارهم لا بأس ان تهدم وتحرق وترمى بالمجانيق وكذلك قطع أشجارهم ونحوها قوله عز وجل (وما أفاء الله على رسوله) اى ما رد الله على رسوله (منهم) اى من يهود بنى النضير (فما أوجفتم عليه) يعنى اوضعتم وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) يعنى الابل التى تحمل القوم وذلك ان بنى النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى فى هذه الآية انهم لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليها شقة ولا نالوا مشقة وانما كانوا يعنى بنى النضير على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جمل (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) من اعدائه (والله على كل شئ قدير) أى فهى له خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة (ق) عن مالك بن اوس النضرى ان عمر دعاه اذ جاءه حاجبه فقال هل لك يا أمير المؤمنين فى عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستأذنون قال نعم فادخلهم فلبث قليلا ثم جاء فقال هل لك فى عباس وعلى يستأذنان قال نعم فأذن لهما فلما دخلا قال العباس يا أمير المؤمنين اقض بينى و بين هذا فقال القوم اجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وارح أحدهما من الآخر قال مالك بن اوس يخيل الى انهم قد كانوا قدموهم لذلك فقال عمر أنشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالوا نعم ثم أقبل عمر على العباس وعلى وقال انشدكما بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض أتعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالا نعم قال عمر ان الله خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها أحدا غيره فقال وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب قال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم أموال بنى النضير فوالله ما استأثرها عليكم ولا أخذها دونكم فقد اعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقى هذا المال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقة سنة ثم ما بقى يجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم أنشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض اتعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم نشد عباسا وعليا بمثل ما نشد القوم أتعلمان ذلك

(وليخزى الفاسقين) وليذل اليهود ويغيظهم أذن فى قطعها (وما أفاء الله على رسوله) جعله فيأ له خاصة (منهم) من بنى النضير (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) فلم يكن ذلك بايجاف خيل او ركاب منكم على ذلك والركاب الابل والمعنى فما أوجفتم على تحصيله و تغنيمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم فى القتال عليه وانما مشيتم اليه على أرجلكم لانه على ميلين من المدينة وكان صلى الله عليه وسلم على حمار فحسب (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) يعنى ان ما خول الله رسوله من أموال بنى النضير شئ لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما فى أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء ولا يقسمه قسمة الغنائم التى قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرا وقسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة منهم لفقرهم (والله على كل شئ قدير)

قالا نعم قال فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر أنا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه ابو بكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يعلم انه لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر فقلت انا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر فقبضته سنتين من امارتى اعمل فيها بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر والله يعلم انى فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم جئتمانى كلاكما وكلمتكما واحدة وامركما جميع فقلت لكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قلتم ادفعها الينا فلما بدا لى ان ادفعها اليكما قلت ان شئتما دفعته اليكما على ان عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وما عملت فيه منذ وليت والا فلا تكلمان فقلتما ادفعه الينا بذلك فدفعته اليكما افتلتمسان منى قضاء غير ذلك فوالله الذى باذنه تقوم السماء والارض لا اقضى فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنه فادفعاه الى فانى اكفيكماه قوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) يعنى من أموال كفار أهل القرى قال ابن عباس هى قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة (فلله وللرسول ولذى القربى) يعنى بنى هاشم وبنى عبد المطلب (واليتامى والمساكين وابن السبيل) قد تقدم تفسيره فى سورة الانفال فى حكم الغنيمة وقسمتها واما حكم الفىء فانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء فكان ينفق على أهله منه نفقة سنتهم ويجعل ما بقى مجعل مال الله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله واختلف العلماء فى مصرف الفىء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعى فيه قولان أحدهما انه للمقاتلة والثانى هو لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلفوا فى تخميس مال الفىء فذهب قوم الى انه يخمس فخمس لاهل خمس الغنيمة وأربعة للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين الى قوله والذين جاؤا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال وما على وجه الارض مسلم الا وله فى هذا الفىء حق الا ما ملكت ايمانكم (كيلا يكون) الفىء (دولة) والدولة اسم الشىء الذى يتداوله القوم بينهم (بين الاغنياء منكم) يعنى بين الرؤساء والاقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفى بعده ما شاء فجعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما أمره به (وما آتاكم الرسول فخذوه) اى من مال الفىء والغنيمة (وما نهاكم عنه) اى من الغلول وغيره (فانتهوا) وهذا نازل فى اموال الفىء وهو عام فى كل ما امر به النبى صلى الله عليه وسلم او نهى عنه من قول او عمل من واجب او مندوب او مستحب او نهى عن محرم فيدخل فيه الفىء وغيره (ق) عن عبد الله بن مسعود انه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بنى اسد يقال لها ام يعقوب وكانت تقرأ القرآن فأتته فقالت ما حديث بلغنى عنك انك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبد الله ومالى لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب الله تعالى فقالت المرأة لقد قرأت لوحى المصحف فما وجدته فقال ان كنت قرأتيه لقد وجدتيه قال الله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الوشم هو غرز العضو من الانسان بالابرة ثم يحشى بكحل والمستوشمة هى التى تطلب ان يفعل بها ذلك والنامصة هى التى تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هى التى تتكلف تفريج ما بين ثناياها بصناعة وقيل هى التى تتفلج فى مشيتها فكل ذلك منهى عنه (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفى رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد عن ابى رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه امر مما أمرت به او نهيت عنه فيقول لا ادرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه

اخرجه

ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) وانما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهى منها غير أجنبية عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة وزيف هذا القول بعض المفسرين وقال الآية الاولى نزلت فى أموال بنى النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة وهذه الآية فى غنائم كل قرية تؤخذ بقوة الغزاة وفى الآية بيان مصرف خمسها فهى مبتدأة (كيلا يكون دولة) تكون دولة يزيد على كان التامة والدولة والدولة ما يدول للانسان أى يدور من الجد ومعنى قوله كيلا يكون دولة (بين الاغنياء منكم) لئلا يكون الفىء الذى حقه ان يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به (وما آتاكم الرسول) اى ما أعطاكم من قسمة غنيمة او فىء (فخذوه) فاقبلوه (وما نهاكم عنه) عن اخذه (فانتهوا) عنه ولا تطالبوه

أخرجه ابوداود والترمذى وقال هذا حديث حسن الاريكة كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش او منصة او نحو ذلك (واتقوا الله) اى فى امر الفئ (ان الله شديد العقاب) اى على ترك ما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم او نهاكم عنه ثم بين من له الحق فى الفئ فقال عز وجل (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم) يعنى الجأهم كفار مكة الى الخروج (يبتغون فضلا من الله) اى رزقا وقيل ثوابا من الله (ورضوانا) اى خرجوا من ديارهم طلب الرضاء الله عز وجل (وينصرون الله ورسوله) اى بأنفسهم وأموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه واعلاء كلمته (أولئك هم الصادقون) اى فى ايمانهم قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دثار غيرها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة بأربعين خريفا وعن سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة أخرجه ابوداود قوله عز وجل (والذين تبوؤا الدار والايمان) يعنى الانصار توطنوا الدار وهى المدينة واتخذوها سكنا (من قبلهم) يعنى انهم اسلموا فى ديارهم وآثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين والمعنى والذين تبوؤا الدار من قبل المهاجرين وقد آمنوا لان الايمان ليس بمكان يتبوأ (يحبون من هاجر اليهم) وذلك انهم انزلوا المهاجرين فى منازلهم واشركوهم فى أموالهم (ولا يجدون فى صدورهم حاجة) اى حزازة وغيظا وحسدا (مما أوتوا) اى اعطى المهاجرون من الفئ دونهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بنى النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة فطابت انفس الانصار بذلك (ويؤثرون على أنفسهم) اى ويؤثر الانصار المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على انفسهم (ولو كان بهم خصاصة) اى فاقة وحاجة الى ما يؤثرون به (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى مجهود فأرسل الى بعض نسائه فقالت والذى بعثك بالحق ما عندى الا الماء ثم ارسل الى اخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابوطلحة فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شئ قالت لا الا قوت صبيانى قال فعلليهم بشئ ونوميهم فاذا دخل ضيفنا فأريه انا نأكل فاذا أهوى بيده ليأكل فقومى الى السراج كى تصلحيه فاطفئيه ففعلت فقعدوا واكل الضيف وباتا طاويين فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله او ضحك الله من فلان وفلانة زاد فى رواية فأنزل الله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن ابى هريرة قال قالت الانصار للنبى صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا فقالوا تكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمر قالوا سمعنا وأطعنا (خ) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الى ان يقطع لهم البحرين فقالوا الا ان تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها فقال اما لا فاصبروا حتى تلقونى على الحوض فانه سيصيبكم اثرة بعدى وفى رواية ستلقون بعدى اثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض الاثرة بفتح الهمزة والثاء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة واسكان الثاء والاول اشهر ومعناه الاستئثار وهو ان يستأثر عليكم بأمور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولا يجعل لكم فى الامر نصيب وقيل هو

(واتقوا الله) ان تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه (ان الله شديد العقاب) لمن خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم والاجود ان يكون عاما فى كل ما آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وأمر الفئ داخل فى عمومه (للفقراء) بدل من قوله ولذى القربى والمعطوف عليه والذى منع الابدال من لله وللرسول وان كان المعنى لرسول الله ان الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء فى قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب فى تعظيم الله عز وجل (المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) بمكة وفيه دليل على ان الكفار يملكون بالاستيلاء أموال المسلمين لان الله تعالى سمى المهاجرين فقراء مع انه كانت لهم ديار وأموال (يبتغون) حال (فضلا من الله ورضوانا) أى يطلبون الجنة ورضوان الله (وينصرون الله ورسوله) أى ينصرون دين الله ويعينون رسوله (أولئك هم الصادقون) فى ايمانهم وجهادهم (والذين) معطوف على المهاجرين وهم الانصار (تبوؤا الدار) توطنوا المدينة (والايمان) واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا أو وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك أو اراد دار الهجرة ودار الايمان فأقام لام التعريف فى الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه (من قبلهم) من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم فى تبوئ دار الدنيا والايمان وقيل من قبل هجرتهم (يحبون من هاجر اليهم) حتى شاطروهم أموالهم وانزلوهم منازلهم ونزل من كانت له امرأتان عن احداهما حتى تزوج بها رجل من المهاجرين (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا) ولا يعلمون فى أنفسهم طلب محتاج اليه مما اوتى المهاجرون من الفئ وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يعنى ان نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح الى شئ منه تحتاج اليه وقيل حاجة حسدا مما أعطى المهاجرون من الفئ حيث خصهم النبى صلى الله عليه وسلم به وقيل لا يجدون فى صدورهم مس حاجة من فقد ما أوتوا فحذف المضافان (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) فقر وأصلها خصاص البيت وهى فروجه والجملة فى موضع الحال أى مفروضة خصاصتهم روى انه نزل برجل منهم ضيف فنوم الصبية وقرب الطعام واطفأ المصباح ليشبع ضيفه ولا يأكل هو وعن أنس اهدى لبعضهم رأس مشوى وهو مجهود فوجهه الى جاره فتداولته تسعة أنفس حتى عاد الى الاول ابو يزيد قال لى شاب من أهل بلخ ما الزهد عندكم قلت اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ

من آثر اذا اعطى ارادانه يستأثر عليكم غيركم فيفضل فى نصيبه من الفئ والاستئثار الانفراد بالشئ وقيل الاثرة الشدة والاول أظهر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم أموالكم ودياركم ولم نقسم لكم شيئا من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا ودبارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فأنزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والشح فى كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين البخل والشح فقال البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التى تقتضى ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لاجرم قال الله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أى الفائزون بما ارادوا وروى ان رجلا قال لابن مسعود انى أخاف ان أكون قد هلكت قال وماذاك قال انى اسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدى شئ فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذى ذكر الله فى القرآن ولكن الشح ان تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشئ البخل وقال ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمع عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذى يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم وقيل من لم يأخذ شيئا نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيئا أمره الله باعطائه فقد وقاه الله شح نفسه (م) عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع أخرجه ابوداود الهلع أشد الجزع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعا شديدا ويحزن على شئ يفوته أو يخرج من يده والخالع الذى خلع فؤاده لشدة خوفه وفزعه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد أبدا أخرجه النسائى قوله تعالى (والذين جاؤا من بعدهم) يعنى من بعد المهاجرين والانصار وهم التابعون لهم الى يوم القيامة (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) أخبر انهم يدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) اى غشا وحسدا وبغضا (للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم) فكل من كان فى قلبه غل او بغض لاحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الآية لان الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرون ثم من بعدهم الانصار ثم من بعدهم التابعون الموصوفون بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا عن أقسام المؤمنين وليس له فى المسلمين نصيب وقال ابن أبى ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد ان لا تكون خارجا من هذه الثلاث منازل (ق) عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى فلو ان أحدكم انفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه (م) عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة يا ابن أختى أمروا ان يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه أخرجه الترمذى وقال مالك بن أنس من انتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان فى قلبه غل عليهم فليس له حق فى المسلمين ثم تلا هذه الآية ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الى والذين جاؤا من بعدهم الى رؤف رحيم وقال مالك بن مغول قال الشعبى يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم قالوا أصحاب موسى وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم قالوا حوارى عيسى وسئلت الرافضة

من

بل اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا آثرنا (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الظافرون بما ارادوا والشح الاثم وان تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع واما البخل فهو المنع نفسه وقيل الشح أن تأكل مال أخيك ظلما والبخل منع مالك وعن كسرى الشح أضر من الفقر لان الفقير يتسع اذا وجد بخلاف الشحيح (والذين جاؤا من بعدهم) عطف أيضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان وقيل من بعدهم الى يوم القيامة قال عمر رضى الله عنه دخل فى هذا الفئ كل من هو مولود الى يوم القيامة فى الاسلام فجعل الواو للعطف فيهما وقرئ للذين فيهما (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) وقيل هم المهاجرون والانصار (عائشة رضى الله عنها أمروا بأن يستغفروا لهم فسبوهم) (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) حقدا (للذين آمنوا) يعنى الصحابة (ربنا انك رؤف رحيم) وقيل لسعيد بن المسيب ما تقول فى عثمان وطلحة والزبير قال أقول ما قولنيه الله وتلا هذه الآية ثم عجب بنديه بقوله

(ألم تر الى الذين نافقوا) أى ألم تر يا محمد الى عبد الله بن ابى وأشياعه (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى بنى النضير والمراد اخوة الكفر (لئن أخرجتم) من دياركم (لنخرجن معكم) روى ان ابن أبى وأصحابه دسوا الى بنى النضير حين حاصرهم النبى صلى الله عليه وسلم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم (ولا نطيع فيكم) فى قتالكم (أحدا أبدا) من رسول الله والمسلمين ان حملنا عليه أو فى خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصرة (وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون) فى مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون) وانما قال ولئن نصروهم بعد الاخبار بأنهم لا ينصرون على الفرض والتقدير كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك أى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينهزمن اليهود ثم لا تنفعهم نصرة المنافقين (لانتم أشد رهبة) أى اشد مرهوبية مصدر رهب المبنى للمفعول وقوله (فى صدورهم) دلالة على نفاقهم يعنى انهم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله وأنتم اهيب فى صدورهم (من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته (لا يقاتلونكم) لا يقدرون على مقاتلتكم (جميعا) مجتمعين يعنى اليهود والمنافقين (الا) كائنين (فى قرى محصنة) بالخنادق والدروب (أو من وراء جدر) جدار مكى وابو عمرو (بأسهم بينهم شديد) يعنى ان البأس الشديد الذى يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لان الشجاع يجبن عند محاربة الله ورسوله (تحسبهم) أى اليهود والمنافقين (جميعا) مجتمعين ذوى ألفة واتحاد (وقلوبهم شتى) متفرقة لا الفة بينها يعنى ان بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد وهذا تحسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم (ذلك) التفرق (بأنهم قوم لا يعقلون) ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على ارواحهم (كمثل الذين من قبلهم) اى مثلهم كمثل اهل بدر فحذف المبتدا (قريبا) أى استقروا من قبلهم زمنا قريبا (ذاقوا وبال أمرهم) سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلأ وبيل وخيم سيء العاقبة يعنى ذاقوا عذاب القتل فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) أى ولهم مع ذلك فى الآخرة عذاب النار (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر)

من شر أهل ملتكم فقالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمروا ان يستغفروا لهم فسبوهم والسيف مسلول عليهم الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وادحاض حجتهم أعاذنا الله واياكم من الاهواء المضلة وروى عن جابر قال قيل لعائشة ان ناسا يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أبا بكر وعمر فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل وأحب الله ان لا يقطع عنهم الاجر وروى أن ابن عباس سمع رجلا ينال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له من المهاجرين الاولين أنت قال لا قال فمن الانصار أنت قال لا قال فأنا أشهد بأنك لست من التابعين لهم باحسان قوله عز وجل (ألم تر الى الذين نافقوا) يعنى أظهروا خلاف ما أضمروا وهم عبد الله بن أبى بن سلول وأصحابه (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى من بنى قريظة وبنى النضير وانما جعل المنافقين اخوانهم لانهم كفار مثلهم (لئن أخرجتم) أى من المدينة (لنخرجن معكم) أى منها (ولا نطيع فيكم احدا أبدا) يعنى ان سألنا أحد خلافكم وخذلانكم فلا نطيعه فيكم (وان قوتلتم لننصرنكم) اى لنعيننكم ولنقاتلن معكم (والله يشهد انهم) يعنى المنافقين (لكاذبون) اى فيما وعدوا ثم أخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان الامر كذلك فانهم أخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم (ولئن نصروهم ليولن الادبار) يعنى لو قدروا نصرهم أو لو قصدوا نصر اليهود لولوا الادبار منهزمين (ثم لا ينصرون) يعنى بنى النضير لا يصيرون منصورين اذا انهزم ناصرهم (لانتم) يعنى يا معشر المسلمين (أشد رهبة فى صدورهم من الله) اصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى انهم يرهبونكم ويخافون منكم أشد من رهبتهم من الله (ذلك) اى الخوف منكم (بأنهم قوم لا يفقهون) يعنى عظمة الله تعالى (لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة) اى لا يبرزون لقتالكم انما يقاتلونكم محصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى (أو من وراء جدار) وقرئ جدر (بأسهم بينهم شديد) اى بعضهم على بعض أو عداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم فهم اجبن خلق الله (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) اى متفرقة مختلفة قال قتادة اهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة أعمالهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون فى عداوة أهل الحق وقيل اراد ان دين المنافقين وآراءهم يخالف دين اليهود وآراءهم (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) ثم ضرب لليهود مثلا فقال تعالى (كمثل الذين من قبلهم قريبا) يعنى مشركى مكة (ذاقوا وبال أمرهم) يعنى القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بنى النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعنى بنى قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بنى النضير وكان بينهما سنتان (ولهم عذاب أليم) أى فى الآخرة ثم ضرب مثلا آخر للمنافقين واليهود جميعا فى تخاذلهم وتخلى بعضهم عن بعض فقال تعالى (كمثل الشيطان) أى مثل المنافقين مع بنى النضير وخذلانهم اياهم كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) وذلك ما روى عن عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا تعبد فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس أعياه فى امره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال الا احد منكم يكفينى امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبياء وهو الذى تصدى للنبى صلى الله عليه وسلم وجاءه فى صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحى فلحقه جبريل عليه السلام فدفعه الى اقصى الهند لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل

من صلاته الا فى كل عشرة ايام مرة فلما رأى الابيض انه لا يجيبه اقبل على العبادة فى اصل الصومعة فلما
انفتل برصيصا من صلاته اطلع من صومعته فرأى الابيض قائما يصلى فى هيئة حسنة على هيئة الرهبان
فلما رأى ذلك من حاله ندم فى نفسه أى لام نفسه حين لم يجبه فقال له انك ناديتنى وكنت مشتغلا عنك
فما حاجتك قال الابيض حاجتى انى جئت لأكون معك فأتأدب بادبك وأقتبس من عملك ونجتمع
على العبادة فتدعو لى وادعو لك قال برصيصا انى لفى شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما
للمؤمنين نصيبا ان استجاب لى ثم اقبل على صلاته وترك الابيض واقبل الابيض يصلى فلم يلتفت اليه
برصيصا اربعين يوما فلما انفتل بعدها رآه قائما يصلى فلما رأى برصيصا شدة اجتهاد الابيض قال له
ما حاجتك قال حاجتى ان تأذن لى فأرتفع اليك فأذن له فارتفع اليه فى صومعته فأقام حولا يتعبد لا يفطر
الا فى كل أربعين يوما مرة ولا ينفتل عن صلاته الا كذلك وربما مد الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده
تقاصرت اليه نفسه واعجبه شأن الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا انى منطلق فان لى صاحبا
غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رأيت وكان يبلغنا عنك غير الذى رأيت فدخل من ذلك على برصيصا
أمر شديد وكره مفارقته لما رأى من كثرة اجتهاده ولما ودعه الابيض قال له ان عندى دعوات اعلمكها
تدعو بهن فهن خير لك مما أنت فيه يشفى الله بها السقيم ويعافى بها المبتلى والمجنون قال برصيصا انا اكره
هذه المنزلة لان لى فى نفسى شغلا وانى اخاف ان علم الناس شغلونى عن العبادة فلم يزل به الابيض حتى علمه
ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال قد والله اهلكت الرجل قال فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم
جاء فى صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا افأعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يقدر فقال لهم انى
لا اقوى على جنته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذى
اذا دعا به اجيب قال فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان
الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية
من بنات ملوك بنى اسرائيل ولها ثلاثة اخوة وكان ابوهم هو الملك فلما مات استخلف اخاه فكان عم
تلك الجارية ملك بنى اسرائيل فخنقها وعذبها ثم جاء اليهم كما كان يأتى الناس فى صورة متطبب فقال
لهم اعالجها قالوا نعم فقال ان الذى عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى من تثقون به تدعونها
عنده فاذا جاء شيطانها دعا لها فاذا علمتم انها قد عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا
وكيف لنا ان يجيبنا الى هذا وهو اعظم شأنا من ذلك قال فانطلقوا فابنوا صومعة الى جنب صومعته حتى
تشرف عليه فان قبلها والا فضعوها فى صومعتها وقولوا له هذه أمانة عندك فاحتسب امانتك قال
فانطلقوا فسألوه ذلك فأبى عليهم فبنوا صومعة على ما أمرهم الابيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية فى
صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه اختنا امانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن
صلاته حتى عاين الجارية وما هى عليه من الجمال فوقعت فى قلبه ودخل عليه امر عظيم فجاءها الشيطان
فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم أقبل برصيصا على صلاته فجاءها الشيطان
فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال له ويحك واقعها فلم تجد مثلها
وستتوب بعد ذلك فتدرك ما تريده من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل كذلك يأتيها حتى حملت وظهر
حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك ان تقتلها وتتوب فان سألوك فقل
ذهب بها شيطانها فلم اقف عليه فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها
بالليل فأخذ بطرف ازارها فبقى خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته واقبل على صلاته
اذ جاء اخوتها يتعاهدون اختهم وكانوا يجيئون فى بعض الايام يسألون عنها ويوصونه بها فقالوا يا برصيصا
ما فعلت اختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا فلما امسوا وهم مكروبون جاء
الشيطان الى اكبرهم فى منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها فى موضع كذا

وكذا

وكذا فقال هذا حلم وهو من الشيطان ان برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث به فانطلق الشيطان الى اوسطهم فقال الاوسط مثل ماقال الاكبر ولم يخبر به أحدا فانطلق الى اصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الاوسط أنا والله قد رايت مثله فقال الاكبر وانا والله قد رأيت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا مافعلت اختنا فقال أليس قد اعلمتكم بحالها فانكم قد اتهمتموني فقالوا لا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها المدفونة فى موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا اختهم على مارأوه فى النوم فمشوا والهم وغلمانهم معهم الفؤس والمساحى فهدموا صومعة برصيصا وأنزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا به للملك فأقر على نفسه وذلك ان الشيطان اتاه فوسوس له فقال له تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك امران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف أمر بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الابيض فقال يابرصيصا تعرفني فقال لا قال أنا صاحبك الذى علمتك الدعوات وكنت اذا دعوت بهن يستجاب لك ويحك مااتقيت الله فى أمانتك خنت أهلها وانك زعمت انك اعبد بنى اسرائيل اما استحييت فلم يزل يعيره ويعنفه حتى قال فى آخر ذلك ألم يكفك ماصنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت أشباهك من الناس وفضحت نفسك فان مت على هذه الحالة لن تفلح ابدا ولن يفلح أحد من نظرائك قال فكيف أصنع قال تطيعني فى خصلة واحدة حتى أخلصك مما أنت فيه فآخذ بأعينهم واخرجك من مكانك قال وماهى قال تسجد لى قال مااستطيع افعل قال بطرفك افعل فسجد له برصيصا فقال يابرصيصا هذا الذى اردت منك صارت عاقبة امرك الى ان كفرت بربك (فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين) قال الله تعالى (فكان عاقبتهما) يعنى الشيطان وذلك الانسان (انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل لليهود بنى النضير والمنافقين من أهل المدينة وذلك ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم باجلاء بنى النضير فدس المنافقون الى اليهود وقالوا لا تجيبوا محمدا الى مادعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وان أخرجكم خرجنا معكم فأجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا فى ديارهم رجاء نصر المنافقين فخذلوهم وتبرؤا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون فى بنى اسرائيل الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسق والفجور فى الاحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان من أمر جريج الراهب ما كان فلما برأه الله مما رموه به من الزنا انبسطت الرهبان بعده وظهروا للناس وكانت قصة جريج على ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا صالحا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلى فيها فقالت ياجريج فقال يارب امى وصلاتى فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته فقالت ياجريج فقال يارب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها معهم فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فأتت راعيا كان يأوى الى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ماشأنكم فقالوا زنيت بهذه البغى فولدت منك فقال أين الصبى فجاؤا به فقال دعونى حتى أصلى فصلى فلما انصرف اتى الصبى فطعن فى بطنه وقال ياغلام من أبوك قال فلان الراعى قال فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له نبنى لك صومعتك من ذهب قال أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبى يرضع من امه فمر رجل راكب على دابة فارهة ذوشارة حسنة فقالت امه اللهم اجعل ابنى مثل هذا فترك الثدى واقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم لا تجعلنى مثل هذا ثم اقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكانى انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكى ارتضاعه باصبعه السبابة فى فيه فجعل يمصها قال ومر بجارية وهم

فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين) أى مثل المنافقين فى اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم كمثل الشيطان اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرأ منه فى العاقبة وقيل المراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الى قوله انى برىء منكم (فكان عاقبتهما) عاقبة الانسان الكافر والشيطان (أنهما فى النار خالدين فيها) وخبرها عاقبتهما اخبر كان مقدم وأن مع اسمها وخبرها أى فى النار فى موضع الرفع على الاسم وخالدين حال (وذلك جزاء الظالمين

ياايها الذين امنوا اتقوا الله) فى أوامره فلا تخالفوها (ولتنظر نفس) نكر النفس تقليلا للانفس النواظر فيما قدمن للآخرة (ما قدمت لغد) يعنى يوم القيامة سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له او عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد وتنكيره لتعظيم أمره اى لغد لا يعرف

كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا (واتقوا الله) كرر الامر بالتقوى تأكيدا او واتقوا الله فى اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله فى ترك المعاصى لانه قرن بما يجرى مجرى الوعيد وقوله (ان الله خبير بما تعملون) فيه تحريض على المراقبة لان من علم وقت فعله ان الله مطلع على ما يرتكب من الذنوب يمتنع عنه (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) تركوا ذكر الله عز وجل وما أمرهم به (فأنساهم أنفسهم) فتركهم من ذكره بالرحمة والتوفيق (أولئك هم الفاسقون) الخارجون عن طاعة الله (لا يستوى اصحاب النار وأصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون) هذا تنبيه للناس وايذان بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وان الفوز العظيم مع اصحاب الجنة والعذاب الاليم مع اصحاب النار فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذى يقتضى البر والتعطف وقد استدلت الشافعية بهذه الآية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء وقد أجبنا عن مثل هذا فى أصول الفقه والكافى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) أى من شأن القرآن وعظمته انه لو جعل فى الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن لخشع أى لخضع وتطأطأ وتصدع اى تشقق من خشية الله وجائز ان يكون هذا تمثيلا كما فى قوله انا عرضنا الامانة ويدل عليه قوله (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) وهى اشارة الى هذا المثل والى امثاله فى مواضع من التنزيل والمراد توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره ثم ردّ على من اشرك وشبهه بخلقه فقال (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) أى السر والعلانية أو الدنيا والآخرة او المعدوم والموجود (هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك) الذى لا يزول ملكه (القدوس) المنزه عن النقائص القبائح وفى تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح (السلام) الذى سلم الخلق من ظلمه عن الزجاج

يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهى تقول حسبى الله ونعم الوكيل فقالت امه اللهم لا تجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلنى مثلها فهنالك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابنى مثله فقلت اللهم لا تجعلنى مثله ومررنا بهذه الامة وهم يضربونها وهم يقولون زنت وسرقت فقلت اللهم لا تجعل ابنى مثلها فقلت اللهم اجعلنى مثلها فقال ان ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلنى مثله وان هذه يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلنى مثلها أخرجه مسلم بتمامه وهذا لفظه واخرجه البخارى مفرقا حديث جريج تعليقا وحديث المرأة وابنها خاصة المومسات الزوانى جمع مومسة وهى المرأة الفاجرة والبغى الزانية أيضا وقوله يتمثل بحسنها أى يتعجب منه ويضرب به المثل وقوله ذو شارة حسنة اى صاحب جمال ظاهر فى الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك والجبار العاتى المتكبر القاهر للناس قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) اى لينظر احدكم اى شئ قدم لنفسه من الاعمال عملا صالحا ينجيه أم سيئا يوبقه والمراد بالغد يوم القيامة وقربه على الناس كان يوم القيامة يأتى غدا وكل ما هو آت فهو قريب (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) قيل كرر الامر بالتقوى تأكيدا وقيل معنى الاول واتقوا الله فى اداء الواجبات ومعنى الثانى واتقوا الله فلا تأتوا المنهيات (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) اى تركوا أمر الله (فأنساهم أنفسهم) اى انساهم حظوظ انفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها عنده (أولئك هم الفاسقون لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) لما ارشد المؤمنين الى ما يصلحهم بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فأنساهم انفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله لا يستوى اصحاب النار يعنى الذين هم فى العذاب الدائم واصحاب الجنة يعنى الذين هم فى النعيم المقيم ثم اتبعه بقوله اصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم ان من جعل له النعيم المقيم فقد فاز فوزا عظيما قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) قيل معناه انه لو جعل فى الجبل تمييزا وعقلا كما جعل فيكم وانزل عليه القرآن لخشع اى تطأطأ وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى ان الجبل مع صلابته ورزانته مشفق من خشية الله وحذر من ان لا يؤدى حق الله تعالى فى تعظيم القرآن والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر والاحكام كانه لم يسمعها وصفه بقساوة القلب فهو غافل عما يتضمنه القرآن من المواعظ والامثال والوعد والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب مما لا يجب بأحسن بيان واوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه اوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لان الجبل لا يتصور منه الخشوع والخشية الا ان يخلق الله تعالى له تمييزا وعقلا يدل على انه تمثيل قوله تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) اى الغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم ولما وصف القرآن بالعظم اتبعه بوصف عظمته فقال تعالى (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) يعنى انه تعالى أعلم بما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه وما علموه وقيل استوى فى علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والآخرة (هو الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمة الله ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان الرحمن اشد مبالغة من الرحيم ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان احسانه تعالى فى الدنيا يعم المؤمن والكافر وفى الآخرة يختص احسانه وانعامه بالمؤمنين (هو الله الذى لا اله الا هو الملك) أى المتصرف بالامر والنهى فى جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته (القدوس) أى الطاهر عن كل عيب المنزه عما لا يليق

به وقيل هو الذى كثرت بركته (السلام) اى الذى سلم من النقائص وكل آفة تلحق الخلق فان قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن قلت الفرق بينهما أن القدوس اشارة الى براءته عن جميع العيوب والنقائص فى الماضى والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرأ عليه شئ من العيوب والنقائص فى المستقبل فان الذى يطرأ عليه شئ من ذلك تزول سلامته ولا يبقى سليما وقيل السلام اى يسلم خلقه من ظلمه (المؤمن) قال ابن عباس هو الذى أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما أوعد الكافرين من العذاب (المهيمن) قال ابن عباس الشهيد على عباده بأعمالهم الذى لا يغيب عنه شئ وقيل هو القائم على خلقه برزقه وأنشد فى معناه

ألا ان خير الناس بعد نبيه * مهيمنه التاليه فى العرف والنكر

اى القائم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضى وقيل هو بمعنى الامين والمؤتمن وقيل بمعنى العلى ومنه قول العباس يمدح النبى صلى الله عليه وسلم فى أبيات منها

حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء زانها النطق

وقيل المهيمن اسم من أسماء الله تعالى هو اعلم بتأويله وأنشدوا فى معناه

جل المهيمن عن صفات عبيده * ولقد تعالى عن عقول أولى النهى

راموا بزعمهم صفات مليكهم * والوصف يعجز عن مليك لا يرى

(العزيز) اى الذى لا يوجد له نظير وقيل الغالب القاهر (الجبار) قال ابن عباس جبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعنى الذى يغنى الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغنى كل فقير وقيل هو الذى يجبر الخلق ويقهرهم على ما أراد وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذى اذا أراد أمرا فعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذى لا ينال ولا يدانى والجبار فى صفة الله تعالى صفة مدح وفى صفة الناس صفة ذم وكذلك (المتكبر) فى صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذى يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص فى حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا أظهر الكبر كان كذبا فى فعله فكان مذموما فى حق الناس وأما المتكبر فى صفة الله تعالى فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا قال فى آخر الآية (سبحان الله عما يشركون) كانه قيل ان بعض الخلق يتكبر فيكون ذلك نقصا فى حقه أما الله تعالى فله العلو والعظمة والعزة والكبرياء فان اظهر ذلك كان ضم كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر هو الذى تكبر بربوبيته فلا شئ مثله وقيل هو الذى تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجماله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر والكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحان الله عما يشركون اى من ادعاء الكبر لانفسهم (هو الله الخالق) اى المقدر فهو سبحانه وتعالى قدر افعاله على وجوه مخصوصة فهو راجع الى الارادة وقيل معناه المقدر لما يوجده وقيل المقدر يقلب الشئ بالتدبير الى غيره (البارئ) اى المخترع المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود (المصور) اى الذى يخلق صورة الخلق على ما يريده الممثل للمخلوقات بالعلامات التى يتميز بعضها عن بعض وقيل الخالق المبتدئ للخلق المخترع له على غير مثال سبق البارئ المنشئ لما يريد بخلقه فيظهره من العدم الى الوجود المصور لما خلقه وانشأه على صور مختلفة واشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل فأولا يكون خلقا ثم برأ ثم تصويرا وانما قدم الخالق على البارئ لان تأثير الارادة مقدم على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذات مقدم على ايجاد الصفات (له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) عن معقل بن يسار رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث

(المؤمن) واهب الامن ومن الزجاج الذى أمن الخلق من ظلمه والمؤمن من عذابه من أطاعه (المهيمن) الرقيب على كل شئ الحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء (العزيز) الغالب غير المغلوب (الجبار) العالى العظيم الذى يذل له من دونه أو العظيم الشأن فى القدرة والسلطان او القهار ذو الجبروت (المتكبر) البليغ الكبرياء والعظمة (سبحان الله عما يشركون) نزه ذاته عما يصفه به المشركون (هو الله الخالق) المقدر لما يوجده (البارئ) الموجد (المصور) فى الارحام (له الاسماء الحسنى) الدالة على الصفات العلا (يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) ختم السورة بما بدأ به عن أبى هريرة رضى الله عنه سألت حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسم الاعظم فقال عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته فأعدت عليه فأعاد على فأعدت عليه فأعاد على

آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى فان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان كذلك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب والله أعلم

(سورة الممتحنة مدنية)

وهى ثلاث عشرة آية وثلثمائة وثمان وأربعون كلمة وألف وخمسمائة وعشرة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عزوجل (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) الآية (ق) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجى الكتاب فقالت مامعى من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبى صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض أمر النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياحاطب ماهذا فقال يارسول الله لاتعجل على انى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فأحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى وما فعلته كفرا ولا ارتدادا عن دينى ولا أرضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر دعنى يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا ومايدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عزوجل ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء الى قوله سواء السبيل روضة خاخ روضة بقرب حمراء الاسد من المدينة وقيل انه موضع قريب من مكة والاول أصح والظعينة المرأة المسافرة سميت بذلك لملازمتها الهودج والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون نزلت هذه الآية فى حاطب بن أبى بلتعة كما جاء فى الحديث وذلك ان سارة مولاة لابى عمرو بن صيفى ابن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والعشيرة والموالى وقد ذهبت موالى وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطونى وتكسونى وتحملونى فقال لها وأين أنت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت ماطلب منى شئ بعد وقعة بدر فحث عليها بنى عبد المطلب فأعطوها نفقة وكسوها وحملوها فأتاها حاطب بن أبى بلتعة حليف بنى أسد بن عبد العزى فكتب معها الى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على ان توصل الكتاب الى أهل مكة وكتب فى الكتاب من حاطب بن أبى بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وأبا مرثد فرسانا فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه لكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى أدركوها فى ذلك المكان الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها أين الكتاب فحلفت بالله مامعها من كتاب فبحثوا وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال على والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل السيف وقال أخرجى الكتاب والا لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رأت الجد أخرجته من ذوائبها وكانت قد خبأته فى شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل

رسول

(بسم الله الرحمن الرحيم)

روى ان مولاة لابى عمرو بن صيفى بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها أمسلمة جئت قالت لا قال أفمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت احتجت حاجة شديدة فحث عليها بنى عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فأتاها حاطب بن أبى بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب بن ابى بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فأدركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال على والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه وقال لها أخرجى الكتاب أو تضعى رأسك فأخرجته من عقاص شعرها وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هى أحدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يارسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم أكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيرى فخشيت على اهلى فأردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم بأسه وان كتابى لا يغنى عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر رضى الله عنه دعنى يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم ومايدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ماشئتم قد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضى الله عنه فنزل (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) عدى اتخذ الى مفعوليه

وهما عدوّى وأولياء والعدوّ فعول من عدا كعفو من عفا ولكنه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد وفيه دليل على ان الكبيرة لا تسلب اسم الايمان (تلقون) حال من الضمير فى لا تتخذوا والتقدير لا تتخذوهم اولياء ملقين (اليهم بالمودّة) اومستأنف بعد وقف على التوبيخ والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم والباء فى بالمودة زائدة مؤكدة للتعدى كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اوثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودّة التى بينكم وبينهم (وقد كفروا) حال من لا تتخذوا ومن تلقون اى لا تتولوهم أوتوادونهم وهذه حالهم (بما جاءكم من الحق) دين الاسلام والقرآن (يخرجون الرسول واياكم) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم اوحال من كفروا (أن تؤمنوا) تعليل ليخرجون اى يخرجونكم من مكة لايمانكم (بالله ربكم ان كنتم خرجتم) متعلق بلا تتخذوا أى لا تتولوا اعدائى ان كنتم اوليائى وقول النحويين فى مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه (جهادا فى سبيلى) مصدر فى موضع الحال اى ان كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى (وابتغاء مرضاتى) ومتبعين مرضاتى (تسرون اليهم بالمودّة) اى تفضون اليهم بمودتكم سرا وتسرون اليهم أسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة وهو استئناف (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) والمعنى أى طائل لكم فى اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان فى علمى وانا مطلع رسولى على ما تسرون (ومن يفعله) أى هذا الاسرار (منكم فقد ضل سواء السبيل) فقد اخطأ طريق الحق والصواب (ان يثقفوكم) ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم (يكونوا لكم أعداء) خالصى العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بالقتل والشتم (وودّوا لو تكفرون) وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذا موادة امثالهم خطأ عظيم منكم والماضى وان كان يجرى فى باب الشرط مجرى المضارع ففيه نكتة كانه قيل ودوا قبل كل شئ كفركم وارتدادكم يعنى انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو اهم شئ عنده ان يقصد اهم شئ عند صاحبه (لن تنفعكم ارحامكم) قراباتكم (ولا اولادكم) الذين

توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال (يوم القيامة يفصل بينكم) وبين اقاربكم واولادكم يوم يفر المرء من اخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا يفصل عاصم يفصل حمزة وعلى والفاعل هو الله عز وجل يفصل ابن ذكوان غيرهم يفصل (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على اعمالكم (قد كانت لكم أسوة) قدوة فى التبرئ من الاهل (حسنة فى ابراهيم) أى فى أقواله ولهذا استثنى منها الا قول ابراهيم (والذين معه) من المؤمنين وقيل كانوا انبياء (اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم) جمع برئ كظريف وظرفاء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة) بالافعال (والبغضاء) بالقلوب (أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) فحينئذ نترك عداوتكم (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) وذلك لموعدة وعدها اياه أى اقتدوا به فى اقواله ولا تأتسوا به فى الاستغفار لابيه الكافر (وما أملك لك من الله من شئ) أي من هداية ومغفرة وتوفيق وهذه الجملة لا تليق بالاستثناء الا

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فأتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت فقال والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا منهم وكان اهلى بين ظهرانيهم فخشيت على أهلى فأردت ان اتخذ لى عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل بهم بأسه وان كتابى لا يغنى عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله دعنى اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله فى شأن حاطب بن أبى بلتعة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء يعنى اصدقاء وانصارا (تلقون اليهم بالمودّة) أى بأسباب المحبة وقيل معناه تلقون اليهم اخبار النبى صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التى بينكم وبينهم (وقد كفروا) أى وحالهم انهم كفروا (بما جاءكم من الحق) يعنى القرآن (يخرجون الرسول واياكم) يعنى من مكة (أن تؤمنوا) أى لأن آمنتم كانه قال يفعلون ذلك لايمانكم (بالله ربكم ان كنتم خرجتم) هذا شرط جوابه متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم (جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) فلا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء وقوله (تسرون اليهم بالمودّة) أى بالنصيحة (وانا أعلم بما أخفيتم) أى من المودّة للكفار (وما أعلنتم) اى أظهرتم بالسنتكم منها (ومن يفعله منكم) أى الاسرار والقاء المودّة اليهم (فقد ضل سواء السبيل) أى أخطأ طريق الهدى ثم أخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى (ان يثقفوكم) أى يظفروا بكم ويروكم (يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) أى بالضرب والقتل والشتم والسب (وودّوا) أى تمنوا (لو تكفرون) أى ترجعون الى دينهم كما كفروا والمعنى ان اعداء الله لا يخلصون المودة لاولياء الله ولا يناصحونهم لما بينهم من الخلاف فلا تناصحوهم انتم ولا تودوهم (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم) أى لا يدعونكم ولا يحملنكم ذوو ارحامكم وقراباتكم واولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل اخبارهم وموالاة اعدائهم فانه لا تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم الذين عصيتم الله لاجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) أى يدخل أهل طاعته الجنة واهل معصيته النار (والله بما تعملون بصير) قوله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم) يخاطب حاطبا والمؤمنين ويأمرهم بالاقتداء بابراهيم عليه الصلاة والسلام (والذين معه) أى من أهل الايمان (اذ قالوا لقومهم) يعنى المشركين (انا برآء منكم) جمع برئ (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) اى جحدناكم وانكرنا دينكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) والمعنى ان ابراهيم واصحابه تبرؤا من قومهم وعادوهم لكفرهم فأمر حاطبا والمؤمنين ان يتأسوا بهم (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) يعنى لكم ان تتأسوا بابراهيم فى جميع أموره الا فى الاستغفار لابيه المشرك فلا تتأسوا به فان ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين له اقامته على الكفر تبرأ منه (وما أملك لك من الله من شئ) هذا من قول ابراهيم لابيه يعنى ما أغنى عنك ولا ادفع عنك عذاب الله ان عصيته

ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيئا ولكن المراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده تابع له كانه قال أستغفر لك وما فى طاقتى الا الاستغفار (ربنا عليك توكلنا) متصل بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة وقيل معناه قولوا ربنا فهو ابتداء أمر من الله للمؤمنين بان يقولوه (واليك أنبنا) اقبلنا (واليك المصير) المرجع (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أى لا تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) أى الغالب الحاكم (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) ثم كرر الحث على الائتساء بابراهيم عليه السلام وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذا جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية فى التأكيد وابدل من قوله لكم قوله لمن كان يرجو الله أى ثوابه أى يخشى الله وعقبه بقوله (ومن يتول) يعرض عن أمرنا و يوال الكفار (فان الله هو الغنى) عن الخلق (الحميد) المستحق للحمد فلم يترك نوعا من التأكيد الاجاء به ولما نزلت هذه الآيات وتشدد المؤمنون فى عداوة آبائهم وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين اطمعهم فى تحول الحال الى خلافه فقال (عسى الله ان يجعل بينكم و بين الذين عاديتم منهم) أى من اهل مكة من اقربائكم (مودة) بان يوفقهم للايمان فلما يسر فتح مكة اظفرهم الله بامنيتهم فأسلم قومهم وتم بينهم التحاب وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون فى بعض الحوائج عسى اولعل فلا تبقى شبهة للمحتاج فى تمام ذلك اواريد به اطماع المؤمنين (والله قدير) على تقليب القلوب وتحويل الاحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) لمن أسلم من المشركين (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم) تكرموهم وتحسنوا اليهم قولا وفعلا ومحل ان تبروهم جر على البدل من الذين لم يقاتلوكم وهو بدل اشتمال والتقدير عن بر الذين (وتقسطوا اليهم) وتفضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم واذا نهى عن الظلم فى حق المشرك فكيف فى حق المسلم (ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم) هو بدل من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولى هؤلاء (ومن يتولهم) منكم (فأولئك هم الظالمون) حيث وضعوا التولى غير موضعه (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات) سماهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة اولانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان (مهاجرات) نصب على الحال (فامتحنوهن) فابتلوهن بالنظر فى الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وعن ابن عباس امتحانها ان تقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله عروة

واشركت به وانما وعده بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعاء ابراهيم ومن معه من المؤمنين (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أى لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق وقيل معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق ما اصابهم ذلك (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم) يعنى فى ابراهيم ومن معه (أسوة حسنة) أى اقتداء حسن (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أى ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة (ومن يتول) أى يعرض عن الايمان ويوال الكفار (فان الله هو الغنى) أى عن خلقه (الحميد) أى الى اهل طاعته واوليائه فلما امر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون اقرباءهم المشركين واظهروا لهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله تعالى (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أى من كفار مكة (مودة) ففعل الله تعالى ذلك بان اسلم كثير منهم فصاروا لهم اولياء واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج النبى صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت أبى سفيان ولان لهم أبو سفيان (والله قدير) أى على جعل المودة بينكم (والله غفور رحيم) أى لمن تاب منهم واسلم ثم رخص فى صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم) أى لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم (وتقسطوا اليهم) أى وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم والبر (ان الله يحب المقسطين) أى العادلين قال ابن عباس نزلت فى خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فرخص الله فى برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت فى أمه وهى اسماء بنت ابى بكر وذلك ان امها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا وقرصا وسمنا وهى مشركة فقالت أسماء لا اقبل منك هدية ولا تدخلى على بيتا حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها منزلها وان تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها (ق) عن أسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما قالت قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان امى قدمت على وهى راغبة أفأصلها قال نعم صليها زاد فى رواية قال فأنزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ثم ذكر الذين نهى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم) وهم مشركو مكة (أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) الآية (خ) عن عروة بن الزبير انه سمع مروان والمسور ابن مخرمة يخبران عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبى صلى الله عليه وسلم انه لا يأتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه وكره المؤمنون ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه سهيل بن عمرو ولم يأته أحد من الرجال الا رده فى تلك المدة وان كان مسلما وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهى عاتق فجاء اهلها يسألون عنها النبى صلى الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم فلم يرجعها حتى أنزل الله فيهن اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن الى ولا هم يحلون لهن قال

عروة فأخبرتني عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه الآية يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات الى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن أقرت بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ولا بايعهن الا بقوله وقال ابن عباس اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم ومن اتى مكة من اصحابه لم يردوه اليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة بعد فراغ الكتاب واقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقيل هو صيفي ابن الراهب في طلبها وهو كافر فقال يا محمد اردد على امرأتي فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فانزل الله يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات أي من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها ان تستحلف ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن أرض الى ارض ولا لحدث احدثته ولا التماس دنيا وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لله ولرسوله فاذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت فلم يردها واعطى زوجها مهرها وما انفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب قال المفسرون المراد بقوله يا أيها الذين آمنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذي تولى امتحانهن بنفسه فكان يمسك من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطي أزواجهن مهورهن ويرد من جاء من الرجال واختلف العلماء هل دخل رد النساء في عقد المهادنة لفظا او عموما فقيل قد كان شرط ردهن في عقد المهادنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه وابقاه في الرجال على ما كان في العقد وقيل لم يشترط ردهن في العقد لفظا صريحا وانما اطلق العهد فكان ظاهره العموم لاشتماله على النساء وعلى الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن وبين الرجال في الحكم (الله أعلم بايمانهن) أي هذا الامتحان لكم والله اعلم بايمانهن (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) أي اذا اقررن بالايمان فلا تردوهن الى الكفار لان الله لم يبح مؤمنة لكافر (وآتوهم) يعني أزواجهن (ما أنفقوا) أي عليهن من المهر الذي دفعوه اليهن (ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن) أي مهورهن اباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب الى دار الاسلام وان كان لهن ازواج كفار في دار الحرب لان الاسلام فرق بينهن وبين ازواجهن الكفار ووقعت الفرقة بانقضاء عدتها فان اسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهي زوجته وبه قال الاوزاعي والليث بن سعد ومالك والشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) جمع عصمة وهي ما اعتصم به من العقد والسبب نهى الله تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات يقول الله تعالى وان كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهري لما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا بمكة مشركتين فاطمة بنت أمية بن المغيرة فتزوجها معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهي ام ابنه عبيد الله فتزوجها ابو جهم بن حذافة بن غنم وهما على شركهما وكانت اروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هي على دين قومها ففرق الاسلام بينهما فتزوجها بعده في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أبي العاص بن الربيع فأسلمت وهاجرت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم وأقام ابو العاص بمكة مشركا ثم أتى المدينة فأسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (واسألوا) أي أيها المؤمنون (ما أنفقتم) يعني ان لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ما أنفقتم من المهر اذا منعوها ممن تزوجها منهم (وليسألوا) يعني المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم (ما أنفقوا) من المهر ممن تزوجها منكم (ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) قال الزهري ولولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين

(الله أعلم بايمانهن) منكم فانكم وان رزتم احوالهن لا تعلمون ذلك حقيقة وعند الله حقيقة العلم به (فان علمتموهن مؤمنات) العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بظهور الامارات وتسمية الظن علما يؤذن بان الظن الغالب وما يفضي اليه القياس جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم (فلا ترجعوهن الى الكفار) فلا تردوهن الى أزواجهن المشركين (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) اى لا حل بين المؤمنة والمشرك لوقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة (وآتوهم ما انفقوا) وأعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور نزلت الآية بعد صلح الحديبية وكان الصلح قد وقع على ان يرد على أهل مكة من جاء مؤمنا منهم فانزل الله هذه الآية بيانا ان ذلك في الرجال لا في النساء لان المسلمة لا تحل للكافر وقيل نسخت هذه الآية الحكم الاول (ولا جناح عليكم ان تنكحوهن) ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات (اذا آتيتموهن أجورهن) أي مهورهن لان المهر اجر البضع وبه احتج ابو حنيفة رضي الله عنه على ان لا عدة على المهاجرة (ولا تمسكوا) ولا تمسكوا بصري (بعصم الكوافر) العصمة ما يعتصم به من عقد وسبب والكوافر جمع كافرة وهي التي بقيت في دار الحرب او لحقت بدار الحرب مرتدة أي لا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه (واسألوا ما أنفقتم) من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها (وليسألوا ما أنفقوا) من مهور نسائهم المهاجرات ممن تزوجها منا (ذلكم حكم الله) أي جميع ما ذكر في هذه الآية (يحكم بينكم) كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف الضمير أي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة وهو منسوخ فلم يبق سؤال المهر لا منا ولا منهم (والله عليم حكيم)

قريش لامسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك صنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الآية
اقر المؤمنون بحكم الله تعالى وادوا ما أمروا به من أداء نفقات المشركين على نسائهم وابى المشركون ان
يقروا بحكم الله فيما أمر من أداء نفقات المسلمين فأنزل الله عز وجل (وان فاتكم) أيها المؤمنون (شيء من
أزواجكم الى الكفار) أي فلحقن بهم مرتدات (فعاقبتم) معناه غزوتم فغنمتم واصبتم من الكفار
عقبى وهي الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم) أي
الى الكفار (مثل ما أنفقوا) معناه اعطوا الذين ذهبت ازواجهم منكم الى الكفار مرتدات مثل ما انفقوا
عليها من الغنائم التي صارت في أيديكم من اموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين من نساء
المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة
بنت ابي أمية بن المغيرة اخت أم سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمران يهاجر أبت وارتدت
وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن فضلة وتزوجها عمرو بن عبدود
وهند بنت ابي جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص بن وائل كلثوم وكانت تحت عمر
فكلهن رجعن عن الاسلام فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور نسائهم من الغنيمة
واختلف القول في ردّ مهر من اسلمت من النساء الى زوجها هل كان واجبا او مندوبا واصل هذه
المسئلة ان الصلح هل كان وقع على رد النساء أم لا فيه قولان أحدهما انه وقع على رد الرجال والنساء
جميعا لما روى انه لا يأتيك منا أحد الا رددته ثم صار الحكم في رد النساء منسوخا بقوله تعالى فلا ترجعوهن
الى الكفار فعلى هذا كان ردّ المهر واجبا والقول الثاني ان الصلح لم يقع على رد النساء لانه روى عن
على انه قال لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة
في الرد ما يخشى على المرأة من اصابة المشرك اياها وانه لا يؤمن عليها الردة اذا خوفت واكرهت عليها
لضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج من الكفر باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار كلمة الايمان وطمأنينة
القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته فعلى هذا كان المهر مندوبا واختلفوا في انه هل
يجب العمل به اليوم في رد المال اذا شرط في معاقدة الكفار فقال قوم لا يجب وزعموا ان الآية منسوخة
وهم عطاء ومجاهد وقتادة وقال قوم الآية غير منسوخة ويرد عليهم ما انفقوا قوله تعالى (واتقوا الله
الذي انتم به مؤمنون يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) الآية قال المفسرون لما فتح رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا أتته النساء يبايعنه وعمر بن الخطاب
اسفل منه يبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابايعكن (على ان لا يشركن بالله
شيئا) فرفعت هند رأسها وقالت والله انك لتأخذ علينا امرا ما رأيناك اخذته على الرجال وكان قد
بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم (ولا يسرقن) فقالت
هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فلا ادري ايحل لي أم لا فقال ابو سفيان
ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو حلال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها
وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال (ولا يزنين) فقالت هند اوتزني
الحرة فقال (ولا يقتلن اولادهن) فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فأنتم وهم اعلم وكان
ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
(ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) فقالت هند والله ان البهتان لقبيح وما تأمرنا
الا بالرشد ومكارم الاخلاق (ولا يعصينك في معروف) فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا
ان نعصيك في شيء فأقر النسوة بما اخذ عليهن من البيعة قال ابن الجوزي وجملة من احصي من المبايعات

(وان فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار) وان انفلت احد منهن الى الكفار وهو وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه احد (فعاقبتم) فأصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم عن الزجاج (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) فاعطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار الحرب مهور زوجاتهم من هذه الغنيمة (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) وقيل هذا الحكم منسوخ أيضا (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) هو حال (على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) يريد وأد البنات (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها التي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين (ولا يعصينك في معروف)

اربعمائة وسبعة وخمسون امرأة ولم يصافح في البيعة امرأة وانما بايعهن بالكلام (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية على ان لا يشركن بالله شيئا وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة الا امرأة يملكها واما تفسير الآية فقوله تعالى ولا يقتلن أولادهن اراد به وأد البنات الذي كان يفعله اهل الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وارجلهن يعني لا تلحق المرأة بزوجها غير ولده وذلك ان المرأة كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فهذا هو البهتان المفترى وليس المراد منه نهيهن عن الزنى لان النهي عنه قد تقدم ذكره ومعنى بين أيديهن وارجلهن ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها ولا يعصينك في معروف أي في كل ما تأمرهن به او تنهاهن عنه وقيل في كل أمر وافق طاعة الله وكل أمر فيه رشد وقيل هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان لا تحدث المرأة الرجال الاجانب ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر مع غير ذي محرم قال ابن عباس في قوله ولا يعصينك في معروف انما هو شرط شرطه الله على النساء اخرجه البخاري (ق) عن ام عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا ان لا يشركن بالله شيئا ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت فلانة اسعدتني فانا اريد ان أجزيها فما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فانطلقت ثم رجعت فبايعها (ق) عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية عن اسيد بن اسيد عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف الذي أخذ علينا ان لا نعصيه فيه ان لا نخمش وجها ولا ندعو ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا أخرجه أبو داود عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ على النساء حين بايعهن ان لا ينحن فقلن يارسول الله نساء اسعدتنا في الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسعاد في الاسلام اخرجه النسائي (م) عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة أخرجه ابو داود وقوله تعالى (فبايعهن) يعني اذا بايعنك على هذه الشروط فبايعهن (واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) عن اميمة بنت رقيقة قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا فيما استطعتن واطعتن قلنا الله ورسوله ارحم بنا منا بأنفسنا قلت يارسول الله بايعنا قال سفيان يعني صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعني من اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك (قد يئسوا من الآخرة) يعني اليهود وذلك انهم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوا به فيئسوا من ان يكون لهم ثواب او خير في الآخرة (كما يئس الكفار من اصحاب القبور) يعني كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا في القبور من ان يكون لهم ثواب في الآخرة وذلك ان الكفار اذا دخلوا قبورهم أيسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كما يئس الكفار من أصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والمعنى ان اليهود الذين عاينوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة الصف)

طاعة الله ورسوله (فبايعهن واستغفر لهن الله) عما مضى (ان الله غفور) بتمحيق ما سلف (رحيم) بتوفيق ما ائتنف وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد أسفل منه يبايعهن عنه بأمره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها لما صنعت بحمزة فقال عليه السلام ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فبايع عمر النساء على ان لا يشركن بالله شيئا فقال عليه السلام ولا يسرقن فقالت هند ان أبا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فقال أبو سفيان ما أصبت فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها وقال لها انك لهند قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله قال عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت اوتزني الحرة فقال ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فأنتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء وهو يشير الى ان طاعة الولاة لا تجب في المنكر (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) ختم السورة بما بدأ به قيل هم المشركون (قد يئسوا من الآخرة) من ثوابها لانهم ينكرون البعث (كما يئس الكفار) أي كما يئسوا الا انه وضع الظاهر موضع الضمير (من اصحاب القبور) ان يرجعوا اليهم او كما يئس اسلافهم الذين هم في القبور من الآخرة أي هؤلاء كسلفهم وقيل هم اليهود أي لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من ان يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت في التوراة كما يئس الكفار من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا احياء وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار أي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لانهم

تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم والله أعلم (سورة الصف مدنية وهى أربع عشرة آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) * (سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) روى انهم قالوا قبل ان يؤمروا بالجهاد لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناه فنزلت اية الجهاد فتباطأ بعضهم فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) لم هى لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر فى قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما واللام أو غيرها كشئ واحد وهو كثير الاستعمال فى كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا قال * على ما قام يشتمنى جرير * والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن فى الوصل فلاجرائه مجرى الوقف (كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون) قصد فى كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الامر فى قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شئ خارج عن نظائره واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على التميز وفيه دلالة على ان قولهم مالا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه والمعنى كبر قولكم مالا تفعلون مقتا عند الله واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فقال أتأمروننى ان أقول مالا أفعل فأستعجل مقت الله ثم أعلم الله عز وجل ما يحبه فقال (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) أى صافين أنفسهم مصدر وقع موقع الحال (كأنهم بنيان مرصوص) لاصق بعضه ببعض وقيل اريد به استواء نياتهم فى حرب عدوهم حتى يكونوا فى اجتماع الكلمة كالبنيان الذى رص بعضه الى بعض وهو حال أيضا (واذ) منصوب باذكر (قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى) بجحود الآيات والقذف بما ليس فى (وقد تعلمون) فى موضع الحال أى تؤذوننى عالمين علما يقينا (أنى رسول الله اليكم) وقضية علمكم بذلك توقيرى وتعظيمى لا ان تؤذونى (فلما زاغوا) مالوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) عن الهداية او لما تركوا اوامره نزع نور الايمان من قلوبهم او فلما اختاروا الزيغ ازاغ الله قلوبهم أى خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق (والله لا يهدى القوم الفاسقين) اى لا يهدى من سبق فى علمه انه فاسق (واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل) ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) أى أرسلت اليكم فى حال تصديقى ما تقدمنى من التوراة وفى حال تبشيرى برسول يأتى من بعدى يعنى ان دينى التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر بعدى حجازى وابو عمرو وابو بكر وهو اختيار الخليل وسيبويه وانتصب مصدقا ومبشرا بما فى الرسول

وفيها قولان أحدهما انها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور والثانى انها مكية وهى اربع عشرة آية ومائتان واحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) قيل سبب نزولها ما روى عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال قعدنا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أى الاعمال أحب الى الله لعملنا فأنزل الله تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذى وقال المفسرون ان المؤمنين قالوا لو علمنا أحب الاعمال الى الله لعملنا ولبذلنا فيها اموالنا وانفسنا فأنزل الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا وأنزل الله هل أدلكم على تجارة الآية فابتلوا بذلك يوم أحد فولوا مدبرين وكرهوا الموت واحبوا الحياة فأنزل الله تعالى لم تقولون مالا تفعلون وقيل لما اخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب اهل بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فعيرهم الله بهذه الآية وقيل نزلت فى شأن القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل واطعمت ولم يطعم وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الآية وقيل نزلت فى المنافقين وذلك انهم كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون (كبر مقتا عند الله) أى عظم بغضا عند الله (أن تقولوا مالا تفعلون) معناه ان يعدوا من انفسهم شيئا ولم يفوا به (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) أى يصفون انفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن اماكنهم (كأنهم بنيان مرصوص) أى قد رص بعضه ببعض والزق بعضه الى بعض واحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث تراصوا فى الصف ومعنى الآية ان الله يحب من يثبت فى الجهاد فى سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص قوله تعالى (واذ قال موسى لقومه) أى واذكر يا محمد لقومك اذ قال موسى لقومه بنى اسرائيل (يا قوم لم تؤذوننى) قيل انهم كانوا يؤذونه بانواع من الاذى والتعنت منها قولهم ارنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها انهم رموه بالادرة (وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم) يعنى تؤذوننى وانتم عالمون علما قطعيا انى رسول الله اليكم والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يؤذى (فلما زاغوا) أى عدلوا ومالوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) أى امالها عن الحق الى غيره (والله لا يهدى القوم الفاسقين) أى لا يهدى من سبق فى علمه انه فاسق خارج عن طاعته وهدايته وهذا تنبيه على عظم ايذاء الرسل حتى ان أذاهم يؤدى الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى (واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم) أى انى رسول ارسلت اليكم بالوصف الذى وصفت به فى التوراة (مصدقا لما بين يدى من التوراة) أى انى مقر معترف باحكام التوراة وكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم (ومبشرا برسول يأتى من بعدى) أى يصدق بالتوراة على مثل تصديقى فكانه قيل ما اسمه فقال (اسمه أحمد) عن ابى موسى قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان يأتوا النجاشى وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشى يقول اشهد ان محمدا رسول الله وانه الذى بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك وما تحملت من امر الناس لاتيته حتى احمل نعليه اخرجه ابو داود وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب فى التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه فقال ابو داود المدنى قد بقى فى البيت موضع قبر اخرجه الترمذى عن كعب الاحبار ان الحواريين قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم يأتى بعدكم أمة حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم فى الفقه

من معنى الارسال (فلما جاءهم) عيسى أو محمد عليهما السلام (بالبينات) بالمعجزات (قالوا هذا سحر مبين) ساحر حمزة وعلى (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين) وأى الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر والسحر كذب وتمويه (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) هذا تهكم بهم فى ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم فى القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه والمفعول محذوف واللام للتعليل والتقدير يريدون الكذب ليطفئوا نور الله بأفواههم اى بكلامهم (والله متم نوره) مكى وحمزة وعلى وحفص متم نوره غيرهم اى متم الحق ومبلغه غايته (ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) أى الملة الحنيفية (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جميع الاديان المخالفة له ولعمرى لقد فعل فما بقى دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن فى الارض الا دين الاسلام (ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) تنجيكم شامى (تؤمنون) استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو بمعنى آمنوا عند سيبويه ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وانما جىء به على لفظ الخبر للايذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين (بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم) أى ماذكر من الايمان والجهاد (خير لكم) من اموالكم وانفسكم (ان كنتم تعلمون) انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون اموالكم وانفسكم فتفلحون وتخلصون (يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن) أى اقامة وخلود يقال عدن بالمكان اذا اقام به كذا قيل (ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب فى الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله (نصر من الله وفتح قريب) أى عاجل وهو فتح مكة والنصر على قريش اوفتح فارس والروم وفى تحبونها شىء من التوبيخ على محبة العاجل وقال صاحب الكشاف معناه هل أدلكم على تجارة تنجيكم وعلى تجارة أخرى تحبونها ثم قال نصر أى هى نصر (وبشر المؤمنين) عطف على تؤمنون لانه فى معنى الامر كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك وقيل هو عطف على قل مرادا قبل يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) أى انصار دينه انصارا لله حجازى وابو عمرو (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله) ظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى حين قال لهم من انصارى الى الله ومعناه من جندى متوجها الى نصرة الله ليطابق جواب الحواريين وهو قوله (قال الحواريون نحن انصار الله)

انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل (ق) عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا أحمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى يوم القيامة وانا العاقب الذى ليس بعدى نبى وقد سماه الله تعالى رؤفا رحيما واحمد يحتمل معنيين احدهما انه مبالغة من الفاعل ومعناه ان الانبياء كلهم حمادون لله عز وجل وهو اكثر حمدا لله من غيره والثانى انه مبالغة من المفعول ومعناه ان الانبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مبالغة واجمع للفضائل والمحاسن والاخلاق التى يحمد بها من غيره (فلما جاءهم بالبينات) قيل هو عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا هذا سحر مبين) أى ظاهر (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) أى ومن أكثر ظلما ممن بلغ افتراؤه ان يكذب على الله وذلك انهم علموا ان ما نالوه من نعمة فمن الله ثم كفروا به (وهو يدعى الى الاسلام) معنى الآية أى الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام الذى فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله بقوله هذا سحر مبين (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى لا يوفقهم للهداية لما علم من حالهم عقوبة لهم (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) يعنى ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم فى القرآن هذا سحر (والله متم نوره) يعنى متم للحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه (ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) أى ليعليه على الاديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب ومقهور بدين الاسلام (ولو كره المشركون) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) نزلت هذه الآية حين قالوا لو نعلم أى الاعمال أحب الى الله لعملنا وانما سماه تجارة لانهم يربحون فيه رضا الله عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم) أى الذى أمرتكم به من الايمان والجهاد فى سبيله (ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم) هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه معنى الامر والمعنى آمنوا بالله وجاهدوا فى سبيل الله أى اذا فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم) يعنى هذا الجزاء الذى ذكره هو الفوز العظيم (وأخرى تحبونها) أى ولكم تجارة أخرى وقيل لكم خصلة أخرى تحبونها فى العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة (نصر من الله وفتح قريب) قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل فتح مدائن فارس والروم (وبشر المؤمنين) أى يا محمد بالنصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله) أى مع الله والمعنى انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى من انصارى الى الله (قال الحواريون نحن أنصار الله) وكانوا اثنى عشر رجلا أول من آمن بعيسى عليه الصلاة والسلام

يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) جمع سفر وهي الكتب العظام من العلم سمي سفرا لانه يسفر عما فيه من المعنى وهذا مثل ضربه الله تعالى لليهود الذين اعرضوا عن العمل بالتوراة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شبهوا اذ لم ينتفعوا بما في التوراة الدال على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود الذين يقرؤن التوراة ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل بما فيه واعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل ان يتبعكم ثم تلا هذه الآية ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال تعالى (بئس مثل القوم) اي بئس مثلا مثل القوم (الذين كذبوا بآيات الله) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما أتى به من آيات القرآن وقيل المراد من الآيات آيات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) اي لا يهدي من سبق في علمه انه يكون ظالما وقيل يعني الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب آيات الله وأنبيائه (قل) اي قل يا محمد (يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس) اي من دون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه (فتمنوا الموت) اي ادعوا على انفسكم بالموت (ان كنتم صادقين) يعني فيما زعمتم انكم أبناء الله وأحباؤه فان الموت هو الذي يوصلكم اليه لان الآخرة خير لاولياء الله من الدنيا (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) اي بسبب ما قدموا من الكفر والتكذيب (والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم) اي لا ينفعكم الفرار منه (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيه وعيد وتهديد قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة) اي لوقت الصلاة (من يوم الجمعة) اي في يوم الجمعة واراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر أذن بلال (خ) عن السائب ابن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء زاد في رواية فثبت الامر على ذلك ولابي داود قال كان يؤذن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد وذكر نحوه الزوراء موضع عند سوق المدينة قريب من المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لان الله تعالى جمع فيه خلق آدم وقيل لان الله فرغ من خلق الاشياء فيه فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل اول من سمى هذا اليوم جمعة كعب ابن لؤي قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لؤي وكان اول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال لها يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى يوم فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر اسم الله تعالى ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ثم أنزل الله تعالى في ذلك يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة الآية عن كعب بن مالك انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يا أبت اذا سمعت النداء ترحمت لاسعد بن زرارة قال لانه أول من جمع بنا في هذا البيت من حرة بني بياضة نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعون أخرجه ابو داود وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فذكر اصحاب السير ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول حين امتد الضحى فأقام بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامدا الى المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واديهم وقد اتخذوا في

والعمل بما فيها (ثم لم يحملوها) ثم لم يعملوا بها فكانهم لم يحملوها (كمثل الحمار يحمل اسفارا) جمع سفر وهو الكتاب الكبير ويحمل في محل النصب على الحال او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله * ولقد أمر على اللئيم يسبني * شبه اليهود في انهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بآياتها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به فلم يؤمنوا به بالحمار يحمل كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) اي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله او بئس مثل القوم المكذبين مثلهم وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) اي وقت اختيارهم الظلم او لا يهدي من سبق في علمه انه يكون ظالما (قل يا أيها الذين هادوا) هاد يهود اذا تهود (ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) كانوا يقولون نحن ابناء الله وأحباؤه اي ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي اعدها لاوليائه ثم قال (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت ايديهم) اي بسبب ما قدموا من الكفر ولا فرق بين لا ولن في ان كل واحد منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم (قل ان الموت الذي تفرون منه) ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة ان تؤخذوا بوبال كفركم (فانه ملاقيكم) لا محالة والجملة خبر ان ودخلت الفاء لتضمن الذي معنى الشرط (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم بما أنتم اهله من العقاب (يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) النداء الاذان ومن بيان لاذا وتفسير له ويوم الجمعة سيد الايام وفي الحديث من مات يوم الجمعة كتب الله له

ذلك الموضع مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب وقوله تعالى (فاسعوا الى ذكر الله) اى فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعى الاسراع فى الشئ وانما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا الى ذكر الله وقال الحسن اما والله ماهو بالسعى على الاقدام ولقد نهوا ان يأتوا الى الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة فى هذه الآية فاسعوا الى ذكر الله قال السعى ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشى اليها وكان يتأول قوله فلما بلغ معه السعى فلما مشى معه (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا وفى رواية فاذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وائتوها تمشون وعليكم السكينة وذكره زاد مسلم فان احدكم اذا كان يعمد الى الصلاة فهو فى الصلاة والمراد بقوله فاسعوا الى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام (وذروا البيع) يعنى البيع والشراء لان البيع اسم يتناولهما جميعا وهو من لوازمه وانما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثانى وقال الزهرى عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء (ذلكم) اى الذى ذكر من حضور الجمعة وترك البيع والشراء (خير لكم) اى من المبايعة فى ذلك الوقت (ان كنتم تعلمون) اى مصالح انفسكم والله تعالى أعلم

(فصل فى فضل الجمعة واحكامها واثم تاركها) وفيه مسائل * المسئلة الاولى * فى فضلها (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه اخرج منها زاد فى رواية ولا تقوم الساعة الا فى يوم الجمعة وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله فيها شيئا الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر وفى رواية اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المساجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤا يستمعون الذكر قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا كغسل الجنابة (م) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة واستمع وانصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا قوله ومن مس الحصى فقد لغا معناه انه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو (خ) عن عبادة قال ادركنى أبو عبس وانا ذاهب الى الجمعة فقال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار عن ابى هريرة رضى الله عنه قال خرجت الى الطور فرأيت كعب الاحبار فجلست معه فحدثنى عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما حدثته ان قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه اهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهى مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله شيئا الا أعطاه اياه قال كعب ذلك فى كل سنة يوم فقلت بل فى كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسى مع كعب الاحبار وما حدثته فى يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت اى ساعة هى قال أبو هريرة فقلت اخبرنى بها ولا تكن عنى وفى رواية تضن على قال هى آخر ساعة فى يوم الجمعة قال ابو هريرة قلت وكيف تقول آخر ساعة فى يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها

اجر شهيد وفى قنية الغبر (فاسعوا) فامضوا وقرئ بها وقال الفراء السعى والمضى والذهاب واحد وليس المراد به السرعة فى المشى (الى ذكر الله) اى الى الخطبة عند الجمهور وبه استدل ابو حنيفة رضى الله عنه على ان الخطيب اذا اقتصر على الحمد لله جاز (وذروا البيع) اراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها الان يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال فقيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذى لا شئ انفع منه واربح وذروا البيع الذى نفعه يسير (ذلكم) اى السعى الى ذكر الله (خير لكم) من البيع والشراء (ان كنتم تعلمون)

عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلي فيها قال عبد الله بن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها قال ابو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك أخرجه مالك في الموطأ والنسائي (خ) عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلم يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى عن اوس ابن اوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة أجر عمل سنة صيامها وقيامها أخرجه ابو داود والنسائي قال ابو داود وسئل مكحول عن غسل واغتسل قال غسل رأسه وجسده * المسئلة الثانية * في اثم تاركها (م) عن عبد الله بن عمر و بن العاص وابي هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين عن ابي الجعد الضمري وكانت له صحبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه أخرجه ابو داود والنسائي وللترمذي نحوه (م) عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة هممت ان امر رجلا ان يصلي بالناس ثم احرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم * المسئلة الثالثة * في تأكيد وجوبها قال العلماء صلاة الجمعة هي من فروض الاعيان فتجب على كل مسلم حر بالغ عاقل ذكر مقيم اذا لم يكن له عذر في تركها ومن تركها من غير عذر استحق الوعيد اما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما لانهما ليسا من أهل الفرض ولا جمعة على النساء بالاتفاق يدل عليه ماروى عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة الا على اربعة عبد مملوك وامرأة وصبي ومريض أخرجه ابو داود وقال طارق رأى النبي صلى الله عليه وسلم وبعضا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئا عن عبد الله بن عمر و بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع النداء أخرجه ابو داود وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وانما أسنده قبيصة عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من آواه الليل الى اهله اخرجه الترمذي ولا تجب الجمعة على العبيد وقال الحسن وقتادة والاوزاعي تجب على العبد المكاتب وعن احمد في العبيد روايتان وتجب الجمعة على أهل القرى والبوادي اذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي واحمد واسحاق والشرط ان يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت يؤذن في وقت تكون الاصوات هادئة والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر تجب على اهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهري تجب على من كان على ستة اميال وقال ربيعة على اربعة اميال وقال مالك والليث على ثلاثة اميال وقال ابو حنيفة لا جمعة على اهل السواد سواء كانت القرية قريبة او بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ماروى البخاري عن ابن عباس قال اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثى من البحرين ولابي داود نحوه وفيه بجواثى قرية من قرى البحرين * المسئلة الرابعة * في تركها بالعذر كل من له عذر من مرض او تعهد مريض اوخوف جاز له ترك الجمعة وكذا له تركها بعذر المطر والوحل يدل على ذلك ماروى عن ابن عباس انه خطب في يوم ذي ردغ فأمر المؤذن فلما بلغ حي على الصلاة قال قل الصلاة في الرحال فنظر بعضهم الى بعض كأنهم انكروا ذلك فقال كأنكم انكرتم هذا ان هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم وانها عزمة واني كرهت ان احرجكم زاد في رواية فتمشوا على الطين والدحض والزلق أخرجه البخاري ومسلم وكل من لا تجب عليه الجمعة فاذا حضر وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل به عدد الذين تنعقد بهم الجمعة

الاصاحب العذر فانه اذا حضر كمل به العدد * المسئلة الخامسة * فى العدد الذى تنعقد به الجمعة اختلف اهل العلم فى العدد الذى تنعقد به الجمعة فقيل لا تنعقد بأقل من أربعين رجلا وهو قول عبيد الله ابن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعى وأحمد واسحاق قالوا لا تنعقد الجمعة بأقل من اربعين رجلا من اهل الكمال وذلك بأن يكونوا أحرارا بالغين عاقلين مقيمين فى موضع لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا الا ظعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز ان يكون فيهم وال والوالى غير شرط عند الشافعى وقال على بن أبى طالب لا جمعة الا فى مصر جامع وهو قول اصحاب الرأى ثم عند ابى حنيفة تنعقد بأربعة والوالى شرط عنده وقال الاوزاعى وابو يوسف تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم وال وقال الحسن تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثنى عشر رجلا ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليه الجمعة كالعبد والمرأة والمسافر والصبى ولا تنعقد الا فى موضع واحد من البلد وبه قال الشافعى ومالك وأبو يوسف وقال احمد تصح بموضعين اذا كثر الناس وضاق الجامع * المسئلة السادسة * لا يجوز ان يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال قبل ان يصلى جمعة وجوز اصحاب الرأى ان يسافر بعد الزوال اذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت اما اذا سافر قبل الزوال بعد طلوع الفجر فانه يجوز غير انه يكره الا ان يكون سفره سفر طاعة كحج اوغزو وذهب بعضهم الى انه اذا اصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلى الجمعة يدل على جوازه ماروى عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة فى سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغزا أصحابه وقال اتخلف فاصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ألحقهم فلما صلى النبى صلى الله عليه وسلم رآه فقال مامنعك ان تغزو مع أصحابك قال اردت ان اصلى معك ثم اتبعهم فقال لو انفقت مافى الارض جميعا ماادركت فضل غزوتهم أخرجه الترمذى وروى ان عمر رأى رجلا عليه اهبة السفر وسمعه يقول لو أن اليوم يوم جمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فان الجمعة لا تحبس عن سفر وللجمعة شرائط وسنن وآداب مذكورة فى كتب الفقه وفى هذا القدر كفاية والله أعلم قوله عز وجل (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض) اى اذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا فى الارض للتجارة والتصرف فى حوائجكم (وابتغوا من فضل الله) يعنى الرزق وهذا امر اباحة قال ابن عباس ان شئت فاخرج وان شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل قوله فانتشروا فى الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ فى الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتنى فارزقنى من فضلك وانت خير الرازقين (واذكروا الله كثيرا) أى اذا فرغتم من الصلاة ورجعتم الى التجارة والبيع والشراء فاذكروا الله كثيرا قيل باللسان وقيل بالطاعة قيل لا تكون من الذاكرين الله كثيرا حتى تذكره قائما وقاعدا ومضطجعا (لعلكم تفلحون) قوله تعالى (واذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا اليها وتركوك قائما) (ق) عن جابر قال بينما نحن نصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبلت عير تحمل طعاما فانفتلوا اليها حتى مابقى مع النبى صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية واذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا اليها وتركوك قائما وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما فجاءت عير من الشأم وذكر نحوه وفيه الا اثنا عشر رجلا فيهم أبو بكر وعمر ولمسلم كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة قال فخرج الناس اليها فلم يبق الا اثنا عشر رجلا أنا فيهم وذكر الحديث وهو حجة من يرى صحة الجمعة باثنى عشر رجلا وأجيب عنه بانه ليس فيه بيان انه اقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس فى رواية عنه لم يبق فى المسجد الا ثمانية رهط قال الحسن وابو مالك أصاب اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبى بتجارة زيت وطعام من الشأم والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب فلما رأوه بالبقيع قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فلم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم الا رهط فيهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد

فاذا قضيت الصلاة) اى أديت (فانتشروا فى الارض) امر اباحة (وابتغوا من فضل الله) الرزق اوطلب العلم اوعيادة المريض اوزيارة أخ فى الله (واذكروا الله كثيرا) واشكروه على ماوفقكم لاداء فرضه (لعلكم تفلحون) واذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا اليها) تفرقوا عنك اليها وتقديره واذا رأوا تجارة انفضوا اليها أولهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وانما خص التجارة لانها كانت اهم عندهم روى ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه فما بقى معه الا ثمانية أو اثنا عشر فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو (وتركوك) على المنبر (قائما) تخطب وفيه دليل على ان الخطيب ينبغى ان يخطب قائما

بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أحد لسال بكم الوادي نارا وقال مقاتل بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشأم بالتجارة وكان اذا قدم لم تبق عاتق بالمدينة الا أتته وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وبر وزيت وغيره وينزل عند أحجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وذلك قبل ان يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق في المسجد الا اثناعشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم بقي في المسجد فقالوا اثناعشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فأنزل الله هذه الآية وأراد باللهو الطبل وكانت العير اذا قدمت استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا أي تفرقوا وذهبوا نحوها والضمير في اليها راجع الى التجارة لأنها أهم اليهم وتركوك قائما اتفقوا على ان هذا القيام كان في الخطبة للجمعة قال علقمة سئل ابن مسعود أكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما او قاعدا قال اما تقرؤن وتركوك قائما قال العلماء الخطبة فريضة في صلاة الجمعة وقال داود الظاهري هي مستحبة ويجب ان يخطب الامام قائما خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال أبو حنيفة واحمد لا يشترط القيام ولا القعود وتشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في احد القولين واقل ما يقع عليه اسم الخطبة ان يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه الثلاث شروط في الخطبتين جميعا ويجب ان يقرأ في الاولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لا تتم الجمعة عند الشافعي وذهب أبو حنيفة الى انه لو أتى بتسبيحة او تحميدة او تكبيرة أجزأه وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة وهو مأمور بالخطبة والسنة للامام اذا صعد المنبر ان يستقبل الناس وان يسلم عليهم خلافا لابي حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام في حال الخطبة فيه خلاف بين العلماء والاصح انه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب ان يصلي تحية المسجد اذ دخل والامام يخطب خلافا لابي حنيفة ومالك

(ذكر الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام)

(ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفي رواية أخرى كان يخطب يوم الجمعة وهو قائم ثم يجلس ثم يقوم فيتم كما يفعلون الآن (م) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس زاد في رواية فمن حدثك انه كان يخطب جالسا فقد كذب (م) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه انه دخل المسجد وعبد الرحمن بن الحكم يخطب جالسا فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعدا وقد قال الله تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما (م) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا زاد أبو داود ويقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء أخرجه ابو داود والترمذي ولابي داود عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو اجذم عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيئا وفي رواية ان يونس سأل ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يعصهما فقد غوى ونسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه انما نحن به وله أخرجه ابو داود (م) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول على أثر ذلك وقد علا صوته

واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا أو ضياعا فالى وعلى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا أخرجه الترمذى (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والامام يخطب فقد لغوت عن نافع ان ابن عمر رأى رجلين يتحدثان والامام يخطب يوم الجمعة فحصبهما أن اصمتا أخرجه مالك فى الموطا قال ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام فأما صفة صلاة الجمعة فركعتان يجهر فيهما بالقراءة ولجواز الجمعة خمس شروط الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس الى دخول وقت العصر والعدد والامام والخطبة ودار الاقامة فان فقد شرط من هذه الشروط الخمس يجب ان يصلى ظهرا ولا يجوز للامام أن يبتدئ الخطبة قبل تمام العدد وهو اربعون عند الشافعى فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة أو انفض واحد من العدد لا يجوز ان يصلى بهم الجمعة بل يصلى الظهر ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فأصح اقوال الشافعى ان بقاء الاربعين شرط الى آخر الصلاة كما ان بقاء الوقت شرط الى آخر الصلاة فلو نقص واحد قبل ان يسلم الامام يجب على الباقين ان يصلوها ظهرا وفيه قول آخر وهو انه ان بقى معه اثنان اتمها جمعة وقيل ان بقى معه واحد اتمها جمعة وعند المزنى ان انفضوا بعد ما صلى بهم الامام ركعة اتمها جمعة وان بقى وحده وان كان فى الركعة الاولى يتمها أربعا وان انفض من العدد واحد وبه قال ابو حنيفة لكن فى العدد الذى يشترط كالمسبوق اذا أدرك مع الامام ركعة من الجمعة فاذا سلم الامام اتمها جمعة وان ادرك اقل من ركعة اتمها أربعا (خ) عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الجمعة حين تميل الشمس (م) عن عبيد الله بن ابى رافع قال استخلف مروان أبا هريرة على المدينة وخرج الى مكة فصلى بنا أبو هريرة الجمعة فقرأ بعد الحمد سورة الجمعة فى الاولى واذا جاءك المنافقون فى الثانية قال فأدركت اباهريرة حين انصرف فقلت له انك قرأت بسورتين كان على بن أبى طالب يقرأ بهما فى الكوفة فقال ابو هريرة انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما يوم الجمعة (م) عن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى العيدين وفى الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة فى يوم واحد يقرأ بهما فى الصلاتين عن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية أخرجه ابو داود والنسائى وقوله تعالى (قل ماعند الله) اى ماعند الله من الثواب والاجر على الصلاة والثبات مع النبى صلى الله عليه وسلم (خير من اللهو ومن التجارة) الذى جاء بها دحية (والله خير الرازقين) يعنى انه تعالى موجد الارزاق واصلها منه فاياه فاسألوا ومنه فاطلبوا والله تعالى أعلم

(تفسير سورة المنافقين)

وهى مدنية واحدى عشرة آية وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اذا جاءك المنافقون) يعنى عبد الله بن أبى بن سلول واصحابه (قالوا نشهد انك لرسول الله) وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال تعالى (والله يعلم انك لرسوله) اى هو الذى ارسلك فهو عالم بك (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) يعنى فى قولهم نشهد انك لرسول الله لانهم اضمروا خلاف ما أظهروا وذلك لان حقيقة الايمان ان يواطئ اللسان القلب وكذلك الكلام فمن اخبر عن شئ واعتقد خلافه او

اضمر

(قل ماعند الله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) اى لا نفوتهم رزق الله بترك البيع فهو خير الرازقين والله أعلم

(سورة المنافقين احدى عشرة آية مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) ارادوا شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم (والله يعلم انك لرسوله) اى والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) فى ادعاء المواطأة او انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة فهم كاذبون فى تسميته شهادة او انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف

ماعليه حال المخبر عنه (اتخذوا أيمانهم جنة) وقاية من السبي والقتل وفيه دليل على ان اشهد يمين (فصدّوا) الناس (عن سبيل الله) عن الاسلام بالتنفير والقاء الشبه (انهم ساء ما كانوا يعملون) من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم امرهم عند السامعين (ذلك) اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون اى ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم اسوء الناس اعمالا (بأنهم) بسبب انهم (آمنوا ثم كفروا) اوالى ماوصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستجنان بالايمان اى ذلك كله بسبب انهم آمنوا أى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم ان كان مايقول محمد حقا فنحن حمير ونحو ذلك اونطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية (فطبع على قلوبهم) فختم عليها حتى لايدخلها الايمان جزاء على نفاقهم (فهم لايفقهون) لايتدبرون اولا يعرفون صحة الايمان والخطاب فى (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم) لرسول الله اولكل من يخاطب (وان يقولوا تسمع لقولهم) كان ابن أبي رجلا جسيما صبيحا فصيحا وقوم من المنافقين فى مثل صفته فكانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظرة وفصاحة الالسن فكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهيا كلهم ويسمعون الى كلامهم وموضع (كأنهم خشب) رفع على هم كأنهم خشب أوهو كلام مستأنف لامحل له (مسندة) الى الحائط شبهوا فى استنادهم وماهم الا أجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط لان الخشب اذا انتفع به كان فى سقف اوجدار أوغيرهما من مظان الانتفاع ومادام متروكا غير منتفع به أسند الى الحائط فشبهوا به فى عدم الانتفاع اولانهم اشباح بلا أرواح واجسام بلا أحلام خشب أبوعمرو وغير عباس وعلى جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر (يحسبون كل صيحة عليهم) كل صيحة مفعول أول والمفعول الثانى عليهم وتم الكلام أى يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لخبثهم ورعبهم يعنى اذانادى مناد فى العسكر أو انفلتت دابة أو انشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم ثم قال (هم العدو) أى هم الكاملون فى العداوة لان اعدى الاعداء العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (فاحذرهم) ولا تغترر بظاهرهم (قاتلهم الله) دعاء عليهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك (أنى يؤفكون) كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤسهم) عطفوها وامالوها اعراضا عن ذلك واستكبارا لووا بالتخفيف نافع (ورأيتهم يصدّون) يعرضون (وهم مستكبرون) عن الاعتذار والاستغفار روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقى بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتلهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد اجير لعمر وسنان الجهنى حليف لابن أبي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك وقال ماصحبنا محمدا الا لنلطم والله مامثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد على رأسه تاج المعراج فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت ألعب فأخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه دعنى اضرب عنق هذا المنافق يارسول الله فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجر فأمر به انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي انزل عليك الكتاب ماقلت شيئا من ذلك وان زيدا الكاذب فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يارسول الله شيخنا وكبيرنا لاتصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قد وهم فلما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ياغلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه فقال امرتموني ان أومن فآمنت وامرتموني ان أزكى مالى فزكيت ومابقي لى الا ان اسجد لمحمد فنزل واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث الا أياما

اضمر خلاف ما أظهر فهو كاذب ألاترى انهم كانوا يقولون بألسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماه كذبا لان قولهم خالف اعتقادهم (اتخذوا أيمانهم جنة) اى سترا يستترون بها من القتل ومعنى ايمانهم ما أخبر الله عنهم من حلفهم انهم لمنكم وقولهم نشهد انك لرسول الله (فصدّوا عن سبيل الله) اى اعرضوا بأنفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله وقيل منعوا الناس عن الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (انهم ساء ما كانوا يعملون) يعنى حيث آثروا الكفر على الايمان (ذلك بأنهم آمنوا) اى فى الظاهر وذلك اذا رأوا المؤمنين اقروا بالايمان (ثم كفروا) اى فى السر وذلك اذا خلوا مع المشركين وفيه تأكيد لقوله والله يشهد انهم لكاذبون (فطبع على قلوبهم) اي بالكفر (فهم لايفقهون) اى الايمان وقيل لايتدبرون القرآن (واذا رأيتهم) يعنى المنافقين مثل عبد الله بن أبي بن سلول (تعجبك أجسامهم) يعنى ان لهم اجساما ومناظر حسنة (وان يقولوا تسمع لقولهم) اى فتحسب انه صدق قال ابن عباس كان عبد الله بن أبي بن سلول فصيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله (كأنهم خشب مسندة) اى اشباح بلا أرواح واجسام بلا احلام شبههم بالخشب المسندة الى جدر وليست بأشجار مثمرة ينتفع بها (يحسبون كل صيحة عليهم) يعنى انهم لايسمعون صوتا فى العسكر بأن ينادى منادا وتنفلت دابة أوتنشد ضالة الا ظنوا من خبثهم وسوء ظنهم انهم يرادون بذلك وظنوا انهم قد أتوا لما فى قلوبهم من الرعب وقيل انهم على خوف و وجل من ان ينزل فيهم امر يهتك استارهم ويبيح دماءهم وتم الكلام عند قوله عليهم ثم ابتدأ فقال تعالى (هم العدو فاحذرهم) أى لاتأمنهم فانهم وان كانوا معك و يظهرون تصديقك اعداء لك فاحذرهم ولاتأمنهم على سرك لانهم عيون لاعدائك من الكفار ينقلون اليهم اسرارك (قاتلهم الله) اى لعنهم الله (أنى يؤفكون) اى يصرفون عن الحق قوله تعالى (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) اى اما لوها وأعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار (ورأيتهم يصدّون) اى يعرضون عما دعوا اليه (وهم مستكبرون) اى عن

استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم (سواء عليهم أستغفرت لهم) اى يا محمد (أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدى القوم الفاسقين)

(ذكر القصة فى سبب نزول هذه الآية)

قال محمد بن اسحاق وغيره من اصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان بنى المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن ابى ضرار وهو ابو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله بنى المصطلق وامكن منهم وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم واموالهم فأفاءها عليهم فبينما الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفارى يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى يا معشر الانصار وصرخ الغفارى يا معشر المهاجرين واعان جهجاها رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال له عبد الله بن ابى جعال وانك لهناك فقال جعال وما يمنعنى ان افعل ذلك فغضب عبد الله بن أبى وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن ارقم وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن أبى افعلوها قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يأ كلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم اقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا الى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم فى عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن أبى اسكت فقد كنت ألعب فمشى زيد بن ارقم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال دعنى اضرب عنقه يا رسول الله قال كيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولكن أذن بالرحيل وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن أبى فأتاه فقال له انت صاحب هذا الكلام الذى بلغنى فقال عبد الله بن أبى والذى انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب وكان عبد الله فى قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الانصار من اصحابه يا رسول الله عسى ان يكون الغلام قد وهم فى حديثه ولم يحفظ ما قاله فعذره النبى صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة لزيد فى الانصار وكذبوه وقال عمه وكان زيد معه ما أردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ومقتوك وكان زيد يساير النبى صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك ان يدنو من النبى صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا رسول الله صلى الله عليك وسلم لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوما بلغك ما قال صاحبك عبد الله بن أبى فقال أسيد وما قال قال يزعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها الاذل فقال اسيد فانت والله يا رسول الله تخرجه هو والله الذليل وانت والله العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد سلبته ملكا وبلغ عبد الله ابن عبد الله بن أبى ما كان من ابيه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه بلغنى انك تريد قتل عبد الله بن أبى لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرنى به فأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه منى وانى اخشى ان تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى ان انظر الى قاتل عبد الله بن أبى يمشى على الارض فأقتله فاقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا قالوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى

امسى

حتى اشتكى ومات (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) اى ما داموا على النفاق والمعنى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم او لان الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان أم المعادلة تدل عليه (ان الله لا يهدى القوم الفاسقين)

أمسى وليلته حتى اصبح وصدر يومه حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يكن الاان وجدوامس الارض فوقعوانياما وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن حديث عبد الله بن أبى الذى كان منه بالامس ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال لها نقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفى بالمدينة فقيل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم بمكان ناقته الايخبره الذى يأتيه بالوحى فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ماأزعم انى اعلم الغيب ولاأعلمه ولكن الله اخبرنى بقول المنافق و بمكان ناقتى هى فى الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذاهى كماقال فجاؤابها فآمن ذلك المنافق وحسن ايمانه فلما قدموا المدينة وجدوارفاعة بن زيد بن التابوت قدمات فى ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن ارقم جلست فى البيت لمابى من الهم والحياء فأنزل الله عز وجل سورة المنافقين فى تصديق زيد بن ارقم وتكذيب عبد الله بن أبى فلما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال يازيد ان الله قد صدقك ووفى باذنك (ق) عن زيد ابن ارقم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن أبى لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعزمنها الاذل قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فأرسل الى عبد الله بن أبى فسأله فاجتهد يمينه مافعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع فى نفسى مماقالوه شدة حتى انزل الله بتصديقى اذاجاءك المنافقون ثم قال دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفرلهم قال فلووا رؤسهم وقوله كانهم خشب مسندة قال كانوارجالا أجمل شئ (ق) عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع انصاريا فغضب الانصارى غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الانصارى ياللانصار وقال المهاجر ياللمهاجرين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مابال دعوى الجاهلية ثم قال ماشأنهم فأخبر بكسعة المهاجر الانصارى فقال دعوها فانها خبيثة وقال عبد الله بن أبى بن سلول قد تداعوا علينا لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعزمنها الاذل قال عمر الانقتل يانبى الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم لايتحدث الناس انه كان يقتل اصحابه ولمسلم رواية وفيها فقال لابأس ولينصر الرجل أخاه ظالما اومظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه له نصروان كان مظلوما فلينصره وزاد الترمذى فيه فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله لاتنقلب حتى تقرأنك أنت الذليل و رسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز ففعل قال اصحاب السير وكان عبد الله بن أبى بقرب المدينة فلما أراد ان يدخلها جاءه ابنه عبد الله حتى أناخ على مجامع طرق المدينة فلماجاء عبد الله بن أبى قال له ابنه وراءك قال ويلك مالك قال لا والله لاتدخلها أبدا الا أن يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الاعزمن الاذل فشكا عبد الله بن أبى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماصنع ابنه عبد الله فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل عنه يدخل فقال عبد الله اما اذا جاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل قالوا فلما نزلت هذه السورة وتبين كذب المنافقين قيل ياأباحباب انه قد نزل فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفرلك فلوى رأسه وقال أمرتمونى ان أومن فآمنت وامرتمونى ان اعطى زكاة مالى فقد اعطيت فمابقى الا ان اسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله واذا قيل لهم تعالوا يستغفرلكم رسول الله لووا رؤسهم الآية ونزل (هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) اى يتفرقوا عنه (ولله خزائن السموات والارض) يعنى بيده مفاتيح الرزق فلا يعطى احد أحدا شيئا الا باذنه ولا يمنعه الا بمشيئته

هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) يتفرقوا (ولله خزائن السموات والارض) أى وله الارزاق والقسم فهو رازقهم منها وان أبى أهل المدينة ان ينفقوا عليهم

(ولكن المنافقين لا يفقهون) يعني ان أمر الله اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (يقولون لئن رجعنا الى المدينة) يعني من غزوة بني المصطلق (ليخرجن الاعز منها الاذل) فرد الله عليهم بقوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على اعدائهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) اى ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة قال اصحاب السير فلما نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي بن سلول لم يلبث الا أياما قلائل حتى اشتكى ومات على نفاقه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) اى لا تشغلكم (أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) يعني عن الصلوات الخمس والمعنى لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكر الله (ومن يفعل ذلك) اى ومن شغله ماله وولده عن ذكر الله (فأولئك هم الخاسرون) اى في تجارتهم حيث آثروا الفاني على الباقي (وأنفقوا مما رزقناكم) قال ابن عباس يريد زكاة الاموال (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) اى دلائل الموت ومقدماته وعلاماته فيسأل الرجعة (فيقول رب لولا أخرتني) اى هلا أمهلتني وقيل لو أخرت أجلي (الى أجل قريب فأصدق) اى فأزكي مالي (وأكون) وقرئ وأكن (من الصالحين) اى المؤمنين وقيل نزلت هذه الآية في المنافقين ويدل على هذا ان المؤمن لا يسأل الرجعة وقيل نزلت في المؤمنين والمراد بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس ما من أحد يموت وكان له مال ولم يؤد زكاته وأطاق الحج ولم يحج الا سأل الرجعة عند الموت وقرأ هذه الآية وأكون من الصالحين اى أحج وأزكي (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها) يعني انه تعالى لا يؤخر من حضر أجله وانقضت مدته (والله خبير بما تعملون) يعني انه لو رد الى الدنيا وأجيب الى ما يسأل ما حج وما زكى وقيل هو خطاب شائع لكل عامل عملا من خير أو شر والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة التغابن وهي مدنية

في قول الاكثر وقيل هي مكية الا ثلاث آيات من قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم الى آخر ثلاث آيات وهي ثماني عشرة آية ومائتان وأربع وأربعون كلمة وألف وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد) يعني انه تعالى متصرف في ملكه كيف يشاء تصرف اختصاص لا شريك له فيه وله الحمد لان أصول النعم كلها منه وهو الذي يحمد على كل حال فلا محمود في جميع الاحوال الا هو (وهو على كل شيء قدير) يعني انه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء كما يشاء بلا مانع ولا مدافع (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) قال ابن عباس ان الله تعالى خلق بني آدم مؤمنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا (م) عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم (ق) عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اى رب نطفة اى رب علقة اى رب مضغة فاذا أراد الله أن يقضي خلقها قال يا رب أذكر أم انثى أشقي أم سعيد

(ولكن المنافقين لا يفقهون) ولكن عبد الله واضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان (يقولون لئن رجعنا) من غزوة بني المصطلق (الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة) أي الغلبة والقوة (ولرسوله وللمؤمنين) ولمن اعزه الله وايده من رسله ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة ألست على الإسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن ابن علي رضي الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية (ولكن المنافقين لا يعلمون) يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) لا تشغلكم (أموالكم) هو التصرف فيها والسعي في تدبير أمرها بالنماء وطلب النتاج (ولا اولادكم) وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم (عن ذكر الله) أي عن الصلوات الخمس او عن القرآن (ومن يفعل ذلك) يريد الشغل بالدنيا عن الدين وقيل من يشتغل بتثمير امواله عن تدبير احواله وبمرضاة اولاده عن اصلاح معاده (فأولئك هم الخاسرون) في تجارتهم حيث باعوا الباقي بالفاني (وأنفقوا مما رزقناكم) من للتبعيض والمراد بالانفاق الواجب (من قبل ان يأتي أحدكم الموت) أي من قبل ان يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال ويتعذر عليه الانفاق (فيقول رب لولا أخرتني) هلا أخرت موتي (الى أجل قريب) الى زمان قليل (فأصدق) فاتصدق وهو جواب لولا (وأكن من الصالحين) من المؤمنين والآية في المؤمنين وقيل في المنافقين وأكون أبو عمرو بالنصب عطفا على اللفظ والجزم على موضع فاصدق كأنه قيل ان أخرتني اصدق وأكن (ولن يؤخر الله نفسا) عن الموت (اذا جاء أجلها) المكتوب في اللوح المحفوظ (والله خبير بما تعملون) يعملون حماد ويحيى والمعنى انكم اذا علمتم ان تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة والله عليم باعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى والله أعلم بالصواب

(سورة التغابن ثماني عشرة آية مختلف فيها)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك ان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شيء والقائم به وكذا الحمد لان اصول النعم وفروعها منه واما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) أي فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له ويدل عليه قوله

(والله بما تعملون بصير) أى عالم وبصير بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذى تفضل عليكم باصل النعم الذى هو الخلق والايجاد عن العدم وكان يجب ان تكونوا بأجمعكم شاكرين فما بالكم تفرقتم امما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم وهو رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين وقيل هو الذى خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به (خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم (وصوركم فأحسن صوركم) أى جعلكم احسن الحيوان كله وابهاه بدليل ان الانسان لا يتمنى ان تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن احسن صورته ان خلقه منتصبا غير منكب ومن كان دميما مشوه الصورة سمج الخلقة فلا سماجة ثم ولكن الحسن على طبقات فلا نحطاطها عما فوقها لا تستملح ولكنها غير خارجة عن حد الحسن وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان (واليه المصير) فأحسنوا سرائركم كما احسن صوركم (يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) نبه بعلمه ما فى السموات والارض ثم بعلمه بما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه بذات الصدور ان شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه فحقه ان يتقى ويحذر ولا يجترأ على شئ مما يخالف رضاه وتكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن فى معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى الخالق ولا تشكر نعمته (ألم يأتكم) الخطاب لكفار مكة (نبأ الذين كفروا من قبل) يعنى قوم نوح وهود وصالح ولوط (فذاقوا وبال أمرهم) أى ذاقوا وبال كفرهم فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) فى العقبى (ذلك) اشارة الى ما ذكر من الوبال الذى ذاقوه فى الدنيا وما أعد لهم من العذاب فى الآخرة (بانه) بان الشأن والحديث (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا أبشر يهدوننا) انكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة للحجر (فكفروا) بالرسل (وتولوا) عن الايمان (واستغنى الله) اطلق ليتناول كل شئ ومن جملته ايمانهم وطاعتهم (والله غنى) عن خلقه (حميد) على صنعه (زعم الذين كفروا) أى أهل مكة والزعم ادعاء العلم ويتعدى تعدى العلم (ان لن يبعثوا) ان مع ما فى حيزه قائم مقام المفعولين وتقديره انهم لن يبعثوا (قل بلى) هو اثبات لما بعد ان وهو البعث (وربى لتبعثن) اكد الاخبار باليمين فان قلت ما معنى اليمين على شئ أنكروه قلت هو جائز لان التهدد به اعظم موقعا فى القلب فكانه قيل لهم ما تنكرونه كائن لا محالة (ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك) البعث (على الله يسير) هين (فآمنوا بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذى أنزلنا) يعنى القرآن لانه يبين حقيقة كل شئ فيهتدى به كما بالنور (والله بما تعملون خبير) فراقبوا أموركم (يوم يجمعكم) انتصب الظرف بقوله لتنبؤن او باضمار اذكر (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون (ذلك يوم التغابن) وهو مستعار من تغابن القوم فى التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا اشقياء كما ورد فى الحديث ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس فى غير ذلك اليوم استعظام له وان تغابنه هو التغابن فى الحقيقة لا التغابن فى أمور الدنيا

فالرزق فالاجل فيكتب ذلك وهو فى بطن أمه وقال جماعة فى معنى الآية ان الله تعالى خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا لان الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم اختلفوا فى تأويلها فروى عن أبى سعيد الخدرى انه قال فمنكم كافر حياته مؤمن فى العاقبة ومنكم مؤمن حياته كافر فى العاقبة وقال عطاء بن أبى رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب وقيل فمنكم كافر اى بأن الله خلقه وهم الدهرية أصحاب الطبائع ومنكم مؤمن اى بأن الله خالقه وجملة القول فيه ان الله خالق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخالق المؤمن وايمانه فعلا له وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار واختياره بتقدير الله وبمشيئته فالمؤمن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه هذا طريق أهل السنة فمن سلك هذا أصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية (والله بما تعملون بصير) اى انه عالم بكفر الكافر وايمان المؤمن (خلق السموات والارض بالحق وصوركم فأحسن صوركم) أى انه أتقن وأحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله فى الحسن والمنظر من حسن القامة والمناسبة فى الاعضاء وقد علم بهذا ان صورة الانسان أحسن صورة وأكملها (واليه المصير) اى المرجع فى القيامة (يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) معناه انه لا تخفى عليه خافية فاستوى فى علمه الظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم قوله تعالى (ألم يأتكم) يخاطب كفار مكة (نبأ الذين كفروا من قبل) يعنى خبر الامم الخالية (فذاقوا وبال أمرهم) اى جزاء أعمالهم وهو ما لحقهم من العذاب فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) اى فى الآخرة (ذلك) اى الذى نزل بهم من العذاب (بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا) معناه انهم انكروا أن يكون الرسول بشرا وذلك لقلة عقولهم وسخافة احلامهم ولم ينكروا ان يكون معبودهم حجرا (فكفروا) اى جحدوا وأنكروا (وتولوا) اى أعرضوا (واستغنى الله) اى عن ايمانهم وعبادتهم (والله غنى) اى عن خلقه (حميد) اى فى افعاله ثم أخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل) اى قل لهم يا محمد (بلى وربى لتبعثن) اى يوم القيامة (ثم لتنبؤن) اى لتخبرن (بما عملتم وذلك على الله يسير) اى فى أمر البعث والحساب يوم القيامة (فآمنوا بالله ورسوله) لما ذكر حال الامم الماضية المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال فآمنوا أنتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة (والنور الذى أنزلنا) يعنى القرآن سماه نورا لانه يهتدى به فى ظلمات الضلال كما يهتدى بالنور فى الظلمة (والله بما تعملون خبير) يعنى انه مطلع عليكم عالم بأحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه قوله عز وجل (يوم يجمعكم ليوم الجمع) يعنى يوم القيامة يجمع الله فيه الاولين والآخرين وأهل السموات واهل الارضين (ذلك يوم التغابن) من الغبن وهو فوت الحظ فى المجازاة والتجارة وذلك انه اذا أخذ الشئ بدون قيمته فقد غبن والمغبون من غبن أهله ومنازله فى الجنة وذلك لان كل كافر له أهل ومنزل

في الجنة لو أسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان ويظهر غبن كل مؤمن بتقصيره في الاحسان وقيل ان قوما في النار يعذبون وقوما في الجنة ينعمون فلا غبن أعظم من هذا وقيل هو غبن المظلوم للظالم لان المظلوم مغبون في الدنيا فصار في الآخرة غابنا الظالمه وأصل الغبن في البيع والشراء وقد ذكر الله في حق الكافرين انهم خسروا وغبنوا في شرائهم فقال تعالى اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال في حق المؤمنين هل أدلكم على تجارة وقال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فخسرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المؤمنين (ومن يؤمن بالله) على ماجاءت به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار (ويعمل صالحا) اى في ايمانه الى ان يموت على ذلك (يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا) اى بوحدانية الله وقدرته (وكذبوا بآياتنا) اى الدالة على البعث (أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة الا باذن الله) اى بقضاء الله وقدره وارادته (ومن يؤمن بالله) اى يصدق انه لامصيبة من موت أو مرض أو ذهاب مال ونحو ذلك الا بقضاء الله وقدره واذنه (يهد قلبه) أى يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضاء الله تعالى وقدره وقيل يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء (والله بكل شئ عليم وأطيعوا الله) اى فيما أمر (وأطيعوا الرسول) اى فيما جاء به عن الله وما أمركم به (فان توليتم) اى عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه (فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو) اى لامعبود ولا مقصود الا هو (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) عن ابن عباس قال هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأبى ازواجهم وأولادهم ان يدعوهم الى ان يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم راوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى ياأيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة (وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا) هذا فيمن أقام على الاهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر فرأى الذين قد سبقوه بالهجرة قد فقهوا في الدين فهم ان يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولا ينفق عليهم ولا يصيبهم بخير فأمره الله بالعفو والصفح عنهم وقال عطاء بن يسار نزلت في عوف بن مالك الاشجعي وكان ذا اهل وولد فاذا أراد ان يغزو بكوا عليه وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم فيقيم فأنزل الله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم بحملهم اياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم اى ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا اى فلا تعاقبوهم على خلافكم (فان الله غفور رحيم انما أموالكم وأولادكم فتنة) اى بلاء واختبار وشغل عن الآخرة وقد يقع الانسان بسببهم في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك (والله عنده أجر عظيم) يعني الجنة والمعنى لا تباشروا المعاصي بسبب أولادكم ولا تؤثروهم على ماعند الله من الاجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة أدخل من للتبعيض فقال ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم لانهم كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر من في قوله انما أموالكم وأولادكم فتنة لانهم لم يخلوا عن الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبد الله ابن مسعود يقول لا يقولن أحدكم اللهم انى أعوذ بك من الفتنة فانه ليس أحد منكم يرجع الى أهل ومال وولد الا يشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم انى أعوذ بك من مضلات الفتن عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي

(ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) صفة للمصدر أى عملا صالحا (يكفر عنه سيئاته ويدخله) وبالنون فيهما مدني وشامي (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة) شدة ومرض وموت أهل او شئ يقتضي هما (الا باذن الله) بعلمه وتقديره ومشيئته كانه اذن للمصيبة ان تصيبه (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول انا لله وانا اليه راجعون او يشرحه للازدياد من الطاعة والخير او يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلى صبر وان أعطى شكر وان ظلم غفر (والله بكل شئ عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم) عن طاعة الله وطاعة رسوله (فانما على رسولنا البلاغ المبين) أى عليه التبليغ وقد فعل (الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه (ياأيها الذين آمنوا ان من أزواجكم واولادكم عدوا لكم) أى ان من الازواج ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ومن الاولاد اولادا يعادون آباءهم ويعقونهم (فاحذروهم) الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا أى لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم (وان تعفوا) عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها (وتصفحوا) تعرضوا عن التوبيخ (وتغفروا) وتستروا ذنوبهم (فان الله غفور رحيم) يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم قيل ان ناسا ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين أرادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو (انما اموالكم واولادكم فتنة) بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم منهما (والله عنده اجر عظيم) أى في الآخرة وذلك اعظم من منفعتكم بأموالكم واولادكم ولم يدخل فيه من كما في العداوة لان الكل لا يخلو عن الفتنة وشغل القلب وقد يخلو بعضهم عن العداوة وزفعتهما

ورفعتهما أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) اى ما أطقتم وهذه الآية ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته (واسمعوا وأطيعوا) اى لله ولرسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه (وانفقوا) اى من أموالكم حق الله الذى أمركم به (خيرا لانفسكم) اى ما انفقتم فى طاعة الله (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره (ان تقرضوا الله قرضا حسنا) القرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيب نفس يعنى ان تقرضوا اى تنفقوا فى طاعة الله متقربين اليه بالانفاق (يضاعفه لكم) اى يجزكم بالضعف الى سبعمائة الى ما يشاء من الزيادة (ويغفر لكم والله شكور) يعنى يحب المتقرب اليه (حليم) اى لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) والله أعلم

(تفسير سورة الطلاق مدنية)

وهى اثنتا عشرة آية ومائتان وتسع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها النبى اذا طلقتم النساء) نادى النبى صلى الله عليه وسلم ثم خاطب أمته لانه المقدم عليهم فاذا خوطب خطاب الجمع كانت أمته داخلة فى ذلك الخطاب وقيل معناه يا أيها النبى قل لامتك فاضمر القول اذا طلقتم النساء اى اردتم تطليقهن (فطلقوهن لعدتهن) اى لزمان عدتهن وهو الطهر لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل فى العدة عقب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن فطلقوهن قبل عدتهن وهذا فى المدخول بها لان غير المدخول بها لا عدة عليها نزلت هذه الآية فى عبد الله بن عمر كان قد طلق امرأته فى حال الحيض (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما انه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له ان يطلقها فليطلقها قبل ان يمسها فتلك العدة التى أمر الله ان تطلق لها النساء زاد فى رواية كان عبد الله طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها عبد الله كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية لمسلم انه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا او حاملا ولمسلم من حديث ابى الزبير انه سمع عبد الرحمن بن ايمن مولى عروة يسأل ابن عمر وابو الزبير يسمع كيف ترى فى رجل طلق امرأته حائضا فقال طلق ابن عمر امرأته وهى حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق او ليمسك قال ابن عمر وقرأ النبى صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن ٤ فى قبل عدتهن

(فصل اعلم ان الطلاق فى حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك فى الطهر الذى جامعها فيه) لقول النبى صلى الله عليه وسلم وان شاء طلق قبل ان يمس والطلاق السنى ان يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه وهذا فى حق امرأة تلزمها العدة بالاقراء فاما اذا طلق غير المدخول بها فى حال الحيض او طلق الصغيرة التى لم تحض أو الآيسة بعد ما جامعها او طلق الحامل بعد ما جامعها او طلق التى لم تر الدم لا يكون بدعيا ولا سنة ولا بدعة فى طلاق هؤلاء لان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها طاهرا او حاملا والخلع فى حال الحيض او فى طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا لان النبى صلى الله عليه وسلم اذن ثابت بن قيس فى مخالعة زوجته قبل ان يعرف حالها ولولا جوازه فى جميع الاحوال لامره ان يتعرف الحال ولو طلق امرأته فى حال الحيض او فى طهر جامعها فيه قصدا عصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبى صلى الله عليه وسلم أمر ابن عمر بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يأمر بالمراجعة واذا راجعها فى حال الحيض يجوز ان يطلقها

(فاتقوا الله ما استطعتم) جهدكم ووسعكم قيل هو تفسير لقوله حق تقاته (واسمعوا) ما توعظون به (واطيعوا) فيما تؤمرون به وتنهون عنه (وانفقوا) فى الوجوه التى وجبت عليكم النفقة فيها (خيرا لانفسكم) أى انفاقا خيرا لانفسكم وقال الكسائى يكن الانفاق خيرا لانفسكم والاصح ان تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا (ومن يوق شح نفسه) أى البخل بالزكاة والصدقة الواجبة (فأولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا) بنية واخلاص وذكر القرض تلطفا فى الاستدعاء (يضاعفه لكم) يكتب لكم بالواحدة عشرا او سبعمائة الى ما شاء من الزيادة (ويغفر لكم والله شكور) يقبل القليل ويعطى الجزيل (حليم) يقيل الجليل من ذنب البخيل او يضعف الصدقة لدافعها ولا يعجل العقوبة لمانعها (عالم الغيب) أى يعلم ما استتر من سرائر القلوب (والشهادة) أى ما انتشر من ظواهر الخطوب (العزيز) المعز باظهار السيوب (الحكيم) فى الاخبار عن الغيوب والله أعلم

(سورة الطلاق مدنية وهى اثنتا عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبى اذا طلقتم النساء) خص النبى صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبى امام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم يا فلان افعلوا كذا اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه قدوة قومه فكان هو وحده فى حكم كلهم وسادا مسد جميعهم وقيل التقدير يا أيها النبى والمؤمنين ومعنى اذا طلقتم النساء اذا أردتم تطليقهن على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشى الى الصلاة والمنتظر لها فى حكم المصلى (فطلقوهن لعدتهن) فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبل عدتهن واذا طلقت المرأة فى الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد

٤ قوله فى قبل عدتهن قال فى شرح مسلم هى قراءة ابن عباس وابن عمر وهى شاذة لا تثبت قرآنا بالاجماع ولا يكون لها حكم خبر الواحد عندنا اه مصححه

فى حال الطهر الذى يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وأنس وابن سيرين عن ابن عمر ولم ية ولا ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فأمر استحباب استحب تأخير الطلاق الى الطهر الثانى حتى لا تكون مراجعته اياها للطلاق كما أنه يكره النكاح للطلاق ولا بدعة فى الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض أهل العلم فلو طلق امرأته فى حال الطهر ثلاثا لا يكون بدعيا وهو قول الشافعى وأحمد وذهب بعضهم الى انه بدعة وهو قول مالك وأصحاب الرأى قوله تعالى (وأحصوا العدة) اى عدة اقرائها فاحفظوها قيل أمر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا أراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى (واتقوا الله ربكم) اى واخشوا الله ولا تعصوه فيما أمركم به (لا تخرجوهن من بيوتهن) يعنى اذا كان المسكن الذى طلقها فيه الزوج له بملك أو كراء وان كان عارية فارتجعت كان على الزوج أن يكرى لها منزلا غيره ولا يجوز للزوج أن يخرج المرأة من المسكن الذى طلقها فيه (ولا يخرجن) يعنى ولا يجوز للمرأة ان تخرج ما لم تنقض عدتها لحق الله تعالى فان خرجت لغير ضرورة اثمت فان وقعت ضرورة بأن خافت هدما أو غرقا جاز لها أن تخرج الى منزل آخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل او شراء قطن جاز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا يدل على ذلك ان رجالا استشهدوا بأحد فقالت نساؤهم نستوحش فى بيوتنا فأذن لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتحدثن عند احداهن فاذا كان وقت النوم تأوى كل امرأة الى بيتها واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالة جابر وقد كان طلقها زوجها ان تخرج لجداد نخلها فاذا لزمتها العدة فى السفر تعتد فى أهلها ذاهبة وراجعة والبدوية تتبوأ حيث يتبوأ أهلها فى العدة لان الانتقال فى حقهم كالاقامة فى حق المقيم وقوله تعالى (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) قال ابن عباس الفاحشة المبينة بذاءتها على أهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها وقيل أراد بالفاحشة ان تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه الا ان يطلقها على نشوزها فلها ان تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة (وتلك حدود الله) يعنى ما ذكر من سنة الطلاق وما بعده من الاحكام (ومن يتعد حدود الله) اى فيطلق لغير السنة أو تجاوز هذه الاحكام (فقد ظلم نفسه) اى ضر نفسه (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) اى يوقع فى قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على ان المستحب ان يفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم أمكنه المراجعة عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحل الله شيئا أبغض اليه من الطلاق أخرجه أبو داود مرسلا وله فى رواية عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس به حرام عليها رائحة الجنة أخرجه أبو داود والترمذى قوله تعالى (فاذا بلغن أجلهن) اى اذا قربن من انقضاء عدتهن (فأمسكوهن) اى راجعوهن (بمعروف او فارقوهن بمعروف) اى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فتبين منكم (وأشهدوا ذوى عدل منكم) اى على الرجعة وعلى الفراق أمر بالاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق عن عمران بن حصين انه سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقة بغير سنة ورجعة بغير سنة اشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعتد أخرجه أبو داود وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابى حنيفة كما فى قوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعى هو واجب فى الرجعة مندوب اليه فى الفرقة وفائدة هذا الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم فى امساكها وان لا يموت أحد الزوجين فيدعى الآخر ثبوت الزوجية ليرث وقيل أمر بالاشهاد للاحتياط مخافة ان تنكر الزوجة المراجعة فتنقضى العدة وتنكح زوجا غيره (وأقيموا الشهادة) يعنى أيها الشهود (لله) اى طلبا لمرضاة الله وقياما

ان تطلق المدخول بهن من المعتدات بالحيض فى طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن وهذا أحسن الطلاق (وأحصوا العدة) واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن وخوطب الازواج لغفلة النساء (واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن) حتى تنقضى عدتهن (من بيوتهن) من مساكنهن التى يسكنها قبل العدة وهى بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وفيه دليل على ان السكنى واجبة وان الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيما اذا حلف لا يدخل داره ومعنى الاخراج ان لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن وان لا يأذنوا لهن فى الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر له فى رفع الحظر (ولا يخرجن) بأنفسهن ان اردن ذلك (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) قيل هى الزنى أى الا ان يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة فى نفسه (وتلك حدود الله) أى الاحكام المذكورة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى) ايها المخاطب (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) بان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة ولا تخرجوهن من بيوتهن لعلكم تندمون فتراجعون (فاذا بلغن اجلهن) قاربن آخر العدة (فأمسكوهن بمعروف اوفارقوهن بمعروف) أى فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو ان يراجعها فى آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها (وأشهدوا) يعنى عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه لئلا يقع بينهما التجاحد (ذوى عدل منكم) من المسلمين (وأقيموا الشهادة لله) لوجهه خالصا وذلك ان يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق

(ذلكم) الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى انما ينتفع به هؤلاء (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) هذه جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء أمر الطلاق على السنة والمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد يجعل الله له مخرجا مما فى شأن الازواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ويعطيه الخلاص (ويرزقه من حيث لا يحتسب) من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به أى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرأها ويعيدها وروى ان عوف بن مالك اسر المشركون ابنا له فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابنى وشكا اليه الفاقة فقال ما امسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فعاد الى بيته وقال لامرأته ان رسول الله امرنى واياك ان نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقالت نعم ما أمرنا به فجعلا يقولان ذلك فبيناهو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية (ومن يتوكل على الله) يكل أمره اليه عن طمع غيره وتدبير نفسه (فهو حسبه) كافيه فى الدارين (ان الله بالغ أمره) حفص منفذ أمره غيره بالغ امره أى يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب (قد جعل الله لكل شئ قدرا) تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شئ من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) روى ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائى لم يحضن فنزلت (ان ارتبتم) اى اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن (فعدتهن ثلاثة أشهر) أى فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم فى دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة او بخمس وخمسين اهو دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلاثة اشهر واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بذلك (واللائى لم يحضن) هن الصغائر وتقديره واللائى لم يحضن فعدتهن ثلاثة اشهر فحذفت الجملة لدلالة المذكور عليها (وأولات الاحمال اجلهن) عدتهن (ان يضعن حملهن) والنص يتناول المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن وعن على وابن عباس رضى الله عنهما عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ابعد الاجلين

بوصيته والمعنى اشهدوا بالحق وادوها على الصحة (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا) قيل معناه ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة وقال أكثر المفسرين نزلت فى عوف بن مالك أسر ابن له يسمى مالكا فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أسر العدو ابنى وشكا اليه ايضا فاقة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبيناهو فى بيته اذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فأصاب منهم ابلا وجاء بها الى أبيه وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى أبيه وهى أربعة آلاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا اى فى ابنه (ويرزقه من حيث لا يحتسب) يعنى ماساق من الغنم وقيل أصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى أبيه فانطلق أبوه الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر وسأله أيحل له أن يأكل ما أتى به ابنه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت الآية وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شئ ويرزقه من حيث لا يحتسب هو أن يعلم انه من قبل الله وان الله رازقه وقال الربيع بن خيثم يجعل له مخرجا من كل شئ ضاق على الناس وقيل مخرجا من كل شدة وقيل مخرجا عما نهاه الله عنه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) يعنى من يتق الله فيما نابه كفاه ما أهمه وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا (ان الله بالغ أمره) اى منفذ أمره وممض فى خلقه ماقضاه (قد جعل الله لكل شئ قدرا) اى جعل لكل شئ من شدة اورخاء أجلا ينتهى اليه وقال مسروق فى هذه الآية ان الله بالغ أمره توكل عليه أم لم يتوكل عليه غيران المتوكل يكفر عنه سيئاته و يعظم له أجرا قوله عز وجل (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) قيل لما نزلت والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان ابن قيس الانصارى يارسول الله فما عدة من تحيض والتى لم تحض وعدة الحبلى فأنزل الله عز وجل واللائى يئسن من المحيض من نسائكم يعنى القواعد اللاتى قعدن عن الحيض فلا يرجى ان يحضن وهن العجائز الآيسات من الحيض (ان ارتبتم) اى شككتم فى حكمهن ولم تدروا ما عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن) يعنى الصغائر اللاتى لم يحضن بعد فعدتهن ايضا ثلاثة أشهر اما الشابة التى كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ سن الآيسات فذهب أكثر أهل العلم الى ان عدتها لا تنقضى حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة اقراء ومن تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة اشهر وهذا قول عثمان وعلى وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعى وأصحاب الرأى وحكى عن عمر انها تتربص تسعة اشهر فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهذا فى الطلاق وهو قول مالك وقال الحسن تتربص سنة فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهذا كله فى عدة الطلاق واما المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة اشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض اولا تحيض واما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها اومات عنها وهو قوله تعالى (وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن) (ق) عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بنى عامر بن لؤى وكان ممن شهد بدرا فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بنى عبد الدار فقال لها مالى أراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وانت والله ما انت بناكح حتى يمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لى ذلك جمعت على ثيابى حتى امسيت وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فافتانى بأنى قد حللت

حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج ان بدا لي لفظ البخاري ولمسلم نحوه وزاد قال ابن شهاب ولا أرى بأسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير انه لا يقربها زوجها حتى تطهر (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) أي يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة (ذلك) أي ذلك الذي ذكر من الاحكام (أمر الله انزله اليكم) أي لتعملوا به (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) قوله تعالى (أسكنوهن) يعني مطلقات نسائكم (من حيث سكنتم من وجدكم) أي من سعتكم وطاقتكم فان كان موسرا يوسع عليها في المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر الطاقة (ولا تضاروهن) أي لا تؤذوهن (لتضيقوا عليهن) يعني في مساكنهن فيخرجن (وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) أي فيخرجن من عدتهن

(فصل في حكم الآية) اعلم ان المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة ونعني بالسكنى مؤنة السكنى فان كانت الدار التي طلقها الزوج فيها ملك الزوج يجب على الزوج ان يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان يكترى لها دارا تسكنها وأما المعتدة البائنة بالخلع أو بالطلاق الثلاث أو باللعان فلها السكنى حاملا كانت أو غير حامل عند أكثر أهل العلم وروى عن ابن عباس انه قال لا سكنى لها الا ان تكون حاملا وهو قول الحسن والشعبي واختلفوا في نفقتها فذهب قوم الى انه لا نفقة لها الا ان تكون حاملا يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن والشعبي وبه قال الشافعي وأحمد ومنهم من أوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعي وبه قال الثوري وأصحاب الرأي وظاهر القرآن يدل على انها لا تستحق النفقة الا ان تكون حاملا لقوله تعالى وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن وأما الدليل على ذلك من السنة فما روى عن فاطمة بنت قيس ان أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فأرسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله ما لك علينا من شيء فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عليه نفقة وأمرها ان تعتد في بيت أم شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها أصحابي فاعتدي عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده فاذا حللت فآذنيني قالت فلما حللت ذكرت له ان معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي أسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحي أسامة بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت أخرجه مسلم واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرها ان تعتد في بيت عمرو بن أم مكتوم ولا حجة له فيه لما روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد ابن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على أحمائها وكان في لسانها ذرابة وأما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا وأما المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند أكثر أهل العلم وروى عن علي ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها وللشافعي فيه قولان أحدهما انه لا سكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول علي وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول أبي حنيفة والثاني ان لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وبه قال مالك والثوري وأحمد واسحاق واحتج من أوجب لها السكنى بما روى عن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألته أن ترجع الى أهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه قالت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أرجع الى أهلي في بني خدرة فان زوجي لم يترك لي مسكنا يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى كنت في الحجرة ناداني فنوديت فقال كيف

قلت

(ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) ييسر له من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى (ذلك أمر الله) أي ما علم من حكم هؤلاء المعتدات (انزله اليكم) من اللوح المحفوظ (ومن يتق الله) في العمل بما انزله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه (يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) ثم بين التقوى في قوله ومن يتق الله فكأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل (أسكنوهن) وكذا وكذا (من حيث سكنتم) هي من التبعيضية مبعضها محذوف أي أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أي بعض مكان سكناكم (من وجدكم) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والمشهور الضم والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي لا نفقة للمبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها بت طلاقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لعلها نسيت أو شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة (ولا تضاروهن) ولا تستعملوا معهن الضرار (لتضيقوا عليهن) في المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن أو بشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج (وان كن) أي المطلقات (أولات حمل) ذوات أحمال (فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) وفائدة اشتراط الحمل ان مدة الحمل ربما تطول فيظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل

فنفى ذلك الوهم (فان ارضعن لكم) يعنى هؤلاء المطلقات ان ارضعن لكم ولدا من غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية (فآتوهن اجورهن) فحكمهن
فى ذلك حكم الأظآر ولا يجوز الاستئجار اذا كان الولد منهن مالم يبن خلافا للشافعى رحمه الله (وائتمروا بينكم) أى تشاوروا على التراضى فى الاجرة أوليأمر
بعضكم بعضا والخطاب للآباء والامهات (بمعروف) بما يليق بالسنة ويحسن فى المروءة فلا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما وهما شريكان فيه
وفى وجوب الاشفاق عليه (وان تعاسرتم) تضايقتم فلم ترض الام بما ترضع به الاجنبية ولم يزد الاب على ذلك (فسترضع له أخرى) فستوجد ولا تعوز
مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاقبة الام على المعاسرة وقوله له أى للاب أى سيجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته امه

قالت فرددت عليه القصة التى ذكرت له من شأن زوجى فقال امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله
قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان أرسل الى فسألنى عن ذلك فأخبرته
فاتبعه وقضى به أخرجه ابوداود والترمذى فمن قال بهذا القول قال اذنه لفريعة اولا بالرجوع صار
منسوخا بقوله آخرا امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله ومن لم يوجب السكنى قال امرها بالمكث فى
بيتها آخرا استحبابا لا وجوبا قوله عز وجل (فان ارضعن لكم) يعنى اولادكم (فآتوهن أجورهن)
يعنى على ارضاعهن وفيه دليل على ان اللبن وان كان قد خلق لمكان الولد فهو ملك للام والا لم يكن لها
ان تأخذ عليه اجرا وفيه دليل على ان حق الرضاع والنفقة على الازواج فى حق الاولاد (وائتمروا بينكم
بمعروف) أى ليقبل بعضكم من بعض اذا امره بالمعروف وقيل يتراضى الاب والام على اجر مسمى
والخطاب للزوجين جميعا امرهم ان يأتوا بالمعروف وما هو الاحسن ولا يقصدوا الضرار وقيل المعروف
ههنا ان لا يقصر الرجل فى حق المرأة ونفقتها ولا المرأة فى حق الولد ورضاعه (وان تعاسرتم) اى فى
حق الولد واجرة الرضاع فأبى الزوج ان يعطى المرأة اجرة رضاعها وأبت الام ان ترضعه فليس له اكراهها
على ارضاعه بل يستأجر للصبى مرضعا غير أمه وذلك قوله (فسترضع له أخرى لينفق ذو سعة من سعته)
اى على قدر غناه (ومن قدر) اى ضيق (عليه رزقه) فكان بمقدار القوت (فلينفق مما آتاه
الله) اى على قدر ما آتاه الله من المال (لا يكلف الله نفسا) اى فى النفقة (الا ما آتاها) يعنى من
المال والمعنى لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغنى فى النفقة (سيجعل الله بعد عسر يسرا) اى بعد ضيق
وشدة غنى وسعة قوله تعالى (وكأين من قرية عتت) اى عصت وطغت والمراد اهل القرية (عن
أمر ربها ورسله) اى وامر رسله (فحاسبناها حسابا شديدا) اى بالمناقشة والاستقصاء وقيل حاسبها
بعملها فى الكفر فجزاها النار وهو قوله (وعذبناها عذابا نكرا) اى منكرا فظيعا وفيه تقديم وتأخير
مجازه فعذبناها فى الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر انواع البلاء وحاسبناها فى الآخرة حسابا شديدا
(فذاقت وبال أمرها) اى شدة امرها وجزاء كفرها (وكان عاقبة أمرها خسرا) اى خسرانا فى الدنيا
والآخرة (أعد الله لهم عذابا شديدا) يخوف كفار مكة ان ينزل بهم ما نزل بالامم الماضية (فاتقوا
الله يا أولى الالباب) اى يا ذوى العقول ثم نعتهم فقال تعالى (الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا)
يعنى القرآن (رسولا) اى وأرسل اليكم رسولا (يتلو عليكم آيات الله مبينات) قرئ مبينات
بالخفض اى تبين الحلال من الحرام والامر والنهى وقرئ بالنصب ومعناه انها واضحات (ليخرج الذين
آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور) اى من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الجهل الى
نور العلم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن
الله له رزقا) يعنى الجنة التى لا ينقطع نعيمها وقيل يرزقون طاعة فى الدنيا وثوابا فى الآخرة (الله
الذى خلق سبع سموات) يعنى بعضها فوق بعض (ومن الارض مثلهن) اى فى العدد (يتنزل الامر

(لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه
فلينفق مما آتاه الله) أى لينفق كل واحد من
الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من
الانفاق على المطلقات والمرضعات ومعنى قدر
عليه رزقه ضيق أى رزقه الله على قدر قوته
(لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) أعطاها من
الرزق (سيجعل الله بعد عسر يسرا) بعد ضيق
فى المعيشة سعة وهذا وعد لذى العسر باليسر
(وكأين من قرية) من أهل قرية (عتت) أى
عصت (عن أمر ربها ورسله) اعرضت عنه
على وجه العتو والعناد (فحاسبناها حسابا
شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (وعذبناها
عذابا نكرا) نكرا مدنى وأبو بكر منكرا عظيما
(فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا)
أى خسارا وهلاكا والمراد حساب الآخرة
وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون
من الخسر وجىء به على لفظ الماضى لان المنتظر
من وعد الله ووعيده ملاقى فى الحقيقة وما هو كائن
فكأن قد كان (اعد الله لهم عذابا شديدا)
تكريرا للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال
اعد الله لهم هذا العذاب (فاتقوا الله يا أولى
الالباب الذين آمنوا) فليكن لكم ذلك يا أولى
الالباب من المؤمنين لطفا فى تقوى الله
وحذر عقابه ويجوز ان يراد احصاء السيئات
واستقصاؤها عليهم فى الدنيا واثباتها فى صحائف
الحفظة وما أصيبوا به من العذاب فى العاجل
وان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية
واعد الله لهم جوابا لكأين (قد انزل الله اليكم
ذكرا) أى القرآن وانتصب (رسولا) بفعل

مضمر تقديره ارسل رسولا او هو بدل من ذكرا كأنه فى نفسه ذكر او على تقدير حذف المضاف أى قد أنزل الله اليكم ذا ذكر رسولا او أريد بالذكر الشرف
كقوله وانه لذكر لك ولقومك أى ذا شرف ومجد عند الله وبالرسول جبريل او محمد عليهما السلام (يتلو) أى الرسول او الله عز وجل (عليكم آيات الله مبينات
ليخرج) الله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح او ليخرج الذين علم انهم يؤمنون (من الظلمات الى
النور) من ظلمات الكفر او الجهل الى نور الايمان او العلم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله) وبالنون مدنى وشامى (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها أبدا) وحد وجمع حملا على لفظ من ومعناه (قد أحسن الله له رزقا) فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب (الله الذى خلق) مبتدأ وخبر
(سبع سموات) اجمع المفسرون على ان السموات سبع (ومن الارض مثلهن) بالنصب عطفا على سبع سموات قيل ما فى القرآن آية تدل على ان الارضين سبع
الا هذه الآية وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات وقيل الارض واحدة الا ان الاقاليم سبعة (يتنزل الامر

بينهن) اى الوحى الى خلقه من السماء العليا الى الارض السفلى وقيل هو مايدبر فيهن من عجائب
تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات ويأتى بالليل والنهار وبالصيف والشتاء ويخلق الحيوان على اختلاف
هيئاته وينقله من حال الى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا وقيل فى كل سماء
من سمواته وارض من ارضيه خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه (لتعلموا أن الله على كل شئ
قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لا تخفى عليه خافية وانه
قادر على الانشاء بعد الافناء وكل الكائنات تحت قدرته داخلة فى علمه والله تعالى أعلم

(تفسير سورة التحريم)

وهى مدنية واثنتا عشرة آية ومائتان وسبع واربعون كلمة وألف وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم) ذكر
سبب نزولها (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء
والعسل وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر
فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فغدوت فسألت عن ذلك فقيل لى أهدت لها امرأة من قومها عكة
فيها عسل فسقت النبى صلى الله عليه وسلم منها شربة فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة فقلت
اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولى له يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لا فقولى ما هذه الريح
التى أجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتنى
حفصة شربة عسل فقولى له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقولى انت يا صفية ذلك فلما دخل على
سودة قالت سودة والذى لا اله الا هو لقد كدت أبادئه بالذى قلت وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا
منها قالت له سودة يا رسول الله اكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التى أجد منك قال سقتنى حفصة
شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل على قلت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت له
يا رسول الله ألا اسقيك منه قال لا حاجة لى فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قلت لها اسكتى
(ق) عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب
عندها عسلا فتواطأت أنا وحفصة ان أيتنا دخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم ان تقول له انا نجد منك
ريح مغافير فدخل على احداهما فقالت له اكلت مغافير فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش
ولن اعود له فنزلت يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك الى قوله ان تتوبا الى الله لعائشة وحفصة واذ أسر
النبى الى بعض أزواجه حديثا يعنى قوله بل شربت عسلا ولن اعود له وقد حلفت فلا تخبرى بذلك أحدا
زاد فى رواية تبتغى بذلك مرضاة ازواجك

شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء
والعسل الحلواء بالمد وهو كل شئ حلو وذكر العسل بعدها وان كان داخلا فى جملة الحلواء تنبيها على
شرفه ومرتبته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام قولها فى الحديث الثانى فتواطأت انا وحفصة اى
اتفقت انا وحفصة قولها انى لاجد منك ريح مغافير هو بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء وهو صمغ حلو
وله رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة وبالفاء يكون بالحجاز وقيل العرفط
نبات له ورق عريض يفرش على الارض له شوكة وثمره خبيث الرائحة وقال اهل اللغة العرفط من
شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النبيذ وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكره ان يوجد

منه

بينهن) أى يجرى امر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير) اللام يتعلق بخلق (وان الله قد احاط بكل شئ علما) هو تمييز او مصدر من غير لفظ الاول أى قد علم كل شئ علما وهو علام الغيوب

(سورة التحريم مدنية وهى اثنتا عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية فى يوم عائشة رضى الله عنها وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على وقد حرمت مارية على نفسى وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدى امر امتى فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها فى يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة فى بيت مارية فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك فى الجنة وروى انه شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة وقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين او من العسل (تبتغى مرضاة ازواجك) تفسير لتحرم او حال او استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله (والله غفور) قد غفر لك ما زللت فيه (رحيم) قد رحمك فلم يؤاخذك به

منه رائحة كريهة قوله جرست نحله العرفط هو بالجيم والراء وبالسين المهملتين ومعناه اكلت نحله العرفط فصار منه العسل قوله في الحديث الثاني فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش وفي الحديث الاول ان الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب وان عائشة وسودة وصفية هن اللواتي تظاهرن عليه قال القاضي عياض والصحيح الاول قال النسائي اسناد حديث حجاج ومحمد عن ابن جريج صحيح جيد غاية وقال الاصيلي حديث حجاج أصح وهو اولى بظاهر كتاب الله واكمل فائدة يريد قوله تعالى وان تظاهرا عليه فهما ثنتان لا ثلاثة وانهما عائشة وحفصة كما اعترف به عمر في حديث ابن عباس وسيأتي في الحديث قال وقد انقلبت الاسماء على الراوي في الرواية الاخرى يعني الحديث الاول الذي فيه الشرب كان عند حفصة قال القاضي عياض والصواب ان شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره الشيخ محي الدين النووي في شرح مسلم وكذا ذكره القرطبي أيضا وقال المفسرون في سبب النزول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة ابيها فأذن لها فلما خرجت اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية فأدخلها بيت حفصة وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال ما يبكيك قالت انما أذنت لي من اجل هذا أدخلت أمتك بيتي ووقعت عليها في يومي وعلى فراشي ومارأيت لي حرمة وحقا وما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس هي جاريتي أحلها الله لي اسكتي فهي علي حرام ألتمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فأنزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية أخرجه النسائي قال العلماء الصحيح في سبب نزول الآية انها في قصة العسل لا في قصة مارية المروية في غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح قال النسائي اسناد عائشة في العسل جيد صحيح غاية واما التفسير فقوله يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك اي من العسل وملك اليمين على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها أو بالعسل لا تحريم اعتقاد بكونه حراما بعد ما أحله الله فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده ان ذلك حلال تبتغي مرضاة ازواجك اي تطلب رضاهن بترك ما أحل الله لك والله غفور رحيم اي غفر لك التحريم (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) اي بين واوجب لكم تحليل ايمانكم بالكفارة وهو ما ذكر في سورة المائدة فأمره الله ان يكفر عن يمينه ويراجع أمته فاعتق رقبة (والله مولاكم) اي وليكم وناصركم (وهو العليم) اي بخلقه (الحكيم) اي فيما فرض من حكمه

(فصل اختلف العلماء في لفظ التحريم) فقيل ليس هو بيمين فان قال لزوجته أنت علي حرام او قال حرمتك فان نوى طلاقا فهو طلاق وان نوى ظهارا فظهار وان نوى تحريم ذاتها أو اطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وان قال ذلك لجاريته فان نوى عتقا عتقت وان نوى تحريم ذاتها أو اطلق فعليه كفارة اليمين وان قال لطعام حرمته على نفسي فلا شيء عليه وهذا قول ابي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين واليه ذهب الشافعي وان لم ينو شيئا ففيه قولان للشافعي أحدهما انه يلزمه كفارة اليمين والثاني لا شيء عليه وانه لغو فلا يترتب عليه شيء من الاحكام وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته او جاريته فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف انه لا يطؤها وان حرم طعاما فهو كما لو حلف ان لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكله واليه ذهب أبو حنيفة واصحابه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا حرم

(قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم) قد قدر الله لكم ما تحللون به ايمانكم وهي الكفارة او قد شرع لكم تحليلها بالكفارة او شرع الله لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حالّ فلان في يمينه اذا استثنى فيها وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث وتحريم الحلال يمين عندنا وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية وعن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين (والله مولاكم) سيدكم ومتولي اموركم وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم انفسكم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) فيما احل وحرم

الرجل امرأته فهى يمين يكفرها وقال لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة وفى رواية اذا حرم امرأته ليس بشئ وقال لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لفظ الحميدى قوله تعالى (واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا) يعنى ما أسر الى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها ذلك وهو قوله لا تخبرى بذلك احدا وقال ابن عباس اسر أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبى أسر اليها ان أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمتى من بعدى وقيل لما رأى الغيرة فى وجه حفصة اراد ان براضيها فأسر هابشيئين بتحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده فى ابى بكر وابيها عمر (فلما نبأت به) اى اخبرت بذلك حفصة عائشة (وأظهره الله عليه) اى اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة لعائشة (عرف بعضه) قرئ بتخفيف الراء اى عرف بعض الذى فعلته حفصة فغضب من افشاء سره وجازاها عليه بأن طلقها فلما بلغ عمر قال لها لو كان فى آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل عليه السلام وامره بمراجعتها وقيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة واعتزل نساءه شهرا فاتاه جبريل فقال لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك فى الجنة وقرئ عرف بالتشديد ومعناه عرف حفصة بعض الحديث واخبرها ببعض ما كان منها (وأعرض عن بعض) اى لم يعرفها اياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض والمعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم اخبر حفصة ببعض ما أخبرت به عائشة وهى تحريم الامة واعرض عن ذكر الخلافة لانه صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر ذلك فى الناس (فلما نبأها به) اى اخبر حفصة بما أظهره الله عليه (قالت) يعنى حفصة (من أنبأك هذا) اى من اخبرك بأنى افشيت السر (قال نبأنى العليم) اى بما تكنه الضمائر (الخبير) اى بخفيات الامور قوله عز وجل (ان تتوبا الى الله) يخاطب عائشة وحفصة اى فى التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والايذاء له (فقد صغت قلوبكما) اى زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما ان تتوبا وذلك بأن سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لم أزل حريصا على ان اسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان عمر ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم أتانى فصببت على يديه فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما قال عمر واعجبا لك يا ابن العباس قال الزهرى كره منه ما سأله عنه ولم يكتمه قال هما عائشة وحفصة ثم أخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال وكان منزلى فى بنى أمية بن زيد بالعوالى فغضبت يوما على امرأتى فاذا هى تراجعنى فانكرت ان تراجعنى فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة قلت اتراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت اتهجره احداكن اليوم الى الليل قالت نعم قلت لقد خابت من فعلت ذلك منكن وخسرت أفتأمن احداكن ان يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هى قد هلكت لا تراجعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئا وسلينى ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك هى اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد عائشة وكان لى جار من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وينزل يوما فيأتينى بخبر الوحى وآتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث ان غسان تبعث الخيل لتغزونا فنزل صاحبى الانصارى يوم نوبته ثم أتانى عشاء فضرب بابى ثم نادانى فخرجت اليه فقال حدث امر عظيم قلت ماذا جاءت غسان قال لا بل اعظم منه واهول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك ان

(واذ أسر النبى الى بعض ازواجه) يعنى حفصة (حديثا) حديث مارية وامامة الشيخين (فلما نبأت به) افشته الى عائشة رضى الله عنهما (واظهره الله عليه) واطلع النبى صلى الله عليه وسلم على افشائها الحديث على لسان جبريل عليه السلام (عرف بعضه) أى اعلم ببعض الحديث (واعرض عن بعض) فلم يخبر به تكرما قال سفيان مازال التغافل من فعل الكرام عرف بالتخفيف على أى جازى عليه من قولك للمسئ لاعرفن لك ذلك وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروى انه قال لها الم اقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله بها أباها (فلما نبأها به) نبأ النبى حفصة بما افشت من السر الى عائشة (قالت) حفصة للنبى صلى الله عليه وسلم (من انبأك هذا قال نبأنى العليم) بالسرائر (الخبير) بالضمائر (ان تتوبا الى الله) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون ابلغ فى معاتبتهما وجواب الشرط محذوف والتقدير ان تتوبا الى الله فهو الواجب ودل على المحذوف (فقد صغت) مالت (قلوبكما) عن الواجب فى مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه

يكون حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا أدري ها هو ذا معتزل في هذه المشربة فأتيت غلاما له اسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى اتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فجلست الى المنبر ثم غلبني ما اجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد اذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد اثر في جنبه فقلت اطلقت يارسول الله نساءك فرفع رأسه الي فقال لا فقلت الله اكبر لو رأيتنا يارسول الله قد كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتي يوما فاذا هي تراجعني فأنكرت اذ راجعتني فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر أفتأمن احداهن ان يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال عمر فدخلت على حفصة فقلت لا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم أخرى فقلت استأنس يارسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه ما يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت يارسول الله ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال افي شك انت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يارسول الله وكان قد اقسم ان لا يدخل عليهن شهرا من اجل ذلك الحديث حين افشته حفصة لعائشة من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأبي فقلت يارسول الله انك اقسمت ان لا تدخل علي شهرا وانك دخلت في تسع وعشرين ليلة اعدهن قال ان الشهر يكون تسعا وعشرين زاد في رواية وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة ثم قال يا عائشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تعجلي حتى تستأمري ابويك ثم قال يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها حتى بلغ الى قوله عظيما قالت عائشة قد علم رسول الله ان ابوي لم يكونا ليأمراني بفراقه فقلت أفي هذا استأمر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة زاد في رواية ان عائشة قالت لا تخبر نساءك اني اخترتك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ان الله أرسلني مبلغا ولم يرسلني متعنتا واسلم عن ابن عباس عن عمر نحوه وفيه قال دخلت عليه فقلت يارسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأنا وابو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام الا رجوت ان يكون الله يصدق قولي الذي اقول فنزلت هذه الآية عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وفيه انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس انه لم طلق نساءه فأذن له وانه قام على باب المسجد فنادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه * شرح بعض ألفاظه * قوله فعدلت معه بالاداوة أي ملت معه بالركوة فتبرز أي أتى البراز وهو الفضاء من الارض لقضاء الحاجة العوالي جمع عالية وهي اماكن بأعلى أراضي المدينة قوله ولا يغرنك ان كانت جارتك يريد بها الضرة وهي عائشة أوسم منك أي اكثر حسنا وجمالا منك قوله وكنا نتناوب النزول هو ان يفعله الانسان مرة ويفعله الآخر بعده المشربة بضم الراء وفتحها الغرفة قوله فاذا هو متكئ على رمال حصير يقال رملت الحصير اذا ضفرته ونسجته والمراد به انه لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير قوله ما رأيت فيه ما يرد البصر الا أهبة ثلاثة الاهبة والاهب جمع

اهاب وهو الجلد قوله من شدة موجدته الموجدة الغضب قوله تعالى (وان تظاهرا عليه) أى تتعاونا على ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم (فان الله هو مولاه) أى وليه وناصره (وجبريل) يعنى وجبريل وليه وناصره أيضا وانما أفرده وان كان داخلا فى جملة الملائكة تعظيما له وتنبيها على علو منزلته ومكانته (وصالح المؤمنين) روى عن ابن مسعود وأبى بن كعب صالح المؤمنين أبو بكر وعمر وقيل هم المخلصون من المؤمنين الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الانبياء (والملائكة بعد ذلك) أى بعد نصر الله وجبريل وصالح المؤمنين (ظهير) أى أعوان للنبى صلى الله عليه وسلم ينصرونه (عسى ربه) أى واجب من الله (ان طلقكن) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن يبدله أزواجا خيرا منكن) ثم وصف الازواج اللواتى كان يزوجه بهن فقال (مسلمات) أى خاضعات لله بالطاعة (مؤمنات) أى مصدقات بتوحيد الله تعالى (قانتات) أى طائعات وقيل داعيات وقيل مصليات بالليل (تائبات) أى تاركات للذنوب لقبحها او كثيرات التوبة (عابدات) كثيرات العبادات (سائحات) أى صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح (ثيبات) جمع ثيب وهى التى تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه (وأبكارا) أى عذارى جمع بكر وهذا من باب الاخبار عن القدرة لا عن الكون لانه قال ان طلقكن وقد علم انه لا يطلقهن فأخبر عن قدرته انه أن طلقهن ابدله أزواجا خيرا منهن تخويفا لهن قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) قال ابن عباس بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته (وأهليكم) يعنى مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك (نارا وقودها الناس والحجارة) يعنى الكبريت لانه أشد الاشياء حرا واسرع ايقادا (عليها ملائكة) يعنى خزنة النار وهم الزبانية (غلاظ) اى فظاظ على النار (شداد) يعنى أقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفا فى النار لم يخلق الله الرحمة فيهم (لا يعصون الله ما أمرهم) أى لا يخالفون الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه (ويفعلون ما يؤمرون) اى لا تأخذهم رأفة فى تنفيذ اوامره والانتقام من اعدائه (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) أى يقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينون النار وشدتها الا انه قد قدم اليهم الانذار والاعذار فلا ينفعهم الاعتذار لانه غير مقبول بعد دخول النار (انما تجزون ما كنتم تعملون) يعنى ان اعمالكم السيئة ألزمتكم العذاب (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) أى ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود الى الذنب الذى تاب منه قال عمر بن الخطاب وأبى بن كعب ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الحسن هى ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ان لا يعود اليه وقال الكلبى ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها أنفسكم وقال محمد بن كعب القرظى التوبة النصوح يجمعها أربعة اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الاخوان وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور ولا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة او كبيرة فان كانت المعصية بين

(وان تظاهرا عليه) بالتخفيف كوفى وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط فى الغيرة وافشاء سره (فان الله هو مولاه) وليه وناصره وزيادة هو ايذان بانه يتولى ذلك بذاته (وجبريل) أيضا وليه (وصالح المؤمنين) ومن صلح من المؤمنين أى كل من آمن وعمل صالحا وقيل من برئ من النفاق وقيل الصحابة وقيل واحد أريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس وقيل اصله صالحو المؤمنين فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ وقوله (والملائكة) على تكاثر عددهم (بعد ذلك) بعد نصرة الله وجبريل وصالحى المؤمنين (ظهير) فوج مظاهر له فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه ولما كانت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله قال بعد ذلك تعظيما لنصرتهم ومظاهرتهم (عسى ربه ان طلقكن ان يبدله) يبدله مدنى وأبو عمرو فالتشديد للكثرة (ازواجا خيرا منكن) فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف خيرا منهن (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات (قانتات) مطيعات فالقنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله فى طاعة رسوله (تائبات) من الذنوب او راجعات الى الله والى أمر رسوله (عابدات) لله (سائحات) مهاجرات او صائمات وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم فى امساكه الى ان يجىء وقت افطاره (ثيبات وابكارا) انما وسط العاطف بين الثيبات والابكار دون سائر الصفات لانهما صفتان متنافيتان بخلاف سائر الصفات (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (واهليكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به انفسكم (نارا وقودها الناس والحجارة) نوعا من النار لا تتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب (عليها) يلى امرها وتعذيب اهلها (ملائكة) يعنى الزبانية التسعة عشر واعوانهم (غلاظ شداد) فى اجرامهم غلظة وشدة او غلاظ الاقوال شداد الافعال (لا يعصون الله) فى موضع الرفع على النعت (ما أمرهم) فى محل النصب على البدل أى لا يعصون ما امر الله أى أمره كقوله افعصيت أمرى او لا يعصونه فيما أمرهم (ويفعلون ما يؤمرون) وليست الجملتان فى معنى واحد اذ معنى الاولى انهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) فى الدنيا اى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم او لانه لا ينفعكم الاعتذار (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) صادقة عن الاخفش رحمه الله وقيل خالصة يقال عسل ناصح اذا خلص من الشمع وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خللك ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اى تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل على مقتضياتها وبضم النون حماد ويحيى وهو مصدر اى ذات نصوح او تنصح نصوحا وجاء مرفوعا ان التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب الى ان يعود اللبن فى الضرع وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه هى الاستغفار باللسان والندم بالجنان العبد

العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاث شروط ان يقلع عن المعصية والثانى ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم على ان لا يعود اليها فاذا اجتمعت هذه الشروط فى التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح توبته فان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها أربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع ان يبرأ من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه رده الى صاحبه وان كان حد قذف أو نحوه مكنه من نفسه اوطلب عفوه وان كانت غيبة استحله منها ويجب ان يتوب العبد من جميع الذنوب فان تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب وبقى عليه مالم يتب منه هذا مذهب أهل السنة وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة (م) عن الاغر بن يسار المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب فى اليوم مائة مرة (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من احدكم سقط على بعيره وقد اضله فى ارض فلاة الحديث (م) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقوله تعالى (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم) هذا اطماع من الله تعالى لعباده فى قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه) أى لا يعذبهم بدخول النار (نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم) يعنى على الصراط (يقولون ربنا) يعنى اذا انطفأ نور المنافقين (اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) تقدم تفسيره قوله تعالى (ضرب الله مثلا) اى بين شبها وحالا (للذين كفروا امرأة نوح) واسمها واعلة (وامرأة لوط) واسمها واهلة وقيل اسمهما والفة أو والهة (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) وهما نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم (فخانتاهما) قال ابن عباس مابغت امرأة نبى قط وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما وكانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به احد اخبرت به قومها واما امرأة لوط فانها كانت تدل قومها على اضيافه اذا نزل به ضيف بالليل اوقدت النار واذا نزل به ضيف بالنهار دخنت لتعلم قومها بذلك وقيل انهما أسرتا النفاق واظهرتا الايمان (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) اى لم يدفعا عن امرأتيهما مع نبوتهما عذاب الله (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) وهذا مثل ضربه الله تعالى للصالحين والصالحات من النساء وانه لا ينفع العاصى طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وان كانت القرابة متصلة بينهم وان القريب كالاجانب بل ابعد وان كان القريب الذى يتصل به الكافر نبيا كامرأة نوح وامرأة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امرأتيهما شيئا فقطع بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية ويتكل على صلاح غيره وفى هذا المثل تعريض بأمى المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده ثم ضرب مثلا آخر يتضمن ان معصية الغير لا تضره اذا كان مطيعا وان وصلة المسلم بالكافر لا تضر المؤمن فقال تعالى (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) يعنى آسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت به فلما تبين لفرعون اسلامها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها فى الشمس فكانت تعذب فى الشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة (اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) فكشف الله لها عن بيتها فى الجنة وقيل ان فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فأبصرت بيتها فى الجنة من درة بيضاء وانتزعت روحها

والاقلاع بالاركان (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم) هذا على ماجرت به عادة الملوك من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار) ونصب (يوم) بيدخلكم (لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه) فيه تعريض بمن اخزاهم الله من أهل الكفر (نورهم) مبتدأ (يسعى بين ايديهم وبايمانهم) فى موضع الخبر (يقولون ربنا اتمم لنا نورنا) يقولون ذلك اذا انطفأ نور المنافقين (واغفر لنا انك على كل شئ قدير يا أيها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالقول الغليظ والوعظ البليغ وقيل باقامة الحدود عليهم (واغلظ عليهم) على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة باللسان (ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) مثل الله عز وجل حال الكفار فى انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين بلا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من النسب والمصاهرة وان كان المؤمن الذى يتصل به الكافر نبيا بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين بافشاء اسرارهما فلم يغن الرسولان عنهما أى عن المرأتين بحق ما بينهما وبينهما من الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء او مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) هى آسية بنت مزاحم آمنت بموسى فعذبها فرعون بالاوتاد الاربعة (اذ قالت) وهى تعذب (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) وكأنها ارادت الدرجة العالية لانه تعالى منزه عن

فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد ألما وقيل رفع الله امرأة فرعون الى الجنة فهي تأكل وتشرب فيها (ونجني من فرعون وعمله) يعني وشركه وقال ابن عباس عمله يعني جماعه (ونجني من القوم الظالمين) يعني الكافرين (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) اى عن الفواحش والمحصنة العفيفة (فنفخنا فيه) اى في جيب درعها ولذلك ذكر الكناية (من روحنا) اضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله (وصدقت بكلمات ربها) يعني الشرائع التي شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على انبيائه (وكتبه) يعني الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم الصلاة والسلام (وكانت من القانتين) يعني كانت من القوم القانتين اى المطيعين وهم رهطها وعشيرتها لانهم كانوا أهل بيت صلاح وطاعة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح والله أعلم بمراده

(تفسير سورة الملك مكية)

وهي ثلاثون آية وثلاثمائة وثلاثون كلمة وألف وثلاثمائة وثلاثة عشر حرفا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ولابي داود نحوه وفيه تشفع لصاحبها عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر انسان وأنا لا أحسب أنه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (تبارك الذي بيده الملك) أي له الأمر والنهي والسلطان فيعز من يشاء ويذل من يشاء (وهو على كل شئ قدير) أي من الممكنات (الذي خلق الموت والحياة) قيل أراد موت الانسان وحياته في الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء وانما قدم الموت لانه أقرب الى قهر الانسان وقيل قدمه لانه أقدم وذلك لان الاشياء كانت في الابتداء في حكم الموتى كالتراب والنطفة والعلقة ونحو ذلك ثم طرأت عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشئ ولا يجد ريحه شئ الا مات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقاء وهي التي كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشئ ولا يجد ريحها شئ الا حيي وهي التي أخذ السامري قبضة من أثرها فألقاها في العجل فخار وحيي وقيل ان الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وابانة الروح عن الجسد وضده الحياة وهي القوة الحساسة مع وجود الروح في الجسد وبه سمي الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف في هذه الدار وحال المجازاة في دار القرار والحياة أيضا نعمة اذ لولاها لم يتنعم أحد في الدنيا ولم يصل اليه الثواب في الآخرة (ليبلوكم) أي ليختبركم فيما بين الحياة الى الموت (أيكم أحسن عملا) روى عن ابن عمر مرفوعا احسن عملا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع

المكان فعبرت عنها بقولها عندك (ونجني من فرعون وعمله) أي من عمل فرعون او من نفس فرعون الخبيثة وخصوصا من عمله وهو الكفر والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجني من القوم الظالمين) من القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين (ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها) من الرجال (فنفخنا) فنفخ جبريل بأمرنا (فيه) في الفرج (من روحنا) المخلوقة لنا (وصدقت بكلمات ربها) أي بصحفه التي أنزلها على ادريس وغيره (وكتبه) بصري وحفص يعني الكتب الاربعة (وكانت من القانتين) لما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين غلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هارون اخي موسى عليهما السلام ومثل حال المؤمنين في ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة أعدى اعداء الله ومريم ابنة عمران وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض بامي المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه واشارة الى ان من حقهما ان يكونا في الاخلاص كهاتين المؤمنتين وان لا يتكلا على انهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(سورة الملك مكية وهي ثلاثون آية)

وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي قارئها من عذاب القبر وجاء مرفوعا من قرأها في ليلة أكثر وأطيب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك) تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين (الذي بيده الملك) أي بتصرفه الملك والاستيلاء على كل موجود وهو مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء (وهو على كل شئ) من المقدورات او من الانعام والانتقام (قدير) قادر على الكمال (الذي خلق الموت) خبر مبتدا محذوف او بدل من الذي قبله (والحياة) أي ما يصح بوجوده الاحساس والموت ضده ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون (ليبلوكم) ليمتحنكم بامره ونهيه فيما بين الموت الذي يعم الامير والاسير والحياة التي لا تفي في طاعته بعليل ولا طبيب فيظهر منكم ما علم انه يكون منكم فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم (أيكم) مبتدأ وخبره (أحسن عملا) أي اخلصه واصوبه فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على السنة والمراد انه اعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح فما وراءه الا البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحياة لان أقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع

الى المسوق له الآية اهم ولما قدم الموت الذى هو اثر صفة القهر على الحياة التى هى اثر اللطف قدم صفة القهر على صفة اللطف بقوله (وهو العزيز) أى الغالب الذى لا يعجزه من اساء العمل (الغفور) الستور الذى لا ييأس منه أهل الاساءة والزلل (الذى خلق سبع سموات طباقا) مطبقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا وقيل جمع طبق كجمل وجمال والخطاب فى (ماترى فى خلق الرحمن) للرسول او لكل مخاطب (من تفاوت) تفوت حمزة وعلى ومعنى البناءين واحد كالتعاهد والتعهد أى من اختلاف واضطراب وعن السدى من عيب وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشئ يفوت بعضا ولا يلائمه وهذه الجملة صفة لطباقا واصلها ماترى فيهن من تفاوت فوضع خلق الرحمن موضع الضمير تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذى يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب

(فارجع البصر) رده الى السماء حتى يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة فلا تبقى معك شبهة فيه (هل ترى من فطور) صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق (ثم ارجع البصر كرتين) كرر النظر مرتين أى كرتين مع الاولى وقيل سوى الاولى فتكون ثلاث مرات وقيل لم يرد الاقتصار على مرتين بل أراد به التكرير بكثرة أى كرر نظرك ودققه هل ترى خللا او عيبا وجواب الامر (ينقلب) يرجع (اليك البصر خاسئا) ذليلا او بعيدا مما تريد وهو حال من البصر (وهو حسير) كليل معى ولم تر فيها خللا (ولقد زينا السماء الدنيا) القربى أى السماء الدنيا منكم (بمصابيح) بكواكب مضيئة كاضاءة الصبح والمصابيح السرج فسميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بايقاد المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التى اجتمعتم فيها بمصابيح أى بأى مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة (وجعلناها رجوما للشياطين) أى لاعدائكم الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمى به ما يرجم به ومعنى كونها رجوما للشياطين ان ينفصل عنها شهاب قبس يؤخذ من نار فيقتل الجنى او يخبله لان الكواكب لا تزول عن اماكنها الا انها قارة فى الفلك على حالها (وأعتدنا لهم) للشياطين

٦٩ ع (عذاب السعير) فى الآخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا (وللذين كفروا بربهم) ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك (وبئس المصير) المرجع جهنم (اذا القوا فيها) طرحوا فى جهنم كما يطرح الحطب فى النار العظيمة (سمعوا لها) لجهنم (شهيقا) صوتا منكرا كصوت الحمير شبه حسيسها المنكر الفظيع بالشهيق (وهى تفور) تغلى بهم غليان المرجل بما فيه (تكاد تميز) أى تتميز يعنى تتقطع وتتفرق (من الغيظ) على الكفار فجعلت كالمغتاظة عليهم استعارة لشدة غليانها بهم (كلما ألقى فيها فوج) جماعة من الكفار (سألهم خزنتها) مالك واعوانه من الزبانية توبيخا لهم (ألم يأتكم نذير) رسول يخوفكم من هذا العذاب (قالوا بلى قد جاءنا نذير) اعتراف منهم بعدل الله واقرار بانه تعالى ازاح عللهم ببعث الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه (فكذبنا) أى فكذبناهم (وقلنا ما نزل الله من شئ) مما تقولون من وعد ووعيد وغير ذلك (ان أنتم الا فى ضلال كبير) أى قال الكفار للمنذرين ما انتم الا فى خطأ عظيم فالنذير بمعنى الانذار ثم وصف به منذروهم لغلوهم فى الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وجاز ان يكون هذا كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك او سموا جزاء الضلال باسمه كما سمى جزاء السيئة والاعتداء سيئة واعتداء ويسمى المشاكلة فى علم البيان او كلام الرسل لهم حكوه

فى طاعته وقال الفضيل بن عياض احسن عملا اخلصه واصوبه وقال أيضا العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل أيكم أزهد فى الدنيا (وهو العزيز) أى الغالب المنتقم ممن عصاه (الغفور) أى لمن تاب اليه ورجع عن اساءته قوله تعالى (الذى خلق سبع سموات طباقا) يعنى طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سماء مقببة على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض قال كعب الاحبار سماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر وقيل نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وما بين السماء الى الحجب السبعة صحارى من نور (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) أى ماترى يا ابن آدم فى شئ مما خلق الرحمن اعوجاجا ولا اختلافا ولا تناقضا بل خلقهن مستقيمة مستوية (فارجع البصر) أى كرر النظر (هل ترى من فطور) أى من شقوق وصدوع (ثم ارجع البصر كرتين) قال ابن عباس مرة بعد مرة (ينقلب) أى ينصرف (اليك) فيرجع (البصر خاسئا) أى صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى (وهو حسير) أى كليل منقطع لم يدرك ما طلب (ولقد زينا السماء الدنيا) أى القربى من الارض وهى التى يراها الناس (بمصابيح) أى بكواكب كالمصابيح فى الاضاءة وهى اعلام الكواكب وقال ابن عباس بنجوم لها نور قيل خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء وعلامات يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ورجوما للشياطين وهو قوله تعالى (وجعلناها رجوما للشياطين) قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع فان قلت جعل الكواكب زينة للسماء يقتضى بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضى زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين قلت قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز ان تنفصل من الكواكب شعلة وترمى الشياطين بتلك الشعلة وهى الشهب ومثلها كمثل قبس يؤخذ من النار وهى على حالها (وأعتدنا لهم) أى وأعتدنا للشياطين بعد الاحتراق فى الدنيا (عذاب السعير) أى فى الآخرة وهى النار الموقدة (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم) أى ليس العذاب مختصا بالشياطين بل لكل من كفر بالله من انس وجن (وبئس المصير) ثم وصف جهنم فقال تعالى (اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا) هو أول صوت نهيق الحمار وذلك أقبح الاصوات (وهى تفور) أى تغلى بهم كغلى المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل (تكاد تميز) أى تتقطع (من الغيظ) من تغيظها عليهم (كلما ألقى فيها فوج) أى جماعة (سألهم خزنتها) يعنى سؤال توبيخ وتقريع (ألم يأتكم نذير) أى رسول ينذركم (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا) يعنى للرسول (ما نزل الله من شئ) وهذا اعتراف منهم بانه ازاح عللهم ببعثة الرسل ولكنهم كذبوا وقالوا (ان أنتم الا فى ضلال كبير) فيه وجهان أحدهما وهو الاظهر انه

للخزنة أي قالوا لهم هذا فلم نقبله (وقالوا لو كنا نسمع) الانذار سماع طالب الحق (او نعقل) عقل متأمل (ما كنا في أصحاب السعير) في جملة أهل النار وفيه دليل على ان مدار التكليف على أدلة السمع والعقل وانهما حجتان ملزمتان (فاعترفوا بذنبهم) بكفرهم في تكذيبهم الرسل (فسحقا لاصحاب السعير) وبضم الحاء يزيد وعلي فبعدا لهم عن رحمة الله وكرامته اعترفوا او جحدوا فان ذلك لا ينفعهم وانتصابه على انه مصدر وقع موقع الدعاء (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) قبل معاينة العذاب (لهم مغفرة) للذنوب (وأجر كبير) أي الجنة (وأسروا قولكم أواجهروا به) ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم في علم الله بهما روي ان مشركي مكة كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوه فيه ونالوا منه فقالوا فيما بينهم اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنزلت ثم علله بقوله (انه عليم بذات الصدور) أي بضمائرها قبل ان تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به

(ألا يعلم من خلق) من في موضع رفع بانه فاعل يعلم (وهو اللطيف الخبير) انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلقها وصفته انه اللطيف أي العالم بدقائق الاشياء الخبير العالم بحقائق الاشياء وفيه اثبات خلق الاقوال فيكون دليلا على خلق افعال العباد وقال ابو بكر بن الاصم وجعفر بن حرب من مفعول والفاعل مضمر وهو الله تعالى فاحتالا بهذا لنفي خلق الافعال (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا) لينة سهلة مذللة لا تمنع المشي فيها (فامشوا في مناكبها) جوانبها استدلالا واسترزاقا او جبالها او طرقها (وكلوا من رزقه) أي من رزق الله فيها (واليه النشور) أي واليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم (أأمنتم من في السماء) أي من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته ومنها تنزل قضاياه وكتبه واوامره ونواهيه أولانهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان الرحمة والعذاب ينزلان منه فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان (أن يخسف بكم الارض) كما خسف بقارون (فاذا هي تمور) تضطرب وتتحرك (أم أمنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا) حجارة ان يرسل بدل من من بدل الاشتمال وكذا ان يخسف (فستعلمون كيف نذير) أي اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم (ولقد كذب الذين من قبلهم) من قبل قومك (فكيف كان نكير) أي انكاري عليهم اذ اهلكتهم ثم نبه على قدرته على الخسف وارسال الحاصب بقوله (أولم يروا الى الطير) جمع طائر (فوقهم) في الهواء (صافات) باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانهن (ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن ويقبضن معطوف على اسم الفاعل حملا على المعنى أي يصففن ويقبضن أو صافات وقابضات واختيار هذا التركيب باعتبار ان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والهواء للطائر كالماء للسابح والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح (ما يمسكهن) عن الوقوع عند القبض والبسط (الا الرحمن) بقدرته والا فالثقيل يتسفل طبعا ولا يعلو وكذا لو امسك حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الافلاك وما يمسكهن مستأنف وان جعل حالا من الضمير في يقبضن يجوز (انه بكل شيء بصير) يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب

من جملة قول الكفار للرسل والثاني يحتمل ان يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم في الدنيا في ضلال كبير (وقالوا لو كنا نسمع) أي من الرسل ما جاؤا به (او نعقل) أي نفهم منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى او نعقله فنعمل به (ما كنا في أصحاب السعير) وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من يعي ونعقل عقل من يميز وينظر ونتفكر ما كنا في اصحاب السعير (فاعترفوا بذنبهم) هو في معنى الجمع أي بتكذيبهم الرسل وقولهم ما نزل الله من شيء (فسحقا) أي بعدا (لاصحاب السعير) قوله عز وجل (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخافون ربهم ولم يروه فيؤمنون به خوفا من عذابه (لهم مغفرة) أي لذنوبهم (وأجر كبير) يعني جزاء اعمالهم الصالحة (وأسروا قولكم أواجهروا به) قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كي لا يسمع اله محمد فأخبره الله انه لا يخفى عليه خافية فقال تعالى (انه عليم بذات الصدور) ثم اكد ذلك بقوله تعالى (ألا يعلم من خلق) يعني الا يعلم من خلق مخلوقه وقيل الا يعلم الله من خلق والمعنى الا يعلم الله ما في صدور من خلق (وهو اللطيف) أي باستخراج ما في الصدور (الخبير) بما فيها من السر والوسوسة قوله تعالى (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا) الذلول المنقاد من كل شيء والمعنى جعلها لكم سهلة لا يمتنع المشي فيها بحزونتها وغلظها (فامشوا في مناكبها) امر اباحة وكذا قوله (وكلوا من رزقه) ومناكبها جوانبها واطرافها ونواحيها وقيل اطرافها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذي سهل لكم السلوك في جبالها وهو أبلغ التذلل وكلوا من رزقه أي مما خلقه الله لكم في الارض (واليه النشور) أي واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أأمنتم من في السماء) قال ابن عباس يعني عقاب من في السماء ان عصيتموه (أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور) أي تتحرك باهلها وقيل تهوي بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى يقلبهم الى أسفل وتعلو الارض عليهم وتمور فوقهم أي تجيء وتذهب (أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) يعني ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط (فستعلمون) أي عند الموت في الآخرة (كيف نذير) أي انذاري اذا عاينتم العذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم) أي من قبل كفار مكة وهم الامم الخالية (فكيف كان نكير) أي انكاري عليهم اليس وجدوا العذاب حقا قوله عز وجل (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات) أي باسطات اجنحتها في الجو عند طيرانها (ويقبضن) أي يضممن اجنحتهن اذا ضربن بهن جنوبهن عند البسط (ما يمسكهن) أي حال القبض والبسط (الا الرحمن) والمعنى ان الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها وثبوتها في الجو الا بامساك الله اياها وحفظه لها (انه بكل شيء بصير) يعني انه تعالى لا تخفى عليه خافية

(أم من) مبتدا خبره (هذا) ويبدل من هذا (الذى هو جند لكم) ومحل (ينصركم من دون الرحمن) رفع نعت لجند محمول على اللفظ والمعنى من المشار اليه بالنصر غير الله تعالى (ان الكافرون الا فى غرور) أى ماهم الا فى غرور (أم من هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه) أمّن يشار اليه و يقال هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق فلما لم يتعظوا اضرب عنهم فقال (بل لجوا) تمادوا (فى عتو) استكبار عن الحق (ونفور) وشراد عنه لثقله عليهم فلم يتبعوه ثم ضرب مثلا للكافرين والمؤمنين فقال (أفمن يمشى مكبا على وجهه) أى ساقطا على وجهه يعثر كل ساعة و يمشى معتسفا وخبر من (أهدى) أرشد واكب مطاوع كبه يقال كببته فأكب (أم من يمشى سويا) مستويا منتصبا سالما من العثور والخرور (على صراط مستقيم) على طريق مستو وخبر من محذوف لدلالة اهدى عليه وعن الكلبى يعنى بالمكب ابا جهل وبالسوى النبى عليه السلام (قل هو الذى أنشأكم) خلقكم ابتداء (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) خصها لانها آلات العلم (قليلا ما تشكرون) هذه النعم لانكم تشركون بالله ولا تخلصون له العبادة والمعنى تشكرون شكرا قليلا وما زائدة وقيل القلة عبارة عن العدم (قل هو الذى ذرأكم) خلقكم (فى الارض واليه تحشرون) للحساب والجزاء (ويقولون) أى الكافرون للمؤمنين استهزاء (متى هذا الوعد) الذى تعدوننا به يعنى العذاب (ان كنتم صادقين) فى كونه فأعلمونا زمانه (قل انما العلم) اى علم وقت العذاب (عند الله وانما أنا نذير) مخوف (مبين) أبين لكم الشرائع (فلما رأوه) أى الوعد يعنى العذاب الموعود (زلفة) قريبا منهم وانتصابها على الحال (سيئت وجوه الذين كفروا) أى ساءت رؤية الوعد وجوههم بان علتها الكآبة والمساءة وغشيتها القترة والسواد (وقيل هذا الذى) القائلون الزبانية (كنتم به تدعون) تفتعلون من الدعاء اى تسألون تعجيله وتقولون ائتنا بما تعدنا او هو من الدعوى اى كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وقرأ يعقوب تدعون (قل أرأيتم ان أهلكنى الله) اى اماتنى الله كقوله ان امرؤ هلك (ومن معى) من اصحابى (أو رحمنا) او أخر فى آجالنا (فمن يجير) ينجى (الكافرين من عذاب أليم) مؤلم كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة او نرحم بالنصرة عليكم كما نرجو فأنتم ما تصنعون من يجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لابد لكم منه (قل هو الرحمن) أى الذى ادعوكم اليه الرحمن (آمنا به) صدقنا به ولم نكفر به كما كفرتم (وعليه توكلنا) فوضنا اليه أمورنا (فستعلمون) اذا نزل بكم العذاب وبالياء على (من هو فى ضلال مبين) نحن أم انتم (قل أرأيتم ان اصبح ماؤكم غورا) غائرا ذاهبا فى الارض لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل بمعنى عادل (فمن يأتيكم بماء معين) جار يصل اليه من أراده وتليت عند ملحد فقال يأتى بالمعول والمعن فذهب ماء عينه فى تلك الليلة وعمى وقيل انه محمد بن زكريا المتطبب زادنا الله بصيرة

(أم من هذا الذى هو جند لكم) استفهام انكار أى لا جند لكم (ينصركم) أى يمنعكم (من دون الرحمن) أى من عذاب الله قال ابن عباس أى ينصركم منى ان اردت عذابكم (ان الكافرون الا فى غرور) أى من الشيطان يغرهم بان العذاب لا ينزل بهم (أم من هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه) يعنى من ذا الذى يرزقكم المطر ان امسكه الله عنكم (بل لجوا) أى تمادوا (فى عتو) أى نبو وتكبر (ونفور) أى تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للمؤمن والكافر فقال تعالى (أفمن يمشى مكبا على وجهه) أى كابا رأسه فى الضلالة والجهالة اعمى القلب والعين لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر اكب على الكفر والمعاصى فى الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة (أهدى) أى هو اهدى (أم من يمشى سويا) أى قائما معتدلا يبصر الطريق (على صراط مستقيم) يعنى المؤمن يمشى يوم القيامة سويا (قل هو الذى أنشأكم) أى خلقكم (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعنى انه تعالى ركب فيكم هذه القوى لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما ابصرتموه ولا تأملتم ما فعلتموه فكأنكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها فى غير ما خلقت له فلهذا قال (قليلا ما تشكرون) وذلك لان شكر نعم الله صرفها فى وجه مرضاته فلما صرفتموها فى غير مرضاته فكأنكم ما شكرتم رب هذه النعم الواهب لها (قل هو الذى ذرأكم) أى خلقكم وبثكم (فى الارض واليه تحشرون) أى يوم القيامة والمعنى ان القادر على الابداء قادر على الاعادة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) هذا سؤال يحتمل وجهين أحدهما انه سؤال عن نزول العذاب بهم والثانى انه سؤال عن يوم القيامة فأجاب الله عن ذلك بقوله (قل انما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين) أمره باضافة العلم الى الله تعالى وتبليغ ما أوحى اليه (فلما رأوه) يعنى العذاب فى الآخرة على قول اكثر المفسرين وقيل يعنى العذاب ببدر (زلفة) أى قريبا (سيئت وجوه الذين كفروا) أى اسودت وعلتها الكآبة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد (وقيل) لهم أى وقالت لهم الخزنة (هذا الذى كنتم به تدعون) من الدعاء أى تتمنون وتطلبون ان يعجله لكم وقيل من الدعوى أى تدعون انه باطل (قل) يا محمد لمشركى مكة الذين يتمنون هلاكك (أرأيتم ان أهلكنى الله ومن معى) أى من المؤمنين (أو رحمنا) أن فأبقانا وأخر فى آجالنا (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أى انه واقع بهم لا محالة وقيل فى معنى الآية قل أرأيتم ان اهلكنى الله أى فعذبنى ومن معى او رحمنا أى فغفر لنا فنحن مع ايماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا لان حكمه نافذ فينا فمن يجيركم او يمنعكم من عذاب اليم وانتم كافرون وهذا قول ابن عباس (قل) أى قل لهم فى انكارك عليهم وتوبيخك لهم (هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) أى نحن آمنا به وعبدناه وانتم كفرتم به (فستعلمون) أى عند معاينة العذاب (من هو فى ضلال مبين) أى نحن أم أنتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم ببعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال تعالى (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم) قيل يريد ماء زمزم وقيل غيرها من المياه (غورا) أى غائرا ذاهبا فى الارض لا تناله الايدى ولا الدلاء (فمن يأتيكم بماء معين) أى ظاهر تراه العيون وتناله الايدى والدلاء وقال ابن عباس معين أى

جار والمقصود من الآية ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والمعنى اخبروني ان صار ماؤكم ذاهبا في الارض فمن يأتيكم بماء معين فلا بد ان يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون معه من لا يقدر على شئ أصلا شريكا له في العبودية فهذا محال والله أعلم

(تفسير سورة ن مكية)

وهي اثنان وخمسون آية وثلاثمائة كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ن) قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الارض وعنه ان أول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فأثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون قيل اسم النون بهموت وقيل ليوثا وقيل لوثيا وعن علي بلهوت قال أصحاب السير والاخبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع أرضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع وضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدمه فأخذ الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور الى أذنه فاستقر عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الارض ومنخاره في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة قيل فكل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له أتدري ما على ظهرك يا ليوثا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم لالقيتهم عن ظهرك فهم ليوثا ان يفعل ذلك فبعث له دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فأذن لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس أيضا ان النون هو الدواة ومنه قول الشاعر

اذا ما الشوق برح بي اليهم * القت النون بالدمع السجام

أراد بالنون الدواة وعن ابن عباس أيضا ان نونا حرف من حروف الرحمن اذا جمعت الرحمن وقيل هو مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل هو اسم للسورة (والقلم) هو القلم الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض ويقال أول ما خلق الله القلم فنظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وانما يجري الناس على أمر قد فرغ منه (وما يسطرون) أي وما يكتب الحفظة من أعمال بني آدم وقيل ان حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل ان يكون المراد وما يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ويكون الجمع في وما يسطرون للتعظيم لا للجمع (ما أنت) يا محمد (بنعمة ربك بمجنون) هذا جواب القسم أقسم الله بنون والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون والمعنى انك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل معناه ما أنت بمجنون والنعمة لله وهو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل ان نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية

والاخلاق

(سورة ن مكية وهي اثنتان وخمسون آية)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(ن) الظاهر ان المراد به هذا الحرف من حروف المعجم واما قول ابن عباس وقول الحسن انه الدواة وقول ابن عباس انه الحوت الذي عليه الارض واسمه بهموت فمشكل لانه لا بد له من الاعراب سواء كان اسم جنس او اسم علم فالسكون دليل على انه من حروف المعجم (والقلم) اى ما كتب به اللوح او قلم الملائكة والذي يكتب به الناس اقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف (وما يسطرون) اى ما يسطره الحفظة او ما يكتب به من الخير من كتب وما موصولة او مصدرية وجواب القسم (ما أنت بنعمة ربك) اى بانعامه عليك بالنبوة وغيرها فأنت اسم ما وخبرها (بمجنون) وبنعمة ربك اعتراض بين الاسم والخبر والباء في بنعمة ربك تتعلق بمحذوف ومحله النصب على الحال والعامل فيها بمجنون وتقديره ما أنت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل بمجنون فيما قبله لانها زائدة لتأكيد النفي وهو جواب يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون

والاخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينفي حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الآية على كونهم كاذبين في قولهم انك لمجنون (وان لك لاجرا غير ممنون) أي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد

* عبس كواسب ما يمن طعامها * أي ما يقطع يصف بذلك كلابا ضارية وقيل في معنى الآية انه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الاول ومعناه ان لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترائهم عليك اجرا عظيما دائما لا ينقطع وقيل ان لك على اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعاء الخلق الى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرائع لهم أجرا عظيما فلا تمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذي قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) وهذا كالتفسير لقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم تجز اضافة الجنون اليه ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة حميدة وافعاله المرضية الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل في حسن الخلق التحبب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل في جميع الامور والتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين احب الي ولا ارضى عندي منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من اوامر الله وينتهي عنه من مناهي الله تعالى والمعنى وانك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن وقيل سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تأديب الله اياه بقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين والله سبحانه وتعالى أعلم

(فصل في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم) من ذلك ما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم أخرجه ابو داود وعنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اكمل الناس ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء اثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش البذي أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من احبكم الى الله واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا (ق) عن البراء رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها واحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم أحاسنكم اخلاقا (ق) عن أنس رضي الله عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي أف قط ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا زاد الترمذي

(وان لك) على احتمال ذلك والصبر عليه (لاجرا) لثوابا (غير ممنون) غير مقطوع او غير ممنون عليك به (وانك لعلى خلق عظيم) قيل هو ما امره الله تعالى به في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن اى ما فيه من مكارم الاخلاق وانما استعظم خلقه لانه جاد بالكونين وتوكل على خالقهما

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عنه قال ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت زاد في رواية ويجيب اذا دعي وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له أخرجه الترمذي (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم زاد مسلم عنها وما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله تعالى (ق) عن أنس قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه اعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وأمر له بعطاء (ق) عنه رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وخلقا وكان لي أخ يقال له ابا عمير وكان فطيما كان اذا جاءنا قال يا أبا عمير ما فعل النغير النغير كان يلعب به النغير طائر صغير يشبه العصفور الا انه احمر المنقار (م) عن الاسود قال سألت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل في بيته قالت كان يكون في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج الى الصلاة المهنة الخدمة عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي قوله تعالى (فستبصر) أي يا محمد (ويبصرون) يعني أهل مكة اذا نزل بهم العذاب (بأيكم المفتون) قال ابن عباس معناه بأيكم الجنون وقيل الباء بمعنى في مجازه فستبصر ويبصرون في أي الفريقين الجنون في فريقك او فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذي فتن بالجنون (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) معناه انهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا انفسهم بالعقل والهداية فاعلم الله تعالى انه هو العالم بالفريقين الضال والمهتدي والمجنون والعاقل (فلا تطع المكذبين) يعني مشركي مكة وذلك انهم دعوه الى دين آبائه فنهاه الله ان يطيعهم (ودوا لو تدهن فيدهنون) أصل الأدهان اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام وقيل ادهن الرجل في دينه وداهن في أمره اذا خان فيه واظهر خلاف ما أبطن ومعنى الآية انهم تمنوا ان تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون وهو ان تعبد آلهتهم مدة و يعبدون الله مدة (ولا تطع كل حلاف) أي كثير الحلف بالباطل (مهين) أي ضعيف حقير ذليل وقيل هو من المهانة وهي قلة الرأي والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاسود بن عبد يغوث وقيل هو الاخنس بن شريق (هماز) أي مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والعيب وقيل هو الذي يغمز باخيه في المجلس (مشاء بنميم) أي قتات يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس (مناع للخير) أي بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع للخير أي يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لئن دخل واحد منكم في دين محمد لا انفعه بشيء ابدا (معتد) أي ظلوم يتعدى الحق (أثيم) أي فاجر يتعاطى الاثم (عتل) أي غليظ جاف وقيل هو الفاحش السيئ الخلق وقيل هو الشديد في الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد في كفره وقيل العتل الاكول الشروب القوي الشديد ولا يزن في الميزان شعيرة يدفع الملك من أولئك سبعين ألفا في النار دفعة واحدة (بعد ذلك زنيم) أي مع ما وصفناه به من الصفات المذمومة زنيم وهو الدعي الملصق في القوم وليس منهم

قال

(فستبصر ويبصرون) اي عن قريب ترى ويرون وهذا وعد له ووعيد لهم (بأيكم المفتون) المجنون لانه فتن اي محن بالجنون والباء مزيدة او المفتون مصدر كالمعقول اي بأيكم الجنون وقال الزجاج الباء بمعنى في تقول كنت ببلد كذا اي في بلد كذا وتقديره في أيكم المفتون اي في اي الفريقين منكم المجنون فريق الاسلام او فريق الكفر (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) اي هو اعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وهو اعلم بالمهتدين) اي هو اعلم بالعقلاء وهم المهتدون (فلا تطع المكذبين) تهييج للتصميم على معاصاتهم وقد ارادوا أن يعبد والله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم (ودوا لو تدهن) لو تلين لهم (فيدهنون) فيلينون لك ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني لانه عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدأ محذوف اي فهم يدهنون اي فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف (مهين) حقير في الرأي والتمييز من المهانة وهي القلة والحقارة او كذاب لانه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان مغتاب (مشاء بنميم) نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية (مناع للخير) بخيل والخير المال او مناع اهله من الخير وهو الاسلام والمراد الوليد بن المغيرة عند الجمهور وكان يقول لبنيه العشرة من اسلم منكم منعته رفدي (معتد) مجاوز في الظلم حده (أثيم) كثير الآثام (عتل) غليظ جاف (بعد ذلك) بعدما عد له من المثالب (زنيم) دعي وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية والنطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها روي انه دخل على أمه وقال ان محمدا وصفني بعشر صفات وجدت تسعا في فأما الزنيم فلا علم لي به فان اخبرتني بحقيقته والا ضربت عنقك فقالت ان اباك عنين وخفت ان يموت فيصل ماله الى غير ولده فدعوت راعيا الى نفسي فأنت من ذلك الراعي

(أن كان ذا مال) متعلق بقوله ولا تطع اى ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال اى ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده اى لان كان ذا مال
(وبنين) كذب بآياتنا يدل عليه (اذا تتلى عليه آياتنا) اى القرآن (قال أساطير الاولين) ولا يعمل فيه قال لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله أن حمزة
وابو بكر اى لان كان ذا مال كذب ان شامى ويزيد ويعقوب وسهل قالوا لما عاب الوليد النبى صلى الله عليه وسلم كاذبا باسم واحد وهو المجنون سماه الله تعالى
بعشرة اسماء صادقا فان كان من عدله ان يجزى المسيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة كان من فضله ان من صلى عليه واحدة صلى
الله عليه بها عشرا (سنسمه) سنكويه (على الخرطوم) على انفه مهانة له وعلما يعرف به وتخصيص الانف بالذكر لان الوسم عليه ابشع وقيل خطم بالسيف يوم بدر فبقيت سمة على خرطومه (انا بلوناهم) امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف والرمم بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسنى يوسف (كما بلونا أصحاب الجنة) هم قوم من اهل الصلاة كانت لابيهم هذه الجنة بقرية يقال لها ضروان وكانت على فرسخين من صنعاء وكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقى على الفقراء فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين فى السدف خيفة من المساكين ولم يستثنوا فى يمينهم فأحرق الله جنتهم وقال الحسن كانوا كفارا والجمهور على الاول (اذ أقسموا) حلفوا (ليصرمنها) ليقطعن ثمرها (مصبحين) داخلين فى الصبح قبل انتشار الفقراء حال من فاعل ليصرمنها (ولا يستثنون) ولا يقولون ان شاء الله وسمى استثناء وان كان شرطا صورة لانه يؤدى مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله لا أخرج الا أن يشاء الله (فطاف عليها طائف من ربك) نزل عليها بلاء قيل انزل الله تعالى عليها نارا فأحرقتها (وهم نائمون) أى فى حال نومهم (فأصبحت) فصارت الجنة (كالصريم) كالليل المظلم اى احترقت فاسودت اوكالصبح اى صارت ارضا بيضاء بلا شجر وقيل كالمصرومة اى كأنها صرمت لهلاك ثمرها (فتنادوا مصبحين) نادى بعضهم بعضا عند الصباح (أن اغدوا) باكروا (على حرثكم) ولم يقل الى حرثكم لان الغدو اليه ليصرموه
كان غدوا عليه او ضمن الغدو معنى الاقبال اى فأقبلوا على حرثكم باكرين (ان كنتم صارمين) مريدين صرامه (فانطلقوا) ذهبوا (وهم يتخافتون) يتسارون
فيما بينهم لئلا يسمع المساكين (أن لا يدخلنها) اى الجنة وان مفسرة وقرئ بطرحها باضمار القول اى يتخافتون يقولون لا تدخلنها (اليوم عليكم مسكين)
والنهى عن دخول المساكين نهى عن التمكين اى لا تمكنوه من الدخول (وغدوا على حرد) على جد فى المنع (قادرين) عند انفسهم على المنع كذا عن نفطويه
او الحرد القصد والسرعة اى وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وزى منفعتها عن المساكين او هو علم للجنة اى غدوا على تلك

قال ابن عباس يريد مع هذا هو دعى فى قريش وليس منهم قيل انما ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة
وقيل الزنيم هو الذى له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس فى هذه الآية نعت من لا يعرف حتى قيل زنيم
فعرف وكانت له زنمة فى عنقه يعرف بها وعنه أيضا قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة
لا نعلم ان الله وصف احدا ولا ذكر من عيوبه مثل ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فألحق به عارا لا يفارقه
فى الدنيا ولا فى الآخرة (أن كان ذا مال وبنين) قرئ على الخبر ومعناه فلا تطع كل حلاف مهين لان
كان ذا مال وبنين أى لا تطعه لماله وبنيه وقرئ أن كان ذا مال وبنين بالاستفهام ومعناه ألان كان ذا مال
وبنين (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) أى جعل مجازاة النعم التى خولها من المال والبنين
الكفر بآياتنا وقيل لان كان ذا مال وبنين تطيعه ثم اوعده فقال تعالى (سنسمه على الخرطوم) أى
على الانف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما يعرف به فى الآخرة وهو سواد الوجه فعبر بالانف عن الوجه
وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وفعل به ذلك يوم بدر وقيل معناه سنلحق به شينا لا يفارقه أى سنسمه
ميسم سوء يريد نلحق به عارا لا يفارقه كما ان السمة لا تمحى ولا يعفى أثرها وقد ألحق الله به بما ذكر من
عيوبه عارا لا يفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة كالوسم على الخرطوم الذى لا يخفى قط وقيل معناه سنكويه
على وجهه وقوله تعالى (انا بلوناهم) أى اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع (كما بلونا أصحاب
الجنة) روى عن ابن عباس فى قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال له
الضروان دون صنعاء بفرسخين وكان غرسه قوم من اهل الصلاة وكان لرجل فمات فورثه ثلاث
بنين له وكان يترك للمساكين اذا اصرموا نخلهم كل شئ تعداه المنجل اذا طرح من فوق النخل الى البساط
وكل شئ يخرج من المنجل الى البساط فهو أيضا للمساكين واذا حصدوا زرعهم فكل شئ تعداه المنجل
فهو للمساكين واذا داسوه كان لهم كل شئ ينتثر أيضا فلما مات الاب وورثه بنوه الاخوة الثلاثة قالوا والله
ان المال قليل وان العيال كثير وانما كان هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فأما اذا
قل المال وكثر العيال فانا لا نستطيع ان نفعل فتحالفوا بينهم يوما أن يغدوا غدوة قبل خروج الناس
فليصرمن نخلهم فذلك قوله تعالى (اذ أقسموا) أى تحالفوا (ليصرمنها) أى ليقطعن ثمرها (مصبحين)
أى اذا أصبحوا قبل ان يخرج اليهم المساكين وقبل ان يعلم بها المساكين (ولا يستثنون) أى ولم يقولوا
ان شاء الله وقيل لا يستثنون شيئا للمساكين من ثمر جنتهم (فطاف عليها طائف من ربك) أى عذاب
من ربك ولا يكون الطائف الا بالليل وهو قوله تعالى (وهم نائمون) وكان ذلك الطائف نارا انزلت
من السماء فأحرقتها وهو قوله تعالى (فأصبحت) أى الجنة (كالصريم) أى كالليل الاسود
المظلم وقيل تصرم منها الخير فليس فيها شئ ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو بلغة خزيمة
(فتنادوا) أى فنادى بعضهم بعضا (مصبحين) يعنى لما أصبحوا (ان اغدوا على حرثكم) يعنى
الثمار والزرع والاعناب (ان كنتم صارمين) أى قاطعين ثماركم (فانطلقوا) أى مشوا اليها
(وهم يتخافتون) أى يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا
على حرد) أى على قصد ومنع وقيل معناه على جد وجهد وقيل على أمر مجتمع قد اسسوه بينهم
وقيل على حنق وغضب من المساكين وقال ابن عباس على قدرة (قادرين) أى عند أنفسهم على

الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم (فلما رأوها) اى جنتهم محترقة (قالوا) فى بديهة وصولهم (انا لضالون) أى ضللنا جنتنا وما هى بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا انها هى قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا (قال اوسطهم) اعدلهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) اى هلا تستثنون اذ الاستثناء التسبيح لالتقائهما فى معنى التعظيم لله لأن الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم اولولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة فعصوه فعيرهم ولهذا (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) فتكلموا بعد خراب البصرة بما كان يدعوهم الى التكلم به أولا واقروا على انفسهم بالظلم فى منع المعروف وترك الاستثناء ونزهوه عن ان يكون ظالما (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا بما فعلوا من الهرب من المساكين ويحيل كل واحد منهم اللائمة على الآخر ثم اعترفوا جميعا بأنهم تجاوزوا الحد بقوله (قالوا ياويلنا انا كنا طاغين) بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء (عسى ربنا أن يبدلنا) وبالتشديد مدنى وابو عمرو (خيرا منها) من هذه الجنة (انا الى ربنا راغبون) طالبون منه الخير راجون لعفوه عن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى انهم اخلصوا فأبدلهم بها جنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا (كذلك العذاب) اى مثل ذلك العذاب الذى ذكرناه من عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (ولعذاب الآخرة أكبر) اعظم منه (لو كانوا يعلمون) لما فعلوا ما يفضى الى هذا العذاب ثم ذكر ما عنده للمؤمنين فقال (ان للمتقين) عن الشرك (عند ربهم) اى فى الآخرة (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص بخلاف جنات الدنيا (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) استفهام انكار على قولهم لو كان ما يقول محمد حقا فنحن نعطى فى الآخرة خيرا مما يعطى هو ومن معه كما فى الدنيا فقيل لهم أنحيف فى الحكم أفنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الاعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصى كأن امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم (أم لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرؤن فى ذلك الكتاب (ان لكم فيه لما تخيرون) اى ان ما تختارونه وتشتهونه لكم والاصل تدرسون أن لكم ما تخيرون بفتح ان لانه مدروس لوقوع الدرس عليه وانما كسرت اللام فى خبرها ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح وتخير الشئ واختاره أخذ خيره (أم لكم أيمان علينا) عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) نعت ايمان ويتعلق (الى يوم القيامة) ببالغة اى انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم او بالمقدر فى الظرف اى هى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لاتخرج عن عهدتها الى يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون (ان لكم لما تحكمون) به لانفسكم وهو جواب القسم لان معنى أم لكم ايمان علينا أم اقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية فى التوكيد (سلهم) اى المشركين (أيهم بذلك) الحكم (زعيم) كفيل بأنه يكون ذلك (أم لهم شركاء) أى ناس يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم فيه

جنتهم وثمارها لايحول بينهم وبينها أحد (فلما رأوها) أى رأوا الجنة محترقة (قالوا انا لضالون) أى لمخطئون الطريق اضللنا عن مكان جنتنا وليست هذه جنتنا (بل نحن محرومون) أى قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء (قال أوسطهم) أى اعدلهم واعقلهم وافضلهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أى هلا تستثنون انكر عليهم ترك الاستثناء فى قولهم ليصرمنها مصبحين سماه تسبيحا لانه تعظيم لله واقرار بانه لايقدر احد على شئ الا بمشيئته وعلى التفسير الثانى ان الاستثناء بمعنى لايتركون شيئا للمساكين من ثمر جنتهم يكون معنى لولا تسبحون أى تتوبون وتستغفرون الله من ذنوبكم وتفريطكم ومنعكم حق المساكين وقيل كان استثناؤهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما اعطاكم من نعمه (قالوا سبحان ربنا) معناه انهم نزهوه عن الظلم فيما فعل وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا (انا كنا ظالمين) أى بمنعنا المساكين حقوقهم (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) اى يلوم بعضهم بعضا (قالوا ياويلنا) دعوا على انفسهم بالويل (انا كنا طاغين) أى فى منعنا حق الفقراء والمساكين وقيل معناه طغينا فى نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا الى انفسهم فقالوا (عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون) قال ابن مسعود بلغنى ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا قال الله تعالى (كذلك العذاب) أى كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) ثم أخبر بما اعد الله للمتقين فقال تعالى (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم) أى عند ربهم فى الآخرة ولما نزلت هذه الآية قال المشركون انا نعطى فى الآخرة افضل مما تعطون فقال الله تعالى تكذيبا للمشركين (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) يعنى ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جائزة فكيف يكون افضل او يعطى افضل منه ولما قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والانكار قال لهم على طريق الالتفات (مالكم كيف تحكمون) يعنى هذا الحكم المعوج (أم لكم كتاب) أى نزل من عند الله (فيه) أى فى ذلك الكتاب (تدرسون) أى تقرؤن (ان لكم فيه) أى فى ذلك الكتاب (لما تخيرون) أى تختارون وتشتهون (أم لكم ايمان علينا بالغة) معناه الكم عهود ومواثيق مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا (الى يوم القيامة) أى لاتنقطع تلك الايمان والعهود الى يوم القيامة (ان لكم) أى فى ذلك العهد (لما تحكمون) أى لانفسكم من الخير والكرامة عند الله تعالى ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (سلهم أيهم بذلك زعيم) اى أيهم كفيل لهم بان لهم فى الآخرة ما للمسلمين (أم لهم شركاء) اى بل لهم شركاء يعنى ما كانوا يجعلونه لله شريكا وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم هم جعلوها شركاء لله وقيل معنى شركاء شهداء يشهدون بصدق ما ادعوه

فليأتوا

(فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) أى فى دعواهم (يوم يكشف) اى فليأتوا بشركائهم فى ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم (عن ساق) أى عن أمر فظيع شديد قال ابن عباس هو أشد ساعة فى القيامة تقول العرب للرجل اذا وقع فى أمر عظيم فظيع يحتاج فيه الى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقك اذا قام فى ذلك الامر ويقال اذا اشتد الامر فى الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال اذا خفى عليكم شئ من القرآن فابتغوه فى الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر

سن لنا قومك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال ابن عباس هو يوم كرب وشدة وأنشد اهل اللغة ابياتا فى هذا المعنى فمنها ما أنشده أبو عبيدة لقيس ابن زهير

فان شمرت لك عن ساقها * فدنها ربيع ولا تسأم

ومنها قول جرير

الارب ساهى الطرف من آل مازن * اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقد كثر مثل هذا فى كلام العرب حتى صار كالمثل للامر العظيم الشديد (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان ناسا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قال ما تضارون فى رؤية الله يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية أحدهما اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر اهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير بن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها قال فماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين اوثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقا ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم باشد مناشدة فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا وقد أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن امرتنا به ثم يقول

(فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) فى دعواهم يعنى ان احدا الا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كأنه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يضمن لهم من الله بهذا (يوم يكشف عن ساق) ناصب الظرف فليأتوا أو اذكر مضمرا والجمهور على ان الكشف عن الساق عبارة عن شدة الامر وصعوبة الخطب فمعنى يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب ولا كشف ثمة ولا ساق ولكن كنى به عن الشدة لانهم اذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق وهذا كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثمة ولا غل وانما هو كناية عن البخل واما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره فى علم البيان ولو كان الامر كما زعم المشبه لكان من حق الساق ان يعرف لانها ساق معهودة

ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا احدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر ما يكون الى الشمس اصفر واخضر وما يكون منها الى الظل يكون ابيض قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم تعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا أي شئ أفضل من هذا فيقول رضائي فلا اسخط عليكم أبدا لفظ مسلم وللبخاري نحوه بمعناه

(فصل في شرح ألفاظ الحديث وما يتعلق به) أما الرؤية وما يتعلق بها فسيأتي الكلام عليها في موضعها ان شاء الله تعالى قوله حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم رب العالمين في ادنى صورة من التي رأوه فيها وفي رواية أبي هريرة فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله وغيره اعلم ان هذا الحديث من أكبر أحاديث الصفات وأعظمها وللعلماء فيه وفي أمثاله قولان أحدهما وهو قول معظم السلف أو كلهم انه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا ان نؤمن بها ونعتقد ان لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم ان الله تعالى ليس كمثله شئ وانه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوقين وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو اسلم وقال الخطابي هذا الحديث تهيب القول فيه شيوخنا فأجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب والقول الثاني وهو مذهب معظم المتكلمين انها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها وانما يسوغ تأويلها لمن كان من اهله فعلى هذا المذهب يقال في قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله ان الاتيان عبارة عن رؤيتهم اياه لان العادة ان من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجئ ههنا عن الرؤية مجازا وقيل الاتيان فعل من أفعال الله تعالى سماه اتيانا وقيل المراد يأتيهم الله يأتيهم بعض ملائكته قال القاضي عياض وهذا الوجه اشبه عندي بالحديث قال ويكون هذا الملك هو الذي جاءهم في الصورة التي انكروها من سمات الحدوث الظاهرة على الملك والمخلوق قال او يكون معناه يأتيهم الله في صورة اي بصور ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الاله ليختبرهم وهذا آخر امتحان المؤمنين فاذا قال لهم هذا الملك أو هذه الصورة أنا ربكم رأوا عليه علامة من علامات المخلوقات مما ينكرونه ويعلمون بذلك انه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه وأما قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فالمراد بالصورة هنا الصفة ومعناه فيتجلى الله تعالى لهم في الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها وانما عرفوه بصفته وان لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى لانهم على هذه الصفة يرونه لا يشبه شيئا من مخلوقاته وقد علموا انه لا يشبه شيئا من مخلوقاته فيعلمون بذلك انه ربهم فيقولون انت ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها اياها ولمجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة وقوله في حديث ابي سعيد اتاهم رب العالمين في ادنى صورة من التي رأوه فيها معنى رأوه فيها أي علموها وهي صفته المعلومة للمؤمنين وهي انه لا يشبهه شئ وقولهم نعوذ بالله منك لا نشرك بالله

انما استعاذوا منه لما قدمناه من كونهم رأوا عليه سمات المخلوق قوله فيكشف عن ساق وفى رواية للبخارى يكشف ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات قال أبو سليمان الخطابى فيحتمل ان يكون معنى قوله فيكشف ربنا عن ساقه أى قدرته التى تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح الياء وضمها وقد تقدم تفسير كشف الساق وقيل المراد بالساق فى هذا الحديث نور عظيم وورد ذلك فى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ما روى عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله يوم يكشف عن ساق قال نور عظيم يخرون له سجدا تفرد به روح بن جبان مولى عمر ابن عبد العزيز وهو شامى يأتى باحاديث منكرة لا يتابع عليها وموالى عمر بن عبد العزيز كثيرون ففى اسناده مجهول أيضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك ما يتجدد للمؤمن عند رؤية الله تعالى من الفوائد والالطاف قال القاضى وقيل قد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقة عظيمة وقد تكون ساقا مخلوقة جعلها الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة وقيل معناه كشف الحزن وازالة الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الاهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك و يتجلى الله لهم فيخرون سجدا قال الخطابى وهذه الرؤية فى هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التى هى فى الجنة لكرامة أولياء الله وانما هذه الرؤية امتحان الله لعباده وقوله فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه الا اذن الله له فى السجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقا ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده ومعنى طبقة واحدة اى فقارة واحدة كالصفيحة فلا يقدر على السجود وقوله ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها اول مرة معناه ثم يرفعون رؤسهم وقد أزال المانع لهم من رؤيته وتجلى لهم فيقولون أنت ربنا وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحاء وقيل بضمها من حل ومعناه وتقع الشفاعة و يؤذن فيها وقوله دحض مزلة أى تزلق فيه الاقدام ولا تثبت قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذى يخطف الشئ وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التى يعلق بها اللحم والحسك الذى يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب قوله فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم معناه انهم ثلاثة أقسام قسم يسلم فلا يناله شئ أصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكدوس اى يلقى و يسقط فى جهنم وفى هذا اثبات الصراط وهو مذهب اهل السنة واهل الحق وهو جسر يجعل على متن جهنم وهو أرق من الشعر وأحد من السيف فيمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب منازلهم واعمالهم والآخرون يسقطون فى جهنم أعاذنا الله منها ومعنى مناشدة المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار شفاعتهم لهم وقوله فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف دينار من خير ومثقال ذرة قال القاضى عياض قيل معنى الخير اليقين قال والصحيح ان معناه شئ زائد على مجرد الايمان لان الايمان الذى هو التصديق لا يتجزأ وانما يكون هذا الخير زائدا عليه من عمل صالح وذكر خفى وعمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أوخوف من الله تعالى اونية صادقة ومثقال الذرة مثل لاقل الخير لان ذلك اقل المقادير وقول المؤمنين لم نذر فيها خيرا اى صاحب خير وقوله تعالى شفعت الملائكة هو بفتح الفاء وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط هؤلاء هم الذين معهم مجرد الايمان فقط ولم يعملوا خيرا قط وتفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب فالرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان فقط ومعنى قبض قبضة أى جمع جماعة قوله قد عادوا حمما أى صاروا فحما فيلقيهم فى نهر فى افواه الجنة جمع فوهة وهى أول النهر قوله فيخرجون كاللؤلؤ أى فى الصفاء فى رقابهم الخواتم قيل معناه انه يعلق فى رقابهم اشياء من ذهب اوغير ذلك مما يعرفون بها والله اعلم قوله تعالى (ويدعون الى السجود فلا يستطيعون) السجود يعنى الكفار والمنافقين تصير أصلابهم كصياصى البقر او كصفيحة نحاس فلا يستطيعون

عنده (ويدعون) أى الكفارة (الى السجود) لا تكليفا ولكن توبيخا على تركهم السجود فى الدنيا (فلا يستطيعون) ذلك لان ظهورهم تصير كصياصى البقر لا تنثنى عند الخفض والرفع

(خاشعة) ذليلة حال من الضمير في يدعون (أبصارهم) أي يدعون في حال خشوع ابصارهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم صغار (وقد كانوا يدعون) على ألسن الرسل (الى السجود) في الدنيا (وهم سالمون) أي وهم اصحاء فلا يسجدون فلذلك منعوا عن السجود ثم (فذرني) يقال ذرني واياه أي كله الى فاني اكفيكه (ومن يكذب) معطوف على المفعول اومفعول معه (بهذا الحديث) بالقرآن والمراد كل أمره الى وخل بيني وبينه فاني عالم بما ينبغي ان يفعل به مطيق له فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل على في الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للمكذبين (سنستدرجهم) سنستدنيهم من العذاب درجة درجة يقال استدرجه الى كذا أي استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله تعالى العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون رزق الله ذريعة الى ازدياد المعاصي (من حيث لا يعلمون) من الجهة التي لا يشعرون انه استدراج قيل كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وانسيناهم شكرها قال عليه السلام اذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج وتلا الآية (وأملي لهم) وامهلهم (ان كيدي متين) قوي شديد فسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للهلاك والاصل ان معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الاخذ من جهة الامن ولا يجوز أن يسمى الله كايدا وماكرا ومستدرجا (أم تسألهم) على تبليغ الرسالة (أجرا فهم من مغرم) غرامة (مثقلون) فلا يؤمنون استفهام بمعنى النفي أي است تطلب اجرا على تبليغ الوحي فيثقل عليهم ذلك فيمتنعوا لذلك (أم عندهم الغيب) أي اللوح المحفوظ عند الجمهور (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم لانهم وان امهلوا لم يهملوا (ولا تكن كصاحب الحوت) كيونس عليه السلام في العجلة والغضب على القوم حتى لا تبتلى ببلائه والوقف على الحوت لان اذ ليس بظرف لما تقدمه اذ النداء طاعة فلا ينهى عنه بل مفعول محذوف أي اذكر (اذ نادى) دعا ربه في بطن الحوت بلا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين (وهو مكظوم) مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه (لولا أن تداركه نعمة) رحمة (من ربه) أي لولا ان الله أنعم عليه باجابة دعائه وقبول عذره (لنبذ) من بطن الحوت (بالعراء) بالفضاء (وهو مذموم) معاتب بزلته لكنه رحم فنبذ غير مذموم (فاجتباه ربه) اصطفاه لدعائه وعذره (فجعله من الصالحين) من المستكملين لصفات الصلاح ولم يبق له زلة وقيل من الانبياء وقيل من المرسلين والوجه هو الاول لانه كان مرسلا ونبيا قبله لقوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون الآيات (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) وبفتح الياء مدني ان مخففة من الثقيلة واللام علمها زلقه وازلقه أزاله عن مكانه أي قارب الكفار من شدة نظرهم اليك شزرا بعيون العداوة ان يزلوك بأبصارهم عن مكانك او يهلكوك لشدة حنقهم عليك وكانت العين في بني أسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شئ فيقول فيه لم أر كاليوم مثله الا هلك فأريد بعض العيانين على ان يقول في رسول الله مثل ذلك فقال لم ار كاليوم مثله رجلا فعصمه الله من ذلك وفي الحديث العين حق وان العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر وعن الحسن رقية العين هذه الآية

السجود (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم أشد بياضا من الثلج وقد علاها النور والبهاء وتسود وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل وخسران وندامة (وقد كانوا يدعون الى السجود) يعني في دار الدنيا كانوا يدعون الى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة وذلك انهم كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون (وهم سالمون) يعني انهم كانوا يدعون الى الصلاة وهم اصحاء فلا يأتونها قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا في الذين يتخلفون عن الجماعة قوله عز وجل (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) أي دعني والمكذبين بالقرآن وخل بيني وبينهم ولا تشغل قلبك بهم وكلهم الى فاني اكفيك اياهم (سنستدرجهم) أي سنأخذهم بالعذاب (من حيث لا يعلمون) فعذبوا يوم بدر بالقتل والاسر وقيل في معنى الآية كلما اذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدراج لانهم يحسبونه تفضلا لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب اهلاكهم فعلى العبد المسلم اذا تجددت عنده نعمة ان يقابلها بالشكر واذا أذنب ذنبا ان يعاجله بالاستغفار والتوبة (وأملي لهم) اي امهلهم واطيل لهم المدة وقيل معناه أمهلهم الى الموت فلا اعاجلهم بالعقوبة (ان كيدي متين) أي عذابي شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال فيكون بمعنى الاستدراج المؤدي الى العذاب (أم تسألهم أجرا) أي على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم مثقلون) المغرم الغرامة والمعنى اتطلب منهم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) أي اعندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهو استفهام على سبيل الانكار (فاصبر لحكم ربك) أي اصبر على أذاهم لقضاء ربك قيل انه منسوخ بآية السيف (ولا تكن) في الضجر والعجلة (كصاحب الحوت) يعني يونس ابن متى (اذ نادى) ربه أي في بطن الحوت (وهو مكظوم) أي مملوء غما (لولا أن تداركه نعمة من ربه) أي حين رحمه وتاب عليه (لنبذ بالعراء) أي لطرح بالفضاء من بطن الحوت على الارض (وهو مذموم) أي يذم ويلام بالذنب وقيل في معنى الآية لولا تداركته نعمة من ربه لبقي في بطن الحوت الى يوم القيامة ثم ينبذ بعراء القيامة أي بارضها وفضائها فان قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه كان فاعلا للذنب قلت الجواب عنه من ثلاثة اوجه أحدها ان كلمة لولا دلت على انه لم يحصل منه ما يوجب الذم الثاني لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله تعالى (فاجتباه ربه) والفاء للتعقيب اي اصطفاه ورد عليه الوحي وشفعه في قومه (فجعله من الصالحين) أي النبيين قوله تعالى (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) وذلك ان الكفار أرادوا ان يصيبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قريش اليه وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني أسد حتى كانت الناقة او البقرة لتمر باحدهم فيعاينها ثم يقول لجاريته خذي المكتل والدراهم فائتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح

حتى تقع فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم أر كاليوم ابلا ولا غنما أحسن من هذه فما تذهب الا قليلا حتى يسقط منها عدة فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة وانما أراد انهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك ومنه قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعني أو يكاد يأكلني يدل على صحة هذا المعنى انه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله (لما سمعوا الذكر) لانهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهة ويحدون النظر اليه بالبغضاء (ويقولون انه لمجنون) أي ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن قال الله تعالى ردا عليهم (وما هو) يعني القرآن (الا ذكر للعالمين) قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الحسن دواء من أصابته العين أن تقرأ عليه هذه الآية (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شئ سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وعن عبيد الله بن رفاعة الزرقي ان أسماء بنت عميس كانت تقول يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين أفأسترقي لهم قال نعم ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين أخرجه الترمذي قوله العين حق أخذ بظاهر الحديث جماهير العلماء وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول فاذا أخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب أهل السنة ان العين انما تفسد وتهلك عند مقابلة هذا الشخص الذي هو العائن لشخص آخر فتؤثر فيه بقدرة الله تعالى وفعله وقوله ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين فيه اثبات القدر وانه حق والمعنى ان الاشياء كلها بقدر الله ولا يقع شئ الا على حسب ما قدر الله وسبق به علمه ولا يقع ضرر العين وغيره من الخير والشر الا بقدرة الله وفيه صحة اثبات العين وانها قوية الضرر اذا وافقها القدر والله أعلم

(تفسير سورة الحاقة مكية)

وهي اثنتان وخمسون آية ومائتان وست وخمسون كلمة وألف وأربع وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الحاقة) يعني القيامة سميت حاقة من الحق الثابت يعني انها ثابتة الوقوع لا ريب فيها وقيل لان فيها تحقق الامور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الاعمال أي يجب وقيل الحاقة النازلة التي حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاقة هي التي تحق على القوم أي تقع بهم (ما الحاقة) استفهام ومعناه التفخيم لشأنها والتهويل لها والمعنى أي شئ هي الحاقة (وما أدراك ما الحاقة) أي انك لا تعلمها اذ لم تعاينها وترما فيها من الاهوال على انه من العظم والشدة أمر لا تبلغه دراية أحد ولا فكره وكيف قدرت حالها فهي أعظم من ذلك (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) قال ابن عباس بالقيامة سميت قارعة لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب الذي أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أي بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة الحد في القوة وقيل الطاغية الفرقة التي عقروا الناقة فأهلك قوم ثمود بسببهم (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أي شديدة الصوت في الهبوب لها صرصرة وقيل هي الباردة من الصر كأنها التي كرر فيها

(لما سمعوا الذكر) القرآن (ويقولون) حسدا على ما أوتيت من النبوة (انه لمجنون) ان محمدا لمجنون حيرة في أمره وتنفيرا عنه (وما هو) أي القرآن (الا ذكر) وعظ (للعالمين) للجن والانس يعني انهم جننوه لاجل القرآن وما القرآن الا موعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله وقيل لما سمعوا الذكر أي ذكره عليه السلام وما هو أي محمد عليه السلام الا ذكر شرف للعالمين فكيف ينسب اليه الجنون والله أعلم

(سورة الحاقة احدى وخمسون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجئ التي هي آتية لا ريب فيها من حق يحق بالكسر أي وجب (ما الحاقة) مبتدأ وخبر وهما خبر الحاقة والاصل الحاقة ما هي أي أي شئ هي تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها أي حقها ان يستفهم عنها لعظمها فوضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التهويل (وما أدراك) وأي شئ أعلمك (ما الحاقة) يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها لانه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية المخلوقين وما رفع بالابتداء وأدراك الخبر والجملة بعده في موضع نصب لانها مفعول ثان لأدرى (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أي بالحاقة فوضعت القارعة موضعها لانها من أسماء القيامة وسميت بها لانها تقرع الناس بالافزاع والاهوال ولما ذكرها وفخمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وقيل الصيحة وقيل الطاغية مصدر كالعافية أي بطغيانهم ولكن هذا لا يطابق قوله (وأما عاد فأهلكوا بريح) أي بالدبور لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (صرصر) شديدة الصوت من الصرة الصيحة أو باردة من الصر كأنها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة

البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها (عاتية) أي عتت على خزنتها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا مقدار ما خرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم بقوة ولا حيلة (سخرها عليهم) أي ارسلها وسلطها عليهم وفيه رد على من قال ان سبب ذلك كان باتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم وبين الله تعالى ان ذلك بقضائه وقدره ومشيئته لا باتصال الكواكب (سبع ليال وثمانية أيام) ذات برد ورياح شديدة قال وهب هي الايام التي سماها العرب العجوز لانها أيام ذات برد ورياح شديدة وسميت عجوزا لانها تأتي في عجز الشتاء وقيل لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فاتبعتها الريح حتى قتلتها (حسوما) أي متتابعة دائمة ليس فيها فتور وذلك ان الريح المهلكة تتابعت عليهم في هذه الايام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى أهلكتهم وقيل حسوما وشؤما وقيل لهذه الايام حسوما لانها تحسم الخير عن اهلها والحسم القطع والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستئصال فلم تبق منهم أحدا (فترى القوم فيها) أي في تلك الليالي والايام (صرعى) أي هلكى جمع صريع قد صرعهم الموت (كأنهم أعجاز نخل خاوية) أي ساقطة وقيل خالية الاجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة ليس لها رؤس (فهل ترى لهم من باقية) أي من نفس باقية قيل انهم لما أصبحوا موتى في اليوم الثامن كما وصفهم الله تعالى بقوله أعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فألقتهم في البحر فلم يبق منهم أحد قوله تعالى (وجاء فرعون ومن قبله) قرئ بكسر القاف وفتح الباء أي ومن معه من جنوده واتباعه وقرئ بفتح القاف وسكون الباء أي ومن قبله من الامم الكافرة (والمؤتفكات) يعني قرى قوم لوط ويريد أهل المؤتفكات وقيل يريد الامم الذين ائتفكوا بخطيئتهم وهو قوله (بالخاطئة) أي بالخطيئة والمعصية وهو الشرك (فعصوا رسول ربهم) قيل يعني موسى بن عمران وقيل لوطا والاولى ان يقال المراد بالرسول كلاهما للتقدم ذكر الامتين جميعا (فأخذهم أخذة رابية) يعني نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زائدة على عذاب الامم (انا لما طغى الماء) أي عتا وجاوز حده حتى علا على كل شئ وارتفع فوقه وذلك في زمن نوح عليه الصلاة والسلام وهو الطوفان (حملناكم في الجارية) يعني حملنا آباءكم وانتم في اصلابهم فصح خطاب الحاضرين في الجارية اى السفينة التي تجري في الماء (لنجعلها) اى لنجعل تلك الفعلة التي فعلناها من اغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه (لكم تذكرة) اى عبرة وموعظة (وتعيها) اى تحفظها (اذن واعية) اى حافظة لما جاء من عند الله وقيل اذن سمعت وعقلت ما سمعت وقيل لتحفظها كل أذن فتكون عظة وعبرة لمن يأتي بعد والمراد صاحب الاذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالموعظة قوله عز وجل (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة) يعني النفخة الاولى (وحملت الارض والجبال) اى رفعت من اماكنها (فدكتا دكة واحدة) اى كسرتا وفتتا حتى صارتا هباء منبثا والضمير عائد الى الارض والجبال فعبر عنهما بلفظ الاثنين (فيومئذ وقعت الواقعة) اى قامت القيامة (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) اى ضعيفة لتشققها (والملك) يعني الملائكة (على ارجائها) يعني نواحيها واقطارها وهو الذي لم ينشق منها قال الضحاك تكون الملائكة على حافتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها (ويحمل عرش ربك فوقهم) اى فوق رؤسهم يعني الحملة (يومئذ) اى يوم القيامة (ثمانية) يعني ثمانية املاك وجاء في الحديث انهم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية على صورة الاوعال بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء الاوعال تيوس الجبل وروى السدي عن أبي مالك قال ان الصخرة التي تحت الارض السابعة ومنتهى علم الخلائق على ارجائها يحملها أربعة من الملائكة لكل واحد منهم أربعة وجوه وجه انسان ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر فهم قيام عليها قد أحاطوا بالسموات والارض ورؤسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال حملة العرش منهم من صورته على صورة الانسان ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم من صورته على صورة الثور ومنهم من صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس قال

بردها (عاتية) شديدة العصف أو عتت على خزانها فلم يضبطوها باذن الله غضبا على أعداء الله (سخرها) سلطها (عليهم سبع ليال وثمانية أيام) وكان ابتداء العذاب يوم الاربعاء آخر الشهر الى الاربعاء الاخرى (حسوما) أي متتابعة لا تنقطع جمع حاسم كشهود تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وجاز أن يكون مصدرا أي تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا (فترى) أيها المخاطب (القوم فيها) في مهابها أو في الليالي والايام (صرعى) حال جمع صريع (كأنهم) حال أخرى (أعجاز) أصول (نخل) جمع نخلة (خاوية) ساقطة أو بالية (فهل ترى لهم من باقية) من نفس باقية أو من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان (وجاء فرعون ومن قبله) ومن تقدمه من الامم ومن قبله بصري وعلي أي ومن عنده من اتباعه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط فهي ائتفكت اى انقلبت بهم (بالخاطئة) بالخطأ او بالفعلة أو بالافعال ذات الخطأ العظيم (فعصوا) أي قوم لوط (رسول ربهم) لوطا (فأخذهم أخذة رابية) شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح (انا لما طغى الماء) ارتفع وقت الطوفان على أعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعا (حملناكم) اى آباءكم (في الجارية) في سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها) أي الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (لكم تذكرة) عبرة وعظة (وتعيها) وتحفظها (أذن) بضم الذال غير نافع (واعية) حافظة لما تسمع قال قتادة وهي أذن عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة) هي النفخة الاولى ويموت عندها الناس والثانية يبعثون عندها (وحملت الارض والجبال) رفعتا عن موضعهما (فدكتا دكة واحدة) دقتا وكسرتا أي ضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا (فيومئذ) فحينئذ (وقعت الواقعة) نزلت النازلة وهي القيامة وجواب اذا وقعت ويومئذ بدل من اذا (وانشقت السماء) فتحت أبوابا (فهي يومئذ واهية) مسترخية ساقطة القوة بعدما كانت محكمة (والملك) للجنس بمعنى الجمع وهو أعم من الملائكة (على ارجائها) جوانبها واحدها رجا مقصور لانها اذا انشقت وهي مسكن الملائكة فيلجؤن الى اطرافها (ويحمل عرش ربك فوقهم) صدق فوق الملك الذين على ارجائها (يومئذ ثمانية) منهم واليوم تحمله أربعة وزيدت اربعة أخرى يوم القيامة وعن الضحاك ثمانية صفوف وقيل ثمانية اصناف

صدق النبي صلى الله عليه وسلم امية بن ابي الصلت في شئ من الشعر فقال

رجل وثور تحت رجل يمينه * والنسر للاخرى وليث برصد

عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام اخرجه ابوداود باسناد صحيح غريب عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت جالسا في البطحاء في عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذه قلنا نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين السماء والارض قالوا لا والله ما ندري قال فان بعد ما بينهما اما قال واحدة واما قال اثنتان واما ثلاث وسبعون سنة و بعد التي فوقها كذلك وكذلك حتى عدهن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحر أعلاه واسفله كما بين سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن كما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين اسفله واعلاه مثل ما بين السماء الى السماء والله عز وجل فوق ذلك اخرجه الترمذي وابوداود وزاد في رواية وليس يخفى عليه من اعمال بني آدم شئ عن ابن مسعود قال ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وأرض خمسمائة عام وفضاء كل سماء وارض خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش لا يخفى عليه شئ من اعمالكم أخرجه ابوسعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود قال ابن خزيمة اختلاف خبر العباس وابن مسعود في قدر المسافة على اختلاف سير الدواب وعن ابن عباس قال لحملة العرش قرون ما بين اخمص أحدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله ابن عمر قال الذين يحملون العرش ما بين موق أحدهم الى مؤخر عينيه خمسمائة عام وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وروي عن ابن عباس في قوله يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله عز وجل (يومئذ تعرضون) أي على الله تعالى للحساب (لا تخفى منكم خافية) أي فعلة خافية والمعنى انه تعالى عالم بأحوالكم لا يخفى عليه شئ منها وان عرضكم يوم القيامة عليه ففيه المبالغة والتهديد وقيل معناه لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان مخفيا في الدنيا فانه يظهر أحوال الخلائق فالمحسنون يسرون باحسانهم والمسيئون يحزنون باساءتهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله أخرجه الترمذي وقال ولا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (فاما من أوتي) اي اعطي (كتابه بيمينه فيقول هاؤم) اي تعالوا (اقرؤا كتابيه) والمعنى انه لما بلغ الغاية في السرور وعلم انه من الناجين باعطاء كتابه بيمينه احب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له وقيل يقول ذلك لاهله واقربائه (اني ظننت) اي علمت وايقنت وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن في الغالب يقوم مقام العلم في العادات والاحكام (أني ملاق حسابيه) اي في الآخرة والمعنى اني كنت في الدنيا استيقن اني احاسب في الآخرة (فهو في عيشة راضية) اي في حالة من العيش مرضية وذلك بأنه لقي الثواب وأمن من العقاب (في جنة عالية) رفيعة (قطوفها دانية) اي ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائما وقاعدا ومضطجعا يقطعونها كيف شاؤا (كلوا) اي يقال لهم كلوا

(يومئذ تعرضون) للحساب والسؤال شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله (لا تخفى منكم خافية) سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا وبالياء كوفي غير عاصم وفي الحديث يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعندها تطير الصحف فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله (فاما) تفصيل للعرض (من أوتي كتابه بيمينه فيقول) سرورا به لما يرى فيه من الخيرات خطابا للجماعة (هاؤم) اسم للفعل أي خذوا (اقرؤا كتابيه) تقديره هاؤم كتابي اقرؤا كتابيه فحذف الاول لدلالة الثاني عليه والعامل في كتابيه اقرؤا عند البصريين لانهم يعملون الاقرب والهاء في كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت وحقها أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها لثبوتها في المصحف (اني ظننت) علمت وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقوم مقام العلم في العادات والاحكام ولان ما يدرك بالاجتهاد قلما يخلو عن الوسواس والخواطر وهي تفضي الى الظنون فجاز اطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه (اني ملاق حسابيه) معاين حسابي (فهو في عيشة راضية) ذات رضى مرضي بها صاحبها كلابن (في جنة عالية) رفيعة المكان أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المباني والقصور وهو خبر بعد خبر (قطوفها دانية) ثمارها قريبة من مريدها ينالها القائم والقاعد والمتكئ يقال لهم (كلوا

(واشربوا هنيئا بما أسلفتم) اى بما قدمتم لآخرتكم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) اى الماضية يريد ايام الدنيا (وأما من أوتى كتابه بشماله) قيل تكون يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها (فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه) وذلك لما نظر فى كتابه و راى قبائح اعماله مثبتة عليه تمنى انه لم يؤت كتابه لما حصل له من الخجل والافتضاح (ولم أدر ما حسابيه) اى لم ادر اى شئ حسابى لانه لا طائل ولا حاصل له وانما كله عليه لا له (ياليتها كانت القاضية) تمنى انه لم يبعث للحساب والمعنى ياليت الموتة التى متها فى الدنيا كانت القاضية عن كل ما بعدها والقاطعة للحياة اى ما احيى بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن شئ عنده اكره منه اليه اى من الموت فى الدنيا لانه رأى تلك الحالة اشنع وامر مما اذاقه من الموت (ما أغنى عنى ماليه) اى لم يدفع عنى يسارى وملكى من العذاب شيئا (هلك عنى سلطانيه) اى ضلت عنى حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا وقيل ضلت عنه حجته حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عنى ملكى وقوتى وتسلطى على الناس و بقيت ذليلا حقيرا فقيرا (خذوه) اى يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه (فغلوه) اى اجمعوا يديه الى عنقه (ثم الجحيم صلوه) اى ادخلوه معظم النار لانه كان يتعاظم فى الدنيا (ثم فى سلسلة) وهى حلق منتظمة كل حلقة منها فى حلقة (ذرعها) اى مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد او غيرها (سبعون ذراعا) قال ابن عباس بذراع الملك وقال نوف البكالى سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد ما بينك و بين مكة وكان فى رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله أعلم اى ذراع هو عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رضاضة مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت فى رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ قعرها او اصلها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن الرضاض الحصباء الصغار وقوله مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة الجمجمة قدح من خشب و جمعه جماجم والجمجمة الرأس وهو اشرف الاعضاء وقال وهب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها وقوله تعالى (فاسلكوه) اى ادخلوه فيها قال ابن عباس تدخل فى حلقه وتخرج من دبره (انه كان لا يؤمن بالله العظيم) أى لا يصدق بوحدانية الله وعظمته (ولا يحض على طعام المسكين) اى ولا يحث نفسه على طعام المسكين ولا يأمر اهله بذلك وفيه دليل على تعظيم الجرم فى حرمان المساكين لان الله تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينه قال الحسن فى هذه الآية ادركت اقواما يعزمون على أهليهم أن لا يردوا سائلا وعن بعضهم انه كان يأمر اهله بتكثير المرقة لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع النصف الثانى بالاطعام (فليس له اليوم ههنا حميم) اى ليس له فى الآخرة قريب ينفعه او يشفع له (ولا طعام الا من غسلين) يعنى صديد اهل النار مأخوذ من الغسل كانه غسالة جروحهم وقروحهم وقيل هو شجر يأكله اهل النار (لا يأكله الا الخاطئون) اى الكافرون قوله عز وجل (فلا أقسم) قيل ان لا صلة والمعنى اقسم وقيل لا رد لكلام المشركين كانه قال ليس الامر كما يقول المشركون ثم قال تعالى اقسم وقيل لا ههنا نافية للقسم على معنى انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق فيه كانه قال لا اقسم على ان القرآن قول رسول كريم فكانه لوضوحه استغنى عن القسم وقوله (بما تبصرون وما لا تبصرون) يعنى بما ترون وتشاهدون وبما لا ترون وما لا تشاهدون اقسم بالاشياء

واشربوا هنيئا) اكلا وشربا هنيئا لا مكروه فيهما ولا أذى او هنئتم هنيئا على المصدر (بما اسلفتم) بما قدمتم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) الماضية من ايام الدنيا وعن ابن عباس هى فى الصائمين أى كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه) لما يرى فيها من الفضائح (ولم أدر ما حسابيه) أى ياليتنى لم أعلم ما حسابى (ياليتها) ياليت الموتة التى متها (كانت القاضية) اى القاطعة لامرى فلم ابعث بعدها ولم الق ما القى (ما أغنى عنى ماليه) أى لم ينفعنى ما جمعته فى الدنيا فما نفى والمفعول محذوف أى شيئا (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلطى على الناس و بقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ضلت عنى حجتى اى بطلت حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا فيقول الله تعالى لخزنة جهنم (خذوه فغلوه) أى اجمعوا يديه الى عنقه (ثم الجحيم صلوه) اى ادخلوه يعنى ثم لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى أو نصب الجحيم بفعل يفسره صلوه (ثم فى سلسلة ذرعها) طولها (سبعون ذراعا) بذراع الملك عن ابن جريج وقيل لا يعرف قدرها الا الله (فاسلكوه) فادخلوه والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التصلية (انه) تعليل كانه قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد فأجيب بانه (كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين) على بذل طعام المسكين وفيه اشارة الى انه كان لا يؤمن بالبعث لان الناس لا يطلبون من المساكين الجزاء فيما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه الله و رجاء الثواب فى الآخرة فاذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على اطعامهم اى انه مع كفره لا يحرض غيره على اطعام المحتاجين وفيه دليل قوى على عظم جرم حرمان المسكين لانه عطفه على الكفر وجعله دليلا عليه وقرينة له ولانه ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض اذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل أحق وعن أبى الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين و يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان فلنخلع نصفها بهذا وهذه الآيات ناطقة على ان المؤمنين يرحمون جميعا والكافرين لا يرحمون لانه قسم الخلق نصفين فجعل صنفا منهم أهل اليمين و وصفهم بالايمان فحسب بقوله انى ظننت انى ملاق حسابيه وصنفا منهم أهل الشمال و وصفهم بالكفر لقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم وجاز ان الذى يعاقب من المؤمنين انما يعاقب قبل ان يؤتى كتابه بيمينه (فليس له اليوم ههنا حميم) قريب يرفع عنه ويحترق له قلبه (ولا طعام الا من غسلين) غسالة اهل النار فعلين من الغسل والنون زائدة واريد به هنا ما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم (لا يأكله الا الخاطئون) الكافرون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب (فلا أقسم بما تبصرون) من الاجسام والارض والسماء (وما لا تبصرون) من الملائكة والارواح فالحاصل انه اقسم بجميع الاشياء

كلها فيدخل فيه جميع المكنونات والموجودات وقيل اقسم بالدنيا والآخرة وقيل بما تبصرون يعني على ظهر الارض وما لا تبصرون أي ما في بطنها وقيل بما تبصرون يعني الاجسام وما لا تبصرون يعني الارواح وقيل بما تبصرون يعني الانس وما لا تبصرون يعني الملائكة والجن وقيل بما تبصرون من النعم الظاهرة وما لا تبصرون من النعم الباطنة وقيل بما تبصرون ما أظهره الله من مكنون غيبه لملائكته واللوح والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون هو ما استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحدا من خلقه ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى (انه) يعني القرآن (لقول رسول كريم) يعني تلاوة رسول كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول كريم والقول الاول اصح لانهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وانما وصفوا بهما محمدا صلى الله عليه وسلم فان قلت قد توجه ههنا سؤال وهو ان جمهور الامة وهم أهل السنة مجمعون على ان القرآن كلام الله فكيف يصح اضافته الى الرسول قلت اما اضافته الى الله تعالى فلانه هو المتكلم به واما اضافته الى الرسول فلانه هو المبلغ عن الله تعالى ما أوحى اليه ولهذا أكده بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال قال ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول وانما اراد أنه قول الرسول المبلغ عن الله تعالى وفي الرسول ما يدل على ذلك فاكتفى به عن ان يقول عن الله تعالى وقوله تعالى (وما هو بقول شاعر) يعني ان هذا القرآن ليس بقول رجل شاعر ولا هو من ضروب الشعر ولا تركيبه (قليلا ما تؤمنون) أراد بالقليل عدم ايمانهم أصلا والمعنى انكم لا تصدقون بأن القرآن من عند الله تعالى (ولا بقول كاهن) اي وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة (قليلا ما تذكرون) يعني لا تتذكرون البتة (تنزيل) اي هو تنزيل يعني القرآن (من رب العالمين) وذلك انه لما قال انه لقول رسول كريم اتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال قوله تعالى (ولو تقول علينا) اي اختلق علينا محمد (بعض الاقاويل) يعني اتى بشيء من عند نفسه لم نقله نحن ولم نوحه اليه (لاخذنا منه باليمين) اي لاخذناه بالقوة والقدرة وانتقمنا منه باليمين اي بالحق قال ابن عباس لاخذناه بالقوة والقدرة قال الشماخ يمدح عرابة ملك اليمن

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

اي بالقوة فعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شيء في ميامنه والمعنى لاخذنا منه اليمين اي سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل معنى الآية لاذللناه واهناه كفعل السلطان بمن يريد ان يهينه يقول لبعض أعوانه خذ بيده فأقمه وانما خص اليمين بالذكر لانه اشرف العضوين (ثم لقطعنا منه الوتين) قال ابن عباس يعني نياط القلب وقيل هو حبل الظهر وقيل هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه وقيل هو عرق يتصل من القلب بالرأس قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد منه انه لو كذب علينا لامتناه فكان كمن قطع وتينه والمعنى انه لو كذب علينا وتقول علينا قولا لم نقله لمنعناه من ذلك اما بواسطة اقامة الحجة عليه بأن نقيض له من يعارضه و يظهر للناس كذبه فيكون ذلك ابطالا لدعواه واما ان نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب واما ان نميته (فما منكم من أحد عنه حاجزين) اي مانعين يحجزوننا عن عقوبته والمعنى ان محمدا لا يتكلم الكذب علينا لاجلكم مع علمه انه لو تكلمه لعاقبناه ولا يقدر احد على دفع عقوبتنا عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو وصف احد ردا على معناه (وانه) يعني القرآن وذلك انه لما وصفه انه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم بين ما هو فقال (لتذكرة) اي لعظة (للمتقين) اي لمن اتقى عقاب الله (وانا لنعلم ان منكم مكذبين) فيه وعيد لمن كذب بالقرآن (وانه) يعني القرآن (لحسرة على الكافرين) يعني يوم القيامة والمعنى انهم يندمون على ترك الايمان به لما يرون من ثواب من آمن به (وانه لحق اليقين) معناه انه حق معين لا بطلان فيه و يقين لا شك

(انه) اي ان القرآن (لقول رسول كريم) اي محمد صلى الله عليه وسلم او جبريل عليه السلام اي يقول و يتكلم به على وجه الرسالة من عند الله (وما هو بقول شاعر) كما تدعون (قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن) كما تقولون (قليلا ما تذكرون) وبالياء فيهما مكي وشامي و يعقوب وسهل و بتخفيف الذال كوفي غير أبي بكر والقلة في معنى العدم يقال هذه أرض قلما تنبت أي لا تنبت أصلا والمعنى لا تؤمنون ولا تذكرون البتة (تنزيل) هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه (من رب العالمين ولو تقول علينا) ولو ادعى علينا شيئا لم نقله (بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين) لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين لان القتال اذا أراد ان يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره واذا أراد ان يوقعه في جيده وان يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره الى السيف أخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه وكذا (ثم لقطعنا منه الوتين) لقطعنا وتينه وهو مناط القلب اذا قطع مات صاحبه (فما منكم) الخطاب للناس او للمسلمين (من أحد) من زائدة (عنه) عن قتل محمد وجمع (حاجزين) وان كان وصف احد لانه في معنى الجماعة ومنه قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله (وانه) وان القرآن (لتذكرة) لعظة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه) وان القرآن (لحسرة على الكافرين) به المكذبين له اذا رأوا ثواب المصدقين به (وانه) وان القرآن (لحق اليقين) لعين اليقين ومحض اليقين

ولا ريب فيه (فسبح باسم ربك العظيم) اى نزه ربك العظيم واشكره على ان جعلك أهلا لايحائه اليك والله سبحانه وتعالى أعلم

(سورة سأل سائل وتسمى المعارج مكية)

وهى اربع واربعون آية ومائتان واربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سأل سائل) قرئ بغير همزة وفيه وجهان الاول انه لغة فى السؤال والثانى انه من السيل ومعناه اندفع عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من أودية جهنم وقرئ سأل سائل بالهمز من السؤال (بعذاب) قيل الباء بمعنى عن اى عن عذاب (واقع) اى نازل وكائن وعلى من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله تعالى مجيبا لذلك السؤال (للكافرين) وذلك ان اهل مكة لما خوفهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من اهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا فسألوه فأنزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين أى هو للكافرين والباء صلة ومعنى الآية دعا داع وطلب طالب عذابا واقعا للكافرين وهذا السائل هو النضر بن الحارث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فنزل به ما سأل فقتل يوم بدر صبرا وهذا قول ابن عباس (ليس له دافع) اى ان العذاب واقع بهم لا محالة سواء طلبوه اولم يطلبوه اما فى الدنيا بالقتل واما فى الآخرة لان العذاب واقع بهم فى الآخرة لا يدفعه عنهم دافع (من الله) اى بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع يدفعه عنهم (ذى المعارج) قال ابن عباس ذى السموات سماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل ذى الدرجات وهى المصاعد التى تعرج الملائكة فيها وقيل ذى الفواضل والنعم وذلك لان افضاله وانعامه مراتب وهى تصل الى الخلق على مراتب مختلفة (تعرج الملائكة والروح) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام وانما افرده بالذكر وان كان من جملة الملائكة لشرفه وفضل منزلته وقيل ان الله تعالى اذا ذكر الملائكة فى معرض التخويف والتهويل افرد الروح بالذكر وهذا يقتضى ان الروح اعظم الملائكة (اليه) اى الى الله عز وجل (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) اى من سنى الدنيا والمعنى انه لو صعد غير الملك من بنى آدم من منتهى امر الله تعالى من اسفل الارض السابعة الى منتهى امر الله تعالى من فوق السماء السابعة لما صعد فى اقل من خمسين ألف سنة والملك يقطع ذلك كله فى ساعة واحدة واقل من ذلك وذكر ان مقدار ما بين الارض السابعة السفلى الى منتهى العرش مسافة خمسين ألف سنة وقيل ان ذلك اليوم هو يوم القيامة قال الحسن هو يوم القيامة واراد ان موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس فى مقدار خمسين ألف سنة من سنى الدنيا وليس معنى ان مقدار طول ذلك اليوم خمسين ألف سنة دون غيره من الايام لان يوم القيامة له أول وليس له آخر لانه يوم ممدود ولا آخر له ولو كان له آخر كان منقطعا وهذا الطول فى حق الكفار دون المؤمنين قال ابن عباس يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة وروى البغوى بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين الف سنة فما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وقال ابن عباس معناه لو ولى محاسبة العباد فى ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه فى خمسين الف سنة قال عطاء ويفرغ الله تعالى منها فى مقدار نصف يوم من ايام الدنيا وقال الكلبى يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه فى خمسين الف سنة وانا افرغ منه فى ساعة من

فسبح الله بذكر اسمه (فسبح باسم ربك العظيم) وهو قوله سبحان الله العظيم

سورة المعارج مكية وهى اربع واربعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سأل سائل) هو النضر بن الحارث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم او هو النبى صلى الله عليه وسلم دعا بنزول العذاب عليهم ولما ضمن سأل معنى دعا عدى تعديته كأنه قيل دعا داع (بعذاب واقع) من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وسال بغير همز مدنى وشامى وهو من السؤال أيضا الا انه خفف بالتليين وسائل مهموز اجماعا (للكافرين) صفة لعذاب اى بعذاب واقع كائن للكافرين (ليس له) لذلك العذاب (دافع) راد (من الله) متصل بواقع اى واقع من عنده او بدافع اى ليس له دافع من جهته تعالى اذا جاء وقته (ذى المعارج) اى مصاعد السماء للملائكة جمع معرج وهو موضع العروج ثم وصف المصاعد وبعد مداها فى العلو والارتفاع فقال (تعرج) تصعد وبالياء على (الملائكة والروح) اى جبريل عليه السلام خصه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه او خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة علينا او ارواح المؤمنين عند الموت (اليه) الى عرشه ومهبط أمره (فى يوم) من صلة تعرج (كان مقداره خمسين ألف سنة) من سنى الدنيا لو صعد فيه غير الملك او من صلة واقع اى يقع فى يوم طويل مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة فاما ان يكون استطالة له لشدته على الكفار ولانه على الحقيقة كذلك فقد قيل فيه خمسون موطنا لكل موطن ألف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر

(فاصبر) متعلق بسأل سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصبر عليه (صبرا جميلا) بلا جزع ولا شكوى (انهم) ان الكفار (يرونه) اى العذاب او يوم القيامة (بعيدا) مستحيلا (ونراه قريبا) كائنا لا محالة فالمراد بالبعيد البعد من الامكان وبالقريب القرب منه نصب (يوم تكون السماء) بقريبا اى يمكن في ذلك اليوم او هو بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع (كالمهل) كدردي الزيت او كالفضة المذابة في تلونها (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسأل حميم حميما) لا يسأل قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه وعن البزي والبرجمي بضم الياء اى لا يسئل قريب عن قريب أي لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه (يبصرونهم) صفة اى حميما مبصرين معرفين اياهم او مستأنف كانه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم والواو ضمير الحميم الاول وهم ضمير الحميم الثاني اى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وانما جمع الضميران وهما للحميمين لان فعيلا يقع موقع الجمع (يود المجرم) يتمنى المشرك وهو مستأنف او حال من الضمير المرفوع او المنصوب من يبصرونهم (لو يفتدي من عذاب يومئذ) وبالفتح مدني وعلى على البناء للاضافة الى غير متمكن (ببنيه وصاحبته) وزوجته (وأخيه وفصيلته) وعشيرته الادنين (التي تؤويه) تضمه انتماء اليها وبغيرهم مزيد (ومن في الارض جميعا) من الناس (ثم ينجيه) الافتداء عطف على يفتدي (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على انه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب (انها) ان النار ودل ذكر العذاب عليها او هو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر او ضمير القصة (لظى) علم للنار (نزاعة) حفص والمفضل على الحال المؤكدة او على الاختصاص للتهويل وغيرهما بالرفع خبر بعد خبر لان او على هي نزاعة (للشوى) لاطراف الانسان كاليدين والرجلين او جمع شواة وهي جلدة الرأس تنزعها انزاعا فتفرقها ثم تعود الى ما كانت (تدعو) بأسمائهم يا كافر يا منافق الى الي او تهلك من قولهم دعاك الله اى اهلكك او لما كان مصيره اليها جعلت كانها دعته (من ادبر) عن الحق (وتولى) عن الطاعة (وجمع) المال (فأوعى) فجعله في وعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان) اريد به الجنس ليصح استثناء المصلين منه (خلق هلوعا) عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسيره ما بعده (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس

نهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة فعلى هذا يكون المعنى ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وقيل معناه سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وفيه تقديم وتأخير (فاصبر) أي يا محمد على تكذيبهم اياك (صبرا جميلا) اى لا جزع فيه وهذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخها آية السيف (انهم يرونه) اي العذاب (بعيدا) اى غير كائن (ونراه قريبا) اى كائنا لا محالة لان كل ما هو آت قريب وقيل الضمير في يرونه بعيدا يعود الى يوم كان مقداره خمسين الف سنة والمعنى انهم يستبعدونه على جهة الانكار والاحالة ونحن نراه قريبا في قدرتنا غير بعيد علينا فلا يتعذر علينا امكانه (يوم تكون السماء كالمهل) اى كعكر الزيت وقال الحسن كالفضة المذابة (وتكون الجبال كالعهن) اى الصوف المصبوغ وانما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لانها ذات الوان احمر وابيض وغرابيب سود ونحو ذلك فاذا بست الجبال وسيرت اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهو اضعف الصوف وأول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا (ولا يسأل حميم حميما) اى لا يسأل قريب قريبه اشغله بشأن نفسه والمعنى لا يسأل الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا يسأله الشفاعة اى لا يسأله الاحسان اليه ولا الرفق به كما كان يسأله في الدنيا وذلك لشدة الامر وهول يوم القيامة (يبصرونهم) اى يرونهم وليس في القيامة مخلوق من جن او انس الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته فلا يسألهم ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لا يسأله عن حاله لشغله بنفسه وقيل يبصرونهم اى يعرفونهم اما المؤمن فيعرف ببياض وجهه واما الكافر فيعرف بسواد وجهه (يود المجرم) اى يتمنى المشرك (لو يفتدي من عذاب يومئذ) اى عذاب يوم القيامة (ببنيه وصاحبته) اى زوجته (وأخيه وفصيلته) اى عشيرته وقيل قبيلته وقيل اقربائه الاقربين (التي تؤويه) اى تضمه ويأوي اليها (ومن في الارض جميعا) يعني انه يتمنى لو ملك هؤلاء وكانوا تحت يده ثم انه يفتدي بهم جميعا (ثم ينجيه) اى ذلك الفداء من عذاب الله (كلا) اى لا ينجيه من عذاب الله شئ ثم ابتدأ فقال تعالى (انها لظى) يعني النار ولظى اسم من أسمائها وقيل الدركة الثانية من النار سميت لظى لانها تتلظى اى تلتهب (نزاعة للشوى) يعني الاطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل والمعنى ان النار تنزع الاطراف فلا تترك لحما ولا جلدا وقال ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تأكله فذلك دابها وقيل لمكارم خلقته ومحاسن وجهه واطرافه (تدعو) يعني النار الى نفسها (من ادبر) اى عن الايمان (وتولى) اى عن الحق فتقول له يا مشرك يا منافق قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعو اى تعذب قال اعرابي لآخر دعاك الله اى عذبك الله (وجمع فأوعى) يعني وتدعو من جمع المال في الوعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان خلق هلوعا) قال ابن عباس الهلوع الحريص على ما لا يحل وقيل شحيحا بخيلا وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) يعني اذا أصابه الفقر لم يصبر واذا أصابه المال لم ينفق وقال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبده بانفاق ما يحب

والصبر على ما يكره قيل اراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى (الا المصلين) وهذا استثناء الجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع (الذين هم على صلوتهم دائمون) يعني يقيمونها في أوقاتها وهي الفرائض فان قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال بعده على صلاتهم يحافظون قلت معنى ادامتهم عليها ان يواظبوا على أدائها وان لا يتركوها في شئ من الاوقات وان لا يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل وقتها والمحافظة عليها ترجع الى الاهتمام بحالها وهو ان يأتي بها العبد على اكمل الوجوه وهذا انما يحصل بأمور ثلاثة منها ما هو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وارصاد المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها وتفريغه عن الوسواس والالتفات الى ما سوى الله عز وجل واما الامور المقارنة للصلاة فهي ان لا يلتفت في الصلاة يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب في جميعها بالخشوع والخوف واتمام ركوعها وسجودها واما الامور الخارجة عن الصلاة فهو ان يحترز عن الرياء والسمعة وخوف ان لا يقبل منه مع الابتهال والتضرع الى الله تعالى في سؤال قبولها وطلب الثواب فالمداومة على الصلاة ترجع الى نفسها والمحافظة عليها ترجع الى احوالها وهيئاتها وروى البغوي بسنده عن ابي الخير قال سألنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلاتهم دائمون اهم الذين يصلون أبدا قال لا ولكنه اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه (والذين في أموالهم حق معلوم) يعني الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل هي صدقة التطوع وذلك بأن يوظف الرجل على نفسه شيئا من الصدقة يخرجه على سبيل الندب في أوقات معلومة (للسائل) يعني الذي يسأل الناس (والمحروم) يعني الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) اي يؤمنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزاء يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) اي خائفون ثم أكد ذلك الخوف فقال تعالى (ان عذاب ربهم غير مأمون) يعني ان الانسان لا يمكنه القطع بأنه ادى الواجبات كما ينبغي ولا اجتنب المحظورات بالكلية كما ينبغي بل قد يكون قد وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم ينبغي ان يكون العبد بين الخوف والرجاء وقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) تقدم تفسيره في سورة المؤمنين قوله تعالى (والذين هم بشهاداتهم قائمون) اي يقومون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الامانات الا انه خصها بالذكر لفضلها لان بها تحيا الحقوق وتظهر وفي تركها تموت وتضيع وقيل أراد بالشهادة الشهادة بأن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولهذا عطف عليها (والذين هم على صلواتهم يحافظون) ثم ذكر ما اعده لهم فقال تعالى (أولئك) يعني من هذه صفته (في جنات مكرمون) قوله تعالى (فمال الذين كفروا) اي فما بالهم (قبلك مهطعين) اي مسرعين مقبلين اليك مادي اعناقهم ومديمي النظر اليك متطلعين نحوك نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يسمعون كلامه ويستهزؤن به ويكذبونه فقال تعالى ما لهم ينظرون اليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يسمعون منك (عن اليمين وعن الشمال عزين) يعني انهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزون جماعات في تفرقة (أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم) قال ابن عباس معناه ايطمع كل رجل منهم أن يدخل جنة النعيم كما يدخلها المسلمون ويتنعمون

الخير وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال قد فسره الله تعالى ولا يكون تفسيرا بين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس وهذا طبعه وهو مأمور بمخالفة طبعه وموافقة شرعه والشر الضر والفقر والخير السعة والغنى او المرض والصحة (الا المصلين الذين هم على صلوتهم) اي صلواتهم الخمس (دائمون) اي يحافظون عليها في مواقيتها عن ابن مسعود رضي الله عنه (والذين في أموالهم حق معلوم) يعني الزكاة لانها مقدرة معلومة اوصدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في اوقات معلومة (للسائل) الذي يسأل (والمحروم) الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) اي يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون واعترض بقوله (ان عذاب ربهم غير مأمون) بالهمز سوى ابي عمرو اي لا ينبغي لاحد وان بالغ في الاجتهاد والطاعة ان يأمنه و ينبغي ان يكون مترجحا بين الخوف والرجاء (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم) نسائهم (أو ما ملكت أيمانهم) اي امائهم (فانهم غير ملومين) على ترك الحفظ (فمن ابتغى) طلب منكحا (وراء ذلك) اي غير الزوجات والمملوكات (فأولئك هم العادون) المتجاوزون عن الحلال الى الحرام وهذه الآية تدل على حرمة المتعة ووطء الذكران والبهائم والاستمناء بالكف (والذين هم لاماناتهم) لامانتهم مكي وهي تتناول امانات الشرع وامانات العباد (وعهدهم) اي عهودهم ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والايمان (راعون) حافظون غير خائنين ولا ناقضين وقيل الامانات ما تدل عليه العقول والعهد ما اتى به الرسول (والذين هم بشهاداتهم) حفص بالالف وسهل ويعقوب (قائمون) يقيمونها عند الحكام بلا ميل الى قريب وشريف وترجيح للقوي على الضعيف اظهارا للصلابة في الدين ورغبة في احياء حقوق المسلمين (والذين هم على صلوتهم يحافظون) كرر ذكر الصلاة لبيان انها اهم اولان احداهما للفرائض والاخرى للنوافل وقيل الدوام عليها الاستكثار منها والمحافظة عليها ان لا تضيع عن مواقيتها اوالدوام عليها اداؤها في اوقاتها والمحافظة عليها حفظ اركانها وواجباتها وسننها وآدابها (أولئك) أصحاب هذه الصفات (في جنات مكرمون) هما خبران (فمال) كتب مفصولا اتباعا لمصحف عثمان رضي الله عنه (الذين كفروا قبلك) نحوك معمول (مهطعين) مسرعين حال من الذين كفروا (عن اليمين وعن الشمال) عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن شماله (عزين) حال اي فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى فهم مفترقون كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزؤن بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل) بضم الياء وفتح الخاء سوى المفضل (جنة نعيم) كالمؤمنين

(كلا) ردع لهم عن طمعهم فى دخول الجنة (انا خلقناهم مما يعلمون) اى من النطفة المذرة ولذلك ابهم اشعارا بأنه منصب يستحى من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم او معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل أحد الجنة الا بالايمان فلم يطمع ان يدخلها من لا ايمان له (فلا أقسم برب المشارق) مطالع الشمس (والمغارب) ومغاربها (انا القادرون على ان نبدل خيرا منهم) على ان نهلكهم ونأتى بخلق امثل منهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين) بعاجزين (فذرهم) فدع المكذبين (يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) فيه العذاب (يوم) بدل من يومهم (يخرجون) بفتح الياء وضم الراء سوى الاعشى (من الاجداث) القبور (سراعا) جمع سريع حال اى الى الداعى (كأنهم) حال (الى نصب) شامى وحفص وسهل نصب المفضل نصب غيرهم وهو كل ما نصب وعبد من دون الله (يوفضون) يسرعون (خاشعة) حال من ضمير يخرجون أى ذليلة (أبصارهم) يعنى لا يرفعونها لذلتهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا وهم يكذبون به

(سورة نوح عليه السلام مكية وهى ثمان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا أرسلنا نوحا) قيل معناه بالسريانية الساكن (الى قومه ان انذر) خوف اصله بان أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل ومحله عند الخليل جر وعند غيره نصب او ان مفسرة بمعنى أى لان فى الارسال معنى القول (قومك من قبل ان يأتيهم عذاب أليم) عذاب الآخرة أو الطوفان (قال يا قوم) اضافهم الى نفسه اظهارا للشفقة (انى لكم نذير) مخوف (مبين) أبين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها (ان اعبدوا الله) وحدوه وان هذه نحو ان انذر فى الوجهين (واتقوه) واحذروا عصيانه (وأطيعون) فيما آمركم به وانهاكم عنه وانما اضافه الى نفسه لان الطاعة قد تكون لغير الله تعالى بخلاف العبادة (يغفر لكم) جواب الامر (من ذنوبكم) للبيان كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان او للتبعيض لان ما يكون بينه وبين الخالق يؤاخذ به بعد الاسلام كالقصاص وغيره كذا فى شرح التأويلات (ويؤخركم الى أجل مسمى) وهو وقت موتكم (ان اجل الله) أى الموت (اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) أى

لو كنتم تعلمون ما يحل بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم لآمنتم قيل ان الله تعالى قضى مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم ألف سنة وان لم يؤمنوا أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى أجل مسمى أى تبلغوا ألف سنة ثم اخبر ان الالف اذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت وقيل انهم كانوا يخافون على أنفسهم الاهلاك من قومهم بايمانهم واجابتهم لنوح عليه السلام فكأنه عليه السلام امنهم من ذلك ووعدهم انهم بايمانهم يبقون الى الاجل الذى ضرب لهم لو لم يؤمنوا أى انكم ان اسلمتم بقيتم الى اجل مسمى آمنين من عدوكم

وقد كذبوا نبى (كلا) اى لا يدخلها ثم ابتدأ فقال تعالى (انا خلقناهم مما يعلمون) اى من الاشياء المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله الناس على انهم خلقوا من أصل واحد وشئ واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة روى البغوى باسناد الثعلبى عن بشر بن جحاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما فى كفه ووضع عليها اصبعه فقال يقول الله عز وجل يا ابن آدم انى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت اتصدق وانى أوان الصدقة وأخرجه ابن الجوزى فى تفسيره بلا اسناد وقيل فى معنى الآية انا خلقناهم من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهى والثواب والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون ويعقلون ولم نخلقهم كالبهائم بلا علم ولا عقل (فلا اقسم) يعنى واقسم وقد تقدم بيانه (برب المشارق والمغارب) يعنى مشرق كل يوم من السنة ومغربه وقيل يعنى مشرق كل نجم ومغربه (انا القادرون على ان نبدل خيرا منهم) معناه انا القادرون على اهلاكهم وعلى ان نخلق امثل منهم واطوع لله (وما نحن بمسبوقين) اى بمغلوبين عاجزين عن اهلاكهم وابدالكم بمن هو خير منكم (فذرهم يخوضوا) اى فى أباطيلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) نسختها آية القتال ثم فسر ذلك اليوم فقال تعالى (يوم يخرجون من الاجداث) يعنى القبور (سراعا) اى الى اجابة الداعى (كأنهم الى نصب) يعنى الى شئ منصوب كالعلم والراية ونحوه وقرئ بضم النون والصاد وهى الاصنام التى كانوا يعبدونها (يوفضون) اى يسرعون ومعنى الآية انهم يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعى مستبقين اليه كما كانوا يستبقون الى نصبهم ليستلموها (خاشعة أبصارهم) أى ذليلة خاضعة (ترهقهم ذلة) اى يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) يعنى يوم القيامة الذى كانوا يوعدون به فى الدنيا والله سبحانه وتعالى أعلم

سورة نوح عليه الصلاة والسلام مكية

وهى ثمان وعشرون آية ومائتان واربعة وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك) اى بأن خوف قومك وحذرهم (من قبل ان يأتيهم عذاب أليم) يعنى الغرق بالطوفان والمعنى انا أرسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا (قال يا قوم انى لكم نذير مبين) اى انذركم وابين لكم (أن اعبدوا الله) أى وحدوه ولا تشركوا به شيئا (واتقوه) اى وخافوه بأن تحفظوا أنفسكم مما يؤثمكم (وأطيعون) اى فيما آمركم به من عبادة الله وتقواه (يغفر لكم من ذنوبكم) اى يغفر لكم ذنوبكم ومن صلة وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض الذنوب (ويؤخركم الى أجل مسمى) اى الى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم (ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) معناه يقول آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فان أجل الله وهو الموت اذا جاء لا يؤخر قال الزمخشرى ان قلت كيف قال ويؤخركم مع الاخبار بامتناع تأخير الاجل وهل هذا

(قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا) دائبا بلافتور (فلم يزدهم دعائى الافرارا) عن طاعتك ونسب ذلك الى دعائه لحصوله عنده وان لم يكن الدعاء سببا للفرار فى الحقيقة وهو كقوله واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا والقرآن لا يكون سببا لزيادة الرجس وكان الرجل يذهب بابنه الى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فلا يغرنك فان أبى قد وصانى به (وانى كلما دعوتهم) الى الايمان بك (لتغفر لهم) أى ليؤمنوا فتغفر لهم فاكتفى بذكر المسبب (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) سدوا مسامعهم لئلا يسمعوا كلامى (واستغشوا ثيابهم) وتغطوا بثيابهم لئلا يبصرونى كراهة النظر الى وجه من ينصحهم فى دين الله (وأصروا) واقاموا على كفرهم (واستكبروا استكبارا) وتعظموا عن اجابتى وذكر المصدر دليل على فرط استكبارهم (ثم انى دعوتهم جهارا) مصدر فى موضع الحال أى مجاهرا او مصدر دعوتهم كقعد القرفصاء لان الجهار أحد نوعى الدعاء يعنى اظهرت لهم الدعوة فى المحافل (ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا) أى خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر فالحاصل انه دعاهم ليلا ونهارا فى السر ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم فى السر والعلن وهكذا يفعل الآمر بالمعروف يبتدئ بالاهون ثم بالاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة فى السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان وثم تدل على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد أحدهما (فقلت استغفروا ربكم) من الشرك لان الاستغفار طلب المغفرة فان كان المستغفر كافرا فهو من الكفر وان كان عاصيا مؤمنا فهو من الذنوب (انه كان غفارا) لم يزل غفار الذنوب من ينيب اليه (يرسل السماء) المطر (عليكم مدرارا) كثيرة الدر ومفعال يستوى فيه المذكر والمؤنث (ويمددكم بأموال وبنين) يزدكم أموالا وبنين (ويجعل لكم جنات) بساتين (ويجعل لكم أنهارا) جارية لمزارعكم وبساتينكم وكانوا يحبون الاموال والاولاد فحركوا بهذا على الايمان وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة أو سبعين فوعدهم انهم ان آمنوا رزقهم الله الخصب ورفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضى الله عنه أنه خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر شبه عمر الاستغفار بالانواء الصادقة التى لا تخطئ وقرأ الآيات وعن الحسن أن رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون أبوابا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآيات (مالكم لا ترجون لله وقارا) لا تخافون لله عظمة عن الاخفش قال والرجاء هنا الخوف لان مع الرجاء طرفا من الخوف ومن اليأس والوقار العظمة او لا تأملون له توقيرا أى تعظيما والمعنى مالكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله اياكم فى دار الثواب (وقد خلقكم أطوارا) فى موضع الحال أى مالكم لا تؤمنون بالله

الاتناقض قلت قضى مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم ألف سنة وان بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة سنة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى أجل مسمى أى الى وقت سماه الله وضرب ه امدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك الاجل لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا فى أوقات الامهال والتأخير عنكم وحيث يمكنكم الايمان (قال) يعنى نوحا عليه الصلاة والسلام (رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا) أى نفارا وادبارا عن الايمان (وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم) اى ليؤمنوا بك فتغفر لهم (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) لئلا يسمعوا دعوتى (واستغشوا ثيابهم) اى غطوا وجوههم بثيابهم لئلا يرونى (وأصروا) على كفرهم (واستكبروا) عن الايمان بك (استكبارا) اى تكبرا عظيما (ثم انى دعوتهم جهارا) اى معلنا قال ابن عباس بأعلى صوتى (ثم انى أعلنت لهم) اى كررت لهم الدعاء معلنا (وأسررت لهم اسرارا) قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكلمه سرا بينى وبينه ادعوه الى عبادتك وتوحيدك (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا) وذلك ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم اى من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم أبواب نعمه وذلك لان الاشتغال بالطاعة يكون سببا لاتساع الخير والرزق وان الكفر سبب لهلاك الدنيا فاذا اشتغلوا بالايمان والطاعة حصل ما يحتاجون اليه فى الدنيا وروى الشعبى ان عمر بن الخطاب خرج يستسقى بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجاديح السماء التى يستنزل بها القطر ثم قرأ استغفروا ربكم انه كان غفارا الآية قوله بمجاديح السماء واحدها مجدح وهو نجم من النجوم وقيل هو الدبران وقيل هى ثلاثة كواكب كالاثافى تشبيها بالمجدح الذى له شعب وهى عند العرب من الانواء الدالة على المطر فجعل عمر الاستغفار مشبها بالانواء مخاطبة لهم بما يعرفون وكانوا يزعمون ان من شأنها المطر لا انه يقول بالانواء وعن بكر بن عبد الله ان أكثر الناس ذنوبا أقلهم استغفارا وأكثرهم استغفارا أقلهم ذنوبا وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال له استغفر الله وشكا آخر اليه الفقر وقلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا هذه الآية وقوله يرسل السماء عليكم اى يرسل ماء السماء وذلك لان ماء المطر ينزل من السماء الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض وقيل اراد بالسماء السحاب وقيل اراد بالسماء المطر من قول الشاعر

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

اذا نزل السماء بأرض قوم * خلوا حيثما نزل السماء

يعنى المطر مدرارا أى كثير الدر وهو حلب الشاة حالا بعد حال وقيل مدرارا أى متتابعا (ويمددكم بأموال وبنين) اى يكثر اموالكم وأولادكم (ويجعل لكم جنات) اى البساتين (ويجعل لكم أنهارا) وهذا كله مما يميل طبع البشرية اليه (مالكم لا ترجون لله وقارا) قال ابن عباس اى لا ترون لله عظمة وقيل معناه لا تخافون عظمته فالرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة من التوقير وهو التعظيم وقيل معناه مالكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقيل معناه مالكم لا ترجون فى عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا (وقد خلقكم أطوارا) يعنى تارة بعد تارة وحالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم

والحال هذه وهى حال موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا اى تارات وكرات خلقكم اولا نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما نبههم اولا
على النظر فى أنفسهم لانها اقرب ثم على النظر فى العالم وماسوى فيه من العجائب الدالة على الصانع بقوله (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات
طباقا) بعضها على بعض (وجعل القمر فيهن نورا) أى فى السموات وهو فى السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن فى جميعهن كما يقال فى المدينة كذا وهو فى بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ان الشمس والقمر وجوههما مما يلى السموات وظهورهما مما يلى الارض فيكون نور القمر محيطا بجميع السموات لانها لطيفة لا تحجب نوره (وجعل الشمس سراجا) مصباحا يبصر أهل الدنيا فى ضوئها كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وضوء الشمس أقوى من نور القمر واجمعوا على ان الشمس فى السماء الرابعة (والله أنبتكم من الارض) أنشأكم استعير الانبات للانشاء (نباتا) فنبتم نباتا (ثم يعيدكم فيها) بعد الموت (ويخرجكم) يوم القيامة (اخراجا) اكده بالمصدر أى أى اخراج (والله جعل لكم الارض بساطا) مبسوطة (لتسلكوا منها) لتتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (سبلا) طرقا (فجاجا) واسعة او مختلفة (قال نوح رب انهم عصونى) فيما أمرتهم به من الايمان والاستغفار (واتبعوا) أى السفلة والفقراء (من لم يزده ماله وولده) أى الرؤساء وأصحاب الاموال والاولاد وولده مكى وعراقى غير عاصم وهو جمع ولد كاسد وأسد (الاخسارا) فى الآخرة (ومكروا) معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه فى معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه (مكرا كبارا) عظيما وهو أكبر من الكبار وقرئ به وهو أكبر من الكبير (وقالوا) أى الرؤساء لسفلتهم (لا تذرن آلهتكم) على العموم أى عبادتها (ولا تذرن ودا) بفتح الواو وضمها وهو قراءة نافع لغتان صنم على صورة رجل (ولا
سواعا) هو على صورة امرأة (ولا يغوث) هو على صورة فرس (ويعوق) هو على صورة أسد وهما لا ينصرفان للتعريف ووزن الفعل ان كانا عربيين
وللتعريف والعجمة ان كانا عجميين (ونسرا) هو على صورة نسر أى هذه الاصنام الخمسة على الخصوص وكأنها كانت أكبر اصنامهم واعظمها
عندهم فخصوها بعد

مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم أصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا وهذا مما يدل على وحدانية الله وسعة قدرته (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) أى بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن نورا) يعنى فى سماء الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال أتيت بنى تميم وانما أتى رجلا منهم (وجعل الشمس سراجا) يعنى مصباحا مضيئا قال عبد الله بن عمرو ان الشمس والقمر وجوههما الى السموات وضوءهما الشمس والقمر جميعا وأقفيتهما الى الارض ويروى هذا عن ابن عباس أيضا (والله أنبتكم من الارض نباتا) أراد مبدأ خلق آدم وأصل خلقه من الارض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اسم جعل فى موضع المصدر أى انباتا وقيل تقديره انبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهو انه لو قال انبتكم انباتا كان المعنى انبتكم انباتا عجيبا غريبا ولما قال انبتكم نباتا كان المعنى انبتكم فنبتم نباتا عجيبا وهذا الثانى أولى لان الانبات صفة الله تعالى وصفة الله غير محسوسة لنا فلا يعرف ان ذلك الانبات انبات عجيب كامل الا بواسطة اخبار الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر بهذا ان العدول عن تلك الحقيقة الى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف (ثم يعيدكم فيها) اى فى الارض بعد الموت (ويخرجكم) اى منها يوم البعث (اخراجا) يعنى اخراجا حقا لا محالة (والله جعل لكم الارض بساطا) اى فرشها لكم مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) اى طرقا واسعة قوله تعالى (قال نوح رب انهم عصونى) اى لم يجيبوا دعوتى (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) يعنى اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين لم تزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا فى الدنيا وعقوبة فى الآخرة (ومكروا مكرا كبارا) يعنى كبيرا عظيما يقال كبيرا وكبارا بالتشديد والتخفيف والتشديد أشد وأعظم فى المبالغة والماكرون هم الرؤساء والقادة ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح عليه الصلاة والسلام وتحريش السفلة على اذاه وصد الناس عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل مكرهم هو قولهم لا تذرن آلهتكم وتعبدوا اله نوح وقال ابن عباس فى مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسوله (وقالوا) يعنى القادة للاتباع (لا تذرن آلهتكم) اى لا تتركن عبادتها (ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) هذه أسماء آلهتهم وانما افردها بالذكر وان كانت داخلة فى جملة قوله ولا تذرن آلهتكم لانهم كانت لهم أصنام هذه الخمسة المذكورة هى أعظمها عندهم قال محمد بن كعب هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا كان اتباعهم يقتدون بهم ويأخذون بعدهم بأخذهم فى العبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان ذلك انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صورة أولئك القوم الصالحين من المسلمين (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال صارت الاوثان التى كانت تعبد قوم نوح فى العرب بعد اما ود فكانت لكلب دومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبنى غطيف بالجرف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لآل ذى الكلاع وروى سفيان عن موسى عن محمد بن قيس فى قوله ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قال كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك أولئك ونسخ العلم فعبدت الاوثان وروى عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب

فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركى العرب وكانت للعرب أصنام اخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد واساف ونائلة وهبل كانت لاهل مكة ولذلك سمت العرب أنفسهم بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى ونحو ذلك من الاسماء (وقد أضلوا كثيرا) اى ضل بسبب الاصنام كثير من الناس وقيل أضل كبراء قوم نوح كثيرا من الناس (ولا تزد الظالمين الا ضلالا) يعنى ولا تزد المشركين بعبادتهم الاصنام الا ضلالا وهذا دعاء عليهم وذلك ان نوحا عليه السلام كان قد امتلأ قلبه غضبا وغيظا عليهم فدعا عليهم فان قلت كيف يليق بمنصب النبوة ان يدعو بمزيد الضلال وانما بعث ليصرفهم عنه قلت انما دعا عليهم بعد ان اعلمه الله انهم لا يؤمنون وهو قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقيل انما أراد بالضلال فى أمر الدنيا وما يتعلق بها الا فى أمر الآخرة (مما خطاياهم اغرقوا) أى بالطوفان (فادخلوا نارا) أى فى حالة واحدة وذلك فى الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة عذاب القبر وذلك لان الفاء تقتضى التعقيب فى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وهذا يدل على انه انما حصل دخول النار عقيب الاغراق ولا يمكن حمله على عذاب الآخرة لانه يبطل دلالة الفاء وقيل معناه انهم سيدخلون نارا فى الآخرة فعبر عن المستقبل بلفظ الماضى لصدق الوعد فى ذلك والاول أصح (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) يعنى تنصرهم وتمنعهم من العذاب الذى نزل بهم (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) يعنى أحدا يدور فى الارض فيذهب ويجىء من الدوران وقيل أصله من الدار اى نازل دار (انك ان تذرهم يضلوا عبادك) قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان ابى حذرنيه فيموت الكبير و ينشأ الصغير على ذلك (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) انما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم واعقم بعد ذلك ارحام النساء وايبس اصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب بأربعين سنة وقيل بسبعين سنة واخبر الله نوحا انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم فأجاب الله دعوته فأهلكهم جميعا ولم يكن معهم صبى وقت العذاب لان الله تعالى اعقمهم قبل العذاب (رب اغفر لى) وذلك انه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لى يعنى ما صدر منى من ترك الافضل وقيل يحتمل انه حين دعا على الكفار انه انما دعا عليهم بسبب تأذيه منهم فكان ذلك الدعاء عليهم كالانتقام منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس اولانه ترك الاحتمال (ولوالدى) وكان اسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه شمخاء بنت انوش وكانا مؤمنين وقيل لم يكن بين آدم ونوح عليهما السلام من آبائه كافر وكان بينهما عشرة آباء (ولمن دخل بيتى مؤمنا) اى دارى وقيل مسجدى وقيل سفينتى (وللمؤمنين والمؤمنات) وهذا عام فى كل مؤمن آمن بالله وصدق الرسل وانما بدأ بنفسه لانها أولى بالتخصيص والتقديم ثم ثنى بالمتصلين به لانهم احق بدعائه من غيرهم ثم عم جميع المؤمنين والمؤمنات ليكون ذلك ابلغ فى الدعاء (ولا تزد الظالمين الا تبارا) اى هلاكا ودمارا فاستجاب الله تعالى دعاءه فأهلكهم جميعا والله أعلم

(سورة الجن مكية)

وهى ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

النجوم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هى اسماء رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروهم ليكون ذلك ادعى لهم الى العبادة فلما طال الزمان قال لهم ابليس انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم (وقد أضلوا) أى الاصنام كقوله انهن اضللن (كثيرا) من الناس أو الرؤساء (ولا تزد الظالمين) عطف على رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال و بعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصونى وقال لا تزد الظالمين أى قال هذين القولين وهما فى محل النصب لانهما مفعولا قال (الا ضلالا) هلاكا كقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا (مما خطيئاتهم) خطاياهم أبو عمرو أى ذنوبهم (اغرقوا) بالطوفان (فادخلوا نارا) عظيمة وتقديم مما خطاياهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان وادخالهم فى النيران الا من أجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما وكفى بها مزجرة لمرتكب الكبيرة فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن والفاء فى فأدخلوا للايذان بانهم عذبوا بالاحراق عقيب الاغراق فيكون دليلا على اثبات عذاب القبر (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا) ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) أى أحدا يدور فى الارض وهو فيعال من الدور وهو من الاسماء المستعملة فى النفى العام (انك ان تذرهم) ولا تهلكهم (يضلوا عبادك) يدعوهم الى الضلال (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) الا من اذا بلغ فجر وكفر وانما قال ذلك لان الله تعالى اخبره بقوله لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (رب اغفر لى ولوالدى) وكانا مسلمين واسم أبيه لمك واسم أمه شمخاء وقيل هما آدم وحواء وقرئ لولدى يريد ساما وحاما (ولمن دخل بيتى) منزلى او مسجدى اوسفينتى (مؤمنا) لانه علم انه من دخل بيته مؤمنا لا يعود الى الكفر (وللمؤمنين والمؤمنات) الى يوم القيامة خص أولا من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات (ولا تزد الظالمين) أى الكافرين (الا تبارا) هلاكا فاهلكوا قال ابن عباس رضى الله عنهما دعا نوح عليه السلام بدعوتين احداهما للمؤمنين بالمغفرة وأخرى على الكافرين بالتبار وقد أجيبت دعوته فى حق الكفار بالتبار فاستحال ان لا تستجاب دعوته فى حق المؤمنين واختلف فى صبيانهم حين أغرقوا فقيل أعقم الله أرحام نسائهم قبل الطوفان بأربعين سنة فلم يكن معهم صبى حتى اغرقوا وقيل علم الله براءتهم فاهلكوا بغير عذاب والله أعلم

قوله (سورة الجن مكية وهى ثمان وعشرون آية) *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

قوله عز وجل (قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن) اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت وجود الجن فأنكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم أسرع اجابة من الارواح الفلكية الا انهم أضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائي يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام ولا اعراض ثم هذه الجواهر انواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنيئة خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ولا يعلم عدة انواعهم الا الله تعالى وقيل انهم اجسام مختلفة الماهية لكن تجمعهم صفة واحدة وهي كونهم حاصلون في الحيز موصوفون بالطول والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوي وسفلي ولا يمتنع في بعض الاجسام اللطيفة الهوائية ان تكون مخالفة لسائر انواع الاجسام في الماهية وان يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة اوشاقة يعجز البشر عن مثلها وقد يتشكلون باشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية في تمام الماهية وليست البنية شرطا للحياة وهذا قول الاشعري وجمهور اتباعه وشذ تأويل المعتزلة من هذه الامة فأنكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة وانه لابد من صلابة البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة وهذا قول منكر وصاحب هذا القول ينكر خرق العادات ورد ما ثبت وجوده بنص الكتاب والسنة

(فصل) اختلف الرواة هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم الجن فأثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم في صحيحه وقد تقدم حديثه في تفسير سورة الاحقاف عند قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وأنكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ماقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم فقيل حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا وما ذاك الا من شئ قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن زاد في رواية وانما أوحى اليه قول الجن أخرجاه في الصحيحين قال القرطبي في شرح مسلم في حديث ابن عباس هذا معناه انه لم يقصدهم بالقراءة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر الذي حال بينهم وبين استراق السمع صادف هؤلاء النفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه وعلى هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولم يكلمهم وانما أعلمه الله عز وجل بما أوحى اليه من قوله قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن واما حديث ابن مسعود فقضية أخرى وجن آخرون والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعي بأن الجن والشياطين موجودون متعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذي يليق بخلقتهم وبحالهم وان النبي صلى الله عليه وسلم رسول الى الانس والجن فمن دخل في دينه فهو من المؤمنين ومعهم في الدنيا والآخرة والجنة ومن كفر به فهو من الشياطين المبعدين المعذبين فيها والنار مستقره وهذا الحديث يقتضي ان الرجم بالنجوم لم يكن قبل المبعث وذهب قوم الى انه كان قبل مبعثه وآخرون الى انه كان لكن زاد بهذا المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين هذا آخر كلام القرطبي والله أعلم عكاظ سويقة معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها في كل سنة مرة في الجاهلية وأول الاسلام وتهامة كل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هوائها ومكة من تهامة معدودة ونخلة واد من أودية مكة قريب منها واما التفسير فقوله

(قل) يا محمد (اوحى الى أنه) ان الامر والشأن اجمعوا على فتح أنه لانه فاعل اوحى وأن لو استقاموا وأن المساجد للعطف على انه استمع فان مخففة من الثقيلة وأن قد ابلغوا والتعدي بعلم اليها وعلى كسر ما بعد فاء الجزاء وبعد القول نحو فقالوا انا سمعنا لانه مبتدأ محكي بعد القول واختلفوا في فتح الهمزة وكسرها من انه تعالى جد ربنا الى وانا منا المسلمون ففتحها شامي وكوفي غير ابي بكر عطفا على انه استمع او على محل الجار والمجرور في آمنا به تقديره صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا الى آخرها وكسرها غيرهم عطفا على انا سمعنا وهم يقفون على آخر الآيات (استمع نفر) جماعة من الثلاثة الى العشرة (من الجن)

جن نصيبين (فقالوا) لقومهم حين رجعوا اليهم من استماع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الفجر (انا سمعنا قرآنا عجبا) عجيبا بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه والعجب ما يكون خارجا عن العادة وهو مصدر وضع موضع العجيب (يهدى الى الرشد) يدعو الى الصواب او الى التوحيد والايمان (فآمنا به) بالقرآن ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا (ولن نشرك بربنا احدا) من خلقه وجاز ان يكون الضمير في به لله تعالى لان قوله بربنا يفسره (وأنه تعالى جد ربنا) عظمته يقال جد فلان في عيني اذا عظم ومنه قول عمر أو انس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أي عظم في عيوننا (ما اتخذ صاحبة) زوجة (ولا ولدا) كما يقول كفار الجن والانس (وانه كان يقول سفيهنا) جاهلنا او ابليس اذ ليس فوقه سفيه (على الله شططا) كفرا لبعده عن الصواب من شطت الدار أي بعدت أو قولا يجور فيه عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره (وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) قولا كذبا أو مكذوبا فيه او نصب على المصدر اذ الكذب نوع من القول أي كان في ظننا ان احدا لن يكذب على الله بنسبة الصاحبة والولد اليه فكنا نصدقهم فيما اضافوا اليه حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم كان الرجل من العرب اذا نزل بمخوف من الارض قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد كبير الجن فقال (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم) أي زاد الانس الجن باستعاذتهم بهم (رهقا) طغيانا وسفها وكبرا بأن قالوا سدنا الجن والانس او فزاد الجن الانس رهقا اثما لاستعاذتهم بهم واصل الرهق غشيان المحظور (وانهم) وان الجن (ظنوا كما ظننتم) يا أهل مكة (ان لن يبعث الله احدا) بعد الموت أي ان الجن كانوا ينكرون البعث كانكاركم ثم بسماع القرآن اهتدوا واقروا بالبعث فهلا اقررتم كما اقروا (وانا لمسنا السماء) طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها واللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) جمعا أقوياء من الملائكة يحرسون جمع حارس ونصب على التمييز وقيل الحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذا وصف بشديد ولو نظر الى معناه لقيل شدادا (وشهبا) جمع شهاب أي كواكب مضيئة (وانا كنا نقعد منها) من السماء قبل هذا (مقاعد للسمع) لاستماع اخبار السماء يعني كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل المبعث (فمن يستمع) يرد الاستماع (الآن) بعد المبعث (يجد له) لنفسه (شهابا رصدا) صفة لشهابا بمعنى الراصد أي يجد شهابا راصدا له ولأجله او هو اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع والجمهور على ان ذلك لم يكن قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وقيل كان الرجم في الجاهلية ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الاوقات فمنعوا من الاستراق

سبحانه وتعالى قل أوحى الى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر لاصحابه واقعة الجن وكما انه مبعوث الى الانس فهو ايضا مبعوث الى الجن لتعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا اعجازه فآمنوا به وقوله استمع نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة الى العشرة قيل كانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم (فقالوا) اى لما رجعوا الى قومهم (انا سمعنا قرآنا عجبا) قال ابن عباس رضي الله عنهما بليغا اى ذا عجب يعجب منه لبلاغته وفصاحته (يهدى الى الرشد) اى يدعو الى الصواب يعني التوحيد والايمان (فآمنا به) اى بالقرآن (ولن نشرك بربنا أحدا) اى ولن نعود الى ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل على ان أولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل كانوا نصارى وقيل كانوا مجوسا ومشركين (وانه تعالى جد ربنا) اى جلال ربنا وعظمته ومنه قول أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا اى عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد اى لا ينفع ذا الغنى غناه وقال ابن عباس عظمت قدرة ربنا وقيل امر ربنا وقيل فعله وقيل آلاؤه ونعماؤه على خلقه وقيل علا ملك ربنا (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) اى انه تعالى جلال ربنا وعظمته ان يتخذ صاحبة أو ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستئناس به والله تعالى منزه عن كل نقص (وانه كان يقول سفيهنا) يعني جاهلنا قيل هو ابليس (على الله شططا) اى كذبا وعدوانا وهو وصفه تعالى بالشريك والولد والشطط هو مجاوزة الحد في كل شئ (وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) اى كنا نظن ان الانس والجن صادقون في قولهم ان لله صاحبة وولدا وانهم لا يكذبون على الله في ذلك فلما سمعنا القرآن علمنا انهم قد كذبوا على الله قوله تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا سافر فأمسى في أرض قفر قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن أبي السائب الانصاري قال خرجت مع أبي الى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه يا سرحان ارسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن (فزادوهم رهقا) وذكره ابن الجوزي في تفسيره بغير سند ومعنى الآية زاد الانس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا قال ابن عباس اثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك انهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون يعني عظماء الجن سدنا الجن والانس والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم (وانهم ظنوا) يعني الجن (كما ظننتم) اى يا معشر الكفار من الانس (أن لن يبعث الله أحدا) يعني بعد الموت (وانا) يعني يقول الجن وانا (لمسنا السماء) اى طلبنا بلوغ السماء الدنيا واستماع كلام أهلها (فوجدناها ملئت حرسا) يعني من الملائكة (شديدا وشهبا) اى من النجوم (وانا كنا نقعد منها) اى من السماء (مقاعد للسمع) يعني كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) اى أرصد له ليرمى به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملائكة عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى

السماء يستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما مازاد فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ماهذا الامن امر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين أراه قال بمكة فأخبروه فقال هذا الحدث في الارض أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الأحوال فلما بعث منعوا من ذلك أصلا فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب في الارض وطلب السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم عن الاستراق بالكلية (وانا لاندري أشر أريد بمن في الارض) اي برمي الشهب (أم أراد بهم ربهم رشدا) ومعنى الآية لاندري هل المقصود من المنع من الاستراق هو شر أريد بأهل الارض أم أريد بهم صلاح وخير (وانا منا الصالحون) اي المؤمنون المخلصون (ومنا دون ذلك) اي دون الصالحين مرتبة قيل المراد بهم غير الكاملين في الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره (كنا طرائق قددا) اي جماعات متفرقين واصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشيء قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل اهواء مختلفة وشيعا مختلفة لكل فرقة هوى كاهواء الناس وذلك ان الجن فيهم القدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وغير ذلك من أهل الاهواء فعلى هذا التفسير يكون معنى طرائق قددا اي سنصير طرائق قددا وهو بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرق المختلفة (وانا ظننا) الظن هنا بمعنى العلم واليقين اي علمنا وأيقنا (أن لن نعجز الله في الارض) اي لن نفوته ان أراد بنا أمرا (ولن نعجزه هربا) اي ان طلبنا فلن نعجزه اينما كنا (وانا لما سمعنا الهدى آمنا به) اي لما سمعنا القرآن آمنا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا) اي نقصانا من عمله وثوابه (ولا رهقا) يعني ظلما وقيل مكروها يغشاه (وانا منا المسلمون) وهم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم (ومنا القاسطون) اي الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله أندادا (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) اي قصدوا طريق الحق وتوخوه (واما القاسطون) يعني الذين كفروا (فكانوا لجهنم حطبا) يعني وقودا للنار يوم القيامة فان قلت قد يتمسك بظاهر هذه الآية من لا يرى لمؤمني الجن ثوابا وذلك لان الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين منهم قلت ليس فيه تمسك له وكفى بقوله فأولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله أعدل وأكرم من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد فان قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها قلت وان خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقا آخر والله تعالى قادر ان يعذب النار بالنار قوله عز وجل (وأن لو استقاموا على الطريقة) اختلفوا في من يرجع الضمير اليه فقيل هو راجع الى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنى لانعمنا عليهم وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القرآن على الطريقة التي كانوا عليها قبل استماع القرآن ولم يسلموا (لاسقيناهم ماء غدقا) اي لوسعنا الرزق عليهم (لنفتنهم فيه) وقيل الضمير راجع الى الانس وأتم الخبر عن الجن ثم رجع الى خطاب الانس فقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة يعني كفار مكة اي الحق والايمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين لاسقيناهم ماء غدقا يعني كثيرا وذلك بعد مارفع عنهم المطر سبع سنين والمعنى لو آمنوا لوسعنا عليهم في الدنيا ولاعطيناهم ماء كثيرا وعيشا رغدا وانما ذكر الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله أصله من المطر وقوله لنفتنهم فيه اي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل في معنى الآية لو استقاموا اي ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا لهم حتى يفتتنوا به فنعذبهم والقول الاول أصح لان الطريقة معرفة بالالف واللام وهي طريقة الهدى

اصلا بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (وانا لاندري اشر) عذاب (اريد بمن في الارض) بعدم استراق السمع (ام أراد بهم ربهم رشدا) خيرا ورحمة (وانا منا الصالحون) الابرار المتقون (ومنا) قوم (دون ذلك) فحذف الموصوف وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه اوارادوا غير الصالحين (كنا طرائق قددا) بيان للقسمة المذكورة أي كنا ذوي مذاهب متفرقة اوادبان مختلفة والقدد جمع قدة وهي القطعة من قددت السير أي قطعته (وانا ظننا) ايقنا (ان لن نعجز الله) اي لن نفوته (في الارض) حال أي لن نعجزه كائنين في الارض أينما كنا فيها (ولن نعجزه هربا) مصدر في موضع الحال أي ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وهذه صفة الجن وماهم عليه من احوالهم وعقائدهم (وانا لما سمعنا الهدى) القرآن (آمنا به) بالقرآن او بالله (فمن يؤمن بربه فلا يخاف) فهو لا يخاف مبتدأ وخبر (بخسا) نقصا من ثوابه (ولا رهقا) أي ولا ترهقه ذلة من قوله وترهقهم ذلة وقوله ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة وفيه دليل على أن العمل ليس من الايمان (وانا منا المسلمون) المؤمنون (ومنا القاسطون) الكافرون الجائرون عن طريق الحق قسط جار واقسط عدل (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) طلبوا هدى والتحري طلب الاحرى اي الاولى (واما القاسطون فكانوا) في علم الله (لجهنم حطبا) وقودا وفيه دليل على ان الجني الكافر يعذب في النار ويتوقف في كيفية ثوابهم (وأن) مخففة من الثقيلة يعني وانه وهي من جملة الموحى اي اوحي الي ان الشأن (لو استقاموا) أي القاسطون (على الطريقة) طريقة الاسلام (لاسقيناهم ماء غدقا) كثيرا والمعنى لوسعنا عليهم الرزق وذكر الماء الغدق لانه سبب سعة الرزق (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه كيف يشكرون

والقول بأن الآية في الانس أولى لان الانس هم الذين ينتفعون بالمطر (ومن يعرض عن ذكر ربه) اى عن عبادة ربه اى مواعظه (نسلكه) اى ندخله (عذابا صعدا) قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لا راحة فيه وقيل لا يزداد الا شدة قوله تعالى (وأن المساجد لله) يعني المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنائس والبيع التي لليهود والنصارى (فلا تدعوا مع الله أحدا) قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فيها فامر الله عز وجل المؤمنين أن يخلصوا الدعوة لله اذا دخلوا المساجد كلها وقيل أراد بالمساجد بقاع الارض كلها لان الارض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا أن نشهد معك الصلاة ونحن ناؤن عنك فنزلت وان المساجد لله وروى عنه ايضا ان المراد بالمساجد الاعضاء التي يسجد عليها الانسان وهي سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى ان هذه الاعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره (م) عن العباس بن عبد المطلب انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه الآراب الاعضاء (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نسجد على سبعة اعضاء وان لا نكف شعرا ولا ثوبا الجبهة واليدين والركبتين والقدمين وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أسجد على سبعة اعضاء على الجبهة وأشار بيده الى انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين ولا نكفف الثياب ولا الشعر كف الشعر عقصه وغرز طرفه في أعلى الضفيرة وقد نهي عن ذلك قوله عز وجل (وانه لما قام عبد الله) يعني النبي صلى الله عليه وسلم (يدعوه) يعني يعبد الله ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلي الفجر ببطن نخلة (كادوا) يعني الجن (يكونون عليه لبدا) يعني يركب بعضهم بعضا من الازدحام عليه حرصا على استماع القرآن قاله ابن عباس وعنه ايضا انه من قول النفر من الجن الذين رجعوا الى قومهم فاخبروهم عن طاعة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم له واقتدائهم به في الصلاة وقيل في معنى الآية لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفئوا نور الله فأبى الله الا أن يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره على من ناواه وعاداه وأصل اللبد الجماعة بعضهم فوق بعض (قال) يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ قل على الامر (انما أدعو ربي) وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جئت بأمر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم انما أدعو ربي (ولا أشرك به أحدا قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) اى لا أقدر على ان أدفع عنكم ضرا ولا أسوق اليكم رشدا وانما الضار والنافع والمرشد والقوي هو الله تعالى (قل اني لن يجيرني من الله أحد) اى لن يمنعني منه أحد ان عصيته (ولن أجد من دونه ملتحدا) اى ألجأ اليه وقيل حرزا أحترز به وقيل مدخلا في الارض مثل السرب أدخل فيه (الا بلاغا من الله ورسالاته) اى ففيه الجوار والامن والنجاة وقيل معناه ذلك الذي يجيرني من عذاب الله يعني التبليغ وقيل الا بلاغا من الله فذلك الذي أملكه بعون الله وتوفيقه وقيل معناه لا املك لكم ضرا ولا رشدا لكن أبلغ بلاغا عن الله عز وجل فانما انا مرسل لا أملك الا ما ملكت (ومن يعص الله ورسوله) يعني ولم يؤمن (فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى اذا رأوا ما يوعدون) يعني العذاب يوم القيامة

مأخوذ منه (ومن يعرض عن ذكر ربه) القرآن او التوحيد او العبادة (يسلكه) بالياء عراقي غير أبي بكر يدخله (عذابا صعدا) شاقا مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شئ ما تصعدتني خطبة النكاح أي ما شق على (وأن المساجد لله) من جملة الموحى أي اوحى الى أن المساجد أي البيوت المبنية للصلاة فيها لله وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا أى (فلا تدعوا مع الله احدا) في المساجد لانها خالصة لله ولعبادته وقيل المساجد اعضاء السجود وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدمان (وأنه لما قام عبد الله) محمد عليه السلام الى الصلاة وتقديره واوحى الى انه لما قام عبد الله (يدعوه) يعبده ويقرأ القرآن ولم يقل نبي الله اورسول الله لانه من احب الاسماء الى النبي صلى الله عليه وسلم ولانه لما كان واقعا في كلامه صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع اولان عبادة عبد الله لله ليست بمستبعد حتى يكونوا عليه لبدا (كادوا) كاد الجن (يكونون عليه لبدا) جماعات جمع لبدة تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء اصحابه واعجابا بما تلاه من القرآن لانهم رأوا مالم يروا مثله (قل انما ادعو ربي) وحده قال غير عاصم وحمزة (ولا اشرك به احدا) في العبادة فلم تعجبون وتزدحمون على (قل اني لا املك لكم ضرا) مضرة (ولا رشدا) نفعا وأراد بالضر الغي بدليل قراءة ابي غيا ولا رشدا يعني لا استطيع أن اضركم وان انفعكم لان الضار والنافع هو الله (قل اني لن يجيرني من الله احد) لن يدفع عني عذابه احد ان عصيته كقول صالح عليه السلام فمن ينصرني من الله أن عصيته (ولن اجد من دونه ملتحدا) ملتجأ (الا بلاغا من الله) استثناء من لا املك أى لا املك لكم ضرا ولا رشدا الا بلاغا من الله وقل اني لن يجيرني اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه وقيل بلاغا بدل من ملتحدا أى لن أجد من دونه منجى الا ان ابلغ عنه ما أرسلني به يعني لا ينجيني الا ان ابلغ عن الله ما أرسلت به فان ذلك ينجيني وقال الفراء هذا شرط وجزاء وليس باستثناء وان منفصلة من لا وتقديره ان لا ابلغ بلاغا أى ان لم ابلغ لم اجد من دونه ملتجأ ولا مجيرا لي كقولك ان لا قياما فقعودا والبلاغ في هذه الوجوه بمعنى التبليغ (ورسالاته) عطف على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات أى الا ان ابلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسبا القوله اليه وان ابلغ رسالته التي ارسلني بها بلا زيادة ونقصان ومن ليست بصلة للتبليغ لانه يقال بلغ عنه انما هي بمنزلة من في براءة من الله أى بلاغا كائنا من الله (ومن يعص الله ورسوله) في ترك القبول لما انزل على الرسول لانه ذكر على اثر تبليغ الرسالة (فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا) وحد في قوله له وجمع في خالدين للفظ من ومعناه (حتى

(فسيعلمون) اى عند نزول العذاب (من أضعف ناصرا وأقل عددا) أهم أم المؤمنون (قل ان أدرى) اى ما أدرى (أقريب ما توعدون) يعنى العذاب وقيل يوم القيامة (أم يجعل له ربى أمدا) اى أجلا وغاية تطول مدتها والمعنى ان علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الا الله عز وجل (عالم الغيب) اى هو عالم ما غاب عن العباد (فلا يظهر) اى فلا يطلع (على غيبه) اى الغيب الذى يعلمه وانفرد به (أحدا) اى من الناس ثم استثنى فقال (الا من ارتضى من رسول) يعنى الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على ما يشاء من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر به من المغيبات فيكون ذلك معجزة له وآية دالة على نبوته قال الزمخشرى وفى هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه ايضا ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما أبعد شئ من الارتضاء وأدخله فى السخط قال الواحدى وفى هذا دليل على ان من ادعى ان النجوم تدله على ما يكون من حياة أو موت ونحو ذلك فقد كفر بما فى القرآن فاما الزمخشرى فأنكر كرامات الاولياء جريا على قاعدة مذهبه فى الاعتزال ووافق الواحدى وغيره من المفسرين فى ابطال الكهانة والتنجيم قال فخر الدين ونسبة الآية فى الصورتين واحدة فان جعل الآية دالة على المنع من احكام النجوم فينبغى ان يجعلها دالة على المنع من الكرامات قال وعندى ان الآية لا دلالة فيها على شئ من ذلك والذى يدل عليه ان قوله فلا يظهر على غيبه أحدا ليس فيه صيغة عموم فيكفى فى العمل بمقتضاه ان لا يظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الآية انه تعالى لا يظهر هذا الغيب لاحد فلا يبقى فى الآية دلالة على انه لا يظهر شيئا من الغيوب لاحد ثم انه يجوز أن يطلع الله على شئ من المغيبات غير الرسل كالكهنة وغيرهم وذكر ما يدل على صحة قوله والذى ينبغى ان مذهب أهل السنة اثبات كرامات الاولياء خلافا للمعتزلة وانه يجوز ان يلهم الله بعض أوليائه وقوع بعض الوقائع فى المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من الامم ناس محدثون من غير ان يكونوا انبياء وان يكن فى أمتى أحد فانه عمر بن الخطاب أخرجه البخارى قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون فى الامم قبلكم محدثون فان يكن فى أمتى منهم أحد فان عمر بن الخطاب منهم ففى هذا اثبات كرامات الاولياء ولا يقال لو جازت الكرامة للولى لما تميزت معجزة النبى صلى الله عليه وسلم عن غيرها ولانسد الطريق الى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبى وكرامة الولى ان المعجزة أمر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدى ولا يجوز للولى أن يدعى خرق العادة مع التحدى اذ لو ادعاه الولى لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر على يد الولى أمر خارق للعادة من غير دعواه وهذا ايضا يدل على ثبوت نبوة النبى لان الكرامة انما تظهر على يد من هو معتقد للرسول متابع له فلو لم تكن نبوته حقا لما ظهر الخارق على يد متابعه واما الكاهن فليس بمتبع للرسول وقد انسد باب الكهانة بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم فمن ادعى منهم اطلاعا على غيب فقد كفر بما جاء به القرآن وكذلك حكم المنجم والله تعالى أعلم وقوله تعالى (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه) اى من بين يدى الرسول ومن خلفه وذكر البعض دال على جميع الجهات (رصدا) اى حفظة من الملائكة يحفظونه من الشيطان ان يسترقوا السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن ان يسمعوا الوحى فيلقوه الى الكهنة فيخبروا به قبل الرسول وقيل ان الله تعالى كان اذا بعث رسولا أتاه ابليس فى صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشيطان عنه فاذا جاءه شيطان فى صورة ملك أخبروه بانه شيطان فاحذره وان جاءه ملك قالوا هذا رسول ربك (ليعلم) اى ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم (أن) اى

يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال كأنه قيل
لا يزالون على ما هم عليه حتى (اذا رأوا ما يوعدون)
من العذاب (فسيعلمون) عند حلول العذاب
(من اضعف ناصرا واقل عددا) اهم أم
المؤمنون أى الكافر لا ناصر له يومئذ والمؤمن
ينصره الله وملائكته وانبياؤه (قل ان ادرى)
ما أدرى (اقريب ما توعدون) من العذاب
(أم يجعل له ربى) وبفتح الياء حجازى وأبو
عمرو (أمدا) غاية بعيدة يعنى انكم تعذبون قطعا
ولكن لا أدرى أهو حال أم مؤجل (عالم
الغيب) هو خبر مبتدأ أى هو عالم الغيب (فلا
يظهر) فلا يطلع (على غيبه احدا) من خلقه
(الا من ارتضى من رسول) الا رسولا قد
ارتضاه لعلم بعض الغيب ليكون اخباره عن
الغيب معجزة له فانه يطلعه على غيبه ما شاء ومن
رسول بيان لمن ارتضى والولى اذا اخبر بشئ
فظهر فهو غير جازم عليه ولكنه اخبر بناء على
رؤياه او بالفراسة على ان كل كرامة للولى فهى
معجزة للرسول وذكر فى التأويلات قال بعضهم
فى هذه الآية دلالة تكذيب المنجمة وليس
كذلك فان فيهم من يصدق خبره وكذلك المتطببة
يعرفون طبائع النبات وذا لا يعرف بالتأمل
فعلم بانهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع
اثره وبقى علمه فى الخلق (فانه يسلك) يدخل
(من بين يديه) يدى الرسول (ومن خلفه رصدا)
حفظة من الملائكة يحفظونه من الشيطان
ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ
الوحى (ليعلم) الله (أن

ان جبريل قد بلغ رسالات ربه وقيل معناه ليعلم محمد ان الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم وان الله قد حفظهم ودفع عنهم وقيل معناه ليعلم الله ان الرسل (قد أبلغوا رسالات ربهم) فيعلم الله ذلك ظاهرا موجودا فيوجب فيه الثواب (وأحاط بما لديهم) اى علم الله ما عند الرسل فلا يخفى عليه شئ من امورهم (وأحصى كل شئ عددا) قال ابن عباس أحصى ما خلق وعرف ما خلق لم يفته شئ حتى مثاقيل الذر والخردل والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة المزمّل)

هى مكية قيل غير آيتين منها وهما قوله و صبر على ما يقولون وقيل غير آية وهى ان ربك يعلم انك تقوم الآية وهى عشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها المزمل) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم واصله المتزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه اى تلفف قال المفسرون كان النبى صلى الله عليه وسلم يتزمل فى ثيابه أول ما جاءه جبريل فرقا منه فكان يقول زملونى زملونى حتى انس به وقيل خرج يوما من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل يا أيها المزمل وقيل معناه متزمل النبوة اى حاملها والمعنى زملت هذا الامر فقم به واحمله فانه امر عظيم وانما لم يخاطب بالنبى والرسول لانه كان فى اول الامر ومبدئه ثم خوطب بالنبى والرسول بعد ذلك وقيل كان صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل فى ثوبه فنودى يا أيها المزمل (قم الليل) اى للصلاة والعبادة واهجر هذه الحالة واشتغل بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فريضة فى ابتداء الاسلام (الا قليلا) اى صل الليل الا قليلا تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر القيام فقال تعالى (نصفه) اى قم نصف الليل (أو انقص منه قليلا) اى الى الثلث (أو زد عليه) اى على النصف الى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل منهم لا يدرى متى ثلث الليل أو متى نصفه او متى ثلثاه فكان يقوم الليل كله حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها عنهم بقوله فاقرؤا ما تيسر منه قيل ليس فى القرآن سورة نسخ آخرها أولها الا هذه السورة وكان بين نزول اولها الى نزول آخرها سنة وقيل ستة عشر شهرا وكان قيام الليل فرضا ثم نسخ بعد ذلك فى حق الامة بالصلوات الخمس وثبتت فريضته على النبى صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك (م) عن سعد بن هشام قال انطلقت الى عائشة فقلت يا أم المؤمنين أنبئينى عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن قلت فقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم المؤمنين قالت ألست تقرأ المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض القيام فى اول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله خاتمتها اثنى عشر شهرا فى السماء ثم أنزل التخفيف فى آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة وقوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) قال ابن عباس بينه بيانا وعنه أيضا اقرأه على هينتك ثلاث آيات وأربعا وخمسا وقيل الترتيل هو التوقف والترسل والتمهل والافهام وتبيين القراءة حرفا حرفا اثره فى اثر بعض بالمد والاشباع والتحقيق وترتيلا تأكيد فى الامر به وانه لا بد للقارئ منه وقيل ان الله تعالى لما أمر بقيام الليل اتبعه بترتيل القرآن حتى يتمكن المصلى من حضور القلب والتأمل والفكر فى حقائق الآيات ومعانيها فعند الوصول الى ذكر الله يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند

ذلك

قد ابلغوا) اى الرسل (رسالات ربهم) كاملة بلا زيادة ولا نقصان الى المرسل اليهم أى ليعلم الله ذلك موجودا حال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده انه يوجد وحد الضمير فى من بين يديه للفظ من وجمع فى ابلغوا لمعناه (واحاط) الله (بما لديهم) بما عند الرسل من العلم (واحصى كل شئ عددا) من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحر فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال اى وعلم كل شئ معدودا محصورا او مصدر فى معنى احصاء والله أعلم

(سورة المزمل صلى الله عليه وسلم مكية)
وهى تسعة عشر آية بصرى وثمان عشرة شامى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها المزمل) أى المتزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه أى تلفف بها بادغام التاء فى الزاى وكان النبى صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا فى ثيابه فأمر بالقيام للصلاة بقوله (قم الليل الا قليلا نصفه) بدل من الليل والا قليلا استثناء من قوله نصفه تقديره قم نصف الليل الا قليلا من نصف الليل (او انقص منه) من النصف بضم الواو غير عاصم وحمزة (قليلا) الى الثلث (او زد عليه) على النصف الى الثلثين والمراد التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان جعلت نصفه بدلا من قليلا كان مخيرا بين ثلاثة اشياء بين قيام نصف الليل تاما وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل والا فاطلاق لفظ القليل ينطلق على مادون النصف ولهذا قلنا اذا اقر أن لفلان عليه الف درهم الا قليلا انه يلزمه أكثر من نصف الالف (ورتل القرآن) بين وفصل من الثغر المرتل أى المفلج الاسنان وكلام رتل بالتحريك أى مرتل وثغر رتل أيضا اذا كان مستوى البنيان أو اقرأ على تؤدة بتبيين الحروف وحفظ الوقوف واشباع الحركات (ترتيلا) هو تأكيد فى ايجاب الامر

ذلك بنور المعرفة والاسراع فى القراءة لايحصل فيها ذلك فظهر ان المقصود من الترتيل انما هو حضور القلب عند القراءة

(فصل) * (خ) عن قتادة قال سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم عن أم سلمة رضى الله عنها وقد سألها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت مالكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا أخرجه النسائى وللترمذى قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول مالك يوم الدين ثم يقف وفى رواية أبى داود قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين يقطع قراءته آية آية (ق) عن عبد الله بن معقل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع فى قراءته (ق) عن أبى وائل شقيق بن مسلمة قال جاء رجل الى ابن مسعود فقال انى لاقرأ المفصل فى ركعة قال عبد الله هذا كهذ الشعر ان اقواما يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع فى القلب فرسخ يقع ان افضل الصلاة الركوع والسجود انى لاعرف النظائر التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن سورتين فى كل ركعة وفى رواية فذكر عشرين سورة من المفصل الهذ سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراءة والعجلة فيها وقوله لا يتجاوز تراقيهم التراقى جمع ترقوة وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت والنظائر جمع نظير وهو الشبه والمثل عن عائشة رضى الله عنها قالت قام النبى صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن أخرجه الترمذى وللنسائى عن ابى ذر نحوه وزاد والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم عن سهل بن سعد قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر وفيكم الابيض وفيكم الاسود اقرؤا القرآن قبل ان يقرأه أقوام يقيمونه كما يقام السهم يتعجل قراءته ولا يتأجله أخرجه ابو داود وزاد غيره فى رواية لا يجاوز تراقيهم عن جابر رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا العربى والعجمى فقال اقرؤا وكل حسن وسيجىء اقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه أخرجه ابو داود وعن ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم احدكم آخر السورة قوله تعالى (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا) قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلا يعنى كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شئ له خطر ومقدار فهو ثقيل والمعنى فصير نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل الشاق وقيل سماه ثقيلا لما فيه من الاوامر والنواهى فان فيه مشقة وكلفة على الانفس وقيل ثقيلا لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرائض والاحكام وقيل ثقيلا على المنافقين لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل فى الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيلا اى ليس بالخفيف ولا السفساف لانه كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه انه قول مبين فى صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام رصين وهذا قول له وزن اذا استجدته وعلمت انه صادق الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلا لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا فى الوحى وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه القرآن والوحى يجد له مشقة (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتينى فى مثل صلصلة الجرس وهذا أشده على فيفصم عنى وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا (م) عن عبادة بن الصامت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى كرب لذلك وتربد له

به وانه لابد منه للقارئ (انا سنلقى عليك) سينزل عليك (قولا ثقيلا) أى القرآن لما فيه من الاوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين او ثقيلا على المنافقين او كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف الخفيف

وجهه وفي رواية كان اذا انزل عليه الوحي عرفنا ذلك في فيه وغمض عينيه وتربد وجهه قوله مثل صلصلة
الجرس الصلصلة الصوت الشديد الصلب اليابس من الاشياء الصلبة كالجرس ونحوه قوله فيفصم عني
اي يفارقني وقد وعيت ما قال اي حفظت وقوله ليتفصد عرقا أي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد
قوله تربد وجهه الربدة في الالوان غبرة مع سواد وقوله تعالى (ان ناشئة الليل) اي ساعاته كلها وكل ساعة
منه ناشئة لانها تنشأ عن التي قبلها وقال ابن أبي مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله
ناشئة وهي عبارة عن الامور التي تحدث وتنشأ في الليل وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هي
قيام آخر الليل وقيل اوله وقيل أي ساعة قام الانسان من الليل فقد نشأ وروي عن زين العابدين علي
ابن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقيل كل صلاة بعد العشاء
الآخرة فهي ناشئة الليل وقيل ناشئة الليل قيامه وقيل ناشئة الليل وطاؤه (هي أشد وطاء) قرئ بكسر
الواو مع المد يعني من المواطأة والموافقة وذلك لان مواطأة القلب واللسان والسمع والبصر تكون بالليل
اكثر مما تكون بالنهار وقرئ وطأ بفتح الواو وسكون الطاء اي اشد على المصلي واثقل من صلاة النهار لان
الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس أشد واثقل وقال ابن عباس كانت صلاتهم أول الليل
هي أشد وطأ يقول هي اجدر ان يحصوا ما فرض الله عليهم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لا يدري
متى يستيقظ وقيل أثبت للخير واحفظ للقراءة من النهار وقيل هي اوطأ للقيام واسهل على المصلي من
ساعات النهار لانه خلق لتصرف العباد والليل للعبادة والخلوة برب العباد ولان الليل أفرغ للقلب من
النهار ولا يعرض له في الليل حوائج وموانع مثل النهار وامنع من الشيطان وابعد من الرياء وهو قوله
تعالى (وأقوم قيلا) اي اصوب قراءة وأصح قولا من النهار لهدءة الناس وسكون الاصوات وقيل معناه
أبين قولا بالقرآن والحاصل ان عبادة الليل اشد نشاطا وأتم اخلاصا وابعد عن الرياء واكثر بركة وابلغ
في الثواب وادخل في القلوب (ان لك في النهار سبحا طويلا) أي تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا في حوائجك
واشتغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك افضل من الليل (واذكر اسم ربك) أي
بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح (وتبتل اليه تبتيلا) قال ابن عباس اخلص اليه اخلاصا وقيل
تفرغ لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى بتل اليه نفسك واقطعها عن كل شئ سواه وقيل التبتل رفض
الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله وقيل معناه وتوكل عليه توكلا واجتهد في العبادة وقيل يقال للعابد
اذا ترك كل شئ واقبل على العبادة قد تبتل أي انقطع عن كل شئ الا من عبادة الله وطاعته فان قلت كيف
قال تبتيلا مكان تبتلا ولم يجئ على مصدره قلت جاء تبتيلا على بتل نفسك اليه تبتيلا فوقع المصدر
موضع مقارنه في المعنى ويكون التقدير وبتل نفسك اليه تبتيلا فهو كقوله والله أنبتكم من الارض نباتا
وقيل لان معنى تبتل بتل نفسك فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل وقيل الاصل في تبتل ان يقال
تبتلت تبتيلا وتبتلت تبتلا فتبتيلا محمول على معنى تبتل اليه تبتيلا وقيل انما عدل عن هذه العبارة لدقيقة
لطيفة وهي ان المقصود انما هو التبتل فأما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا الى الله
تعالى لان المشتغل بغير الله لا يكون منقطعا اليه الا انه لابد من التبتيل حتى يحصل التبتل فذكر أولا
التبتل لانه المقصود وذكر التبتيل ثانيا شعارا بأنه لابد منه (رب المشرق والمغرب) يعني ان التبتل
والانقطاع لا يليق الا لله تعالى الذي هو رب المشرق والمغرب (لا اله الا هو فاتخذه وكيلا) أي
فوض امرك اليه وتوكل عليه وقيل معناه اتخذ يا محمد ربك كفيلا بما وعدك من النصر على الاعداء
(واصبر على ما يقولون) أي من التكذيب لك والاذى (واهجرهم هجرا جميلا) أي واعتزلهم اعتزالا
حسنا لا جزع فيه وهذه الآية منسوخة بآية القتال (وذرني والمكذبين) أي دعني ومن كذبك لا تهتم به
فاني اكفيكه (أولي النعمة) أي اصحاب النعم والترفه نزلت في صناديد قريش المستهزئين وقيل
نزلت في المطعمين ببدر (ومهلهم قليلا) يعني الى يوم بدر فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا ببدر وقيل أراد

(ان ناشئة الليل) بالهمزة سوى ورش قيام الليل عن ابن مسعود رضي الله عنه فهو مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية
او العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث او ساعات
الليل لانها تنشأ ساعة فساعة وكان زين العابدين
رضي الله عنه يصلي بين العشاءين ويقول هذه
ناشئة الليل (هي اشد وطاء) وفاقا شامي وأبو عمرو
أي يواطئ فيها قلب القائم لسانه وعن الحسن
اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية
الخلائق غيرهما وطأ أي اثقل على المصلي من
صلاة النهار لطرد النوم في وقته من قوله صلى
الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر
(وأقوم قيلا) واشد مقالا واثبت قراءة لهدو
الاصوات وانقطاع الحركات (ان لك في
النهار سبحا طويلا) تصرفا وتقلبا في مهماتك
وشواغلك ففرغ نفسك في الليل لعبادة ربك
اوفراغا طويلا لنومك وراحتك (واذكر اسم
ربك) ودم على ذكره في الليل والنهار وذكر الله
يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة
وتلاوة القرآن ودراسة العلم (وتبتل اليه) انقطع
الى عبادته عن كل شئ والتبتل الانقطاع الى الله
تعالى بتأميل الخير منه دون غيره وقيل رفض
الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله (تبتيلا)
في اختلاف المصدر زيادة تأكيد أي بتلك الله
فتبتل تبتيلا وجيء به مراعاة لحق الفواصل (رب
المشرق والمغرب) بالرفع أي هو رب أو مبتدأ
خبره (لا اله الا هو) وبالجر شامي وكوفي غير
حفص بدل من ربك وعن ابن عباس رضي الله
عنهما على القسم باضمار حرف القسم نحو الله
لافعلن وجوابه لا اله الا هو كقوله والله لا أحد
في الدار الا زيد (فاتخذه وكيلا) وليا وكفيلا بما
وعدك من النصر واذا علمت انه ملك المشرق
والمغرب وان لا اله الا هو فاتخذه كافيا لامورك
وفائدة الفاء ان لا تلبث بعد ان عرفت في
تفويض الامور الى الواحد القهار اذ لا عذر
لك في الانتظار بعد الاقرار (واصبر على ما
يقولون) على ما يقولون في من الصاحبة والولد
وفيك من الساحر والشاعر (واهجرهم هجرا
جميلا) جانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن
المحافظة وترك المكافأة وقيل هو منسوخ بآية
القتال (وذرني) أي كلهم الي فانا كافيهم
(والمكذبين) رؤساء قريش مفعول معه اوعطف على ذرني أي دعني واياهم (أولي النعمة) التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة بالقليل
(ومهلهم) امهالا (قليلا) الى يوم بدر او الى يوم القيامة

بالقليل ايام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى (ان لدينا) أي عندنا في الآخرة (أنكالا) يعني قيودا عظاما ثقالا لا تنفك أبدا وقيل اغلالا من حديد (وجحيما وطعاما ذا غصة) أي غير سائغ في الحلق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع (وعذابا أليما) أي وجيعا (يوم ترجف الأرض والجبال) أي تتزلزل وتتحرك وهو يوم القيامة (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) يعني رملا سائلا وهو الذي اذا أخذت منه شيئا يتبعك ما بعده (انا أرسلنا اليكم) يعني يا أهل مكة (رسولا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (شاهدا عليكم) أي بالتبليغ وايمان من آمن منكم وكفر من كفر (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعني موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام قيل انما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الامم والرسل لان محمدا صلى الله عليه وسلم آذاه اهل مكة واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى بموسى وآذاه لانه رباه (فعصى فرعون الرسول فأخذناه) أي فرعون (أخذا وبيلا) أي شديدا ثقيلا يعني عاقبناه عقوبة غليظة خوف بذلك كفار مكة ثم خوفهم يوم القيامة فقال تعالى (فكيف تتقون ان كفرتم) اى كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ان كفرتم اى في الدنيا المعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم القيامة وقيل معنى الآية فكيف تتقون العذاب يوم القيامة وبأي شئ تتحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه ان كفرتم في الدنيا (يوما يجعل الولدان شيبا) يعني شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه الصلاة والسلام قم فابعث بعث النار من ذريتك (ق) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير بيديك فينادى بصوت ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعث النار قال يارب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يارسول الله أينا ذلك الرجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبشروا فان من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعا وتسعين ومنكم واحدا ثم قال أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار واني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا أما ما يتعلق بمعنى الحديث فقوله ان تخرج من ذريتك بعث النار فمعناه ميز اهل الجنة من اهل النار وأما الرقمة بفتح الراء واسكان القاف فهي الاثر في باطن عضد الحمار وقوله اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة وثلث اهل الجنة وشطر اهل الجنة فيه البشارة العظيمة لهذه الامة وجعلهم ربع اهل الجنة أولا ثم الثلث ثم الشطر لفائدة حسنة وهي ان ذلك اوقع في نفوسهم وابلغ في اكرامهم فان اعطاء الانسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفيه تكرار البشارة مرة بعد أخرى وفيه ايضا حملهم على تجديد شكر الله وحمده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها أما ما يتعلق بمعنى الآية الكريمة والحديث في قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب الوليد ففيه وجهان الاول انه عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره الثاني انه في القيامة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازا لان القيامة ليس فيها شيب هو مثل في شدة الامر وهوله يقال في اليوم الشديد يوم تشيب فيه نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب قال المتنبي

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم

فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والاحزان جعلوه كناية عن الشدة والهول وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لان الطفل لا تمييز له وقيل يحتمل ان يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون منه الشيخوخة والشيب (السماء منفطر به) وصف اليوم بالشدة

(ان لدينا) للكافرين في الآخرة (انكالا) قيودا ثقالا جمع نكل (وجحيما) نارا محرقة (وطعاما ذا غصة) أي الذي ينشب في الحلوق فلا ينساغ يعني الضريع والزقوم (وعذابا أليما) يخلص وجعه الى القلب وروى انه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن انه امسى صائما فاتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فاخبر ثابت البناني وغيره فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق (يوم) منصوب بما في لدينا من معنى الفعل اى استقر للكفار لدينا كذا وكذا يوم (ترجف الارض والجبال) اى تتحرك حركة شديدة (وكانت الجبال كثيبا) رملا مجتمعا من كثب الشئ اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول (مهيلا) سائلا بعد اجتماعه (انا ارسلنا اليكم رسولا) يعني محمدا عليه السلام (شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعني موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول) أي ذلك الرسول اذ النكرة اذا اعيدت معرفة كان الثاني عين الاول (فأخذناه أخذا وبيلا) شديدا غليظا وانما خص موسى وفرعون لان خبرهما كان منتشرا بين أهل مكة لانهم كانوا جيران اليهود (فكيف تتقون ان كفرتم يوما) هو مفعول تتقون أي كيف تتقون عذاب يوم كذا ان كفرتم او ظرف أي فكيف لكم التقوى يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا او منصوب بكفرتم على تأويل جحدتم أي كيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه (يجعل الولدان) صفة ليوما والعائد محذوف أي فيه (شيبا) من هوله وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك وهو جمع اشيب وقيل هو على التمثيل للتهويل يقال لليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال (السماء منفطر به) وصف لليوم بالشدة أيضا أي السماء على عظمها واحكامها تنفطر به أي تنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق

أيضا وان السماء مع عظمها تنفطر به وتنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق وقيل تنشق لنزول الملائكة وقيل به أي بذلك المكان وقيل انها ترجع الى الرب سبحانه أي بأمره وهيبته (كان وعده مفعولا) أي كائنا لامحالة فيه ولا خلف (ان هذه) أي آيات القرآن (تذكرة) أي مواعظ يتذكر بها (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) بالايمان والطاعة قوله تعالى (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل) أي اقل من ثلثى الليل (ونصفه وثلثه) أي تقوم نصفه وثلثه (وطائفة من الذين معك) يعنى المؤمنين وكانوا يقومون معه الليل (والله يقدر الليل والنهار) يعنى العالم بمقادير الليل والنهار واجزائهما وساعاتهما والله تعالى لايفوته علم مايفعلون فيعلم القدر الذى يقومون من الليل والذى ينامون منه (علم أن لن تحصوه) يعنى ان لن تطيقوا معرفته على الحقيقة قيل قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل علم أن لن تحصوه أى لن تطيقوه قيل كان الرجل يصلى الليل كله مخافة ان لا يصيب ما أمر الله به من القيام فقال تعالى علم ان لن تحصوه أى لن تطيقوا معرفة ذلك (فتاب عليكم) أى فعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفا عنكم مالم تحيطوا بعلمه و رفع المشقة عنكم (فاقرؤا ماتيسر من القرآن) فيه قولان أحدهما ان المراد بهذه القراءة القراءة فى الصلاة وذلك لان القراءة أحد اجزاء الصلاة فأطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ماتيسر عليكم وقال الحسن يعنى فى صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن ابى حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ فى أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة ثم قام فى الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال ان الله تعالى يقول فاقرؤا ماتيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد واكتفى بما تيسر ثم نسخ ذلك أيضا بالصلوات الخمس وذلك فى حق الامة وثبت قيام الليل فى حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك القول الثانى ان المراد بقوله فاقرؤا ماتيسر من القرآن دراسته وتحصيل حفظه وان لايعرض للنسيان فقيل يقرأ مائة آية ونحوها وقيل ان قراءة السورة القصيرة كافية روى البغوى باسناده عن أنس رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية فى يوم اوليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتى آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر وذكره الشيخ محى الدين فى كتابه الاذكار ولم يضعفه وقال فى رواية من قرأ أربعين آية بدل خمسين وفى رواية عشرين وفى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم اخبر انك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة قلت بلى يارسول الله ولم أرد بذلك الا الخير قال فصم صوم داود وكان أعبد الناس واقرأ القرآن فى كل شهر مرة قال قلت يانبى الله انى اطيق افضل من ذلك قال فاقرأه فى كل عشر قال قلت يانبى الله انى أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه فى سبع ولاتزد على ذلك ثم ذكر الله حكمة النسخ والتخفيف فقال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى) يعنى ان المريض يضعف عن التهجد بالليل فخفف الله عز وجل عنه لاجل ضعفه وعجزه عنه (وآخرون يضربون فى الارض) يعنى المسافرين للتجارة (يبتغون من فضل الله) أى يطلبون من رزق الله وهو الربح فى التجارة (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) يعنى الغزاة والمجاهدين وذلك لان المجاهد والمسافر مشتغل فى النهار بالاعمال الشاقة فلو لم ينم بالليل لتوالت عليه أسباب المشقة فخفف الله عنهم لذلك روى عن ابن مسعود قال أيما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من

والتذكير على تأويل السماء بالسقف او السماء شئ منفطر وقوله به أى بيوم القيامة يعنى انها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشئ بما يفطر به (كان وعده) المصدر مضاف الى المفعول وهو اليوم اوالى الفاعل وهو الله عز وجل (مفعولا) كائنا (ان هذه) الآيات الناطقة بالوعيد (تذكرة) موعظة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) أى فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى) اقل فاستعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل مابينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك (من ثلثى الليل) بضم اللام سوى هشام (ونصفه وثلثه) منصوبان عطف على ادنى مكى وكوفى ومن جرهما عطف على ثلثى (وطائفة) عطف على الضمير فى تقوم وجاز بلاتوكيد لوجود الفاصل (من الذين معك) أى ويقوم ذلك المقدار جماعة من اصحابك (والله يقدر الليل والنهار) أى ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على انه مختص بالتقدير ثم انهم قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل (علم ان لن تحصوه) لن تطيقوا قيامه على هذه المقادير الا بشدة ومشقة وفى ذلك حرج (فتاب عليكم) فخفف عليكم واسقط عنكم فرض قيام الليل (فاقرؤا) فى الصلاة والامر للوجوب اوفى غيرها والامر للندب (ماتيسر عليكم (من القرآن) روى أبو حنيفة عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال من قرأ مائة آية فى ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائتى آية كتب من القانتين وقيل أراد بالقرآن الصلاة لانه بعض اركانها أى فصلوا ماتيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس ثم بين الحكمة فى النسخ وهو تعذر القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين فقال (علم ان سيكون منكم) أن مخففة من الثقيلة والسين بدل من تخفيفها وحذف اسمها (مرضى) فيشق عليهم قيام الليل (وآخرون يضربون فى الارض) يسافرون (يبتغون) حال من ضمير يضربون (من فضل الله) رزقه بالتجارة اوطلب العلم (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) سوى بين المجاهد والمكتسب لان كسب الحلال جهاد قال ابن فضل مسعود رضى الله عنه ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وقال ابن عمر رضى الله عنهما ماخلق الله موتة أموتها بعد القتل فى سبيل الله أحب الى من ان أموت بين شعبتى رحل اضرب فى الارض ابتغى من فضل الله

فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله (فاقرؤا ما تيسر منه) أي من القرآن وانما أعاده للتأكيد (وأقيموا الصلاة) يعني المفروضة (وآتوا الزكاة) أي الواجبة (وأقرضوا الله قرضا حسنا) قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف وقيل يريد سائر الصدقات وذلك بأن يخرجها على احسن وجه من كسب طيب ومن اكثر الاموال نفعا للفقراء ومراعاة النية والاخلاص وابتغاء مرضاة الله تعالى بما يخرج والصرف الى المستحق (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) أي ثوابه واجره (هو خيرا وأعظم أجرا) يعني ان الذي قدمتم لانفسكم خير من الذي أخرتموه ولم تقدموه وروى البغوي بسنده عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم ماله احب اليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما منا أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم الا ذلك يا رسول الله قال ما منكم رجل الا مال وارثه احب اليه من ماله قالوا كيف يا رسول الله قال انما مال احدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر (واستغفروا الله) أي لذنوبكم وتقصيركم في قيام الليل (ان الله غفور رحيم) أي لجميع الذنوب والله تعالى أعلم

(تفسير سورة المدثر)

وهي مكية قيل غير آية من آخرها وهي ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة وألف حرف وعشرة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها المدثر) (ق) عن يحيى بن كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال ابو سلمة سألت جابرا عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت فقال لي جابر لا أحدثك الا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ونظرت خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا فأتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك قبل ان تفرض الصلاة وفي رواية فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي وذكر نحوه فاذا هو قاعد على عرش في الهواء يعني جبريل فأخذتني رجفة شديدة (ق) عن جابر رضي الله عنه من رواية الزهري عن ابي سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال لي في حديثه فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فقلت زملوني فدثروني فأنزل الله عز وجل يا أيها المدثر الى والرجز فاهجر وفي رواية قال أبو سلمة الرجز الاوثان قال ثم حمي الوحي بعد وتتابع فان قلت دل هذا الحديث على ان سورة المدثر أول ما نزل من القرآن ويعارضه حديث عائشة رضي الله عنها المخرج في الصحيحين أيضا في بدء الوحي وسيأتي في موضعه ان شاء الله تعالى وفيه فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث قلت الصواب الذي عليه جمهور العلماء ان أول ما نزل من القرآن على الاطلاق اقرأ باسم ربك الذي خلق كما صرح به في حديث عائشة وقول من قال ان سورة المدثر أول ما نزل من القرآن على الاطلاق ضعيف لا يعتد به وانما كان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر ويدل عليه أيضا قوله في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي الى ان قال وانزل الله تعالى يا أيها المدثر ويدل عليه ايضا قوله فاذا الملك الذي جاءني بحراء ثم قال وانزل الله تعالى يا أيها المدثر وايضا قوله ثم حمي الوحي بعد وتتابع فالصواب ان أول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق وان أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة

(فاقرؤا ما تيسر منه) كرر الامر بالتيسير لشدة احتياطهم (وأقيموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة (وأقرضوا الله) بالنوافل والقرض لغة القطع فالمقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه الى غيره وكذا المتصدق يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله لله تعالى وانما اضافه الى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما يتصدق به عليه وهذا لان الفقير معاون له في تلك القربة فلا يكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه (قرضا حسنا) من الحلال بالاخلاص (وما تقدموا لانفسكم من خير) وهو جزاء الشرط (عند الله تجدوه) أي ثوابه (هو خيرا) مما خلفتم وتركتم فالمفعول الثاني لتجدوه خيرا وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه المعرفة لامتناعه من حرف التعريف (واعظم أجرا) واجزل ثوابا (واستغفروا الله) من السيئات والتقصير في الحسنات (ان الله غفور) يستر على أهل الذنب والتقصير (رحيم) يخفف عن أهل الجهد والتوفير وهو على ما يشاء قدير والله أعلم

(سورة المدثر صلى الله عليه وسلم)

(مكية وهي خمسون وست آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري فلم ارشيئا فنظرت فوقي فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة وقلت دثريني دثريني فدثرته خديجة فجاء جبريل وقرأ (يا أيها المدثر) أي المتلفف بثيابه من الدثار وهو كل ما كان من الثياب فوق الشعار والشعار الثوب الذي يلي الجسد وأصله المتدثر فادغم

المدثر فحصل بهذا الذي بيناه الجمع بين الحديثين والله أعلم قوله فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي أي عن احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول قوله فجئثت منه روي بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروي بثاءين مثلثتين بعد الجيم ومعناه فرعبت منه وفزعت وقوله وحمي الوحي بعد وتتابع أي كثر نزوله وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشمس والنار اذا ازداد حرهما وقوله وصبوا على ماء فيه انه ينبغي لمن فزع ان يصب عليه ماء حتى يسكن فزعه والله أعلم وأما التفسير فقوله عز وجل يا أيها المدثر أصله المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفئ بها وأجمعوا على انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سماه مدثرا لقوله صلى الله عليه وسلم دثروني وقيل معناه يا أيها المدثر بدثار النبوة والرسالة من قولهم ألبسه الله لباس التقوى فجعل النبوة كالدثار واللباس مجازا (قم فأنذر) أي حذرهم من عذاب ربك ان لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعك ودثارك وقيل قم قيام عزم واشتغل بالانذار الذي تحملته (وربك فكبر) أي عظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان (وثيابك فطهر) فيه اربعة اوجه أحدها ان ينزل لفظ الثياب والتطهير على الحقيقة والثاني ان ينزل لفظ الثياب على الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث ان ينزل لفظ الثياب على المجاز والتطهير على الحقيقة والرابع ان ينزل لفظ الثياب والتطهير على المجاز اما الوجه الاول فمعناه وثيابك فطهر من النجاسات والمستقذرات وذلك ان المشركين لم يكونوا يحترزون عنها فأمر صلى الله عليه وسلم بصون ثيابه من النجاسات وغيرها خلافا للمشركين الوجه الثاني معناه وثيابك فقصر وذلك لان المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون أذيالهم على النجاسات وفي الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والفخر ما ليس في الثوب القصير فنهي عن تطويل الثوب وامر بتقصيره لذلك وقيل معناه وثيابك فطهر عن ان تكون مغصوبة او محرمة بل تكون من وجه حلال وكسب طيب الوجه الثالث معناه حمل الثوب على النفس قال عنترة

وشككت بالرمح الاصم ثيابه * ليس الكريم على القنا بمحرم

يريد نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرهما وكنى بالثياب عن الجسد لانها تشتمل عليه الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز فقيل معناه وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه وخلقك فحسن وسئل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا غدر أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي

واني بحمد الله لا ثوب فاجر * لبست ولا من غدرة أتقنع

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء هو طاهر الثياب وتقول لمن غدر انه لدنس الثوب والسبب في ذلك ان الثوب كالشئ الملازم للانسان فلهذا جعلوه كناية عن الانسان كما يقال الكرم في ثوبه والعفة في ازاره وقيل من طهر باطنه طهر ظاهره وقوله تعالى (والرجز فاهجر) يعني اترك الاوثان ولا تقربها وقال ابن عباس اترك المآثم وقيل الشرك والمعنى اترك كل ما أوجب لك العذاب من الاعمال والاقوال (ولا تمنن تستكثر) يعني لا تعط مالك مصانعة لتعطى أكثر منه هذا قول أكثر المفسرين وهذا النهي مختص بالنبي صلى الله عليه وسلم وانما نهي عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة لان من اعطى شيئا لغيره يطلب منه الزيادة عليه لابد وان يتواضع لذلك الذي اعطاه ومنصب النبوة يجل عن ذلك وهذا غير موجود في حق الامة فيجوز لغيره من الامة ذلك كما قيل هما رباآن حلال وحرام فالحلال الهدية يهديها الرجل لغيره ليعطيه اكثر منها وأما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع وقيل معناه لا تعط شيئا لمجازاة الدنيا اعط لله وأرد به وجه الله وقيل معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره ولا يكثرن عملك في عينك فانه مما أنعم الله به عليك واعطاك وقيل معناه لا تمنن على اصحابك بما تعلمهم من امر الدين وتبلغهم من امر الوحي كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك فتأخذ منهم على ذلك اجرا تستكثره

(قم) من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم (فانذر) فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا او فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فقيل له يا أيها الصارف اذى الكفار عن نفسك بالدثار قم فاشتغل بالانذار وان آذاك الفجار (وربك فكبر) أي لا تكبر واختص ربك بالتكبير وهو التعظيم أي لا يكبر في عينك غيره وقل عندما يعروك من غيره الله أكبر وروي انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر وكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء بمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره (وثيابك فطهر) بالماء عن النجاسة لان الصلاة لا تصح الا بها وهي الاولى في غير الصلاة او فقصر مخالفة للعرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول اذ لا يؤمن معه اصابة النجاسة او وطهر نفسك مما يستقذر من الافعال يقال فلان طاهر الثياب اذا وصفوه بالنقاء من المعايب وفلان دنس الثياب للغادر ولان من طهر باطنه يطهر ظاهره ظاهرا (والرجز) بضم الراء يعقوب وسهل وحفص وغيرهم بالكسر العذاب والمراد ما يؤدي اليه (فاهجر) أي اثبت على هجره لانه كان بريئا منه (ولا تمنن تستكثر) بالرفع وهو منصوب المحل على الحال

به

اى لا تعط مستكثرا اى لما تعطيه كثيرا وطالما أكثر ما اعطيت فانك مأمور بأجل الاخلاق واشرف الآداب وهو من من عليه اذا أنعم عليه وقرأ الحسن
تستكثر بالسكون جوابا للنهى (ولربك فاصبر) ولوجه الله فاستعمل الصبر على اوامره ونواهيه وكل مصبور عليه ومصبور عنه (فاذا نقر فى الناقور) نفخ فى
الصور وهى النفخة الاولى وقيل الثانية (فذلك) اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ (يومئذ) مرفوع المحل بدل من ذلك (يوم عسير) خبر كأنه

به وقيل معناه لا تمنن لا تضعف عن الخير تستكثر منه وقيل معناه لا تمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم
استكثارا منك لتلك العطية فان المن يحبط العمل (ولربك فاصبر) أى على طاعته وأوامره ونواهيه
لاجل ثواب الله تعالى وقيل معناه فاصبر لله على ما أوذيت فيه وقيل معناه انك حملت امرا عظيما فيه
محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عز وجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضاء لاجل الله (فاذا
نقر فى الناقور) أى نفخ فى الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل وهى النفخة الاولى وقيل الثانية
وهو الاصح (فذلك يومئذ) يعنى يوم النفخة وهو يوم القيامة (يوم عسير) أى شديد (على
الكافرين) يعنى يعسر عليهم فى ذلك اليوم الامر فيعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم (غير
يسير) اى هين فان قلت ما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت فائدة التكرار التأكيد كقوله أنا
محب لك غير مبغض وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على انه يهون على المؤمنين بخلاف
الكفار فانه عليهم عسير لا يسر فيه ليزداد غيظ الكافرين وبشارة المؤمنين قوله تعالى (ذرنى ومن
خلقت وحيدا) أى خلقته فى بطن امه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل معناه خلقته وحدى لم
يشاركنى فى خلقه احد والمعنى ذرنى واياه فأنا أكفيكه نزلت هذه الآية فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان
يسمى الوحيد فى قومه (وجعلت له مالا ممدودا) أى كثيرا امد بعضه بعضا دائما غير منقطع وقيل ما يمد
بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا فى مبلغه فقيل كان ألف دينار وقيل اربعة آلاف درهم
وقيل ألف ألف وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وعنه كان له بين مكة والطائف ابل وخيل
ونعم وكان له غنم كثيرة وعبيد وجوار وقيل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقيل
كان له بستان بالطائف غلة شهر بشهر (وبنين شهودا) أى حضورا بمكة لا يغيبون عنه لانهم كانوا
أغنياء غير محتاجين الى الغيبة لطلب الكسب وقيل معنى شهودا أى رجالا يشهدون معه المحافل والمجامع
قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس
أسلم منهم ثلاثة نفر خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) أى بسطت له فى العيش وطول العمر
بسطا مع الجاه العريض والرياسة فى قومه وكان الوليد من اكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش (ثم
يطمع) اى يرجو (أن ازيد) أى ازيده مالا وولدا وتمهيدا (كلا) أى لا افعل ولا ازيده قالوا فما زال
الوليد بعد نزول هذه الآية فى نقصان ماله وولده حتى هلك (انه كان لآياتنا عنيدا) أى معاندا
والمعنى انه كان معاندا فى جميع دلائل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة منكرا للكل وقيل كان كفره
كفر عناد وهو انه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه وهو اقبح الكفر وأخشه (سأرهقه صعودا)
يعنى سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصعود عقبة فى النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوى فيها سبعين خريفا
فهو كذلك أبدا أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابى سعيد
الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله سأرهقه صعودا قال هو جبل من نار يكلف ان يصعده
فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت وقال الكلبى الصعود صخرة ملساء فى النار يكلف الكافر ان يصعدها
لا يترك يتنفس فى صعوده يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد
فيصعدها فى اربعين عاما فاذا بلغ ذروتها أحدر الى اسفلها ثم يكلف ان يصعدها يجذب من امامه
ويضرب من خلفه فذلك دأبه أبدا قوله عز وجل (انه فكر وقدر) أى فكر فى الامر الذى يريده ونظر

قيل فيوم النقر يوم عسير والفاء فى فاذا للتسبيب
وفى فذلك للجزاء كأنه قيل اصبر على اذاهم فبين
أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة امرهم وتلقى
عاقبة صبرك عليه والعامل فى فاذا ما دل عليه
الجزاء أى فاذا نقر فى الناقور عسر الامر (على
الكافرين غير يسير) وأكد بقوله غير يسير
ليؤذن بانه يسير على المؤمنين او عسير لا يرجى
ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور
الدنيا (ذرنى ومن خلقت) اى كله الى يعنى
الوليد بن المغيرة وكان يلقب فى قومه بالوحيد
ومن خلقت معطوف او مفعول معه (وحيدا)
حال من الياء فى ذرنى أى ذرنى وحدى معه
فانى اكفيك أمره او من التاء فى خلقت أى
خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد او من
الهاء المحذوفة او من أى خلقته منفردا بلا
أهل ولا مال ثم انعمت عليه (وجعلت له مالا
ممدودا) مبسوطا كثيرا او ممدودا بالنماء وكان
له الزرع والضرع والتجارة وعن مجاهد كان له
مائة ألف دينار وعنه ان له أرضا بالطائف
لا ينقطع ثمرها (وبنين شهودا) حضورا
معه بمكة لغناهم عن السفر وكانوا عشرة اسلم
منهم خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا)
وبسطت له الجاه والرياسة فأتممت عليه نعمتى
الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند
أهل الدنيا (ثم يطمع ان أزيد) استبعاد
واستنكار لطمعه وحرصه فيرجو ان أزيد فى
ماله وولده من غير شكر وقال الحسن ان ازيد أى
ادخله الجنة فأوتيه مالا وولدا كما قال لأوتين
مالا وولدا (كلا) ردع له وقطع لرجائه اى
لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم
فلم يزل بعد نزول الآية فى نقصان من المال
والجاه حتى هلك (انه كان لآياتنا) للقرآن
(عنيدا) معاندا جاحدا وهو تعليل للردع على
وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل

 انه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد (سأرهقه) سأغشيه (صعودا) عقبة شاقة المصعد وفى الحديث الصعود
جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا (انه فكر) تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر والذل بعد الغنى والعز لعناده ويعاقبه فى
الآخرة بأشد العذاب لبلوغه بالعناد غايته وتسميته القرآن سحرا يعنى انه فكر ماذا يقول فى القرآن (وقدر) فى نفسه ما يقول

فيه وتدبره ورتب فى قلبه كلاما وهيأه لذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر أى وقدر ذلك الكلام فى قلبه وذلك ان الله تعالى لما أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله المصير قام النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد يصلى والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبى صلى الله عليه وسلم لاستماعه اعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه من بنى مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجن والله ان له حلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد ولتصبون قريش كلهم فقال ابو جهل أنا اكفيكموه فانطلق حتى جلس الى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالى اراك حزينا يا ابن أخى فقال وما يمنعنى ان لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وانك تدخل على ابن ابى كبشة وابن ابى قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال ألم تعلم قريش انى من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام ثم قام مع ابى جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر فى نفسه ثم قال ماهو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك قوله عز وجل انه فكر أى فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر فى نفسه ماذا يمكنه ان يقول فى محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فقتل كيف قدر) اى عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ (ثم قتل كيف قدر) كرره للتأكيد وقيل معناه لعن على اى حال قدر من الكلام (ثم نظر) اى فى طلب ما يدفع به القرآن ويرده (ثم عبس وبسر) اى كلح وقطب وجهه كالمهتم المتفكر فى شئ يريده (ثم أدبر) اى عن الايمان (واستكبر) اى حين دعى اليه (فقال ان هذا) اى الذى يقوله محمد ويقرأه (الا سحر يؤثر) يروى ويحكى عن السحرة (ان هذا الا قول البشر) يعنى يسارا وجبرا فهو يأثره عنهما قال الله تعالى (سأصليه) اى سأدخله (سقر) هو اسم من اسماء جهنم وقيل آخر دركاتها (وما أدراك ما سقر) اى وما أعلمك أى شئ هى سقر وانما ذكره على سبيل التهويل والتعظيم لامرها (لا تبقى ولا تذر) قيل هما بمعنى كما تقول صد عنى واعرض عنى وقيل لابد من الفرق والا لزم التكرار فقيل معناه لا تبقى احدا من المستحقين للعذاب الا أخذته ثم لا تذر من لحوم أولئك شيئا الا اكلته واهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيا اى لا تبقى من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا واعيدوا وقيل لا تبقى لهم لحما ولا تذر لهم عظما وقيل لكل شئ ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهى لا تبقى عليهم ولا تذرهم (لواحة للبشر) جمع بشرة اى مغيرة للجلد حتى تجعله اسود قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه أشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا (عليها تسعة عشر) أى على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء فى الآثار ان أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصى يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبى احدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث اراد من جهنم وقال عمرو بن دينار ان احدهم يدفع بالدفعة الواحدة فى جهنم اكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم اسمع من ابن ابى كبشة يخبران خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم يعنى الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم ان تبطش بواحد منهم يعنى خزنة جهنم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة بن خلف الجمحى انا اكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهرى وسبعة على بطنى واكفونى انتم اثنين ويروى عنه انه

وهيأه (فقتل) لعن (كيف قدر) تعجيب من تقديره (ثم قتل كيف قدر) كرر للتأكيد وثم يشعر بان الدعاء الثانى ابلغ من الاول (ثم نظر) فى وجوه الناس اوفيما قدر (ثم عبس) قطب وجهه (وبسر) زاد فى التقبض والكلوح (ثم ادبر) عن الحق (واستكبر) عنه اوعن مقامه وفى مقاله وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما وايراد ثم فى المعطوفات لبيان ان بين الافعال المعطوفة تراخيا (فقال ان هذا) ما هذا (الا سحر يؤثر) يروى عن السحرة روى ان الوليد قال لبنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد فقال أبو جهل وهو ابن اخيه انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام الوليد فأتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ماهو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذى يقوله الا سحر يؤثر عن مسيلمة وأهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا متعجبين منه وذكر الفاء دليل على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير تلبث (ان هذا الا قول البشر) ولم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين لان الثانية جرت مجرى التوكيد للاولى (سأصليه) سأدخله بدل من سأرهقه صعودا (سقر) علم لجهنم ولم ينصرف للتعريف والتأنيث (وما أدراك ما سقر) تهويل لشأنها (لا تبقى) أى هى لا تبقى لحما (ولا تذر) عظما أو لا تبقى شيئا يلقى فيها الا أهلكته ولا تذره هالكا بل يعود كما كان (لواحة) خبر مبتدا محذوف أى هى لواحة (للبشر) جمع بشرة وهى ظاهر الجلد أى مسودة للجلود ومحرقة لها (عليها) على سقر (تسعة عشر) أى يلى أمرها تسعة عشر ملكا عند الجمهور وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا

وقيل نقيبا (وما جعلنا أصحاب النار) اى خزنتها (الاملائكة) لانهم خلاف جنس المعذبين فلا تأخذهم الرأفة والرقة لانهم اشد الخلق بأس فللواحد منهم قوة الثقلين (وما جعلنا عدتهم) تسعة عشر (الافتنة) أى ابتلاء واختبارا (للذين كفروا) حتى قال أبو جهل لما نزلت عليها تسعة عشر ما يستطيع كل عشرة منكم ان يأخذوا واحدا منهم وأنتم الدهم فقال أبو الاشد وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فنزلت وما جعلنا أصحاب النار الاملائكة أى وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وقالوا في تخصيص الخزنة بهذا العدد مع انه لا يطلب في الاعداد العلل ان ستة منهم يقودون الكفرة الى النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والآخر خازن جهنم وهو مالك وهو الاكبر وقيل في سقر تسعة عشر دركا وقد سلط على كل درك ملك وقيل يعذب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب وعلى كل لون ملك موكل وقيل ان جهنم تحفظ بما تحفظ به الارض من الجبال وهى تسعة عشر وان كان أصلها مائة وتسعين الا ان غيرها يتشعب عنها (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القرآن ايقنوا انه منزل من الله (ويزداد الذين آمنوا) بمحمد وهو عطف على ليستيقن (ايمانا) لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل او يزدادون يقينا لموافقة كتابهم كتاب أولئك (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) هذا عطف أيضا وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الايمان اذ الاستيقان وازدياد الايمان دالان على انتفاء الارتياب ثم عطف على ليستيقن أيضا (وليقول الذين في قلوبهم مرض) نفاق (والكافرون) المشركون فان قلت النفاق ظهر في المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وهذا اخبار عما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذا لا يخالف كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب لان أهل مكة كان اكثرهم شاكين ومثلا تمييز لهذا أو حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية ولما كان ذكر العدد في غاية الغرابة وان مثله حقيق بان تسير به الركبان سيرها بالامثال سمى مثلا والمعنى أى شئ اراد الله بهذا العدد العجيب وأى معنى أراد في ان جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين وغرضهم انكاره اصلا وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص (كذلك يضل الله من يشاء) الكاف نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى أي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يعنى اضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ما قالوا وهدى المؤمنين لتصديقه ورؤية الحكمة في ذلك يضل الله من يشاء من عباده وهو الذى علم منه اختيار الضلال (ويهدى من يشاء) وهو الذى علم منه اختيار الاهتداء وفيه دليل خلق الافعال ووصف الله بالهداية والاضلال ولما قال أبو جهل لعنه الله اما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر نزل (وما يعلم جنود ربك) لفرط كثرتها (الاهو) فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص

قال انا أمشى بين ايديكم على الصراط فأدفع عشرة بمنكبى الايمن وتسعة بمنكبى الايسر فى النار ونمضى فندخل الجنة فأنزل الله تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الاملائكة) يعنى لا رجالا آدميين فمن ذا يغلب الملائكة وانما جعلهم ملائكة ليكونوا من غير جنس المعذبين واشد منهم لان الجنسية مظنة الرأفة والرحمة (وما جعلنا عدتهم) اى عددهم فى القلة (الافتنة للذين كفروا) اى ضلالة لهم حيث قالوا ما قالوا وقيل فتنتهم هى قولهم لم يكونوا عشرين وما الحكم فى تخصيص هذا العدد وقيل فتنتهم هى قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع من فى النار وأجيب عن قولهم لم يكونوا عشرين بأن افعال الله تعالى لا تعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لامر اقتضته الحكمة وقيل وجه الحكمة فى كونهم تسعة عشر ان هذا العدد يجمع اكثر القليل واقل الكثير ووجه ذلك ان الآحاد اقل الاعداد واكثرها تسعة واقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع اقل الكثير واكثر القليل لهذه الحكمة وما سوى ذلك من الاعداد فكثير لا يدخل تحت الحصر وأجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع اهل النار وذلك بأن الله جل جلاله يعطى هذا القليل من القوة والقدرة ما يقدرون به على ذلك فمن اعترف بكمال قدرة الله وانه على كل شئ قدير وان احوال القيامة على خلاف احوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) يعنى ان هذا العدد مكتوب فى التوراة والانجيل وانهم تسعة عشر (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) يعنى من آمن من اهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان العدد كان موجودا فى كتابهم واخبر به النبى صلى الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علم انما حصل له ذلك بالوحى السماوى فازدادوا بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم (ولا يرتاب) اى ولا يشك (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) يعنى فى عددهم وانما قال ولا يرتاب وان كان الاستيقان يدل على نفى الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفى الشك وذلك ابلغ وآكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كانه قال وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من اهل الكفر والنفاق (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) اى شك ونفاق (والكافرون) اى مشركو مكة فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين فى قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية قلت لانه كان فى علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فأخبر الله عما سيكون وهو كسائر الاخبار بالغيوب فعلى هذا تصير الآية معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين فى قلوبهم مرض اهل مكة لان فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب (ماذا أراد الله بهذا مثلا) يعنى اى شئ اراد الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبعادا له والمعنى اى غرض قصد فى جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين ومرادهم بذلك انكار هذا من اصله وانه ليس من عند الله فلهذا سموه مثلا (كذلك) أى كما اضل من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق به كذلك (يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) لان الله تعالى بيده الهداية والاضلال (وما يعلم جنود ربك الا هو) هذا جواب لابى جهل حين قال أما لمحمد أعوان الا

حكمة لا تعلمونها (وماهي) متصل بوصف سقر وهي ضميرها أي وما سقر وصفتها (الا ذكرى للبشر) أي تذكرة للبشر أو ضمير الآيات التي ذكرت

فيها (كلا) انكار بعد أن جعلها ذكرى ان تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون (والقمر) اقسم به لعظم منافعه (والليل اذ أدبر) نافع وحفص

وحمزة ويعقوب وخلف وغيرهم اذا دبر ودبر بمعنى أدبر ومعناهما ولى وذهب وقيل أدبر ولى ومضى ودبر جاء بعد النهار (والصبح اذا أسفر) اضاء وجواب القسم (انها) ان سقر (لاحدى الكبر) هي جمع الكبرى أي لاحدى البلايا او الدواهي الكبر ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء (نذيرا) تمييز من احدى اي انها لاحدى الدواهي انذارا كقولك هي احدى النساء عفافا وابدل من (للبشر لمن شاء منكم) باعادة الجار (ان يتقدم) الى الخير (او يتأخر) عنه وعن الزجاج الى ما أمر وعما نهي (كل نفس بما كسبت رهينة) هي ليست بتأنيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (الا أصحاب اليمين) أي اطفال المسلمين لانهم لا اعمال لهم يرهنون بها أو الا المسلمين فانهم فكوا رقابهم بالطاعة كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق (في جنات) أي هم في جنات لا يكتنه وصفها (يتساءلون عن المجرمين) يسأل بعضهم بعضا عنهم او يتساءلون غيرهم عنهم (ماسلككم في سقر) ادخلكم فيها ولا يقال لا يطابق قوله ماسلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ماسلككم لان ماسلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون الى السائلين ماجرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الا انه اختصر كما هو نهج القرآن وقيل عن زائدة (قالوا لم نك من المصلين) أي

لم نعتقد فرضيتها (ولم نك نطعم المسكين) كما يطعم المسلمون (وكنا نخوض مع الخائضين) الخوض الشروع في الباطل أي نقول الباطل والزور في آيات الله (وكنا نكذب بيوم الدين) الحساب والجزاء (حتى أتانا اليقين) الموت (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) من الملائكة والنبيين والصالحين لانها للمؤمنين دون الكافرين وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين في الحديث ان من امتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر

تسعة عشر والمعنى ان الخزنة تسعة عشر ولهم اعوان وجنود من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب اهل النار وقيل كما ان مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية (وماهي) يعني النار (الا ذكرى للبشر) اي الا تذكرة وموعظة للناس وقيل ماهي يعني آيات القرآن ومواعظه الا تذكرة للناس يتعظون بها (كلا) اي لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم انه يكفي اصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقا (والقمر والليل اذ أدبر) اي ولى ذاهبا وقيل دبر بمعنى اقبل تقول العرب دبرني فلان اي جاء خلفي فالليل يأتي خلف النهار (والصبح اذا أسفر) أي اضاء وتبين وهذا قسم وجوابه (انها لاحدى الكبر) يعني ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل اراد بالكبر دركات النار وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية (نذيرا للبشر) قيل يحتمل ان يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذير للبشر قال الحسن والله ما أنذر بشئ أدهى من النار وقيل يجوز ان يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى انا لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه يا أيها المدثر قم نذيرا للبشر فأنذر (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) اي يتقدم في الخير والطاعة او يتأخر عنهما فيقع في الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد من آمن او كفر وقد تمسك بهذه الآية من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه وأجيب عنه بأن مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل اضافة المشيئة الى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى والمعنى لمن شاء الله منكم ان يتقدم او يتأخر قوله تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) اي مرتهنة في النار بكسبها ومأخوذة بعملها (الا أصحاب اليمين) فانهم غير مرتهنين بذنوبهم في النار ولكن الله يغفرها لهم وقيل معناه فكوا رقاب أنفسهم بأعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه باداء الحق الذي عليه واختلفوا في اصحاب اليمين من هم فقيل هم المؤمنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين آدم يوم اخذ الميثاق وحين قال الله تعالى لهم هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقيل هم الذين كانوا ميامين اي مباركين على انفسهم وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انهم اطفال المسلمين وهو اشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة (في جنات) أي هم في بساتين (يتساءلون عن المجرمين) أي يتساءلون المجرمين وعن صلة فيقولون لهم (ماسلككم في سقر) وهذا يقوي قول من قال ان اصحاب اليمين هم الاطفال لانهم لم يعرفوا الذنوب التي توجب النار وقيل معناه يسأل بعضهم بعضا عن المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ماسلككم اي يقول المسؤلون للسائلين قلنا للمجرمين ماسلككم اي ادخلكم وقيل ما حبسكم في سقر وهذا سؤال توبيخ وتقريع (قالوا) مجيبين لهم (لم نك من المصلين) اي لله في الدنيا (ولم نك نطعم المسكين) اي لم نتصدق عليه (وكنا نخوض مع الخائضين) أي في الباطل (وكنا نكذب بيوم الدين) أي بيوم الجزاء على الاعمال وهو يوم القيامة (حتى أتانا اليقين) يعني الموت قال الله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار الا أربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الآية وقال عمران بن حصين الشفاعة نافعة لكل احد دون هؤلاء الذين تسمعون روى البغوي بسنده عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف اهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول للرجل منهم يا فلان فيقول ماتريد فيقول اما تذكر رجلا سقاك شربة يوم كذا وكذا قال فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول يا فلان فيقول ماتريد

فيقول

فيقول أما تذكر رجلا وهب لك وضوءا يوم كذا وكذا فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه (فمالهم عن التذكرة معرضين) أى عن مواعظ القرآن (كأنهم حمر) جمع حمار (مستنفرة) قرئ بالكسر أى نافرة وقرئ بالفتح اى منفرة مذعورة محمولة على النفار (فرت من قسورة) قيل القسورة جماعة الرماة لا واحد له من لفظه وهى رواية عن ابن عباس وعنه انها القناص وعنه قال هى حبال الصيادين وقيل معناه فرت من رجال أقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور وقيل القسورة لغط القوم واصواتهم وقيل القسورة شدة سواد ظلمة الليل وقال أبو هريرة هى الاسد وذلك لان الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد هربت فكذلك هؤلاء المشركون اذا سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا منه شبههم بالحمر فى البلادة والبله وذلك انه لا يرى مثل نفار حمر الوحش اذا خاف من شئ (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك رسوله نؤمر فيه باتباعك وقيل ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بنى اسرائيل كان يصبح وعند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك (كلا) أى لا يؤتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات (بل لا يخافون الآخرة) أى لا يخافون عذاب الآخرة والمعنى انهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآية بعد قيام الادلة لانها لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت فى الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة يكون من باب التعنت (كلا) اى حقا (انه تذكرة) يعنى انه عظة عظيمة (فمن شاء ذكره) أى اتعظ به فانما يعود نفع ذلك عليه (وما يذكرون الا أن يشاء الله) أى الا ان يشاء الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أى هو حقيق بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه وهو حقيق بأن يغفر لهم ماسلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو اهل أن تتقى محارمه واهل ان يغفر لمن اتقاه عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية هو اهل التقوى واهل المغفرة قال الله تبارك وتعالى أنا اهل ان أتقى فمن اتقانى فلم يجعل معى الها فأنا أهل ان اغفر له أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده سهيل بن عبد الله القطعى وليس بالقوى فى الحديث وقد تفرد به عن ثابت والله تعالى أعلم بمراده

(تفسير سورة القيامة مكية)

وهى أربعون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا والله أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (لا أقسم بيوم القيامة) اتفقوا على أن المعنى اقسم واختلفوا فى لفظ لا فقيل ادخال لفظة لا على القسم مستفيض فى كلام العرب واشعارهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامرى * لا يدعى القوم انى افر

قالوا وفائدتها تأكيد القسم كقولك لا والله ماذاك كما تقول تريد والله فيجوز حذفها لكنه ابلغ فى الرد مع اثباتها وقيل انها صلة كقول الله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب وفيه ضعف لانها لا تزاد الا فى وسط الكلام لا فى اوله واجيب عنه بأن القرآن فى حكم السورة الواحدة بعضه متصل ببعض يدل عليه انه قد يجئ ذكر الشئ فى سورة ويذكر جوابه فى سورة أخرى كقوله يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه فى سورة ن ما أنت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان أول هذه السورة جاريا مجرى الوسط وفيه ضعف ايضا لان القرآن فى حكم السورة الواحدة فى عدم التناقض لا ان تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز وقيل لا رد لكلام المشركين المنكرين للبعث اى ليس الامر كما زعموا ثم ابتدأ وقال اقسم بيوم

(فمالهم عن التذكرة) عن التذكير وهو العظة أى القرآن (معرضين) مولين حال عن الضمير نحو مالك قائما (كأنهم حمر) أى حمر الوحش حال من الضمير فى معرضين (مستنفرة) شديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها وبفتح الفاء مدنى وشامى أى استنفرها غيرها (فرت من قسورة) حال وقد معها مقدرة والقسورة الرماة او الاسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة شبهوا فى اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمر جدت فى نفارها (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار (كلا) ردع لهم عن تلك الارادة وزجر عن اقتراح الآيات ثم قال (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف (كلا انه تذكرة) ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال ان القرآن تذكرة بليغة كافية (فمن شاء ذكره) أى فمن شاء أن يذكره ولا ينساه فعل فان نفع ذلك عائد اليه (وما يذكرون) وبالتاء نافع ويعقوب (الا ان يشاء الله) الا وقت مشيئة الله او الا بمشيئة الله (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) فى الحديث هو أهل ان يتقى وأهل ان يغفر لمن اتقاه والله أعلم

(سورة القيامة مكية وهى أربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا اقسم بيوم القيامة) أى اقسم عن ابن عباس ولا صلة كقوله لئلا يعلم وقوله

* فى بئر لا حور سرى وما شعر * وكقوله

تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة

وكاد ضمير القلب لا يتقطع

وعليه الجمهور وعن الفراء لا رد لانكار المشركين البعث كأنه قيل ليس الامر كما تزعمون ثم قيل أقسم بيوم القيامة وقيل اصله لاقسم كقراءة ابن كثير على ان اللام للابتداء واقسم خبر

القيامة واقسم بالنفس اللوامة وقيل الوجه فيه ان يقال ان لا هي للنفي والمعنى في ذلك كانه قال لا اقسم
بذلك اليوم ولا بتلك النفس الا اعظاما لهما فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم شأنه وقيل معناه لا اقسم
بهذه الاشياء على اثبات هذا المطلوب فان اثباته اظهر من ان يقسم عليه وروى البغوي في تفسير القيامة
عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة وقيامة احدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفنت قال اما هذا
فقد قامت قيامته وفيه ضعف لاتفاق المفسرين على ان المراد به القيامة الكبرى لسياق الآيات في ذلك
وقوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قيل هي التي تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء وقيل
اللوامة هي التي تندم على ما فات فتقول لو فعلت ولو لم تفعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم
نفسها ان كانت عملت خيرا تقول هلا ازددت وان عملت شرا تقول يا ليتني لم افعل وقال الحسن هي نفس
المؤمن ان المؤمن ما تراه الا يلوم نفسه ما اردت بكلامي ما اردت بأكلي وان الكافر يمضي ولا يحاسب نفسه
ولا يعاتبها وقيل هي النفس الشريفة التي تلوم النفوس العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل
هي النفس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعة وقيل هي النفس الشقية العاصية
يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هي النفس الشقية تلوم نفسها حين تعاين اهوال يوم القيامة
فتقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله فان قلت اي مناسبة بين يوم القيامة وبين النفس اللوامة
حتى جمع بينهما في القسم قلت وجه المناسبة ان في يوم القيامة تظهر أحوال النفوس اللوامة من الشقاوة
والسعادة فلهذا احسن الجمع بينهما في القسم وقيل انما وقع القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها
من حيث انها ابدا تستحقر فعلها واجتهادها في طاعة الله تعالى وقيل انه تعالى اقسم بيوم القيامة
ولم يقسم بالنفس اللوامة كانه قال اقسم بيوم القيامة تعظيما لها ولا اقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها
لان النفس الكافرة والفاجرة لا يقسم بها فان قلت المقسم به هو يوم القيامة والمقسم عليه هو يوم القيامة
فيصير حاصله انه اقسم بيوم القيامة على وقوع القيامة وفيه اشكال قلت ان المحققين قالوا القسم بهذه
الاشياء قسم بربها في الحقيقة فكانه قال اقسم برب القيامة وقيل لله تعالى ان يقسم بما يشاء من خلقه
وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ثم لتحاسبن يدل عليه قوله تعالى (أيحسب الانسان أن لن
نجمع عظامه) وقيل جواب القسم قوله (بلى قادرين على أن نسوي بنانه) ومعنى ايحسب الانسان
ايظن هذا الكافر ان العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطة بالتراب وبعد ما نسفتها الريح
فطيرتها في اباعد الارض ان لن نجمع عظامه اي لا يمكننا جمعها مرة أخرى وكيف خطر بباله هذا
الخاطر الفاسد وما علم ان القادر على الابداء يقدر على الاعادة نزلت هذه الآية في عدي بن ربيعة
حليف بني زهرة وهو ختن الاخنس بن شريق الثقفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني
جاري السوء يعني عديا والاخنس وذلك ان عديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني متى
تكون القيامة وكيف أمرها وحالها فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال عدي بن ربيعة لو عاينت ذلك
اليوم لم اصدقك ولم او من بك او يجمع الله العظام فأنزل الله عز وجل ايحسب الانسان يعني هذا الكافر
أن لن نجمع عظامه يعني بعد التفرق والبلاء فنحييه كما كان أول مرة وقيل ذكر العظام واراد بها نفسه
جميعها لان العظام قالب النفوس ولا يستوي الخلق الا باستوائها وقيل انما خرج على وفق قول هذا
المنكر او يجمع الله العظام بلى قادرين يعني على جمع عظامه وتأليفها واعادتها الى التركيب الاول
والحالة والهيئة الاولى وعلى ما هو اعظم من ذلك وهو ان نسوي بنانه يعني انامله فنجعل اصابع يديه
ورجليه شيئا واحدا كخف البعير او كحافر الحمار فلا يقدر ان يرتفق بهما بالقبض والبسط والاعمال
اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرهما وقيل معناه أظن الكافر ان لن نقدر على جمع عظامه بلى نقدر
على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صغرها الى اماكنها ونؤلف بينها حتى تستوي البنان فمن يقدر
على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها اقدر وهذا القول اقرب الى الصواب وقيل انما خص

البنان

مبتدا محذوف اي لانا اقسم ويقويه انه في الامام
بغير الف ثم اشبع فظهر من الاشباع الف وهذا
الادغام يعضده نون التأكيد في الاغلب وقد
يفارقه (ولا أقسم بالنفس اللوامة) الجمهور على
انه قسم آخر وعن الحسن اقسم بيوم القيامة ولم
يقسم بالنفس اللوامة فهي صفة ذم وعلى القسم
صفة مدح اي النفس المتقية التي تلوم على
التقصير في التقوى وقيل هي نفس آدم لم تزل
تلوم على فعلها التي خرجت به من الجنة وجواب
القسم محذوف اي لتبعثن دليله (أيحسب الانسان)
اي الكافر المنكر للبعث (أن لن نجمع عظامه)
بعد تفرقها ورجوعها رفاتا مختلطا بالتراب
(بلى) أوجبت ما بعد النفي اي بلى نجمعها
(قادرين) حال من الضمير في نجمع اي نجمعها
قادرين على جمعها واعادتها كما كانت (على ان
نسوي بنانه) اصابعه كما كانت في الدنيا بلا
نقصان وتفاوت مع صغرها فكيف بكبار العظام

البنان بالذكر لانه آخر مايتم به الخلق (بل يريد الانسان ليفجر أمامه) اى ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان ماعاش لاينزع عن المعاصى ولايتوب وقال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول سوف أتوب سوف اعمل حتى يأتيه الموت وهو على سوء حاله وشر أعماله وقيل هو طول الامل يقول اعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولايذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما امامه من البعث والحساب وأصل الفجور الميل وسمى الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق (يسأل أيان يوم القيامة) اى متى يكون يوم القيامة والمعنى ان الكافر يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة (فاذا برق البصر) اى شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما يرى من العجائب التى كان يكذب بها فى الدنيا وقيل تبرق أبصار الكفار عند رؤية جهنم وقيل برق اذا فزع وتحير لما يرى من العجائب وقيل برق اى شق عينه وفتحها من البريق وهو التلالؤ (وخسف القمر) اى اظلم وذهب ضوءه (وجمع الشمس والقمر) يعنى اسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما فى ذهاب الضوء وقيل يجمع بينهما فى الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان فى البحر فهناك نار الله الكبرى (يقول الانسان) يعنى الكافر المكذب (يومئذ) اى يوم القيامة (أين المفر) اى المهرب وهو موضع الفرار (كلا) اى لاملجأ لهم يهربون اليه وهو قوله (لاوزر) أى لاحرز ولاملجأ ولاجبل وكانوا اذا فزعوا لجؤا الى الجبل فتحصنوا به فقيل لهم لاجبل لكم يومئذ تتحصنون به وأصل الوزر الجبل المنيع وكل ما التجأت اليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك

الناس آلت علينا ليس فيك لنا * الا السيوف واطراف القنا وزر

ومعنى الآية انه لاشئ يعصمهم من أمر الله تعالى لاحصن ولاجبل يوم القيامة يستندون اليه من النار (الى ربك يومئذ المستقر) يعنى مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود اليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار وقيل الى ربك مستقرهم اى موضع قرارهم من جنة اونار وذلك مفوض الى مشيئته فمن شاء أدخله الجنة برحمته ومن شاء ادخله النار بعدله (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح اوسيئ وما اخر بعد موته من سنة حسنة اوسيئة يعمل بها وعن ابن عباس أيضا بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه وقيل بأول عمله وآخره وهو ماعمله فى اول عمره وفى آخره وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وماأخر من ماله لورثته (بل الانسان على نفسه بصيرة) اى بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهى سمعه وبصره وجوارحه وانما دخلت الهاء فى البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل معناه بل الانسان على نفسه عين بصيرة وفى رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة (ولو ألقى معاذيره) يعنى ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه فانه لاينفعه لانه قد شهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه مايكذب عذره وقيل ان أهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو أرخى الستور وأغلق الابواب ليخفى مايعمل فان نفسه شاهدة عليه وهذا فى حق الكافر لانه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل فى الدنيا (لاتحرك به لسانك لتعجل به) (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل لاتحرك به لسانك لتعجل به قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه قال ابن جبير قال ابن عباس أنا احركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفتيه فحرك شفتيه فأنزل الله عز وجل لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال جمعه فى صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع وأنصت ثم ان علينا ان تقرأه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قرأه النبى صلى الله عليه وسلم كما قرأه وفى رواية كما وعده الله تعالى لفظ الحميدى ورواه البغوى من طريق البخارى وقال فيه كان النبى

(بل يريد الانسان) عطف على أيحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما (ليفجر أمامه) ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (يسأل أيان) متى (يوم القيامة) سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة (فاذا برق البصر) تحير فزعا وبفتح الراء مدنى شخص (وخسف القمر) أى ذهب ضوءه اوغاب من قوله فخسفنا به وقرأ أبو حيوة بضم الخاء (وجمع الشمس والقمر) أى جمع بينهما فى الطلوع من المغرب اوجمعا فى ذهاب الضوء او يجمعان فيقذفان فى البحر فيكون نار الله الكبرى (يقول الانسان) الكافر (يومئذ أين المفر) هو مصدر أى الفرار من النار أو المؤمن ايضا من الهول وقرأ الحسن بكسر الفاء وهو يحتمل المكان والمصدر (كلا) ردع عن طلب المفر (لاوزر) لاملجأ (الى ربك) خاصة (يومئذ المستقر) مستقر العباد او موضع قرارهم من جنة اونار مفوض ذلك لمشيئته من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم) من عمل عمله (وأخر) مالم يعمله خبر (بل الانسان على نفسه بصيرة) شاهد والهاء للمبالغة كعلامة او انثه لانه اراد به جوارحه اذ جوارحه تشهد عليه او هو حجة على نفسه والبصيرة الحجة قال الله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم وتقول لغيرك أنت حجة على نفسك وبصيرة رفع بالابتداء وخبره على نفسه تقدم عليه والجملة خبر الانسان كقولك زيد على رأسه عمامة والبصيرة على هذا يجوز ان يكون الملك الموكل عليه (ولو ألقى معاذيره) ولو ارخى ستوره والمعذار الستر وقيل ولو جاء بكل معذرة ماقبلت منه فعليه من يكذب عذره والمعاذير ليس بجمع معذرة لان جمعها معاذر بل هى اسم جمع لها ونحوه المناكير فى المنكر (لاتحرك به) بالقرآن (لسانك لتعجل به) بالقرآن وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ فى القراءة قبل فراغ جبريل كراهة ان ينفلت منه فقيل له لاتحرك لسانك بقراءة الوحى مادام جبريل يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة ولئلا ينفلت منك ثم علل النهى عن العجلة

صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحى كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فأنزل الله عز وجل الآية التى فى لا اقسم بيوم القيامة لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال ان علينا ان نجمعه فى صدرك وتقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاذا أنزلناه فاستمع ثم ان علينا بيانه علينا ان نبينه بلسانك قال فكان اذا أتاه جبريل اطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى وفى رواية كان يحرك شفتيه اذا انزل عليه يخشى ان ينفلت منه فقيل له لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه أى نجمعه فى صدرك وقرآنه اى تقرأه ومعنى الآية لاتحرك بالقرآن لسانك وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه لتعجل به اى بأخذه (ان علينا جمعه وقرآنه) اى وقراءته علينا والمعنى سنقرئك يا محمد بحيث تصير لا تنساه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) اى لاتكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحى اليك فاذا فرغ جبريل من القراءة فخذ أنت فيها واجعل قراءة جبريل قراءة لانه بأمره نزل بالوحى ونظيره من يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله وحرامه والقول الاول أولى لان هذا ليس موضع الامر باتباع حلاله وحرامه وانما هو موضع الامر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا نزل عليه جبريل بالوحى اصغى اليه فاذا فرغ من قراءته وعاه النبى صلى الله عليه وسلم وحفظه (ثم ان علينا بيانه) اى ان نبينه بلسانك فتقرأه كما أقرأك جبريل وقيل اذا اشكل شئ من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والحلال والحرام وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اشكل عليه شئ سأل جبريل عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك قوله تعالى (كلا) اى حقا (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) اى تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها يخاطب كفار مكة (وجوه يومئذ) يعنى يوم القيامة (ناضرة) من النضارة وهى الحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نور وبهاء وقيل مشرقة بالنعيم (الى ربها ناظرة) قال ابن عباس وأكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق ان تنضر وهى تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروى عن مجاهد وابى صالح انهما فسرا النظر فى هذه الآية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها ما أمر لها به وقال ابو صالح تنتظر الثواب من ربها قال الازهرى ومن قال ان معنى قوله الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد أخطأ لان العرب لاتقول نظرت الى الشئ بمعنى انتظرته انما تقول نظرت فلانا اى انتظرته ومنه قول الحطيئة

وقد نظرتكم اعشاء صادرة * للورد طال بها حوزى وتنساسى

فاذا قلت نظرت اليه لم يكن الا بالعين واذا قلت نظرت فى الامر احتمل ان يكون تفكر فيه وتدبر بالقلب وهذا آخر كلامه ويشهد لصحة هذا ان النظر الوارد فى التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل فى موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا تأويله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدى بالى لم يحتمل غير الرؤية واما قوله انظر الى الله ثم اليك على معنى اتوقع فضل الله ثم فضلك فيكون النظر الى الوجه فلم يحمل النظر بمعنى نظر القلب انما يجوز هذا اذا لم يسند الى الوجه واذا اسند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار واذا بطل المعنيان لم يبق للرؤية كلام وان شق ذلك عليهم والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر فى هذه الآية بالرؤية وسنذكرها ان شاء الله تعالى

(فصل فى اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى فى الآخرة) قال علماء أهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا فأجمعوا على وقوعها فى الآخرة وان المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طوائف من أهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذى قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة

بقوله (ان علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) واثبات قراءته فى لسانك والقرآن القراءة ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه (فاذا قرأناه) اى قرأه عليك جبريل فجعل قراءة جبريل قراءته (فاتبع قرآنه) اى قراءته عليك (ثم ان علينا بيانه) اذا أشكل عليك شئ من معانيه (كلا) ردع عن انكار البعث اوردع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العجلة وانكار لها عليه وأكده بقوله (بل تحبون العاجلة) كانه قيل بل أنتم يا بنى آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون فى كل شئ ومن ثم تحبون العاجلة الدنيا وشهواتها (وتذرون الآخرة) الدار الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها والقراءة فيهما بالتاء مدنى وكوفى (وجوه) هى وجوه المؤمنين (يومئذ ناضرة) حسنة ناعمة (الى ربها ناظرة) بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة وحمل النظر على الانتظار لأمر ربها أو لثوابه لا يصح لانه يقال نظرت فيه اى تفكرت ونظرته انتظرته ولا يعدى بالى الا بمعنى الرؤية مع انه

واجماع

واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها اجوبة مشهورة فى كتب المتكلمين من أهل السنة وكذلك باقى شبههم واجوبتها مشهورة مستفاضة فى كتب الكلام وليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب أهل الحق ان الرؤية قوة يجعلها الله فى خلقه ولا يشترط فيها اتصال ولا سعة ولا مقابلة المرئى ولا غير ذلك واما الاحاديث الواردة فى اثبات الرؤية فمنها ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة أخرجه الترمذى وقال هذا حديث غريب وقال وقد روى عن ابن عمر ولم يرفعه (ق) عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قوله لا تضامون روى بفتح التاء وتشديد الميم وقد تضم التاء مع التشديد أيضا ومعناه لا ينضم بعضكم الى بعض ولا تزدحمون وقت النظر اليه وروى بتخفيف الميم ومعناه لا ينال منكم ضيم فى رؤيته فيراه بعضكم دون بعض وقوله انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الرؤية بالرؤية فى الوضوح وزوال الشك والمشقة لا تشبيه المرئى بالمرئى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان اناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون فى القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم سترونه كذلك أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذى وليس عنده فى اوله ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قوله ليس دونها سحاب قال الترمذى وقد روى هذا الحديث عن أبى سعيد وهو صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل أخرجه البخارى ومسلم ومعنى تضارون وتضامون واحد عن أبى رزين العقيلى قال قلت يا رسول الله اكلنا نرى ربنا مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك فى خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم رأى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعنى القمر فان الله أجل واعظم اخرجه ابو داود (م) عن صهيب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى والاحاديث فى الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله أعلم قوله عز وجل (ووجوه يومئذ باسرة) اى عابسة كالحة متغيرة مسودة قد أظلمت الوانها وعدمت آثار النعمة والسرور منها لما أدركها من اليأس من رحمة الله تعالى وذلك حين يميز بين أهل الجنة والنار (تظن) تستيقن والظن هنا بمعنى اليقين (ان يفعل بها فاقرة) ان يفعل بها امر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد الذى يكسر فقار الظهر ويقصمه وقيل الفاقرة دخول النار وقيل هى ان تحجب تلك الوجوه عن رؤية الله تعالى (كلا) أى حقا (اذا بلغت) يعنى النفس كناية عن غير مذكور (التراقى) جمع ترقوة وهى العظام التى بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقى عن الاشراف على الموت ومنه قول زيد بن الصمة

ورب عظيمة دافعت عنها * وقد بلغت نفوسهم التراقى

(وقيل) يعنى وقال من حضره (من راق) أى هل من طبيب يرقيه ويداويه مما نزل به ويشفيه ويخلصه من ذلك برقيته ودوائه قيل لما نزل به من قضاء الله ما نزل التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا وقيل هذا من قول الملائكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض من

لا يليق الا الانتظار فى دار القرار (ووجوه يومئذ باسرة) كالحة شديدة العبوسة وهى وجوه الكفار (تظن) تتوقع (أن يفعل بها) فعل هو فى شدته (فاقرة) داهية تقصم فقار الظهر (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الآجلة التى تبقون فيها مخلدين (اذا بلغت) اى الروح وجاز وان لم يجر لها ذكر لان الآية تدل عليها (التراقى) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال جمع ترقوة (وقيل من راق) يقف حفص على من وقفة اى قال حاضروا المحتضر بعضهم لبعض أيكم يرقيه مما به من الرقية من حد ضرب أو هو من كلام الملائكة ايكم يرقى بروحه املائكة الرحمة أم ملائكة

يرقى بروحه اذا خرجت فيصعد بها ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب (وظن) أى ايقن الذى بلغت روحه التراقى (انه الفراق) يعنى الخروج من الدنيا وفراق المال والاهل والولد (والتفت) اى اجتمعت (الساق بالساق) اى الشدة بالشدة يعنى شدة مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكربه وقيل شدة الموت بشدة الآخرة وقيل تتابعت عليه الشدائد لا يخرج من كرب الا جاءه ما هو أشد منه وقال ابن عباس أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وقيل الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقيل هما ساقا الميت اذا التفتا فى الكفن وقيل هما ساقاه عند الموت الا تراه كيف يضرب باحدى رجليه على الاخرى عند النزع وقيل اذا مات يبست ساقاه فالتفت احداهما بالاخرى (الى ربك يومئذ المساق) أى مرجع العباد الى الله تعالى يساقون اليه يوم القيامة ليفصل بينهم قوله تعالى (فلا صدق ولا صلى) يعنى أبا جهل لم يصدق بالقرآن ولم يصل لله تعالى (ولكن كذب وتولى) أى اعرض عن الايمان والتصديق (ثم ذهب الى أهله يتمطى) أى يتبختر ويختال فى مشيته وقيل أصله يتمطط أى يتمدد من المط وقيل من المطا وهو الظهر لانه يلويه (أولى لك فأولى) هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لابى جهل وهى كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه ويل لك مرة بعد مرة وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكرهه وقيل معناه انك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستوجبه قال قتادة ذكر لنا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبى جهل بالبطحاء وقال له أولى لك فأولى (ثم أولى لك فأولى) فقال ابو جهل اتوعدنى يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك ان تفعلا بى شيئا وانى لاعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر صرعة وقتله اشد قتلة وكان نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة ابو جهل (أيحسب الانسان أن يترك سدى) اى هملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف فى الدنيا ولا يحاسب فى الآخرة (ألم يك نطفة) اى ماء قليلا (من منى يمنى) اى يصب فى الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شئ قذر مستقذر ان يتكبر ويتمرد عن الطاعة (ثم كان علقة) اى صار الانسان علقة بعد النطفة (فخلق فسوى) اى فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل أعضاءه (فجعل منه) اى من الانسان (الزوجين) اى الصنفين ثم فسرهما فقال (الذكر والانثى) اى خلق من مائه أولادا ذكورا واناثا (أليس ذلك) اى الذى فعل هذا وأنشأ الاشياء أول مرة (بقادر على ان يحيى الموتى) اى بقادر على اعادته بعد الموت عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى فليقل بلى ومن قرأ المرسلات فبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله أخرجه ابو داود وله عن موسى بن ابى عائشة قال كان رجل يصلى فوق بيته فكان اذا قرأ أليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى قال سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة هل أتى وتسمى سورة الانسان أيضا وهى مدنية)

كذا قال مجاهد وقتادة والجمهور وقيل مكية يحكى ذلك عن ابن عباس وعطاء بن يسار ومقاتل وقيل فيها مكى ومدنى فالمكى منها قوله ولا تطع منهم آثما أو كفورا وباقيها مدنى قاله الحسن وعكرمة وقيل ان المدنى من أولها الى قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ومن هذه الآية الى آخرها مكى حكاه الماوردى وهى احدى وثلاثون آية ومائتان وأربعون كلمة وألف واربعة وخمسون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

العذاب من الرقى من حد علم (وظن) أيقن المحتضر (انه الفراق) ان هذا الذى نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة (والتفت الساق بالساق) التوت ساقاه عند موته وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان فى اكفانه وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على ان الساق مثل فى الشدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما همان هم الاهل والولد وهم القدوم على الواحد الصمد (الى ربك يومئذ المساق) هو مصدر ساقه اى مساق العباد الى حيث امر الله اما الى الجنة او الى النار (فلا صدق) بالرسول والقرآن (ولا صلى) الانسان فى قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه (ولكن كذب) بالقرآن (وتولى) عن الايمان أو فلا صدق ماله يعنى فلا زكاه (ثم ذهب الى أهله يتمطى) يتبختر واصله يتمطط اى يتمدد لان المتبختر يمد خطاه فأبدلت الطاء ياء لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة (أولى لك) بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره (فأولى ثم أولى لك فأولى) كرر للتأكيد كانه قال ويل لك فويل لك ثم ويل لك فويل لك وقيل ويل لك يوم الموت وويل لك فى القبر وويل لك حين البعث وويل لك فى النار (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أيحسب الكافر ان يترك مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يجازى (ألم يك نطفة من منى يمنى) بالياء ابن عامر وحفص اى يراق المنى فى الرحم وبالتاء يعود الى النطفة (ثم كان علقة) أى صار المنى قطعة دم جامد بعد اربعين يوما (فخلق فسوى) فخلق الله منه بشرا سويا (فجعل منه) من الانسان (الزوجين الذكر والانثى) أى من المنى الصنفين (أليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى) أليس الفعال لهذه الاشياء بقادر على الاعادة وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرأها يقول سبحانك بلى والله أعلم

سورة الانسان مكية وهى احدى وثلاثون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (هل أتى) اى قد أتى (على الانسان) يعنى آدم عليه الصلاة والسلام (حين من الدهر) يعنى مدة أربعين سنة وهو من طين ملقى (م) عن أنس رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله آدم فى الجنة تركه ماشاء الله أن يتركه فجعل ابليس يطوف به وينظر اليه فلما رآه أجوف علم انه خلق لا يتمالك قوله يطوف به اى يدور حوله فلما رآه أجوف اى صاحب جوف وقيل هو الذى داخله خال وقوله عرف انه خلق لا يتمالك اى لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب وروى فى تفسير الآية ان آدم بقى أربعين سنة طينا وأربعين سنة حمأ مسنونا وأربعين سنة صلصالا كالفخار فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة (لم يكن شيئا مذكورا) أى لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك قبل ان ينفخ فيه الروح كان شيئا ولم يكن شيئا يذكر روى عن عمر انه سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيئا مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعنى ليته بقى على ما كان عليه ويروى نحوه عن أبى بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان جنس الانسان وهو بنو آدم بدليل قوله (انا خلقنا الانسان) فالانسان فى الموضعين واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر غير مقدرة لم يكن شيئا مذكورا يعنى انهم كانوا نطفا فى الاصلاب ثم علقا ومضغا فى الارحام لم يذكروا بشئ انا خلقنا الانسان يعنى ولد آدم (من نطفة) أى من منى الرجل ومنى المرأة (أمشاج) اى اخلاط قال ابن عباس وغيره يعنى ماء الرجل وماء المرأة يختلطان فى الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقيل الامشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وكل لونين اختلطا فهو امشاج وقال ابن مسعود هى العروق التى تكون فى النطفة وقيل هى نطفة مشجت أى خلطت بدم الحيض فاذا حبلت المرأة ارتفع دم الحيض وقيل الامشاج أطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر وقيل ان الله تعالى جعل فى النطفة اخلاطا من الطبائع التى تكون فى الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات أمشاج (نبتليه) اى لنختبره بالامر والنهى (فجعلناه سميعا بصيرا) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة وقيل معناه انا خلقنا الانسان من هذه الامشاج للابتلاء والامتحان ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر وهما كنايتان عن الفهم والتمييز وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس وأشرفها (انا هديناه السبيل) أى بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل معناه أرشدناه الى الهدى لانه لا يطلق اسم السبيل الا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلائل وبعثة الرسل وانزال الكتب (اما شاكرا واما كفورا) يعنى اما موحدا طائعا واما مشركا بالله فى علم الله وذلك ان الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الانسان من كفره وطاعته من معصيته وقيل فى معنى الآية اما مؤمنا سعيدا واما كافرا شقيا وقيل معناه الجزاء أى بينا له الطريق ان شكر أو كفر وقيل المراد من الشاكر الذى يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذى لا يقر بوجوب الشكر عليه ثم بين ما للفريقين فوعد الشاكر وأوعد الكافر فقال تعالى (انا اعتدنا) اى هيأنا فى جهنم (للكافرين سلاسل) أى يشدون بها (وأغلالا) اى فى ايديهم تغل بها الى أعناقهم (وسعيرا) يعنى وقودا لا توصف شدته وهذا من أعظم أنواع الترهيب والتخويف ثم ذكر ما اعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى (ان الابرار) يعنى المؤمنين الصادقين فى ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار وبر وأصله التوسع فمعنى البر المتوسع فى الطاعة (يشربون من كأس) يعنى فيها شراب (كان مزاجها كافورا) قيل يمزج لهم شرابهم بالكافور ويختم بالمسك فان قلت ان

(هل أتى) قد مضى (على الانسان) آدم عليه السلام (حين من الدهر) اربعون سنة مصورا قبل نفخ الروح فيه (لم يكن شيئا مذكورا) لم يذكر اسمه ولم يدر ما يراد به لانه كان طينا يمر به الزمان ولو كان غير موجود لم يوصف بانه قد أتى عليه حين من الدهر ويحتمل لم يكن شيئا مذكورا النصب على الحال من الانسان أى أتى عليه حين من الدهر غير مذكور وقيل الاول ولد آدم وقيل (انا خلقنا الانسان) أى ولد آدم أيضا وحين من الدهر على هذا مدة لبثه فى بطن أمه الى ان صار شيئا مذكورا بين الناس (من نطفة أمشاج) نعتا وبدل منها اى من نطفة قد امتزج فيها الماآن ومشجت ومزجته بمعنى ونطفة امشاج كبرمة اعشار فهو مفرد غير جمع ولذا وقع صفة للمفرد (نبتليه) حال اى خلقناه مبتلين اى مريدين ابتلاءه بالامر والنهى (فجعلناه سميعا بصيرا) ذا سمع وبصر (انا هديناه السبيل) بيناله طريق الهدى بأدلة العقل والسمع (اما شاكرا) مؤمنا (واما كفورا) كافرا حال من الهاء فى هديناه اى ان شكر او كفر فقد هديناه السبيل فى الحالين او من السبيل أى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز ولما ذكر الفريقين اتبعهما ما اعد لهما فقال (انا أعتدنا للكافرين سلاسل) جمع سلسلة بغير تنوين حفص ومكى وأبو عمرو وحمزة وبه لينا سبا أغلالا وسعيرا الاخفش وصرف غير المنصرف للتناسب غيرهم (وأغلالا) جمع غل (وسعيرا) نارا موقدة وقال (ان الابرار) جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وهم الصادقون فى الايمان او الذين لا يؤذون الذر ولا يضمرون الشر (يشربون من كأس) خمر فنفس الخمر تسمى كأسا وقيل الكأس الزجاجة اذا كان فيها خمر (كان مزاجها) ما تمزج به (كافورا) ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض

الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به قلت قال أهل المعاني اراد بالكافور بياضه
وطيب ريحه وبرده لان الكافور لا يشرب وقال ابن عباس هو اسم عين في الجنة والمعنى ان ذلك الشراب
يمازجه ماء شراب هذه العين التي تسمى كافورا ولا يكون في ذلك ضرر لان أهل الجنة لا يمسهم ضرر فيما
يأكلون ويشربون وقيل هو كافور لذيذ الطعم ليس فيه مضرة وليس ككافور الدنيا ولكن الله سمى
ما عنده بما عندكم يمتزج شرابهم بذلك الكافور والمسك والزنجبيل (عينا) بدلا من الكافور وقيل أعني
عينا (يشرب بها) أي يشرب منها (عباد الله) قال ابن عباس أولياء الله (يفجرونها تفجيرا) أي
يقودونها الى حيث شاؤا من منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم قوله تعالى (يوفون بالنذر)
لما وصف الله تعالى ثواب الابرار في الآخرة وصف أعمالهم في الدنيا حتى يستوجبوا هذا الثواب
والمعنى كانوا في الدنيا يوفون بالنذر والنذر الايجاب والمعنى يوفون بما فرض الله عليهم فيدخل فيه
جميع الطاعات من الايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغير ذلك من الواجبات وقيل النذر في
عرف الشرع واللغة ان يوجب الرجل على نفسه شيئا ليس بواجب عليه وذلك بأن يقول لله على كذا
وكذا من صدقة أو صلاة أو صوم أو حج أو عمرة يعلق ذلك بأمر يلتمسه من الله وذلك بأن يقول ان شفى
الله مريضي او قدم غائبي كان لله على كذا ولو نذر في معصية لا يجب الوفاء به (خ) عن عائشة رضي
الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليف بنذره
ومن نذر ان يعصي الله فلا يف به وفي رواية فليطعه ولا يعصه وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين أخرجه الترمذي وابو داود والنسائي (ق) عن ابن
عباس قال استفتى سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نذر كان على أمه فتوفيت قبل ان
تقضيه فأمره ان يقضيه عنها أخرجه الجماعة وفي الآية دليل على وجوب الوفاء بالنذر وهذا مبالغة في
وصفهم بأداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه على نفسه كان لما أوجبه الله عليه اوفى (ويخافون
يوما كان شره مستطيرا) أي منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه في أهل السموات وأهل الارض
وفي أولياء الله وأعدائه وقيل فشا شره في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة
وكورت الشمس والقمر وفي الارض فتشققت الجبال وغارت المياه وكسر كل شيء على الارض من جبل وبناء
والمعنى انهم يوفون بالنذر وهم خائفون من شر ذلك اليوم وهوله وشدته قوله عز وجل (ويطعمون الطعام
على حبه) أي حب الطعام وقلته وشهوتهم له والحاجة اليه فوصفهم الله تعالى بأنهم يؤثرون غيرهم
على أنفسهم بالطعام ويواسون به أهل الحاجة وذلك لان اشرف أنواع الاحسان والبر اطعام الطعام
لان به قوام الابدان وقيل على حب الله عز وجل أي لحب الله (مسكينا) يعني فقيرا وهو الذي لا مال له
ولا يقدر على الكسب (ويتيما) أي صغيرا وهو الذي لا أب له يكتسب له وينفق عليه (وأسيرا)
قيل هو المسجون من أهل القبلة يعني من المسلمين وقيل الاسير هو من أهل الشرك أمر الله بالاسرى ان
يحسن اليهم وان اسراهم يومئذ أهل الشرك فعلى هذا الوجه يجوز اطعام الاسرى وان كانوا على غير ديننا
وانه يرجى ثوابه ولا يجوز ان يعطوا من الصدقة الواجبة كالزكاة والكفارة وقيل الاسير المملوك وقيل الاسير
المرأة لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانهن عندكم عوان يعني اسرى وقيل غريمك اسيرك
فأحسن الى اسيرك واختلفوا في سبب نزول الآية فقيل نزلت في رجل من الانصار يقال له ابو الدحداح
صام يوما فلما كان وقت الافطار جاءه مسكين ويتيم وأسير فأطعمهم ثلاثة ارغفة وبقي له ولاهله رغيف
واحد فنزلت هذه الآية فيه وروى عن ابن عباس انها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه
وذلك انه عمل ليهودي بشيء من شعير فقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلثه وأصلحوا منه شيئا ليأكلونه
فلما فرغ أتى مسكين فسأل فأعطوه ذلك ثم عمل الثلث الثاني فلما فرغ أتى يتيم فسأل فأعطوه ذلك ثم
عمل الثلث الباقي فلما تم نضجه أتى اسير من المشركين فسأل فأعطوه ذلك وطووا يومهم وليلتهم فنزلت

قوله أي يقودونها الى حيث شاؤا من منازلهم ليس بظاهر وكأنه سرى له من تعبير المفسرين يفجرونها ففهم انه مفتوح الاول مشدد الثالث فعبر بمعناه اهـ مصححه

هذه الآية وقيل الآية عامة فى كل من أطعم المسكين واليتيم والاسير لله تعالى وآثر على نفسه (انما نطعمكم لوجه الله) أى لاجل وجه الله تعالى (لانريد منكم جزاء ولاشكورا) قيل انهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فأثنى به عليهم وقيل قالوا ذلك منعا للمحتاجين من المكافأة وقيل قالوا ذلك ليقتدى بهم غيرهم فى ذلك وذلك ان الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله تعالى لا يراد به غيره فهذا هو الاخلاص وتارة يكون لطلب المكافأة أو لطلب الحمد من الناس أولهما وهذان القسمان مردودان لا يقبلهما الله تعالى لان فيهما شركا ورياء فنفوا ذلك عنهم بقولهم انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولاشكورا (انا نخاف من ربنا يوما) يعنى ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافأتكم (عبوسا) وصف ذلك اليوم بالعبوس مجازا كما يقال نهاره صائم والمراد أهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة (قمطريرا) يعنى شديدا كريها يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقيل العبوس الذى لا انبساط فيه والقمطرير الشديد وقيل هو أشد ما يكون من الايام وأطوله فى البلاء (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أى الذى يخافونه (ولقاهم نضرة) أى حسنا فى وجوههم (وسرورا) أى فى قلوبهم (وجزاهم بما صبروا) أى على طاعة الله واجتناب معصيته وقيل على الفقر والجوع مع الوفاء بالنذر والايثار (جنة وحريرا) أى ادخلهم الجنة وألبسهم الحرير (متكئين فيها) اى فى الجنة (على الارائك) جمع اريكة وهى السرر فى الحجال ولا تسمى اريكة الا اذا اجتمعا (لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا) يعنى لا يؤذيهم حر الشمس ولا برد الزمهرير كما كان يؤذيهم فى الدنيا والزمهرير أشد البرد وحكى الزمخشرى قولا ان الزمهرير هو القمر وعن ثعلب انه فى لغة طيء وأنشد

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

والمعنى ان الجنة ضياء لا يحتاج فيها الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) أى قريبة منهم ظلال اشجارها (وذللت) أى سخرت وقربت (قطوفها) أى ثمارها (تذليلا) أى يأكلون من ثمارها قياما وقعودا ومضطجعين ويتناولونها كيف شاؤا على أى حال أرادوا (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) قيل هى الكيزان التى لا عرى لها كالقدح ونحوه (كانت قواريرا قوارير من فضة) قال أهل التفسير اراد بياض الفضة فى صفاء القوارير وهو الزجاج والمعنى أن آنية أهل الجنة من فضة بيضاء كالزجاج والمعنى يرى ما فى باطنها من ظاهرها قال الكلبى ان الله تبارك وتعالى جعل قوارير كل قوم من تراب أرضهم وان أرض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون فيها وقيل ان القوارير التى فى الدنيا من الرمل والقوارير التى فى الجنة من الفضة ولكنها أصفى من الزجاج (قدروها تقديرا) أى قدروا الكؤس على قدر ريهم وكفايتهم لا تزيد ولا تنقص والمعنى ان السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها ثم يسقونهم (ويسقون فيها) أى فى الجنة (كأسا كان مزاجها زنجبيلا)

مملوكا وغيره ثم عاتوا واطعامهم فقالوا (انما نطعمكم لوجه الله) أى لطلب ثوابه او هو بيان من الله عز وجل عما فى ضمائرهم لان الله تعالى علمه منهم فأثنى عليهم وان لم يقولوا شيئا (لانريد منكم جزاء) هدية على ذلك (ولاشكورا) ثناء وهو مصدر كالشكر (انا نخاف من ربنا) أى انا لانريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة أو انا نخاف من ربنا فنتصدق لوجهه حتى نأمن من ذلك الخوف (يوما عبوسا قمطريرا) وصف اليوم بصفة اهله من الاشقياء نحو نهارك صائم والقمطرير الشديد العبوس الذى يجمع ما بين عينيه (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) صانهم من شدائده (ولقاهم) اعطاهم بدل عبوس الفجار (نضرة) حسنا فى الوجوه (وسرورا) فرحا فى القلوب (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على الايثار نزلت فى على وفاطمة وفضة جارية لهما لما مرض الحسن والحسين رضى الله عنهما نذروا صوم ثلاثة ايام فاستقرض على رضى الله عنه من يهودى ثلاثة اصوع من الشعير فطحنت فاطمة رضى الله عنها كل يوم صاعا وخبزت فآثروا بذلك ثلاث عشايا على انفسهم مسكينا ويتيما واسيرا ولم يذوقوا الا الماء فى وقت الافطار (جنة) بستانا فيه مأكل هنيء (وحريرا) ملبسا بهيا (متكئين) حال من هم فى جزاهم (فيها) فى الجنة (على الارائك) الاسرة جمع الاريكة (لايرون) حال من الضمير المرفوع فى متكئين غير رائين (فيها) فى الجنة (شمسا ولا زمهريرا) لانه لاشمس فيها ولا زمهرير فظلها دائم وهواؤها معتدل لا حر شمس يحمى ولا شدة برد يؤذى وفى الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر فالزمهرير البرد الشديد وقيل القمر أى الجنة مضيئة لا يحتاج فيها الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) قريبة منهم ظلال اشجارها عطفت على جنة أى وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها كانهم وعدوا جنتين لانهم وصفوا بالخوف بقوله انا نخاف من ربنا وان خاف مقام ربه جنتان (وذللت) سخرت للقائم والقاعد والمتكئ وهو حال من دانية أى تدنو ظلالها عليهم فى حال تذليل قطوفها عليهم او معطوفة عليها أى ودانية عليهم ظلالها ومذللة (قطوفها) ثمارها جمع قطف (تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة) أى يدير عليهم خدمهم كؤس الشراب والآنية جمع اناء وهو وعاء الماء (وأكواب) أى من فضة جمع كوب وهو ابريق لا عروة له (كانت قوارير) كان

تامة أى كونت فكانت قوارير بتكوين الله نصب على الحال (قوارير من فضة) أى مخلوقة من فضة فهى جامعة لبياض الفضة وحسنها وصفاء القوارير وشفيفها حيث يرى ما فيها من الشراب من خارجها قال ابن عباس رضى الله عنهما قوارير كل أرض من تربتها وأرض الجنة فضة قرأ نافع والكسائى وعاصم فى رواية أبى بكر بالتنوين فيهما وحمزة وابن عامر وابو عمرو وحفص بغير تنوين فيهما وابن كثير بتنوين الاول والتنوين فى الاول لتناسب الآى المتقدمة والمتأخرة وفى الثانى لاتباعه الاول والوقف على الاول قد قيل ولا يوثق به لان الثانى بدل من الاول (قدروها تقديرا) صفة لقوارير من فضة أى اهل الجنة قدروها على اشكال مخصوصة فجاءت كما قدروها تكرمة لهم او السقاة جعلوها على قدر رى شاربها فهى ألذ لهم وأخف عليهم وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض (ويسقون) أى الابرار (فيها) فى الجنة (كأسا) خمرا (كان مزاجها زنجبيلا

عينا) بدل من زنجبيلا (فيها) في الجنة (تسمى) تلك العين (سلسبيلا) سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه وسلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها قال ابو عبيدة ماء سلسبيل أي عذب طيب (ويطوف عليهم ولدان) غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين أو ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدما لاهل الجنة (مخلدون) لا يموتون (اذا رأيتهم حسبتهم) لحسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم (لؤلؤا منثورا) وتخصيص المنثور لانه ازين في النظر من المنظوم (واذا رأيت ثم) ظرف أي في الجنة وليس لرأيت مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع في كل مرئي تقديره واذا اكتسبت الرؤية في الجنة (رأيت نعيما) كثيرا (وملكا كبيرا) واسعا روي ان أدنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى اقصاه كما يرى أدناه وقيل ملك لا يعقبه هلك او لهم فيها ما يشاؤن او تسلم عليهم الملائكة ويستأذنون في الدخول عليهم (عاليهم) بالنصب على انه حال من الضمير في يطوف عليهم أي يطوف عليهم ولدان عاليا للطوف عليهم ثياب وبالسكون مدني وحمزة على انه مبتدأ خبره (ثياب سندس) أي ما يعلوهم من ملابسهم ثياب سندس رقيق الديباج (خضر) جمع اخضر (واستبرق) غليظ برفعهما حملا على الثياب نافع وحفص وبجرهما حمزة وعلي حملا على سندس وبرفع الاول وجر الثاني او عكسه غيرهم (وحلوا) عطف على ويطوف (أساور من فضة) وفي سورة الملائكة يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا قال ابن المسيب لا احد من اهل الجنة الا وفي يده ثلاثة اسورة واحدة من فضة واخرى من ذهب واخرى من لؤلؤ (وسقاهم ربهم) اضيف اليه تعالى للتشريف والتخصيص وقيل ان الملائكة يعرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم ويقولون لقد طال اخذنا من الوسائط فاذا هم بكاسات تلاقي أفواههم بغير اكف من غيب الى عبد (شرابا طهورا) ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل ولا تكليف ثم او لانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة يقال لاهل الجنة (ان هذا) النعيم (كان لكم جزاء) لاعمالكم (وكان سعيكم مشكورا) محمودا مقبولا مرضيا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم والاسير لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) في تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تأكيد على تأكيد بمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليستقر في نفس النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله مفرقا الا حكمة وصوابا ومن الحكمة الامر بالمصابرة (فاصبر لحكم ربك) عليك بتبليغ الرسالة واحتمال الاذية وتأخير نصرتك على أعدائك من أهل

قيل ان الزنجبيل هو اسم للعين التي يشرب منها الابرار يوجد منها طعم الزنجبيل يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة جميعهم وقيل هو النبت المعروف والعرب كانوا يجعلون الزنجبيل في شرابهم لانه يحصل فيه ضرب من اللذع قال الاعشى

كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا

الاري العسل والمشور المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب بن علس

وكأن طعم الزنجبيل به * اذا ذقته وسلافة الخمر

فلما كان الزنجبيل مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب أهل الجنة بذلك وقيل ان شراب أهل الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال ابن عباس كل ما ذكر الله تعالى في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له مثل في الدنيا وذلك لان زنجبيل الجنة لا يشبه زنجبيل الدنيا (عينا فيها تسمى سلسبيلا) أي سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤا وقيل حديدة الجرية سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في طرقهم ومنازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن الى سائر الجنان وقيل سميت بذلك لانها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق ومعنى تسمى أي توصف لان أكثر العلماء على ان سلسبيلا صفة لا اسم (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) أي في الخدمة وقيل يخلدون أي مقرطون (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) يعني في بياض اللؤلؤ الرطب وحسنه وصفائه واللؤلؤ اذا انتثر على البساط كان أصفى منه منظوما وقيل انما شبهوا بالمنثور لانتثارهم في الخدمة قوله عز وجل (واذا رأيت) قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل واحد ممن يدخل الجنة والمعنى اذا رأيت ببصرك ونظرت به (ثم) يعني الى الجنة (رأيت نعيما) أي لا يوصف عظمه (وملكا كبيرا) قيل هو ان أدناهم منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل هو ان رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه الا باذنه وهو استئذان الملائكة عليهم وقيل معناه ملكا لا زوال له ولا انتقال (عاليهم) أي فوقهم (ثياب سندس خضر) وهو مارق من الديباج (واستبرق) وهو ما غلظ منه وكلاهما داخل في اسم الحرير (وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا) يعني طاهرا من الاقذار والادران لم تمسه الايدي ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا في أبدانهم كرشح المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام ثم من بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما أكلوا رشحا يخرج من جلودهم أطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد (ان هذا كان لكم جزاء) أي يقال لاهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزاء قد أعده الله لكم الى هذا الوقت فهو لكم بأعمالكم وقيل هو اخبار من الله تعالى لعباده المؤمنين انه قد أعده لهم في الآخرة (وكان سعيكم مشكورا) أي شكرتكم عليه وآتيتكم أفضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده هو رضاؤه عنهم بالقليل من الطاعة واعطاؤه اياهم الكثير من الخيرات قوله عز وجل (انا نحن نزلنا عليك) أي يا محمد (القرآن تنزيلا) قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم ننزله جملة واحدة والمعنى أنزلنا عليك القرآن متفرقا لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شئ بوقت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذي أنزل اليه وحي منه ليس بكهانة ولا سحر لتزول تلك الوحشة التي حصلت له من قول الكفار انه سحر وكهانة (فاصبر لحكم ربك) أي لعباداته فهي من الحكمة المحضة وقيل معناه فاصبر لحكم ربك في تأخير الاذن في القتال وقيل هو عام في جميع التكاليف اي فاصبر لحكم ربك

في كل ما حكم الله به سواء كان تكليفا خاصا كالعبادات والطاعات أو عاما متعلقا بالغير كالتبليغ واداء الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) يعني وكفورا قيل أراد به أبا جهل وذلك انه لما فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه عنها وقال لئن رأيت محمدا يصلي لأطأن عنقه وقيل أراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك انهما قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت ما صنعت لاجل النساء والمال فارجع عن هذا الامر وقال عتبة انا ازوجك ابنتي وأسوقها اليك بغير مهر وقال الوليد أنا اعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الامر فأنزل الله تعالى هذه الآية فان قلت هل من فرق بين الآثم والكفور قلت نعم الآثم هو المقدم على المعاصي أي معصية كانت والكفور هو الجاحد فكل كفور آثم ولا ينعكس لان من عبد غير الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان لانه لما عبد غير الله فقد عصاه وجحد نعمه عليه (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) قيل المراد من الذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعني صلاة الصبح وأصيلا يعني صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) يعني صلاة المغرب والعشاء فعلى هذا تكون الآية جامعة لمواقيت الصلاة الخمس (وسبحه ليلا طويلا) يعني صلاة التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد من الآية هو الذكر باللسان والمقصود ان يكون ذاكرا لله تعالى في جميع الاوقات في الليل والنهار بقلبه وبلسانه قوله عز وجل (ان هؤلاء) يعني كفار مكة (يحبون العاجلة) يعني الدار العاجلة وهي الدنيا (ويذرون وراءهم) يعني امامهم (يوما ثقيلا) يعني شديدا وهو يوم القيامة والمعنى انهم يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له (نحن خلقناهم وشددنا) أي قوينا واحكمنا (أسرهم) أي خلقهم وقيل أوصالهم شددنا بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب وقيل الاسر مجرى البول والغائط وذلك انه اذا خرج الاذى انقبضا (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أي اذا شئنا أهلكناهم وأتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم (ان هذه) أي السورة (تذكرة) اي تذكير وعظة (فمن شاء اتخذ) اي لنفسه في الدنيا (الى ربه سبيلا) اي وسيلة بالطاعة والتقرب اليه وهذه مما يتمسك بها القدرية يقولون اتخاذ السبيل هو عبارة عن التقرب الى الله تعالى وهو الى اختيار العبد ومشيئته قال أهل السنة ويرد عليهم قوله عز وجل في سياق الآية (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) اي لستم تشاؤن الا بمشيئة الله تعالى لان الامر اليه ومشيئة الله مستلزمة لفعل العبد فجميع ما يصدر عن العبد بمشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه (ان الله كان عليما) اي بأحوال خلقه وما يكون منهم (حكيما) اي حيث خلقهم مع علمه بهم (يدخل من يشاء في رحمته) اي في دينه وقيل في جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى وان فسرت بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه وفضله واحسانه لا بسبب الاستحقاق (والظالمين) يعني المشركين (أعد لهم عذابا أليما) أي مؤلما والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة المرسلات مكية)

وهي خمسون آية ومائة وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا

مكة (ولا تطع منهم) من الكفرة للضجر من تأخير الظفر (آثما) راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه (أو كفورا) فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه على مساعدتهم على فعل ما هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على الاولين دون الثالث وقيل الآثم عتبة لانه كان ركابا للمآثم والفسوق والكفور الوليد لانه كان غاليا في الكفر والجحود والظاهر ان المراد كل آثم وكافر أي لا تطع أحدهما واذا نهى عن طاعة احدهما لا بعينه فقد نهى عن طاعتهما معا ومتفرقا ولو كان بالواو لجاز ان يطيع احدهما لان الواو للجمع فيكون منهيا عن طاعتهما لا عن طاعة أحدهما واذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه كان عن طاعتهما جميعا أنهى وقيل او بمعنى ولا أي ولا تطع آثما ولا كفورا (واذكر اسم ربك) صل له (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلا) صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل صلاة العشائين (وسبحه ليلا طويلا) أي تهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثه او نصفه او ثلثيه (ان هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة) يؤثرونها على الآخرة (ويذرون وراءهم) قدامهم او خلف ظهورهم (يوما ثقيلا) شديدا لا يعبؤن به وهو يوم القيامة لان شدائده تثقل على الكفار (نحن خلقناهم وشددنا) احكمنا (أسرهم) أي خلقهم عن ابن عباس رضي الله عنهما والفراء (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أي اذا شئنا اهلاكهم اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة ممن يطيع (ان هذه) السورة (تذكرة) عظة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) بالتقرب اليه بالطاعة له واتباع رسوله (وما تشاؤن) اتخاذ السبيل الى الله وبالياء مكي وشامي وأبو عمرو ومحل (الا أن يشاء الله) النصب على الظرف اي الا وقت مشيئة الله وانما يشاء الله ذلك ممن علم منه اختياره ذلك وقيل هو لعموم المشيئة في الطاعة والعصيان والكفر والايمان فيكون حجة لنا على المعتزلة (ان الله كان عليما) بما يكون منهم من الاحوال (حكيما) مصيبا في الاقوال والافعال (يدخل من يشاء) وهم المؤمنون (في رحمته) جنته لانها برحمته تنال وهو حجة على المعتزلة لانهم يقولون قد شاء ان يدخل كلا في رحمته لانه شاء ايمان الكل والله تعالى اخبر انه يدخل من يشاء في رحمته وهو الذي علم منه انه يختار الهدى (والظالمين) الكافرين لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها ونصب بفعل مضمر يفسره (أعد لهم عذابا أليما) نحو وعد وكافأ (سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا

عـذرا أونذرا) اعـلم ان المفسرين ذكروا فى هـذه الـكلمات الخمس وجوها الاول ان المـراد بهـا الرياح ومعنى المرسلات عرفا الرياح ارسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا أى كثيرا فالعاصفات عصفا يعنى الرياح الشديدة الهبوب والنـاشرات نشرا يعنى الرياح اللينة وقيل الرياح التى ارسلها نشرا بين يدى رحمته وقيل هى الرياح تنشر السحـاب وتأتى بالمطر فالفـارقات فرقا يعنى الرياح التى تفرق السحـاب وتبـدده فالملقيات ذكرا يعنى ان الرياح اذا ارسلت عاصفة شديدة قلعت الاشجـار وخربت الديار وغيرت الآثار فيحصـل بذلك خوف للعبـاد فى القلوب فيلجؤن الى الله تعـالى ويذكرونه فصارت تلك الرياح كانها ألقت الذكر والمعرفة فى القلوب عندهبوبها الوجه الثانى ان المراد بها الملائكة الذين أرسلهم الله تعـالى ومعنى والمرسلات عرفا الملائكة الذين ارسلوا بالمعروف من أمر الله ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعـاصفات عصفا يعنى الملائكة تعصف فى طيرانهم ونزولهم كعصف الرياح فى السرعة والناشرات نشرا يعنى انهم اذا نزلوا الى الارض نشروا اجنحتهم وقيـل هـم الذين ينشرون الـكتب ودواوين الاعمـال يوم القيامة فالفـارقات فرقا قال ابن عباس يعـنى الملائكة تأتى بمـا يفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى الملائكة تلقى الذكر الى الانبياء وقيل يجوز ان يكون الذكر هو القرآن خاصة فعلى هذا يكون الملقى هو جبريل وحـده وانمـا ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم الوجه الثـالث ان المراد بهـا آيات القرآن ومعنى والمرسلات عرفا آيات القرآن المتتابعة فى النزول على محمد صلى الله عليه وسـلم بكل عرف وخير فالعـاصفات عصفا يعنى آيات القرآن تعصف القلوب بذكر الوعيـد حتى تجعلها كالعصف وهو النبت المتكسر والنـاشرات نشرا يعنى ان آيات القرآن تنشر انوار الهداية والمعرفة فى قلوب المؤمنين فالفـارقات فرقا يعنى آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى آيات القران هى الذكر الحـكيم الذى يلقى الايمـان والنور فى قلوب المؤمنين الوجه الرابـع انه ليس المراد من هذه الـكلمات الخمس شيئا واحدا بعينه فعلى هـذا يكون المراد بقوله تعـالى والمرسلات عرفا فالعـاصفات عصفا والنـاشرات نشرا الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات فرقا فالملقيـات ذكرا الملائكة فان قلت وما المجانسة بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهمـا فى القسم قلت الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهمـا من هذا الوجه فحسن الجمع بينهما فى القسم عذرا أونذرا للاعذار والانذار من الله وقيل عذرا من الله ونذرا منه الى خلقه وهذه كلها اقسام وجواب القسم قوله تعـالى (ان ماتوعدون) أى من امر الساعة ومجيئهـا (لواقع) اى الكائن نازل لا محالة وقيل ان ما توعدون به من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى يقع فقال تعـالى (فاذا النجوم طمست) أى محى نورها وقيل محقت (واذا السماء فرجت) أى شقت وقيل فتحت (واذا الجبال نسفت) أى قلعت من اماكنها (واذا الرسل أقتت) وقرئ وقتت بالواو ومعنى ذلك واحد اى جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الامم (لاى يوم أجلت) أى اخرت وضرب الاجل لجمعهم كانه تعالى يعجب العباد من تعظيم ذلك اليوم والمعنى جمعت الرسل فى ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم ثم بين ذلك اليوم فقال تعـالى (ليوم الفصل) قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن بين الخلائق ثم اتبـع ذلك تعظيمـا وتهويلا فقال تعـالى (وما أدراك مايوم الفصل) أى وما اعلمك بيوم الفصل وهوله وشدته (ويل يومئذ للمكذبين) أى بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب قوله تعـالى (ألم نهلك الاولين) يعنى الامم المـاضية بالعذاب فى الدنيا حين كذبوا رسلهم (ثم نتبعهم الآخرين) يعنى السـالكين سبيلهم فى الـكفر والتكذيب وهم كفار قريش نهلكهم بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم (كذلك نفعل بالمجرمين) أى انمـا نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين (ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين) يعنى النطفة (فجعلناه فى قرار مكين) يعنى

عـذرا ونذرا) اقسم سبحانه وتعـالى بطوائف من الملائكة ارسلهن بأوامره فعصفن فى مضيهن وبطوائف منهم نشرن اجنحتهن فى الجو عنـد انحطاطهن بالوحى اونشرن الشرائع فى الارض اونشرن النفوس الموتى بالـكفر والجهل بمـا اوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا الى الانبياء عليهم السلام عـذرا للمحقين اونذرا للمبطلين اواقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا راوا نعمة الله فى الغيث ويشـكرونها واما انذارا للذين لا يشكرون وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات للذكر باعتبار السببية عرفا حال اى متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضـه بعضا اومفعول له اى ارسلن للاحسـان والمعروف وعصفا ونشرا مصدران اونذرا ابو عمرو وكوفى غير ابى بكر وحمـاد والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محـا الاساءة ومن انذر اذا خوف على فعل كالـكفر والشكر وانتصابهما على البدل من ذكرا او على المفعول له (ان ماتوعدون) ان الذى توعـدونه من مجىء يوم القيامة (لواقع) لـكائن نازل لا ريب فيـه وهو جواب القسم ولا وقف الى هنا لوصل الجواب بالقسم (فاذا النجوم طمست) محيت اوذهب بنورها وجواب فاذا محذوف والعامل فيها جوابها وهو وقوع الفصل ونحوه والنجوم فاعل فعل يفسره طمست (واذا السمـاء فرجت) فتحت فـكانت ابوابا (واذا الجبال نسفت) قلعت من اماكنها (واذا الرسل أقتت) اى وقتت كقراءة ابى عمرو أبدلت الهمزة من الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على اممهم (لاى يوم أجلت) اخرت وامهلت وفيه تعظيم لليوم وتعجيب من هوله والتأجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت (ليوم الفصل) تعجيب آخر وتعظيم لامره وهو بيـان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق (وما أدراك مايوم الفصل) تعجيب آخر وتعظيم لامره (ويل) مبتدأ وان كان نـكرة لانه فى أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولـكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سـلام عليكم (يومئذ) ظرفه (للمكذبين) بذلك اليوم خبره (ألم نهلك الاولين) الامم الخـالية المكذبة (ثم نتبعهم الآخرين) مستأنف بعد وقف وهو وعيد لاهل مكة أى ثم نفعل بامثالهم من الآخرين مافعلنا بالاولين لانهم كذبوا مثل تكذيبهم (كذلك) مثل ذلك الفعل الشنيع (نفعل بالمجرمين) بكل من اجرم (ويل يومئذ للمكذبين) بمـا أوعدنا (ألم نخلقكم من ماء مهين) حقير وهو النطفة (فجعلناه) اى المـاء (فى قرار مكين) مقر يتمكن فيه وهو الرحم ومحل الرحم

(الى قدرمعلوم) الحال أى مؤخرا الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة أشهرا ومافوقها اومادونها (فقدرنا) فقدرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) فنعم المقدرون له نحن اوفقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول أحق لقراءة نافع وعلى بالتشديد ولقوله من نطفة

الرحم (الى قدرمعلوم) يعنى الولادة وهومعلوم لله تعالى لا يعلم ذلك غيره (فقدرنا) قرئ بالتشديد من التقدير أى قدرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) أى المقدرون له وقرئ بالتخفيف من القدرة أى قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئناه نعم القادرون حيث خلقناه فى أحسن صورة وهيئة (ويل يومئذ للمكذبين) اى المنكرين البعث لان القادر على الابتداء قادر على الاعادة (ألم نجعل الارض كفاتا) يعنى وعاء واصله الضم والجمع (أحياء وأمواتا) يعنى تكفتهم احياء على ظهرها بمعنى تضمهم فى دورهم ومنازلهم وتكفتهم امواتا فى بطنها فى قبورهم ولذلك تسمى الارض أمًّا لانها تضم الناس كالام تضم ولدها (وجعلنا فيها) أى فى الارض (رواسى شامخات) يعنى جبالا عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) يعنى عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) يعنى ان هذا كله اعجب من البعث فالقادر عليه قادر على البعث قوله عز وجل (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) يعنى يقال للمكذبين بيوم القيامة فى الدنيا انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله (انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب) يعنى دخان جهنم اذا سطع وارتفع تشعب وتفرق ثلاث فرق وكذلك شأن الدخان العظيم فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب كما يكون اولياء الله تعالى فى ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب على رؤسهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم (لا ظليل) أى ان ذلك لا يظل من حر (ولا يغنى من اللهب) أى لا يرد عنهم لهب جهنم والمعنى انهم اذا استظلوا بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب (انها) يعنى جهنم (ترمى بشرر) جمع شرارة وهى ما تطاير من النار (كالقصر) يعنى كالبناء العظيم ونحوه وقيل هو اصول الشجر والنخل العظام واحدتها قصرة وسئل ابن عباس عن قوله ترمى بشرر كالقصر فقال هى الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه وندخرها للشتاء وكنا نسميها القصر (كانه) يعنى الشرر (جمالات) جمع الجمال وقال ابن عباس هى حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كاوساط الجال (صفر) جمع اصفر يعنى ان لون ذلك الشرر اصفر وأنشد بعضهم

دعتهم باعلى صوتها ورمتهم * بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقيل الصفر هنا معناه الاسود لانه جاء فى الحديث شرر جهنم اسود كالقير والعرب تسمى سواد الابل صفرا لانه يشوب سوادها شئ من الصفرة وقيل هى قطع النحاس والمعنى ان هذا السواد يرتفع كانه شئ مجموع غليظ اصفر (ويل يومئذ للمكذبين) قوله عز وجل (هذا يوم لا ينطقون) يعنى بحجة تنفعهم قيل هذا فى بعض مواطن القيامة ومواقفها وذلك لان فى بعضها يتكلمون وفى بعضها يختصمون وفى بعضها يختم على افواههم فلا ينطقون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) عطف على يؤذن واختير ذلك لان رؤس الآى بالنون فلو قال فيعتذروا لم يوافق الآيات والعرب تستحب وفاق الفواصل كما تستحب وفاق القوافى والقرآن نزل على ما تستحب العرب من موافقة المقاطع والمعنى لا يكون اذن واعتذار قال الجنيد أى عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر اياديه ونعمه فان قلت قد توهم ان لهم عذرا ولكن قد منعوا من ذكره قلت ليس لهم عذر فى الحقيقة لانه قد تقدم الاعذار والانذار فى الدنيا ولم يبق لهم عذر فى الآخرة ولكن ربما يخيلون خيالا فاسدا ان لهم عذرا فلم يؤذن فى ذلك العذر الفاسد (ويل يومئذ للمكذبين) يعنى انه لما تبين انه لا عذر لهم ولا حجة فيما أتوا به من الاعمال السيئة ولا قدرة لهم على دفع العذاب عنهم لا جرم قال فى حقهم ويل يومئذ للمكذبين (هذا يوم الفصل) يعنى بين أهل الجنة واهل النار وقيل هو الفصل بين العباد فى الحقوق والمحاكمات (جمعناكم والاولين) يعنى مكذبى هذه الامة والذين كذبوا أنبياءهم من الامم الماضية (فان كان لكم كيد فكيدون) أى ان كانت لكم حيلة تحتالون بها

خلقه فقدره (ويل يومئذ للمكذبين) بنعمة الفطرة (ألم نجعل الارض كفاتا) هو من كفت الشئ اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام لما يضم وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه كفاتا وهو تكفت اى تكفت احياء على ظهرها وامواتا فى بطنها والتنكير فيهما للتفخيم اى تكفت احياء لا يعدون وامواتا لا يحصرون (وجعلنا فيها رواسى) جبالا ثوابت (شامخات) عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) بهذه النعمة (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) أى يقال للكافرين يوم القيامة سيروا الى النار التى كنتم بها تكذبون (انطلقوا) تكرير للتوكيد (الى ظل) دخان جهنم (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم يتفرق ثلاث فرق (لا ظليل) نعت ظل أى لا مظل من حر ذلك اليوم وحر النار (ولا يغنى) فى محل الجر اى وغير مغن لهم (من اللهب) من حر اللهب شيئا (انها) أى النار (ترمى بشرر) هو ما تطاير من النار (كالقصر) فى العظم وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة (كأنه جمالة) كوفى غير أبى بكر جمع جمل جمالات غيرهم جمع الجمع (صفر) جمع اصفر اى سود تضرب الى الصفرة وشبه الشرر بالقصر لعظمه وارتفاعه وبالجمال للعظم والطول واللون (ويل يومئذ للمكذبين) بأن هذه صفتها (هذا يوم لا ينطقون) وقرئ بنصب اليوم اى هذا الذى قص عليكم واقع يومئذ وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الآية وعن قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فقال فى ذلك اليوم مواقف فى بعضها يختصمون و فى بعضها لا ينطقون اولا ينطقون بما ينفعهم فجعل نطقهم كلا نطق (ولا يؤذن لهم) فى الاعتذار (فيعتذرون) عطف على يؤذن منخرط فى سلك النفى أى لا يكون لهم اذن واعتذار (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا اليوم (هذا يوم الفصل)

بين المحق والمبطل والمحسن والمسىء بالجزاء (جمعناكم) يامكذبى محمد (والاولين) والمكذبين قبلكم (فان كان لكم كيد) حيلة فى دفع العذاب (فكيدون) فاحتالوا على بتخليص أنفسكم من العذاب والكيد متعد تقول كدت فلانا اذا احتلت عليه

لانفسكم فاحتالوا اذ الحيل يومئذ منقطعة لا تنفع وهذا فى نهاية التوبيخ والتقريع فلهذا عقبه بقوله (ويل يومئذ للمكذبين) قوله عزوجل (ان المتقين) أى الذين اتقوا الشرك (فى ظلال) جمع ظل وهو ظل الاشجار (وعيون) اى فى ظلهم عيون ماء (وفواكه مما يشتهون) أى يتلذذون بها (كلوا واشربوا) أى و يقال لهم كلوا واشربوا وهذا القول يحتمل ان يكون من جهة الله تعالى بلا واسطة وما اعظمها من نعمة او يكون من جهة الملائكة على سبيل الاكرام (هنيئا) أى خالص اللذة لا يشوبه تنغيص (بما كنتم تعملون) أى فى الدنيا من الطاعات (انا كذلك نجزى المحسنين) قيل المقصود منه تذكير الكفار مافاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم فلما لم يفعلوا ذلك وقعوا فى قوله (ويل يومئذ للمكذبين) قوله عزوجل (كلوا وتمتعوا قليلا) يقول لكفار مكة كلوا وتمتعوا قليلا فى الدنيا الى منتهى آجالكم وهذا وان كان فى ظاهر اللفظ امرا الا انه فى المعنى نهى بليغ وزجر عظيم (انكم مجرمون) أى مشركون بالله مستحقون للعقاب لاجرم أتبعه بقوله (ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أى واذا قيل لهم صلوا مع محمد واصحابه لا يصلون فعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لانه ركن من اركانها وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون (ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده يؤمنون) اى بعد نزول القرآن اذا لم يؤمنوا به فبأى شئ يؤمنون والله أعلم

(تفسير سورة النبأ وتسمى سورة عم يتساءلون والتساؤل وهى مكية)

وهى أربعون آية ومائة وثلاثة وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عزوجل (عم) أصله عن ما (يتساءلون) عن أى شئ يتساءلون يعنى المشركين ولفظه استفهام ومعناه التفخيم كقولك أى شئ زيد اذا عظمت شأنه وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون فيما بينهم فيقول بعضهم لبعض ماذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر عن ماذا تساؤلهم فقال تعالى (عن النبإ العظيم) يعنى الخبر العظيم الشأن قال الاكثرون هو القرآن وقيل هو البعث وقيل هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به (الذى هم فيه مختلفون) فمن فسر النبأ العظيم بالقرآن قال اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر أو شعر أو كهانة ونحو ذلك مما قالوه فى القرآن ومن فسر النبأ العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه فمن مصدق به وهم المؤمنون ومن مكذب به وهم الكافرون ومن فسره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم فى القرآن (كلا) هى ردع وزجر وقيل هى نفى لاختلافهم والمعنى ليس الامر كما قالوا (سيعلمون) أى عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الامر يعنى فى القيامة (ثم كلا سيعلمون) وعيد على اثر وعيد وقيل معناه كلا سيعلمون يعنى الكافرين عاقبة تكذيبهم وكفرهم ثم كلا سيعلمون يعنى المؤمنين عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم ذكر اشياء من عجائب صنائعه ليستدلوا بذلك على توحيده و يعلموا انه قادر على ايجاد العالم بعد فنائه مرة أخرى للبعث والحساب والثواب والعقاب فقال تعالى (ألم نجعل الارض مهادا) أى فراشا وبساطا لتستقر عليها الاقدام (والجبال أوتادا) يعنى للارض حتى لا تميد

(ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث (ان المتقين) من عذاب الله (فى ظلال) جمع ظل (وعيون) جارية فى الجنة (وفواكه مما يشتهون) أى لذيذة مشتهاة (كلوا واشربوا) فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى هو فى ظلال أى هم مستقرون فى ظلال مقولا لهم ذلك (هنيئا بما كنتم تعملون) فى الدنيا (انا كذلك نجزى المحسنين) فأحسنوا تجزوا بهذا (ويل يومئذ للمكذبين) بالجنة (كلوا وتمتعوا) كلام مستأنف خطاب للمكذبين فى الدنيا على وجه التهديد كقوله اعملوا ما شئتم (قليلا) لان متاع الدنيا قليل (انكم مجرمون) كافرون اى ان كل مجرم يأكل ويتمتع أياما قلائل ثم يبقى فى الهلاك الدائم (ويل يومئذ للمكذبين) بالنعم (واذا قيل لهم اركعوا) اخشعوا لله وتواضعوا اليه بقبول وحيه واتباع دينه ودعوا هذا الاستكبار (لا يركعون) لا يخشعون ولا يقبلون ذلك و يصرون على استكبارهم او اذا قيل لهم صلوا لا يصلون (ويل يومئذ للمكذبين) بالامر والنهى (فبأى حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) أى ان لم يؤمنوا بالقرآن مع انه آية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية فبأى كتاب بعده يؤمنون والله أعلم

سورة النبإ مكية وهى أربعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عم) أصله عن ما وقرئ بها ثم ادغمت النون فى الميم فصار عما وقرئ بها ثم حذفت الالف تخفيفا لكثرة فى الاستعمال فى الاستفهام وعليه الاستعمال الكثير وهذا استفهام تفخيم للمستفهم عنه لانه تعالى لا تخفى عليه خافية (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا أو يسألون غيرهم من المؤمنين والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث و يسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء (عن النبإ العظيم) أى البعث وهو بيان للشأن المفخم وتقديره عم يتساءلون يتساءلون عن النبإ العظيم (الذى هم فيه مختلفون) فمنهم من يقطع بانكاره ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين وكانوا جميعا يتساءلون عنه فالمسلم يسأل ليزداد خشية والكافر يسأل استهزاء (كلا) ردع عن الاختلاف او التساؤل هزؤا (سيعلمون) وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون عيانا ان ما يتساءلون عنه حق (ثم كلا سيعلمون) كرر الردع للتشديد وثم يشعر ان الثانى ابلغ من الاول واشد (ألم نجعل الارض) لما انكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من اضيف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة فلم تنكرون قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات او قيل لهم لم فعل هذه الاشياء والحكيم لا يفعل عبثا وانكار البعث يؤدى الى انه عابث فى كل ما فعل (مهادا) فراشا فرشناها لكم حتى سكنتموها (والجبال أوتادا) للارض لئلا تميد بكم (وخلقناكم

خلقناكم أزواجا) ذكرا وانثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعا لاعمالكم وراحة لابدانكم والسبت القطع (وجعلنا الليل لباسا) سترا يستركم عن العيون
وتم اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تتقلبون

في حوائجكم ومكاسبكم (وبنينا فوقكم سبعا) سبع سموات (شدادا) جمع شديدة أى محكمة قوية لا يؤثر فيها مر الزمان او غلاظا غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام (وجعلنا سراجا وهاجا) مضيئا وقادا أى جامعا للنور والحرارة والمراد الشمس (وأنزلنا من المعصرات) اى السحائب اذا اعصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض أو الرياح لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه فيصح ان يجعل مبدأ للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب (ماء ثجاجا) منصبا بكثرة (لنخرج به) بالماء (حبا) كالبر والشعير (ونباتا) وكلأ (وجنات) بساتين (ألفافا) ملتفة الاشجار واحدها لف كجذع واجذاع او لفيف كشريف واشراف او لا واحد له كاوزاع او هى جمع الجمع فهى جمع لف واللف جمع لفاء وهى شجرة مجتمعة ولا وقف من المنخول الى الفافا والوقف الضرورى على اوتادا ومعاشا (ان يوم الفصل) بين المحسن والمسيء والمحق والمبطل (كان ميقاتا) وقتا محدودا ومنتهى معلوما لوقوع الجزاء او ميعادا للثواب والعقاب (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل او عطف بيان (فى الصور) فى القرن (فتأتون أفواجا) حال أى جماعات مختلفة او امما كل امة مع رسولها (وفتحت السماء) خفيف كوفى اى شقت لنزول الملائكة (فكانت أبوابا) فصارت ذات أبواب وطرق وفروج وما لها اليوم من فروج (وسيرت الجبال) عن وجه الارض (فكانت سرابا) اى هباء تخيل الشمس انه ماء (ان جهنم كانت مرصادا) طريقا عليه ممر الخلق والمؤمن يمر عليها والكافر يدخلها وقيل المرصاد الحد الذى يكون فيه الرصد اى هى حد الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهى مآبهم او هى مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها (للطاغين مآبا) للكافرين مرجعا (لابثين)
ماكثين حال مقدرة من الضمير فى للطاغين حمزة لبثين واللبث اقوى اذ اللابث من وجد منه اللبث وان قل واللبث من شأنه اللبث والمقام فى المكان (فيها) فى جهنم (أحقابا) ظرف جمع حقب وهو الدهر ولم يرد به عدد محصور بل الابد كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يستعمل الحقب والحقبة الا اذا اريد تتابع الازمنة وتواليها وقيل الحقب ثمانون سنة وسئل بعض العلماء عن هذه الآية فأجاب بعد عشرين سنة لابثين فيها أحقابا

(وخلقناكم أزواجا) يعنى اصنافا ذكورا واناثا (وجعلنا نومكم سباتا) أى راحة لابدانكم وليس الغرض من السبات للراحة لان المقصود منه ان النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة واصل السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع عن الحركة والتصرف فى الاعمال (وجعلنا الليل لباسا) أى غطاء وغشاء يستتر كل شئ بظلمته عن العيون ولهذا سمى الليل لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة فى ذلك هو ان الانسان يستتر بظلمة الليل عن العيون اذا أراد هربا من عدو ونحو ذلك (وجعلنا النهار معاشا) أى سببا للمعاش والتصرف فى المصالح وقال ابن عباس تبتغون فيه من فضل الله وما قسم لكم من رزقه (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يعنى سبع سموات محكمة ليس يتطرق عليها شقوق ولا فطور على ممر الزمان الى ان يأتى امر الله تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا) يعنى الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل جعل فى الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة (وأنزلنا من المعصرات) يعنى الرياح التى تعصر السحاب وهى رواية عن ابن عباس وقيل هى الرياح ذوات الاعاصير وعلى هذا المعنى تكون من بمعنى الباء أى وانزلنا بالمعصرات وذلك لان الريح تستدر المطر من السحاب وقيل هى السحاب وفى الرواية الاخرى عن ابن عباس المعصرات السحابة التى حان لها ان تمطر ولما تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو الغيث وقيل المعصرات السموات وذلك لان المطر ينزل من السماء الى السحاب (ماء ثجاجا) أى صبابا مدرارا متتابعا يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث افضل الحج العج والثج أى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى (لنخرج به) أى بذلك الماء (حبا) أى ما يأكله الانسان كالحنطة ونحوها (ونباتا) أى ما ينبت فى الارض من الحشيش مما يأكل منه الانعام (وجنات ألفافا) أى ملتفة بالشجر ليس بينها خلال فدل على البعث بذكر ابتداء الخلق ثم اخبر عنه بقوله تعالى (ان يوم الفصل) أى الحساب (كان ميقاتا) أى لما وعده الله من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا يجتمع فيه الخلائق ليقضى بينهم (يوم ينفخ فى الصور) يعنى النفخة الاخيرة (فتأتون أفواجا) يعنى زمرا زمرا من كل مكان للحساب (وفتحت السماء فكانت أبوابا) يعنى فكانت ذوات أبواب لنزول الملائكة وقيل تنحل وتتناثر حتى يصير فيها ابواب وطرق (وسيرت الجبال) أى عن وجه الارض (فكانت سرابا) أى هباء منبثا كالسراب فى عين الناظر (ان جهنم كانت مرصادا) أى طريقا وممرا فلا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع النار وروى عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع مجالس يسئل العبد عند أولها عن شهادة أن لا اله الا الله فان جاء بها تامة جاز الى الثانى فيسئل عن الصلوات فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى السادس فيسئل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسئل عن المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا فان كان له تطوع اكملت به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت مرصادا أى معدة لهم وقيل هو من رصدت الشئ ارصده اذا ترقبته والمرصاد المكان الذى يرصد فيه الراصد العدو والمعنى ان جهنم ترصد الكفار أى تنتظرهم (للطاغين) أى الكافرين (مآبا) أى مرجعا يرجعون اليها (لابثين فيها) أى فى جهنم (أحقابا) جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة يروى ذلك عن على بن أبى طالب وقيل الحقب الواحد سبعة عشر ألف سنة فان قلت الاحقاب وان طالت فهى متناهية وعذاب الكفار فى جهنم غير متناه فما معنى قوله احقابا قلت ذكروا فيه وجوها أحدها ما روى عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها احقابا فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب دخل حقب آخر ثم آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود وروى

(لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) اى غير ذائقين حال من ضمير لابثين فاذا انقضت هذه الاحقاب التى عذبوا فيها بمنع البرد والشراب بدلوا باحقاب اخر فيها عذاب
آخر وهى احقاب بعد احقاب لا انقطاع لها وقيل هو من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطأه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا
عنهم أى لابثين فيها حقبين جهدين ولا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له وقوله (الاحميما وغساقا) استثناء منقطع أى لا يذوقون فى جهنم او فى
الاحقاب بردا وروحا ينفس عنهم حر النار اونوما ومنه منع البرد البرد ولا شرابا يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما ماء حارا يحرق ما يأتى عليه وغساقا ماء يسيل من صديدهم وبالتشديد كوفى غير ابى بكر (جزاء) جوزوا جزاء (وفاقا) موافقا لاعمالهم مصدر بمعنى الصفة اوذا وفاق ثم استأنف معللا فقال (انهم كانوا لا يرجون حسابا) لا يخافون محاسبة الله اياهم اولم يؤمنوا بالبعث ليرجوا حسابا (وكذبوا بآياتنا كذابا) تكذيبا وفعال فى معنى فعل كله فاش (وكل شئ) نصب بمضمر يفسره (أحصيناه كتابا) مكتوبا فى اللوح بالحساب اوحال اومصدر فى موضع احصاء اواحصينا فى معنى كتبنا لان الاحصاء يكون بالكتابة غالبا وهذه الآية اعتراض لان قوله (فذوقوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات أى فذوقوا جزاءكم والالتفات شاهد على شدة الغضب (فلن نزيدكم الا عذابا) فى الحديث هذه الآية أشد ما فى القرآن على اهل النار (ان للمتقين مفازا) مفعل من الفوز يصلح مصدرا أى نجاة من كل مكروه وظفرا بكل محبوب ويصلح للمكان وهو الجنة ثم ابدل عنه بدل البعض من الكل فقال (حدائق) بساتين فيها أنواع الشجر المثمر جمع حديقة (وأعنابا) كروما عطف على حدائق (وكواعب) نواهد (أترابا) لدات مستويات فى السن (وكأسا دهاقا) مملوءة (لا يسمعون فيها) فى الجنة حال من ضمير خبر ان (لغوا) باطلا (ولا كذابا) الكسائى خفيف بمعنى مكاذبة أى لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكاذبه (جزاء) مصدر أى جزاهم جزاء (من ربك عطاء) مصدر او بدل من جزاء (حسابا) صفة بمعنى كافيا او على حسب أعمالهم (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن) بجرهما ابن عامر وعاصم بدلا من ربك ومن رفعهما فرب خبر مبتدا محذوف او مبتدأ خبره الرحمن او الرحمن
صفته ولا يملكون خبرا وهما خبران والضمير فى (لا يملكون) لاهل السموات والارض وفى (منه خطابا) لله تعالى أى لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالى الا باذنه أولا يقدر أحد ان يخاطبه تعالى خوفا (يوم يقوم) ان جعلته ظرفا للا يملكون لا تقف على خطابا وان جعلته ظرفا للا يتكلمون تقف (الروح) جبريل عند الجمهور وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا أعظم منه (والملائكة صفا) يقومون

عن عبد الله بن مسعود قال لو علم اهل النار انهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا الوجه الثانى ان لفظ الاحقاب لا يدل على نهاية والحقب الواحد متناه والمعنى انهم يلبثون فيها احقابا لا يذوقون فيها اى فى تلك الاحقاب بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا فهذا توقيت لانواع العذاب الذى يبدلونه لا توقيت للبثهم فيها الوجه الثالث ان الآية منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا يعنى ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل (لا يذوقون فيها بردا) قال ابن عباس البرد النوم وقيل بردا أى روحا وراحة وقيل لا يذوقون بردا ينفعهم (ولا شرابا) أى يغنيهم عن عطش (الا حميما وغساقا) أى لكن يشربون حميما قيل هو الصفر المذاب وقيل هو الماء الحار الذى انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل هو صديد اهل النار (جزاء وفاقا) أى جزيناهم جزاء وافق اعمالهم وقيل وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم من النار (انهم كانوا لا يرجون حسابا) أى لا يخافون ان يحاسبوا والمعنى انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم يحاسبون (وكذبوا بآياتنا) أى التى جاءت بها الانبياء وقيل كذبوا بدلائل التوحيد والنبوة والبعث والحساب (كذابا) أى تكذيبا قال الفراء هى لغة يمانية فصيحة يقولون فى مصدر التفعيل فعال وقد سألنى اعرابى منهم يستفتينى الحلق احب اليك أم القصار يريد التقصير (وكل شئ) أى من الاعمال (أحصيناه) أى اثبتناه (كتابا) أى فى كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه وكل شئ علمناه علما لا يزول ولا يتغير ولا يتبدل والمعنى انا عالم بجميع ما فعلوه من خير وشر وانا أجازيهم على قدر اعمالهم جزاء وفاقا (فذوقوا) أى يقال لهم ذوقوا (فلن نزيدكم الا عذابا) قيل هذه الآية أشد آية فى القرآن على اهل النار وكلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه قوله عز وجل (ان للمتقين مفازا) أى فوزا أى نجاة من العذاب وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة ويحتمل ان يفسر الفوز بالامرين جميعا لانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم فسره فقال (حدائق) جمع حديقة وهى البستان المحوط فيه كل ما يشتهون (وأعنابا) التنكير يدل على تعظيم ذلك العنب (وكواعب) جمع كاعب يعنى جوارى نواهد قد تكعبت ثديهن (أترابا) يعنى مستويات فى السن (وكأسا دهاقا) قال ابن عباس مملوءة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية (لا يسمعون فيها) أى فى الجنة وقيل فى حالة شربهم لان اهل الدنيا يتكلمون بالباطل فى حالة شربهم (لغوا) أى باطلا من الكلام (ولا كذابا) أى تكذيبا والمعنى انه لا يكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون به (جزاء من ربك عطاء حسابا) أى جازاهم جزاء واعطاهم عطاء حسابا أى كافيا وافيا وقيل حسابا بمعنى كثيرا وقيل جزاء بقدر اعمالهم (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا) أى لا يقدر الخلق ان يكلموا الرب الا باذنه وقيل لا يملكون منه خطابا أى لا يملكون شفاعة الا باذنه فى ذلك اليوم (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) قيل هو جبريل عليه الصلاة والسلام وقال ابن عباس الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقا اعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون من عظم خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح ملك عظيم أعظم من السموات والارض والجبال وهو فى السماء الرابعة يسبح الله كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يجىء يوم القيامة صفا وحده وقيل الروح خلق على صورة بنى آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند وهؤلاء جند وقال ابن عباس الروح خلق على صورة بنى آدم وما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم وعنه انهم بنو آدم

يقومون صفا والملائكة صفا وقيل يقوم سماطان سماط من الروح وسماط من الملائكة (لا يتكلمون) يعني الخلق كلهم اجلالا لعظمة الله تعالى جل جلاله وتعالى عطاؤه وشأنه من هول ذلك اليوم (الا من أذن له الرحمن) أي في الكلام (وقال صوابا) أي حقا في الدنيا وعمل به وقيل قال لا اله الا الله وقيل الاستثناء يرجع الى الروح والملائكة ومعنى الآية لا يشفعون الا في شخص أذن له الرحمن في الشفاعة وذلك الشخص ممن كان يقول صوابا في الدنيا وهو لا اله الا الله (ذلك اليوم الحق) أي الكائن الواقع لا محالة وهو يوم القيامة (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) أي سبيلا يرجع اليه وهو طاعة الله وما يتقرب به اليه (انا أنذرناكم) أي خوفناكم في الدنيا (عذابا قريبا) أي في الآخرة وكل ما هو آت قريب (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) يعني من خير او شر مثبتا في صحيفته ينظر اليه يوم القيامة (ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) قال عبد الله بن عمر اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل يقول الله عز وجل للبهائم بعد القصاص انا خلقناكم وسخرناكم لبني آدم وكنتم مطيعين لهم ايام حياتكم فارجعوا الى ما كنتم عليه كونوا ترابا فاذا رأى الكافر ذلك تمنى وقال يا ليتني كنت ترابا في الدنيا في صورة بعض هذه البهائم او كنت اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس وامر باهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وقيل لسائر الامم سوى الناس والجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل معناه ان الكافر اذا رأى ما أنعم الله به على المؤمنين من الخير والرحمة قال يا ليتني كنت ترابا يعني متواضعا في طاعة الله في الدنيا ولم اكن جبارا متكبرا وقيل ان الكافر ههنا هو ابليس وذلك انه عاب آدم وكونه خلق من تراب وافتخر عليه بانه خلق من نار فاذا كان يوم القيامة ورأى ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال يا ليتني كنت ترابا قال ابو هريرة يقول التراب لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة النازعات وهي مكية

وست وقيل خمس واربعون آية ومائة وسبع وتسعون كلمة وسبعمائة وثلاثة وخمسون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا) اختلفت عبارات المفسرين في هذه الكلمات هل هي صفات لشيء واحد ام لاشياء مختلفة على اوجه واتفقوا على ان المراد بقوله (فالمدبرات أمرا) وصف لشيء واحد وهم الملائكة الوجه الاول في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني الملائكة تنزع ارواح الكفار من اقاصي اجسامهم كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق من الاغراق أي والنازعات اغراقا وقال ابن مسعود ان ملك الموت واعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق في الماء والناشطات نشطا الملائكة تنشط نفس المؤمن أي تسلها سلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وانما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المؤمن لان بينهما فرقا فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق

خاف اي مصطفين (لا يتكلمون) اي الخلائق ثم خوفا (الا من اذن له الرحمن) في الكلام أو الشفاعة (وقال صوابا) حقا بان قال المشفوع له لا اله الا الله في الدنيا ولا يؤذن الا لمن يتكلم بالصواب في أمر الشفاعة (ذلك اليوم الحق) الثابت وقوعه (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) مرجعا بالعمل الصالح (انا أنذرناكم) أيها الكفار (عذابا قريبا) في الآخرة لان ما هو آت قريب (يوم ينظر المرء) الكافر لقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا (ما قدمت يداه) من الشر لقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وتخصيص الايدي لان أكثر الاعمال تقع بها وان احتمل ان لا يكون للايدي مدخل فيما ارتكب من الآثام (ويقول الكافر) وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة الذم أو المرء عام وخص منه الكافر وما قدمت يداه ما عمل من خير وشر او هو المؤمن لذكر الكافر بعده وما قدم من خير وما استفهامية منصوبة بقدمت أي ينظر أي شيء قدمت يداه او موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته يعني نظرت اليه والراجع في الصلة محذوف أي ما قدمته (يا ليتني كنت ترابا) في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يتمنى ان يكون كآدم مخلوقا من التراب ليثاب ثواب أولاده المؤمنين والله أعلم

(سورة النازعات ست وأربعون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا) لا وقف الى هنا ولزم هنا لانه لو وصل لصار يوم ظرف المدبرات وقد انقضى تدبير الملائكة في ذلك اليوم اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد غرقا اي اغراقا في النزع اي تنزعها من أقاصي الاجساد من أناملها ومواضع اظفارها وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها أي تسرع فتسبق الى ما أمروا به فتدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم او بخيل الغزاة التي تنزع في أعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرا من علم الحساب وجواب القسم محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة

والسابحات سبحا يعني الملائكة يقبضون ارواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح في الماء يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد اذا اسرع في جريه يقال له سابح فالسابقات سبقا يعني الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقيل هم الملائكة تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة * الوجه الثاني في قوله والنازعات غرقا يعني النفس حين تنزع من الجسد فتغرق في الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا قال ابن عباس هي نفوس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لانه يعرض عليه مقعده في الجنة قبل ان يموت وقال علي بن أبي طالب هي أرواح الكفار تنشط بين الجلد والاظفار حتى تخرج من أفواههم بالكرب والغم والسابحات سبحا يعني ارواح المؤمنين حين تسبح في الملكوت فالسابقات سبقا يعني استباقها الى الحضرة المقدسة * الوجه الثالث في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني النجوم تنزع من أفق الى أفق تطلع ثم تغيب والناشطات نشطا يعني النجوم تنشط من أفق الى افق أي تذهب والسابحات سبحا يعني النجوم والشمس والقمر يسبحون في الفلك فالسابقات سبقا يعني النجوم يسبق بعضها بعضا في السير * الوجه الرابع في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني خيل الغزاة تنزع في اعنتها وتغرق في عرقها وهي الناشطات نشطا لانها تخرج بسرعة الى ميدانها وهي السابحات في جريها وهي السابقات سبقا لاستباقها الى الغاية * الوجه الخامس في قوله والنازعات غرقا يعني الغزاة حين تنزع قسيها في الرمي فتبلغ غاية المد وهو قوله غرقا والناشطات نشطا أي السهام في الرمي والسابحات سبحا فالسابقات سبقا يعني الخيل والابل حين يخرجها أصحابها الى الغزو * الوجه السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيئا واحدا فقوله والنازعات يعني ملك الموت ينزع النفوس غرقا حتى يبلغ بها الغاية والناشطات نشطا يعني النفس تنشط من القدمين يعني تجذب والسابحات سبحا يعني السفن والسابقات سبقا يعني مسابقة نفوس المؤمنين الى الخيرات والطاعات * اما قوله فالمدبرات أمرا فأجمعوا على انهم الملائكة قال ابن عباس هم الملائكة وكلوا بأمور عرفهم الله عز وجل العمل بها وقال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا أربعة املاك جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واسمه عزرائيل فأما جبريل فوكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات وأما ملك الموت فوكل بقبض الانفس وأما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى اقسم الله بهذه الاشياء لشرفها ولله ان يقسم بما شاء من خلقه او يكون التقدير ورب هذه الاشياء وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل هو قوله قلوب يومئذ واجفة (يوم ترجف الراجفة) يعني النفخة الاولى يتزلزل و يتحرك لها كل شئ ويموت منها جميع الخلق (تتبعها الرادفة) يعني النفخة الثانية ردفت الاولى و بينهما أربعون سنة وقال قتادة هما صيحتان فالاولى تميت كل شئ والاخرى تحي كل شئ باذن الله عز وجل وقيل الراجفة التي تزلزل الارض والجبال والرادفة التي تشق السماء وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث يوم القيامة روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه قوله عز وجل (قلوب يومئذ واجفة) أي خائفة قلقة مضطربة وقيل وجلة زائلة عن اماكنها (أبصارها خاشعة) أي ابصار اهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى (يقولون) يعني المنكرين للبعث اذا قيل لهم انكم مبعوثون بعد الموت (أئنا لمردودون في الحافرة) يعني أنرد الى اول الحال وابتداء الامر فنصير احياء بعد الموت كما كنا أول مرة والعرب تقول رجع فلان في حافرته أي رجع من حيث جاء فالحافرة عندهم اسم لابتداء الشئ وأوله الشئ ويقال رجع فلان في حافرته أي في طريقه الذي جاء منه يحفره بمشيته فحصل بأثر قدمه حفر فهي محفورة في الحقيقة وقيل الحافرة الارض التي تحفر فيها قبورهم سميت حافرة لانها مستقر عليها الحافر والمعنى أئنا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا

جديدا

(يوم ترجف) تتحرك حركة شديدة والرجف شدة الحركة (الراجفة) النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها لانها تضطرب بها الارض حتى يموت كل من عليها (تتبعها) حال عن الراجفة (الرادفة) النفخة الثانية لانها تردف الاولى و بينهما اربعون سنة والاولى تميت الخلق والثانية تحييهم (قلوب يومئذ) قلوب منكري البعث (واجفة) مضطربة من الوجيف وهو الوجيب وانتصاب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة أي يوم ترجف وجفت القلوب وارتفاع قلوب بالابتداء وواجفة صفتها (أبصارها) أي ابصار اصحابها (خاشعة) ذليلة لهول ما ترى خبرها (يقولون) اي منكرو البعث في الدنيا استهزاء وانكارا للبعث (أئنا لمردودون في الحافرة) استفهام بمعنى الانكار أي أنرد بعد موتنا الى أول الامر فنعود احياء كما كنا والحافرة الحالة الاولى يقال لمن كان في أمر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته أي الى حالته الاولى و يقال النقد عند الحافرة أي عند الحالة الاولى وهي الصفقة انكروا

البعث ثم زادوا استبعادا فقالوا (أئذا كنا عظاما نخرة) بالية ناخرة كوفي غير حفص وفعل ابلغ من فاعل يقال نخر العظم فهو نخر وناخر والمعنى انرد الى الحياة بعد ان صرنا عظاما بالية واذا منصوب بمحذوف وهو نبعث (قالوا) أي منكروا البعث (تلك) رجعتنا (اذا كرة خاسرة) رجعة ذات خسران أو خاسر أصحابها والمعنى انها ان صحت وبعثنا فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فانما هي زجرة واحدة) متعلق بمحذوف أي لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فانها سهلة هينة في قدرته فما هي الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه (فاذا هم بالساهرة) فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها وقيل الساهرة أرض بعينها بالشام الى جنب بيت المقدس أو ارض مكة أو جهنم

جديد اتمشي عليها وقيل الحافرة النار (أئذا كنا عظاما نخرة) أي بالية وقرئ ناخرة وهما بمعنى وقيل الناخرة المجوفة التي يمر فيها الريح فتنخر أي تصوت (قالوا) يعني المنكرين للبعث اذا عاينوا أهوال القيامة (تلك اذا كرة خاسرة) أي رجعة غابنة يعني ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت (فانما هي) يعني النفخة الاخيرة (زجرة واحدة) أي صيحة واحدة يجمعون بها جميعا (فاذا هم بالساهرة) يعني وجه الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هي التي كثر الوطء عليها كأنها سهرت والمعنى انهم كانوا في بطن الارض فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هي أرض الشام وقيل ارض القيامة وقيل هي أرض جهنم قوله عز وجل (هل أتاك حديث موسى) يعني قد أتاك حديث موسى يا محمد وذلك انه صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه الصلاة والسلام وانه كان يتحمل المشاق من قومه ليتأسى به (اذ ناداه ربه بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) هو اسم واد بالشام عند الطور (اذهب الى فرعون انه طغى) أي علا وتكبر وكفر بالله (فقل هل لك الى أن تزكى) أي تتطهر من الشرك والكفر وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد ان لا اله الا الله (وأهديك الى ربك) أي ادعوك الى عبادة ربك وتوحيده (فتخشى) يعني عقابه وانما خص فرعون بالذكر وان كانت دعوة موسى شاملة لجميع قومه لان فرعون كان أعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه (فأراه) أي أرى موسى فرعون (الآية الكبرى) يعني اليد البيضاء والعصا (فكذب) يعني فرعون بانهما من الله (وعصى) أي تمرد واظهر التجبر (ثم أدبر) أي أعرض عن الايمان (يسعى) يعمل الفساد في الارض (فحشر) أي فجمع قومه وجنوده (فنادى) أي لما اجتمعوا (فقال) يعني فرعون لقومه (أنا ربكم الاعلى) أي لا رب فوقي وقيل أراد الاصنام أرباب وهو ربها وربهم (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) أي عاقبه فجعله عبرة لغيره بان اغرقه في الدنيا ويدخله النار في الآخرة وقيل أراد بالآخرة والاولى كلمتي فرعون وهما قوله ما علمت لكم من اله غيري وقوله أنا ربكم الاعلى وكان بينهما أربعون سنة (ان في ذلك) أي في الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى (لعبرة) أي عظة (لمن يخشى) أي يخاف الله عز وجل ثم عاتب منكري البعث فقال تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها) معناه أخلقكم بعد الموت اشد ام خلق السماء عندكم وفي تقديركم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله واحد لان خلق الانسان على صغره وضعفه اذا اضيف الى خلق السماء مع عظمها وعظم احوالها كان يسيرا فبين تعالى ان خلق السماء اعظم واذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت اهون على الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بأنه خلق السموات والارض ولا تنكرون ذلك ثم انه تعالى ذكر كيفية خلق السماء والارض فقال تعالى (رفع سمكها) يعني سقفها وقيل رفعها بغير عمد (فسواها) أي اتقن بناءها فليس فيها شقوق ولا فطور (وأغطش) أي اظلم (ليلها) والغطش الظلمة (وأخرج) أي واظهر وابرز (ضحاها) أي نهارها وانما عبر عن النهار بالضحى لانه اكمل اجزاء النهار في النور

(هل أتاك حديث موسى) استفهام يتضمن التنبيه على ان هذا مما يجب أن يشيع والتشريف للمخاطب به (اذ ناداه ربه) حين ناداه (بالواد المقدس) المبارك المطهر (طوى) اسمه (اذهب الى فرعون) على ارادة القول (انه طغى) تجاوز الحد في الكفر والفساد (فقل هل لك الى ان تزكى) هل لك ميل الى ان تتطهر من الشرك والعصيان بالطاعة والايمان وبتشديد الزاي حجازي (وأهديك الى ربك) وأرشدك الى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه (فتخشى) لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء أي العلماء به وعن بعض الحكماء اعرف الله فمن عرف الله لم يقدر ان يعصيه طرفة عين فالخشية ملاك الامر من خشي الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر ومنه الحديث من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل بدأ بمخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرقيق ليستدعيه باللطف في القول ويستنزله بالمداراة عن عتوه كما أمر بذلك في قوله تعالى فقولا له قولا لينا (فأراه الآية الكبرى) أي فذهب فأرى موسى فرعون العصا واليد البيضاء لانهما في حكم آية واحدة (فكذب) فرعون بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا (وعصى) الله تعالى (ثم أدبر) تولى عن موسى (يسعى) يجتهد في مكايدته اولما رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسرع في مشيته وكان طياشا خفيفا (فحشر) فجمع السحرة وجنده (فنادى) في المقام الذي اجتمعوا فيه معه (فقال أنا ربكم الاعلى) لا رب فوقي وكانت لهم أصنام يعبدونها (فأخذه الله نكال الآخرة) عاقبه الله عقوبة الآخرة والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم ونصبه على المصدر لان اخذ بمعنى نكل كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة أي الاحراق (والاولى) أي الاغراق او نكال كلمتيه الآخرة وهي انا ربكم الاعلى والاولى وهي ما علمت لكم من اله غيري وبينهما اربعون سنة او ثلاثون او عشرون (ان في ذلك) المذكور (لعبرة لمن يخشى) الله (أأنتم) يا منكري البعث (أشد خلقا) اصعب خلقا وانشاء (أم السماء) مبتدأ محذوف الخبر اي ام السماء أشد خلقا ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) أي الله ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) أعلى سقفها وقيل جعل مقدار ذهابها في سمت العلو رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعدلها مستوية بلا شقوق ولا فطور (وأغطش ليلها) اظلمه (وأخرج ضحاها) ابرز ضوء شمسها وأضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس سراجها

والضوء وانما أضاف الليل والنهار الى السماء لانهما يجريان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهي في السماء ثم وصف كيفية خلق الارض فقال تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) أي بسطها ومدها قال أمية بن أبي الصلت

دحوت البلاد فسويتها * وأنت على طيها قادر

فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضي ان الارض خلقت بعد السماء بدليل قوله تعالى بعد ذلك وقد قال تعالى في حم السجدة ثم استوى الى السماء فكيف الجمع بين الآيتين وما معناهما قلت خلق الله الارض أولا ثم سمك السماء ثانيا ثم دحا الارض بمعنى مدها وبسطها ثالثا فحصل بهذا التفسير الجمع بين الآيتين وزال الاشكال قال ابن عباس خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله عتل بعد ذلك زنيم أي مع ذلك (أخرج منها ماءها ومرعاها) أي فجر من الارض عيونها ومرعاها أي رعيها وهو ما يأكله الناس والانعام واستعير الرعي للانسان على سبيل التجوز (والجبال أرساها) أي أثبتها (متاعا لكم ولانعامكم) أي الذي اخرج من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم قوله عز وجل (فاذا جاءت الطامة الكبرى) يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقيل الطامة القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شئ فتعلو عليه والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع (يوم يتذكر الانسان ما سعى) أي ما عمل في الدنيا من خير او شر (وبرزت الجحيم لمن يرى) يعني انه ينكشف عنها الغطاء فينظر اليها الخلق (فأما من طغى) أي كفر (وآثر الحياة الدنيا) أي على الآخرة (فان الجحيم هي المأوى) أي لمن هذه صفته (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) أي المحارم التي يشتهيها وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يديه جل جلاله للحساب فيتركها لذلك (فان الجنة هي المأوى) أي لمن هذه صفته قوله عز وجل (يسألونك) أي يا محمد (عن الساعة أيان مرساها) أي متى ظهورها وقيامها (فيم أنت من ذكراها) أي لست في شئ من علمها وذكراها حتى تهتم لها وتذكر وقتها (الى ربك منتهاها) أي منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة الا هو وقيل فيم انكار لسؤالهم أي فيم هذا السؤال ثم قال أنت يا محمد من ذكراها اي من علامتها لانك آخر الرسل وخاتم الانبياء فكفاهم ذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها (انما أنت منذر من يخشاها) أي انما ينفع انذارك من يخافها (كأنهم) يعني الكفار (يوم يرونها) أي يعاينون يوم القيامة (لم يلبثوا) أي في الدنيا وقيل في قبورهم (الا عشية أو ضحاها) فان قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله او ضحاها قلت قيل ان الهاء والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية او ضحى وقيل اضافة الضحى الى العشية اضافة الى يومها كانه قال الا عشية او ضحى يومها والله أعلم

(تفسير سورة عبس مكية)

وهي احدى وأربعون آية ومائة وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والارض بعد ذلك دحاها) بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة فدحيت من مكة بعد خلق السماء بألفي عام ثم فسر البسط فقال (اخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) كلاها ولذا لم يدخل العاطف على اخرج او اخرج حال باضمار قد (والجبال أرساها) اثبتها وانتصاب الارض والجبال باضمار دحا وارسى على شريطة التفسير (متاعا لكم ولانعامكم) فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم (فاذا جاءت الطامة الكبرى) الداهية العظمى التي تطم على الدواهي أي تعلو وتغلب وهي النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها أهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار (يوم يتذكر الانسان) بدل من اذا جاءت أي اذا رأى أعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها (ما سعى) مصدرية أي سعيه او موصولة (وبرزت الجحيم) واظهرت (لمن يرى) لكل راء لظهورها ظهورا بينا (فأما) جواب فاذا أي اذا جاءت الطامة فان الامر كذلك (من طغى) جاوز الحد فكفر (وآثر الحياة الدنيا) على الآخرة باتباع الشهوات (فان الجحيم هي المأوى) المرجع أي مأواه والالف واللام بدل من الاضافة وهذا عند الكوفيين وعند سيبويه وعند البصريين هي المأوى له (وأما من خاف مقام ربه) أي علم ان له مقاما يوم القيامة لحساب ربه (ونهى النفس) الامارة بالسوء (عن الهوى) المؤذي أي زجرها عن اتباع الشهوات وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها والهوى ميل النفس الى شهواتها (فان الجنة هي المأوى) أي المرجع (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) متى ارساؤها أي اقامتها يعني متى يقيمها الله تعالى ويثبتها (فيم أنت من ذكراها) في أي شئ أنت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به أي ما أنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شئ كقولك ليس فلان من العلم في شئ أو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها أي انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها (الى ربك منتهاها) منتهى علمها متى تكون لا يعلمها غيره او فيم انكار لسؤالهم عنها اى فيم هذا السؤال ثم قال أنت من ذكراها أي ارسالك وأنت آخر الانبياء علامة من علاماتها فلا معنى لسؤالهم عنها ولا يبعد ان يوقف على هذا على فيم وقيل فيم أنت من ذكراها متصل بالسؤال أي يسألونك عن الساعة أيان مرساها ويقولون اين انت من ذكراها ثم استأنف فقال الى ربك منتهاها (انما أنت منذر من يخشاها) قوله انما لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يخاف شدائدها منذر منون يزيد وعباس (كأنهم يوم يرونها) اى الساعة (لم يلبثوا) في الدنيا (الا عشية أو ضحاها) أي ضحى العشية استقلوا مدة لبثهم في الدنيا لما عاينوا من الهول كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقوله قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وانما صحت اضافة الضحى الى العشية للملابسة بينهما لاجتماعهما في نهار واحد والمراد ان مدة لبثهم لم يبلغ يوما كاملا ولكن احد طرفي النهار عشيته او ضحاه والله أعلم (سورة عبس مكية وهي اثنتان واربعون آية) *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(عبس) كلح أي النبي صلى الله عليه وسلم (وتولى) اعرض (أن جاءه) لان جاءه ومحله نصب لانه مفعول له والعامل فيه عبس او تولى على اختلاف المذهبين (الاعمى) عبدالله بن أم مكتوم وام مكتوم ام ابيه وابوه شريح بن مالك اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعوا اشراف قريش الى الاسلام

قوله عزوجل (عبس وتولى) أي كلح وقطب وجهه وتولى أي اعرض بوجهه (أن جاءه الاعمى) يعني ابن أم مكتوم واسمه عمرو وقيل عبدالله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زائدة ابن الاصم بن زهرة بن رواحة القرشي الفهري من بني عامر بن لؤي واسم أمه عاتكة بنت عبدالله المخزومية وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد اسلم قديما بمكة وذلك انه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يناجي عتبة بن ربيعة وابا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبي بن خلف وأخاه أمية بن خلف ويدعوهم الى الله يرجو اسلامهم فقال ابن أم مكتوم يارسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء وهو لا يدري انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه الصبيان والعبيد والسفلة فعبس وجهه واعرض عنه واقبل على القوم الذين كان يكلمهم فانزل الله هذه الآيات معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه اذا رآه و يقول مرحبا بمن عاتبني الله فيه و يقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين وكان من المهاجرين الاولين وقيل قتل شهيدا بالقادسية قال أنس رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الاعمى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يارسول الله أرشدني وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم عظماء قريش من المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه و يقبل على الآخرين و يقول اترى بما أقول بأسا فيقول لا ففي هذا أنزلت أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ومايدريك) أي أي شئ يجعلك داريا (لعله يزكى) أي يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك (أويذكر) أي يتعظ (فتنفعه الذكرى) أي الموعظة (أما من استغنى) قال ابن عباس عن الله وعن الايمان بماله من المال (فأنت له تصدى) أي تتعرض له وتقبل عليه وتصغى الى كلامه (وما عليك الا يزكى) أي لا يؤمن ولا يهتدي وانما عليك البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يعني يمشي يعني ابن أم مكتوم (وهو يخشى) أي الله عزوجل (فأنت عنه تلهى) أي تتشاغل وتعرض عنه (كلا) أي لا تفعل بعدها مثلها (انها) يعني الموعظة وقيل آيات القرآن (تذكرة) أي موعظة للخلق (فمن شاء) أي من عباد الله (ذكره) أي اتعظ به يعني القرآن ثم وصف جلالة القرآن ومحله عنده فقال عزوجل (في صحف مكرمة) يعني القرآن في اللوح المحفوظ (مرفوعة) أي رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة في السماء السابعة (مطهرة) يعني الصحف لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة (بأيدي سفرة) قال ابن عباس يعني كتبة وهم الملائكة الكرام الكاتبون واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم الرسل من الملائكة الى الانبياء واحدهم سفير ثم أثنى عليهم بقوله (كرام) أي هم كرام على الله (بررة) أي مطيعين له جمع بار قوله عزوجل (قتل الانسان) أي لعن الكافر وطرد (ما أكفره) أي ما أشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه وأياديه عنده وهذا على سبيل التعجب أي اعجبوا من كفره وقيل معناه اي شئ حمله على الكفر نزلت هذه الآية في عتبة بن أبي لهب وقيل في أمية بن خلف وقيل في الذين قتلوا يوم بدر وقيل الآية عامة في كل كافر ثم بين من أمره ما كان ينبغي ان يعلم ان الله تعالى خالقه منه فقال تعالى (من أي شئ خلقه) لفظه استفهام ومعناه التقرير ثم فسر ذلك فقال تعالى (من نطفة خلقه فقدره) يعني خلقه اطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى آخر خلقه وقيل قدره يعني خلق رأسه وعينيه ويديه ورجليه على قدر ما أراده (ثم السبيل يسره) أي سهل له طريق خروجه من بطن

فقال يارسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه بعدها ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين (ومايدريك) وأي شئ يجعلك داريا بحال هذا الاعمى (لعله يزكى) لعل الاعمى يتطهر بما يسمع منك من دنس الجهل واصله يتزكى وادغمت التاء في الزاي وكذا (او يذكر) يتعظ (فتنفعه) نصبه عاصم غير الاعشى جوابا للعل وغيره رفعه عطفا على يذكر (الذكرى) ذكراك أي موعظتك أي انك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك او تذكر ولو دريت ما فرط ذلك منك (اما من استغنى) أي من كان غنيا بالمال (فأنت له تصدى) تتعرض بالاقبال عليه حرصا على ايمانه تصدى بادغام التاء في الصاد حجازي (وما عليك الا يزكى) وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يسرع في طلب الخير (وهو يخشى) الله والكفار أي اذاهم في اتيانك او الكبوة كعادة العميان (فأنت عنه تلهى) تتشاغل واصله تتلهى وروى انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وروى ان الفقراء في مجلس الثوري كانوا امراء (كلا) ردع أي لا تعد الى مثله (انها) ان السورة او الآيات (تذكرة) موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فمن شاء ذكره) فمن شاء ان يذكره ذكره وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ والمعنى فمن شاء الذكر الهمه الله تعالى اياه (في صحف) صفة التذكرة اي انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح او خبر مبتدا محذوف أي هي في صحف (مكرمة) عند الله (مرفوعة) في السماء او مرفوعة القدر والمنزلة (مطهرة) عن مس غير الملائكة او عما ليس من كلام الله (بأيدي سفرة) كتبة جمع سافر اي الملائكة

 ينتسخون الكتب من اللوح (كرام) على الله او عن المعاصي (بررة) اتقياء جمع بار (قتل الانسان) لعن الكافر او هو امية او عتبة (ما أكفره) استفهام توبيخ أي أي شئ حمله على الكفر او هو تعجب اي ما أشد كفره (من أي شئ خلقه) من أي حقير خلقه وهو استفهام ومعناه التقرير ثم بين ذلك الشئ فقال (من نطفة خلقه فقدره) على ما يشاء من خلقه (ثم السبيل يسره) نصب السبيل باضمار يسر أي ثم سهل له سبيل الخروج من بطن أمه او

أمه وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل يسر على كل أحد ما خلق له وقدر عليه (ثم أماته فأقبره) أي جعل له قبرا يوارى فيه وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور وأقبره معناه ستره الله بحيث يقبر وجعله ذا قبر يدفن فيه وهذه تكرمة لبني آدم على سائر الحيوانات ثم قال تعالى (ثم إذا شاء أنشره) أي أحياه بعد موته للبعث والحساب وإنما قال تعالى ثم إذا شاء أنشره لأن وقت البعث غير معلوم لأحد فهو إلى مشيئة الله تعالى متى شاء أن يحيي الخلق أحياهم (كلا) ردع وزجر للإنسان عن تكبره وتجبره وترفعه وعن كفره وإصراره على إنكار التوحيد وإنكار البعث والحساب (لما يقض ما أمره) أي لم يفعل ما أمره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه ولما ذكر خلق آدم ذكر رزقه ليعتبر فإنه موضع الاعتبار فقال تعالى (فلينظر الإنسان إلى طعامه) إلى قدرة ربه فيه أي كيف قدره ربه ويسره ودبره له وجعله سببا لحياته وقيل مدخل طعامه ومخرجه ثم بين ذلك فقال تعالى (أنا صببنا الماء صبا) يعني المطر (ثم شققنا الأرض شقا) أي بالنبات (فأنبتنا فيها) أي بذلك الماء (حبا) يعني الحبوب التي يتغذى بها الإنسان (وعنبا) يعني أنه غذاء من وجه وفاكهة من وجه فلهذا أتبعه الحب (وقضبا) يعني القت وهي الرطب سمي بذلك لأنه يقتضب أي يقطع في كل الأيام وقيل القضب هو العلف كله الذي تعلف به الدواب (وزيتونا) وهو ما يعصر منه الزيت (ونخلا وحدائق) جمع حديقة (غلبا) يعني غلاظ الأشجار وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه على بعض وقال ابن عباس طوالا (وفاكهة) يعني جميع ألوان الفاكهة (وأبا) يعني الكلأ والمرعى الذي لم يزرعه الناس مما يأكله الدواب والأنعام وقيل الفاكهة ما يأكله الناس والأب ما يأكله الدواب وقال ابن عباس ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس والأنعام روى إبراهيم التيمي أن أبا بكر سئل عن قوله وفاكهة وأبا فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم (خ) عن أنس أن عمر قرأ وفاكهة وأبا قال فما الأب ثم قال ما كلفنا أو قال ما أمرنا بهذا لفظ البخاري وزاد غيره ثم قال اتبعوا ما بين لكم هذا الكتاب وما لا فدعوه (متاعا لكم) يعني الفواكه والحب والعشب منفعة لكم (ولأنعامكم) ثم ذكر أهوال القيامة فقال تعالى (فإذا جاءت الصاخة) يعني صيحة القيامة سميت صاخة لأنها تصخ أسماع الخلق أي تبالغ في أسماعهم حتى تكاد تصمها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) أي أنه لا يلتفت إلى واحد من هؤلاء لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد والسبب في ذلك الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالأخ يقول ما ذا أوفيتني بمالك والأبوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة تقول لم توفني حقي والبنون يقولون ما علمتنا وما أرشدتنا وقيل أول من يفر هابيل من أخيه قابيل والنبي صلى الله عليه وسلم من أمه وإبراهيم عليه الصلاة والسلام من أبيه ولوط من صاحبته ونوح من ابنه وقيل يفر المؤمن من موالاة هؤلاء ونصرتهم والمعنى أن هؤلاء الذين كانوا يقربونهم في الدنيا ويتقوون بهم ويتعززون بهم يفرون منهم في الدار الآخرة وفائدة الترتيب كأنه قيل يوم يفر المرء من أخيه بل من أبويه لأنهما أقرب من الأخوة بل من الصاحبة والولد لأن تعلقه بهما أشد من تعلقه بالأبوين (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أي يشغله شأن نفسه عن شأن غيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة أيبصر أحدنا أو يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيامة وأهوالها بين حال المكلفين وأنهم على قسمين منهم السعداء والأشقياء فوصف السعداء بقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة) أي مشرقة مضيئة من أسفر الصبح إذا أضاء وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من أثر الوضوء وقيل من الغبار في سبيل الله (ضاحكة) أي عند الفراغ من الحساب (مستبشرة) أي بالسرور فرحة بما تنال من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الأشقياء فقال تعالى (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أي سواد وكآبة للهم الذي نزل بهم (ترهقها قترة) أي تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس تغشاها ذلة والفرق بين

بين له سبيل الخير والشر (ثم أماته فأقبره) جعله ذا قبر يوارى فيه لا كالبهائم كرامة له قبر الميت دفنه وأقبره الميت أمره بأن يقبره ومكنه منه (ثم إذا شاء أنشره) أحياه بعد موته (كلا) ردع للإنسان عن الكفر (لما يقض ما أمره) لم يفعل هذا الكافر ما أمره الله به من الإيمان ولما عدد النعم في نفسه من ابتداء حدوثه إلى أن انتهائه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج إليه فقال (فلينظر الإنسان إلى طعامه) الذي يأكله ويحيا به كيف دبرنا أمره (أنا) بالفتح كوفي على أنه بدل اشتمال من الطعام وبالكسر على الاستئناف غيرهم (صببنا الماء صبا) يعني المطر من السحاب (ثم شققنا الأرض شقا) بالنبات (فأنبتنا فيها حبا) كالبر والشعير وغيرهما مما يتغذى به (وعنبا) ثمرة الكرم أي الطعام والفاكهة (وقضبا) رطبة سمي بمصدر قضبه أي قطعه لأنه يقضب مرة بعد مرة (وزيتونا ونخلا وحدائق) بساتين (غلبا) غلاظ الأشجار جمع غلباء (وفاكهة) لكم (وأبا) مرعى لدوابكم (متاعا) مصدر أي منفعة (لكم ولأنعامكم فإذا جاءت الصاخة) صيحة القيامة لأنها تصخ الآذان أي تصمها وجوابه محذوف لظهوره (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) لتبعات بينه وبينهم أو لاشتغاله بنفسه (وصاحبته) وزوجته (وبنيه) بدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أحب قيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه إبراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح (لكل امرئ منهم يومئذ شأن) في نفسه (يغنيه) يكفيه في الاهتمام به ويشغله عن غيره (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة من قيام الليل أو من آثار الوضوء (ضاحكة مستبشرة) أي أصحاب هذه الوجوه وهم المؤمنون ضاحكون مسرورون (ووجوه يومئذ عليها غبرة) غبار (ترهقها قترة) يعلو الغبرة سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع

الغبرة والقترة ان الغبرة ما كان اسفل في الارض والقترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء (أولئك) أي الذين صنع بهم هذا (هم الكفرة الفجرة) جمع كافر وفاجر والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

(تفسير سورة التكوير)

وهي مكية وتسع وعشرون آية ومائة واربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة كانه رأى العين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت أخرجه الترمذي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اذا الشمس كورت) قال ابن عباس أظلمت وغورت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف العمامة واصل التكوير جمع بعض الشئ الى بعض ومعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة قيل ان الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما في النار يكون سببا لازدياد الحر في جهنم (واذا النجوم انكدرت) أي تناثرت من السماء وسقطت على الارض قال الكلبي وعطاء تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم الا وقع (واذا الجبال سيرت) أي عن وجه الارض فصارت هباء منثورا (واذا العشار عطلت) يعني النوق الحوامل التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها واحدتها عشراء ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهي انفس مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راع اهملها أهلها وقد كانوا لازمين لاذنابها ولم يكن مال أعجب اليهم منها لما جاءهم من اهوال يوم القيامة (واذا الوحوش) يعني من دواب البر (حشرت) اى جمعت يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض وقال ابن عباس حشرها موتها قال وحشر كل شئ موته غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة (واذا البحار سجرت) قال ابن عباس أوقدت فصارت نارا تضطرم وقيل فجر بعضها في بعض العذب والملح حتى صارت البحار كلها بحرا واحدا وقيل صارت مياهها من حميم أهل النار وقيل سجرت اى يبست وذهب ماؤها فلم تبق فيها قطرة قال أبي بن كعب ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فتحركت واضطربت وفزعت الانس والجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت قال فحينئذ تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا اذ جاءتهم ريح فأماتتهم وعن ابن عباس قال هي اثنا عشر خصلة ستة في الدنيا وستة في الآخرة وهي ما ذكر بعد هذه وهو قوله تعالى (واذا النفوس زوجت) روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب انه سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وقيل ألحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقيل يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس بأعمالها وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقيل معنى زوجت ردت الارواح الى الاجساد (واذا الموؤدة سئلت) يعنى الجارية التي دفنت وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها أي يثقلها حين تموت وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة وروى عن ابن عباس قال كانت المرأة في الجاهلية اذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت

الغبرة والسواد في الوجه (أولئك) اهل هذه الحالة (هم الكفرة) في حقوق الله (الفجرة) في حقوق العباد ولما جمعوا الفجور الى الكفر جمع الى سواد وجوههم الغبرة والله أعلم

(سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا الشمس كورت) ذهب بضوئها من كورت العمامة اذا لففتها أي يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وارتفاع الشمس بالفاعلية ورافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط (واذا النجوم انكدرت) تساقطت (واذا الجبال سيرت) عن وجه الارض وابعدت او سيرت في الجو تسيير السحاب (واذا العشار) جمع عشراء وهي الناقة التي اتى على حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة (عطلت) أهملت عطلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم وكانوا يحبسونها اذا بلغت هذه الحالة لعزتها عندهم ويعطلون ما دونها عطلت بالتخفيف عن اليزيدي (واذا الوحوش حشرت) جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما حشرها موتها يقال اذا أجحفت السنة بالناس واموالهم حشرتهم السنة (واذا البحار سجرت) سجرت مكي وبصري من سجر التنور اذا ملأه بالحطب اى ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا لتعذيب اهل النار (واذا النفوس زوجت) قرنت كل نفس بشكلها الصالح مع الصالح في الجنة والطالح مع الطالح في النار او قرنت الارواح بالاجساد او بكتبها واعمالها او نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين (واذا الموؤدة) المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات خشية الاملاق وخوف الاسترقاق (سئلت) سؤال تلطف لتقول بلا ذنب قتلت او لتدل على قاتلها أو هو توبيخ لقاتلها بصرف الخطاب عنه كقوله أأنت قلت

يديريد وفيه دليل على ان اطفال المشركين لايعذبون وعلى ان التعذيب لايكون بلاذنب

حفيرة فتمخضت على رأس الحفيرة فان ولدت جارية رمت بها فى الحفيرة واذا ولدت غلاما حبسته وقيل كان الرجل فى الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد بقاءها حية ألبسها جبة صوف او شعر وتركها ترعى الابل والغنم فى البادية واذا أراد قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت قال لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر بئرا فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها فاذا نظرت دفعها من ورائها ويهيل عليها التراب حتى تستوى بالارض عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤدة فى النار أخرجه ابو داود وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد ولم يئد فافتخر به الفرزدق فى شعره فقال

ومنا الذى منع الوائدات * وأحيى الوئيد فلم توأد

(بأى ذنب قتلت) معناه تسئل الموؤدة فيقال لها بأى ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب (واذا الصحف نشرت) يعنى صحائف الاعمال تنشر للحساب (واذا السماء كشطت) أى نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع السقف وقيل كشفت وأزيلت عمن فيها (واذا الجحيم سعرت) اى اوقدت لاعداء الله تعالى (واذا الجنة أزلفت) اى قربت لاولياء الله (علمت نفس ما أحضرت) يعنى عند ذلك تعلم كل نفس ما أحضرت من خير او شر وهذا جواب لقوله اذا الشمس كورت الى هنا قوله عز وجل (فلا أقسم) لا زائدة والمعنى أقسم وقد تقدم ذلك فى قوله لا أقسم بيوم القيامة (بالخنس الجوار الكنس) يعنى النجوم تبدو بالليل فتظهر وتخنس بالنهار تحت نور الشمس ونحو هذا المعنى روى عن على بن أبى طالب وقيل هى النجوم الخمسة زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد تخنس فى مجاريها أى ترجع وراءها فى الفلك وتكنس اى تستتر وقت اختفائها وقيل انها تخنس اى تتأخر عن مطالعها والكنس معناه انها لاترى بالنهار وقيل هى الظباء وهى رواية عن ابن عباس واصل الخنوس الرجوع الى وراء والكنوس هو ان تأوى الى كناسها وهو الموضع الذى يأوى اليه الوحش (والليل اذا عسعس) اى اقبل بظلامه وقيل ادبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون فى طرف الليل (والصبح اذا تنفس) اى اقبل وبدا أوله وقيل أسفر وفى تنفسه قولان احدهما ان فى اقبال الصبح روحا ونسيما فجعل ذلك نفسا على المجاز الثانى انه شبه الليل بالمكروب المحزون فاذا تنفس وجد راحة فكانه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس فهو استعارة لطيفة ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى (انه) يعنى القرآن (لقول رسول كريم) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام والمعنى ان جبريل نزل به عن الله عز وجل (ذى قوة) وكان من قوته انه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانه أبصر ابليس يكلم عيسى عليه الصلاة والسلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه ألقاه الى اقصى جبل بالهند وانه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد فى اسرع من رد الطرف (عند ذى العرش مكين) أى فى المنزلة والجاه (مطاع ثم) أى فى السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة له انهم فتحوا ابواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة ابوابها بقوله (أمين) يعنى على وحى الله تعالى الى أنبيائه (وما صاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة (بمجنون) وهذا أيضا من جواب القسم أقسم على ان القرآن نزل به جبريل وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقول اهل مكة وذلك انهم قالوا انه مجنون وان ما يقوله ليس هو الا من عند نفسه فنفى الله عنه الجنون وكون القرآن من عند نفسه (ولقد رآه) يعنى رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته التى خلق فيها (بالافق المبين) يعنى بالافق الاعلى من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه الصلاة والسلام انى احب ان أراك فى صورتك التى تكون فيها

للناس الآية (بأى ذنب قتلت) وبالتشديد (واذا الصحف نشرت) فيحت وبالتخفيف مدنى وشامى وعاصم وسهل ويعقوب والمراد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب ويجوز ان يراد نشرت بين اصحابها أى فرقت بينهم (واذا السماء كشطت) قال الزجاج قلعت كما يقلع السقف (واذا الجحيم سعرت) اوقدت ايقادا شديدا وبالتشديد شامى ومدنى وعاصم غير حماد ويحيى للمبالغة (واذا الجنة أزلفت) ادنيت من المتقين كقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد فهذه اثنتا عشرة خصلة ستة منها فى الدنيا والباقية فى الآخرة ولا وقف مطلقا من أول السورة الى ما أحضرت لان عامل النصب فى اذا الشمس وفيما عطف عليه جوابها وهو (علمت نفس) أى كل نفس ولضرورة انقطاع النفس على كل آية جوز الوقف (ما أحضرت) من خير وشر (فلا أقسم) لا زائدة (بالخنس) بالرواجع بينا ترى النجم فى آخر البرج اذ كر راجعا الى اوله (الجوار) السيارة (الكنس) الغيب من كنس الوحش اذا دخل كناسه قيل هى الدرارى الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هى جميع الكواكب (والليل اذا عسعس) اقبل بظلامه او ادبر فهو من الاضداد (والصبح اذا تنفس) امتد ضوءه ولما كان اقبال الصبح يلازمه الروح والنسيم جعل ذلك نفسا له مجازا وجواب القسم (انه) أى القرآن (لقول رسول) أى جبريل عليه السلام وانما أضيف القرآن اليه لانه هو الذى نزل به (كريم) عند ربه (ذى قوة) قدرة على ما يكلف لا يعجز عنه ولا يضعف (عند ذى العرش) عند الله (مكين) ذى جاه ومنزلة ولما كانت حال المكانة على حسب حال المكين قال عند ذى العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته (مطاع ثم) أى فى السموات يطيعه من فيها أو عند ذى العرش أى عند الله يطيعه ملائكته المقربون يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه (أمين) على الوحى (وما صاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما تزعم الكفرة وهو عطف على جواب القسم (ولقد رآه) رأى محمد جبريل عليه السلام على صورته (بالافق المبين) بمطلع

فهمافي السماء قال ان تقوى على ذلك قال بلى قال فأين تشاء ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعنى ذلك قال فبمنى قال لا يسعنى ذلك قال بعرفات قال لا يسعنى ذلك قال بحراء قال ان يسعنى فواعده فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت فاذا هو بجبريل قد أقبل من حبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ مابين المشرق والمغرب ورأسه فى السماء ورجلاه فى الارض فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل عن صورته وضمه الى صدره وقال يامحمد لاتخف فكيف لو رأيت اسرافيل ورأسه تحت العرش ورجلاه فى تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله جل جلاله وعلا علاؤه وشأنه حتى يصير كالصعو يعنى العصفور حتى مايحمل عرش ربك الا عظمته (وماهو) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (على الغيب) اى الوحى وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عن علمه من القصص والانباء (بظنين) قرئ بالظاء ومعناه بمتهم والظنة التهمة وقرئ بضنين بالضاد ومعناه ببخيل يقول انه يأتيه علم الغيب ولا يبخل به عليكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ماعنده حتى يأخذ عليه حلوانا وهو اجرة الكاهن وقراءة الظاء اولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى الله عنه تلك التهمة ولو أراد البخل لقال وماهو بالغيب (وماهو) يعنى القرآن (بقول شيطان رجيم) يعنى القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون ان شيطانا يلقيه على لسانه فنفى الله ذلك عنه (فأين تذهبون) أى فأين تعدلون عن القرآن وفيه الشفاء والهداية والبيان وقيل معناه اى طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التى قد بينت لكم (ان هو) يعنى ماالقرآن (الاذكر للعالمين) أى موعظة للخلق اجمعين (لمن شاء منكم أن يستقيم) اى يتبع الحق ويقيم عليه و ينتفع به ثم بين ان مشيئة العبد موقوفة بمشيئته فقال تعالى (وماتشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين) اعلمهم الله ان المشيئة فى التوفيق للاستقامة اليه وانهم لايقدرون على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه وفيه اعلام ان احدا لايعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولا شرا الا بخذلانه ومشيئته والله تعالى أعلم

(تفسير سورة الانفطار مكية)

وهى تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اذا السماء انفطرت) اى انشقت (واذا الكواكب انتثرت) اى تساقطت (واذا البحار فجرت) اى فجر بعضها فى بعض واختلط العذب بالملح فصارت بحرا واحدا وقيل معنى فجرت فاضت (واذا القبور بعثرت) اى بحثت وقلبت ترابها وبعث من فيها من الموتى احياء (علمت نفس ماقدمت وأخرت) يعنى علمت فى ذلك اليوم ماقدمت من عمل صالح اوسيئ واخرت بعدها من حسنة اوسيئة وقيل ماقدمت من الصدقات واخرت من الزكاات وهذه أحوال يوم القيامة قوله عز وجل (ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم) اى ماخدعك وسول لك الباطل حتى صنعت ماصنعت وضيعت ماأوجب عليك والمعنى ماذا أمنك من عقابه قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وقيل فى أبى الشريق واسمه اسيد بن كلدة وقيل كلدة بن خلف وكان كافرا ضرب النبى صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله وانزل الله هذه الآية وقيل الآية عامة فى كل كافر وعاص يقول ماالذى غرك قيل غره حمقه وجهله وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حيث لم يعاجله بالعقوبة فى أول مرة بربك الكريم اى المتجاوز عنك فهو بكرمه لك لم يعاجلك بعقوبته بل بسط لك المدد لرجاء التوبة قال ابن مسعود مامنكم من احد الا سيخلو الله عزوجل به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم ماذا غرك بى يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لو اقامك الله يوم القيامة فيقول لك يا ابن آدم ماغرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال أقول غرنى ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو اقامنى بين يديه وقال ماغرك

الشمس (وماهو على الغيب) وما محمد على الوحى (بضنين) يبخل من الضن وهو البخل أى لا يبخل بالوحى كما يبخل الكهان رغبة فى الحلوان بل يعلمه كما علم ولا يكتم شيئا مما علم بظنين مكى وابو عمرو وعلى اى بمتهم فينقص شيئا مما أوحى اليه او يزيد فيه من الظنة وهى التهمة (وماهو) وما القرآن (بقول شيطان رجيم) ما ريد وهو كقوله وماتنزلت به الشياطين اى ليس هو بقول بعض المسترقة للسمع و بوحيهم الى اوليائهم من الكهنة (فأين تذهبون) استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا فى بنيات الطريق اين تذهب مثلت حالهم بحاله فى تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل وقال الزجاج معناه فأى طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التى بينت لكم وقال الجنيد فأين تذهبون عنا وان من شئ الا عندنا (ان هو الا ذكر للعالمين) ما القرآن الا عظة للخلق (لمن شاء منكم) بدل من العالمين (أن يستقيم) أى القرآن ذكر لمن شاء الاستقامة يعنى ان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول فى الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا (وماتشاؤن) الاستقامة (الا أن يشاء الله رب العالمين) مالك الخلق أجمعين

(سورة الانفطار مكية وهى تسع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) تساقطت (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض وصارت البحار بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) بحثت وأخرج موتاها وجواب اذا (علمت نفس) أى كل نفس برة وفاجرة (ماقدمت) ماعملت من الطاعة (وأخرت) وتركت ولم تعمل او ماقدمت من الصدقات وما أخرت من الميراث (ياأيها الانسان) قيل الخطاب لمنكرى البعث (ماغرك بربك الكريم

الذى خلقك) أى شئ خدعك حتى ضيعت ماوجب عليك مع كرم ربك حيث أنعم عليك بالخلق والتسوية والتعديل وعنه عليه السلام حين تلاها غره جهله وعن عمر رضى الله عنه غره حمقه وعن الحسن غره شيطانه وعن الفضيل لوخوطبت اقول غرتنى ستورك المرخاة وعن يحيى بن معاذ اقول غرنى برك بى سالفا وآنفا (فسواك) فجعلك مستوى الخلق سالم الاعضاء (فعدلك) فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى

اليدين اطول ولا احدى العينين أوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها أسود وجعلك معتدل الخلق تمشى قائما لا كالبهائم وبالتخفيف كوفى وهو بمعنى المشدد أى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت فكنت معتدل الخلقة متناسبا (فى أى صورة ماشاء ركبك) مامزيدة للتوكيد أى ركبك فى أى صورة اقتضتها مشيئته من الصورة المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر ولم يعطف هذه الجملة كما عطف ماقبلها لانها بيان لعدلك والجار يتعلق بركبك على معنى وضعك فى بعض الصور ومكنك فيها أو بمحذوف أى ركبك حاصلا فى بعض الصور (كلا) ردع عن الغفلة عن الله تعالى (بل تكذبون بالدين) أصلا وهو الجزاء اودين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا (وان عليكم لحافظين) اعمالكم واقوالكم من الملائكة (كراما كاتبين) يعنى انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا بها (يعلمون ماتفعلون) لا يخفى عليهم شئ من اعمالكم وفى تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله من جلائل الامور وفيه انذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ماأشدها من آية على الغافلين (ان الابرار لفى نعيم) ان المؤمنين لفى نعيم الجنة (وان الفجار لفى جحيم) وان الكفار لفى النار (يصلونها يوم الدين) يدخلونها يوم الجزاء (وماهم عنها بغائبين) اى لا يخرجون منها كقوله وماهم بخارجين منها ثم عظم شأن يوم القيامة فقال (وما أدراك مايوم الدين ثم ما أدراك مايوم الدين) فكرر للتأكيد والتهويل وبينه بقوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) أى لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه وانما تملك الشفاعة بالاذن يوم بالرفع مكى وبصرى أى هو او بدل من يوم الدين ومن نصب فباضمار اذكر او باضمار يدانون لان الدين يدل عليه (والامر يومئذ لله) أى لا أمر الا لله وحده فهو القاضى فيه دون غيره (سورة المطففين مختلف فيها وهى ست وثلاثون آية) *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (ويل) مبتدأ خبره (للمطففين) الذين يبخسون حقوق الناس فى الكيل والوزن (الذين اذا اكتالوا على الناس

بى أقول غرنى برك بى سالفا وآنفا وقال ابو بكر الوراق لو قال لى ماغرك بربك الكريم لقلت غرنى كرم الكريم وقال بعض اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر اسمائه وصفاته كانه لقنه حجته فى الاجابة حتى يقول غرنى كرم الكريم (الذى خلقك) أى اوجدك من العدم الى الوجود (فسواك) اى جعلك سويا سالم الاعضاء تسمع وتبصر (فعدلك) اى عدل خلقك فى مناسبة الاعضاء فلم يجعل بعضها اطول من بعض وقيل معناه جعلك قائما معتدلا حسن الصورة ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية (فى أى صورة ماشاء ركبك) اى فى اى شبه من أب اوام اوخال اوعم وجاء فى الحديث ان النطفة اذا استقرت فى الرحم احضر كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ فى أى صورة ماشاء ركبك وقيل معناه ان شاء ركبك فى صورة انسان وان شاء فى صورة دابة او حيوان وقيل فى أى صورة ماشاء ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة والانوثة وفى هذه دلالة على قدرة الصانع المختار القادر وذلك انه لما اختلفت الهيئات والصفات دل ذلك على كمال القدرة واتساع الصنعة وان المدبر المختار هو الله تعالى قوله عزوجل (كلا بل تكذبون بالدين) اى بيوم الحساب والجزاء (وان عليكم لحافظين) يعنى رقباء من الملائكة يحفظون عليكم اعمالكم (كراما) اى على الله (كاتبين) اى يكتبون اقوالكم واعمالكم (يعلمون ماتفعلون) يعنى من خير او شر قوله عزوجل (ان الابرار) يعنى الذين بروا وصدقوا فى ايمانهم باداء ماافترض الله عليهم واجتناب معاصيه (لفى نعيم) يعنى نعيم الجنة (وان الفجار لفى جحيم) روى ان سليمان بن عبد الملك قال لابى حازم المزنى ليت شعرى مالنا عند الله فقال له اعرض عملك على كتاب الله فانك تعلم مالك عند الله قال اين اجد ذلك فى كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من المحسنين (يصلونها يوم الدين) يعنى يوم القيامة لانه يوم الجزاء (وماهم عنها بغائبين) اى عن النار ثم عظم شأن ذلك اليوم فقال تعالى (وما أدراك مايوم الدين) قيل الخاطب بذلك هو الكافر وهو على وجه الزجر له وقيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى اى شئ اعلمك به لولم نعرفك أحواله (ثم ما أدراك مايوم الدين) التكرير للتعظيم فى ذلك اليوم وتفخيم شأنه (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) أى لا تملك نفس كافرة لنفس كافرة شيئا من المنفعة (والامر يومئذ لله) يعنى انه لم يملك الله فى ذلك أحدا شيئا كما ملككم فى الدنيا والله أعلم

(تفسير سورة المطففين مدنية)

فى قول ومكية فى قول وقيل فيها ثمان آيات مكية وهى من قوله ان الذين أجرموا الى آخرها وقيل فيها آية مكية وهى قوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين وقيل انها نزلت بين مكة والمدينة زمن الهجرة وهى ست وثلاثون آية ومائة وتسعة وستون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ويل) اى قبح وهى كلمة تذكر عند وقوع البلاء يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد فى جهنم (للمطففين) يعنى الذين ينقصون المكيال والميزان لانه لا يكاد المطفف يسرق فى الكيل والوزن الا الشئ اليسير الطفيف قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فأنزل الله عزوجل ويل للمطففين فأحسنوا الكيل وقيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية وجعل الويل للمطففين ثم بين من هم فقال تعالى (الذين اذا اكتالوا على الناس

يستوفون) أى اذا اخذوا بالكيل من الناس يأخذون حقوقهم وافية تامّة ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوزان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الاختصاص أى يستوفون على الناس خاصة وقال الفراء من وعلى يعتقبان فى هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ماعليك واذا قال اكتلت منك فكانه قال استوفيت منك والضمير المنصوب فى (واذا كالوهم اووزنوهم) راجع الى الناس أى كالوالهم اووزنوالهم فحذف الجار وأوصل الفعل وانما لم يقل اواتزنوا كما قيل اووزنوهم اكتفاء ويحتمل ان المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعون ويحتالون فى الملء واذا اعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس فى النوعين (يخسرون) ينقصون يقال خسر الميزان واخسره (الا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم) يعنى يوم القيامة ادخل همزة الاستفهام على لا النافية توبيخا وليست الا هذه للتنبيه وفيه انكار وتعجيب عظيم من حالهم فى الاجتراء على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة ولو ظنوا انهم يبعثون مانقصوا فى الكيل والوزن وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ماقال الله فى المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تأخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ونصب (يوم يقوم الناس) بمبعوثون (لرب العالمين) لامره وجزائه وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة فلما بلغ هنا بكى نحيبا وامتنع من قراءة مابعدها (كلا) ردع وتنبيه أى ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ونبههم على انه مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم فقال (ان كتاب الفجار) صحائف اعمالهم (لفى سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم) فان قلت قد اخبر الله عن كتاب الفجار بانه فى سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم فى كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه من رقم الثياب علامتها والمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت فى ذلك الديوان وسمى سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق فى جهنم اولانه مطروح تحت الارض السابعة فى مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته وهو اسم علم منقول من وصف كحاتم منصرف لوجود سبب واحد وهو العلمية فحسب (ويل يومئذ) يوم يخرج المكتوب (للمكذبين)

يستوفون) يعنى انهم اذا اكتالوا من الناس ومن وعلى يتعاقبان وقيل معناه اذا اكتالوا من الناس أى اشتروا شيئا استوفوا عليهم لانفسهم الكيل والوزن (واذا كالوهم أووزنوهم) يعنى الناس كما يقال نصحتك ونصحت لك (يخسرون) اى ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من يأخذ لنفسه زائدا ويدفع الى غيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن اذا لم يتب منه فان تاب منه ورد الحقوق الى أهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك وأصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق محتاجون الى المعاملات وهى مبنية على أمر الكيل والوزن والذرع فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول له اتق الله أوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق وقال قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وقال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيامة (الا يظن) اى الا يعلم ويستيقن (أولئك) اى الذين يفعلون هذا الفعل وهم المطففون (انهم مبعوثون ليوم عظيم) يعنى يوم القيامة (يوم يقوم الناس) يعنى من قبورهم (لرب العالمين) اى لامره وجزائه وحسابه (ق) عن نافع عن ابن عمر تلا الا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم أحدهم فى رشحه الى انصاف أذنيه وروى مرفوعا عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس من رؤس الخلائق يوم القيامة حتى تكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذى أو ميلين قال سليم بن عامر والله ما أدرى ما يعنى بالميل مسافة الارض أو الميل ما تكتحل به العين قال فيكون الناس على قدر اعمالهم فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه الى فيه قوله عز وجل (كلا) قيل انه ردع وتنبيه اى ليس الامر على ماهم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا عنه فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا (ان كتاب الفجار) اى الذى كتبت فيه أعمالهم (لفى سجين) قال ابن عمر هى الارض السابعة السفلى وفيها ارواح الكفار وروى البغوى باسناد الثعلبى عن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين أسفل سبع أرضين وعليون فى السماء السابعة تحت العرش وقال عمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرنى عن قول الله عز وجل ان كتاب الفجار لفى سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتأبى ان تقبلها فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس بمعرفتها الهلاك بحساب يوم القيامة وقيل هى صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضراء خضرة السماء منها فتقلب ويجعل كتاب الفجار تحتها قال وهب هى آخر سلطان ابليس وجاء فى الحديث الفلق جب فى جهنم مغطى وسجين جب فى جهنم مفتوح وقيل معناه لفى سجين لفى خسار وضلال وقيل انه مشتق من السجن ومعناه لفى حبس وضيق شديد (وما أدراك ما سجين) اى ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك وقيل انما قال ذلك تعظيما لامر سجين (كتاب مرقوم) ليس هذا تفسيرا للسجين وانما هو بيان للكتاب المذكور فى قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار مرقوم اى مكتوب فيه اعمالهم مثبتة عليهم كالرقم فى الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه وقيل مرقوم رقم عليهم بشر كانه علم بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مرقوم اى مختوم وهو بلغة حمير (ويل يومئذ

للمكذبين) وقيل انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين ومعنى الآية ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل مرقوم معناه مرقوم بالشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين اى فى ذلك اليوم من ذلك الكتاب المرقوم عليهم بالشقاوة (الذين يكذبون بيوم الدين) اى بيوم القيامة لانه يوم الجزاء (ومايكذب به) اى بيوم القيامة (الا كل معتد) اى متجاوز عن نهج الحق (أثيم) هو مبالغة فى الاثم وهو لمرتكب الاثم والمعاصى (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاوّلين) اى أكاذيب الاولين قوله عزوجل (كلا) اى لا يؤمن ثم استأنف فقال (بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذى قال الله بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وأصل الران الغلبة ومعنى الآية ان الذنوب والمعاصى غلبت على قلوبهم وأحاطت بها وقيل هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن عباس ران على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين ان يسودّ القلب من الذنوب والطبع ان يطبع الله على القلب وهو أشد من الرين ولا يقال أشد من الطبع وقيل الرين التغطية والمعنى انه يغشى القلب شئ كالصدا فيغطيه فعند ذلك يموت القلب (كلا) قال ابن عباس يريد لا يصدقون وقيل معناه ليس الامر كما يقولون ان لهم فى الآخرة خيرا ثم استأنف فقال تعالى (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل ان الله لا ينظر اليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير فيه ضعف اما حمله على منع الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثانى فان من حجب عن الله فان الله لا ينظر اليه نظر رحمة ولا يزكيه والذى ذهب اليه أكثر المفسرين انهم محجوبون عن رؤية الله وهذا هو الصحيح واحتج بهذه الآية من أثبت الرؤية للمؤمنين قالوا ولولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة ووجه آخر وهو انه تعالى ذكر الحجاب فى معرض الوعيد والتهديد للكفار ومايكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله فى حق المؤمنين فوجب أن لا يحصل هذا الحجاب فى حق المؤمنين قال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون انهم لا يرون ربهم فى المعاد لزهقت أنفسهم فى الدنيا قيل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى الآخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب الله أعداءه لم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه وقال الشافعى فى قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان أولياء الله يرون الله جل جلاله وعنه كما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا ثم أخبر ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال عز من قائل (ثم انهم لصالوا الجحيم) اى لداخلوا النار (ثم يقال) اى تقول لهم الخزنة (هذا) اى هذا العذاب (الذى كنتم به تكذبون) يعنى فى الدنيا (كلا) اى ليس الامر كما يتوهمه الفجار من انكار البعث وقيل كلا اى لا يؤمنون بالعذاب الذى يصلونه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى (ان كتاب الابرار لفى عليين) جمع على من العلو وقيل هو موضع على صفة الجمع لا واحد له من لفظه وتقدم من حديث البراء المرفوع ان عليين فى السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقال ابن عباس فى رواية عنه هى الجنة وقيل هى سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل هى مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظمها الله واعلاها (وما أدراك ماعليون) تنبيه له على عظم شأنه (كتاب مرقوم) ليس تفسير العليين والمعنى ان كتاب الابرار لفى عليين كتاب مرقوم فيه ما أعد الله لهم فى الآخرة من الكرامة وقيل مكتوب فيه أعمالهم وعليون محل الملائكة وضده سجين وهو محل ابليس وجنوده (يشهده المقربون) يعنى الملائكة الذين هم فى عليين يشهدون أى يحضرون ذلك المكتوب ومن قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين المقربون من الملائكة لكرامة المؤمن قوله تعالى (ان الابرار) يعنى المطيعين لله (لفى نعيم) يعنى

الذين يكذبون بيوم الدين) الجزاء والحساب (ومايكذب به) بذلك اليوم (الا كل معتد) مجاوز للحد (أثيم) مكتسب للاثم (اذا تتلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال أساطير الاولين) أى أحاديث المتقدمين وقال الزجاج أساطير اباطيل واحدها اسطورة مثل احدوثة واحاديث (كلا) ردع للمعتدى الاثيم عن هذا القول (بل) نفى لما قالوا ويقف حفص على بل وقيفة (ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) غطاها كسبهم أى غلب على قلوبهم حتى غمرها ماكانوا يكسبون من المعاصى وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب وعن الضحاك الرين موت القلب وعن أبى سليمان الرين والقسوة زماما الغفلة ودواؤهما ادمان الصوم فان وجد بعد ذلك قسوة فليترك الادام (كلا) ردع عن الكسب الرائن على القلب (انهم عن ربهم) عن رؤية ربهم (يومئذ لمحجوبون) لممنوعون والحجب المنع قال الزجاج فى الآية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم والا لا يكون التخصيص مفيدا وقال الحسين بن الفضل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى العقبى عن رؤيته وقال مالك ابن أنس رحمه الله لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه وقيل عن كرامة ربهم لانهم فى الدنيا لم يشكروا نعمه فيئسوا فى الآخرة عن كرامته مجازاة والاول اصح لان الرؤية اقوى الكرامات والحجب عنها دليل الحجب عن غيرها (ثم انهم لصالوا الجحيم) ثم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلون النار (ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) أى هذا العذاب هو الذى كنتم تكذبون به فى الدنيا وتنكرون وقوعه (كلا) ردع عن التكذيب (ان كتاب الابرار) ما كتب من أعمالهم والابرار المطيعون الذين لا يطففون ويؤمنون بالبعث لانه ذكر فى مقابلة الفجار وبين الفجار بانهم المكذبون بيوم الدين وعن الحسن البر الذى لا يؤذى الذر (لفى عليين) هو علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ماعملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمى به لانه سبب الارتفاع الى اعلى الدرجات فى الجنة اولانه مرفوع فى السماء السابعة حيث تسكن الكروبيون تكريما له (وما أدراك) ما الذى أعلمك يا محمد (ماعليون) اى شئ هو (كتاب مرقوم يشهده المقربون) تحضره الملائكة وقيل يشهد عمل الابرار مقربو كل سماء اذا رفع (ان الابرار لفى نعيم) تنعم

نعيم

نعيم الجنة (على الارائك) جمع أريكة وهى الاسرة فى الحجال (ينظرون) اى الى ما أعد الله لهم من نعيم الجنة وقيل ينظرون الى اعدائهم كيف يعذبون فى النار وقيل ينظرون الى ربهم سبحانه وتعالى (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) يعنى انك اذا رأيتهم تعرف انهم من أهل النعمة لما ترى على وجوههم من النور والحسن والبياض قيل النضرة فى الوجه والسرور فى القلب (يسقون من رحيق) يعنى الخمر الصافية الطيبة البيضاء (مختوم) يعنى ختم على ذلك الشراب ومنع من أن تمسه الايدى الى ان يفك ختمه الابرار فان قلت قد قال فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم وانهار من خمر والنهر لا يختم عليه فكيف طريق الجمع بين الآيتين قلت يحتمل أن يكون المذكور فى هذه الآية فى أوان مختوم عليها وهى غير تلك الخمر التى فى الانهار وانما ختم عليها لشرفها ونفاستها (ختامه مسك) اى طينته التى ختم عليه بها مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم اى ممزوج ختامه اى آخر طعمه وعاقبته مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) اى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله عز وجل ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك وقيل أصله من الشئ النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره اى يعز ويبخل (ومزاجه من تسنيم) اى شراب ينصب عليهم من غرفهم ومنازلهم وقيل يجرى فى الهواء مسنما فيصب فى أوانى أهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلأت أمسك وأصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لانه اعلاه وقيل هو شراب اسمه تسنيم وهو من أشرف شراب أهل الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونه صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة وسئل ابن عباس عن قوله من تسنيم فقال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (عينا يشرب بها) اى منها وقيل يشرب بها (المقربون) اى صرفا وقوله عز وجل (ان الذين أجرموا) أى أشركوا يعنى كفار قريش ابا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من مشركى أهل مكة (كانوا من الذين آمنوا) اى من عمار وخباب وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين (يضحكون) اى منهم ويستهزؤن بهم (واذا مروا بهم) يعنى مر المؤمنون الفقراء بالكفار الاغنياء (يتغامزون) يعنى يتغامز الكفار والغمز الاشارة بالجفن والحاجب اى يشيرون اليهم بالاعين استهزاء بهم (واذا انقلبوا الى أهلهم) يعنى الكفار (انقلبوا فكهين) أى معجبين بما هم فيه وقيل ينقلبون بذكرهم كانهم يتفكهون بحديثهم (واذا رأوهم) يعنى رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا ان هؤلاء لضالون) اى هم فى ضلال يأتون محمدا ويرون انهم على شئ قال الله عز وجل (وما أرسلوا) يعنى المشركين (عليهم) يعنى على المؤمنين (حافظين) اى لاعمالهم والمعنى انهم لم يوكلوا بحفظ أعمالهم قوله عز وجل (فاليوم) يعنى فى الآخرة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) وسبب هذا الضحك ان الكفار كانوا فى الدنيا يضحكون من المؤمنين لما هم فيه من الشدة والبلاء فلما أفضوا الى الآخرة انعكس ذلك الامر فصار المؤمنون فى السرور والنعيم وصار الكفار فى العذاب والبلاء فضحك المؤمنون من الكافرين لما رأوا حالهم وقال أبو صالح تفتح للكافرين ابواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا انتهوا اليها أغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا والمؤمنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا أراد المؤمن أن ينظر الى عدوه فى الدنيا من الكفار اطلع عليه من تلك الكوى وهو يعذب فيضحك منه فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (على الارائك) جمع أريكة وهو السرير وتتخذ فيه الحجلة وهى الكلة يزين بها البيت وارائك الجنة من الدر والياقوت (ينظرون) يعنى اليهم وهم فى النار يعذبون قال الله تعالى (هل ثوب الكفار) أى جوزى الكفار (ما كانوا يفعلون) أى بالمؤمنين من الاستهزاء والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقرير وثوب وأثيب بمعنى قال أوس

فى الجنان (على الارائك) الاسرة فى الحجال (ينظرون) الى كرامة الله ونعمه والى اعدائهم كيف يعذبون (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم وطراوته (يسقون من رحيق) شراب خالص (مختوم ختامه مسك) تختم اوانيه بمسك بدل الطين الذى يختم به الشراب فى الدنيا امر الله تعالى بالختم عليه اكراما لاصحابه او ختامه مسك مقطعه رائحة مسك اى توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه خاتمه على (وفى ذلك) الرحيق او النعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون وذا انما يكون بالمسارعة الى الخيرات والانتهاء عن السيئات (ومزاجه) ومزاج الرحيق (من تسنيم) هو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها ارفع شراب فى الجنة او لانها تأتيهم من فوق وتنصب فى اوانيهم (عينا) حال او نصب على المدح (يشرب بها) أى منها (المقربون) عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم يشرب بها المقربون صرفا وتمزج لاصحاب اليمين (ان الذين أجرموا) كفروا (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) فى الدنيا استهزاء بهم (واذا مروا بهم يتغامزون) يشير بعضهم الى بعض بالعين طعنا فيهم وعيبا لهم قيل جاء على رضى الله عنه فى نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا وقالوا أترون هذا الاصلع فنزلت قبل ان يصل على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (واذا انقلبوا الى اهلهم) أى اذا رجع الكفار منازلهم (انقلبوا فكهين) متلذذين بذكرهم والسخرية منهم وقرأ غير حفص فاكهين أى فرحين (واذا رأوهم) واذا رأى الكافرون المؤمنين (قالوا ان هؤلاء لضالون) أى خدع محمد هؤلاء فضلوا وتركوا اللذات لما يرجونه فى الآخرة من الكرامات فقد تركوا الحقيقة بالخيال وهذا هو عين الضلال (وما أرسلوا) وما ارسل الكفار (عليهم) على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم احوالهم ويرقبون اعمالهم بل امروا باصلاح انفسهم فاشتغالهم بذلك اولى بهم من تتبع غيرهم وتسفيه احلامهم (فاليوم) أى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) ثم كما ضحكوا منهم هنا مجازاة (على الارائك ينظرون) حال أى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ماهم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والاستكبار وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح باب للكفار الى الجنة

فيقال لهم هلموا الى الجنة فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم ويضحك المؤمنون منهم (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) هل جوزوا

سأجزيك أو يجزيك عني مثوب * وحسبك ان يثني عليك وتحمدي
والله سبحانه وتعالى أعلم

❊(تفسير سورة الانشقاق وهي مكية)❊

وخمس وعشرون آية ومائة وسبع كلمات وأربعمائة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اذا السماء انشقت) يعني عند قيام الساعة وهو من علاماتها (وأذنت لربها) اى سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته من الاذن وهو الاستماع (وحقت) اى حق لها ان تطيع أمر ربها (واذا الارض مدت) يعني مد الاديم العكاظي وزيد في سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بناء ولا جبل (وألقت ما فيها) اى أخرجت ما في بطنها من الموتى والكنوز (وتخلت) اى من ذلك الذي كان في بطنها من الموتى والكنوز (وأذنت لربها وحقت) واختلفوا في جواب اذا فقيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه الاشياء يرى الانسان الثواب والعقاب وقيل جوابه يا أيها الانسان انك كادح والمعنى اذا انشقت السماء لقي كل كادح ما عمله وقيل جوابه وأذنت وحينئذ تكون الواو زائدة (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا) اى ساع اليه في عملك سعيا والكدح عمل الانسان وجهده في الامرين الخير والشر وقيل معناه عامل لربك عملا وقيل معناه انك كادح في لقاء ربك وهو الموت والمعنى ان هذا الكدح يستمر بك الى الموت وقيل معناه انك تكدح في دنياك كدحا تصير به الى ربك (فملاقيه) اى فملاق جزاء عملك خيرا كان أو شرا وقيل فملاق ربك (فأما من أوتي كتابه بيمينه) يعني ديوان عمله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سوف من الله واجب والحساب اليسير هو ان تعرض عليه أعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز له عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح (ق) عن ابن أبي مليكة ان عائشة كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه وان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت فقلت أوليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب (وينقلب الى أهله) يعني في الجنة من الحور العين والآدميات (مسرورا) اى بما أوتي من الخير والكرامة (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) يعني انه تغل يده اليمنى الى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره وقيل تخلع يده الشمال فتخرج من وراء ظهره فيعطى بها كتابه (فسوف يدعو ثبورا) يعني عند اعطائه بشماله من وراء ظهره يعلم انه من أهل النار فيدعو بالويل والهلاك فيقول يا ويلاه يا ثبوراه (ويصلى سعيرا) اى ويقاسي التهاب النار وحرها (انه كان في أهله) يعني في الدنيا (مسرورا) يعني باتباع هواه وركوب شهواته (انه ظن أن لن يحور) اى لن يرجع الينا ولن يبعث والحور الرجوع (بلى) اى ليس الامر كما ظن بل يحور الينا ويبعث ويحاسب (ان ربه كان به بصيرا) اى من يوم خلقه الى ان يبعثه قوله عز وجل (فلا أقسم بالشفق) تقدم الكلام في تفسير لا أقسم في سورة القيامة واما الشفق فقال مجاهد هو النهار كله وحجته في ذلك انه عطف عليه الليل فيجب ان يكون المذكور أولا هو النهار فعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه وقيل هو ما بقي من النهار قال ابن عباس وأكثر المفسرين هو الحمرة التي تبقى في الافق بعد غروب الشمس وهو مذهب عامة العلماء وقيل هو البياض

يسخرون بهم بالمؤمنين في الدنيا اذا فعل بهم ما ذكر والله أعلم (سورة الانشقاق مكية وهي خمس وعشرون آية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (اذا السماء انشقت) تصدعت وتشققت (وأذنت لربها) سمعت واطاعت واجابت ربها الى الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع (وحقت) وحق لها ان تسمع وتطيع لامر الله اذ هي مصنوعة مربوبة لله تعالى (واذا الارض مدت) بسطت وسويت باندكاك جبالها وكل أمت فيها (وألقت ما فيها) ورمت ما في جوفها من الكنوز والموتى (وتخلت) وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كانها تكلفت اقصى جهدها في الخلو يقال تكرم الكريم اذا بلغ جهده في الكرم وتكلف فوق ما في طبعه (وأذنت لربها) في القاء ما في بطنها وتخليها (وحقت) وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع وحذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب او اكتفاء بما علم بمثلها من سورة التكوير والانفطار وجوابه ما دل عليه فملاقيه أي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه (يا أيها الانسان) خطاب للجنس (انك كادح الى ربك كدحا) جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء (فملاقيه) الضمير للكدح وهو جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها والمراد جزاء الكدح ان خيرا فخير وان شرا فشر وقيل لقاء الكدح لقاء كتاب فيه ذلك الكدح يدل عليه قوله (فأما من أوتي كتابه بيمينه) أى كتاب عمله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا هينا وهو ان يجازى على الحسنات ويتجاوز عن السيئات وفي الحديث من يحاسب يعذب فقيل فأين قوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض ومن نوقش في الحساب عذب (وينقلب الى اهله) الى عشيرته ان كانوا مؤمنين او الى فريق المؤمنين او الى اهله في الجنة من الحور العين (مسرورا) فرحا (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره (فسوف يدعو ثبورا) يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك (ويصلى) عراقي غير علي (سعيرا) أى ويدخل جهنم (انه كان) في الدنيا (في اهله) معهم (مسرورا) بالكفر يضحك ممن آمن بالبعث قيل كان لنفسه متابعا وفي مراتع هواه راتعا (انه ظن ان لن يحور) لن يرجع الى ربه تكذيبا بالبعث قال ابن عباس رضي الله عنهما الذي ما عرفت تفسيره حتى سمعت اعرابية تقول لبنتها حوري أي ارجعي (بلى) ايجاب لما بعد النفي في لن يحور أي بلى ليحورن (ان ربه كان به) وبأعماله (بصيرا) لا يخفى عليه فلا بد ان يرجعه ويجازيه عليها (فلا أقسم بالشفق) فاقسم بالبياض بعد الحمرة او الحمرة

الذي يعقب تلك الحمرة وهو مذهب أبي حنيفة (والليل وما وسق) اى جمع وضم مما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك ان الليل اذا أقبل آوى كل شئ الى مأواه وقيل وما عمل فيه ويحتمل أن يكون ذلك تهجد العباد فيجوز ان يقسم به (والقمر اذا اتسق) اى اجتمع وتم نوره وذلك في الايام البيض وقيل استدار واستوى ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى (لتركبن) قرئ بفتح الباء وهو خطاب الواحد والمعنى لتركبن يا محمد (طبقا عن طبق) يعني سماء بعد سماء وقد فعل الله ذلك معه ليلة اسرى به فأصعده سماء بعد سماء وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال (خ) عن ابن عباس قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم وقرئ لتركبن بضم الباء وهو الاشبه ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركبن أيها الناس حالا بعد حال وأمرا بعد أمر وذلك في موقف القيامة تتقلب بهم الاحوال فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا وقال ابن عباس يعني الشدائد واهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال الانسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم (ق) عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم وأحوالهم شبرا بعد شبر وذراعا بعد ذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقيل في معنى الآية انه أراد به السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوى أخرى (فما لهم لا يؤمنون) يعني بالبعث والحساب وهو استفهام انكار (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) يعني لا يصلون فعبر بالسجود عن الصلاة لانه جزء منها وقيل أراد به سجود التلاوة وهذه السجدة آخر سجدات القرآن عند الشافعي ومن وافقه (ق) عن رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذه قال سجدت بها خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه ولمسلم عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت (بل الذين كفروا يكذبون) يعني بالقرآن والبعث (والله أعلم بما يوعون) يعني يجمعون في صدورهم من التكذيب (فبشرهم بعذاب أليم) يعني على عنادهم وكفرهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) يعني غير مقطوع ولا منقوص في الآخرة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة البروج)

وهي مكية واثنتان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات وأربعمائة وخمسة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والسماء ذات البروج) يعني البروج الاثنى عشر وانما حسن القسم بها لما فيها من عجيب حكمة البارئ جل جلاله وهو سير الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج الكواكب العظام سميت بروجا لظهورها (واليوم الموعود) يعني يوم القيامة (وشاهد ومشهود) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجاب الله له ولا يستعيذ من شر الا أعاذه الله منه أخرجه الترمذي وضعف احد رواته من قبل حفظه وهذا قول ابن عباس والاكثرين ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقيل الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وانما حسن القسم بهذه الايام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة

(والليل وما وسق) جمع وضم والمراد ما جمعه من الظلمة والنجم او ما عمل فيه من التهجد وغيره (والقمر اذا اتسق) اجتمع وتم بدرا افتعل من الوسق (لتركبن) ايها الناس على ارادة الجنس (طبقا عن طبق) حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا أي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات أي لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة واهوالها ومحل عن طبق نصب على انه صفة لطبقا أي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن أي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق وقال مكحول في كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا عليه وبفتح الباء مكي وعلي وحمزة والخطاب له عليه السلام أي طبقا من طباق السماء بعد طبق أي في المعراج (فما لهم لا يؤمنون) فما لهم في ان لا يؤمنوا (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) لا يخضعون (بل الذين كفروا يكذبون) بالبعث والقرآن (والله اعلم بما يوعون) بما يجمعون في صدرهم ويضمرون من الكفر وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب (فبشرهم بعذاب أليم) اخبرهم خبرا يظهر اثره على بشرتهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع (لهم اجر غير ممنون) أي غير مقطوع او غير منقوص والله اعلم

(سورة البروج مكية وهي اثنتان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء ذات البروج) هي البروج الاثنا عشر وقيل النجوم او عظام الكواكب (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) أي وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود فيه ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما اما ما في قوله علمت نفس ما أحضرت كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود واما

وقيل الشاهد هم الانبياء والمشهود أي عليهم هم الامم وقيل الشاهد هو الملك والمشهود أي عليه هو آدم وذريته وقيل الشاهد هذه الامة ونبيها صلى الله عليه وسلم والمشهود عليهم هم الامم المتقدمة وقيل الشاهد الانبياء والمشهود له هو محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبياء قبله شهدوا له بالنبوة وقوله والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود أقسام أقسم الله تعالى بها لشرفها او عظمها وجواب القسم قوله تعالى (قتل أصحاب الاخدود) أي لعن وقتل وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد والاخدود الشق المستطيل في الارض واختلفوا فيهم فروى عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك اني قد كبرت فابعث الى غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فأعجبه فكان اذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا أتى الساحر ضربه واذا رجع من الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى اهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي واذا خشيت اهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الراهب افضل أم الساحر فأخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من امر الساحر فاقتل هذه حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب اي بني أنت افضل مني قد بلغ من امرك ما أرى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال هذا لك أجمع ان أنت شفيتني قال اني لا أشفي احدا انما يشفي الله عز وجل فان آمنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك فآمن به فشفاه الله عز وجل فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربي فقال أولك رب غيري قال الله ربي وربك فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اي بني انه قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال اني لا أشفي احدا انما يشفي الله عز وجل فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالميشار فوضع في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا فاصعدوا به الجبل فقال اللهم يا رب العالمين اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله بقدرته فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به واحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك انك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به فقال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع نخل ثم تأخذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب هذا الغلام ثم ارمني به فانك ان فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب هذا الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالاخدود فخدت بأفواه السكك واضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها ففعلوا ذلك حتى جاءت امرأة معها صبي لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام يا أماه اصبري ولا تقاعسي فانك على الحق هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وفي هذا الحديث اثبات كرامات الاولياء وفيه جواز الكذب في مصلحة ترجع الى الدين وفيه انقاذ النفس من الهلاك والاكمه هو الذي خلق اعمى والميشار بالياء وتخفيف الهمزة

للابهام في الوصف كانه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او وقد كثرت اقاويل المفسرين فيهما فقيل محمد ويوم القيامة او عيسى وامته لقوله وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم او امة محمد وسائر الامم او الحجر الاسود والحجيج او الايام والليالي وبنو آدم للحديث ما من يوم الا وينادي انا يوم جديد وعلى ما يفعل في شهيد فاغتنمني ولو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيامة او الحفظة وبنو آدم او الله تعالى والخلق لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا او الانبياء ومحمد عليهم السلام وجواب القسم محذوف يدل عليه (قتل اصحاب الاخدود) أي لعن كانه قيل اقسم بهذه الاشياء أنهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود وهو جمع خد أي شق عظيم في الارض روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فأخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص وعمي جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذره فخد اخدودا وملأها نارا فمن لم يرجع عن دينه طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا أماه اصبري فانك على الحق

وروى بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر اعلاه ورجف تحرك واضطرب والقرقور بضم القاف الاولى السفينة الصغيرة وانكفأت انقلبت والصعيد هنا الارض البارزة والسكك الطرق والاخدود الشق العظيم فى الارض واقحموه أى ارموه فيها وتقاعست اى تأخرت وكرهت الدخول فى النار وقال ابن عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل فى الفترة قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان فى بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان ابوه يسلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة أبيه فجعل يختلف الى المعلم وكان فى طريقه راهب حسن الصوت فأعجبه ذلك وذكر نحو حديث صهيب. وقال وهب بن منبه ان رجلا كان قد بقى على دين عيسى فوقع الى نجران فأجابوه فسار اليه ذو نواس اليهودى بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فأبوا عليه فخد الاخدود وحرق اثنى عشر ألفا ثم غلب ارياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق وقال محمد ابن اسحاق عن عبد الله بن أبى بكر ان خربة احتفرت فى زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن تامر واضعا يده على ضربة فى رأسه اذا أميطت يده عنها انبعثت دما واذا تركت ارتدت مكانها وفى يده خاتم من حديد فيه ربى الله فبلغ ذلك عمر فقال أعيدوا عليه الذى وجدتم وقال سعيد بن جبير وابن ابزى لما انهزم اهل أسفندهار قال عمر بن الخطاب اى شئ يجرى على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا بأهل كتاب فقال على بن ابى طالب بلى قد كان لهم كتاب وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على أخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ماذا الذى أتيت وما المخرج منه قالت المخرج انك تخطب الناس وتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات لكم فقام فيهم خطيبا بذلك فقال الناس بأجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا أو نقر به ما جاءنا به من نبى ولا أنزل علينا فى كتاب فبسط فيهم السوط فأبوا أن يقروا فجرد فيهم السيف فأبوا ان يقروا فخد لهم الاخدود وأوقد فيها النيران وعرضهم عليها فمن أبى قذفه فى النار ومن أجاب اطلقه وروى عن على كان أصحاب الاخدود نبيهم حبشى بعث من الحبشة الى قومه ثم قرأ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك الآية فدعاهم فتابعه أناس فقاتلهم الكفار فقتل اصحابه وأخذ من انفلت منهم فأوثقوه ثم خدوا له اخدودا فملؤها نارا فمن تبع ذلك النبى رمى به فى النار ومن تابعهم تركوه فجاؤا بامرأة معها صبى رضيع فجزعت فقال الصبى يا أماه قعى ولا تقاعسى وقيل كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار فأما التى بالشام فهو ابطاموس الرومى وأما التى بفارس فبختنصر ويزعمون انهم اصحاب دانيال واما التى باليمن فذو نواس فأما التى بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهم قرآنا وانزل فى التى بنجران اليمن وذلك ان هذه القصة كانت مشهورة عند أهل مكة فذكر الله تعالى ذلك لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره فى الدين وقوله تعالى (النار ذات الوقود) هو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع بن أنس نجى الله المؤمنين الذين ألقوا فى النار بقبض أرواحهم قبل ان تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود من الكفار فأحرقتهم (اذ هم عليها قعود) أى جلوس عند الاخدود (وهم) يعنى الملك الذى خد الاخدود وأصحابه (على ما يفعلون بالمؤمنين) أى من عرضهم على النار وارادتهم ان يرجعوا الى دينهم (شهود) أى حضور وقيل يشهدون ان المؤمنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم (وما نقموا منهم) قال ابن عباس ما كرهوا منهم (الا أن يؤمنوا بالله) وقيل ما عابوا ولا علموا فيهم عيبا الا ايمانهم بالله (العزيز) يعنى الذى يستحق العبادة هو الله العزيز الغالب القاهر الذى لا يغالب ولا يدافع (الحميد) يعنى الذى يستحق ان يحمد ويثنى عليه وهو أهل لذلك وهو الله جل جلاله (الذى له ملك السموات والارض) أى فهو المستحق للعبادة (والله على كل شئ) أى من افعالهم بالمؤمنين (شهيد) وفيه وعد عظيم للمؤمنين ووعيد عظيم للكافرين قوله عز وجل (ان الذين فتنوا) اى عذبوا وحرقوا

فألقى الصبى وأمه فيها (النار) بدل اشتمال من الاخدود (ذات الوقود) وصف لها بانها عظيمة لها ما ترتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس (اذ) ظرف لقتل أى لعنوا حين احرقوا بالنار قاعدين حولها (هم عليها) أى الكفار على ما يدنو منها من حافات الاخدود (قعود) جلوس على الكراسى (وهم) أى الكفار (على ما يفعلون بالمؤمنين) من الاحراق (شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب وفيه حث للمؤمنين على الصبر وتحمل اذى اهل مكة (وما نقموا منهم) الا ان يؤمنوا وما عابوا منهم وما انكروا الا الايمان كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * وقوله
* ما نقموا من بنى أمية الا انهم يحلمون ان غضبوا *
وقرئ نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح (بالله العزيز الحميد) ذكر الاوصاف التى يستحق بها ان يؤمن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه (الذى له ملك السموات والارض) فكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذى لا ينقمه الا مبطل وان الناقمين اهل لانتقام الله منهم بعذاب عظيم (والله على كل شئ شهيد) وعيد لهم يعنى انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه (ان الذين فتنوا)

(المؤمنين والمؤمنات) أى بالنار (ثم لم يتوبوا) أى لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على انهم اذا تابوا وامنوا يقبل منهم يخرجون من هذا الوعيد وان الله تعالى يقبل منهم التوبة وان توبة القاتل مقبولة وانهم ان لم يتوبوا (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) قيل لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما أحرقوا المؤمنين وقيل لهم عذاب الحريق فى الدنيا وذلك ان الله احرقهم بالنار التى أحرقوا بها المؤمنين ارتفعت اليهم من الأخدود فأحرقتهم ولهم عذاب جهنم فى الآخرة ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) قوله عز وجل (ان بطش ربك لشديد) قال ابن عباس ان اخذه بالعذاب اذا أخذ الظلمة لشديد (انه هو يبدئ ويعيد) أى يخلقهم أولا فى الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت ليجازيهم بأعمالهم فى القيامة (وهو الغفور) يعنى لذنوب جميع المؤمنين (الودود) أى المحب لهم وقيل المحبوب أى يوده أولياؤه ويحبونه وقيل يغفر ويود ان يغفر وقيل هو المتودد الى أوليائه بالمغفرة (ذو العرش) أى خالقه ومالكه (المجيد) قرئ بالرفع على انه صفة لله تعالى لان المجد من صفات التعالى والجلال وذلك لا يليق الا بالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على انه صفة للعرش أى السرير العظيم اذ لا يعلم صفة العرش وعظمته الا الله تعالى وقيل اراد حسنه فوصفه بالمجيد فقد قيل ان العرش أحسن الاجسام ثم قال تعالى (فعال لما يريد) يعنى انه لا يعجزه شئ ولا يمتنع منه شئ طلبه وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل أولياءه الجنة برحمته لا يمنعه من ذلك مانع ويدخل اعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر (هل أتاك) أى قد أتاك (حديث الجنود) أى خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الانبياء ثم بين من هم فقال تعالى (فرعون) يعنى وقومه (وثمود) وكانت قصتهم عند أهل مكة مشهورة (بل الذين كفروا) أى من قومك يا محمد (فى تكذيب) يعنى لك وللقرآن كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن اهلكنا منهم (والله من ورائهم محيط) أى عالم بهم لا يخفى عليه شئ من أعمالهم يقدر ان ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم (بل هو قرآن مجيد) اى كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم المشركون انه شعر وكهانة (فى لوح محفوظ) قرئ بالرفع على انه نعت للقرآن يعنى ان القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف وقرئ محفوظ بالكسر على انه نعت للوح لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب منه نسخ الكتب وسمى محفوظا لانه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال ان فى صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الجنة وقال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه من نور وكلامه سر معقود بالعرش وأصله فى حجر ملك والله تعالى أعلم بمراده

(تفسير سورة الطارق)

وهى مكية وسبع عشرة آية واحدى وستون كلمة ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والسماء والطارق) قيل نزلت فى أبى طالب وذلك انه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل اذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم نارا ففزع أبو طالب وقال اى شئ هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمى به وهو آية من آيات الله فعجب أبو طالب فأنزل الله والسماء

المؤمنين والمؤمنات) يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين امنوا المطروحين فى الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم (ثم لم يتوبوا) لم يرجعوا عن كفرهم (فلهم) فى الآخرة (عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) فى الدنيا لما روى ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ويجوز ان يريد الذين فتنوا المؤمنين أى بلوهم بالأذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين فى الآخرة لكفرهم ولفتنتهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) أى الذين صبروا على تعذيب الاخدود وهو عام (ان بطش ربك لشديد) البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم والمراد اخذ الظلمة والجبابرة بالعذاب والانتقام (انه هو يبدئ ويعيد) اى يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد ان صيرهم ترابا دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما أبدأهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة (وهو الغفور) الساتر للعيوب العافى عن الذنوب (الودود) المحب لاوليائه وقيل الفاعل لاهل الطاعة ما يفعله الودود من اعطائهم ما أرادوا (ذو العرش) خالقه ومالكه (المجيد) وبالجر حمزة وعلى على انه صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه (فعال) خبر مبتدأ محذوف (لما يريد) تكوينه فيكون فيه دلالة خلق افعال العباد (هل أتاك حديث الجنود) أى قد أتاك خبر الجموع الطاغية فى الامم الخالية (فرعون وثمود) بدل من الجنود وأراد بفرعون اياه وآله والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم (بل الذين كفروا) من قومك (فى تكذيب) واستيجاب للعذاب ولا يعتبرون بالجنود لا لخفاء حال الجنود عليهم لكن يكذبونك عنادا (والله من ورائهم محيط) أى عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت الشئ المحيط به (بل هو) بل هذا الذى كذبوا به (قرآن مجيد) شريف عالى الطبقة فى الكتب وفى نظمه واعجازه ليس كما يزعمون انه مفترى وانه اساطير الاولين (فى لوح محفوظ) من وصول الشياطين محفوظ نافع صفة للقرآن أى من التغيير والتبديل واللوح عند الحسن شئ يلوح للملائكة فيقرؤنه وعند ابن عباس رضى الله عنهما هو من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب قلمه نور وكل شئ فيه مسطور مقاتل هو على يمين العرش وقيل اعلاه معقود بالعرش وأسفله فى حجر ملك كريم والله أعلم *(سورة الطارق مكية وهى سبع عشرة آية)* *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (والسماء والطارق

وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) عظم قدر السماء في اعين الخلق لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكته وفيها خلق الجنة فأقسم بها وبالطارق والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي يرجم بها لعظم منفعتها ثم فسره بالنجم الثاقب أي المضيء كانه يثقب الظلام فينفذ فيه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق اولانه يطرق الجني أي يصكه وجواب القسم (ان كل نفس لما عليها حافظ)

لما ان كانت مشددة بمعنى الا كقراءة عاصم وحمزة وابن عامر فتكون ان نافية أي ما كل نفس الا عليها حافظ وان كانت مخففة كقراءة غيرهم فتكون ان مخففة من الثقيلة اى ان كل نفس لعليها حافظ يحفظها من الآفات او يحفظ عملها و رزقها واجلها فاذا استوفى ذلك مات وقيل هو كاتب الاعمال فما زائدة واللام فارقة بين الثقيلة والخفيفة وحافظ مبتدأ وعليها الخبر والجملة خبر كل وايتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم (فلينظر الانسان مم خلق) لما ذكر ان على كل نفس حافظا امره بالنظر في أول امره ليعلم ان من أنشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته ومم خلق استفهام اى من أي شئ خلق جوابه (خلق من ماء دافق) والدفق صب فيه دفع والدفق في الحقيقة لصاحبه والاسناد الى الماء مجاز وعن بعض اهل اللغة دفقت الماء دفقا صببته ودفق الماء بنفسه أي انصب ولم يقل من ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة (انه) ان الخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة (على رجعه) على اعادته خصوصا (لقادر) لبين القدرة لا يعجز عنه كقوله انى لفقير أي أبين الفقر ونصب (يوم تبلى) أي تكشف برجعه او بمضمر دل عليه قوله رجعه أي يبعثه يوم تبلى (السرائر) ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وما أخفى من الاعمال (فما له) فما للانسان (من قوة) في نفسه على دفع ما حل به (ولا ناصر) يعينه ويدفع عنه (والسماء ذات الرجع) اى المطر وسمي به لعوده كل حين (والارض ذات الصدع) هو ما تتصدع عنه الارض من النبات (انه) ان القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان (وما هو بالهزل) باللعب والباطل يعني انه جد كله ومن حقه وقد وصفه الله بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يرتفع به قارئه وسامعه ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح (انهم) يعني مشركي مكة (يكيدون كيدا) يعملون المكايد في ابطال امر الله واطفاء نور الحق (وأكيد كيدا) واجازيهم جزاء كيدهم باستدراجي لهم من حيث لا يعلمون

والطارق يعني النجم يظهر بالليل وكل ما أتاك بالليل فهو طارق ولا يسمى ذلك بالنهار وسمي النجم طارقا لانه يطرق بالليل قالت هند

نحن بنات طارق * نمشي على النمارق

تريد ان أباها نجم في علوه وشرفه (وما أدراك ما الطارق) قيل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى بينه الله له بقوله (النجم الثاقب) أي المضيء المنير وقيل المتوهج وقيل المرتفع العالي وقيل هو الذي يرمى به الشيطان فيثقبه أي ينفذه وقيل النجم الثاقب هو الثريا لان العرب تسميها النجم وقيل هو زحل سمي بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمى به الشيطان لانه يثقبه فينفذه وهذه اقسام أقسم الله بها وقيل تقديره ورب هذه الاشياء وجواب القسم قوله تعالى (ان كل نفس لما عليها حافظ) يعني ان كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير او شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقيل حافظ من الله تعالى يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها الى المقادير ثم يخلي عنها وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب الا ما قدر لها قوله عز وجل (فلينظر الانسان) يعني نظر تفكر واعتبار (مم خلق) أي من أي شئ خلقه ربه ثم بين ذلك فقال تعالى (خلق من ماء) يعني من مني (دافق) اى مدفوق مصبوب في الرحم وأراد به ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما وانما جعله واحدا لامتزاجهما (يخرج) يعني ذلك الماء وهو المني (من بين الصلب والترائب) يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هي موضع القلادة من الصدر وعنه انها بين ثديي المرأة قيل ان المني يخرج من جميع اعضاء الانسان واكثر ما يخرج من الدماغ فيصب في عرق في ظهر الرجل وينزل في عروق كثيرة من مقدم بدن المرأة وهي الترائب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر (انه على رجعه لقادر) يعني ان الله تعالى قادر على ان يرد النطفة في الاحليل وقيل قادر على رد الماء في الصلب الذي خرج منه وقيل قادر على رد الانسان كما كان من قبل وقيل معناه ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقيل انه قادر على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج وقيل معناه وان الذي قدر على خلق الانسان ابتداء قادر على اعادته حيا بعد موته وهو اهون عليه وهذا القول هو الاصح والاولى بمعنى الآية لقوله تعالى بعده (يوم تبلى السرائر) وذلك يوم القيامة قيل معناه تظهر الخبايا وقيل معنى تبلى تختبر قيل السرائر هي فرائض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه سرائر بين العبد وبين ربه عز وجل وذلك لان العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيامة يختبر حتى يظهر من اداها ومن ضيعها قال عبد الله بن عمر يبدي الله تعالى يوم القيامة كل سر فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه يعني من أدى الفرائض كما أمر كان وجهه مشرقا مستنيرا يوم القيامة ومن ضيعها أو انتقص منها كان وجهه أغبر (فما له) أي لهذا الانسان المنكر البعث (من قوة) أي يمتنع بها من عذاب الله (ولا ناصر) أي ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر فقال (والسماء ذات الرجع) أي ذات المطر سمي به لانه يجيء ويرجع ويتكرر (والارض ذات الصدع) أي تتصدع وتنشق عن النبات والشجر والانهار وجواب القسم قوله تعالى (انه) يعني القرآن (لقول فصل) أي انه لحق وجد يفصل بين الحق والباطل (وما هو بالهزل) أي باللعب والباطل (انهم) يعني مشركي مكة (يكيدون كيدا) يعني يحتالون بالمكر بالنبي صلى الله عليه وسلم وذلك حين اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيه (وأكيد كيدا)

فهى جزاء الكيد كيدا كما سمى جزاء الاعتداء والسيئة اعتداء وسيئة وان لم يكن اعتداء وسيئة ولا يجوز اطلاق هذا الوصف على الله تعالى الا على وجه الجزاء

كقوله نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم الله يستهزئ بهم (فمهل الكافرين) أى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به (أمهلهم) انظرهم

يعنى أجازيهم على كيدهم بأن استدرجهم من حيث لا يعلمون فانتقم منهم فى الدنيا بالسيف وفى الآخرة بالنار (فمهل الكافرين) أى لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم قال ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم لما أمره بامهالهم بين ان ذلك الامهال قليل فقال تعالى (أمهلهم رويدا) يعنى قليلا فأخذهم الله يوم بدر ونسخ الامهال بآية السيف والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

(تفسير سورة الاعلى وهى مكية)

وتسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان واحد وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سبح اسم ربك الاعلى) أى قل سبحان ربى الاعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ماروى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربى الاعلى ذكره البغوى باسناد الثعلبى وقيل معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه نزه تسمية ربك الاعلى بأن تذكره وانت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس سبح اى صل بأمر ربك الاعلى عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبى صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم أخرجه أبو داود (الذى خلق فسوى) أى خلق كل ذى روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الانسان مستويا معتدل القامة (والذى قدر فهدى) أى قدر الارزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شئ شكله فهدى اى فعرف كيف يأتى الذكر الانثى وقيل قدر مدة الجنين فى الرحم وهداه الى الخروج منه وقيل قدر السعادة لاقوام والشقاوة لاقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين لسلوك سبيل ما قدر له وعليه وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما وقيل قدر اى اعطى كل حيوان ما يحتاج اليه وهدى الانعام وسائر الحيوانات لمراعيها وهو قوله تعالى (والذى أخرج المرعى) أى انبت العشب وما ترعاه الانعام من اخضر واصفر واحمر وابيض وغير ذلك (فجعله) يعنى المرعى بعد الخضرة (غثاء) أى هشيما يابسا باليا كالغثاء الذى تراه فوق السيل (أحوى) اى اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلاء اذا جف ويبس اسود قوله عز وجل (سنقرئك) أى نعلمك القرآن بقراءة جبريل عليك (فلا تنسى) يعنى ما يقرأ عليك وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل جبريل بالوحى لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولها مخافة ان ينساها فأنزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيئا بعد ذلك (الا ماشاء الله) يعنى ان تنساه وهو ما نسخ الله تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور وقيل معناه الا ماشاء الله ان تنساه ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث عائشة رضى الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ فى سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد ذكرنى كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا وفى رواية كنت اسقطهن من سورة كذا أخرجاه فى الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله ان ينسيه شيئا (انه يعلم الجهر) يعنى من القول والفعل (وما يخفى) يعنى منهما والمعنى انه تعالى يعلم السر والعلانية (ونيسرك لليسرى) أى نهون عليك أن تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهى الحنيفية السمحة وقيل هو متصل بالكلام الاول والمعنى انه يعلم الجهر مما تقرأه على جبريل اذا فرغ من التلاوة وما يخفى مما تقرأه فى نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى اى نهون عليك الوحى حتى تحفظه ولا تنساه (فذكر) أى فعظ بالقرآن (ان نفعت الذكرى) أى مدة نفع

ذكر ر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير (رويدا) مهلا يسيرا ولا يتكلم بها الا مصغرة وهى من رادت الريح ترود رودا تحركت حركة ضعيفة

(سورة الاعلى مكية وهى تسع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح اسم ربك الاعلى) نزه ذاته عما لا يليق به والاسم صلة وذلك بان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذى هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو فى المكان وقيل قل سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت قال عليه السلام اجعلوها فى سجودكم (الذى خلق فسوى) اى خلق كل شئ فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم حكيم او سواه على ما فيه منفعة ومصلحة (والذى قدر فهدى) اى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به او فهدى واضل ولكن حذف واضل اكتفاء بقوله يضل من يشاء ويهدى من يشاء قدر على (والذى أخرج المرعى) أنبت ما ترعاه الدواب (فجعله غثاء) يابسا هشيما (أحوى) اسود فأحوى صفة لغثاء (سنقرئك فلا تنسى) سنعلمك القرآن حتى لا تنساه (الا ماشاء الله) ان ينسخه وهذا بشارة من الله لنبيه ان يحفظ عليه الوحى حتى لا ينفلت منه شئ الا ماشاء الله ان ينسخه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته وسأل ابن كيسان النحوى جنيدا عنه فقال فلا تنسى العمل به فقال مثلك يصدر وقيل قوله فلا تنسى على النهى والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا أى فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ماشاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته (انه يعلم الجهر وما يخفى) أى انك تجهر بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما فى نفسك مما يدعوك الى الجهر او ما تقرأ فى نفسك مخافة النسيان او يعلم ما أسررتم

وما أعلنتم من اقوالكم وأفعالكم وما ظهر وما بطن من أحوالكم (ونيسرك لليسرى) معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التى هى أيسر وأسهل يعنى حفظ الوحى وقيل للشريعة السمحة التى هى ايسر الشرائع او نوفقك لعمل الجنة (فذكر) عظ بالقرآن (ان نفعت الذكرى) جواب ان مدلول قوله فذكر قيل ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكرى فيهم وقيل هو امر بالتذكير على الاطلاق كقوله الموعظة

الموعظة والتذكير أو المعنى عظ انت وذكر ان نفعت الذكرى أو لم تنفع انما عليك البلاغ (سيذكر من يخشى) أي سيتعظ من يخشى الله تعالى (ويتجنبها) أي الذكرى ويتباعد عنها (الاشقى) أي في علم الله تعالى (الذي يصلى النار الكبرى) أي النار العظيمة وقيل النار الكبرى هي نار الآخرة والنار الصغرى هي نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) أي في النار فيستريح (ولا يحيى) أي حياة طيبة تنفعه قوله وعز وجل (قد أفلح من تزكى) أي تطهر من الشرك وقال لا اله الا الله قاله ابن عباس وقيل قد افلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر روى عن أبي سعيد الخدري في قوله قد افلح من تزكى قال اعطى صدقة الفطر (وذكر اسم ربه فصلى) اي خرج الى العيد فصلى وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه الآية وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى الغداة يعني يوم العيد قال يا نافع أخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى الى المصلى وان قلت لا قال فالآن فأخرج فانما هذه الآية في هذا قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فان قلت فما وجه هذا التأويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قلت يجوز ان يكون القول سابقا على الحكم كما قال وانت حل بهذا البلد وهذه السورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح وكذا نزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لا أدري أي جمع سيهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ووجه آخر انه كان في علم الله تعالى انه سيكون ذلك فأخبر عنه وقيل وذكر اسم ربه فصلى يعني الصلوات الخمس وقيل اراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلاة صلاة العيد قوله عز وجل (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى) يعني ان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقي خير من الفاني وانتم تؤثرون الفاني على الباقي قال عرفجة كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الآخرة تغيبت وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل وقيل ان أريد بذلك الكفار فالمعنى انهم يؤثرون الدنيا على الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة وان أريد بذلك المسلمون فالمعنى يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذي يحصل في الآخرة وهو خير وأبقى (ان هذا) أي الذي ذكر من قوله قد أفلح من تزكى الى هنا وهو أربع آيات (لفي الصحف الاولى) اي الكتب المتقدمة التي نزلت قبل القرآن ذكر في تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلي وايثار الدنيا وان الآخرة خير وابقى ثم بين ذلك فقال تعالى (صحف ابراهيم وموسى) يعني ان هذا القدر المذكور في صحف ابراهيم وموسى وقيل انه مذكور في جميع صحف الانبياء التي منها صحف ابراهيم وموسى لان هذا القدر المذكور في هذه الآيات لا يختلف في شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه عن ابي ذر قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية فقلت وما تحيته يا رسول الله قال ركعتان تركعهما قلت يا رسول الله هل انزل الله عليك شيئا مما كان في صحف ابراهيم وموسى قال يا أباذر اقرأ قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن عجبت لمن ايقن بالقدر ثم يغضب عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل أخرج هذا الحديث رزين في كتابه وذكره ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعلم عليه شيئا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد في ركعة أخرجه الترمذي والنسائي وعن عبد الرحمن بن جريج قال سألنا عائشة بأي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين أخرجه ابو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن غريب والله أعلم

فذكر انما انت مذكر غير مشروط بالنفع (سيذكر) سيتعظ ويقبل التذكرة (من يخشى) الله وسوء العاقبة (ويتجنبها) ويتباعد عن الذكرى فلا يقبلها (الاشقى) الكافر او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة ابن ربيعة (الذي يصلى النار الكبرى) يدخل نار جهنم والصغرى نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) فيستريح من العذاب (ولا يحيى) حياة يتلذذ بها وقيل ثم لان الترجح بين الحياة والموت افظع من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة (قد أفلح) نال الفوز (من تزكى) تطهر من الشرك او تطهر للصلاة أو أدى الزكاة تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة (وذكر اسم ربه) وكبر للافتتاح (فصلى) الخمس وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلاة لان الصلاة عطفت عليها وهو يقتضي المغايرة وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه عز وجل وعن ابن عباس رضي الله عنهما ذكر معاده ووقوفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد (بل تؤثرون الحياة الدنيا) على الآخرة فلا تفعلون ما به تفلحون والمخاطب به الكافرون دليله قراءة أبي عمرو يؤثرون بالياء (والآخرة خير وأبقى) أفضل في نفسها وادوم (ان هذا لفي الصحف الاولى) هذا اشارة الى قوله قد أفلح الى أبقى اي ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف او الى ما في السورة كلها وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة لانه جعله مذكورا في تلك الصحف مع انه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة (صحف ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى وفي الاثر وفي صحف ابراهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه

(تفسير سورة الغاشية وهي مكية)

وست وعشرون آية واثنتان وتسعون كلمة وثلاثمائة واحد وثمانون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (هل أتاك) أي قد أتاك يا محمد (حديث الغاشية) يعني القيامة سميت غاشية لأنها تغشى كل شيء بأهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لأنها تغشى وجوه الكفار (وجوه يومئذ) يعني يوم القيامة (خاشعة) يعني ذليلة والمراد بالوجوه أصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولأن الوجه أشرف أعضاء الإنسان فعبر به عنه (عاملة ناصبة) قال ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وأصحاب الصوامع لا يقبل الله منهم اجتهادا في صلاة بل يدخلون النار يوم القيامة ومعنى النصب الدؤوب في العمل بالتعب (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد أما الرواية الأولى فإنها تختص بمن أحدث في دين الإسلام شيئا ابتدعه من عنده فهو مردود عليه لا يقبل منه وأما الرواية الثانية فإنها تشتمل على كل عامل في دين الإسلام أو غير دين الإسلام فإنه مردود عليه إذا لم يكن تابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الآية عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الآخرة في النار وقيل عاملة ناصبة في النار لأنها لم تعمل لله في الدنيا فأعملها وأنصبها في النار بمعالجة السلاسل والأغلال وهي رواية عن ابن عباس قال ابن مسعود تخوض في النار كما تخوض الإبل في الوحل وقيل يجرون على وجوههم في النار وقيل يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار وهو قوله (تصلى نارا حامية) قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله عز وجل (تسقى من عين آنية) أي متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم مذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فيدفعون إليها وردا عطاشا فهذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال تعالى (ليس لهم طعام إلا من ضريع) قيل هو نبت ذو شوك لاطئ بالأرض تسميه قريش الشبرق فإذا هاج سموه الضريع وهو أخبث طعام وأبشعه وهي رواية عن ابن عباس فإذا يبس لا تقربه دابة وقيل الضريع في الدنيا هو الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك من نار وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء من النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حرا من النار قال أبو الدرداء إن الله يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة ولا مريئة فإذا أدنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم وشواها فإذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قال المشركون إن إبلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فإن الإبل إنما ترعاه رطبا فإذا يبس لا تأكله فأنزل الله تعالى (لا يسمن ولا يغني من جوع) يعني أن هذا الطعام لا تقدر البهائم على أكله فكيف يقدر الإنسان على أكله فهو إذا لا يسمن ولا يغني من جوع فإن قلت قد ذكر الله تعالى في هذه الآية أنه لا طعام لهم إلا من ضريع وذكر في موضع آخر أنه لا طعام لهم إلا من غسلين فكيف الجمع بينهما قلت إن النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم لا غير ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه الغسلين ثم وصف أهل الجنة فقال تعالى (وجوه يومئذ ناعمة) أي متنعمة ذات بهجة وحسن ونعمة وكرامة (لسعيها راضية) أي لسعيها في الدنيا راضية في الآخرة حين أعطيت الجنة بعملها (في جنة عالية) قيل هو من العلو الذي هو الشرف وقيل من العلو في المكان وذلك لأن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض كل درجة كما بين السماء

والأرض

(سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل) بمعنى قد (أتاك حديث الغاشية) الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعني القيامة وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار (وجوه) أي وجوه الكفار وإنما خص الوجه لأن الحزن والسرور إذا استحكما في المرء أثرا في الوجه (يومئذ) يوم إذ غشيت (خاشعة) ذليلة لما اعترى أصحابها من الخزي والهوان (عاملة ناصبة) تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والأغلال وخوضها في النار كما تخوض الإبل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة وقيل هم أصحاب الصوامع ومعناه أنها خشعت لله وعملت ونصبت في أعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب (تصلى نارا حامية) تدخل نارا قد أحميت مددا طويلة فلا حر يعدل حرها تصلى أبو عمرو وأبو بكر (تسقى من عين آنية) من عين ماء قد انتهى حرها والتأنيث في هذه الصفات والأفعال راجعة إلى الوجوه والمراد أصحابها بدليل قوله (ليس لهم طعام إلا من ضريع) وهو نبت يقال له الشبرق فإذا يبس فهو ضريع وهو سم قاتل والعذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع فلا تناقض بين هذه الآية وبين قوله ولا طعام إلا من غسلين (لا يسمن) مجرور المحل لأنه وصف ضريع (ولا يغني من جوع) أي منفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما إماطة الجوع وإفادة السمن في البدن (وجوه يومئذ) ثم وصف وجوه المؤمنين ولم يقل ووجوه لأن الكلام الأول قد طال وانقطع (ناعمة) متنعمة في لين العيش (لسعيها راضية) رضيت بعملها وطاعتها لما رأت ما أداهم إليه من الكرامة والثواب (في جنة عالية) من علو المكان أو المقدار (لا تسمع) بالخطاب أو الوجوه (فيها لاغية) أي لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو ولا يتكلم أهل الجنة إلا بالحكمة وحمد الله

على مارزقهم من النعيم الدائم لا يسمع فيها الاغية مكي وابو عمرو ولا تسمع فيها الاغية نافع (فيها عين جارية) أي عيون كثيرة كقوله علمت نفس (فيها سرر) جمع سرير (مرفوعة) من رفعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم (واكواب) جمع كوب وهو القدح وقيل آنية لا عروة لها (موضوعة) بين ايديهم ليتلذذوا بها بالنظر اليها أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب (ونمارق) وسائد (مصفوفة) بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح أينما أراد ان يجلس جلس على موسدة واستند الى الاخرى (وزرابي) وبسط عراض فاخرة جمع زربية (مبثوثة) مبسوطة او مفرقة في المجالس ولما أنزل الله تعالى هذه الآيات في صفة الجنة وفسر النبي عليه السلام بأن ارتفاع السرر يكون مائة فرسخ والاكواب الموضوعة لا تدخل في حساب الخلق لكثرتها وطول النمارق كذا وعرض الزرابي كذا أنكر الكفار وقالوا كيف يصعد على هذا السرير وكيف تكثر الاكواب هذه الكثرة وطول النمارق هذا الطول وبسط الزرابي هذا الانبساط ولم نشاهد ذلك في الدنيا فقال الله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) طويلة ثم تبرك حتى تركب او يحمل عليها ثم تقوم فكذا السرير يطأطئ للمؤمن كما يطأطئ الابل (والى السماء كيف رفعت) رفعا بعيد المدى بلا امساك وعمد ثم نجومها تكثر هذه الكثرة فلا تدخل في حساب الخلق فكذلك الاكواب (والى الجبال كيف نصبت) نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل مع طولها فكذا النمارق (والى الارض كيف سطحت) سطحا بتمهيد وتوطئة فهي كلها بساط واحد تنبسط من الافق الى الافق فكذا الزرابي ويجوز ان يكون المعنى أفلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه وتخصيص هذه الاربعة باعتبار ان هذا خطاب للعرب وحث لهم على الاستدلال والمرء انما يستدل بما تكثر مشاهدته له والعرب تكون في البوادي ونظرهم فيها الى السماء والارض والجبال والابل فهي اعز اموالهم وهم لها اكثر استعمالا منهم لسائر الحيوانات ولانها تجمع جميع المآرب المطلوبة من الحيوان وهي النسل والدر والحمل والركوب والاكل بخلاف غيرها فانه سخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وجعلها بحيث تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وتجرها الى البلاد الشاحطة وصبرها على احتمال العطش حتى ان ظمأها ليرتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل نابت في البراري مما لا يرعاه سائر البهائم (فذكر) هم بالادلة ليتفكروا فيها (انما أنت مذكر) ليس عليك الا التبليغ (لست عليهم بمسيطر) بمسلط كقوله

والارض (لا تسمع فيها الاغية) اى ليس فيها الغو ولا باطل (فيها عين جارية) على وجه الارض في غير اخدود وقيل تجري حيث أرادوا من منازلهم وقصورهم (فيها سرر مرفوعة) قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة ما لم يجئ اهلها فاذا أراد اهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها ثم ترتفع الى مواضعها (واكواب) يعني الكيزان التي لا عرى لها (موضوعة) يعني عندهم بين ايديهم وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كلما أرادوا الشرب منها وجدوها مملوءة (ونمارق مصفوفة) يعني وسائد ومرافق مصفوفة بعضها بجنب بعض اينما أراد ان يجلس ولي الله جلس على واحدة واستند الى الاخرى (وزرابي) يعني البسط العريضة قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل واحدتها زربية (مبثوثة) اى مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس قوله عز وجل (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) قال ابن عباس قال اهل التفسير لما نعت الله عز وجل ما في هذه السورة مما في الجنة عجب من ذلك اهل الكفر وكذبوه فذكرهم الله صنعه فقال أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وانما بدأ بالابل لانها من أنفس اموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة والمعنى ان الذي صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي صنع لاهل الجنة ما صنع وتكلمت علماء التفسير في وجه تخصيص الابل بالذكر من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة قط اعظم منها أو لم يشاهد الفيل الا النادر منهم وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وقد كانت باركة وقال قتادة لما ذكر الله ارتفاع سرر الجنة وفرشها قالوا كيف نصعدها فأنزل الله تعالى هذه الآية وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل اعظم في الاعجوبة فقال أما الفيل فان العرب بعيدة العهد به ثم هو لا خير فيه لانه لا يركب على ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دره والابل اعز مال للعرب وانفسه تأكل النوى والقت وغيره وتخرج اللبن ومن منافع الابل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى ان الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء ومنها انها فضلت على سائر الحيوانات بأشياء وذلك ان جميع الحيوانات انما تقتنى اما للزينة اوللركوب او للحمل أو للبن أو لاجل اللحم ولا توجد جميع هذه الخصال الا في الابل فانها زينة وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير ويأكل من لحمها الجم الغفير وتصبر على العطش مدة أيام ومنها انه يحمل عليها وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات ومنها انها ترعى في كل نبات في البراري مما لا يرعاه غيرها من الحيوانات وهي سفن البر يحمل عليها الثقيل ويقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والارض والجبال ولا مناسبة بينهما ولم بدأ بذكر الابل قبل السماء والارض والجبال قلت لما كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيده وقدرته وانه هو الخالق لهذه الاشياء جميعها وكانت الابل من اعظم شيء عند العرب فينظرون اليها ليلا ونهارا ويصاحبونها ظعنا واسفارا ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا بدأ بها ولانها اعظم الحيوانات عندهم (والى السماء كيف رفعت) يعني فوق الارض بغير عمد ولا ينالها شيء (والى الجبال كيف نصبت) اى على الارض نصبا ثابتا راسخا لا يزول (والى الارض كيف سطحت) اى بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شيء قال ابن عباس المعنى هل يقدر احد ان يخلق مثل الابل او يرفع مثل السماء او ينصب مثل الجبال او يسطح مثل الارض غير الله القادر على كل شيء ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (فذكر انما أنت مذكر) اى فعظ انما أنت واعظ (لست عليهم بمسيطر) اى بمسلط فتكرههم على الايمان وهذه الآية منسوخة نسختها

آية القتال (الا من تولى وكفر) استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولى وكفر بعد التذكير (فيعذبه الله العذاب الاكبر) وهو ان يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بأنواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر فكانت النار اكبر من هذا كله (ان الينا ايابهم) اي رجوعهم بعد الموت (ثم ان علينا حسابهم) يعني جزاءهم بعد الرجوع الينا والله أعلم

(تفسير سورة الفجر وهي مكية)

وتسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والفجر) اقسم الله عز وجل بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوائد الدينية وهي أنها دلائل باهرة وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوائد الدنيوية انها تبعث على الشكر واختلفوا في معنى هذه الالفاظ فروى عن ابن عباس انه قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم اقسم الله تعالى به لما يحصل فيه من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات في طلب الارزاق وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس ايضا انه صلاة الفجر والمعنى انه اقسم بصلاة الفجر لانها مفتتح النهار ولانها مشهودة يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر أول يوم من المحرم لان منه تنفجر السنة وقيل هو فجر ذي الحجة لانه قرن به الليالي العشر وقيل هو فجر يوم النحر لان فيه اكثر مناسك الحج وفيه القربات (وليال عشر) قيل انما ذكرها لما فيها من الفضل والشرف الذي لا يحصل في غيرها روى عن ابن عباس انها العشر الاول من ذي الحجة لانها أيام الاشتغال بأعمال الحج واخرج الترمذي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أيام العمل فيهن أحب الى الله من هذه الايام العشر وذكر الحديث وروى عن ابن عباس قال هي العشر الاواخر من رمضان لان فيها ليلة القدر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان أحيا ليله وشد مئزره وايقظ اهله يعني للعبادة وقيل هي العشر الاول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولان فيه يوم عاشوراء (والشفع والوتر) قيل الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى يروى ذلك عن ابي سعيد الخدري وقيل الشفع هو الخلق كله كالايمان والكفر والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والارض والسماء والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كله فيه شفع وفيه وتر وقيل هما الصلاة منها شفع ومنها وتر عن عمران ابن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر قال هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخير وروى ان رجلا سئل عن الشفع والوتر والليالي العشر فقال اما الشفع والوتر فقول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه فهما الشفع والوتر واما الليالي العشر فالثمان وعرفة والنحر وقيل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة معه وهو يوم القيامة وقيل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع فكأنه أقسم بالجنة والنار وقيل الشفع أوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر صفات الله تعالى التي تفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت (والليل اذا يسر) اي اذا سار وذهب وقيل اذا جاء واقبل واراد به كل ليلة وقيل هي ليلة المزدلفة وهي ليلة النحر التي يسار فيها من عرفات الى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل اذا يسار فيه (هل في ذلك) أي فيما ذكرت (قسم) مقنع ومكتفى في القسم فهو استفهام بمعنى التأكيد (لذي حجر) اي لذي عقل سمي بذلك لانه يحجر صاحبه

وما أنت عليهم بجبار بمصيطر مدني وبصري وعلي وعاصم (الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر) الاستثناء منقطع اي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم وكفر بالله فان لله الولاية عليه والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر وهو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض (ان الينا ايابهم) رجوعهم وفائدة تقديم الظرف التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام (ثم ان علينا حسابهم) فنحاسبهم على اعمالهم ونجازيهم بها جزاء امثالهم وعلى لتأكيد الوعيد لا للوجوب اذ لا يجب على الله شئ

(سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والفجر) اقسم بالفجر وهو الصبح كقوله والصبح اذا أسفر او بصلاة الفجر (وليال عشر) عشر ذي الحجة او العشر الاول من المحرم او الآخر من رمضان وانما نكرت لزيادة فضيلتها (والشفع والوتر) شفع كل الاشياء ووترها او شفع هذه الليالي ووترها او شفع الصلاة ووترها او يوم النحر لانه اليوم العاشر ويوم عرفة لانه اليوم التاسع او الخلائق والخالق والوتر حمزة وعلي وبفتح الواو غيرهما وهما لغتان فالفتح حجازي والكسر تميمي وبعد ما أقسم بالليالي المخصوصة اقسم بالليل على العموم فقال (والليل) قيل اريد به ليلة القدر (اذا يسر) اذا يمضي وياء يسر تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة وسأل واحد الاخفش عن سقوط الياء فقال لا حتى تخدمني سنة فسأله بعد سنة فقال الليل لا يسري انما يسرى فيه فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة وقيل معنى يسري يسري فيه كما يقال ليل نائم اي ينام فيه (هل في ذلك) اي فيما اقسمت به من هذه الاشياء (قسم) اي مقسم به (لذي حجر) عقل سمي به لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى يريد هل تحقق عنده ان تعظم هذه الاشياء بالاقسام بها او هل في اقسامي بها اقسام لذي حجر اي هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه او هل في القسم بهذه الاشياء

عمالا اصل له ولا ينبغى كما سمى عقلا لانه يعقل صاحبه من القبائح وسمى نهية لانه ينهى عما لا يحل ولا ينبغى واصل الحجر المنع ولا يقال ذو حجر الا ان هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق كانه حجر على نفسه ومنعها ما تريد والمعنى ان من كان ذا لب وعقل علم ان ما أقسم الله عز وجل به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل تدل على توحيده وربوبيته فهو حقيق بأن يقسم به لدلالته على خالقه قيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد واعترض بين القسم وجوابه قوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الاشياء ليعذبن الكافر يدل عليه قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقوله عز وجل ألم تر كيف فعل ربك أى ألم تعلم وانما أطلق لفظ الرؤية على العلم لان اخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم وقوله ألم تر خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل أحد كيف فعل ربك بعاد (ارم ذات العماد) المقصود من ذلك تخويف اهل مكة وكيف اهلكهم وهم كانوا أطول أعمارا واشد قوة من هؤلاء فأما عاد فهو عاد ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عادا اسما للقبيلة لقوله تعالى وأنه اهلك عادا الاولى وارم هو جد عاد على ما ذكر فى نسبة عاد وقيل ان المتقدمين من قوم عاد كانوا يسمون بارم اسم جدهم وقيل ارم هم قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة اسم موضع باليمن وكان عاد أباهم فنسبوا اليه وهو ارم ابن عاد بن شيم بن سام بن نوح وقال الكلبى ارم هو الذى يجتمع اليه نسب عاد وثمود واهل السواد وأهل الجزيرة وكان يقال عاد ارم وثمود ارم فأهلك عادا وثمود وابقى اهل السواد واهل الجزيرة وقال سعيد بن المسيب ارم ذات العماد دمشق وقيل الاسكندرية وفيه ضعف لان منازل عاد كانت من عمان الى حضرموت وهى بلاد الرمال والاحقاف وقيل ان عادا كانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة فى الربيع فاذا هاج العود يبس رجعوا الى منازلهم وكانوا أهل جنان وزروع ومنازلهم بوادى القرى وهى كما قال الله (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) وسموا ذات العماد لانهم كانوا اهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبى ورواية ابن عباس وقيل سموا ذات العماد لطول قامتهم مثل العماد فى الشبه قال مقاتل كان احدهم اثنى عشر ذراعا وقوله التى لم يخلق مثلها فى البلاد يعنى لم يخلق مثل تلك القبيلة فى الطول والقوة وهم الذين قالوا من أشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشد عمده ورفع بناءه وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا اروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب أبل له شردت فبينما هو يسير فى صحارى عدن اذ وقع على مدينة فى تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن ان فيها أحدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الاحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا فيها قصور فى كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ والياقوت واذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهى مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير احدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا فى تلك الازقة أشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار انهار مطردة يجرى ماؤها فى قنوات من فضة فقال الرجل فى نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤ ترابها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن واظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ ذلك معاوية فأرسل اليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فأرسل معاوية الى كعب الاحبار فلما أتاه قال له يا أبا اسحاق هل فى الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هى ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثنى حديثها فقال لما أراد شداد بن عاد عملها أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض ان يمدوهم

قسم مقنع لذى عقل ولب والمقسم عليه محذوف وهو قوله ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب ثم ذكر تعذيب الامم التى كذبت الرسل فقال (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) اى ألم تعلم يا محمد علما يوازى العيان فى الايقان وهو استفهام تقرير قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام ابن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى والارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة فارم عطف بيان لعاد وايذان انهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التى كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت اوارضا للتعريف والتأنيث وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات أساطين وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلاثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار ولما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) اى مثل عاد فى قوتهم وطول قامتهم كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع أو لم يخلق مثل مدينة شداد فى

بما في بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون في الارض ليجدوا أرضا موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال واذا فيها أعين ماء ومروج فقالوا هذه الارض التي أمر الملك ان نبني فيها فوضعوا أساسها الجزع اليماني وأقاموا في بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما أتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعني سورا واجعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر ألف علم ليكون في كل قصر وزير من وزرائي ففعلوا وامر الملك وزراءه وهم ألف وزير أن يتهيؤا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك واهله في جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق منهم أحد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فأبصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل قوله عز وجل (وثمود) أي وفعل بثمود مثل ما فعل بعاد (الذين جابوا) أي قطعوا (الصخر بالواد) يعني بوادي القرى وكانت ثمود أول من قطع الصخر ونحته واتخذوا مساكن في الجبال وبيوتا (وفرعون ذي الاوتاد) سمي بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل معناه ذي الملك كما قيل * في ظل ملك راسخ الاوتاد * وقيل سمي بذلك لانه كان يعذب الناس بالاوتاد وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس ان فرعون انما سمي ذا الاوتاد لانه كانت عنده امرأة مؤمنة وهي امرأة خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من اله غير أبي فقالت الهي واله ابيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت ودخلت على ابيها وهي تبكي فقال لها ما يبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها واله السموات والارض واحد لا شريك له فأرسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري بالهك وأقري اني الهك قالت لا افعل فمدها بين أربعة أوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على قلبها ثم قال اكفري بالله والا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من في الارض على في ما كفرت بالله عز وجل فأتى بابنتها فلما اضجعت على صدرها وأراد ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا في المهد صغارا اطفالا وقالت يا أماه لا تجزعي فان الله قد بنى لك بيتا في الجنة فاصبري فانك تفضين الى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث الام الا ان ماتت فأسكنها الله الجنة وبعث في طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد رؤي في جبل كذا في موضع كذا فبعث رجلين في طلبه فانتهى اليه الرجلان وهو يصلي وثلاث صفوف من الوحش خلفه يصلون فلما رأوا ذلك انصرفوا فقال حزقيل اللهم انك تعلم اني كتمت ايماني مائة سنة ولم يظهر على احد فأيما هذين الرجلين كتم علي فأهده الى دينك وأعطه من الدنيا سؤله وأيما هذين الرجلين اظهر علي فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فأما أحدهما فاعتبر وآمن واما الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رؤس الملأ فقال له فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعا به فقال أحق ما يقول هذا قال ما رأيت مما يقول شيئا فأعطاه فرعون واجزل واما الآخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امرأة من اجمل نساء بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعني ان اصبر على ما يأتي فرعون وانا مسلمة وفرعون كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون انت اشر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون وان الهي والهك واله السموات والارض واحد لا شريك له فبصق عليها وضربها وارسل الى ابيها وامها فدعاهما وقال لهما ان

جميع بلاد الدنيا (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوا واصخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا وقيل أول من نحت الجبال والصخور ثمود وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة (بالواد) بوادي القرى (وفرعون ذي الاوتاد) اي ذي الجنود الكثيرة وكانت لهم مضارب كثيرة يضربونها اذا نزلوا وقيل كان له اوتاد يعذب

الناس بها كما فعل ماشية (الذين) فى محل النصب على الذم او الرفع على هم الذين او الجر على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون (طغوا فى البلاد) تجاوزوا الحد (فأكثروا فيها الفساد) بالكفر والقتل والظلم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) مجاز عن ايقاع العذاب بهم على ابلغ الوجوه اذ الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الايلام اى عذبوا عذابا مؤلما دائما (ان ربك لبالمرصاد) وهو المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لارصاده العباد وانهم لا يفوتونه وانه عالم بما يصدر منهم وحافظه فيجازيهم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) أى ضيق عليه وجعله بمقدار بلغته فقدّر شامى ويزيد (فيقول ربى أهانن) اى الواجب لمن ربه بالمرصاد ان يسعى للعاقبة ولا تهمه العاجلة وهو قد عكس فانه اذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر قال ربى اكرمنى اى فضلنى بما أعطانى فيرى الاكرام فى كثرة الحظ من الدنيا واذا امتحنه بالفقر فقدر عليه رزقه ليصبر قال ربى أهاننى فيرى الهوان فى قلة الحظ من الدنيا لانه لا تهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فرد عليه زعمه بقوله (كلا) أى ليس الاكرام والاهانة فى كثرة المال وقلته بل الاكرام فى توفيق الطاعة والاهانة فى الخذلان وقوله تعالى فيقول خبر المبتدا الذى هو الانسان ودخول الفاء لما فى اما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر فى تقدير التأخير كانه قيل فأما الانسان فقائل ربى أكرمنى وقت الابتلاء وكذا فيقول الثانى خبر لمبتدا تقديره واما هو اذا ما ابتلاه ربه وسمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وانما انكر قوله ربى أكرمنى مع انه اثبته بقوله فأكرمه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبته وهو قصده ان الله اعطاه ما أعطاه اكراما له لاستحقاقه كقوله انما أوتيته على علم عندى وانما أعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق منه (بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين) أى بل هنالك شر من هذا القول وهو أن الله يكرمهم بالغنى فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة وحض أهله على طعام المسكين (وتأكلون التراث) أى الميراث (أكلا لما) ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام وكانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم (وتحبون المال) يقال حبه وأحبه بمعنى (حبا جما) كثيرا شديدا مع الحرص ومنع الحقوق ربى حجازى وأبو عمرو ويكرمون ولا يحضون ويأكلون ويحبون بصرى (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة فقال

الجنون الذى كان بالماشطة أصابها قالت أعوذ بالله من ذلك انى أشهد ان ربى وربك ورب السموات والارض واحد لا شريك له فقال أبوها يا آسية الست من خير نساء العماليق وزوجك اله العماليق قالت أعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا فقولا له أن يتوجنى تاجا تكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجا عنى ثم مدها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله فقبض الله روحها وأدخلها الجنة قوله عز وجل (الذين طغوا فى البلاد) يعنى عادا وثمود وفرعون عملوا بالمعاصى وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيان بقوله (فأكثروا فيها الفساد) يعنى القتل والفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع اقسام الاثم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) يعنى لونا من العذاب صبه عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون فى الدنيا من العذاب بالسوط وقيل هو اشارة الى ما خلط لهم من العذاب لان اصل السوط خلط الشئ بعضه ببعض وقيل هذا على الاستعارة لان السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع منه وقيل جعل سوطه الذى ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية يقول ان عند الله تعالى اسواطا كثيرة فأخذهم بسوط منها (ان ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يعنى بحيث يرى ويسمع وقيل عليه طريق العباد لا يفوته أحد وقيل عليه ممر الناس لان الرصد والمرصاد الطريق وقيل ترجع الخلق الى حكمه وامره واليه مصيرهم وقيل يرصد اعمال بنى آدم والمعنى انه لا يفوته شئ من أعمال العباد كما لا يفوت من بالمرصاد وقد قيل ارصد الناس على طريقهم حتى تهلكهم قوله عز وجل (فأما الانسان اذا ما ابتلاه) اى امتحنه (ربه) أى بالنعمة (فأكرمه) اى بالمال (ونعمه) اى بما وسع عليه (فيقول ربى اكرمن) اى بما اعطانى من المال والنعمة (وأما اذا ما ابتلاه) يعنى بالفقر (فقدر عليه) اى فضيق عليه وقيل قتر (رزقه) اى وقد اعطاه ما يكفيه (فيقول ربى أهانن) اى اذلنى بالفقر قيل نزلت فى أمية بن خلف الجمحى الكافر وقيل ليس المراد به واحدا بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذى تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ فى الدنيا وقلته فرد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقال تعالى (كلا) اى ليس الامر كذلك اى لم ابتله بالغنى لكرامته ولم ابتله بالفقر لهوانه فأخبر ان الاكرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وقلته ولكن الغنى والفقر بتقدير الله جل جلاله وحكمته فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويضيق على المؤمن لا لهوانه لكن لامر اقتضته حكمة الله تعالى وانما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الانسان من اصناف المال ليختبره أيشكر أم يكفر ويضيق عليه ليختبره أيصبر أم يتجزع ويقلق (بل لا يكرمون اليتيم) أى لا يعطونه حقه الثابت له فى الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما فى حجر أمية بن خلف وكان يدفعه عن حقه (ولا يحضون على طعام المسكين) أى لا يطعمون مسكينا ولا يأمرون باطعامه وقرئ ولا يحاضون ومعناه ولا يحض بعضهم بعضا على ذلك (ويأكلون التراث) أى الميراث (أكلا لما) أى شديدا والمعنى انه يأكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون نصيبهم وقيل الآكل اللام الذى يأكل كل شئ يجده لا يسأل احلال ام حرام فيأكل الذى له ولغيره (ويحبون المال حبا جما) اى كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويولعون به ويحبه (كلا) اى لا ينبغى ان يكون الامر

هكذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لا يفعلون ما أمروا به من اكرام اليتيم وغيره من المسلمين ثم اخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم وذلك حين لا ينفعهم الندم فقال تعالى (اذا دكت الارض دكا دكا) اى دقت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل شئ عليها من جبل وبناء وغيره حتى لا يبقى على ظهرها شئ (وجاء ربك) اعلم ان هذه الآية من آيات الصفات التى سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها واجروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها وتأولها بعض المتأخرين وغالب المتكلمين فقالوا ثبت بالدليل العقلى ان الحركة على الله محال فلابد من تأويل الآية فقيل من تأويلها وجاء أمر ربك بالمحاسبة والجزاء وقيل جاء امر ربك وقضاؤه وقيل وجاء دلائل آيات ربك فجعل مجيئها مجيئا له تفخيما لتلك الآيات (والملك صفا صفا) أى تنزل ملائكة كل سماء صفا صفا على حدة فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف (وجيء يومئذ) يعنى يوم القيامة (بجهنم) قال ابن مسعود فى هذه الآية تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام بيد سبعين ألف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش (يومئذ) يعنى يوم يجاء بجهنم (يتذكر الانسان) اى يتعظ الكافر ويتوب (وأنى له الذكرى) يعنى انه يظهر التوبة ومن أين له التوبة (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) أى قدمت الخير والعمل الصالح لحياتى فى الآخرة التى لا موت فيها (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أى لا يعذب احد فى الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ (ولا يوثق وثاقه أحد) يعنى لا يبلغ احد من الخلق كبلاغ الله فى العذاب والوثاق هو الاسر فى السلاسل والاغلال وقرئ ولا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء ومعناه لا يعذب عذاب هذا الكافر احد ولا يوثق وثاقه احد وهو أمية بن خلف وذلك لشدة كفره وعتوه قوله عز وجل (يا أيتها النفس المطمئنة) اى الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله تعالى الموقنة التى قد ايقنت بالله تعالى وبان الله ربها وخضعت لامره وطاعته وقيل المطمئنة المؤمنة الموقنة وقيل هى الراضية بقضاء الله وقيل هى الآمنة من عذاب الله وقيل هى المطمئنة بذكر الله قيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب حين استشهد بأحد وقيل فى حبيب بن عدى الانصارى وقيل فى عثمان حين اشترى بئر رومة وسبلها وقيل فى أبى بكر الصديق والاصح ان الآية عامة فى كل نفس مؤمنة مطمئنة لان هذه السورة مكية (ارجعى الى ربك) اى الى ما وعد ربك من الخير والثواب قيل يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا قال عبد الله بن عمر اذا توفى العبد المؤمن أرسل الله عز وجل اليه ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة فيقال اخرجى أيتها النفس المطمئنة اخرجى الى روح وريحان وربك عليك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده احد فى انفه والملائكة على ارجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الافتح لها ولا بملك الاصلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع انفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره فسبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ له فيه الروح والريحان فان كان معه شئ من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نور مثل الشمس فى قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا احب أهله اليه واذا توفى الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل قطعة من بجاد اى من كساء انتن من كل نتن وأخشن من كل خشن فيقال أيتها النفس الخبيثة اخرجى الى جهنم وعذاب أليم وربك عليك غضبان وقيل فى معنى قوله ارجعى الى ربك اى الى صاحبك وهو الجسد وانما يقال لها ذلك عند البعث فيأمر الله الارواح ان ترجع الى اجسادها وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل ارجعى الى ثواب ربك وكرامته (راضية) اى عن الله بما أعد لك (مرضية) أى رضى الله عنها وقيل لها فى الدنيا ارجعى الى ربك راضية مرضية فاذا كان يوم القيامة قيل لها (فادخلى فى عبادى) اى فى جملة عبادى الصالحين المصطفين (وادخلى جنتى) قال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير على خلقه طائر قط فدخل نعشه

(اذا دكت الارض) اذا زلزلت (دكا دكا) دكا بعد دك أى كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا (وجاء ربك) تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه فان واحدا من الملوك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصه وعن ابن عباس أمره وقضاؤه (والملك صفا صفا) أى ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس (وجيء يومئذ بجهنم) قيل انها برزت لاهلها كقوله وبرزت الجحيم للغاوين وقيل هو مجرى على حقيقته ففى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها (يومئذ يتذكر الانسان) أى يتعظ (وأنى له الذكرى) ومن اين له منفعة الذكرى (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) هذه وهى حياة الآخرة أى ياليتنى قدمت الاعمال الصالحة فى الحياة الفانية لحياتى الباقية (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أى لا يتولى عذاب الله احد لان الامر لله وحده فى ذلك اليوم (ولا يوثق) بالسلاسل والاغلال (وثاقه أحد) قال صاحب الكشاف لا يعذب احد احدا كعذاب الله ولا يوثق احد أحدا كوثاق الله لا يعذب ولا يوثق على وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع اليها أبو عمرو فى آخر عمره والضمير يرجع الى الانسان الموصوف وهو الكافر وقيل هو أبى ابن خلف أى لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وعناده ثم يقول الله تعالى للمؤمن (يا أيتها النفس) اكراما له كما كلم موسى عليه السلام او يكون على لسان ملك (المطمئنة) الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن وهى النفس المؤمنة او المطمئنة الى الحق التى سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة أبى يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة وانما يقال لها عند الموت او عند البعث أو عند دخول الجنة (ارجعى الى) موعد (ربك) أو ثواب ربك (راضية) من الله بما أوتيت (مرضية) عند الله بما عملت (فادخلى فى عبادى) فى جملة عبادى الصالحين فانتظمى فى سلكهم (وادخلى جنتى) معهم وقال أبو عبيدة أى مع عبادى او بين عبادى أى خواصى كما قال وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقيل النفس الروح ومعناه فادخلى فى أجساد عبادى كقراءة عبد الله بن مسعود

ثم

فى جسد عبدى ولما مات ابن عباس بالطائف جاء طائر لم ير على خلقته فدخل فى نعشه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم يدر من تلاها قيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وقيل فى خبيب الذى صلبه أهل مكة وقيل هى عامة فى المؤمنين اذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب

ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى من تلاها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى وقال بعض اهل الاشارة فى تفسير هذه الآية يا أيتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعى الى ربك بتركها والرجوع اليه هو سلوك سبيل الآخرة والله أعلم

تفسير سورة البلد وهى مكية

وعشرون آية واثنتان وثمانون كلمة وثلثمائة وثمانون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (لا أقسم بهذا البلد) تقدم الكلام على قوله لا أقسم فى أول سورة القيامة والبلد هى مكة فى قول جميع المفسرين (وأنت حل بهذا البلد) أى مقيم به نازل فيه فكأنه عظم حرمة مكة من اجل انه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل أى حلال والمعنى احلت لك تصنع فيها ما تريد من القتل والاسر ليس عليك ما على الناس من الاثم فى استحلالها أحل الله عز وجل له مكة يوم الفتح حتى قاتل وأمر بقتل ابن خطل وهو معلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وأحل دماء قوم وحرم دماء قوم آخرين فقال من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار فهى حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لما أقسم الله تعالى بمكة دل ذلك على عظم قدرها وشرفها وحرمتها ومع ذلك فقد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحلها له حتى يقاتل فيها وان يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى فى الماضى وهو مقيم بمكة ان يفتحها عليه فى المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعده وقيل فى معنى قوله وأنت حل بهذا البلد أى انهم يحرمون ان يقتلوا به صيدا ويستحلون قتلك فيه واخراجك منه (ووالد وما ولد) يعنى آدم وذريته أقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبآدم وبالانبياء والصالحين من ذريته لان الكافر وان كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى كبد) قال ابن عباس فى نصب وقيل يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعنه أيضا قال فى شدة من حمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته وأصل الكبد الشدة وقيل لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك اضعف الخلق وعن ابن عباس أيضا قال الكبد الاستواء والاستقامة فعلى هذا يكون المعنى خلقنا الانسان منتصبا معتدل القامة وكل شئ من الحيوان يمشى منكبا وقيل منتصبا رأسه فى بطن امه فاذا اذن الله فى خروجه انقلب رأسه الى اسفل وقيل فى كبد أى فى قوة نزلت فى ابى الاشد اسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظى تحت قدميه ويقول من أزالنى عنه فله كذا وكذا فلا يطاق ان ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى من ذلك الاديم بقدر موضع قدميه (أيحسب) يعنى أبا الاشد من قوته (أن لن يقدر عليه أحد) يعنى أيظن لشدته فى نفسه انه لا يقدر عليه الله وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومى (يقول) يعنى هذا الكافر (أهلكت) أى انفقت (مالا لبدا) أى كثيرا من التلبيد الذى يكون بعضه فوق بعض يعنى فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم (أيحسب أن لم يره احد) يعنى ايظن ان الله لم يره ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه وفيم انفقه وقيل كان كاذبا فى قوله انه انفق ولم ينفق جميع ما قال والمعنى ايظن ان الله لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكر نعمه عليه ليعتبر فقال تعالى (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين) يعنى ان نعم الله على عبده متظاهرة يقرره بها كى يشكره

(سورة البلد مكية وهى عشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أقسم بهذا البلد) اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورا فى مكابد المشاق واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وأنت حل بهذا البلد) أى ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد يعنى مكة كما يستحل الصيد فى غير الحرم عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت لرسول الله وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم فى عداوته او سلى رسول الله بالقسم ببلده على أن الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بأن وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وأنت حل بهذا البلد أى وأنت حل به فى المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر وذلك ان الله تعالى فتح عليه مكة وأحلها له وما فتحت على أحد قبله ولا احلت له فأحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس ابن صبابة وغيرهما وحرم دار أبى سفيان ونظير قوله وأنت حل فى الاستقبال قوله انك ميت وانهم ميتون وكفاك دليلا على انه للاستقبال ان السورة مكية بالاتفاق وأين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح (ووالد وما ولد) هما آدم وولده او كل والد وولده او ابراهيم وولده وما بمعنى من او بمعنى الذى (لقد خلقنا الانسان) جواب القسم (فى كبد) مشقة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعن ذى النون لم يزل مربوطا بحبل القضاء مدعوا الى الائتمار والانتهاء والضمير فى (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله يكابد منهم ما يكابد ثم قيل هو أبو الاشد وقيل الوليد بن المغيرة والمعنى أيظن هذا الصنديد القوى فى قومه المتضعف للمؤمنين ان لن تقوم قيامة ولم يقدر على الانتقام منه ثم ذكر ما يقوله فى ذلك اليوم وانه (يقول اهلكت مالا لبدا) أى كثيرا جمع لبدة وهو ما تلبد اى كثر واجتمع يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ومعالى (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق ما ينفق رياء وافتخارا يعنى ان الله تعالى كان يراه وكان عليه رقيبا ثم ذكر نعمه عليه فقال (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيات (ولسانا) يعبر به عما فى ضميره (وشفتين) يستر بهما ثغره ويستعين بهما على النطق

والاكل والشرب والنفخ (وهديناه النجدين) طريقى الخير والشر المفضيان الى الجنة والنار وقيل الثديين (فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا) يعنى فلم يشكر تلك الايادى والنعم بالاعمال الصالحة

وجاء فى الحديث ان الله عز وجل يقول ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق عليه وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق عليه وان نازعك فرجك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق عليه (وهديناه النجدين) قال أكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة وقال ابن عباس الثديين (فلا اقتحم العقبة) أى فهلا انفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام المساكين يكون ذلك خيرا له من انفاقه فى عداوة من أرسله الله اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول فى الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان فى اعمال الخير والبر فجعله كالذى يتكلف صعود العقبة يقول الله عز وجل لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بالعقبة فاذا اعتق رقبة واطعم المساكين كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروى عن ابن عمران هذه العقبة جبل فى جهنم وقيل هى عقبة شديدة فى النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس وقيل هى الصراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة وصعودا وهبوطا واستواء وان بجنبيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس فى النار منكوس فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس فى النار وقيل معنى الآية فهلا سلك طريق النجاة ثم بين ماهى فقال تعالى (وما أدراك ما العقبة) أى وما ادراك ما اقتحام العقبة (فك رقبة) يعنى عتق الرقبة وهو ايجاب الحرية لها وابطال الرق من العبودية عنها وذلك بأن يعتق الرجل الرقبة التى فى ملكه او يعطى مكاتبا ما يصرفه فى فكاك رقبته ومن اعتق رقبة كانت فداءه من النار (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه وروى البغوى بسنده عن البراء بن عازب قال جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله علمنى عملا يدخلنى الجنة قال لئن كنت اقصرت الخطبة لقد اعرضت المسئلة اعتق النسمة وفك الرقبة قال اوليسا واحدا قال لا عتق الرقبة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين فى ثمنها والمنحة الوكوف والفىء على ذى الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الامن خير وقيل فى معنى الآية فك رقبة من رق الذنوب بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات والطاعات التى يصير بها الى رضوان الله والجنة فهى الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار (أو اطعام فى يوم ذى مسغبة) اى فى يوم ذى مجاعة والسغب الجوع (يتيما ذا مقربة) اى ذا قرابة يريد يتيما بينك وبينه قرابة (أو مسكينا ذا متربة) يعنى قد لصق بالتراب فى فقره وضره وقال ابن عباس هو المطروح فى التراب لا يقيه شئ والمتربة الفقر ثم بين ان هذه القرب لا تنفع الامع الايمان بقوله (ثم كان من الذين آمنوا) والمعنى انه ان كان مؤمنا تنفعه هذه القرب وكان مقتحما العقبة وان لم يكن مؤمنا لا تنفعه هذه القرب ولا يقتحم العقبة (وتواصوا بالصبر) يعنى وصى بعضهم بعضا على الصبر على اداء الفرائض وجميع أوامر الله ونواهيه (وتواصوا بالمرحمة) أى برحمة الناس وفيه الاشارة الى تعظيم أمر الله الشفقة على خلق الله (أولئك) يعنى أهل هذه الخصال (أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة عليهم نار مؤصدة) يعنى مطبقة عليهم ابوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم والله سبحانه أعلم

من فك الرقاب او اطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذى هو أصل كل طاعة وأساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه مرضى نافع عند الله لا أن يهلك ماله لبدا فى الرياء والفخار وقلما تستعمل لا مع الماضى الا مكررة وانما لم تكرر فى الكلام الافصح لانه لما فسر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار كأنه اعاد لا ثلاث مرات وتقديره فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا ولا آمن والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة فجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما فى ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان والمراد بقوله ما العقبة ما اقتحامها ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله وفك الرقبة تخليصها من الرق والاعانة فى مال الكتابة فك رقبة او اطعم مكى وأبو عمرو وعلى على الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض غيرهم فك رقبة أو اطعام على اقتحامها فك رقبة او اطعام والمسغبة المجاعة والمقربة القرابة والمتربة الفقر مفعلات من سغب اذا جاع وقرب فى النسب يقال فلان قرابتى وذو مقربتى وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب فيكون ماواه المزابل ووصف اليوم بذى مسغبة كقولهم هم ناصب أى ذو نصب ومعنى ثم كان من الذين آمنوا أى داوم على الايمان وقيل ثم بمعنى الواو وقيل انما جاء بثم لتراخى الايمان وتباعده فى الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا فى الوقت اذ الايمان هو السابق على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات والمحن التى يبتلى بها المؤمن (وتواصوا بالمرحمة) بالتراحم فيما بينهم (أولئك أصحاب الميمنة) اى الموصوفون بهذه الصفات من اصحاب الميمنة (والذين كفروا بآياتنا) بالقرآن او بدلائلنا (هم اصحاب المشئمة) اصحاب الشمال والميمنة والمشأمة اليمين والشمال او اليمن والشؤم أى المشائيم على انفسهم والمشائيم عليهن (عليهم نار موصدة) وبالهمز ابو عمرو وحمزة وحفص اى مطبقة من اوصدت الباب وآصدته اذا اطبقته وأغلقته والله أعلم

سبحانه وتعالى أعلم بمراده

تفسير سورة الشمس وهي مكية

وخمس عشرة آية وأربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعة وأربعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والشمس وضحاها) اى اذا بدا ضوءها والضحى حين ترتفع الشمس ويصفو ضوءها وقيل الضحى النهار كله لان الضحى هو نور الشمس وهو حاصل فى النهار كله وقيل الضحى هو حر الشمس لان حرها ونورها متلازمان فاذا اشتد نورها قوى حرها وهذا أضعف الاقوال (والقمر اذا تلاها) اى تبعها وذلك فى النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر فى الاضاءة وخلفها فى النور وقيل تلاها فى الاستدارة وذلك حين يكمل ضوءه ويستدير وذلك فى الليالى البيض وقيل تلاها تبعها فى الطلوع وذلك فى أول ليلة من الشهر اذا غربت الشمس ظهر الهلال فكانه تبعها (والنهار اذا جلاها) يعنى جلا ظلمة الليل بضيائه وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروفا (والليل اذا يغشاها) أى يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق وحاصل هذه الاقسام الاربعة ترجع الى الشمس فى الحقيقة لان بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر (والسماء وما بناها) أى ومن بناها وقيل والذى بناها فعلى هذا كانه أقسم به وبأعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر اى والسماء وبنائها (والارض وما طحاها) أى بسطها وسطحها على الماء (ونفس وما سواها) اى عدل خلقها وسوى اعضاءها هذا ان اريد بالنفس الجسد وان اريد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها اعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والمفكرة والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل انما نكرها لانه أراد بها النفس الشريفة المكلفة التى تفهم عنه خطابه وهى نفس جميع من خلق من الانس والجن (فألهمها فجورها وتقواها) قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه عرفها ما تأتى وما تتقى وقيل الزمها فجورها وتقواها وقيل وجعل فيها ذلك بتوفيقه اياها التقوى وخذلانه اياها الفجور وذلك لان الله تعالى خلق فى المؤمن التقوى وفى الكافر الفجور (م) عن أبى الاسود قال قال لى عمران بن حصين ارأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلونه مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شئ قضى عليهم ومضى عليهم فقال افلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شئ خلق الله وملك يده فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فقال يرحمك الله انى لم ارد بما سألتك الا لاختبر عقلك ان رجلين من مزينة اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شئ قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها (م) عن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كاننا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير او فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه أقسام اقسم الله تعالى بالشمس وضحاها وما بعدها لشرفها ومصالح العالم بها وقيل فيه اضمار تقديره ورب الشمس وما بعدها وأورد على هذا القول انه قد دخل فى جملة هذا القسم قوله والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير ورب السماء ورب من بناها وهذا خطأ لا يجوز وأجيب عنه بأن ما ان فسرت بالمصدرية فلا اشكال وان فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب

(سورة الشمس مكية وهى خمس عشرة آية)(بسم الله الرحمن الرحيم)(والشمس وضحاها) وضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها (والقمر اذا تلاها) تبعها فى الضياء والنور وذلك فى النصف الاول من الشهر يخلف القمر الشمس فى النور (والنهار اذا جلاها) جلى الشمس واظهرها للرائين وذلك عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلى فى ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة او للدنيا أو للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة (والليل اذا يغشاها) يستر الشمس فتظلم الآفاق والواو الاولى فى نحو هذا للقسم بالاتفاق وكذا الثانية عند البعض وعند الخليل الثانية للعطف لان ادخال القسم على القسم قبل تمام الاول لا يجوز الا ترى انك لو جعلت موضعها كلمة الفاء أو ثم لكان المعنى على حاله وهما حرفا عطف فكذا الواو ومن قال انها للقسم احتج بأنها لو كانت للعطف لكان عطفا على عاملين لان قوله والليل مثلا مجرور بواو القسم واذا يغشى منصوب بالفعل المقدر الذى هو اقسم فلو جعلت الواو فى والنهار اذا تجلى للعطف لكان النهار معطوفا على الليل جرا واذا تجلى معطوفا على اذا يغشى نصبا فصار كقولك ان فى الدار زيدا والحجرة عمرا وأجيب بأن واو القسم تنزلت منزلة الباء والفعل حتى لم يجز ابراز الفعل معها فصارت كانها العاملة نصبا وجرا وصارت كعامل واحد له عملان وكل عامل له عملان يجوز ان يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتفاق نحو ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذى هو عاملهما فكذا هنا وما مصدرية فى (والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها) اى وبنائها وطحوها اى بسطها وتسويتها خلقها فى احسن صورة عند البعض وليس بالوجه لقوله فألهمها لما فيه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذى بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذى سواها وانما نكرت النفس لانه أراد نفسا خاصة من بين النفوس وهى نفس آدم كانه قال وواحدة من النفوس او اراد كل نفس والتنكير للتكثير كما فى علمت نفس (فألهمها فجورها وتقواها) فأعلمها طاعتها ومعصيتها اى افهمها ان احدهما حسن والآخر قبيح

السماء الذى بناها وجواب القسم قوله تعالى (قد أفلح من زكاها) اى فازت وسعدت نفس زكاها الله اى أصلحها الله وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة (وقد خاب من دساها) أى خابت وخسرت نفس اضلها الله تعالى وأفسدها واصله من دس الشئ اذا أخفاه فكأنه سبحانه وتعالى اقسم بأشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه وخسارة من خذله واضله حتى لا يظن أحد أنه يتولى تطهير نفسه أو اهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق (م) عن زيد بن ارقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها قوله عز وجل (كذبت ثمود) وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام (بطغواها) اى بطغيانها وعدوانها والمعنى ان الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا (اذ انبعث أشقاها) اى قام واسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث اشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا اشقر ازرق العين قصير فعقر الناقة (ق) عن عبد الله بن زمعة انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى أهله مثل ابى زمعة لفظ البخارى قوله عارم أى شديد ممتنع قوله تعالى (فقال لهم رسول الله) يعنى صالحا عليه الصلاة والسلام (ناقة الله) أى ذروا ناقة الله وانما قال لهم ذلك لما عرف منهم انهم قد عزموا على عقرها وانما أضافها الى الله تعالى لشرفها كبيت الله (وسقياها) اى وشربها اى وذروا شربها ولا تتعرضوا للماء يوم شربها (فكذبوه) يعنى صالحا (فعقروها) يعنى الناقة (فدمدم عليهم ربهم) اى فدمر عليهم ربهم واهلكهم والدمدمة هلاك استئصال وقيل دمدم اى اطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم ينفلت منهم أحد (بذنبهم) اى فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام وعقرهم الناقة (فسواها) اى فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بين الامة وأنزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب (ولا يخاف عقباها) اى لا يخاف الله تبعة من احد فى هلاكهم كذا قال ابن عباس وقيل هو راجع الى العاقر والمعنى لا يخاف العاقر عقبى ما قدم عليه من عقر الناقة وقيل هو راجع الى صالح عليه الصلاة والسلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما أنزل الله بهم من العذاب ان يؤذيه احد بسبب ذلك والله أعلم

تفسير سورة والليل وهى مكية

واحدى وعشرون آية واحدى وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والليل اذا يغشى) اى يغشى النهار بظلمته فيذهب الله بضوئه أقسم الله تعالى بالليل لانه سكن لكافة الخلق يأوى فيه كل حيوان الى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم اقسم بالنهار بقوله (والنهار اذا تجلى) اى بان وظهر بعد الظلمة لان فيه حركة الخلق فى طلب الرزق (وما خلق الذكر والانثى) أى ومن خلق فعلى هذا يكون اقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذى قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد ان اريد به جنس الذكر والانثى وقيل هما آدم وحواء وانما اقسم بهما لانه تعالى ابتدأ خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير ام وجواب القسم قوله تعالى (ان سعيكم لشتى) اى ان اعمالكم لمختلفة فساع فى فكاك نفسه وساع فى عطبها روى ابو مالك الاشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها اى مهلكها قوله تعالى (فأما من أعطى) اى انفق ماله فى سبيل الله عز وجل (واتقى) اى ربه وفيه اشارة الى الاحتراز عن

(قد أفلح) جواب القسم والتقدير لقد أفلح قال الزجاج صار طول الكلام عوضا عن اللام وقيل الجواب محذوف وهو الاظهر تقديره ليدمدمن الله عليهم أى على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد أفلح فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم فى شئ (من زكاها) طهرها الله وأصلحها وجعلها زاكية (وقد خاب من دساها) أغواها الله قال عكرمة افلحت نفس زكاها الله وخابت نفس اغواها الله ويجوز ان تكون التدسية والتطهير فعل العبد والتدسية النقص والاخفاء بالفجور واصل دسى دسس والياء بدل من السين المكررة (كذبت ثمود بطغواها) بطغيانها اذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم (اذ انبعث) حين قام بعقر الناقة (أشقاها) اشقى ثمود قدار بن سالف وكان اشقر ازرق قصيرا واذ منصوب بكذبت او بالطغوى (فقال لهم رسول الله) صالح عليه السلام (ناقة الله) نصب على التحذير اى احذروا عقرها (وسقياها) كقولك الاسد الاسد (فكذبوه) فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا (فعقروها) اى الناقة اسند الفعل اليهم وان كان العاقر واحدا لقوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر لرضاهم به (فدمدم عليهم ربهم) أهلكهم هلاك استئصال (بذنبهم) بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة (فسواها) فسوى الدمدمة عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم (ولا يخاف عقباها) ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة اى فعل ذلك غير خائف ان تلحقه تبعة من احد كما يخاف من يعاقب من الملوك لانه فعل فى ملكه وملكه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلا يخاف مدنى وشامى

سورة الليل احدى وعشرون آية مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والليل اذا يغشى) المغشى اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها والنهار من قوله يغشى الليل النهار او كل شئ يواريه بظلامه من قوله اذا وقب (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل (وما خلق الذكر والانثى) والقادر العظيم القدرة الذى قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وجواب القسم (ان سعيكم لشتى) ان عملكم لمختلف و بيان الاختلاف فيما فصل على اثره (فأما من أعطى) حقوق ماله (واتقى) ربه فاجتنب

كل مالا ينبغي (وصدق بالحسنى) قال ابن عباس صدق بقول لا اله الا الله وعنه صدق بالخلف به اى ايقن ان الله سيخلف عليه ما انفقه في طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بموعد الله عز وجل الذى وعده انه يثيبه (فسنيسره) فسنهيئه في الدنيا (لليسرى) اى للخلة والفعلة اليسرى وهو العمل بما يرضاه الله قوله عز وجل (وأما من بخل) اى بالنفقة في الخير والطاعة (واستغنى) اى عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه (وكذب بالحسنى) أى بلا اله الا الله او كذب بما وعده الله عز وجل من الجنة والثواب (فسنيسره للعسرى) أى فسنهيئه للشر بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله تعالى فيستوجب بذلك النار وقيل نعسر عليه ان يأتي خيرا وفي الآية دليل لاهل السنة وصحة قولهم في القدر وان التوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة بيد الله تعالى ووجوب العمل بما سبق له في الازل

(ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة ٣ زاد مسلم الا وقد كتبت شقية اوسعيدة فقالوا يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فيصير لعمل اهل السعادة واما من كان من أهل الشقاوة فيصير لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المخصرة بكسر الميم كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه الانسان بيده والنكت بالتاء المثناة فوق ضرب الارض بذلك اوغيرها مما يؤثر فيه الضرب وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق وذلك انه اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردة وعشرة أواق فأعتقه فأنزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى يعني سعي أبي بكر وامية بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة وفرعها في دار رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخلة اذا طلع نخلته ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل عن نخلته حتى يأخذ التمرة من أيديهم وان وجدها في فم احدهم ادخل اصبعه في فيه حتى يخرجها فشكا ذلك الرجل الفقير الى النبي صلى الله عليه وسلم فلقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له تعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال الرجل ان لي نخلا وما فيه اعجب الي منها ثم ذهب فسمع بذلك أبو الدحداح رجل من الانصار فقال لصاحب النخلة هل لك ان تبيعها بحش يعني حائطا له فيه نخل فقال هي لك فأتى ابو الدحداح النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اشترها مني بنخلة في الجنة فقال نعم فقال هي لك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جار الانصاري صاحب النخلة قال خذها لك ولعيالك فأنزل الله هذه الآية وهذا القول فيه ضعف لان هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فان كانت القصة صحيحة تكون هذه السورة قد نزلت بمكة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح انها نزلت في أبي بكر الصديق وامية بن خلف لان سياق الآيات يقتضي ذلك قوله عز وجل (وما يغني عنه ماله) اى الذى بخل به (اذا تردى) اى اذا مات وقيل هوى في جهنم (ان علينا للهدى) اى ان علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك انه لما عرفهم ما للمحسن من اليسرى وما للمسيء من العسرى اخبرهم ان بيده الارشاد والهداية وعليه تبيين طريقها وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فاكتفى بذكر احدهما والمعنى ارشد اوليائي الى العمل بطاعتي واصرف أعدائي عن العمل بطاعتي وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله (وان لنا للآخرة والاولى) أى لنا ما في الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد اخطأ الطريق (فأنذرتكم) اى يا أهل مكة (نارا تلظى) أى تتوقد وتتوهج (لا يصلاها الا الاشقى) يعني الشقي (الذى كذب) يعني الرسل (وتولى) أى عن الايمان (وسيجنبها الاتقى) يعني التقي (الذى يؤتى) اى يعطي (ماله يتزكى) اى يطلب عند الله ان يكون زاكيا لا يطلب بما ينفقه رياء ولا سمعة

٣ قوله زاد مسلم الخ لفظ مسلم ما منكم من نفس منفوسة الا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار والا وقد كتبت شقية او سعيدة الخ

بالخصلة الحسنى وهي محارمه (وصدق بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالكلمة الحسنى وهي لا اله الا الله (فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه ربه (وأما من بخل) بماله (واستغنى) عن ربه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) بالاسلام او الجنة (فسنيسره للعسرى) للخلة المؤدية الى النار فتكون الطاعة اعسر شيء عليه واشد او سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما طريقي الجنة والنار (وما يغني عنه ماله اذا تردى) ولم ينفعه ماله اذا هلك وتردى تفعل من الردى وهو الهلاك او تردى في القبر او في قعر جهنم اى سقط (ان علينا للهدى) ان علينا الارشاد الى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وان لنا للآخرة والاولى) فلا يضرنا ضلال من ضل ولا ينفعنا اهتداء من اهتدى او انهما لنا فمن طلبهما من غيرنا فقد اخطأ الطريق (فأنذرتكم نارا تلظى) تتلهب (لا يصلاها) لا يدخلها للخلود فيها (الا الاشقى الذى كذب وتولى) الا الكافر الذى كذب الرسل واعرض عن الايمان (وسيجنبها) وسيبعد منها (الاتقى) المؤمن (الذى يؤتى ماله) للفقراء (يتزكى) من الزكاة اى يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكاة ويتزكى ان جعلته بدلا من يؤتى فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير في يؤتى فمحله النصب قال أبو عبيدة الاشقى بمعنى الشقي وهو الكافر والاتقى بمعنى التقي وهو المؤمن لانه لا يختص بالصلي اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى لان التقي يجنب تلك النار

وهو ابو بكر الصديق فى قول جميع المفسرين قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفاء فيعتقهم فقال ابوه اى بنى لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهرى اريد فأنزل الله وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وذكر محمد ابن اسحاق قال كان بلال لبعض بنى جمح وهو بلال بن رباح واسم امه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد فيقول وهو فى ذلك احد احد قال محمد بن اسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه قال مر به أبو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح فقال لامية الا تتقى الله فى هذا المسكين قال أنت افسدته فأنقذه مما ترى فقال ابو بكر أفعل عندى غلام اسود واجلد منه واقوى وهو على دينك اعطيكه قال قد فعلت فأعطاه ابو بكر غلامه وأخذ بلالا فأعتقه وكان قد اعتق ست رقاب على الاسلام قبل ان يهاجر بلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا واحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وام عميس وزهرة فأصيب بصرها حين اعتقها ابو بكر فقالت قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا ورب البيت ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان فرد الله تعالى عليها بصرها واعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار فرآهما ابو بكر وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهى تقول والله لا اعتقهما أبدا فقال ابو بكر كلا يا ام فلان فقالت كلا أنت افسدتهما فاعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بنى المؤمل وهى تعذب فابتاعها واعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا واصحابه وما كانوا فيه من البلاء واعتاق ابى بكر اياهم وكان اسم ابى بكر عتيقا فقال فى ذلك

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه *	عتيقا وأخزى فاكها وابا جهل
عشية هما فى بلال بسوءة *	ولم يحذرا ما يحذر المرء بالعقل
بتوحيده رب الانام وقوله *	شهدت بأن الله ربى على مهل
فان تقتلونى فاقتلونى فلم أكن *	لاشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيا رب ابراهيم والعبد يونس *	وموسى وعيسى نجنى ثم لا تملى
لمن ظل يهوى الغى من آل غالب *	على غير حق كان منه ولا عدل

قال سعيد بن المسيب بلغنى ان امية بن خلف قال لابى بكر فى بلال حين قال له اتبيعه قال نعم ابيعه بقسطاس عبد لابى بكر وكان قسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوارى ومواشى وكان مشركا حمله ابو بكر على الاسلام على ان يكون ماله له فأبى فأبغضه أبو بكر فلما قال امية ابيعه بغلامك قسطاس اغتنمه ابو بكر وباعه به فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فأنزل الله عز وجل (وما لاحد عنده) أى عند ابى بكر (من نعمة تجزى) اى من يد يكافئه عليها (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) اى لم يفعل ذلك مجازاة لاحد ولا ليد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه الاعلى وطلب مرضاته (ولسوف يرضى) اى بما يعطيه الله عز وجل فى الآخرة من الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل والله أعلم

تفسير سورة والضحى وهى مكية

واحدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والضحى) اختلفوا فى سبب نزول هذه السورة على ثلاثة أقوال القول الاول (ق) عن جندب بن سفيان البجلى قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فجاءت امرأة فقالت يا محمد انى لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك ليلتين أو ثلاثا فأنزل الله عز وجل

المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة وقيل الآية واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ فى صفتيهما فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلى كأن النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل وابو بكر وفيه بطلان زعم المرجئة لانهم يقولون لا يدخل النار الا كافر (وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه) أى وما لاحد عند الله نعمة فيجازيه بها الا أن يفعل فعلا يبتغى به وجه ربه فيجازيه عليه (الاعلى) هو الرفيع بسلطانه المنيع فى شأنه وبرهانه ولم يرد به العلو من حيث المكان وهذه آية الحدثان (ولسوف يرضى) وهو موعد بالثواب الذى يرضيه ويقر عينه وهو كقوله تعالى لنبيه عليه السلام ولسوف يعطيك ربك فترضى

سورة والضحى مكية وهى احدى عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والضحى) المراد به وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وانما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا

والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وماقلى وأخرجه الترمذي عن جندب قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة فدميت أصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم

هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله مالقيت

قال فابطأ عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمد اربه فأنزل الله عز وجل ماودعك ربك وماقلى وقيل ان المرأة المذكورة في الحديث المتفق عليه هي ام جميل امرأة أبي لهب القول الثاني قال المفسرون سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن ذي القرنين وأصحاب الكهف فقال سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عليه القول الثالث قال زيد بن اسلم كان سبب احتباس الوحي وجبريل عنه ان جروا كان في بيته فلما نزل عليه عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لاندخل بيتا فيه كلب ولاصورة واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه فقيل اثناعشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما فلما نزل جبريل عليه الصلاة والسلام عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم ياجبريل ماجئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل اني كنت اليك أشد شوقا ولكني عبد مأمور ونزل وماتتنزل الا بأمر ربك وأنزل الله هذه السورة قوله عز وجل والضحى قيل أراد به النهار كله بدليل انه قابله بالليل كله في قوله والليل اذا سجى وقيل وقت الضحى وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف والشتاء (والليل اذا سجى) قال ابن عباس اقبل بظلامه وعنه اذا ذهب وقيل معناه غطى كل شئ بظلامه وقيل معناه سكن فاستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك وهذا قسم أقسم الله بالضحى والليل اذا سجى وجواب القسم قوله تعالى (ماودعك ربك وماقلى) أي ماتركك ربك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك وانما قال قلى ولم يقل قلاك لموافقة رؤس الآي وقيل معناه وماقلى أحدا من أصحابك ومن هو على دينك الى يوم القيامة (وللآخرة خير لك من الاولى) أي الذي أعطاك ربك في الآخرة خير لك وأعظم من الذي أعطاك في الدنيا وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال ابن عباس هي الشفاعة في أمته حتى يرضى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله ياجبريل اذهب الى محمد واسأله مايبكيك وهو أعلم فأتى جبريل وسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله ياجبريل اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعتي لامتي يوم القيامة فهي نائلة ان شاء الله تعالى من مات من أمتي لايشرك بالله شيئا عن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاني آت من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة ان شاء الله تعالى من مات لايشرك بالله شيئا أخرجه الترمذي قال حرب بن شريح سمعت جعفر بن محمد بن علي يقول انكم يامعشر أهل العراق تقولون ارجى آية في القرآن قل ياعبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله وانا أهل البيت نقول ارجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل في معنى الآية ولسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى وحمل الآية على ظاهرها من خيري الدنيا والآخرة معا أولى وذلك ان الله تعالى أعطاه في الدنيا النصر والظفر على الاعداء وكثرة الاتباع والفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة واعلى دينه وان أمته خير الامم وأعطاه في الآخرة الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما أعطاه في الدنيا والآخرة ثم أخبر عن حاله صغيرا وكبيرا قبل الوحي وذكر نعمه عليه واحسانه اليه فقال عز وجل (ألم يجدك يتيما) أي صغيرا (فآوى) أي ألم يعلمك الله يتيما من الوجود الذي هو بمعنى العلم والمعنى ألم يجدك يتيما صغيرا حين مات أبوك ولم

أو النهار كله لمقابلته بالليل في قوله (والليل اذا سجى) سكن والمراد سكون الناس والاصوات فيه وجواب القسم (ماودعك ربك وماقلى) ماتركك منذ اختارك وما أبغضك منذ أحبك والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك روي ان الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت وحذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى فأغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف (وللآخرة خير لك من الاولى) أي ماأعد لك في الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود والخير الموعود خير مما أعجبك في الدنيا وقيل وجه اتصاله بما قبله انه لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله ولاترى كرامة أعظم من ذلك أخبره ان حاله في الآخرة أعظم من ذلك لتقدمه على الانبياء وشهادة أمته على الامم وغير ذلك (ولسوف يعطيك ربك) في الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك (فترضى) ولما نزلت قال صلى الله عليه وسلم اذا لا أرضى قط وواحد من أمتي في النار واللام الداخلة على سوف لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك ونحوه لا قسم فيمن قرأ كذلك لان المعنى لانا اقسم وهذا انها اذا كانت لام قسم لاتدخل على المضارع الامع نون التوكيد فيتعين ان تكون لام ابتداء ولام الابتداء لاتدخل الا على المبتدا والخبر فلابد من تقدير مبتدا وخبر كما ذكرنا كذا ذكره صاحب الكشاف وذكر صاحب الكشف هي لام القسم واستغنى عن نون التوكيد لان النون انما تدخل ليؤذن ان اللام لام القسم لالام الابتداء وقد علم انه ليس للابتداء لدخولها على سوف لان لام الابتداء لاتدخل على سوف وذكر ان الجمع بين حرفي التأكيد والتأخير يؤذن بأن العطاء كائن لامحالة وان تأخر ثم عدد عليه نعمه من أول حاله ليقيس المترقب من فضل الله على ماسلف منه لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير ولا يضيق صدره ولا يقل صبره فقال (ألم يجدك يتيما) وهو من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولاه والمعنى ألم تكن يتيما حين مات أبواك (فآوى) أي فآواك الى عمك

يخلف لك مالا ولا مأوى فجعل لك مأوى تأوى اليه وضمك الى عمك أبى طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤنة وذلك ان عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب فلما مات عبد المطلب كفله عمه أبو طالب الى ان قوى واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى ألم يجدك واحدا من قريش عديم النظير فآواك اليه وأيدك وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته (ووجدك ضالا) أى عما أنت عليه اليوم (فهدى) أى فهداك الى توحيده ونبوته وقيل وجدك ضالا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة فهداك اليها وقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل فى شعاب مكة وهو صبى صغير فرآه أبو جهل منصرفا من أغنامه فرده الى جده عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب فى قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة اذ جاء ابليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ على ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القافلة فمن الله عليه بذلك وقيل وجدك ضالا نفسك لا تدرى من أنت فعرفك نفسك وحالك وقيل ووجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك الى الايمان والى ارشادهم وقيل الضلال هنا بمعنى الحيرة وذلك لانه كان صلى الله عليه وسلم يخلو فى غار حراء فى طلب ما يتوجه به الى ربه حتى هداه الله لدينه وقال الجنيد ووجدك متحيرا فى بيان ما أنزل الله اليك فهداك لبيانه فهذا ما قيل فى هذه الآية ولا يلتفت الى قول من قال انه صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة على ملة قومه فهداه الله الى الاسلام لان نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الانبياء قبله منذ ولدوا نشؤا على التوحيد والايمان قبل النبوة وبعدها وانهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله تعالى وتوحيده ويدل على ذلك ان قريشا عابوا النبى صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك وأمر الجاهلية فانهم لم يجدوا لهم عليه سبيلا اذ لو كان فيه لما سكتوا عنه ولنقل ذلك فبرأه الله تعالى من جميع ما قالوه فيه وعيروه به ويؤكد هذا ما روى فى قصة بحيرا الراهب حين استحلف النبى صلى الله عليه وسلم باللات والعزى وذلك حين سافر مع عمه أبى طالب الى الشأم فرأى بحيرا علامات النبوة فيه وهو صبى فاختبره بذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تسألنى بهما فوالله ما أبغضت شيئا بغضهما ويؤكد هذا شرح صدره صلى الله عليه وسلم فى حال الصغر واستخراج العلقة منه وقول جبريل هذا حظ الشيطان منك وملؤه حكمة وايمانا وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى وقال الزمخشرى ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فان أراد انه على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان أراد انه كان على دين قومه فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شئ والله أعلم قوله عز وجل (ووجدك عائلا فأغنى) يعنى فقيرا فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم وقيل أرضاك بما أعطاك من الرزق وهذه حقيقة الغنى (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس العرض بفتح العين والراء المال (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربى عز وجل مسئلة ووددت انى لم أكن سألته قلت يارب انك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما وآتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك قلت بلى يارب قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت بلى يارب قال ألم أجدك عائلا فأغنيتك قلت بلى يارب زاد فى رواية ألم اشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى يارب فان قلت كيف يحسن بالجواد الكريم ان يمن بانعامه على عبده وان مذموم فى صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالى قلت انما حسن ذلك لانه سبحانه وتعالى قصد بذلك ان يقوى قلبه ويعده بدوام نعمه عليه فظهر الفرق بين امتنان الله تعالى الممدوح وبين امتنان

المخلوق

أبى طالب وضمك اليه حتى كفلك ورباك (ووجدك ضالا) أى غير عالم ولا واقف على معالم النبوة وأحكام الشريعة وما طريقه السمع (فهدى) فعرفك الشرائع والقرآن وقيل ضل فى طريق الشام حين خرج به أبو طالب فرده الى القافلة ولا يجوز ان يفهم به عدول عن حق ووقوع فى غى فقد كان عليه السلام من أول حاله الى نزول الوحى عليه معصوما من عبادة الاوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان (ووجدك عائلا) فقيرا (فأغنى) فأغناك بمال خديجة او بما أفاء عليك من الغنائم

المخلوق المذموم لان امتنان الله تعالى زيادة انعامه كانه قال مالك تقطع رجاءك عني ألست الذي ربيتك وآويتك وأنت يتيم صغيرا أتظنني تاركك ومضيعك كبيرا بل لابد وان أتم نعمتي عليك فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم أوصاه باليتامى والمساكين والفقراء فقال عز وجل (فأما اليتيم فلا تقهر) أي لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تقهره على ماله فتذهب به لضعفه وكذا كانت العرب في الجاهلية تفعل في أمر اليتامى يأخذون أموالهم ويظلمونهم حقوقهم روى البغوي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وبشير بأصبعيه (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما (وأما السائل فلا تنهر) يعني السائل على الباب يقول لا ترد وجهه اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترده ردا لينا برفق ولا تكهر بوجهك في وجهه قال ابراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي السائل بريدنا الى الآخرة يجيء الى باب أحدكم فيقول توجهون الى اهليكم بشيء وقيل السائل هو طالب العلم فيجب اكرامه واسعافه بمطلوبه ولا يعبس في وجهه ولا ينهر ولا يلقى بمكروه (وأما بنعمة ربك فحدث) قيل أراد بالنعمة النبوة أي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك الله وقيل النعمة هي القرآن أمره ان يقرأه ويقرئه غيره وقيل اشكر لما ذكر من نعمه عليك في هذه السورة من جبر اليتم والهدى بعد الضلالة والاغناء بعد العيلة والفقر أمره ان يشكره على انعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أعطى عطاء فليجز به ان وجد فان لم يجد فليثن عليه فان من اثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى البغوي باسناد الثعلبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة في قراءة أهل مكة ان يكبر من أول سورة الضحى على رأس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله أكبر وسبب ذلك ان الوحي لما احتبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزلت والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي فاتخذوه سنة والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة ألم نشرح وهي مكية

وثمان آيات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ألم نشرح لك صدرك) استفهام بمعنى التقرير أي قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح الفتح مما يصده عن الادراك والله تعالى فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل التي تصده عن ادراك الحق وقيل معناه ألم نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالايمان والموعظة والعلم والنبوة والحكمة وقيل هو شرح صدره في صغره (م) عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طشت من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده الى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى أمه يعني ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس وقد كنت ارى

(فأما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه (وأما السائل فلا تنهر) فلا تزجره فابذل قليلا ورد جميلا وعن السدي المراد طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره (وأما بنعمة ربك فحدث) أي حدث بالنبوة التي آتاك الله وهي أجل النعم والصحيح انها تعم جميع نعم الله عليه ويدخل تحته تعليم القرآن والشرائع والله أعلم

(سورة ألم نشرح مكية وهي ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم نشرح لك صدرك) استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فأفاد اثبات الشرح فكأنه قيل شرحنا لك صدرك ولذا عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى أي فسحناه أو ودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين فأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما (ووضعنا عنك وزرك) وخففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها وقيل هو زلة لا تعرف بعينها وهي ترك الأفضل مع اتيان الفاضل والانبياء يعاتبون بمثلها ووضعه عنه ان غفر له والوزر الحمل الثقيل

انراغه فى صدره (ووضعنا عنك وزرك) أى حططنا عنك وزرك الذى سلف منك فى الجاهلية فهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل الخطأ والسهو وقيل ذنوب أمتك فأضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى يبلغها لان الوزر فى اللغة الثقل تشبيها بوزر الجبل وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذى ينقض ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا واعلم ان القول فى عصمة الانبياء قد تقدم مستوفى فى سورة طه عند قوله وعصى آدم ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (الذى أنقض ظهرك) اى اثقله وأوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفى الذى يسمع من المحمل أو الرحل فوق البعير فمن حمل الوزر على ما قبل النبوة قال هو اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم بأمور كان فعلها قبل نبوته اذ لم يرد عليه شرع بتحريمها فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها أوزارا وثقلت عليه واشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل ذلك على ما بعد النبوة قال هو ترك الافضل لان حسنات الابرار سيئات المقربين وقوله عز وجل (ورفعنا لك ذكرك) روى البغوى باسناد الثعلبى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عن هذه الآية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معى قال ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو ان عبدا عبد الله وصدقه فى كل شئ ولم يشهد ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله لم ينتفع من ذلك بشئ وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يريد التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبى مع اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل رفع ذكره بأن قرن اسمه محمدا باسمه فى قوله محمد رسول الله وفرض طاعته على الامة بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله فقد فاز ونحو ذلك مما جاء فى القرآن وغيره من كتب الانبياء ثم وعده باليسر والرخاء بعد الشدة والعناء وذلك انه كان فى شدة بمكة فقال تعالى (فان مع العسر يسرا) أى مع الشدة التى انت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بأن يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذى جئتهم به (ان مع العسر يسرا) وانما كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين قال ابن مسعود لو كان العسر فى جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ويخرجه انه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون فى معنى قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى كرر لفظ العسر وذكره بلفظ المعرفة وكرر اليسر بلفظ النكرة ومن عادات العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم أعادته كان الثانى هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم أعادته كان الثانى غير الاول كقولك كسبت درهما فأنفقت درهما فالثانى غير الاول واذا قلت كسبت درهما فأنفقت الدرهم فالثانى هو الاول فالعسر فى الآية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ التنكير فكانا يسرين فكأنه قال فان مع العسر يسرا ان مع ذلك العسر يسرا آخر وزيف ابو على الحسن بن يحيى الجرجانى صاحب النظم هذا القول وقال قد تكلم الناس فى قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب ان يكون عسر واحد ويسران وهذا قول مدخول فيه اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا فهذا لا يوجب ان يكون الفارس واحدا والسيف اثنين فمجاز قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كأيسر أهل مكة فاغتم النبى صلى

(الذى أنقض ظهرك) أثقله حتى سمع نقيضه وهو صوت الانتقاض (ورفعنا لك ذكرك) ورفع ذكره ان قرن بذكر الله فى كلمة الشهادة والاذان والاقامة والخطب والتشهد وفى غير موضع من القرآن أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله والله ورسوله أحق ان يرضوه وفى تسميته رسول الله ونبى الله ومنه ذكره فى كتب الاولين وفائدة لك ما عرف فى طريقة الابهام والايضاح لانه يفهم بقوله ألم نشرح لك ان ثم مشروحا ثم اوضح بقوله صدرك ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك (فان مع العسر يسرا) أى ان مع الشدة التى أنت فيها من مقاساة بلاء المشركين يسرا باظهارى اياك عليهم حتى تغلبهم وقيل كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار أهله فذكره ما انعم به عليه من جلائل النعم ثم قال ان مع العسر يسرا كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فان مع العسر الذى أنتم فيه يسرا وجىء بلفظ مع لغاية مقاربة اليسر العسر زيادة فى التسلية ولتقوية القلوب وانما قال عليه السلام عند نزولها لن يغلب عسر يسرين لان العسر اعيد معرفا فكان واحدا لان المعرفة اذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الاولى واليسر اعيد نكرة والنكرة اذا أعيدت نكرة كانت الثانية

الله

الله عليه وسلم لذلك وظن ان قومه انما كذبوه لفقره فعدد الله نعمه عليه فى هذه السورة ووعده الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال تعالى فان مع العسر يسرا أى لا يحزنك الذى يقولون فان مع العسر الذى فى الدنيا يسرا عاجلا ثم انجز ما وعده وفتح عليه القرى القريبة ووسع ذات يده حتى كان يعطى المئتين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدأ فضلا آخر من أمور الآخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين والمعنى ان مع العسر الذى فى الدنيا للمؤمن يسرا فى الآخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ما ذكره فى الآية الاولى ويسر الآخرة وهو ما ذكره فى الآية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين اى ان عسر الدنيا لن يغلبه اليسر الذى وعده الله المؤمنين فى الدنيا واليسر الذى وعدهم فى الآخرة انما يغلب أحدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الآخرة فدائم أبدا غير زائل اى لا يجتمعان فى الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان أى لا يجتمعان فى النقص قال القشيرى كنت يوما فى البادية بحالة من الغم فالقى فى روعى بيت شعر فقلت

ان الموت لمن أصبح مغموما له أروح

فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف فى الهواء

الا يا أيها المرء الذى الهم به برح

وقد أنشد بيتا لم * يزل فى فكره يسنح

اذا اشتد بك العسر * تفكر فى ألم نشرح

فعسر بين يسرين * اذا أبصرته فافرح

قال فحفظت الابيات ففرج الله عنى وقال اسحاق بن بهلول القاضى

فلا تيأس اذا أعسرت يوما * فقد أيسرت فى دهر طويل

ولا تظنن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل

فان العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل

وقال أحمد بن سليمان فى المعنى

توقع لعسر دهاك سرورا * ترى العسر عنك بيسر تسرى

فما الله يخلف ميعاده * وقد قال ان مع العسر يسرا

وقال غيره

وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

قوله عز وجل (فاذا فرغت فانصب) لما عدد الله على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وان لا يخلى وقتا من أوقاته منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك فى الدعاء وارغب اليه فى المسئلة وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب فى عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب فى الاستغفار لك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب انى لأكره ان ارى أحدكم فارغا سهللا فى عمل دنياه ولا فى عمل آخرته السهلل الذى لا شئ معه وقيل السهلل الباطل (والى ربك فارغب) أى تضرع اليه راغبا فى الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله تعالى فى جميع أحوالك لا الى أحد سواه والله أعلم

تفسير سورة والتين وهى مكية

وثمان آيات وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسة أحرف

غير الاولى فصار المعنى ان مع العسر يسرين قال أبو معاذ يقال ان مع الامير غلاما ان مع الامير غلاما فالامير واحد ومعه غلامان واذا قال ان مع امير غلاما وان مع الامير الغلام فالامير واحد والغلام واحد واذا قيل ان مع امير غلاما وان مع امير غلاما فهما اميران وغلامان كذا فى شرح التأويلات (فاذا فرغت فانصب) أى فاذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد فى عبادة الرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء واختلفا انه قبل السلام او بعده ووجه الاتصال بما قبله انه لما عدد عليه نعمه السالفة ومواعيده الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ولا يخلى وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى (والى ربك فارغب) واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون

(سورة والتين مكية وهى ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (والتين والزيتون) اقسم بهما لانهما عجيبان من بين الاشجار المثمرة روى انه اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وقال نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وقال هى سواكى وسواك الانبياء قبلى وعن ابن عباس رضى الله عنه هو تينكم هذا وزيتونكم هذا وقيل هما جبلان بالشأم منبتاهما (وطور سينين) اضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهى البقعة ونحو سينون بيرون فى جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب (وهذا البلد) يعنى مكة (الامين) من أمن الرجل امانة فهو امين وامانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والاولياء فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشأه والطور المكان الذى نودى منه موسى ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد نبينا ومبعثه صلوات الله عليهم اجمعين او الاولان قسم بمهبط الوحى على عيسى والثالث على موسى والرابع على محمد عليه السلام وجواب القسم (لقد خلقنا الانسان) وهو جنس (فى أحسن تقويم) فى أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية اعضائه (ثم رددناه اسفل سافلين) أى ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعنى اقبح من قبح صورة وهم اصحاب النار أو اسفل من سفل من أهل الدركات او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل فى حسن الصورة والشكل حيث نكسناه فى خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكل سمعه وبصره وتغير كل شئ منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون) ودخل الفاء هنا دون سورة الانشقاق للجمع بين اللغتين والاستثناء على الاول متصل وعلى الثانى منقطع أى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى والزمنى فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة والخطاب فى (فما يكذبك بعد بالدين) للانسان على طريقة الالتفات اى فما سبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع والبرهان الساطع بالجزاء والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه فى مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوى ثم تنكيسه الى ان يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر على خلق الانسان وعلى هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك بالجزاء او لرسول الله أى فمن ينسبك الى الكذب بعد

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والتين والزيتون) قال ابن عباس هو تينكم الذى تأكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص وفيه غذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم ومن خواصه إنه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث فى المعدة يخرج بطريق الرشح ويلين الطبيعة ويقلل البلغم واما الزيتون فانه من شجرة مباركة فيه ادام ودهن يؤكل ويستصبح به وشجرته فى اغلب البلاد ولا يحتاج الى خدمة وتربية وينبت فى الجبال التى ليست فيها دهنية ويمكث فى الارض الوفا من السنين فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقهما لا جرم أقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايلياء وقيل التين مسجد نوح الذى بناه على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس (وطور سينين) يعنى الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه الصلاة والسلام وسينين اسم للمكان الذى فيه الجبل سمى سينين وسيناء لحسنه ولكونه مباركا وكل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سينين وسيناء (وهذا البلد الامين) يعنى الآمن وهو مكة حرمها الله تعالى لانه الحرم الذى يأمن فيه الناس فى الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد شجره ولا تلتقط لقطته الا لمنشد وهذه أقسام أقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) يعنى فى أعدل قامة وأحسن صورة وذلك انه تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه يأكل بفيه الا الانسان فانه خلقه مديد القامة حسن الصورة يتناول مأكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والمنطق (ثم رددناه أسفل سافلين) يعنى الى الهرم وأرذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها أسفل من بعض ثم استثنى فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يردون الى النار أو الى أسفل سافلين وعلى القول الاول يكون الاستثناء منقطعا والمعنى ثم رددناه أسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا تكتب له حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى أيام الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذى كانوا يعملون فى حالة الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا الى أرذل العمر على زمن النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عذرهم وأخبرهم ان لهم أجرهم الذى عملوا قبل ان تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة ما يضر هذا الشيخ كبره اذا ختم الله له بأحسن ما كان يعمل وروى عن ابن عباس قال الا الذين قرؤا القرآن لم يردوا الى أرذل العمر (فلهم أجر غير ممنون) يعنى غير مقطوع لانه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال الضحاك اجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة (فما يكذبك) يعنى يا أيها الانسان وهو خطاب على طريق الالتفات (بعد) أى بعد هذه الحجة والبرهان (بالدين) اى بالحساب والجزاء والمعنى فما الذى يلجئك أيها الانسان

قوله الامام النسفى ونحو سنون يبرون نسخ فيه صاحب الكشاف وعبارة أبى السعود وسنون كبرون ١٥ مصححه

الى هذا الكذب الاتتفكر فى صورتك وشبابك ومبدا خلقك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذى فعل ذلك قادر على ان يبعثنى ويحاسبنى فما الذى يكذبك بالمجازاة وقيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك أيها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل والبراهين (أليس الله بأحكم الحاكمين) أى بأقضى القاضين يحكم بينكم و بين أهل التكذيب يوم القيامة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والتين والزيتون فقرأ أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أخرجه الترمذى وعن البراء ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فصلى العشاء الاخيرة فقرأ فى احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا او قراءة منه صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم

(تفسير سورة العلق مكية وهى)
(تسع عشرة آية واثنتان وتسعون كلمة ومائتان وثمانون حرفا)

قال أكثر المفسرين هذه السورة أول سورة نزلت من القران وأول مانزل خمس آيات من أولها الى قوله مالم يعلم (ق) عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها انها قالت أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة ولمسلم الصادقة فى النوم فكان لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل ان يرجع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الوحى وفى رواية حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم حتى بلغ مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة أى خديجة مالى وأخبرها الخبر قال لقد خشيت على نفسى قالت له خديجة كلا ابشر فوالله لايخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة اى ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة ياابن أخى ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مارأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى ياليتنى فيها جذعا ياليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجى هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودى وان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفى وفتر الوحى زاد البخارى قال وفتر الوحى فترة حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رؤس شواهق الجبال فلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال يامحمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة الجبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك

*(فصل فى هذا الحديث دليل صريح على ان سورة اقرأ أول مانزل من القرآن وفيه رد على من قال ان المدثر أول مانزل من القرآن وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين فى أول سورة المدثر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لان عائشة لم تدرك هذه القصة فيحتمل انها سمعتها من النبى صلى الله عليه وسلم أو من غيره من الصحابة ومرسل الصحابى حجة عند جميع العلماء الا ما انفرد به الاستاذ أبو اسحاق

هذا الدليل فما يمنعى من (أليس الله بأحكم الحاكمين) وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم أهله وهو من الحكم والقضاء والله أعلم
(سورة العلق مكية وهى تسع عشرة آية)

الاسفرايني وانما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك فيأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحتملها القوى البشرية فبدئ بأول علامات النبوة توطئة للوحي واما التحنث فقد فسر في الحديث بالتعبد وهو تفسير صحيح لان أصل التحنث من الحنث وهو الاثم والمعنى انه فعل فعلا يخرج به من الاثم وقولها فجاءه الحق أي جاءه الحق بالوحي بغتة قوله فغطني بالغين المعجمة والطاء المشالة المهملة أي عصرني وضمني ضما شديدا وهو قوله حتى بلغ مني الجهد قال العلماء والحكمة في الغط شغله عن الالتفات الى غيره والمبالغة في صفاء قلبه ولهذا كرره ثلاثا قوله زملوني زملوني كذا هو في الروايات مكرر مرتين ومعناه غطوني بالثياب وقولها حتى ذهب عنه الروع اى الفزع قولها كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله أبدا يروى بضم الياء وبالخاء المعجمة من الخزي أي لا يفضحك الله ولا يكسرك ولا يهينك ولا يذلك وروى بفتح الياء وبالحاء المهملة وبالنون أي لا يحزنك من الحزن الذي هو ضد الفرح وقولها وتحمل الكل أي الثقل والحوائج المهمة وتكسب المعدوم أي تعطي المال لمن هو معدوم عنده ومعنى كلام خديجة انك لا يصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وجميل الفعال وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء قولها وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية وفي رواية مسلم وكان يكتب الكتاب العربي يكتب من الانجيل بالعربية ما شاء الله تعالى ان يكتب ومعناهما صحيح وحاصله انه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف في الانجيل فيكتب أي موضع شاء منه بالعبرانية ان أراد أو بالعربية ان أراد ذلك قوله هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى هو بالنون والسين المهملة يعني جبريل عليه الصلاة والسلام ومعنى الناموس صاحب خبر الخير انما سمي جبريل بذلك لان الله خصه بالوحي الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قوله ياليتني فيها أي في أيام النبوة واظهار الرسالة جذعا أي شابا قويا حتى ابالغ في نصرتك وهو قوله وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا أي قويا بالغا قولها ثم لم يلبث ورقة ان توفي أي فلم يلبث ان مات قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم قوله كي يتردى التردي الوقوع من علو وذروة الجبل اعلاه قوله تبدى له اى ظهر له قوله فيسكن لذلك جأشه أي قلبه وقيل الجأش هو ثبوت القلب عند الامر العظيم المهول وقيل الجأش هو ما ثار من فزعه وهاج من حزنه والله أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اقرأ باسم ربك) قيل الباء زائدة مجازه اقرأ اسم ربك والمعنى اذكر اسم ربك أمر ان يبتدئ القراءة باسم الله تأديبا وقيل الباء على أصلها والمعنى اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أي قل بسم الله ثم اقرأ فعلى هذا يكون في الآية دلالة على استحباب البداءة بالتسمية في أول القراءة وقيل معناه اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك على ما تتحمله من النبوة واعباء الرسالة (الذي خلق) يعني جميع الخلائق وقيل الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه وقيل الذي خلق كل شئ (خلق الانسان) يعني آدم وانما خص الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لانه اشرفها وأحسنها خلقة (من علق) جمع علقة ولما كان الانسان اسم جنس في معنى الجمع جمع العلق ولمشاكلة رؤس الآي أيضا (اقرأ) كرره تأكيدا وقيل الاولى اقرأ في نفسك والثاني اقرأ للتبليغ وتعليم أمتك ثم استأنف فقال تعالى (وربك الاكرم) يعني الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله في الكرم نظير وقيل يكون الاكرم بمعنى الكريم كما جاء الاعز بمعنى العزيز وغاية الكرم اعطاؤه الشئ من غير طلب العوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد ان يكون العوض عينا بل المدح والثواب عوض والله سبحانه وجل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه يتعالى عن طلب العوض ويستحيل ذلك في وصفه لانه أكرم الاكرمين وقيل الاكرم الذي له الابتداء في كل كرم واحسان وقيل هو الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة وقيل يحتمل ان يكون هذا حثا على القراءة والمعنى اقرأ وربك الاكرم لانه يجزي بكل حرف عشر حسنات (الذي علم

(بسم الله الرحمن الرحيم)
عن ابن عباس ومجاهد هي أول سورة نزلت
والجمهور على ان الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم
(اقرا باسم ربك الذى خلق) محل باسم ربك
النصب على الحال أى اقرأ مفتتحا باسم ربك
كانه قيل قل بسم الله ثم اقرأ الذى خلق ولم يذكر
لخلق مفعولا لان المعنى الذى حصل منه الخلق
واستأثر به لا خالق سواه او تقديره خلق كل شئ
فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض
المخلوقات بتقديره اولى من بعض وقوله (خلق
الانسان) تخصيص للانسان بالذكر من بين
ما يتناوله الخلق لشرفه ولان التنزيل اليه ويجوز
ان يراد الذى خلق الانسان الا انه ذكر مبهما
ثم مفسرا تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته
(من علق) وانما جمع ولم يقل من علقة لان
الانسان فى معنى الجمع (اقرأ وربك الاكرم)
الذى له الكمال فى زيادة كرمه على كل كريم ينعم
على عباده النعم ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة
مع كفرهم وجحودهم لنعمه وكانه ليس وراء التكرم
بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال (الذى
علم) الكتابة

بالقلم) أي الخط والكتابة التي بها تعرف الامور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها عرفت أخبار الماضين وأحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام أمر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش وسئل بعضهم عن الكلام فقال ريح لا تبقى قيل له فما قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه (علم الانسان مالم يعلم) قيل يحتمل ان يكون المراد علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فيكون المراد من ذلك معنى واحدا وقيل علمه من أنواع العلم والهداية والبيان مالم يكن يعلم وقيل علم آدم الاسماء كلها وقيل المراد بالانسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل (كلا) اي حقا (ان الانسان ليطغى) اي يتجاوز الحد ويستكبر على ربه (أن) اي لان (رآه استغنى) اي رأى نفسه غنيا وقيل يرتفع عن منزلته الى منزلة اخرى في اللباس والطعام وغير ذلك نزلت في ابي جهل وكان قد اصاب مالا فزاد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه (ان الى ربك الرجعى) اي المرجع في الآخرة وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان من عاقبة الطغيان ثم هو عام لكل طاغ متكبر (أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى) نزلت في ابي جهل وذلك انه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة (م) عن أبي هريرة قال قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لان رأيته يفعل ذلك لأطأن رقبته ولأعفرن وجهه في التراب قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته قال فما فجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له مالك قال ان بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فأنزل الله هذه الآية لا ندري في حديث ابي اوس بلغه كلا ان الانسان ليطغى الى قوله كلا لا تطعه قال وامره بما امره به زاد في رواية فليدع ناديه يعني قومه (خ) عن ابن عباس قال قال ابو جهل لان رأيت محمدا يصلي عند البيت لأطأن على عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو فعله لأخذته الملائكة زاد الترمذي عيانا ومعنى ارأيت تعجيب للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة التنكير في قوله عبدا تدل على انه كامل العبودية والمعنى ارأيت الذي ينهى أشد الخلق عبودية عن العبودية وهذا دأبه وعادته وقيل هذا الوعيد يلزم كل من ينهى عن الصلاة وعن طاعة الله تعالى ولا يلزم منه عدم جواز المنع من الصلاة في الدار المغصوبة وفي الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهي عن ذلك في الاحاديث الصحيحة ولا يلزم من ذلك أيضا عدم جواز منع المولى عبده والرجل زوجته عن قيام الليل وصوم التطوع والاعتكاف لان ذلك استيفاء لمصلحة الا ان يأذن فيه المولى او الزوج (أرأيت ان كان على الهدى) يعني العبد المنهي وهو النبي صلى الله عليه وسلم (أو أمر بالتقوى) يعني بالاخلاص والتوحيد (أرأيت ان كذب) يعني أبا جهل (وتولى) اي عن الايمان وتقدير نظم الآية ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول عن الايمان اي اعجب من هذا (ألم يعلم) يعني ابا جهل (بأن الله يرى) يعني يرى ذلك الفعل فيجازيه به وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم (كلا) اي لا يعلم ذلك ابو جهل (لئن لم ينته) يعني عن ايذاء محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه (لنسفعا بالناصية) اي لنأخذن بناصيته فلنجرنه الى النار يقال سفعت بالشئ اذا اخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الرأس والسفع الضرب اي لنضربن وجهه في النار ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل (ناصية كاذبة خاطئة) اي صاحبها كاذب خاطئ قال ابن عباس لما نهى ابو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو جهل اتنتهرني فوالله لأملأن عليك هذا الوادي ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء ابو جهل فقال ألم أنهك عن هذا فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فزبره فقال ابو جهل انك لتعلم ان ما بها ناديا أكثر مني فأنزل الله تعالى (فليدع ناديه سندع الزبانية) قال ابن عباس والله لو دعا ناديه

(بالقلم علم الانسان مالم يعلم) فدل على كمال كرمه بانه علم عباده مالم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل الا امر القلم والخط لكفى به (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (ان الانسان ليطغى) نزلت في أبي جهل الى آخر السورة (ان رآه) ان رأى نفسه يقال في افعال القلوب رأيتني وعلمتني ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين (استغنى) هو المفعول الثاني (ان الى ربك الرجعى) تهديد للانسان من عاقبة الطغيان على طريقة الالتفات والرجعى مصدر بمعنى الرجوع أي ان رجوعك الى ربك فيجازيك على طغيانك (ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى) أي أرأيت ابا جهل ينهى محمدا عن الصلاة (ارأيت ان كان على الهدى) أي ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله (او امر بالتقوى) او كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد (ارأيت ان كذب وتولى) ارأيت ان كان ذلك الناهي مكذبا بالحق متوليا عنه كما نقول نحن (الم يعلم بان الله يرى) ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب حاله وهذا وعيد وقوله الذي ينهى مع الجملة الشرطية مفعولا ارأيت وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني وهذا كقولك ان اكرمتك أتكرمني وأرأيت الثانية مكررة زائدة للتوكيد (كلا) ردع لابي جهل عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة الأصنام ثم قال (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة وكتبها في المصحف بالالف على حكم الوقف واكتفى بلام العهد عن الاضافة للعلم بانها ناصية المذكور

(ناصية) بدل من الناصية لانها وصفت بالكذب والخطأ بقوله (كاذبة خاطئة) على الاسناد المجازي وهما لصاحبها حقيقة وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ (فليدع ناديه سندع الزبانية) النادي المجلس

لاخذته زبانية الله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ومعنى فليدع ناديه أى عشيرته وقومه فلينتصر بهم وأصل النادى المجلس الذى يجمع الناس ولا يسمى ناديا مالم يكن فيه أهله سندع الزبانية يعنى الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموا بذلك لانهم يدفعون اهل النار اليها بشدة مأخوذة من الزبن وهو الدفع (كلا) اى ليس الامر على هو ما عليه ابو جهل (لا تطعه) اى فى ترك الصلاة (واسجد) اى صل لله (واقترب) اى من الله (م) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة عند الشافعى فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءتها يدل عليه ما روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت اخرجه مسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة القدر وهى مدنية)

وقيل انها مكية والقول الاول أصح وهو قول الاكثرين قيل انها أول ما نزل بالمدينة وهى خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (انا أنزلناه) يعنى القرآن كناية عن غير مذكور (فى ليلة القدر) وذلك ان الله تعالى انزل القرآن العظيم جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ليلة القدر فوضعه فى بيت العزة ثم نزل به جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة فى مدة ثلاث وعشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقائع والحاجة اليه وقيل انما أنزله الى السماء الدنيا لشرف الملائكة بذلك ولانها كالمشترك بيننا وبين الملائكة فهى لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الامور والاحكام والارزاق والآجال وما يكون فى تلك السنة الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله ذلك فى بلاده وعباده ومعنى هذا ان الله يظهر ذلك لملائكته ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم بأن يكتب لهم ما قدره فى تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد منه ان يحدثه فى تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض فى الازل قيل للحسين بن الفضل أليس قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وقيل سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على الليالى من قولهم لفلان قدر عند الامير اى منزلة وجاه وقيل سميت بذلك لان العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل سميت بذلك لان الارض تضيق بالملائكة فيها

(فصل فى فضل ليلة القدر وما ورد فيها) (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلماء فى وقتها فقال بعضهم انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان انى خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم وهذا غلط ممن قال بهذا القول لان آخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال فى آخره فالتمسوها فى العشر الاواخر فى التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها وعامة الصحابة والعلماء فمن بعدهم على انها باقية الى يوم القيامة روى عن عبد الله بن خنيس مولى معاوية قال قلت لابى هريرة زعموا ان ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هى فى كل شهر رمضان استقبله قال نعم ومن قال ببقائها ووجودها اختلفوا فى محلها فقيل هى منتقلة تكون فى سنة فى ليلة وفى سنة أخرى فى ليلة أخرى هكذا أبدا قالوا وبهذا يجمع بين الاحاديث الواردة فى اوقاتها المختلفة وقال مالك والثورى

واحمد

الذى يجتمع فيه القوم والمراد أهل النادى روى ان أبا جهل مر بالنبى عليه السلام وهو يصلى فقال ألم انهك فأغلظ له رسول الله عليه السلام فقال أتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا فنزل والزبانية لغة الشرط الواحد زبنية من الزبن وهو الدفع والمراد ملائكة العذاب وعنه عليه السلام لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا (كلا) ردع لابى جهل (لا تطعه) أى اثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين (واسجد) ودم على سجودك مريد الصلاة (واقترب) وتقرب الى ربك بالسجود فان اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد كذا الحديث والله أعلم

(سورة القدر مكية وقيل مدنية وهى خمس آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا انزلناه فى ليلة القدر) عظم القرآن حيث اسند انزاله اليه دون غيره وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذى أنزله فيه روى انه انزل جملة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم كان ينزله جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها والقدر بمعنى التقدير او سميت بذلك لشرفها على سائر الليالى وهى ليلة السابع والعشرين من رمضان كذا روى أبو حنيفة رحمه الله عن عاصم عن ذر أن ابى بن كعب كان يحلف على ليلة القدر انها ليلة السابع والعشرين من رمضان وعليه الجمهور ولعل الداعى الى اخفائها ان يحيى من يريدها الليالى الكثيرة طلبا لموافقتها وهذا كاخفاء الصلاة الوسطى واسمه الاعظم وساعة الاجابة فى الجمعة ورضاه فى الطاعات وغضبه فى المعاصى وفى الحديث من أدركها يقول اللهم انك عفو تحب

واحمد واسحاق وابوثور انها تنتقل فى العشر الاواخر من رمضان وقيل بل تنتقل فى رمضان كله وقيل انها فى ليلة معينة لا تنتقل عنها أبدا فى جميع السنين ولا تفارقها فعلى هذا هى فى ليلة من السنة كلها وهو قول ابن مسعود وابى حنيفة وصاحبيه وروى عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها فبلغ عبد الله ابن عمر فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن اما علم انها فى شهر رمضان ولكن أراد ان لا يتكل الناس وقال جمهور العلماء انها فى شهر رمضان واختلفوا فى تلك الليلة فقال ابو ذرين العقيلى فى أول ليلة من شهر رمضان وقيل هى ليلة سبعة عشر وهى الليلة التى كانت صبيحتها وقعة بدر يحكى هذا عن زيد بن أرقم وابن مسعود ايضا والحسن والصحيح الذى عليه الاكثرون انها فى العشر الاواخر من رمضان والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر الاحاديث الواردة فى ذلك)

(ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور العشر الاواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر فى العشر الاواخر من رمضان (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أريت ليلة القدر ثم ايقظنى بعض اهلى فنسيتها فالتمسوها فى العشر الاواخر من رمضان وذهب الشافعى الى انها ليلة احدى وعشرين (ق) عن ابى هريرة ان أبا سعيد قال اعتكفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الاوسط فلما كانت صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فأتانا النبى صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع الى معتكفه وانا أريت هذه الليلة ورأيتنى اسجد فى ماء وطين فلما رجع الى معتكفه هاجت السماء فمطرنا فوالذى بعثه بالحق لقد هاجت السماء من آخر ذلك اليوم وكان المسجد على عريش ولقد رأيت على أنفه وارنبته اثر الماء والطين وفى رواية نحوه الا انه قال حتى اذا كانت ليلة احدى وعشرين وهى الليلة التى يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معى فليعتكف العشر الاواخر وورد فى فضل ليلة القدر اثنان وعشرون حديثا عن عبد الله بن أنيس قال كنت فى مجلس لبنى سلمة وانى اصغرهم فقالوا من يسأل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك فى صبيحة احدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ارسلنى اليك رهط من بنى سلمة يسألونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة فقلت اثنان وعشرون فقال هى الليلة ثم رجع فقال أو القابلة يريد ثلاثا وعشرين أخرجه ابو داود وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم ان ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين ومال اليه الشافعى أيضا (خ) عن الصنابحى انه سأل رجلا هل سمعت فى ليلة القدر شيئا قال أخبرنى بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها فى أول السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصر عن عبد الله بن انيس قال قلت يا رسول الله ان لى بادية أكون فيها وأنا أصلى فيها بحمد الله فمرنى بليلة انزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين قيل لابنه كيف كان ابوك يصنع قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج الا لحاجة حتى يصلى الصبح فاذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق ببادية أخرجه ابو داود ولمسلم عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني اسجد صبيحتها فى ماء وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف وان أثر الماء والطين على جبهته وانفه ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن انها ليلة اربع وعشرين (خ) عن ابن عباس قال التمسوها فى اربع وعشرين وقيل هى فى ليلة خمس وعشرين دليله قوله صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الاواخر من رمضان وقيل هى ليلة سبع وعشرين يحكى ذلك عن جماعة من الصحابة منهم ابى بن كعب وابن عباس واليه ذهب أحمد (م) عن زر بن حبيش قال سمعت ابى بن كعب يقول وقيل له ان عبد الله بن مسعود يقول من قام السنة أصاب ليلة القدر قال ابى والله الذى لا اله الا هو انها لفى رمضان يحلف ولا يستثنى فوالله انى لاعلم أى ليلة هى هى الليلة التى أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين وأمارتها ان تطلع الشمس من صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر قال ليلة سبع وعشرين أخرجه ابو داود وقيل هي ليلة تسع وعشرين دليله قوله تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة آخر الشهر عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وأنا أسمع فقال هي في كل رمضان أخرجه ابو داود قال ويروى موقوفا عليه ذكر ليالي مشتركة عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع وعشرين من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت أخرجه ابو داود عن عتبة بن عبد الرحمن قال حدثني ابي قال ذكرت ليلة القدر عند ابي بكرة فقال ما أنا بملتمسها لشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني سمعته يقول التمسوها في تسع بقين أو في سبع بقين او في خمس بقين او في ثلاث بقين او آخر الشهر قال وكان ابو بكرة يصلي في العشرين من رمضان كصلاته في سائر السنة فاذا دخل العشر الاواخر اجتهد أخرجه الترمذي (خ) عن عبادة بن الصامت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة قوله فتلاحى رجلان اي تخاصم رجلان وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها وانما أراد رفع بيان وقتها ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في العشر في سبع مضين او سبع بقين يعني ليلة القدر وفي رواية في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى قال ابو عيسى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر انها ليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين وآخر ليلة من رمضان قال الشافعي كان هذا عندي والله أعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو ما يسئل عنه يقال له نلتمسها في كذا فقال التمسوها في ليلة كذا وأقوى الروايات عندي فيها ليلة احدى وعشرين قال البغوي وفي الجملة أبهم الله هذه الليلة على الامة ليجتهدوا في العبادة ليالي شهر رمضان طمعا في ادراكها كما أخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس واسمه الاعظم في القرآن في اسمائه ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذرا من قيامها ومن علاماتها ماروى عن الحسن رفعه انها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها بيضاء لا شعاع لها (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر ولمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر من رمضان ما لا يجتهد في غيره (ق) عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف بعده ازواجه (ق) عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما أقول فيها قال قولي اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عني أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه النسائي وابن ماجه قوله عز وجل (وما أدراك ما ليلة القدر) أي أي شيء يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق الى خبرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة أوجه فقال تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يا رب جعلت أمتي أقصر الامم اعمارا واقلها أعمالا فأعطاه الله تبارك وتعالى ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من ألف شهر التي حمل فيها الاسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيامة وعن مالك انه سمع من يثق به من أهل العلم ان النبي صلى الله عليه وسلم أري اعمار الناس قبله أو ماشاء الله من ذلك فكأنه تقاصر اعمار امته أن لا يبلغوا من

العمل

العفو فاعف عني (وما أدراك ما ليلة القدر) أي لم تبلغ درايتك غاية فضلها ثم بين له ذلك بقوله (ليلة القدر خير من ألف شهر) ليس فيها ليلة القدر وسبب ارتفاع فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة ان النبي عليه السلام ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي

العمل مثل الذى يبلغ غيرهم فى طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر أخرجه مالك فى الموطا قال المفسرون معناه العمل الصالح فى ليلة القدر خير من العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وانما كان ذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع والارزاق وأنواع الخير والبركة الوجه الثانى من فضلها قوله عز وجل (تنزل الملائكة) يعنى الى الارض وسبب هذا انهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وظهر ان الامر بخلاف ما قالوه وتبين حال المؤمنين وما هم عليه من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا اليهم ليسلموا عليهم و يعتذروا عما قالوه و يستغفروا لهم لما يرون من تقصير قد يقع من بعضهم (والروح) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام قاله أكثر المفسرين وفى حديث أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة يصلون و يسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل ذكره ابن الجوزى وقيل ان الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا فى تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة تلك الليلة (فيها) أى فى ليلة القدر (باذن ربهم) أى بأمر ربهم (من كل أمر) أى بكل امر من الخير والبركة وقيل بكل ما أمر به وقضاه من كل أمر الوجه الثالث من فضلها قوله تعالى (سلام) أى سلام على أولياء الله واهل طاعته قال الشعبى هو تسليم الملائكة فى ليلة القدر على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا أو مؤمنة يسلمون عليه من ربه عز وجل وقيل تم الكلام عند قوله من كل أمر ثم ابتدأ فقال سلام (هى) يعنى ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لا يقدر الله فى تلك الليلة ولا يقضى الا السلامة وقيل ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوءا ولا يحدث فيها أذى (حتى مطلع الفجر) أى ان ذلك السلام والسلامة تدوم الى مطلع الفجر والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

تفسير سورة لم يكن وتسمى سورة البينة وهى مدنية قاله الجمهور وفى رواية عن ابن عباس انها مكية وهى ثمان آيات وأربع وتسعون كلمة وثلاثمائة وتسعة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (والمشركين) اى ومن المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان الكفار كانوا جنسين أحدهما أهل كتاب وسبب كفرهم ما أحدثوه فى دينهم اما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه واما النصارى فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثانى المشركون أهل الاوثان الذين لا ينسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين فى قوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين (منفكين) اى منتهين عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زائلين (حتى تأتيهم) لفظه مضارع ومعناه الماضى (البينة) اى الحجة الواضحة يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالاتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية ودعاهم الى الايمان فآمنوا فانقذهم الله من الجهالة والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه اليهم والآية فى من آمن من الفريقين قال الواحدى فى بسيطه وهذه الآية من أصعب ما فى القرآن نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء قال الامام فخر الدين فى تفسيره انه لم يلخص كيفية الاشكال فيها وأنا أقول وجه الاشكال ان تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التى هى الرسول ثم انه تعالى لم يذكر أنهم منفكون عن ماذا لكنه معلوم اذ المراد هو الكفر الذى كانوا عليه فصار التقدير لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التى هى الرسول ثم ان كلمة حتى لانتهاء الغاية فهذه الآية تقتضى انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال بعد ذلك وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وهذا يقتضى ان كفرهم قد ازداد عند مجىء الرسول فحينئذ يحصل بين الآية الاولى والثانية مناقضة فى الظاهر هذا منتهى

(تنزل الملائكة) الى السماء الدنيا والى الارض (والروح) جبريل او خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة او الرحمة (فيها باذن ربهم من كل أمر) أى تنزل من اجل كل امر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وعليه وقف (سلام هى) ما هى الا سلامة خبر ومبتدأ أى لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضى فى غيرها بلاء وسلامة او ما هى الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه فى تلك الليلة (حتى مطلع الفجر) أى الى وقت طلوع الفجر بكسر اللام على وحمزة وخلف وقد حرم من السلام والله أعلم

(سورة البينة مختلف فيها وهى ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لم يكن الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى واهل الرجل اخص الناس به وأهل الاسلام من يدين به (والمشركين) عبدة الاصنام (منفكين) منفصلين عن الكفر وحذف لان صلة الذين تدل عليه (حتى تأتيهم البينة) الحجة الواضحة والمراد محمد صلى الله عليه وسلم يقول لم يتركوا كفرهم حتى يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث اسلم بعض وثبت على الكفر بعض

الاشكال فى ظنى قال والجواب عنه من وجوه أولها وأحسنها الوجه الذى لخصه صاحب الكشاف
وهو ان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم
لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبى الموعود الذى هو مكتوب فى التوراة والانجيل
وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى عنهم ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب اى
انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم
على الكفر الا مجىء الرسول ونظيره فى الكلام ما يقول الفاسق الفقير لمن يعظه لست بمنفك مما أنا فيه
من الافعال القبيحة حتى يرزقنى الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن
الفسق حتى توسر وما غمست رأسك فى الفسق الا بعد اليسار فيذكره ما كان يقول توبيخا والزاما
قال الامام فخر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله لم يكن الذين كفروا
منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة مذكور حكاية عنهم وقوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب اخبار عن
الواقع والمعنى ان الذى وقع كان بخلاف ما ادعوا وثانيها ان تقرير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن
كفرهم وان جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول الاشكال الا ان تغيير لفظة حتى بهذا ليس من اللغة فى
شىء وذكروا وجوها أخر قال والمختار هو الاول ثم فسر البينة فقال تعالى (رسول من الله) اى تلك البينة رسول
من الله (يتلو) اى يقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم (صحفا) اى كتبا يريد ما تضمنه المصحف من المكتوب
فيه وهو القرآن لانه كان صلى الله عليه وسلم يقرأ عن ظهر قلبه لا عن كتاب (مطهرة) اى من الباطل
والكذب والزور والمعنى انها مطهرة من القبيح وقيل معنى مطهرة معظمة وقيل مطهرة اى لا ينبغى
أن يمسها الا المطهرون (فيها) اى فى الصحف (كتب) اى الآيات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى
الاحكام (قيمة) اى عادلة مستقيمة غير ذات عوج وقيل قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالامر
اذا اجراه على وجهه ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب)
يعنى فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم (الا من بعد ما جاءتهم البينة) يعنى جاءتهم البينة فى كتبهم انه نبى
مرسل قال المفسرون لم يزل أهل الكتاب مجتمعين فى تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى
فلما بعث تفرقوا فى أمره واختلفوا فيه فآمن به بعضهم وكفر به آخرون ثم ذكر ما أمروا به فى كتبهم فقال
تعالى (وما أمروا) يعنى هؤلاء الكفار (الا ليعبدوا الله) أى وما أمروا الا أن يعبدوا الله قال ابن عباس
ما أمروا فى التوراة والانجيل الا باخلاص العبادة لله موحدين له (مخلصين له الدين) الاخلاص عبارة
عن النية الخالصة وتجريدها عن شوائب الرياء وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الاخلاص من ابتداء
الفعل الى انتهائه والمخلص هو الذى يأتى بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنية الخالصة لما كانت
معتبرة كانت النية معتبرة فقد دلت الآية على ان كل مأمور به فلابد وان يكون منويا فلابد من اعتبار
النية فى جميع المأمورات قال أصحاب الشافعى الوضوء مأمور به ودلت هذه الآية على ان كل مأمور به
يجب ان يكون منويا فتجب النية فى الوضوء وقيل الاخلاص محله القلب وهو ان يأتى بالفعل لوجه الله
تعالى مخلصا له لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا غرضا آخر حتى قالوا فى ذلك لا يجعل طلب الجنة مقصودا
ولا النجاة من النار مطلوبا وان كان لابد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافا له
عز وجل بالربوبية وقيل فى معنى مخلصين له الدين مقرين له بالعبودية وقيل قاصدين بقلوبهم رضا
الله تعالى بالعبادة (م) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله تعالى لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم (حنفاء) اى مائلين عن الاديان
كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقيل حنفاء اى حجاجا وانما قدمه على
الصلاة والزكاة لان فيه صلاة وانفاق مال وقيل حنفاء اى مختونين محرمين لنكاح المحارم وقيل الحنيف
الذى آمن بجميع الانبياء والرسل ولا يفرق بين أحد منهم فمن لم يؤمن بأشرف الانبياء وهو محمد صلى الله

عليه

(رسول من الله) أى محمد عليه السلام وهو بدل
من البينة (يتلو) يقرأ عليهم (صحفا) قراطيس
(مطهرة) من الباطل (فيها) فى الصحف (كتب)
مكتوبات (قيمة) مستقيمة ناطقة بالحق والعدل
(وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما
جاءتهم البينة) فمنهم من انكر نبوته بغيا وحسدا
ومنهم من آمن وانما أفرد أهل الكتاب بعد
ما جمع أولا بينهم وبين المشركين لانهم كانوا على
علم به لوجوده فى كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق
عنه كان من لا كتاب له ادخل فى هذا الوصف
(وما أمروا) يعنى فى التوراة والانجيل (الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين) من غير شرك
ونفاق (حنفاء) مؤمنين بجميع الرسل مائلين

عليه وسلم فليس بحنيف (ويقيموا الصلاة) اى المكتوبة فى أوقاتها (ويؤتوا الزكاة) اى المفروضة عند محلها (وذلك) اى الذى أمروا به (دين القيمة) اى الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة وانما أضاف الدين الى القيمة وهى نعته لاختلاف اللفظين وانث القيمة ردا الى الملة وقيل الهاء فى القيمة للمبالغة كعلامة وقيل القيمة الكتب التى جرى ذكرها اى وذلك دين أصحاب الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد والمعنى وذلك دين القائمين لله بالتوحيد واستدل بهذه الآية من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد أولا واتبعه بالعمل ثانيا ثم قال وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان بدليل قوله فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ثم ذكر مآل الفريقين فقال تعالى (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) فان قلت لم قدم أهل الكتاب على المشركين قلت لان جنايتهم أعظم فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يستفتحون به قبل بعثته ويقرون بنبوته فلما بعث أنكروه وكذبوه وصدوه مع العلم به فكانت جنايتهم أعظم من المشركين فلهذا قدمهم عليهم فان قلت ان المشركين أعظم جناية من أهل الكتاب لان المشركين انكروا الصانع والنبوة والقيامة وأهل الكتاب اعترفوا بذلك غير انهم أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم أخف فلم سوى بين الفريقين فى العذاب قلت لما أراد أهل الكتاب الرفعة فى الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أذلهم الله فى الدنيا وأدخلهم اسفل سافلين فى الآخرة ولا يمنع من دخولهم النار مع المشركين ان تتفاوت مراتبهم فى العذاب (فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) اى هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل فقال بل تبقون خالدين فيها فكأنهم قالوا لم ذلك قال لانكم شر البرية (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) يعنى انهم بسبب اعمالهم الصالحة واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه) قيل الرضا ينقسم قسمين رضا به ورضا عنه فالرضا به ان يكون ربا ومدبرا والرضا عنه بما يقضى ويدبر قال السدى اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك وقيل رضى الله اعمالهم ورضوا عنه بما اعطاهم من الخير والكرامة (ذلك) اى هذا الجزاء والرضا (لمن خشى ربه) اى لمن خاف ربه فى الدنيا وانتهى عن المعاصى (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بن كعب ان الله أمرنى ان أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب قال وسمانى قال نعم فبكى وفى رواية البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بن كعب ان الله أمرنى أن أقرئك القرآن قال الله سمانى لك قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم قال فذرفت عيناه شرح غريب الحديث اما بكاء أبى فانه بكى سرورا واستصغارا لنفسه عن تأهله لهذه النعمة العظيمة واعطائه تلك المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها من وجهين أحدهما كونه منصوصا عليه بعينه والثانى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فانها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها أحد من الصحابة وقيل انما بكى خوفا من تقصيره فى شكره هذه النعمة واما تخصيص هذه السورة بالقراءة فانها مع وجازتها جامعة لاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضى الاختصار واما الحكمة فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالقراءة على أبى فهى ان يتعلم أبى القراءة من ألفاظه صلى الله عليه وسلم وضبط أسلوب الوزن المشروع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعملة فى غيره فكانت قراءته على أبى ليتعلم أبى منه لا ليعلم هو من أبى وقيل انما قرأ على ابى ليتعلم غيره التواضع والادب وان لا يستنكف الشريف وصاحب الرتبة العالية ان يتعلم القرآن ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة أبى والحث على الاخذ عنه وتقديمه فى ذلك فكان كذلك بعد النبى صلى الله عليه وسلم رأسا واماما فى القراءة وغيرها وكان أحد علماء الصحابة رضى الله عنهم والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده واسرار كتابه

عن الاديان الباطلة (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) أى دين الملة القيمة (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) ونافع بهمزهما والقراء على التخفيف والنبى والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) اقامة (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم) بقبول أعمالهم (ورضوا عنه) بثوابها (ذلك) اى الرضا (لمن خشى ربه) وقوله خير البرية يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة لان البرية الخلق واشتقاقها من برأ الله الخلق وقيل اشتقاقها من البرا وهو التراب ولو كان كذلك لما قرؤا البريئة بالهمز كذا قاله الزجاج والله أعلم

(تفسير سورة الزلزلة وهي مكية)

وقيل مدنية وهي ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة وأربعون حرفا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له ثلث القرآن وقال حديث غريب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اذا زلزلت الارض زلزالها) اي تحركت حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة وقيل تزلزلت من شدة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقى ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء وفي وقت هذه الزلزلة قولان أحدهما وهو قول الاكثرين انها في الدنيا وهي من اشراط الساعة والثاني انها زلزلة يوم القيامة (وأخرجت الارض أثقالها) فمن قال ان الزلزلة تكون في الدنيا قال أثقالها كنوزها وما في بطنها من الدفائن والاموات فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هذا القول ما روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيء الارض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوانة من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا أخرجه مسلم والافلاذ جمع فلذة وهي القطعة المستطيلة شبه ما يخرج من باطنها بأقطاع كبدها لان الكبد مستور في الجوف وانما خص الكبد لانها من أطيب ما يشوى عند العرب من الجزور واستعار القيء للاخراج ومن قال بأن الزلزلة تكون يوم القيامة قال أثقالها الموتى فتخرجهم الى ظهرها قيل ان الميت اذا كان في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها ومنه سميت الجن والانس بالثقلين لان الارض تثقل بهم احياء وأمواتا (وقال الانسان مالها) اي مالها تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما في بطنها وفي الانسان وجهان أحدهما انه اسم جنس يعم المؤمن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من اشراط الساعة والمعنى انها حين وقعت لم يعلم الكل انها من اشراط الساعة فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك والثاني انه اسم للكافر خاصة وهذا على قول من جعلها زلزلة القيامة لان المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها والكافر جاحد لها فاذا وقعت سأل عنها وقيل بمجاز الآية (يومئذ تحدث أخبارها) فيقول الانسان مالها والمعنى ان الارض تحدث بكل ما عمل عليها وعلى ظهرها من خير أو شر فتشكو العاصي وتشهد عليه وتشكر الطائع وتشهد له عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث اخبارها قال أتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا كذا وكذا فهذه اخبارها أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (بأن ربك أوحى لها) اي أمرها بالكلام وأذن لها ان تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس أوحى اليها وقيل ان الله تعالى يخلق في الارض الحياة والعقل والنطق حتى تخبر بما أمر الله به وهذا مذهب أهل السنة قوله تعالى (يومئذ يصدر الناس) اي عن موقف الحساب بعد العرض (اشتاتا) اي متفرقين فآخذات اليمين الى الجنة وآخذات الشمال الى النار (ليروا أعمالهم) قال ابن عباس ليروا جزاء أعمالهم وقيل معناه ليروا صحائف اعمالهم التي فيها الخير والشر وهو قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة) اي وزن نملة صغيرة وقيل هو ما لصق من التراب باليد (خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا في الدنيا الا أراه الله اياه يوم القيامة فاما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله له سيئاته ويثيبه

بحسناته

(سورة الزلزلة مختلف فيها وهي ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا زلزلت الارض زلزالها) أي حركت زلزالها الشديد الذي ليس بعده زلزال وقرئ بفتح الزاي فالمكسور مصدر والمفتوح اسم (وأخرجت الارض اثقالها) أي كنوزها وموتاها جمع ثقل وهو متاع البيت جعل ما في جوفها من الدفائن اثقالا لها (وقال الانسان مالها) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاها احياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر العظيم كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (يومئذ) بدل من اذا وناصبها (تحدث) أي تحدث (أخبارها) فحذف أول المفعولين لان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق قيل ينطقها الله وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وفي الحديث تشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها (بأن ربك أوحى لها) أي تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها أي اليها وامره اياها بالتحديث (يومئذ يصدر الناس) يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف (اشتاتا) بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين او يصدرون عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار (ليروا أعمالهم) أي جزاء اعمالهم (فمن يعمل مثقال ذرة) نملة صغيرة (خيرا) تمييز (يره) أي ير جزاءه (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قيل هذا في الكفار والاول في المؤمنين ويروى ان اعرابيا أخر خيرا يره فقيل له قدمت وأخرت فقال

خذا بطن هرشى او قفاها فانه ... كلا جانبي هرشى لهن طريق

وروى ان جد الفرزدق أتاه عليه السلام ليستقرئه فقرأ عليه هذه الآية فقال حسبي حسبي وهي احكم آية وسميت الجامعة والله أعلم

بحسناته واما الكافر فيرد حسناته و يعذبه بسيئاته وقال محمد بن كعب القرظى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى ثوابه فى الدنيا فى نفسه وولده وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا فى نفسه وماله وولده واهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر قيل نزلت هذه الآية فى رجلين وذلك انه لما نزلت و يطعمون الطعام على حبه وكان احدهما يأتيه السائل فيستقل ان يطعمه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا ليس بشئ يؤجر عليه انما يؤجر على ما يعطى ونحن نحبه وكان الآخر يتهاونون بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة واشباه ذلك و يقول انما وعد الله النار على الكبائر وليس فى هذا اثم فأنزل الله هذه الآية يرغبهم فى القليل من الخير أن يعطوه فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم من اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكبر والاثم الصغير فى عين صاحبه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيامة قال ابن مسعود احكم آية فى القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية الجامعة الفاذة حتى سئل عن زكاة الحمير فقال ما انزل الله فيها شيئا الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة كل واحد منهما بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة قلت انما كان غرضهما تعليم الغير والا فهما من كرماء الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقال الربيع بن خثيم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبى الله قد انتهت الموعظة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة العاديات وهى مكية)

فى قول ابن مسعود وغيره مدنية فى قول ابن عباس وهى احدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والعاديات ضبحا) فيه قولان أحدهما انها الابل فى الحج قال على كرم الله وجهه هى الابل تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى وعنه قال كانت أول غزاة فى الاسلام بدرا وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف تكون العاديات فعلى هذا القول يكون معنى ضبحها مدّا عناقها فى السير واصله من حركة النار فى العود (فالموريات قدحا) يعنى ان اخفاف الابل ترمى بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجر حجرا آخر فيورى النار وقيل هى النيران بجمع (فالمغيرات صبحا) يعنى الابل ترفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا يدفع حتى يصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم أشرق ثبير كيما نغير (فأثرن به نقعا) اى هيجن بمكان سيرها غبارا (فوسطن به جمعا) اى وسطن بالنقع جمعا وهو مزدلفة فوجه القسم على هذا ان الله تعالى اقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعريضه بابل الحج للترغيب وفيه تقريع لمن لم يحج بعد القدرة عليه فان الكنود هو الكفور ومن لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك القول الثانى فى تفسير والعاديات قال ابن عباس وجماعة هى الخيل العادية فى سبيل الله والضبح صوت اجوافها اذا غدت قال ابن عباس وليس شئ من الحيوانات يضبح سوى الفرس والكلب والثعلب وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغير حالها من فزع او تعب وهو من قول العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه فالموريات قدحا يعنى انها تورى النار بحوافرها اذا سارت فى الحجارة وقيل هى الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هى الخيل تغزو فى سبيل الله ثم تأوى بالليل فيورى اصحابها نارا و يضعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال فى الحرب يقول اذا أراد الرجل ان يمكر بصاحبه اما والله لاقدحن لك ثم لاورين لك فالمغيرات صبحا يعنى الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لان الناس فى غفلة فى ذلك الوقت عن الاستعداد فأثرن به أى بالمكان

*(سورة العاديات مختلف فيها وهى احدى
عشرة آية)* *(بسم الله الرحمن الرحيم)*
(والعاديات ضبحا) اقسم بخيل الغزاة تعدو
تضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون عن
ابن عباس رضى الله عنهما انه حكاه فقال أح
أح وانتصاب ضبحا على بضبحن (فالموريات)
تورى نار الحباحب وهى ما ينقدح من حوافرها
(قدحا) قادحات صاكات بحوافرها الحجارة
والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح
فأورى وقدح فاصلد وانتصب قدحا بما انتصب
به ضبحا (فالمغيرات) تغير على العدو (صبحا)
فى وقت الصبح (فأثرن به نقعا) فهيجن بذلك
الوقت غبارا (فوسطن به) بذلك الوقت (جمعا)
من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل
الضمير للمكان والعدو والذى دل عليه
والعاديات وعطف فأثرن على الفعل الذى
وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتى
عدون فأورين فأغرن فأثرن وجواب القسم

نقعا اى غبارا فوسطن به جمعا اى دخلن به أى بذلك النقع وهو الغبار وقيل صرن بعدوهن وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول فى تفسير هذه الآيات اولى بالصحة واثبت بالمعنى لان الضبح من صفة الخيل وكذا ايراء النار بحوافرها واثارة الغبار أيضا وانما أقسم الله بخيل الغزاة لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية الاجر والغنيمة وتنبيه على فضلها وفضل رباطها فى سبيل الله ولما ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى (ان الانسان لربه لكنود) أى لكفور وهو جواب القسم قال ابن عباس الكنود الكفور الجحود لنعمة الله تعالى وقيل الكنود هو العاصى وقيل هو الذى يعد المصائب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير مأخوذ من الارض الكنود وهى التى لا تنبت شيئا وقال الفضيل بن عياض الكنود الذى انسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان وضده الشكور والذى انسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة (وانه على ذلك لشهيد) قال اكثر المفسرين وان الله على كونه كنودا لشاهد وقيل الهاء راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد على نفسه بما صنع (وانه) يعنى الانسان (لحب الخير) أى المال (لشديد) اى لبخيل والمعنى انه من اجل حب المال لبخيل وقيل معناه وانه لحب المال وايثار الدنيا لقوى شديد (أفلا يعلم) يعنى هذا الانسان (اذا بعثر) اى ابرز واخرج (ما فى القبور) يعنى من الموتى (وحصل ما فى الصدور) أى ميز وابرز ما فيها من الخير والشر (ان ربهم بهم) انما جمع الكناية لان الانسان اسم جنس (يومئذ لخبير) أى عالم والله تعالى خبير بهم فى ذلك اليوم وفى غيره ولكن المعنى انه يجازيهم فى ذلك اليوم على كفرهم وانما خص أعمال القلوب بالذكر فى قوله وحصل ما فى الصدور لان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب فانه لولا البواعث والارادات فى القلوب لما حصلت أعمال الجوارح والله اعلم

(تفسير سورة القارعة وهى مكية)

وثمان آيات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عزوجل (القارعة) أصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر أى شدائده والقارعة من اسماء القيامة سميت بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع والشدائد وقيل سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ فى الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته (ما القارعة) تهويل وتعظيم والمعنى انها فاقت القوارع فى الهول والشدة (وما أدراك ما القارعة) معناه لا علم لك بكنهها لانها فى الشدة بحيث لا يبلغها فهم أحد وكيف ما قدرت أمرها فهى اعظم من ذلك (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) الفراش هذه الطير التى تراها تتهافت فى النار سميت بذلك لفرشها وانتشارها وانما شبه الخلق عند البعث بالفراش لان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة تذهب الى غير جهة الاخرى فدل بهذا التشبيه على ان الخلق فى البعث يتفرقون فيذهب كل واحد الى غير جهة الآخر والمبثوث المتفرق وشبههم أيضا بالجراد فقال كانهم جراد منتشر وانما شبههم بالجراد لكثرتهم قال الفراء الجراد يركب بعضه بعضا فشبه الناس عند البعث بالجراد لكثرتهم يموج بعضهم فى بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أى كالصوف المندوف وذلك لانها تتفرق اجزاؤها فى ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند الندف وانما ضم بين حال الناس وحال الجبال كانه تعالى نبه على تأثير تلك القارعة فى الجبال العظيمة الصلدة الصلبة حتى تصير كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيامة قسم الخلق على قسمين فقال تعالى (فأما من ثقلت موازينه) يعنى رجحت موازين حسناته قيل هو جمع موزون وهو العمل الذى له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذى له لسان وكفتان توزن فيه الاعمال فيؤتى بحسنات المؤمن فى

احسن

(ان الانسان لربه لكنود) لكفور اى انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران (وانه) وان الانسان (على ذلك) على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه او ان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (وانه لحب الخير لشديد) وانه لاجل حب المال لبخيل ممسك او انه لحب المال لقوى وهو لحب عبادة الله ضعيف (أفلا يعلم) الانسان (اذا بعثر) بعث (ما فى القبور) من الموتى وما بمعنى من (وحصل ما فى الصدور) ميز ما فيها من الخير والشر (ان ربهم بهم يومئذ لخبير) لعالم فيجازيهم على أعمالهم من الخير والشر وخص يومئذ بالذكر وهو عالم بهم فى جميع الازمان لان الجزاء يقع يومئذ والله أعلم

(سورة القارعة مكية وهى ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القارعة) مبتدأ (ما) مبتدأ ثان (القارعة) خبره والجملة خبر المبتدأ الاول وكان حقه ما هى وانما كرر تفخيما لشأنها (وما ادراك ما القارعة) أى أى شئ اعلمك ما هى ومن اين علمت ذلك (يوم) نصب بمضمر دلت عليه القارعة أى تقرع يوم (يكون الناس كالفراش المبثوث) شبههم بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ الوانا لانها الوان ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وبالمنفوش منه لتفرق اجزائها (فأما من ثقلت موازينه) باتباعهم الحق وهى جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها

احسن صورة فتوضع في كفة الميزان فان رجحت فالجنة له و يؤتى بسيئات الكافر في أقبح صورة فتخف في ميزانه فيدخل النار وقيل انما توزن أعمال المؤمنين فمن ثقلت موازين حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة او يعفو الله عنه بكرمه فيدخل الجنة بفضل الله وكرمه ورحمته وأما الكافرون فقد قال في حقهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا روى عن أبي بكر الصديق انه قال انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا قوله تعالى (فهو في عيشة راضية) أي مرضية في الجنة وقيل في عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها (وأما من خفت موازينه) أي رجحت سيئاته على حسناته (فأمه هاوية) اى مسكنه النار سمي المسكن أما لان الاصل في السكون الامهات وقيل معناه فأم رأسه هاوية في النار والهاوية اسم من اسماء النار وهي المهواة التي لا يدرك قعرها فهم يهوون فيها على رؤسهم وقيل كان الرجل اذا وقع في امر شديد يقال هوت أمه أي هلكت حزنا وثكلا (وما أدراك ماهيه) يعني الهاوية ثم فسرها فقال (نار حامية) قد انتهى حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة التكاثر وهي مكية)

وثمان آيات وثمانية وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ألهاكم التكاثر) أي أشغلتكم المفاخرة والمباهاة والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه ومعلوم ان من اشتغل بشيء أعرض عن غيره فينبغي للمؤمن العاقل ان يكون سعيه وشغله في تقديم الاهم وهو ما يقربه من ربه عز وجل فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء تفاخر بأخس المراتب والاشتغال به يمنع الانسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الاخروية التي هي سعادة الابد ويدل على ان المكاثرة والمفاخرة بالمال مذمومة ما روى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية ألهاكم التكاثر فقال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فأبقيت وما أكلت فأفنيت وما لبست فأبليت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه ماله واهله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله (حتى زرتم المقابر) أي متم ودفنتم في المقابر يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الآية ألهاكم حرصكم على تكثير أموالكم عن طاعة ربكم حتى أتاكم الموت وأنتم على ذلك قيل نزلت هذه الآية في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل نزلت في حيين من قريش وهما بنو عبد مناف و بنو سهم بن عمرو وكان بينهم تفاخر فتعادوا القادة والاشراف أيهم اكثر فقال بنو عبد مناف نحن اكثر سيدا وأعز عزا وأعظم نفرا واكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكاثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا فعدوا الموتى حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة ابيات لانهم كانوا في الجاهلية اكثر عددا فانزل الله هذه الآية وهذا القول اشبه بظاهر القرآن لان قوله حتى زرتم المقابر يدل على أمر مضى فكأنه تعالى يعجبهم من انفسهم ويقول مجيبا انكم اكثر منهم عددا فماذا ينفع ثم رد الله تعالى عليهم فقال (كلا) أي ليس الامر كما يتوهمه هؤلاء بالتكاثر والتفاخر وقيل المعنى حقا (سوف تعلمون) وعيد لهم (ثم كلا سوف تعلمون) كرره تأكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعد

(فهو في عيشة راضية) ذات رضا او مرضية (وأما من خفت موازينه) باتباعه الباطل (فأمه هاوية) فمسكنه ومأواه النار وقيل للأوى أم على التشبيه لان الام مأوى الولد ومفزعه (وما أدراك ماهيه) الضمير يعود الى هاوية والهاء للسكت ثم فسرها فقال (نار حامية) بالغة النهاية في الحرارة والله أعلم

(سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألهاكم التكاثر) شغلكم التباري في الكثرة والتباهي بها في الاموال والاولاد عن طاعة الله (حتى زرتم المقابر) حتى ادرككم الموت على تلك الحال او حتى زرتم المقابر وعددتم من في المقابر من موتاكم (كلا) ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه ان تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه (سوف تعلمون) عند النزع سوء عاقبة ما كنتم عليه (ثم كلا سوف تعلمون)

وعيد وقيل معناه كلا سوف يعلمون يعنى الكافرين ثم كلا سوف تعلمون يعنى المؤمنين وصاحب هذا القول كان يقرأ الاولى بالياء والثانية بالتاء (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى علما يقينا وجواب لو محذوف والمعنى لو تعلمون علما يقينا الشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعثه بعد الموت (لترون الجحيم) اللام تدل على انه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما أوعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى انكم ترون الجحيم بابصاركم بعد الموت (ثم لترونها) يعنى مشاهدة (عين اليقين) وانما كرر الرؤية لتأكيد الوعيد (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) يعنى ان كفار مكة كانوا فى الدنيا فى الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لان الكفار لما ألهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره سألهم عن ذلك وقيل ان هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن وهو الاولى لكن سؤال الكافر توبيخ وتقريع لانه ترك شكر ما أنعم الله به عليه والمؤمن يسئل سؤال تشريف وتكريم لانه شكر ما أنعم الله به عليه واطاع ربه فيكون السؤال فى حقه تذكرة بنعم الله عليه يدل على ذلك ماروى عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الزبير يارسول الله وأى نعيم نسئل عنه وانما هو الاسودان التمر والماء قال اما انه سيكون أخرجه الترمذى وقال حديث حسن واختلفوا فى النعيم الذى يسئل العبد عنه فروى عن ابن مسعود رفعه قال لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الامن والصحة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يسئل العبد يوم القيامة عن النعيم فيقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أوليلة فاذا هو بأبى بكر وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يارسول الله قال وأنا والذى نفسى بيده لاخرجنى الذى أخرجكما فقوموا فقاموا معه فأتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس فى بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا وأهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذجاء الانصارى فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم اكرم اضيافا منى قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح له شاة فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم وأخرجه الترمذى بأطول من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وروى عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العبيد يوم القيامة فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وقيل يسأل عن الصحة والفراغ والمال (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل الذى يسئل العبد عنه هو القدر الزائد على ما يحتاج اليه فانه لابد لكل أحد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقيل يسئل عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وقيل عن الاسلام فانه اكبر النعم وقيل يسأل عما أنعم به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذى أنقذكم به من الضلال الى الهدى والنور وامتن به عليكم والله أعلم

(تفسير سورة العصر وهى مكية)

قاله ابن عباس والجمهور وقيل مدنية وهى ثلاث آيات وأربع عشرة كلمة وثمان وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والعصر) قال ابن عباس هو الدهر قيل أقسم الله به لما فيه من العبر والعجائب للناظر

في القبور (كلا) تكرير الردع للانذار والتخويف (لو تعلمون) جواب لو محذوف اى لو تعلمون ما بين أيديكم (علم اليقين) علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه من الامور لما ألهاكم التكاثر اولفعلتم مالا يوصف ولكنكم ضلال جهلة (لترون الجحيم) هو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد لترون بضم التاء شامى وعلى (ثم لترونها) كرره معطوفا بثم تغليظا فى التهديد وزيادة فى التهويل أو الاول بالقلب والثانى بالعين (عين اليقين) اى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصته (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) عن الامن والصحة فيم أفنيتموهما عن ابن مسعود رضى الله عنه وقيل عن التنعم الذى شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه وعن الحسن ماسوى كن يؤويه واثواب تواريه وكسرة تقويه وقد روى مرفوعا والله أعلم

(سورة العصر مختلف فيها وهى ثلاث آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعصر) أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلاة الوسطى صلاة العصر فى مصحف حفصة ولان التكليف فى ادائها أشق لتهافت الناس فى تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم او أقسم بالعشى كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة او اقسم بالزمان لما فى مروره من اصناف العجائب وجواب

وقد ورد في الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وذلك لانهم كانوا يضيفون النوائب والنوازل الى الدهر فأقسم به تنبيها على شرفه وان الله هو المؤثر فيه فما حصل فيه من النوائب والنوازل كان بقضاء الله وقدره وقيل تقديره ورب العصر وقيل أراد بالعصر الليل والنهار لانهما يقال لهما العصران فنبه على شرف الليل والنهار لأنهما خزانتان لاعمال العباد وقيل أراد بالعصر آخر طرفي النهار أقسم بالعشي كما اقسم بالضحى وقيل أراد صلاة العصر أقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى في قول بدليل قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى لما قيل هي صلاة العصر والذي في مصحف عائشة رضي الله عنها وحفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر وفي الصحيحين شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وقيل أراد بالعصر زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسم بزمانه كما أقسم بمكانه في قوله لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد نبه بذلك على أن زمانه أفضل الازمان وأشرفها وجواب القسم قوله تعالى (ان الانسان لفي خسر) أي لفي خسران ونقصان قيل أراد بالانسان جنس الانسان بدليل قولهم كثر الدرهم في أيدي الناس أي الدراهم وذلك لان الانسان لا ينفك عن خسران لان الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر من عمر الانسان اما أن تكون تلك الساعة في طاعة أو معصية فان كانت في معصية فهو الخسران المبين الظاهر وان كانت في طاعة فلعل غيرها أفضل وهو قادر على الاتيان بها فكان فعل غير الافضل تضييعا وخسرانا فبان بذلك انه لا ينفك أحد من خسران وقيل ان سعادة الانسان في طلب الآخرة والاعراض عن الدنيا ثم ان الاسباب الداعية الى حب الآخرة خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان أكثر الناس مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في طلبها فكانوا في خسار وبوار قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم وقيل أراد بالانسان الكافر بدليل انه استثنى المؤمنين فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعني فانهم ليسوا في خسر والمعنى ان كل ما مر من عمر الانسان في طاعة الله تعالى فهو في صلاح وخير وما كان بضده فهو في خسر وفساد وهلاك (وتواصوا) أي أوصى بعض المؤمنين بعضا (بالحق) يعني بالقرآن والعمل بما فيه وقيل بالايمان والتوحيد (وتواصوا بالصبر) أي على أداء الفرائض واقامة امر الله وحدوده وقيل أراد ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم تكتب أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم وهي مثل قوله لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة الهمزة وهي مكية)

وتسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ويل) أي قبح وقيل هو اسم واد في جهنم (لكل همزة لمزة) قال ابن عباس هم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب ٣ وقيل معناهما واحد وهو العياب والمغتاب للناس في بعضهم قال الشاعر

اذا لقيتك من كره تكاشرني * وان تغيب كنت الهامز اللمزا

وقيل بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقيل هو على ضده وقيل الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقيل هو الذي يهمز بلسانه ويلمز بعينه وقيل الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يرمق بعينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه وقيل الهمزة المغتاب للناس واللمزة الطعان في انسابهم وحاصل هذه الاقاويل

القسم (ان الانسان لفي خسر) اي جنس الانسان لفي خسران من تجاراتهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا (وتواصوا بالحق) بالامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله (وتواصوا بالصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو به الله عباده وتواصوا في الموضعين فعل ماض معطوف على ماض قبله والله أعلم

(سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) مبتدأ خبره (لكل همزة) اي الذي يعيب الناس من خلفهم (لمزة) اي من يعيبهم مواجهة وبناء فعلة يدل على ان ذلك عادة منه قيل نزلت في الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في أمية بن خلف وقيل في الوليد ويجوز ان يكون السبب خاصا والوعيد

٣ قوله وقيل معناهما واحد ظاهره ان ما قبله ليس كذلك وليس كذلك اه مصححه

يرجع الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب وأصل الهمز الكسر والقبض على الشئ بالعنف والمراد منه هنا الكسر من اعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم ويدخل فيه من يحاكي الناس بأقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منه وهما نعتان للفاعل على نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في الاخنس بن شريق كان يقع في الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحاق مازلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت في أمية بن خلف الجمحي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه في وجهه وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل هي عامة في كل شخص هذه صفته كائنا من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ والحكم ومن قال انها في اناس معينين قال ان كون اللفظ عاما لا ينافي أن يكون المراد منه شخصا معينا وهو تخصيص العام بقرينة العرف والاولى ان تحمل على العموم في كل من هذه صفته ثم وصفه فقال تعالى (الذي جمع مالا) وانما وصفه بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز يعني وهو باعجابه بما جمع من المال يستصغر الناس ويسخر منهم وانما نكر مالا لانه بالنسبة الى مال هو اكثر منه كالشئ الحقير وان كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل ان يفتخر بالشئ الحقير (وعدده) أي أحصاه من العدد وقيل هو من العدة أي استعده وجعله ذخيرة وغنى له (يحسب أن ماله أخلده) أي يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت ليساره وغناه قال الحسن ما رأيت يقينا لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت ومعناه ان الناس لا يشكون في الموت مع انهم يعملون عمل من يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت (كلا) ردّ عليه أي لا يخلده ماله بل يخلده ذكر العلم والعمل الصالح ومنه قول علي مات خزان المال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر وقيل معناه حقا (لينبذن) واللام في لينبذن جواب القسم فدل ذلك على حصول معنى القسم ومعنى لينبذن ليطرحن (في الحطمة) أي في النار وهو اسم من أسمائها مثل سقر ولظى وقيل هو اسم للدركة الثانية منها وسميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها والمعنى يا أيها الهمزة اللمزة الذي يأكل لحوم الناس ويكسر من اعراضهم ان وراءك الحطمة التي تأكل اللحوم وتكسر العظام (وما أدراك ما الحطمة) أي نار لا كسائر النيران (نار الله الموقدة) انما اضافها اليه على سبيل التفخيم والتعظيم لها أي لا تخمد ابدا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة أخرجه الترمذي قال ويروى عن أبي هريرة موقوفا وهو أصح (التي تطلع على الافئدة) أي يبلغ ألمها ووجعها الى القلوب والمعنى انها تأكل كل شئ حتى تنتهي الى الفؤاد وانما خص الفؤاد بالذكر لانه ألطف شئ في بدن الانسان وانه يتألم بأدنى شئ فكيف اذا اطلعت عليه واستولت عليه ثم انه مع لطافته لا يحترق اذ لو احترق لمات صاحبه وليس في النار موت وقيل انما خصه بالذكر لان القلب موطن الكفر والعقائد والنيات الفاسدة (انها عليهم مؤصدة) أي مطبقة مغلقة (في عمد ممددة) قال ابن عباس أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد وفي أعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها عمد يعذبون بها في النار وقيل هي أوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار والمعنى انها مطبقة عليهم بأوتاد ممدودة وقيل اطبقت الاوتاد عليهم ثم سدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا ينفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح وممددة صفة العمد أي مطولة فتكون أرسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار وحرها والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة الفيل وهي مكية)

وخمس آيات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا

عاما يتناول كل من باشر ذلك القبيح (الذي) بدل من كل او نصب على الذم (جمع مالا) جمع شامي وحمزة وعلي مبالغة جمع وهو مطابق لقوله (وعدده) اي جعله عدة لحوادث الدهر (يحسب أن ماله أخلده) اي تركه خالدا في الدنيا لا يموت او هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذي اخلد صاحبه في النعيم فأما المال فما أخلد احدا فيه (كلا) ردع له عن حسبانه (لينبذن) اي الذي جمع (في الحطمة) في النار التي شأنها ان تحطم كل ما يلقى فيها (وما أدراك ما الحطمة) تعجيب وتعظيم (نار الله) خبر مبتدأ محذوف اي هي نار الله (الموقدة) نعتها (التي تطلع على الافئدة) يعني انها تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهي اوساط القلوب ولا شئ في بدن الانسان ألطف من الفؤاد ولا أشد تألما منه بأدنى أذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه وقيل خص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة ومعنى اطلاع النار عليها انها تشتمل عليها (انها عليهم) اي النار او الحطمة (مؤصدة) مطبقة (في عمد) بضمتين كوفي غير حفص الباقون (في عمد) وهما لغتان في جمع عماد كاهاب وأهب وجاوجر (ممددة) اي توصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق وفي الحديث المؤمن كيس فطن وقاف متثبت لا يعجل عالم ورع والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب الليل لا يبالي من أين اكتسب وفيم أنفق والله أعلم *

(سورة الفيل مكية وهي خمس آيات)

بسم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) كانت قصة أصحاب الفيل على ما ذكره محمد بن اسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدى أن النجاشي ملك الحبشة كان بعث أرباطا الى اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح بن يكسوم فساخط ارباطا فى أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت طائفة مع ارباط وطائفة مع ابرهة فتزاحفا فقتل ابرهة ارباطا واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشي على عمله ثم ان ابرهة رأى الناس يتجهزون أيام الموسم الى مكة لحج بيت الله عز وجل فبنى كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشي انى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن الملك مثلها ولست منتهيا حتى اصرف اليها حاج العرب فسمع بذلك مالك بن كنانة فخرج لها ليلا فدخل وتغوط فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترأ على فقيل صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذى قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فكتب الى النجاشي يخبره بذلك وسأله ان يبعث اليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج ابرهة فى الحبشة سائرا الى مكة وخرج معهم الفيل فسمعت العرب بذلك فعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن اطاعه من قومه فقاتلوه فهزمه ابرهة واخذ ذا نفر فقال يا أيها الملك استبقنى فان بقائى خير لك من قتلى فاستحياه وأوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمى فى خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيلا فقال نفيل أيها الملك انى دليل بأرض العرب وهاتان يداى على قومى بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن مغيث فى رجال من ثقيف فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك انما تريد البيت الذى بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه ابا رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات أبو رغال وهو الذى يرجم قبره وبعث ابرهة رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود على مقدمة خيله وأمره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود اموال أصحاب الحرم وأصاب لعبد المطلب مائتى بعير ثم ان ابرهة أرسل حناطة الحميرى الى أهل مكة وقال له سل عن شريفها ثم ابلغه ما ارسلك به اليه اخبره انى لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هشام فقال له ان الملك أرسلنى اليك لاخبرك انه لم يأت لقتال الا ان تقاتلوه انما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا لنا به يد انا سنخلى بينه وبين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليله عليه الصلاة والسلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معى الى الملك فزعم بعض العلماء انه أردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فأتاه فقال يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا قال فما غناء رجل اسير لا يأمن ان يقتل بكرة او عشية ولكن سأبعث الى انيس سائس الفيل فانه لى صديق فأسأله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فأرسل الى انيس فأتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال وقد أصاب الملك له مائتى بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لى احب ما وصل اليه من الخير فدخل أنيس على ابرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال يستأذن عليك وانا احب ان تأذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه ابرهة عظمه وأكرمه وكره ان يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فاجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم تر كيف فعل ربك) كيف فى موضع نصب بفعل لا بألم تر لما فى كيف من معنى الاستفهام والجملة سدت مسد مفعولى ترى وفى ألم تر تعجيب اى عجب الله نبيه من كفر العرب وقد شاهدت هذه العظمة من آيات الله والمعنى انك رأيت آثار صنع الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترا فقامت لك مقام المشاهدة (بأصحاب الفيل) روى ان أبرهة بن الصباح ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فخرقها فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره فلما جاء المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل وكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن هرول فأرسل الله طيرا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا وما مات ابرهة حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وروى ان ابرهة أخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فيها فعظم فى عينه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى جئت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وشرفكم فى قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال أنا رب

ما حاجتك الى الملك فقال الترجمان ذلك له فقال له عبد المطلب حاجتي الى الملك أن يرد علي مائتي بعير أصابها لي فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت الآن فيك قال لم قال جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير اصبتها لك قال عبد المطلب أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه مني قال فأنت وذاك فأمر بابله فردت عليه فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر وأمرهم ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الحبش ففعلوا وأتى عبد المطلب الكعبة وأخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم ان يخربوا قراكا

وقال أيضا

لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
جروا جميع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه وأصبح ابرهة بالمغمس وقد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا لم ير مثله في العظم والقوة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا فأقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم أخذ بأذنه وقال له ابرك محمودا وارجع راشدا فانك ببلد الله الحرام فبرك فبعثوه فأبى فضربوه بالمعول في رأسه فأدخلوا محاجنه تحت مراقه ومرافقه فنزعوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فضربوه الى الحرم فبرك وابى أن يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وأرسل الله عز وجل طيرا من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره امثال الحمص والعدس فلما غشين القوم أرسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة احدا الا اهلكته وليس كل القوم اصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون الى الطريق الذي جاؤا منه ويتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض الجبال وفي ذلك يقول نفيل

فانك مارأيت ولن تراه * لدى جنب المحصب مارأينا
حمدت الله اذ ابصرت طيرا * وحصب حجارة تلقى علينا
وكلهم يسائل عن نفيل * كان على للحبشان دينا

وخرج القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون في كل منهل وبعث الله على ابرهة داء في جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت انملة تبعتها مدة من قيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من أصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدي وأما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجا والفيل الاخر شجع فحصب أي رموا بالحصباء وقال بعضهم انفلت أبو يكسوم وزير ابرهة وتبعه طير فحلق فوق رأسه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أنهاها وقع عليه حجر من ذلك الطير فخر ميتا بين يدي النجاشي قال أمية بن أبي الصلت

ان آيات ربنا ساطعات * مايماري فيهن الا الكفور

حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يعوى كأنه معقور

وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة يستطعمان الناس وزعم مقاتل ابن سليمان ان السبب الذى جرأ أصحاب الفيل ان فئة من قريش اججوا نارا حين خرجوا تجارا الى أرض النجاشى فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فأججوا النار واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الى النجاشى فأسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وكان فى مكة يومئذ أبو مسعود الثقفى وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا تستقيم الامور برأيه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك فهذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك فقال أبو مسعود اصعد بنا الى حراء فصعدا الجبل فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فقلدها نعلا واجعلها لله ثم أثبتها فى الحرم فلعل بعض السودان يعقر منها شيئا فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال ابو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى تبع ذلك كساه القباطى البيض وعظمه ونحر له جزورا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال أرى طيرا بيضاء نشأت من شاطئ البحر فقال ارمقها ببصرك اين قرارها قال أراها قد دارت على رؤسنا قال هل تعرفها قال والله ما أعرفها ماهى بنجدية ولا بتهامية ولا عربية ولا شامية قال ما قدرها قال اشباه اليعاسيب فى مناقيرها حصى كأنها حصى الخذف قد أقبلت كالليل يتبع بعضها بعضا امام كل رفقة طير يقودها احمر المنقار اسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلهم اهالت الطير مافى مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما اصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم يؤنسا احدا ثم دنيا فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم سامرين فأصبحوا نياما فلما دنيا من عسكر القوم فاذاهم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها حتى تقع فى دماغه وتخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر فى الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فاخذ فاسا من فوسهم فحفر حتى اعمق فى الارض فملأه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله فملأها ثم قال لابى مسعود اختر ان شئت حفرتك وان شئت فهما لك معا فقال أبو مسعود فاختر لى على نفسك فقال عبد المطلب انى أرى أجود المتاع فى حفرتى فهى لك وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب فى الناس فتراجعوا وأصابوا من فضلها حتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا واعطته القادة فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود فى أهليهما فى غناء من ذلك المال ودفع الله عز وجل عن كعبته واختلفوا فى تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والاصح الذى عليه الاكثرون من علماء السير والتواريخ واهل التفسير انه كان فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقولون ولد عام الفيل وجعلوه تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم وأما التفسير فقوله عز وجل ألم تر أى ألم تعلم وذلك لان هذه الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا ان العلم بها كان حاصلا عنده لان الخبر بها كان مستفيضا معروفا بمكة واذا كان كذلك فكأنه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينا فلهذا قال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانوا فيلة ثمانية وقيل اثنى عشر وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذى كان يقال له محمود وقيل انما وحده لوفاق الآى وفى قصة أصحاب الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته اذ يستحيل فى العقل ان طيرا تأتى من قبل البحر تحمل حجارة ترمى بها ناسا مخصوصين وفيها دلالة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك ان الله تعالى انما فعل ذلك لنصر من ارتضاه وهو محمد صلى الله عليه وسلم الداعى الى توحيده واهلاك من

سخط عليه وليس ذلك لنصرة قريش فانهم كانوا كفارا لا كتاب لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل ان المراد بذلك نصر محمد صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى قال أنا الذى فعلت ما فعلت بأصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لقدومك واذ قد نصرتك قبل قدومك فكيف أتركك بعد ظهورك (ألم يجعل كيدهم) يعنى مكرهم وسعيهم فى تخريب الكعبة (فى تضليل) أى تضييع وخسار وابطال ما أرادوا وأضل كيدهم فلم يصلوا الى ما أرادوا من تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم فخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا وهو قوله تعالى (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) يعنى طيرا كثيرا متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل أبابيل اقاطيع كالابل المؤبلة وقيل أبابيل جماعات فى تفرقة قيل لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقيل ابيل وقيل أبول مثل عجول قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وقيل لها رؤس كرؤس السباع وقيل لها أنياب كأنياب السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره لا تصيب شيئا الا هشمته ووجه الجمع بين هذه الاقاويل فى اختلاف اجناس هذا الطير انه كان فى هذه الصفات كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره فأخبر كل واحد بما بلغه من صفاتها والله أعلم قوله عز وجل (ترميهم بحجارة) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت بالحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل الا خرج من الجانب الآخر وان وقع على رأسه خرج من دبره (من سجيل) قيل السجيل اسم علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون بما كتب الله فى ذلك الكتاب وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط وأصله سنك وكل فارسى معرب وقيل السجيل الشديد (فجعلهم كعصف مأكول) يعنى كزرع وتبن اكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع أوصالهم وتفرقها بتفرق اجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وهو التبن وقيل كالحب اذا أكل فصار اجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذى يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله تعالى أعلم

(تفسير سورة قريش وهى مكية)

وقيل مدنية والاول أصح واكثر وهى أربع آيات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (لايلاف قريش) اختلفوا فى هذه اللام فقيل هى متعلقة بما قبلها وذلك ان الله تعالى ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم بما صنع بالحبشة فقال فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش أى أهلك اصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل أبى بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما فى مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذى عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لا تعلق بينهما وأجيب عن مذهب أبى بن كعب فى جعل هذه السورة والسورة التى قبلها سورة واحدة بان القرآن كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض أيضا باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا فى العلة الجالبة للام فى قوله لايلاف فقيل هى لام التعجب أى اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم أمرهم بعبادته فهو كقوله على وجه التعجب اعجبوا لذلك وقيل هى متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف أى ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والايلاف من ألفت الشئ الفا وهو بمعنى الائتلاف فيكون المعنى لايلاف قريش هذين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا وقيل هو من

الابل وللبيت رب سيحميه (ألم يجعل كيدهم فى تضليل) فى تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك أبيه اى ضيعه يعنى انهم كادوا البيت أولا ببناء القليس ليصرفوا وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل كيدهم بارسال الطير عليهم (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) حزائق الواحدة ابالة قال الزجاج جماعات من ههنا وجماعات من ههنا (ترميهم) وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه يرميهم اى الله او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى (بحجارة من سجيل) هو معرب من سنك كل وعليه الجمهور اى الآجر (فجعلهم كعصف مأكول) زرع اكله الدود

(سورة قريش مكية وهى اربع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لايلاف قريش) متعلق بقوله فليعبدوا أمرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين ودخلت الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التى هى نعمة ظاهرة أو بما قبله اى فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش يعنى ان ذلك الاتلاف لهذا الايلاف وهذا كالتضمين فى الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقا لا يصح الا به وهما فى مصحف أبى سورة واحدة بلا فصل ويروى عن الكسائى ترك التسمية بينهما والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن فى رحلتيهم فلا يجترئ احد عليهم وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش شامى لالاف قريش اى لمؤالفة قريش وقيل يقال ألفته الفا والافا وقريش ولد النضر بن كنانة سموه بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم فسموه بذلك لشدتهم ومنعتهم تشبيها بها وقيل من القرش وهو الجمع والكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم

ألفت كذا أي لزمته وآلفنيه الله أي ألزمنيه الله وقريش هم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو من قريش ومن لم يلده النضر فليس بقرشي (م) عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في الخير والشر (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد هوان قريش أهانه الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أذقت أول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب النكال العذاب والشدة والنوال العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقريش وهو الجمع والتكسب يقال فلان يقرش لعياله ويقترش لهم أي يكتسب وذلك لان قريشا كانوا قوما تجارا وعلى جمع المال والافضال حراصا وقال أبو ريحانة سأل معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر هي من أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين الا أكلته وهي تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم وأنشد شعر الجمحي

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حي قريش * يأكلون البلاد أكلا كشيشا
ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والخموشا
يملأ الارض خيلة ورجالا * يحشرون المطي حشرا كميشا

وقيل ان قريشا كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب وأنزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش التجمع يقال تقرش القوم اذا تجمعوا وسمي ابو قريش مجمعا لذلك قال الشاعر

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وقوله تعالى (إيلافهم) هو بدل من الاول تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظم المنة فيه (رحلة الشتاء والصيف) قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فأمرهم الله تعالى ان يقيموا بالحرم ويعبدوا رب البيت وقال الاكثرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة رحلة في الشتاء الى اليمن لانها ادفأ ورحلة في الصيف الى الشأم وكان الحرم واديا مجدبا لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكانوا لا يتعرض لهم أحد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم وتعزهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف فشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشأم فأخصبت بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة أهل الساحل حملوا طعامهم في البحر على السفن الى مكة وأهل البر حملوا على الابل والحمير فألقى أهل الساحل الى جدة وأهل البر بالمحصب واخصب الشأم فحملوا الطعام الى مكة وألقوا بالابطح فامتار أهل مكة من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فكانوا يقسمون ربحهم بين الغني والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الكلبي كان أول من حمل السمراء يعني القمح الى الشأم ورحل اليها الابل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر

قل للذي طلب السماحة والندى * هلا مررت بآل عبد مناف
هلا مررت بهم تريد قراهم * منعوك من ضر ومن اكفاف
الرائشين وليس يوجد رائش * والقائلين هلم للاضياف

وضربهم في البلاد (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) اطلق الايلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به واراد رحلتي الشتاء والصيف فأفرد لامن الالباس وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشأم فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله فلا يتعرض

والخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يكون فقيرهم كالكافي
والقائمين بكل وعد صادق * والراحلين برحلة الايلاف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف
سفرين سنهما له ولقومه * سفر الشتاء ورحلة الاصياف

قوله عزوجل (فليعبدوا رب هذا البيت) يعني الكعبة وذلك ان الانعام على قسمين أحدهما دفع ضر وهو ما ذكره في سورة الفيل والثاني جلب نفع وهو ما ذكره في هذه السورة ولما دفع الله عنهم الضر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان أمرهم بالعبودية واداء الشكر وقيل انه تعالى لما كفاهم أمر الرحلتين أمرهم ان يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه هو (الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ومعنى الذي أطعمهم من جوع أي من بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد في البر والبحر وقيل في معنى الآية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد عليهم القحط وأصابهم الجوع والجهد فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخصبت البلاد وأخصبت أهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أي بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم أحد في رحلتهم وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام والله أعلم

(تفسير سورة الماعون وهي مكية)

وقيل نزل نصفها بمكة في العاص بن وائل والنصف الثاني بالمدينة في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وهي سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمسة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عزوجل (أرأيت الذي يكذب بالدين) قيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل في الوليد ابن المغيرة وقيل في عمرو بن عائذ المخزومي وفي رواية عن ابن عباس انها في رجل من المنافقين ومعنى الآية هل عرفت الذي يكذب بيوم الجزاء والحساب فان لم تعرفه (فذلك الذي يدع اليتيم) ولفظ أرأيت استفهام والمراد به المبالغة في التعجب في حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل أحد والمعنى أرأيت أيها الانسان أو يا أيها العاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك فذلك الذي يدع اليتيم أي يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بعنف وجفوة والمعنى أنه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل يترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه ويستخف به وقرئ يدعو بالتخفيف اي يدعوه ليستخدمه قهرا واستطالة (ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يطعمه ولا يأمر باطعامه لانه يكذب بالجزاء وهذا غاية البخل لانه يبخل بماله وبمال غيره فلا يأمر غيره بالاطعام قوله تعالى (فويل للمصلين) يعني المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى (الذين هم عن صلاتهم ساهون) روى البغوي بسنده عن سعد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت وقال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلون في العلانية اذا حضروا ومعهم لقوله تعالى (الذين هم يراؤن) وقال تعالى في وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس وقيل ساه عنها لا يبالي صلى أو لم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون عنها يتهاونون بها وقيل هم الذين يصلون رياء وان فاتتهم لم يندموا عليها وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم انها في المنافقين والمؤمن قد يسهو في صلاته والفرق بين الفريقين ان سهو المنافق هو ان لا يتذكرها ويكون

لهم وغيرهم بغارة عليهم (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) التنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف من بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم عليه السلام

(سورة الماعون مختلف فيها وهي سبع آيات)

*(بسم الله الرحمن الرحيم) (أرأيت الذي يكذب بالدين) أي هل رأيت الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه (فذلك الذي يدع اليتيم) أي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة (ولا يحض على طعام المسكين) جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف أي لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين أقدم عليه دل انه مكذب بالجزاء ثم وصل به قوله (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن

فارغا عنها والمؤمن اذا سها في صلاته تداركه في الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله في جميع اجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا من المنافق الذى يعتقد انه لا فائدة في الصلاة فأما المؤمن الذى يعتقد فائدة صلاته وانها عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو في الصلاة يعني انه يصير ساهيا في بعض اجزاء الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان أو حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو منه أحد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق ان السهو عن الصلاة من أفعال المنافق والسهو في الصلاة من أفعال المؤمن الذين هم يراؤن يتركون الصلاة في السر ويصلونها في العلانية والفرق بين المنافق والمرائي ان المنافق هو الذى يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من أهل الدين والصلاح أما من يظهر النوافل ليقتدى به ويأمن على نفسه الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى (ويمنعون الماعون) روى عن على انه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك ان الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم على ترك الصلاة ومنع الزكاة وقال ابن مسعود الماعون الفأس والدلو والقدر واشباه ذلك وهي رواية عن ابن عباس ويدل عليه ماروى عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر أخرجه أبو داود وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون اعلاه الزكاة المفروضة وادناه عارية المتاع وقال محمد ابن كعب القرظي الماعون المعروف كله الذى يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل أصل الماعون من القلة فسمي الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار ويلتحق بذلك البئر والتنور في البيت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع بهما ومعنى الآية الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة الحقيرة فان البخل بها في نهاية البخل قال العلماء ويستحب ان يستكثر في بيته مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله أعلم

(تفسير سورة الكوثر وهي مكية)

قاله ابن عباس والجمهور وقيل انها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهي ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (انا أعطيناك الكوثر) الكوثر نهر في الجنة أعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة اتباعه وامته وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس (خ) عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذى اعطاه الله اياه قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة قال سعيد النهر في الجنة من الخير الذى اعطاه الله اياه وأصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شئ كثير في العدد أو كثير القدر والخطر كوثرا وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التي فضل بها على جميع الخلق فجميع ما جاء في تفسير الكوثر فقد أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم اعطى النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع والاسلام واظهاره على الاديان كلها والنصر على الاعداء وكثرة الفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة وأولى الاقاويل في الكوثر الذى عليه جمهور العلماء انه نهر في الجنة كما جاء مبينا في الحديث (ق) عن أنس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلت ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل خير كثير هو

ويمنعون الماعون) يعني بهذا المنافقين أى لا يصلونها سرا لانهم لا يعتقدون وجوبها ويصلونها علانية رياء وقيل فويل للمنافقين الذى يدخلون أنفسهم في جملة المصلين صورة وهم غافلون عن صلاتهم وانهم لا يريدون بها قربة الى ربهم ولا تأدية للفرض فهم يخفضون ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون ويظهرون للناس انهم يؤدون الفرائض ويمنعون الزكاة وما فيه منفعة وعن أنس والحسن قالا الحمد لله الذى قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم لان معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره والمراآة مفاعلة من الاراءة لان المرائي يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار الفرائض فمن حقها الاعلان بها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله والاخفاء في التطوع أولى فان اظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا والماعون الزكاة وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما يتعاور في العادة بين الناس من القدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة رضى الله عنها الماء والنار والملح والله أعلم

(سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا أعطيناك الكوثر) هو فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة وقيل هو نهر في الجنة أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الخير الكثير فقيل له ان ناسا يقولون هو نهر في الجنة

حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب انه من أمتي فيقول ما تدري ما أحدث بعدك لفظ مسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السماء اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فاذا طينه او طينته مسك أذفر شك الراوي عن أنس رضي الله عنه قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذلك نهر أعطانيه الله يعني في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق الجزر قال عمر ان هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلتها أنعم منها أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عامر بن عبد الله بن مسعود قال سألت عائشة عن قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر فقالت الكوثر نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه در مجوف آنيته كعدد نجوم السماء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها لا يظمأ أبدا زاد في رواية وزواياه سواء (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امامكم حوضي ما بين جانبيه كما بين جرباء وأذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة ايام وفي رواية فيه أباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين ناحيتي وفي رواية لابتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة وفي رواية مثل ما بين المدينة وعمان وفي رواية قال ان قدر حوضي كما بين أيلياء وصنعاء اليمن وان فيه من الاباريق كعدد نجوم السماء (م) عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفسي بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل (م) عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لبعقر حوضي اذود الناس لاهل اليمن اضرب بعصاي حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامي الى عمان وسئل عن شرابه فقال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من الورق (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دوني فأقول اي رب اصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن رب اصحابي اصحابي فليقالن انك لا تدري ما أحدثوا بعدك وفي رواية ليردن على ناس من أمتي الحديث وفي آخره فأقول سحقا لمن بدل بعدي (ق) عن أبي هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي أو قال من أمتي فيحلؤن عن الحوض فأقول رب اصحابي فيقول انك لا علم لك بما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد على أمتي الحوض وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا يا نبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون الي فأقول يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاذودن رجالا عن حوضي كما تذاد الغريبة من الابل عن الحوض (م) عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان حوضي لابعد من ايلياء الى عدن والذي نفسي بيده لاذودن عنه الرجل كما يذود الرجل الابل الغريبة عن ابله قالوا يا رسول الله وتعرفنا قال نعم تردون

على غرا محجلين من آثار الوضوء وليست لاحد من غيركم عن زيد بن أرقم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما أنتم الا جزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة أو ثمانمائة أخرجه أبو داود

(فصل فى شرح هذه الاحاديث وذكر ما يتعلق بالحوض) قال الشيخ محيى الدين النووى قال القاضى عياض أحاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وأبى سعيد وسهل بن سعد وجندب بن عبد الله بن عمرو وعائشة وأم سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وأبى ذر وثوبان وأنس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية أبى بكر الصديق وزيد بن أرقم وأبى امامة وعبد الله بن زيد وسويد بن حبلة وعبد الله بن الصنابحى والبراء بن عازب وأسماء بنت أبى بكر الصديق وخولة بنت قيس وغيرهم قال الشيخ محيى الدين ورواه البخارى ومسلم ايضا من رواية أبى هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمرو وآخرين وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتابه البعث والنشور بأسانيده وطرقه المتكاثرة قلت وقد اتفقا على اخراج حديث الحوض عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة على ما سبق ذكره فى الاحاديث وفيه بيان ما اتفقا عليه وانفرد كل واحد منهما واخرجا ايضا حديث الحوض عن أسماء بنت أبى بكر الصديق وذكرها القاضى عياض فيمن خرج له من الصحيحين قال القاضى عياض وفى بعض هذا ما يقتضى كون الحديث متواترا واما صفة الحوض ومقداره فقد قال فى رواية حوضى مسيرة شهر وفى رواية ما بين جنبيه كما بين جرباء واذرح وفى رواية كما بين ايلياء وصنعاء اليمن وفى رواية عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلياء وفى رواية ان حوضى لابعد من ايلة الى عدن فهذا الاختلاف فى هذه الروايات فى قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيها لانه لم يأت فى حديث واحد بل فى أحاديث مختلفة الرواية عن جماعات من الصحابة سمعوها من النبى صلى الله عليه وسلم فى مواطن مختلفة ضربها النبى صلى الله عليه وسلم مثلا لبعد اقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على افهام السامعين لبعد ما بين هذه البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحرير بل لاعلام السامعين عظم بعد المسافة وسعة الحوض وليس فى ذكر القليل من هذه المسافة منع من الكثير فان الكثير ثابت على ظاهره وصحت الرواية به والقليل داخل فيه فلا معارضة ولا منافاة بينهما وكذلك القول فى آنية الحوض من ان العدد المذكور فى الاحاديث على ظاهره وانها أكثر عددا من نجوم السماء ولا مانع يمنع من ذلك اذ قد وردت الاحاديث الصحيحة الثابتة بذلك وكذلك القول فى الواردين الى الحوض الشاربين منه وكثرتهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما أنتم الا جزء من مائة ألف جزء ممن يرد الحوض لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور وانما ضرب به مثلا لاكثر العدد المعروف للسامعين ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم من ورد شرب منه فهذا صريح فى ان جميع الواردين يشربون وانما يمنع منه الذين يذادون ويمنعون الورود لارتدادهم وتبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج العبد منهم فأقول رب انه من أمتى فيقول ما تدرى ما أحدث بعدك وفى رواية وليرفعن الى رجال منكم حتى اذا هويت لاناولهم اختلجوا دونى فأقول اى رب أصحابى فيقول انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ونحو هذا من الروايات المذكورة فى الاحاديث السابقة وهذا مما اختلف العلماء فى معناه وفى المراد به من هم فقيل المراد بهم المنافقون المرتدون فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل انهم اذا حشروا عرفهم النبى صلى الله عليه وسلم للسيما التى عليهم فيناديهم فيقال له ليس هؤلاء ممن وعدت بهم انهم قد بدلوا بعدك أى لم يكونوا على ما ظهر من اسلامهم وقيل المراد بهم من اسلموا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده فى زمن أبى بكر الصديق وهم الذين قاتلهم على الردة وهم اصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبى صلى الله عليه وسلم لما كان يعرف من ايمانهم فى حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم اصحاب البدع الذين لم يخرجوا

بدعتهم عن الاسلام واصحاب المعاصى الكبائر الذين ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم فعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء المطرودين عن الحوض بالنار بل يجوز ان يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة من غير عذاب وقال ابن عبد البر كل من احدث فى الدين كالخوارج والروافض وسائر اصحاب الاهواء فهو من المطرودين عن الحوض قال وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر فكل هؤلاء يخاف ان يكونوا ممن عنى بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم يظمأ أبدا قال القاضى عياض ظاهر هذا الحديث ان الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ويحتمل ان من شرب منه من هذه الامة وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب منه الا من ارتد وصار كافرا وقيل ان جميع المؤمنين يأخذون كتبهم بأيمانهم ثم يعذب الله من شاء من عصاتهم وقيل انما يأخذ بيمينه الناجون منهم خاصة والشرب من الحوض مثله (شرح غريب ألفاظ الاحاديث) قوله فيختلج العبد منهم اى ينتزع ويجذب منهم قوله ما بين جنبيه كما بين جربا واذرح اما جرباء فبجيم ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم ألف مقصورة ووقع عند بعض رواة البخارى فيها المد والقصر اولى وهى قرية من الشأم واما اذرح فبهمزة ثم ذال معجمة ثم حاء مهملة وهى فى طرف الشأم قريب من الشوبك وأما عمان فبفتح العين وتشديد الميم بليدة بالبلقاء من ارض الشأم واما أيلياء فبفتح الهمزة واسكان المثناة تحت وفتح اللام مدينة معروفة فى طرف الشأم على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة وبينها وبين مصر ثمان مراحل والى دمشق اثنا عشر مرحلة وهى آخر الحجاز وأول الشأم وأما صنعاء فهى قاعدة اليمن واكبر مدنه وانما قيد باليمن فى الحديث لان بدمشق موضعا يعرف بصنعاء دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافات والجمع بين رواياتها قوله يشخب فيه ميزابان هو بفتح الياء المثناة تحت وبالشين والخاء المعجمتين اى يسيل فيه وفى الحديث الآخر يغت بفتح الياء وبالغين المعجمة وكسرها وتشديد التاء المثناة فوق اى يدفق منه ميزابان تدفقا شديدا متتابعا قوله انى لبعقر حوضى هو بضم العين المهملة واسكان القاف وهو موقف الابل من الحوض اذا وردته للشرب وقيل هو مؤخر الحوض قوله اذود الناس اى اضرب الناس لاهل اليمن بعصاى حتى يرفض عليهم معناه أطرد الناس عنه غير اهل اليمن ومعنى يرفض اى يسيل عليهم وفيه منقبة عظيمة لاهل اليمن قوله أنا فرطكم على الحوض الفرط بفتح الفاء والراء هو الذى يتقدم على الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من آلات الاستقاء والمعنى أنا سابقكم على الحوض كالمهيئ له قوله سحقا أي بعدا وفيه دليل لمن قال انهم اهل الردة اذ لا يقال للمؤمن سحقا بل يشفع قلت فى حديث أنس الاول دليل لمن يقول ان سورة الكوثر مدنية وهو الاظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ أغفى اغفاءة يعنى نام نومة ثم رفع رأسه متبسما والله أعلم قوله تعالى (فصل لربك وانحر) معناه ان ناسا كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون لغير الله فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلى له وينحر له متقربا اليه بذلك وقيل معناه فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال ابن عباس فصل لربك وانحر أى ضع يدك اليمنى على اليسرى فى الصلاة عند النحر وقيل هو رفع اليدين مع التكبير الى النحر حكاه ابن الجوزى ومعنى الآية قد أعطيتك ما لا نهاية لكثرته من خير الدارين وخصصتك بما لم أخص به أحدا غيرك فاعبد ربك الذى اعطاك هذا العطاء الجزيل والخير الكثير واعزك وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك فوقهم فصل له واشكره على انعامه عليك وانحر البدن متقربا اليه (ان شانئك) يعنى عدوك ومبغضك (هو الابتر) يعنى هو الاذل المنقطع دابره نزلت فى العاص بن وائل السهمى وذلك انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد وهو داخل فالتقيا عند باب بنى سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس فى المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذى كنت تتحدث معه فقال ذاك الابتر يعنى به النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد توفى

فقال هو من الخير الكثير (فصل لربك) فاعبد ربك الذى اعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله (وانحر) لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لعبدة الاوثان فى النحر لها (ان شانئك) أى من أبغضك من قومك بمخالفتك لهم (هو الابتر) المنقطع عن كل خير لا أنت لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك فى الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له أبتر انما الابتر هو شانئك المنسى فى الدنيا والآخرة قيل نزلت فى العاص بن وائل بماما الابتر والابتر الذى لا عقب له وهو خبر ان وهو فصل

ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل ان العاص بن وائل كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل ابتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزلت فى كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت له قريش نحن أهل السقاية والسدانة وأنت سيد أهل المدينة فنحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه فقال انتم فنزلت فيه ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ونزلت فى الذين قالوا انه أبتر ان شانئك هو الابتر أى المنقطع من كل خير قولهم فى النبى صلى الله عليه وسلم هذا الصنبور ارادوا انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة المنفردة يدق أسفلها وتسمى الصنبور وقيل هى النخلة التى تخرج فى أصل اخرى تغرس وقيل الصنابر سعفات تنبت من جذع النخلة تضر بها ودواؤها ان تقطع تلك الصنابر منها فأراد كفار مكة ان محمدا صلى الله عليه وسلم بمنزلة الصنابر تنبت فى جذع نخلة فاذا انقلع استراحت النخلة فكذا محمدا اذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور الوحيد الضعيف الذى لا ولد له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا غريب فأكذبهم الله تعالى فى ذلك ورد عليهم أشنع رد فقال ان شانئك يا محمد هو الابتر الضعيف الوحيد الحقير وأنت الاعز الاشرف الاعظم والله أعلم بمراده

(تفسير سورة قل يا أيها الكافرون وهى مكية)

وست آيات وست وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله احد عدلت له ثلث القرآن أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل ربع القرآن ان القرآن مشتمل على الامر والنهى وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك اربعة أقسام وهذه السورة مشتملة على النهى عن عبادة غير الله تعالى وهى من الاعتقاد وذلك من افعال القلوب فكانت هذه السورة ربع القرآن على هذا التقسيم والله سبحانه وتعالى اعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قل يا أيها الكافرون) الى آخر السورة نزلت فى رهط من قريش منهم الحارث بن قيس السهمى والعاص بن وائل السهمى والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب بن أسد وأمية بن خلف قالوا يا محمد هلم اتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك فى ديننا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذى جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه وأخذنا حظنا منه وان كان الذى بأيدينا خيرا كنت قد شركتنا فى امرنا وأخذت بحظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتى انظر ما يأتى من ربى فأنزل الله قل يا أيها الكافرون الى آخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه أولئك الملأ من قريش فقام على رؤسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه وقيل انهم لقوا العباس فقالوا يا أبا الفضل لو ان ابن أخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه فيما يقول ولآمنا باله فأتاه العباس فأخبره بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل نزلت فى أبى جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم ومعنى ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بتبليغ الرسالة بجميع ما أوحى اليه فلما قال الله تعالى قل يا أيها الكافرون أداه النبى صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام فكانه صلى الله عليه وسلم قال أمرت بتبليغ جميع ما أنزل الله على وكان فيما انزل عليه قل يا أيها الكافرون وقيل ان النفوس تأبى سماع الكلام الغليظ الشنيع من النظير ولا أشنع ولا اغلظ من المخاطبة بالكفر فكانه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندى انما هو من عند الله عز وجل وقد أنزل الله قل يا أيها

الكافرون والمخاطبون بقوله يا أيها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق في علم الله انهم لا يؤمنون (لا أعبد ما تعبدون) في معنى الآية قولان أحدهما انه لا تكرار فيها فيكون المعنى لا أعبد ما تعبدون لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة الهي ثم قال (ولا أنا عابد ما عبدتم) أي ولست في الحال بعابد معبودكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أنتم في الحال بعابدين معبودي وقيل يحتمل ان يكون الاول للحال والثاني للاستقبال وقيل يصلح كل واحد منهما ان يكون للحال والاستقبال ولكن يختص أحدهما بالحال والثاني بالاستقبال لانه أخبر أولا عن الحال ثم أخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون المعنى لا أعبد ما تعبدون في الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد في الاستقبال وما بمعنى من اى من أعبد ويحتمل ان تكون بمعنى الذى أي الذى أعبد القول الثاني حصول التكرار في الآية وعلى هذا القول يقال ان التكرار يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة الى التوكيد أشد كان التكرار أحسن ولا موضع أحوج الى التوكيد من هذا الموضع لان الكفار راجعوا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى مرارا فحسن التوكيد والتكرار في هذا الموضع لان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز وقيل تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان سرك ان ندخل في دينك عاما فادخل في ديننا عاما فنزلت هذه السورة جوابا لهم على قولهم (لكم دينكم ولي دين) أي لكم كفركم ولي اخلاصي وتوحيدي والمقصود منه التهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم وهذه الآية منسوخة بآية القتال والله أعلم

(تفسير سورة النصر وهي مدنية)

وثلاث آيات وسبع عشرة كلمة وسبع وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اذا جاء نصر الله والفتح) يعني فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما ذكره محمد بن اسحاق وأصحاب الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين وقيل عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من أحب ان يدخل في عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن أحب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم ان بني بكر عدت على خزاعة وهم على ماء لهم أسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الدئلي في بني الدئل من بني بكر حين بقيت خزاعة على الوتير فأصابوا منهم رجلا وتحاوروا واقتتلوا ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى انتهوا الى الحرم وكان ممن أعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بأنفسهم بكر بن صفوان بن أمية وعكرمة ابن أبي جهل وسهيل بن عمرو ومع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الى الحل فقال كلمة عظيمة انه لا اله اليوم يا بني بكر اصيبوا ثاركم فلعمري انكم لتسترقون في الحرم فلا تصيبون ثاركم فيه قال فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا وانقضى ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق مما استحلوا من خزاعة خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال

يا رب اني ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا * ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا

فانصر

عليهم فأيسوا (لا أعبد ما تعبدون) أي لست في حالي هذه عابدا ما تعبدون (ولا أنتم عابدون) الساعة (ما أعبد) يعني الله (ولا أنا عابد ما عبدتم) ولا أعبد فيما استقبل من الزمان ما عبدتم (ولا أنتم) فيما تستقبلون (عابدون ما أعبد) وذكر بلفظ ما لان المراد به الصفة أي لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق أو ذكر بلفظ ما للتقابل الالفاظ ولم يصح في الاول من وضع في الثاني بمعنى الذي (لكم دينكم ولي دين) لكم شرككم ولي توحيدي وبفتح الياء نافع وحفص وروي ان ابن مسعود رضي الله عنه دخل المسجد والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فقال له نابذ يا ابن مسعود فقرأ قل يا أيها الكافرون ثم قال له في الركعة الثانية أخلص فقرأ قل هو الله أحد فلما سلم قال يا ابن مسعود سل تجب والله أعلم

(سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا) منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة وروي انها نزلت في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع (جاء نصر الله والفتح) النصر الاعانة والاظهار على العدو والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب او على قريش وفتح مكة او جنس نصر الله المؤمنين وفتح

فانصر هداك الله نصرا اعتدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * ان سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا * ان قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا * وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا ان لست أدعو أحدا * وهم اذل واقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا
* فانصر هداك الله نصرا أبدا *

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما اصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كانكم بأبي سفيان قد جاء يشدد في العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقاء واصحابه حتى لقوا أبا سفيان قد بعثه قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدد في العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا من الذي صنعوا فلما لقي أبو سفيان بديلا قال من أين اقبلت يا بديل وظن انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت في خزاعة في بطن هذا الوادي قال وهل اتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال أبو سفيان لئن جاء المدينة لقد علف منها النوى فعمد الى مبرك ناقته فاخذ من بعرها ففته فرأى فيها النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته ام حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال اي بنية ارغبت بي عن هذا الفراش ام رغبت به عني فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت رجل مشرك نجس لم احب ان تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب الى ابي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل ثم اتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال انا اشفع لك الى النبي صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي بن ابي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن علي غلاما يدب بين يديها فقال يا علي انك احسن القوم رحما وأقربهم مني قرابة وقد جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا فاشفع لي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا ابا سفيان لقد أرى عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر ما نستطيع ان نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يا بنت محمد هل لك ان تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر فقالت والله ما بلغ بني ان يجير بين الناس وما يجير احد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا الحسن اني أرى الامور قد اشتدت علي فانصحني قال والله لا أعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال وترى ذلك مغنيا عني شيئا قال والله ما أظن ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في المسجد فقال أيها الناس اني قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ماوراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد علي شيئا ثم جئت ابن أبي قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم ثم أتيت علي بن ابي طالب فوجدته ألين القوم وقد أشار علي بشئ صنعته فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئا أم لا قالوا وماذاك قال أمرني أن أجير بين الناس ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد قال لا قالوا والله مازاد على ان لعب بك فما يغني عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وامر اهله ان يجهزوه

فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي بنية امركم
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه قالت نعم قال فأين ترينه يريد قالت لا والله ما أدري ثم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس انه سائر الى مكة وامرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار
عن قريش حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي
اجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته في تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة ابارهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا الى مكة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام
النبي صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين عسفان ورابغ افطر ثم مضى حتى
نزل بمر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف من الانصار والمهاجرين عنه احد فلما نزل بمر
الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش ولا يأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو
فاعل خرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار
وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته
ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال
العباس بن عبد المطلب ليلتئذ واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة
قبل ان يأتوه فيستأمنوه انه الهلاك لقريش الى آخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه
وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلي أجد حطابا أو صاحب لبن او ذا حاجة يدخل مكة
فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل ان يدخلها عنوة قال العباس
فوالله اني لاسير عليها والتمس ما خرجت له اذ سمعت كلام ابي سفيان وبديل بن ورقاء وابو سفيان يقول
ما رأيت كالليلة نيرانا قط فقال بديل هذه والله نيران خزاعة فقال ابو سفيان خزاعة أذل واقل من ان
تكون هذه نيرانها فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال يا أبا الفضل فقلت نعم قال
مالك فداك أبي وأمي قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء بما لا قبل
لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال وا الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه
البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك فردفني ورجع صاحباه فخرجت اركض
به على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من نيران المسلمين ينظرون الي ويقولون عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا فقام الي فلما رأى ابا سفيان
على عجز البغلة قال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذي امكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو
رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته كما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء قال فاقتحمت
عن البغلة سريعا فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا عدو
الله أبو سفيان قد امكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني اضرب عنقه قال فقلت يا رسول الله اني قد أجرته
ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه وقلت والله لا يناجيك الليلة احد دوني فلما
أكثر عمر في شأنه قلت مهلا يا عمر فوالله ما تصنع هذا الا انه رجل من بني عبد مناف ولو كان من بني
عدي بن كعب ما قلت هذا فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان احب من اسلام الخطاب
لو اسلم وما ذاك الا اني اعلم ان اسلامك كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب
لو اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت فائتني به قال
فذهبت الى رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال ويحك
يا أبا سفيان ألم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله واني رسول الله قال بأبي أنت وامي ما احلمك واكرمك والله

لقد ظننت ان لو كان مع الله غيره لقد اغنى عنى شيئا بعد قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك ان تعلم انى رسول الله قال بأبى انت وامى ما أحلمك وأكرمك واوصلك اما هذه فان فى النفس منها حتى الآن شيئا فقال العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان يضرب عنقك فتشهد شهادة الحق واسلم قال العباس فقلت يارسول الله ان اباسفيان هذا رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس احبسه بمضيق الوادى عند حطم الخيل حتى يرى حين تمر به جنود الله قال فخرجت به حيث امرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احبسه قال ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال من هؤلاء فأقول مزينة فيقول مالى ولمزينة حتى نفدت القبائل لا تمر قبيلة الا سألنى عنها فاذا أخبرته فيقول مالى ولبنى فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء وانما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله من هؤلاء يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والانصار قال ما لاحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد اصبح ملك ابن أخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة قال فنعم اذا فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى أتى مكة فصرخ فى المسجد بأعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به قالوا فمه قال قال من دخل دار ابى سفيان فهو آمن قالوا ويحك وما تغنى عنا دارك قال من دخل المسجد فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد قال وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الاسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة بعث فى اثرهما الزبير واعطاه رايته وامره على خيل المهاجرين والانصار وأمره ان يركز رايته بأعلى مكة بالحجون وقال لا تبرح حين أمرتك ان تركز رايتى حتى آتيك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حبرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله عز وجل حين رأى ما أكرمه به من الفتح حتى ان رأسه لتكاد تمس واسطة الرحل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته بأعلى مكة وامر خالد بن الوليد فيمن اسلم من قضاعة وبنى سليم ان يدخلوا من اسفل مكة وبها بنو بكر وقد استنفرتهم قريش وبنو الحارث ابن عبد مناف ومن كان من الاحابيش امرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة وان صفوان بن أمية وعكرمة بن ابى جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا أناسا ليقاتلوا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا الا من قاتلكما وامر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كدى فقال سعد حين توجه داخلا * اليوم يوم الملحمه * اليوم تحل الحرمه * فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع ماقال سعد بن عبادة وما نأمن ان يكون له فى قريش صولة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابى طالب ادركه فخذ الراية فكن انت الذى تدخل بها فلم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال واما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبنى بكر والاحابيش بأسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد بن الوليد شذا وسلكا طريقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى أمرائه من المسلمين حين امرهم ان يدخلوا مكة ان لا يقاتلوا الا من قاتلهم الا نفرا منهم سماهم امر بقتلهم وان وجدوا تحت أستار الكعبة عبد الله بن سعد بن ابى سرح وانما امر بقتله لانه كان قد اسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله

عليه وسلم بعد ان اطمأن اهل مكة فاستأمنه له وعبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب وانما
أمر بقتله لانه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما
فنزل منزلا وامر المولى ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله ثم
ارتد مشركا وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتلهما معه والحويرث بن
نفيل بن وهب وكان ممن يؤذيه بمكة ومقيس بن ضبابة وانما أمر بقتله لقتله الانصاري الذي قتل اخاه
خطأ ورجوعه الى قريش مرتدا وسارة مولاة لبني عبد المطلب وكانت ممن يؤذيه بمكة وعكرمة بن ابي
جهل فأما عكرمة فهرب الى اليمن واسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فاستأمنت له رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فخرجت في طلبه حتى اتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عبد الله بن
حنظلة فقتله سعد بن حريث المخزومي وابو برزة الاسلمي اشتركا في دمه واما مقيس بن ضبابة فقتله غيلة
ابن عبد الله رجل من قومه واما قينتا ابن خطل فقتلت احداهما وهربت الاخرى حتى استؤمن
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنها واما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأمنها فعاشت حتى اوطأها رجل من الناس فرساله في زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها واما
الحويرث ابن نفيل فقتله علي بن أبي طالب قالت أم هانئ لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى
مكة فر الي رجلان من احمائي من بني مخزوم وكانت عند هبيرة بن ابي وهب المخزومي قالت فدخل
علي علي بن أبي طالب اخي فقال والله لاقتلنهما فأغلقت عليهما باب بيتي ثم جئت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة وان فيها الاثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما
اغتسل اخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثماني ركعات الضحى ثم انصرف الي فقال مرحبا واهلا بأم هانئ
ما جاء بك فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي بن أبي طالب فقال قد اجرنا من اجرت وأمنا من أمنت فلا
تقتلهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمأن الناس حتى جاء البيت فطاف به سبعا على
راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة واخذ منه مفتاح الكعبة
ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد
استكف له الناس في المسجد فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده الا كل مأثرة ودم ومال يدعى فهي تحت قدمي هذين الا سدانة البيت وسقاية الحاج
الا وقتل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل أربعون منها خلفة في بطونها
أولادها يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من
تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني
فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال فاذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المسجد وقد كان الله امكنه منهم عنوة فبذلك سموا أهل مكة الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقام اليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة بيده فقال يا رسول الله اجمع لنا بين الحجابة والسقاية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعي به فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم
وفاء وبر قال واجتمع الناس للبيعة فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب
أسفل منه يأخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال
بايع النساء قال عروة بن الزبير خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب
الجمحي يا رسول الله ان صفوان بن أمية سيد قومي قد خرج هاربا منك ليقذف بنفسه في البحر فأمنه
يا رسول الله فقال هو آمن قال يا رسول الله اعطني شيئا يعرف به أمانك فأعطاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى ادركه بجدة وهو يريد ان يركب البحر فقال
يا صفوان فداك أبي وامي اذكر الله في نفسك ان تهلكها فهذا أمان رسول الله صلى الله عليه وسلم

جئتك به فقال ويلك اعزب عني لا تكلمني قال فداك ابي وامي افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني اخافه على نفسي قال هو اسلم من ذلك واكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم انك أمنتني قال صدق قال فاجعلني في ذلك بالخيار شهرين قال انت بالخيار اربعة اشهر قال ابن هشام وبلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها اقام على الصفا يدعو وقد احدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم اترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليه مكة ارضه وبلاده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم قال ابن اسحاق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا (ق) عن ابي هريرة ان خزاعة قتلوا رجلا من بني ليث عام الفتح بقتيل لهم في الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فحمد الله واثنى عليه وقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين الا وانها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد من بعدي الا وانما أحلت لي ساعة من نهار الا وانها ساعتي هذه فلا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا يقطع شوكها ولا تحل ساقطتها الا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما أن يفتدي واما أن يقيد فقال العباس الا الاذخر فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فقام ابو شاه رجل من اهل اليمن فقال اكتبوا لي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابي شاه قال الاوزاعي يعني الخطبة التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم واما التفسير فقوله تعالى اذا جاء نصر الله يعني اذا جاءك يا محمد نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش ومعنى مجيء النصر ان جميع الامور مرتبطة بأوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها أو تأخرها عنه فاذا جاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهذا المعنى قال اذا جاء نصر الله والفتح يعني فتح مكة في قول جمهور المفسرين وقيل هو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم على الاطلاق والفرق بين النصر والفتح أن النصر هو الاعانة والاظهار على الاعداء وهو تحصيل المطلوب وهو كالسبب للفتح فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف عليه الفتح وقيل النصر هو اكمال الدين واظهاره والفتح هو الاقبال الذي هو تمام النعمة (ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا) يعني زمرا وارسالا القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض اذا ظفر الله محمدا بأهل الحرم وكان قد اجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله افواجا بعد ان كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين وقيل اراد بالناس اهل اليمن (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية ودين الله هو الاسلام واضافه اليه تشريفا وتعظيما له كبيت الله وناقة الله قوله (فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) يعني فانك حينئذ لاحق به (ق) عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا ابناء مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال وما رأيت انه كان دعاني يومئذ الا ليريهم قال ما تقولون في قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم امرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي أكذلك تقول يا ابن عباس قال قلت لا قال فما هو قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال عمر ما اعلم منها الا ما تعلم (ق) عن عائشة قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان أنزلت عليه اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك

بلاد الشرك عليهم (ورأيت الناس يدخلون) هو حال من الناس على ان رايت بمعنى ابصرت أو عرفت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت (في دين الله أفواجا) هو حال من فاعل يدخلون وجواب اذا فسبح اي اذا جاء نصر الله اياك على من ناواك وفتح البلاد ورأيت أهل اليمن يدخلون في ملة الاسلام جماعات كثيرة بعدما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين (فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله حامدا له او فصل له (واستغفره) تواضعا وهضما للنفس او دم على الاستغفار (انه كان) ولم يزل (توابا) التواب الكثير القبول للتوبة وفي صفة العباد الكثير الفعل للتوبة ويروى ان عمر رضي الله عنه لما سمعها بكى وقال الكمال دليل الزوال وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها سنتين والله أعلم

ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثران يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلي يتأول القرآن وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر القول من سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب اليه وقال اخبرني ربي اني سأرى علامة في امتي فاذا رأيتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده واستغفر الله واتوب اليه فقد رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم انه نعيت اليه نفسه وقال الحسن اعلم انه قد اقترب اجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم بالزيادة في العمل الصالح قيل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل في معنى السورة اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فاشتغل انت بالتسبيح والتحميد والاستغفار فالاستغفار بهذه الطاعة يصير سببا لمزيد درجاتك في الدنيا والآخرة وفي معنى التسبيح وجهان أحدهما نزه ربك عما لا يليق بجلاله ثم احمده والثاني فصل لربك لان التسبيح جزء من اجزاء الصلاة ثم قيل عنى به صلاة الشكر وهو ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وقيل هي صلاة الضحى وفي الآية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل ذلك كافيا في أداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح فان قلت ما معنى هذا الاستغفار وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قلت انه تعبده الله بذلك ليقتدي به غيره اذلا يأمن كل واحد من نقص يقع في عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف بمن هو دونه وقيل هو من ترك الافضل والاولى لا عن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغائر على الانبياء يكون المعنى واستغفره لما عسى ان يكون قد وقع من تلك الامور منه وقيل المراد منه الاستغفار لذنوب أمته وهذا ظاهر لان الله تعالى امره بذلك في قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله سبحانه وتعالى اعلم

(تفسير سورة أبي لهب وهي مكية)

وخمس آيات وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (تبت يدا أبي لهب) (ق) عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الى الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت عليه قريش الحديث وذكر نحوه ومعنى تبت خابت وخسرت والتب هو الخسار المفضي الى الهلاك والمراد من اليد صاحبها او جملة بدنه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشئ عن كله وجميعه وقيل انه رمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فأدمى عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فأضيفت الافعال الى اليد وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكني بأبي لهب لحسنه واشراق وجهه فان قلت لم كناه وفي الكنية تشريف وتكرمة قلت فيه وجوه أحدها انه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف الثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية لما فيه من الشرك الثالث انه كان من أهل النار وما له الى النار والنار ذات لهب فوافقت حاله كنيته وكان جديرا بان يذكر بها (وتب) قيل الاول أخرج

(سورة أبي لهب مكية وهي خمس آيات)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(تبت يدا أبي لهب) التباب الهلاك ومنه قولهم أشابة أم تابة أي هالكة من الهرم والمعنى هلكت يداه لأنه فيما يروى أخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم (وتب) وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل وقد دلت عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقد تب وروي انه لما نزل وأنذر عشيرتك الاقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل أوب فقال عليه الصلاة والسلام يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا فنزلت وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بها دون الاسم او لكراهة اسمه فاسمه عبد العزى أو لأن ماله الى نار ذات لهب فوافقت حاله

مخرج الدعاء عليه والثاني مخرج الخبر كما يقال اهلكه الله وقد هلك وقيل تبت يدا أبي لهب يعني ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وتب يعني نفسه أي وقد أهلكت نفسه (ما أغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن مسعود لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرباءه الى الله تعالى قال أبو لهب ان كان ما تقول يا ابن أخي حقا فأنا أفتدي نفسي بمالي وولدي فأنزل الله تعالى ما أغنى عنه ماله أي أي شئ يغني عنه ماله أي ما يدفع عنه عذاب الله وما كسب يعني من المال وكان صاحب مواش اي ما جمع من المال او ما كسب من المال أي ربح بعد رأس ماله وقيل وما كسب يعني ولده لان ولد الانسان من كسبه كما جاء في الحديث ان أطيب ما أكلتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم أخرجه الترمذي ثم أوعده بالنار فقال تعالى (سيصلى نارا ذات لهب) أي نارا تلتهب عليه (وامرأته) يعني أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان بن حرب عمة معاوية بن أبي سفيان وكانت في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (حمالة الحطب) قيل كانت تحمل الشوك والحسك بالليل فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لتؤذيهم بذلك وهي رواية عن ابن عباس فان قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت يحتمل انها كانت مع كثرة مالها وشرفها في نهاية البخل والخسة فكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها ويحتمل انها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ترى انها تستعين في ذلك بأحد بل تفعله هي بنفسها وقيل كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث وتلقي العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على فلان اذا كان يغرى به وقيل حمالة الخطايا والآثام التي حملتها في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كانت كالحطب في مصيرها الى النار (في جيدها) أي عنقها (حبل من مسد) قال ابن عباس سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها في عنقها فتلت من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل الذي كانت تحتطب به فبينما هي ذات يوم حاملة الحزمة فأعيت فقعدت على حجر تستريح اتاها ملك فجذبها من خلفها فاهلكها وقيل هو حبل من شجر ينبت باليمن يقال له المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت خرزات في عنقها وقيل كانت لها قلادة فاخرة قالت لانفقنها في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى اعلم

(تفسير سورة الاخلاص وهي مكية)

وقيل مدنية وهي اربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا

(فصل في فضلها) (خ) عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يرددها فلما اصبح جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ايعجز أحدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله أحد الله الصمد ثلث القرآن (م) عن ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءا من القرآن (م) عن ابي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ قل هو الله أحد حتى ختمها وقد ذكر العلماء رضي الله عنهم في كونه صلى الله عليه وسلم جعل سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن أقوالا متناسبة متقاربة فقيل ان القرآن العزيز لا يعدو ثلاثة أقسام وهي الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديس اوصافه وأسمائه ومعرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن لان منتهى التقديس في ان يكون واحدا في ثلاثة امور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله

كنيته أبي لهب مكي (ما أغنى عنه ماله) ما للنفي (وما كسب) مرفوع وما موصولة أو مصدرية أي ومكسوبه او وكسبه أي لم ينفعه ماله الذي ورثه من أبيه والذي كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروى انه كان يقول ان كان ما يقول ابن أخي حقا فانا افتدى منه نفسي بمالي وولدي (سيصلى نارا) سيدخل سيصلى البرجمي عن أبي بكر والسين للوعيد أي هو كائن لا محالة وان تراخى وقته (ذات لهب) توقد (وامرأته) هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان (حمالة الحطب) كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشي بالنميمة فتشعل نار العداوة بين الناس ونصب عاصم حمالة الحطب على الشتم وانا احب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من احب شتم أم جميل وعلى هذا يسوغ الوقف على امرأته لانها عطفت على الضمير في سيصلى أي سيصلى هو وامرأته والتقدير اعني حمالة الحطب وغيره رفع حمالة الحطب على انها خبر وامرأته او هي حمالة (في جيدها حبل من مسد) حال أو خبر آخر والمسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلد او غيرهما والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات لتجزع من ذلك ويجزع بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة والله أعلم

(سورة الاخلاص أربع آيات مكية عند الجمهور وقيل مدنية عند أهل البصرة)

لم يلد ولا يكون حاصلا ممن هو نظيره وشبيهه ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون احد في درجته وان لم يكن أصلا له ولا فرعا منه ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا أحد ويجمع ذلك كله قوله قل هو الله أحد وجملته وتفصيله هو قولك لا اله الا الله فهذا سر من أسرار القرآن المجيد الذي لا تتناهى اسراره ولا تنقضي عجائبه وقال الامام فخر الدين الرازي لعل الغرض منه ان يكون المقصود الاشرف في جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاؤه وتنساؤه ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن وقال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله قيل معناه ان القرآن ثلاثة انحاء قصص واحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله أحد متضمنة للصفات فهي ثلث القرآن وجزء من ثلاثة أجزاء وقيل معناه ان ثواب قراءتها مرة يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف قوله يتقالها يقال استقللت الشيء وتقاللته اي عددته قليلا لا في بابه ونظرت اليه بعين القلة قيل سميت قل هو الله أحد سورة الاخلاص اما لانها خالصة لله تعالى في صفته اولان قارئها قد اخلص لله التوحيد ومن فوائد هذه السورة ان الاشتغال بقراءتها يفيد الاشتغال بالله وملازمة الاعراض عما سوى الله تعالى وهي متضمنة تنزيه الله تعالى وبراءته عن كل مالا يليق به لانها مع قصرها جامعة لصفات الاحدية والصمدانية والفردانية وعدم النظير عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد محيت عنه ذنوب خمسين سنة الا ان يكون عليه دين وفي رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أراد ان ينام على فراشه فنام على يمينه فقرأ قل هو الله أحد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول الرب جل جلاله يا عبدي ادخل بيمينك الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعنه أن رجلا قال يا رسول الله اني احب هذه قل هو الله أحد الله الصمد قال حبك اياها أدخلك الجنة أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال اقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قل هو الله أحد) عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فأنزل الله قل هو الله أحد الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شيء يولد الا سيموت وليس شيء يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا أحد قال لم يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله شيء أخرجه الترمذي وقد روي عن ابي العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا انسب لنا ربك فأتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله أحد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن ابي بن كعب وهذا أصح وقال ابن عباس ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر الام تدعونا يا محمد قال الى الله قال صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت هذه السورة وأهلك الله اربد بالصاعقة وعامرا بالطاعون وقد تقدم ذكرهما في سورة الرعد وقيل جاء ناس من أحبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى أنزل نعته في التوراة فأخبرنا من أي شيء هو وهل يأكل ويشرب وممن ورث الربوبية ولمن يورثها فأنزل الله هذه السورة قل هو الله أحد يعني الذي سألتموني عنه هو الله الواحد في الالوهية والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن الشبه والمثل والنظير وقيل لا يوصف أحد بالاحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل أحد ودرهم احد بل أحد صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا شركه فيها أحد والفرق بين الواحد والاحد ان الواحد يدخل في الاحد ولا ينعكس وقيل ان الواحد يستعمل في الاثبات والاحد في

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل هو الله أحد) هو ضمير الشأن والله احد هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كانه قيل الشأن هذا وهو ان الله واحد لا ثاني له ومحل هو الرفع على الابتداء والخبر هو الجملة ولا يحتاج الى الراجع لانه في حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدأ في المعنى وذلك ان قوله الله احد هو الشأن الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه هو الله تعالى وعلى هذا احد خبر مبتدأ محذوف اي هو احد وهو بمعنى واحد واصله وحد فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا والدليل على انه واحد من جهة العقل ان الواحد اما ان يكون في تدبير العالم وتخليقه كافيا اولا فان كان كافيا كان الآخر ضائعا غير محتاج اليه وذلك نقص والناقص لا يكون الها وان لم يكن كافيا فهو ناقص ولان العقل يقتضي احتياج المفعول الى فاعل والفاعل الواحد كاف وما وراء الواحد فليس عدد اولى من عدد فيفضي ذلك الى وجود عدد لا نهاية لها وذا محال فالقول بوجود الهين محال ولان احدهما اما ان يقدر على ان يستر شيئا من افعاله عن الآخر اولا يقدر فان قدر لزم كون المستور عنه جاهلا وان لم يقدر لزم كونه عاجزا ولانا لو فرضنا معدوما ممكن الوجود فان لم يقدر واحد منهما على ايجاده كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها وان قدر أحدهما دون الآخر فالآخر لا يكون الها وان قدرا جميعا فاما ان يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا الى اعانة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزا وان قدر كل واحد منهما على ايجاده بالاستقلال فاذا اوجده أحدهما فاما ان يبقى الثاني قادرا عليه وهو محال وان لم يبق فحينئذ يكون الاول مزيلا قدرة الثاني فيكون عاجزا ومقهورا تحت تصرفه فلا يكون الها فان قلت الواحد اذا اوجد مقدور نفسه فقد زالت قدرته فيلزم كان يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا الواحد اذا اوجد مقدور نفسه فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته

لا يكون عاجزا واما الشريك فانفذت قدرته بل زالت قدرته بسبب قدرة الآخر فكان ذلك عجيزا (الله الصمد) هو فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد لا شريك له وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغني عنهم (لم يلد) لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (ولم يولد) لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده اذ لو لم يكن قديما لكان حادثا لعدم الواسطة بينهما ولو كان حادثا لافتقر الى محدث وكذا الثاني والثالث فيؤدي الى التسلسل وهو باطل وليس بجسم لانه اسم للمتركب ولا يخلو حينئذ من ان يتصف كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء الها فيفسد القول به كما فسد بالهين او غير متصف بها بل باضدادها من سمات الحدوث وهو محال (ولم يكن له كفوا أحد) ولم يكافئه احد اي لم يماثله سألوه ان يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوي على صفاته تعالى فقوله هو الله اشارة الى انه خالق الاشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بأنه قادر عالم لان الخالق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه بأنه حي لان المتصف بالقدرة والعلم لا بد وان يكون حيا وفي ذلك وصفه بأنه سميع بصير مريد متكلم الى غير ذلك من صفات الكمال اذ لو لم يكن موصوفا بها لكان موصوفا باضدادها وهي نقائص وذا من امارات الحدوث فيستحيل اتصاف القديم بها وقوله احد وصف بالوحدانية ونفي الشريك وبأنه المتفرد بايجاد المعدومات والمتوحد بعلم الخفيات وقوله الصمد وصف بأنه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غني لا يحتاج الى أحد ويحتاج اليه كل احد وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة وقوله ولم يولد نفي للحدوث ووصف بالقدم والاولية وقوله ولم يكن له كفوا أحد نفي ان يماثله شيء ومن زعم ان نفي الكفء وهو المثل في الماضي لا يدل على نفيه للحال والكفار يدعونه في الحال فقد تاه في غيه لانه اذا لم يكن فيما مضى لم يكن في الحال ضرورة اذ الحادث لا يكون كفؤا للقديم وحاصل كلام الكفرة يؤول الى الاشراك والتشبيه والتعطيل والسورة تدفع الكل كما قررنا واستحسن سيبويه تقديم الظرف اذا كان مستقرا أي خبرا لانه لما كان محتاجا اليه قدم ليعلم من اول الامر انه خبر لا فضلة وتأخيره اذا كان لغوا أي فضلة لان التأخير مستحق للفضلات وانما قدم في الكلام الافصح لان الكلام سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان الاهم تقديمه وكان ابو عمرو يستحب الوقف على احد ولا يستحب الوصل قال عبد الوارث على هذا ادركنا القراء واذا وصل نون وكسر أو حذف التنوين كقراءة عزير ابن الله كفؤا بسكون الفاء والهمزة حمزة وخلف كفوا مثقلة غير مهموز حفص الباقون مثقلة مهموزة وفي الحديث من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لان القرآن يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى الاوامر والنواهي وعلى القصص والمواعظ وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات فقد تضمنت ثلث القرآن وفيه دليل شرف علم التوحيد وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك الراجين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك وسمع رسول الله صلى الله

النفي تقول في الاثبات رأيت رجلا واحدا وفي النفي ما رأيت أحدا فتفيد العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه احد والاحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه احد (الله الصمد) قال ابن عباس الصمد الذي لا جوف له قال جماعة من المفسرين ووجه ذلك من حيث اللغة ان الصمد الشيء المصمد الصلب الذي ليس فيه رطوبة ولا رخاوة ومنه يقال لسداد القارورة الصماد فان فسر الصمد بهذا كان من صفات الاجسام ويتعالى الله جل وعز عن صفات الجسمية وقيل وجه هذا القول ان الصمد الذي ليس بأجوف معناه هو الذي لا يأكل ولا يشرب وهو الغني عن كل شيء فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال والقصد بقوله الله الصمد التنبيه على انه تعالى بخلاف من أثبتوا له الالهية واليه الاشارة بقوله ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام وقيل الصمد الذي ليس بأجوف وهو شيئان أحدهما دون الانسان وهو سائر الجمادات الصلبة والثاني أشرف من الانسان وأعلى منه وهو الباري جل وعز وقال ابي بن كعب الصمد الذي لم يلد ولم يولد لان من يولد سيموت ومن يموت يورث منه وروى البخاري في افراده عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال الصمد هو السيد الذي انتهى سودده وهي رواية عن ابن عباس أيضا قال هو السيد الذي كمل فيه جميع أوصاف السودد وقيل هو السيد المقصود في جميع الحوائج المرغوب اليه في الرغائب المستعان به عند المصائب وتفريج الكرب وقيل هو الكامل في جميع صفاته وافعاله وتلك دالة على انه المتناهي في السودد والشرف والعلو والعظمة والكمال والكرم والاحسان وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فناء خلقه وقيل الصمد الذي ليس فوقه احد وهو قول علي وقيل هو الذي لا تعتريه الآفات ولا تغيره الاوقات وقيل هو الذي لا عيب فيه وقيل الصمد هو الاول الذي ليس له زوال والآخر الذي ليس لملكه انتقال والاولى ان يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لانه محتمل له فعلى هذا يقتضي ان لا يكون في الوجود صمد سوى الله تعالى العظيم القادر على كل شيء وانه اسم خاص بالله تعالى انفرد به له الاسماء الحسنى والصفات العليا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير قوله عز وجل (لم يلد ولم يولد) وذلك ان مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فكذبهم الله عز وجل ونفى عن نفسه ما قالوا بقوله لم يلد يعني كما ولد عيسى وعزير ولم يولد معناه ان من ولد كان له والد فنفى عنه احاطة الولد من جميع الجهات فهو الاول الذي لم يتقدمه والد كان عنه والآخر الذي لا يتأخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذي لم يكن له كفوا أحد اي ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه بقوله (ولم يكن له كفوا أحد) العديل والنظير والصاحبة والولد (خ) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما

بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته وأما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد
الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة الفلق وهي مدنية وقيل مكية)

والاول أصح وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفا
(م) عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط
قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس فيه بيان عظيم فضل هاتين السورتين وفيه دليل واضح على
كونهما من القرآن وفيه رد على من ينسب الى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان ان لفظة قل من
القرآن أيضا وانه من أول السورتين بعد البسملة وقد اجتمعت الامة على هذا كله بعد خلاف ذكر فيه
(خ) عن زر بن حبيش قال سألت ابي بن كعب عن المعوذتين قلت يا أبا الوليد ان أخاك ابن مسعود يقول
كذا وكذا فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي رواية مثلها ولم يذكر ابن مسعود عن عبد الله بن حبيب قال اصابنا طش وظلمة
فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي بنا فخرج فقال قل قلت ما أقول قال قل هو الله أحد الله
الصمد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح تكفيك كل شئ وفي رواية قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بطريق مكة فأصبت خلوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت منه فقال قل قلت ما أقول قال
قل أعوذ برب الفلق حتى تختمها ثم قل أعوذ برب الناس حتى تختمها ثم قال ما تعوذ الناس بأفضل منهما
أخرجه النسائي عن جابر بمثله ومعنى الطش والطشيش المطر الضعيف وهو قول أبي الدرداء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قل أعوذ برب الفلق) قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى
الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ من مشاطة رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعدة من أسنان مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت
السورتان فيه (ق) عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشئ
ولم يصنعه وفي رواية انه يخيل اليه فعل الشئ وما فعله حتى اذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم
قال اشعرت يا عائشة ان الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه قلت وما ذاك يا رسول الله قال جاءني رجلان
فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ثم قال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل قالوا مطبوب قال
ومن طبه قال لبيد بن الاعصم اليهودي من بني زريق قال فيماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة
ذكر قال فأين هو قال في بئر ذروان ومن الرواة من قال في بئر بني زريق فذهب النبي صلى الله عليه وسلم
في اناس من أصحابه الى البئر فنظر اليها وعليها نخل ثم رجع الى عائشة فقال والله لكأن ماءها نقاعة
الحناء ولكأن نخلها رؤس الشياطين قلت يا رسول الله فأخرجه قال اما أنا فقد عافاني الله وشفاني وخفت
ان اثير على الناس منه شرا وفي رواية للبخاري أنه كان يرى انه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا
أشد ما يكون من السحر اذا كان كذلك عن زيد بن ارقم قال سحر رجل من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم
فاشتكى ذلك اياما فأتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا فأرسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فحلها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك اليهودي ولا رآه في وجهه قط أخرجه النسائي وروى
انه كان تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة من رأسه صلى الله عليه
وسلم وأسنان من مشطه وقيل كان في وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل كان مغروزا بالابر فأنزل الله
هاتين السورتين وهما احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات فكان كلما

عليه وسلم رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال
وجبت فقيل يا رسول الله ما وجبت قال وجبت
له الجنة
(سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات)
*(بسم الله الرحمن الرحيم)
(قل أعوذ برب الفلق) اي الصبح او الخلق او هو

قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال وروى انه لبث ستة أشهر واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان (م) عن أبي سعيد الخدري أن جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك ومن شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك

(فصل وقبل الشروع في التفسير نذكر معنى الحديث وماقيل فيه وماقيل في السحر وماقيل في الرقى) قولها في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشئ ولم يصنعه قال الامام المازري مذهب أهل السنة وجمهور علماء الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشياء الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف مايقع منه الى خيالات باطلة لاحقائق لها وقد ذكره الله في كتابه وذكر انه مما يتعلم وذكر فيه اشارة الى أنه مما يكفر به وانه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لايمكن ان يكون مما لاحقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح باثباته ولا يستنكر في العقل ان الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق اوتركيب أجسام أوالمزج بين قوى لا يعرفها الا الساحر وانه لافاعل الا الله تعالى ومايقع من ذلك فهو عادة أجراها الله تعالى على يد من يشاء من عباده فان قلت المستعاذ منه هل هو بقضاء الله وقدره أم لا فان كان بقضاء الله وقدره فكيف يأمر بالاستعاذة مع ان ماقدر لابد واقع وان لم يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح في القدرة قلت كل ماوقع في الوجود هو بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالتعوذ والرقى من قضاء الله وقدره يدل على صحة ذلك ماروى الترمذي عن أبي خزامة عن أبيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ارأيت رقى نسترقي بها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله تعالى قال الترمذي هذا حديث حسن وعن عمر نفر من قدر الله الى قدر الله تعالى

(فصل) وقد أنكر بعض المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه وزعم انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع ورد على هذا المبتدع بأن الذي ادعاه باطل ولان الدلائل القطعية والنقلية قد قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ماقام الدليل بخلافه باطل واما مايتعلق ببعض أمور الدنيا وهو ما يعرض للبشر فغير بعيد ان يخيل اليه من أمور الدنيا مالا حقيقة له وقد قيل انه كان يخيل اليه انه وطئ زوجاته وليس بواطئ وهذا مثل مايتخيله الانسان في المنام فلا يبعد أن يتخيله في اليقظة ولا حقيقة له وقيل يخيل اليه انه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة مايتخيله فتكون اعتقاداته على غير السداد قال القاضي عياض وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث بينة ان السحر انما سلط على بدنه وظواهر جوارحه لاعلى قلبه وعقله واعتقاده وليس في ذلك مايوجب لبسا على الرسالة ولاطعنا لاهل الزيغ والضلالة وقوله ماوجع الرجل قال مطبوب أي مسحور وقوله وجف طلعة ذكر يروى بالباء ويروى بالفاء وهو وعاء طلع النخل واما الرقى والتعاويذ فقد اتفق الاجماع على جواز ذلك اذا كان بآيات من القرآن أواذا كانت وردت في الحديث ويدل على صحته الاحاديث الواردة في ذلك منها حديث أبي سعيد المتقدم ان جبريل رقى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ماروى عن عبيد بن رفاعة الزرقي ان أسماء بنت عميس قالت يارسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افاسترقي لهم قال نعم فانه لو كان شئ سابق القدر لسبقته العين أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وعن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ ويقول أعوذ بالله من الجان وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ماسواهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فهذه الاحاديث تدل على جواز الرقية وانما المنهي عنه منها ما كان فيه كفر اوشرك ومالا يعرف معناه مما ليس بعربي لجواز ان يكون فيه كفر والله أعلم واما التفسير فقوله عز وجل قل أعوذ برب الفلق أراد بالفلق الصبح وهو قول الاكثرين ورواية عن ابن عباس لان الليل ينفلق عن الصبح وسبب تخصيصه في التعوذ

ان القادر على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح كالمثال لمجىء الفرج فكما ان الانسان ينتظر طلوع الصبح فكذلك الخائف يترقب مجىء النجاح وقيل ان تخصيص الصبح بالذكر فى هذا الموضع لانه وقت دعاء المضطرين واجابة الملهوفين فكأنه يقول قل أعوذ برب الوقت الذى يفرج فيه هم المهمومين والمغمومين وروى عن ابن عباس ان الفلق سجن فى جهنم وقيل هو وادى جهنم اذا فتح استعاذ أهل النار من حره ووجهه ان المستعيذ قال أعوذ برب هذا العذاب القادر عليه من شر عذابه وغيره وروى عن ابن عباس ايضا ان الفلق الخلق ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فلق ظلمات بحر العدم بايجاد الانوار وخلق منه الخلق فكأنه قال قل أعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات (من شر ما خلق) قيل يريد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولان السحر لا يتم الا به وبأعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذى شر وقيل من شر ما خلق من الجن والانس (ومن شر غاسق اذا وقب) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذى بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر اذا خسف واسود ومعنى وقب دخل فى الخسوف او اخذ فى الغيبوبة وقيل سمى به لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل اذا وقب دخل فى المحاق وهو آخر الشهر وفى ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا وقب اى أقبل بظلمته من المشرق سمى الليل غاسقا لانه أبرد من النهار والغسق البرد وانما أمر بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الآفات ويقل فيه الغوث ويتم السحر وقيل الغاسق الثريا اذا سقطت وغابت وقيل ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا أمر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها (ومن شر النفاثات فى العقد) يعنى السواحر التى ينفثن فى عقد الخيط حين يرقين عليها وقيل المراد بالنفاثات بنات لبيد بن الاعصم الذى سحر النبى صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ مع ريق قليل وقيل انه النفخ فقط واختلفوا فى جواز النفخ فى الرقى والتعاويذ الشرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم يدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وأنكر جماعة التفل والنفث فى الرقى وأجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغى للراقى أن ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل النفث فى العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث لاصلاح الارواح والابدان وجب ان لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب اليه (ومن شر حاسد اذا حسد) الحاسد هو الذى يتمنى زوال نعمة الغير وربما يكون مع ذلك سعى فلذلك أمر الله تعالى بالتعوذ منه وأراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبى صلى الله عليه وسلم أو لبيد بن الاعصم وحده والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة الناس وهى مدنية وقيل مكية)

والاول أصح وهى ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قل أعوذ برب الناس) انما خص الناس بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لانه لما أمر بالاستعاذة من شر الوسواس فكأنه قال أعوذ من شر الموسوس الناس بربهم الذى يملك عليهم أمورهم وهو الههم ومعبودهم فانه هو الذى يعيذ من شرهم وقيل ان أشرف المخلوقات هم الناس فلهذا خصهم بالذكر (ملك الناس اله الناس) انما وصف نفسه أولا بأنه رب الناس لان الرب قد يكون

وادى جهنم اوجب فيها (من شر ما خلق) اى النار والشيطان وما موصولة والعائد محذوف او مصدرية ويكون الخلق بمعنى المخلوق وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه من شرٍ بالتنوين وما على هذا مع الفعل بتأويل المصدر فى موضع الجر بدل من شر اى شر خلقه اى من خالق شرا و زائدة

(ومن شر غاسق اذا وقب) الغاسق الليل اذا نف ظلامه ووقوبه دخول ظلامه فى كل شئ وعن عائشة رضى الله عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فأشار الى القمر فقال تعوذى بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله فى الكسوف واسوداده (ومن شر النفاثات فى العقد) النفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق وهو دليل على بطلان قول المعتزلة فى انكار تحقق السحر وظهور اثره (ومن شر حاسد اذا حسد) أى اذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه لانه اذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وهو الاسف على الخير عند الغير والاستعاذة من شر هذه الاشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق اشعار بأن شر هؤلاء اشد وختم بالحسد ليعلم انه شرها وهو أول ذنب عصى الله به فى السماء من ابليس وفى الارض من قابيل وانما عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لان كل نفاثة شريرة فلذا عرفت النفاثات ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون فى بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد يكون محمودا كالحسد فى الخيرات والله أعلم

(سورة الناس مختلف فيها وهى ست آيات)

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

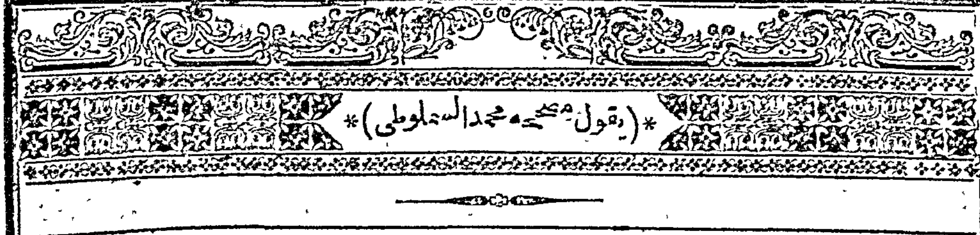
(قل اعوذ برب الناس) أى مربيهم ومصلحهم (ملك الناس) مالكهم ومدبر امورهم (اله الناس) معبودهم ولم يكتف باظهار المضاف اليه مرة واحدة لان قوله ملك الناس اله الناس عطف بيان لرب الناس لانه يقال لغيره رب الناس وملك الناس واما اله الناس فخاص لا شركة فيه وعطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار وانما اضيف الرب الى الناس خاصة وان كان رب كل مخلوق تشريفا لهم ولان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم وقيل اراد بالاول الاطفال ومعنى الربوبية يدل عليه وبالثانى الشباب ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدل عليه وبالثالث الشيوخ ولفظ الاله المنبئ عن العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحين اذ الشيطان مولع باغوائهم وبالخامس المفسدين

ملكا وقد لا يكون ملكا فنبه بذلك على انه ربهم وملكهم ثم ان الملك لا يكون الها فنبه بقوله اله الناس على ان الالهية خاصة بالله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحد والسبب فى تكرير لفظة الناس يقتضى مزيد شرفهم عن غيرهم (من شر الوسواس) يعنى الشيطان ذا الوسواس والوسوسة الهمز والصوت الخفى (الخناس) يعنى الرجاع الذى من عادته ان يخنس اى يتأخر قيل ان الشيطان جاثم على قلب الانسان فاذا غفل وسها وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس الشيطان عنه وتأخر وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويحدثه فاذا ذكر الله تعالى خنس واذا لم يذكر الله تعالى رجع ووضع رأسه على القلب فذلك قوله تعالى (الذى يوسوس فى صدور الناس) يعنى بالكلام الخفى الذى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد بالصدر القلب (من الجنة) يعنى الجن (والناس) وفى معنى الآية وجهان أحدهما ان الناس لفظ مشترك بين الجن والانس ويدل عليه قول بعض العرب جاء قوم من الجن فقيل من أنتم قالوا أناس من الجن وقد سماهم الله تعالى رجالا فى قوله يعوذون برجال من الجن فعلى هذا يكون معنى الآية ان الوسواس الخناس يوسوس للجن كما يوسوس للانس والوجه الثانى ان الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الانس فكما ان شيطان الجن قد يوسوس للانسان تارة ويخنس أخرى فكذلك شيطان الانس قد يوسوس للانسان كالناصح له فان قبل زاد فى الوسوسة وان كره السامع ذلك تخنس وانقبض فكأنه تعالى امر أن يستعاذ به من شر الجن والانس جميعا (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على راسه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيديه رجاء بركتها أخرجه مالك فى الموطأ ولهما بمعناه (ق) عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل واطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل واطراف النهار عن ابن عباس قال قيل يارسول الله أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قيل وما الحال المرتحل قال الذى يضرب من أول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل أخرجه الترمذى والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تم تم

تم

لعطفه على المعوذ منه (من شر الوسواس) هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمى بالمصدر كانه وسوسة فى نفسه لانها شغله الذى هو عاكف عليه أو اريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفى (الخناس) الذى عادته ان يخنس منسوب الى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روى عن سعيد ابن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل رجع ووسوس اليه (الذى يوسوس فى صدور الناس) فى محل الجر على الصفة او الرفع او النصب على الشتم وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس (من الجنة والناس) بيان للذى يوسوس على ان الشيطان ضربان جنى وانسى كما قال شياطين الانس والجن وعن أبى ذر رضى الله عنه انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس روى أنه عليه السلام سحر فمرض فجاءه ملكان وهو نائم فقال احدهما لصاحبه ما باله فقال طب قال ومن طبه قال لبيد بن اعصم اليهودى قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة فى جف طلعة تحت راعونة فى بئر ذى أروان فانتبه صلى الله عليه وسلم فبعث زبيرا وعليا وعمارا رضى الله عنهم فنزحوا ماء البئر واخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه واسنان من مشطه واذا فيه وتر معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فنزلت هاتان السورتان فكلما قرأ جبريل آية انحلت عقدة حتى قام عليه السلام عند انحلال العقدة الاخيرة كانما نشط من عقال وجعل جبريل يقول باسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك ولهذا جوز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان بالسريانية والعبرانية والهندية فانه لا يحل اعتقاده ولا اعتماد عليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا وأقوالنا ومن شر ما عملنا ومالم نعمل ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيه ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وصلى الله على محمد وعلى آله مصابيح الانام وأصحابه مفاتيح دار السلام



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أتم ما ارتضاه دينا لخيرته من اصفيائه ونور بصائر خاصته حتى اهتدوا الى حقيقة ما أودعه فى كتابه من محاسن آلائه فنظموا عقد البلاغة من معانيه فى سلك البيان ونسجوا حلل الفصاحة من مبانيه على منوال الاتقان والصلاة والسلام على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق من آياته المتشابهات المبين لما كنت سرائره من أسرار آياته المحكمات الحائز قصب السبق فى ميادين المباراة بجامع البراهين والحجج السالم من المئالم فى المجاراة باعتصامه بعصمة ما نزل عليه قرآنا عربيا غير ذى عوج وعلى آله الذين انقادت لهم المعارف فى أزمة العوارف سمعا وطوعا وصحابته الذين شيدوا إيوان الفضائل وجمعوا شوارد الفواضل جمعا اما بعد فان لكل أمر قواما ولكل أمل مراما وقوام كل الامور ومرام كل أمل معرفة كتاب الله المنزل على امام المرسلين المعصومين من الزيغ والزلل اذ با دارة رحيق معانيه تهتز معاطف الالباب وبالاحاطة بشمول مبانيه لجميع الفنون تتيه المسامع اعجابا وأى اعجاب وباشراق شموس انبائه تتضح سبل الرشاد وببدور بدور حكمه يدرك كل مراد

فرجعلت سواد قلبى برجه * وحنى اضلاعى له أفلاكا

ويقطف ثمار حقائقه من افنان المدارك يعرف ان هذا غراس اليقين ولا عبرة بغراس الاوهام وبورود الافهام على جداول دقائقه تصدر راوية عن البحر بعد مقاساة ذلك الاوام ولا سبيل الى كشف الكلل عن هذه المخدرات والتمتع بكواعب هذه اللطائف فى حلل الآيات الا بممارسة كتب الائمة المفسرين والوقوف على حقائق ما سطروه فى طروس اليقين وان هذين الكتابين واسطة عقدها واكليل تاجها ومنزلة سعدها دخل مؤلفاهما على حقائق التحقيق من مجازها وغاصا بحر دقائق التدقيق حتى أخرجا كل عويصة الى معالم ابرازها اخيا كل منهما لياليه فى تدبر الآيات حتى أمات اشباح الاوهام وجرد سيف ذكائه ففتح مدن البيان بمجرد ذلك الصمصام فعلى براعة كل منهما كان الناس أمة واحده وعلى بلاغته ضربت سرادق الاجماع وجمعه لكل فائده

من كل معنى يكاد الميت يفهمه * لطفا ويعبده القرطاس والقلم

فلله درهما حيث غرسا لنا غراس علومهما فعلمنا عند قطف ثمارها حلاوة غرس الكرام وحققا لنا والحق أحق أن يتبع انهما القديران على كل كلام فى كل مقام وبين لنا كل منهما كيف اقتداره على هذا وكيف كان لهذه الجواهر يبدى فقال انما أوتيته على علم عندى

ما كنت أحسب ان النيرات غدت * يصيدها شرك الالهام والفكر

ترنح الفاظهما معاطف سامعيها وتستعبد النهى فى محاريب معانيها القت عصا اعجازها فالتقفت حبال الاباطيل وتحدت بباهر آياتها عند مصاقع البلغاء فالقوا السمع وتركوا غيرها من الاقاويل فلهذا التزم طبعهما السيد الاوحد والجليل الامجد انسان عين تجار المصريين وقرة اعين اكابرهم الفاضلين حضرة السيد حسن موسى العقاد ايثارا لنشر فضل هذين الكتابين وحبا لنفع المسلمين بهذين المؤلفين فأجرى جداول تداولهما بعد أن أصبح ماء ذكرهما غورا وازاع سر حكمتهما بعد ان لم يستطع أحد عليه خبرا ونظم عقدهما بعد تبديده وسهل حزن تناولهما بعد احتفاله بالاهوال لمريده

والبسهما حلل الطروس الموشاة بطراز المداد بعد أن البسا الموت شهرتهما مناديل الحداد

فكساها العلاء ثوب بهاء * وسقاها الجمال ماء الشباب

وكان طبعهما بمطبعة حضرة السيد ابراهيم المويلحى وكان اتمام تحبيرهما واكمال اوضاع تحزيرهما في أوائل شهر اتمام الشعائر من سبع وثمانين من القرن الثالث عشر من هجرة سيد الاوائل والاواخر عليهم الصلاة والسلام مافاح مسك ختام

